



مبنى أبو علي أسس سنة ١٩٤٢م - ١٤٦٤هـ

الأعمال الكاملة

للأديب الدكتور

عاصم حمدان عليّ

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كتاب الاثنينية

(٢٨)

الأعمال الكاملة

للأديب الدكتور

عاصم حمدان علي

الجزء الثاني

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجبة

جدة

ح) عبدالمقصود خوجه، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

علي، عاصم حمدان

الأعمال الكاملة للأديب الدكتور / عاصم حمدان علي / عاصم حمدان علي . - جلة ، ١٤٢٦هـ

٤ مج ٢٦٤٤ ص (الجزء الثاني ٨٦٠ ص) ؛ ١٧×٢٤سم (كتاب الأثنينية ٢٨)

ردمك ٨-٢١٠-٤٧-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-٢١٢-٤٧-٩٩٦٠ (ج ٢)

١ - علي، عاصم حمدان - المؤلفات الكاملة أ - العنوان .

١٤٢٦/١١٤

ديوي ٨، ٨١٠

رقم الإيداع : ١٤٢٦/١١٤

ردمك ٨-٢١٠-٤٧-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-٢١٢-٤٧-٩٩٦٠ (ج ٢)

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

فهرس المحتويات

..... النشر
..... المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ
..... بسم الله الرحمن الرحيم
..... تمهيد
..... القسم الأول الدراسات الفكرية والأدبية
..... شعراء المدينة المنورة والشعر الملحمي في القرن الثاني عشر الهجري
..... شعراء المدينة المنورة والشعر الملحمي في القرن الثاني عشر الهجري (٢)
..... شعراء المدينة المنورة والشعر الملحمي في القرن الثاني عشر الهجري (٣)
..... (٤) البناء الفني لقصيدة الملحمة
..... من معالم الفكر والأدب في المدينة المنورة
..... أمين الحلواني ومخطوطات مكتبة بريل
..... خاتمة البحث ووفاة الحلواني
..... أمين بن حسن الحلواني بين الأسطورة والواقع
..... رائد الكلمة ومبدع القصيد السيد عبيد عبد الله مدني
..... أديب أهمله بنو قومه الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ
..... الشيخ جعفر بن إبراهيم فقيه
..... القسم الثاني الدراسات التاريخية

«ابن شبة» بين الدكتور سليمان الغنام والأستاذ فهيم شلتوت

أبو بكر المراغي وكتابه (تحقيق النصره)

ذيل الانتصار لسيد الأبرار) لعمر ابن السيد علي السمهودي

الخليفتي وكتابه (نتيجة الفكر في خبر مدينة سيد البشر)

(تحفة الدهر ونفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر)

لعمر بن عبد السلام الداغستاني

عبد الرحمن الأنصاري وكتابه (تحفة المحبين)

(الأخبار الغربية فيما وقع بطيبة الحبيبة)

منهج الشريف العياشي في البحث التاريخي

في رحاب المسجد النبوي (١)

في رحاب المسجد النبوي (٢)

في رحاب المسجد النبوي (٣)

في رحاب المسجد النبوي (٤)

الأخبار الغربية في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الفتنة الواقعة بين أهل المدينة وبنو علي سنة ١١١١ هـ (إحدى عشرة بعد

المائة والألف)

ذكر قصة العهد في سنة ١١٣٤ ، أربع وثلاثين ومائة بعد الألف

ذكر فتنة «بك بشير آغا» سنة ١١٤٨

AL-AKHBār AL- GHARĪBA FĪ DHIKR Mā WAQCA BI-TAYBA AL- HABĪBA

الفهارس

حلقات العلم في الحرمين الشريفين

تمهيد

خاتمة البحث

الشعر السياسي والوطني عند شعراء المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

القصائد المخصصة للدراسة

الخاتمة

المصادر والمراجع

صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم تقديم

الفصل الأول أضواءً على التاريخ والمؤرخين للمدينة المنورة في العصر

الحديث

الفصل الثاني الأدب في المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري

(الثامن عشر الميلادي)

المبحث الأول الأدب في المدينة: أعلامه، موضوعاته الرئيسة، ظواهره الفنية

الحالة الفكرية في المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري

في القرن الثاني عشر الهجري

المبحث الثاني قصّة مخطوطة.. (تُحفّة الدهر ونفحة الزهر في أعيان

المدينة من أهل العصر)

المبحث الثالث الشعر وجوانب من الحياة الاجتماعية في المدينة

في القرن الثاني عشر الهجري

الفصل الثالث السمة الاجتماعية في شعر جعفر بن محمد البيهقي

المبحث الأول الموضوعات والظواهر الفنية في شعر جعفر البيهقي

المبحث الثاني جعفر البيهقي والتجديد في القصيدة الشعرية (١)

المبحث الثالث جعفر البيهقي والتجديد في القصيدة الشعرية (٢)

الفصل الرابع شاعران من القرن الثالث عشر الهجري

المبحث الأول السيد نور بن مُصطفى عَشْقِي	
المبحث الثاني الأسكوبي . . رائدُ الشُّعر السِّيَاسِي فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ	
الفصل الخامس الدَّورُ الرَّائِدُ لِحَلَقَاتِ الْعِلْمِ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ	
الفصل السادس أعلام من المدينة المنورة	
المبحث الأول محمد حُسين زَيْدان فارس الكلمة المُرتجلة	
المبحث الثاني علي وعثمان حافظ صحافة النقش على الحجر	
المبحث الثالث أمين مدني	
المبحث الرابع عزيز ضياء بين ثقافة الغرب وبيان العربية	
المبحث الخامس «عطية محمد سالم» الفقيه . . المؤرِّخ . . الإنسان	
المبحث السادس عبد الله سلامة الجهني	
المبحث السابع زينب مغربل ودورُ المرأة في المَسِيرَةِ التَّعْلِيمِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمَنورَةِ	
ملاحق الكتاب	
الملحق الأول مخطوطات من أرض الحرمين في الريف الإنجليزي	
الملحق الثاني الحَلِيَّت يَرثِي الشَّيْخَ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَبَّاسَ شِعْراً	
الملحق الثالث نَجْمٌ «حرب» الذي سقط	
فهرس المحتويات	

النشر

المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من توارى جثمانه ووري
ثرى طيبة الطيبة سيدنا محمد ﷺ وبارك على آله وصحبه وسائر الأنبياء
والمرسلين .

جرت العادة في تقسيم الأطراف ذوات العلاقة في الأعمال التدوينية
إلى ١ - مؤلف . ٢ - ومؤلف . ٣ - وقارئ . بيد أن العمل الذي بين أيدينا
يتميز بإضافة عنصر رابع لتصبح عناصره:

١ - موضع . ٢ - موضوع . ٣ - مؤلف . ٤ - قارئ .

فالموضع هو المدينة المنورة .

ولم يكن ليتأتى للمدينة أن تحظى بما حظيت به لولا أن اختارها الله
عز وجل لتكون موضع الهجرة لنبيه ﷺ لتستحيل حُمَّاهَا الموهنة إلى قوة
متدفقة في شريان الكيان الإسلامي فتمتد أطناب دولته حتى غشيت جل
أصقاع الكرة الأرضية وتصبح طيبة أول عاصمة للدولة الإسلامية .

ولن أستفيض في ذكر فضائل المدينة ومزاياها فالمرء يجمل مكة

والمدينة عن أن يمر بهما مر الكرام في التوطئة لمؤلف وقد أفردت لهما المتون الضخام وعم خبر فضلهاما القاصي والداني فهما العينان اللتان نظر بهما الإسلام إلى الدنيا ويشرب إلى النظر إليهما كل مسلم. حتى غدا التأليف فيهما شرفاً يغط به من ناله وفضلاً يتوق إليه من لم ينله.

والموضوع يتمحور حول تاريخ وأدب المدينة المنورة خلال فترة زمنية امتدت من القرن الثاني عشر الهجري حتى العصر الحديث لتشمل حقبة منيت بالكثير من الحيف والظلم خلال تاريخنا الأدبي في مجمله حتى وُسمت جوراً بعصر الجمود والانحطاط عوضاً عن العصر المملوكي والعثماني فجل نتاج هذه الفترة ما زال متوارياً ومخطوطاً كما أن الباحثين انصرفوا إلى العصور الأخرى وتنكبوا عن هذا العصر فكما أن الحكم على الشيء جزء من تصويره فإن الحكم على هذا العصر مرتين بإبراز نتاجه وتحقيق مخطوطاته والعكوف على موضوعاته وشخصياته دراسة وتحليلاً ليتسنى إصدار الحكم له أو عليه.

ولقد وفق المؤلف في العزوف عن التوجه النمطي السائد في دراسة الأدب بأن جنح عن المنحى الأفقي في الدراسة لتغطي مرحلة متعاصرة وركز على التوجه العمودي في انتقاء التوجه العمودي للشخصيات والقضايا المتواشجة والمترابطة لتمتد حتى المرحلة المعاصرة كمسار متتابع يفضي بعضه إلى بعض وهو توجه يتوق بعض من الدارسين إلى تسويده واحتدائه.

أما المؤلف فهو خير من يتصدى لهذه المهمة على عسرها وصعوبتها فهو ابن المدينة مولداً ونشأة وابن بجدتها في الأدب تخصصاً وتمرساً وعلى الرغم من أنه أخذ بالمفهوم السائد في تعريف الأدب من لدن

الجاحظ وامتداداً إلى ابن خلدون من أنه (الأخذ من كل علم بطرف) إلا أنه تعمق في كل علم امتدت له رؤاه وتطلعاته حتى بدا فيه خبيراً متمكناً يتضح في ذكاء التناول العصري والأسلوب المتدفق في معالجة الشخصيات معالجة علمية موضوعية تقوم على العبارة الموجزة والفكرة المكثفة منتهزاً فرصة الود والعلاقات الحميمة في الاستفادة من المصادر الشفهية قبيل تواريتها عن عالم الشهود موثقاً النصوص بأقوال أصحابها أو من عاصروهم وهو أمر لا يتأتى إلا لمن حباه الله خلق المؤلف في بناء جسور الود ودأبه في الانكباب على العلم احتساباً وقربى وهو بذلك يرود سبيلاً بكرأ يتيح للآخرين فرصة سلوكه وانتهاجه ويغرينا بمطالبته بالمزيد للكشف عن هذه الكنوز التي كنا نتوق إلى الاطلاع عليها ومعرفتها.

وأصرة العلاقة التلازمية بين مكة والمدينة تفسر وشيجة الإخاء والود التي ربطتني بأخي وصديقي وزميلي الدكتور عاصم وأقسرتني على الاستجابة لتفضله بطلب تدوين هذه المقدمة سائلاً الله له التوفيق والعون في مستقبل أعماله وحياته وأن يجعلها في ميزان أعماله خالصة لوجهه الكريم.

وصلى الله وسلم وبارك على خير من احتضنته تربة طيبة الطيبة سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسائر الأنبياء والمرسلين.

د. جميل محمود مغربي

أستاذ مادة النقد بكلية الآداب

بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

تمهيد

لم تحظ مدينة كما حظيت مدينة الرسول - ﷺ - بتوجيه العناية إلى كتابة تاريخها والمتمثل في تدوين أخبار وسيرة رسول الله - ﷺ - وصحابته - رضوان الله عليهم - كما فعل عمر بن شبة النميري (١٧٣-٢٦٢هـ) في كتابه «أخبار المدينة النبوية»، وفي الاعتناء كذلك بتتبع الآثار النبوية الصحيحة بين ربوعها الطيبة كما نجد ذلك عند الحافظ محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي (٥٧٨-٦٤١هـ) في كتابه (الدرة الثمينة في أخبار المدينة) وعند جمال الدين محمد بن أحمد المطري (٦٧٦-٧٤١هـ) في كتابه (التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة). وعند زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر المراغي (٧٢٧/٨١٦هـ) في كتابه (تحقيقُ النُصرة بتلخيص معالم دار الهجرة).

كما نلاحظ أيضاً اهتماماً يبدو في الاهتمام بتاريخ رجالها كما هو عند عبد الله بن محمد بن فرحون (٦٩١-٦٦٩هـ) في كتابه المخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة والمعروف باسم (نصيحة المشاور وتعزية المجاور). وعند مؤرخ آخر هو محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١-٩٠٢هـ) في كتابه (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة) بأجزائه الثلاثة التي نشرها أسعد طرابزونى - يرحمه الله - .

أما العناية بتاريخها الأدبي فنجد نموذجاً لها عند الشيخ عمر بن عبد السلام الداغستاني المتوفى بعد سنة (١٢٠١هـ - ١٧٧٦م) الذي ألف كتابه

(تحفة الدهر ونفحة الزهر في شعراء المدينة من أهل العصر) وهو كتاب هام يبرز مدى اهتمام مثقفي المدينة في فترة القرن الثاني عشر الهجري بفنون الشعر والنثر المختلفة، وتعاطيهم لتلك الفنون بحسب المقاييس الأدبية لعصرهم، كما أن التأريخ لجوانب الحياة الاجتماعية فيها لم يخل هو الآخر من اهتمام خاص، كما يبرزه لنا جعفر بن هاشم الحسيني من أدباء المدينة في القرن الثالث عشر الهجري في كتابه المخطوط (الأخبار الغربية فيما وقع بطيبة الحبيبة).

ولقد أخذت منذ زمن في تقصي هذه المصادر بجانبها التاريخي والأدبي - المخطوط منها والمطبوع - ودراستها دراسة أكاديمية، فرأيت أن أضم هذه الدراسات التي يجمعها نسق واحد في هذا الكتاب الذي آمل أن يجد فيه المهتمون بدراسة فكر وأدب وتاريخ هذه البقعة المطهرة شيئاً مما يتطلعون إليه أو يوجهون إليه اهتماماتهم العلمية.

ولعله من الواجب أن أتقدم - هنا - بالشكر الجزيل لصديقي الدكتور محمد يعقوب تركستاني - الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة - على احتفائه ببعض هذه الدراسات ونشره لها في ملحقه العلمي المعروف بصحيفة المدينة المنورة، وشكراً آخر أسديته إلى زميلي الشاعر الدكتور جميل محمود مغربي الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز على تكرمه بقراءة أصول هذا الكتاب واقتراحاته المفيدة حول النشر النهائي، ولعله من الواجب أيضاً أن أخص بالشكر الصديق الدكتور يحيى محمود الساعاتي - رئيس تحرير مجلة عالم الكتب - الذي رحبت مجلته بنشر بحثي عن العالم أمين بن حسن الحلواني - رحمه الله - والذي يدخل ضمن مواد هذا الكتاب.

عاصم حمدان

والله ولي التوفيق

جدة ٢٤/٨/٤١١هـ

القسم الأول
الدراسات الفكرية والأدبية

شعراء المدينة المنورة والشعر الملحني في القرن الثاني عشر الهجري

(١)

من الإنتاج الأدبي غير المنشور، في القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي. عدد من القصائد الطويلة التي احتفظت لنا بتاريخ الحوادث الاجتماعية، التي شهدها مجتمع المدينة المنورة في تلك الآونة.

لقد استثارت الحوادث قرائح كثير من الشعراء في ذلك الحين الذين استهلوا قصائدهم تلك بالإشارة إلى أسباب الحادثة الاجتماعية وتاريخها ويكون هذا التاريخ مفصلاً - أحياناً - بذكر اليوم والشهر والسنة، ثم التعرض إلى الجماعات التي شاركت في هذه الحادثة. وبشيء من التفصيل عن سلوكهم وأخلاقياتهم، ثم تنتقل القصيدة للحديث عن تطور هذه الحادثة. والآثار التي تركتها على البيئة المحلية، وعلى الأخص على إنسان تلك البيئة.

* * *

ولقد دفعت المعالم المتميزة لهذه القصائد ناقداً كالسيد «عبيد مدني» -

رحمه الله - إلى إطلاق (ملحمة)^(١) على بعض تلك القصائد، ولعله شيء أساسي أن نعرض للتعريف الحقيقي لمصطلح (ملحمة) وبدايات استعماله في تاريخ الأدب العربي، وصلة هذا المصطلح نفسه بمفهوم الشعر الملحمي في ثقافات الأمم الأخرى.

يذهب ابن منظور إلى تعريف الملحمة بأنها: الحرب ذات القتل الشديد، ويضيف كذلك تعريفاً آخر لها بأنها الواقعة العظيمة في الفتنة^(٢).

وفسر الشريشي القول الوارد في المقامة الثالثة عشرة من مقامات الحريري، والمعروفة بالمقامة البغدادية «قد فتن كلامك فيكف إحامك» أن إحامك تعني نسجك الشعر^(٣).

«د. ب. ماكدونالد» يعلق على جذور كلمة «ملحمة» وتطور معناها، كما يلي: «يحيط كثير من الغموض بالأصل الاشتقائي لكلمة ملحمة، وتطور معناها، فالكلمة لم تظهر في القرآن الكريم، أو بالأصل الجذري للحم ولحوم، أي ذلك المتمثل في المعنى المادي الخالص، علاوة على ذلك فالجذر - ل، ح، م - يكتسب - كما في الأصل اللغوي العبري للكلمة نفسها - معنيين قديمين، ولكنهما منفصلان، وهما: الطعام، والقتال، يضاف إلى ذلك أن أصل الكلمة الدالة على الطعام في اللغة العبرية Lehem هو: الخبز، وهو - في الوقت نفسه - يعد معنى مرادفاً لكلمة - لحم - بالعربية.

(١) بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، جدة، ١٣٩٤هـ - ص: ٧٢٣ - ٧٤٠.

(٢) جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور: لسان العرب، (دار صادر، بيروت)، المجلد الثاني عشر، ص ٥٣٧، مادة لحم.

(٣) أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي: شرح مقامات الحريري، ط الأولى - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

وذلك ربما يوحي بإمكانية انفصال المعنيين بعضهما عن بعض في الأصل السامي، أكثر مما يوحي بعملية الاستعارة أو الاقتباس. وفي العربية - قديماً - تعطينا كلمة - ملحمة - معنى القتال الحاسم، الذي يقود إلى الهزيمة، أو المطاردة، التي تتسبب في إلحاق الذبح والقتال بالطرف الآخر».

كما ذكر «ماكدونالد» - أيضاً - تعريف «ابن خلدون» للملحمة، وهو «كتب متعددة في الحوادث والتغييرات المتصلة بالأسر الحاكمة، وتكون صياغتها شعراً، أو نثراً، أو رجزاً»^(١).

ولكن هل يحق لنا أن نقارن القصائد الجاهلية القديمة، والمعروفة بالمعلقات، والتي تتعرض لحوادث تاريخية معينة مثل معلقة زهير بن أبي سلمى وما أجالته حول حرب داحس والغبراء، بملاحم «هومر» Homer الإغريقية: الإلياذة (Iliad)، والأوديسة The Odyssey، أو الملاحم التاريخية الفارسية، كالشاهنامه للفردوسي؟

الناقد «مارون عبود» يرى أن قصة الإلياذة شديدة الشبه بقصة عنتره^(٢)، بينما يعتقد د. س. مرجليوث أن حظ المعلقات من المعلومات التاريخية يكاد يكون ضئيلاً.

أما «جورج غريب» فيذهب إلى «أن في مطولات عمرو بن كلثوم وعنتره والحارث بن حلزة من مميزات الملاحم ما ليس في غيرها» ولكنه يعود إلى القول بأنه «من الإنصاف اعتبار المطولات العربية من قبيل الفخر

(١) مادة ملحمة في «الموسوعة الإسلامية» الطبعة الإنجليزية الأولى ص ١٨٨، ومادة حماسة - أيضاً - في الموسوعة نفسها، الطبعة الثانية.

(٢) مارون عبود: أدب العرب، بيروت ط ٣، ١٣٩٨هـ، ص ٧٨.

والحماسة لا من قبيل الملاحم»^(١).

ولقد ناقش «سليمان البستاني» في مقدمة ترجمة إلياذة «هومر» قضية التقارب بين جاهلية العرب وجاهلية اليونان، إلا أنه خلص إلى أن «المشاركة لم ينظموا الملاحم بالمعنى الصحيح، فرغم ما توافر للأعراب من أدوات الفصاحة، فعدم التطلع إلى ما وراء الطبيعة وقف حاجزاً دونهم ودون تحقيق هذا النوع من الأدب، بيد أننا - ونحن نلقي نظرة على بعض كتب الأدب بعامة، وجمهرة أشعار العرب بخاصة - نستطيع القول بشيء من التوسع إنه كان للمشاركة، من جاهليين ومولدين، نوع من الملاحم القصيرة تناولوا فيها حوادث معينة»^(٢).

ولكن «د. س. مرجليوث» في محاضراته الموسومة بعنوان (الشعر أداة فكرية للتاريخ) أوضح أن هناك نوعاً من المماثلة بين بعض الإنتاج الشعري، في مرحلة العصر الإسلامي، وبعض الأعمال الملحمية العالمية، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الإنتاج العربي الشعري الذي يتوجه لتخليص الحوادث التاريخية، يظل مفتقداً لبعض السمات الملحمية، كالحبكة أو العقدة ولهذا نجده يعقد مقارنةً بين القصيدة التاريخية عند الشاعر العباسي عبد الله بن المعتز «أرجوزة المعتضد»^(٣) وبين ملحمة الشاعر (Tasso) تاسو، والمعروفة باسم (jerusalem, Delivered) «تحرير القدس» والتي تعرض فيها لحوادث الحملة الصليبية الأولى.

(١) جورج غريب، الشعر الملحمي، تاريخه وأعلامه، بيروت ط ٣، ص ١٠.

(٢) جورج غريب، سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة، بيروت - بدون تاريخ - ص ٥٧ - ٥٨.

(٣) يصفه الدكتور طه حسين بالشعر التعليمي، تاريخ الأدب العربي، بيروت ط ٢، ١٩٧٦،

ويُدعى «مرجليوث» أن بناء القصيدة العربية هو أكثر ملاءمة لتعدد الموضوعات منه إلى الموضوع الواحد، كما هو ضروري في البناء الملحمي؛ ولهذا فإن القصائد الملحمية في الأدب العربي تمت صياغتها في بحر الرجز^(١) لأنه الوحيد الذي يتلاءم مع هذا الفن الشعري.

وسوف نتعرض بالتفصيل لرأي «مرجليوث» هذا الذي يتجنى فيه على القصيدة العربية، وذلك ناشئ من عدم إحاطته بتاريخ الأدب العربي، وسوف نقدم الأمثلة الشعرية من إنتاج شعراء الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر «الدليل الواضح على أن القصيدة العربية ذات البحر الشعري الطويل قادرة على استيعاب الموضوع الواحد ذي الصبغة الملحمية التاريخية، وأن هذه القصيدة - في الوقت نفسه - احتفظت بروائها الشعري، وصياغتها الفنية الجميلة.

* * *

(١) ديفيد صمويل مرجليوث: محاضرات عن المؤرخين العرب «الطبعة الإنجليزية» كلكتا ١٩٣٠،

(٢)

في الحلقة الماضية، التي خصصت لدراسة تحديد المصطلح الشعري «ملحمة» رأينا أن هناك نماذج من الشعر الجاهلي والإسلامي، مما يمكن إدخاله ضمن دائرة الشعر الملحمي من منظور النقد العربي.

ولا بد من الإشارة إلى أن تجارب شعراء المدينة، في القرن الثاني عشر الهجري، في هذا العمل الشعري الخاص، إنما هي محاولة لإحيائه، ونفض الغبار عنه، وتكتسب المحاولة أهميتها أنها أتت في عصر من عصور الركود الفكري والأدبي.

ولكن السؤال الذي يمكن طرحه: هل كان هؤلاء الشعراء واعين بالفن، الذي توجهت ملكاتهم للإبداع فيه؟

لقد ورد لفظ «ملحمة» في مطولة من مطولات الشاعر السيد جعفر إبراهيم البيتي^(١) وجاءت اللفظة مقترنة باسم شاعر من أشهر شعراء العصر

(١) السيد جعفر البيتي العلوي السقاف، ولد في المدينة سنة ١١١٠هـ - ١٥٩٨م، من أشهر شعراء الجزيرة العربية في فترة القرن الثاني عشر الهجري، لا يزال ديوانه الشعري مخطوطاً، وتوجد منه نسخ في مكتبة عارف حكمت بالمدينة، ومكتبة المدينة العامة، وطوبقو سراي باستانبول، وبمكتبة المرحوم السيد عبيد عبد الله مدني.

انظر ترجمته في «تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب» لعبد الرحمن الأنصاري، تحقيق محمد العروسي المطوي. تونس، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ص ٧١.

المملوكي، وهو شمس الدين بن دانيال^(١) (٦٤٦-٧١٠هـ) والبيت ورد عند الشاعر «البيتي» كم يلي:

حوادث ما رآها دانيال ولا قصت «ملاحمه» شيئاً يساويها

واشتمال البيت على اسم هذا الشاعر - بعينه - فيه دلالة على مصادر الثقافة الشعرية لشعراء تلك الفترة، ومدى تأثيرها في إنتاجهم الشعري، إن الشاعر كان واعياً بأنه يقوم بوصف حوادث ملحمة، وأن هذا الوصف كان نتيجة طبيعية لتفاعل الشاعر مع تلك الحوادث، التي شهدها مجتمع المدينة، في فترة القرن الثاني عشر الهجري، أو ما أسمته المصادر الشعرية «بالفتن» وهي تسمية لها دلالتها التاريخية إذا ما ربطنا بينها وبين الفتن، التي شهدها المجتمع المدني في العصر الإسلامي الأول.

وأشهر هذه الفتن ثلاث: وقعت الأولى منها سنة ١١٣٤هـ، وتسمى بفتنة «العهد»، والثانية في سنة ١١٤٨هـ، وتسمى بفتنة «بشير أغا» الذي كان حاكماً من حكام المدينة في تلك الفترة، والثالثة في سنة ١١١٥هـ، وهي فتنة «عبد الرحمن أغا الكبير».

هذه الحوادث جميعها لم تتعرض لها - بالتفصيل - المصادر التاريخية وربما كان ذلك راجعاً إلى ضياع مؤلفات ذلك العصر، التي كانت تحتفظ

= وفي هدية العارفين، لإسماعيل البغدادي، استانبول ١٩٥١م، ج ١، ص ٢٥٦، وفي الشعر الحديث في الحجاز لعبد الرحيم أبي بكر، القاهرة ١٣٩٧هـ، ص ٦٩ - ٧٤.
(١) انظر ترجمته في «فوات الوفيات» والذيل عليه لابن شاعر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٧٤م، ج ٣، ص: ٣٣٠، وفي «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ليوסף بن تغري بردي، (القاهرة) ج ٦، ص ٢١٥، والأعلام، لخير الدين الزركلي، بيروت، ١٣٧٦هـ، ج ٦، ص ٥٤.

بها بعض المكتبات الخاصة في المدينة. ولربما افتقدنا المؤرخ - نفسه - للظروف السيئة، التي كان يمر بها المجتمع - آنذاك - إلا أننا لم نفتقد الشاعر الذي عمل على تطويع القصيدة الشعرية لمقتضيات العصر، وابتعد بها عن الموضوعات المبتذلة، التي كانت سمة من سمات بعض الإنتاج الشعري في العصر العثماني، أو بعبارة أخرى: وجدت الملكة الشعرية القوية، فكانت عيناً تسجل، وأذناً تسمع، ولساناً ينطق.

لقد كان السيد جعفر البيتي ذلك اللسان الذرب، الذي وصف تلك الفتن، فجاء وصفه مليئاً بالصور الشعرية الرائعة، التي يمكننا من خلالها معرفة ما كان يزعج ذلك المجتمع الآمن، ويقض مضجعه.

وقبل أن نختار ملحمة من ملاحم شاعرنا المذكور، لتتعرف من خلالها على الحالة السيئة التي وصل إليها الوضع الاجتماعي في المدينة، ولندرسها دراسة تحليلية نتلمس من خلالها تلك الوسائل الفنية التي استخدمها الشاعر في عمله الشعري، ومدى نجاحه في هذا الجانب التطبيقي الهام، قبل أن نختار المثال الذي سوف نخضعه لهذه الدراسة، سوف نذكر نبذة موجزة عن جميع الملاحم، التي شكلت مصدراً رئيسياً لدراسة الجانبين التاريخي والأدبي، في المدينة المنورة، في حقبة هامة من أحقاب تاريخنا العلمي والثقافي في الجزيرة العربية.

الملحمة الأولى: التي أبدعها الشاعر «البيتي»، تحت تأثير أحداث فتنة ١١٣٤هـ - ١٧٢١م، وتتكون هذه الملحمة من أربعة وتسعين بيتاً، من بحر الكامل، ويفتح الشاعر ملحمة هذه قائلاً:

المجد تحت ظلال سمر الذبل وظبا القواضب والجياد القفل
الموريات العاديات ضوابحا الصامتات الزافرات الجفل

والخوض في غمرات بطنان النوى
وتواتر العزمات في طلب العلا
والفخر ما ترك الأعادي خشعا
بين القنا وورود أحواض الردى
لا عاش من ترضى المذلة نفسه
تعست حياة لا تشاب بعزة
العز أجمل ما اقتناه أولو النهى
والذل بالأحرار ليس بمجمل^(١)

يوم التصادم في القتام المسبل
والفوز في أقصى فيافي الهوجل
رفل المحازم كالجياد العزل
لقوا العلاقم في تراقي الحوصل
طوعاً، وعن شأو المفخر يأتل
غبراء بين مهابة وتذل
والذل بالأحرار ليس بمجمل^(١)

الملحمة الثانية: التي أبدعها الشاعر «البيتي» تحت تأثير أحداث فتنة سنة ١١٤٨هـ - ١٧٣٥م، وتتكون من أربعة وستين بيتاً من بحر الطويل، وقد افتتحها الشاعر قائلاً:

قفوا تنظروا آثار ما صنع الظلم
قفوا بالرسوم الدارسات فربما
قفوا نشتكى ما قد أصاب فإنه
على كل دعوى في الظلامة حجة

وجوسوا خلال الدار تنبيكم الأكم
تحققتم منها وما نطق الرسم
عظيم، وإن الأمر حادثه ضخم
يصدقها التحريف والهدم والردم

ومنها أيضاً:

سلوا فلسان الحال من كل مسلم
سلوا عن حديث الابتلاء من بلى به

أصيب ببلوى، عنده خبر جم
وأولى بنعت السقم من مسه السقم

(١) الأخبار الغربية في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة، للسيد جعفر بن حسين بن يحيى هاشم الحسيني المدني، (مخطوط) ص ٤، وهو الجزء الأول «دراسة وتحقيق» من رسالة تقدم بها الكاتب لجامعة مانشستر بالمملكة المتحدة لنيل درجة الدكتوراه في عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

سلوا كل درب بالمدينة ما الذي لقينا، فعند الدار من أهلها علم
سلوها عن الهتك الذي قد أصابها قريباً، فمن لقياه في وجهها وشم^(١)

الملحمة الثالثة: التي أنشأها الشاعر تحت تأثير فتنة سنة ١١٥٥هـ -
١٧٤٢م، وتتكون من مائة وثلاثة وستين بيتاً من بحر البسيط، وسوف
نرجى الاستشهاد، أو الحديث عنها، لأنها الملحمة التي سوف نختارها
كمثال لدراستنا الفنية عن قصيد الملحمة، بتوفيق الله.

(٣)

أوردت - في الحلقة الثانية: من هذه الدراسة - نبذة موجزة عن جميع الملاحم الشعرية، التي شكلت مصدراً رئيساً لدراسة الجانبين: التاريخي، والأدبي، في حقبة القرن الثاني عشر الهجري، ووعدت بدراسة تحليلية للملحمة الثالثة التي أنشأها الشاعر جعفر البيتي العلوي السقاف تحت تأثير أحداث فتنة سنة ١١٥٥هـ - ١٧٤٢م. وتتكون الملحمة من مائة وثلاثة وستين بيتاً من بحر البسيط.

وسوف نوظئ للدراسة التحليلية التي سوف تحاول الكشف عن الجوانب الفنية للملحمة - بنبذة قصيرة عن الوضع الإداري في المدينة، في تلك الفترة، والذي كان سبباً وراء نشوب نوع من الحروب الداخلية التي استطاع الشعراء أن يستوعبوا أحداثها استيعاباً جيداً، مكنهم من الانتقال بها من مستوى الحديث التاريخي إلى مستوى العمل الفني، كما سوف نعرض لأجزاء معينة من الملحمة نفسها.

يبدو - من خلال المقدمة التوضيحية، التي كتبها مؤلف (الأخبار الغربية فيما وقع بطيبة الحبيبة)، لقصيدة السيد «البيتي» المذكورة - وجود سلطتين رئيسيتين تتنازعان إدارة شؤون المدينة (في القرن الثاني عشر الهجري).

إحداهما؛ السلطة العسكرية بقيادة قائد عسكري يسمى «الأغا». وتتبع هذا «الأغا» قوة عسكرية كان مقرها «القلعة» التي كانت تقوم في المنطقة التي تعرف باسم «باب الشامي».

أما السلطة الأخرى فهي السلطة المدنية، وكان يتولى شؤونها صاحب الوظيفة المعروفة باسم «مشيخة الحرم».

كما تشير المقدمة التوضيحية - نفسها - إلى حدوث مفاصد مالية من قبل بعض رجال القوة العسكرية، مما دفع بالسلطة المدنية إلى أن تتدخل في البحث عن المشاكل المترتبة على مثل هذه المفاصد، مطالبة بإبعاد الشخصيات المتوسطة.

وكانت هذه المطالب سبباً في نشوب القتال بين الفريقين، وتوسعت دائرة هذا القتال لتشمل - في المرحلة الأولى - الأفراد العاديين في المجتمع، ثم - في مرحلة تالية - قبيلة «حرب» التي تقطن بعض المناطق المحيطة بالمدينة؛ وقد اتخذت هذه القبيلة موقفاً محدداً من الطائفتين المتقاتلتين.

لا بد أن يكون لمبدع القصيدة «السيد البيتي» موقف معين من الأحداث الدامية التي كان يشهدها مجتمعه، وتمتد آثارها - كما ذكرنا - إلى الأفراد الذين لا ينتمون إلى إحدى المجموعتين المتصارعتين.

ولعل الشاعر استطاع أن يقدم - مدفوعاً بحبه لهذا المجتمع - صورة حية للحالة التي أصبحت عليها «المدينة» بعد أن شوهدت وجهها تلك الحروب الدامية، ولهذا نجده يفتتح ملحمة بمقدمة يرثي بها أرض الهجرة والإيمان. وهي مقدمة تتكون من ثلاثة وعشرين بيتاً، يقول الشاعر في هذه المقدمة الحزينة:

بكى على الدار لما غاب حاميتها
بكى لطيبة إذ ضاعت رعيتها
بكى لمن هاجروا بالكره وارتحلوا
واها لكربتها، واها لغربتها
واها لحالي لما قمت أنشدها
يا دمنة سلبت منها بشاشتها
وقفت فيها أعزيتها لكربتها
فمن معيني بأحزان يضاعفها
يا صاح ناد البواكي وابك أنت معي
ما مثل طيبة، ما مثل الذي لقيت
حاشا لمختلف الأملاك من غير الد
بأبي الفداء لها من كل حادثة
وغاية الجهد أن أبكي لها أسفا
كان التغزل في جيران ذي سلم
هي المدينة أمست بعد عزتها
وجر حكامها فيها أعاديتها
وراعها بكلاب البر راعيتها
عنها، وكانوا قديماً هاجروا فيها
واها لجائعها، واها لعاريها
الدار أطبق إخراس على فيها
وألبست من ثياب المحل باقيها
أعجب على جلدي أني أعزبتها
علي؟ من لعيوني؟ من يواسيها؟
ولا تصبرن نفسي، لا تسليها
من الأسى، فبمن ترجو تآسيها
نيا وما صنعت فيها لياليها
لو كان ينفعها أني أفديها
حتى تجف دموعي في مآقيها
واليوم قد كثرت فيها مرآثيها
كسيرة، غاب عنها اليوم حاميتها

ويختتم الشاعر مقدمته الحزينة بهذا البيت:

أشد دار خراباً لا عمار له دار أتى هدمها من كف بانيتها

لقد أنشد «البيتي» قطعة شعرية تتردد - في مقاطعها - عبارات البكاء والحزن، وكأنه يبحث - من خلال هذه العبارات - عن أجوبة لأسئلته الحائرة.

فهل كان الشاعر يطمح - من خلال هذه المقدمة البكائية - إلى إثارة انتباه السلطات العثمانية، التي كانت مشغولة بهمومها الخاصة عن مثل هذا الوضع السيئ، الذي أصبح المجتمع المدني يعايشه طيلة قرن كامل من الزمن؟ أم أن الشاعر الذي كان يعرف - مسبقاً - بموقف السلطات المحلية وغيرها، البعيد - كما يصوره الشاعر - عن أي سمة من سمات التعاطف والتجاوب مع آلام المواطن، الذي كان يصطلى - وحده - بآثار تلك المشاكل الاجتماعية، والتي عملت على إضعاف نفسيته، وأبعدته عن دائرة العمل والإنتاج؟

فكان - عليه - أي على الشاعر - أن يبحث عن القارئ، أو المستمع، خارج إطار السلطة، ذلك الفرد المسلم الذي كانت تفصله المسافات عن هذه الأرض المقدسة، ولكنها تعيش في وجدانه، ذلك الوجدان، الذي تغذى بأحاديث المصطفى - ﷺ - الداعية إلى احترام قدسيتها، وشد الرحال إلى مسجدها، وعدم التورط في إيذاء أهلها.

ولعل الشاعر نجح في إيصال صوته - عبر هذه القرون الطويلة - إلينا وتبقى مصداقية ما كان يريد أن يبلغه بصوته الشعري أمراً آخر يحتاج منا إلى البحث عن قرائن أخرى تؤيده أو تنقضه، وخصوصاً أن الشاعر يشير في ملحمة إلى استخدام جماعات القتال للحرم النبوي الشريف، كمنطلق لهذه الحرب الآثمة التي يبدو أنها لم تحترم مقتضيات المكان والزمان.

يقول الشاعر في ذلك:

لا جمعة، لا صلاة، لا أذان بها إلا البنادق ترمى في نواحيها
فصاحت الناس شرع الله وابتدروا إلى الخصومة قاصيها ودانيها
وبادروا مجلس القاضي لينظر في فصل القضا ولنار الحرب يطفئها

فصدر الحاكم الشرعي نحوهم رسالته تقتضي الدعوة وتحويها
فلم يردوا خطاباً عن رسالته إلا الرصاص جواباً في حواشيها
وترسوا مسجد الهادي، وثار به بين الفريقين حرب لست أحكيها
فيا لها زلة منهم وفاقرة جاءت على رغم مفتيها وقاضيها

لقد طغى صوت الحرب على صوت العقل والحكمة، فلم يستمع
المحاربون إلى قول الشرع في القضايا، التي كانت سبباً في ذلك القتال،
الذي احتدم، وخلف وراءه دماء تراق، ونفوساً تتألم.

بل كان على المجتمع - أيضاً - أن يقع تحت تأثير طائفة النزوات
الشخصية المدفوعة بإغراءات السلطة؛ كان على الناس أن يتفرغوا لهذه
الحرب ستة أشهر أخرى، كان عند أمير الحاج الشامي، الذي تعود الناس
فصله في القضايا المعضلة، حل شاف للمأساة، التي ظلوا يعانون منها
ردحاً من الزمن.

وعندما ضاقت الحيلة بهم، لم يجدوا بداً من أن يقارنوا مأساتهم تلك
بالمآسي الأخرى، التي شهدتها الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل. وتلك
المقارنة، التي يعقدها شاعرهم «البيتي» تعكس لنا دلالات عديدة، منها
قدرة الشاعر على قراءة التراث قراءة واعية، واستخدامه له استخداماً موفقاً
في الربط بينه وبين الحاضر المأساوي، الذي كان يعيشه إنسان تلك البيئة.
في القرن الثاني عشر الهجري.

ثم نلمس - أيضاً - أن الشاعر قصد من وراء هذا الربط بين الصور
المتشابهة، في الماضي والحاضر، تنبيه الدولة العثمانية إلى النتائج المترتبة
على استمرار ذلك الصراع في مجتمع المدينة من حيث تأثيره - سلباً -

على مسيرة العثمانيين الذين وثقوا ارتباطهم - في بداية الأمر - بتعاليم الدين الإسلامي، واحترام مقدساته، والعطف على رعاياه.

لقد قال لهم - أي للعثمانيين - ما سوف يسمعونه، بعد قرن من الزمن، في القرن الثالث عشر الهجري - من شاعر آخر من شعراء المدينة وهو «إبراهيم الأسكوبي» الذي نبه الدولة العثمانية إلى المخاطر العظيمة التي تحيط بها من جراء بعدها عن العقيدة الإسلامية، وارتمائها في أحضان الغرب.

فماذا قال جعفر البيتي؟

حتى أصرح عنها أو أكنيها؟
ومن يجيب نداها، من يلبئها؟
أعطت محاسنها الدنيا لماضيها
عن «كربلاء» و«يوم الدار» تلهيها
أيام صبيانها شابت نواصيها
ويوم جنكيز بالتاتار يرميها
في مصر والقدس تقريباً وتشبيها
في شاه جهان الموالي مع مواليها
شأن المدينة من أيدي شوانيها
قصت ملاحمه شيئاً يساويها
وغمة ليس إلا الله يجليها
صوتي، إذا قمت من كربي أناديها؟
مطروفة، لطمتها كف واليها
قد كان لولا دفاع الله يعميها

يا للكبائر من أدعو فيسمعني
من للمدينة إن غصت بريقتها
ما أفقر الصيد إلا بعد مسلمة
مصيبة عرضت للمسلمين غدت
عادت لنا سيرة التيمور في حلب
ويومه وهو في بغداد يهتكها
وبخت نصر من قبل الذي ذكروا
ويوم تهماز ما أدراك ما صنعت
شأن عظيم مضى في الجور أعظمه
حوادث ما رآها «دانيال» ولا
يا شدة ليس إلا الله يكشفها
أين الحجاز - وأين الروم تسمع لي
يا آل عثمان عين في ممالككم
عين لدولتكم، عين لدينكم

أمتموها فضاعت عنده سفها
نمتم ولا نوم عبود الذي ذكروا
أحوالنا علمتها الصين واعجباً
تالله لو كان هذا الدين مبدؤه
ما صدق الرسل في الدنيا مصدقها
سلوا ففي كي قباد الفرس معتبر
وأين تلك من الدار التي شرفت
ما أحوج الأرض للفتح الجديد فقد
من باب مصر إلى بصرى إلى عدن
ومن سواكم وعين الناس ترقبكم
بخدمة المصطفى أسلافكم شرفت
تميمة علقتم في جيد دولتكم
عضوا عليها وصونوها، فإن سقطت
وإن تروا حادثاً في الدهر أو قلقا
ويل الأمانة ممن لا يؤديها
عن المدينة، حتى قام ناعيها
من كان يمنعها عنكم ويشنيها
على التساهل والإغفال تمويها
ولا جبي ساحة الإفرنج جابيهها
يعني الملوك إذ شاءته تنبيها
على الممالك إعظاما وتنزيها
عم البلا وطغى طوفان عاصيها
إلى العراق يمانيهها وشاميهها
قد وجهوا لكم الآمال توجيهها
على الملوك، وهناها مهنيها
تذب عنها أعاديها وتحميها
تفزعت، وغدت لا شيء يشفيها
من العدا فهو من عقبى تناسيها

لم يختم الشاعر قصيدته إلا بعد أن باح لنا بتلك الأحاسيس الرقيقة،
التي تحملها نفسه عن البلد الذي أحب، ووضع - أماننا - كل تصوراته
لما يجب أن نكون عليه مسؤولية الحاكم من حيث التيقظ والقوة حتى لا
تفقد الدولة هيبتها، وتصبح مطمعاً لأعدائها الذين يتربصون بها، وهو ما
حدث بعد أكثر من قرن من الزمن، عندما تقاسم الإفرنج ميراث الدولة
العثمانية، وكان ذلك نتيجة طبيعية للتساهل والتغافل، الذي صاحب امتداد
الدولة في مناطق كثيرة ومتباعدة.

ولم يفرغ السيد «البيتي» من ملحتمه إلا بعد أن سكب بين سطورها نفساً شعرياً جميلاً، قوامه موهبة الشاعر القوية. وثقافته التراثية الواسعة. ويأتي - في مقدمتها - العبارة اللغوية، التي وُفِّقَ في تطويعها لتكون وسيلة نطل - من خلالها - على أحداث التاريخ، دون أن نفقد استمتاعنا بروائها الشعري. وسوف نفرغ لدراسة ذلك عند دراسة البناء الفني لقصيدة الملحمة.

(٤)

البناء الفني لقصيدة الملحمة

(١)

استخدم الشاعر السيد البيتي عدداً من الوسائل الفنية، في ملحمة التي استعرضنا - في الحلقة السابقة من هذه الدراسة - الأجزاء المكونة لبنائها - وهدفنا - هنا - هو الإشارة إلى تلك الوسائل، ومدى نجاحه في تطبيقها ضمن إطار عمله الفني.

عندما نوجه اهتمامنا إلى الطريقة التي اهتدى إليها الشاعر في اختيار كلمات قصيدته، يجب أن نأخذ في اعتبارنا أنه - أي الشاعر - كان يسعى، من خلال ملكاته الشعرية، أن يبلغ مستوى معيناً في تصوير حجم المشاكل المعقدة، التي كان يعاني منها مجتمع المدينة المنورة، في القرن الثاني عشر الهجري، ولهذا فهو - في البيت الأول من افتتاحية ملحمة - يشير إلى المدينة بكلمة «الدار» حيث يقول:

بكى على الدار لما غاب حاميتها وجرَّ حكامها فيها أعاديها

مشبهاً البلدة بالدار، التي تستحق البكاء بسبب غياب صاحبها أو حاميتها ثم نراه ينعته - في البيت الثاني «بطيبة» - وهو اسم من أسمائها،

الذي اكتسبته بعد هجرة الرسول - ﷺ - إلى ربوعها، وحيث بدأت تتشكل ملامح تاريخها الإسلامي المتميز:

بكى لطيبة إذ ضاعت رعيتهـا وراعها بكلاب البر راعيها

وكأنه من خلال هذا الاسم «طيبة» يرسم لنا صورة الأمن والسلام، الذي كانت تعيشه البلدة على مر العصور والأزمان، أصبح - فجأة - معرضاً للخطر والتغيير بسبب نوع غريب من الأعداء، وهو يلمح - فقط - إليهم دون تصريح بكلمة «راعيها» وقد أشرنا - في الحلقة السابقة - إلى أن مصدر السلطة في المدينة كانت تشكله مجموعة الأغوات والحامية العسكرية التركية: وهم من ينعتهم «بالأجانب» في موضع آخر من القصيدة، حيث يقول:

سوسوا البلاد بعين من نفوسكم دعوا الأجانب. أعطوا القوس باريها

وكلمات (راعي) و(رعية) التي استعملها الشاعر - في البيت السابق - تشكل لنا - بصورة رمزية - صورة شعرية للسكان الآمنين، الذين وقعوا في شرك عدوين: أحدهما من الداخل، والآخر من الخارج.

وعندما نأتي إلى البيت السادس من مقدمة القصيدة. والذي يقول فيه:

يا دمنة سلبت منها بشاشتها وألبست من ثياب المحل باقيها

نجد الشاعر يدعو مدينته باسم «دمنة» والجملة التي عقبته كلمة «دمنة» توضح لماذا استعمل الشاعر هذه الكلمة الدالة على الأثر، لقد فقدت البلدة سمات فرحها أو سرورها، أو تم اغتصاب مظاهر الحياة فيها لتحل محلها صورة أخرى - كما عبر الشطر الثاني من البيت وهي صورة البؤس

والشقاء والحرمان، ولقد كان لبناء الفعل للمجهول في قوله: «سُلبت» و«ألبست»، دور في تكثيف الصورة الشعرية، وما ترمز إليه من إحياءات، كان يهدف الشاعر إلى التأثير بها في نفوس قارئيه عن الوضع السيئ للبلدة، بعيداً عن المباشرة والتقريبية.

(٢)

لقد كان «البيتي» واعياً بأهمية العبارة المجازية، ودورها في التأثير على نفس القارئ، إلا أن نوعية هذه العبارة من حيث قوتها وأصلتها هي التي تجعلنا نصل إلى رأي في تحديد شاعرية المبدع. كما يعبر عن ذلك الناقد «هيربيرت ريد» (Herbert Read) في مجموعة مقالاته النقدية المعروفة، وهذا يدفعنا إلى أن نقف عند الأسلوب الشعري الذي عمل الشاعر، من خلاله، على البرهنة على غفلة الحكام العثمانيين.

لقد نأى الشاعر عن المباشرة في خطابه الشعري لهؤلاء الحكام واعتمد على الصورة البلاغية، التي تكتفي بتصوير الأثر عن طريق ترك الحرية للقارئ لاستنتاج الحقيقة، أو الحكم على القضية التي كان يسعى الشاعر - بوعيه العميق - أن يبرهن عليها، من خلال الصورة البسيطة المنتزعة من التجربة الإنسانية.

يقول الشاعر رامزاً إلى تغاضي العثمانيين عن المفاسد، التي كانت تتعرض لها البلدة الطاهرة:

يا آل عثمان عين في ممالككم مطروفة لطمتها كف واليها

(٣)

ينوع الشاعر في وسائله الفنية، التي أحكم من خلالها البناء الشعري لقصيدته فهو إضافة إلى وعيه بأهمية العبارة المجازية والبسيطة في الوقت نفسه، في رسم أبعاد الأجواء السياسية والاجتماعية للمدينة في تلك الفترة، نجده - أيضاً - لا يغفل عن الموروث الشعري، ذي الصلة الوثيقة بالتاريخ الإسلامي للبلدة، فهو يشير إليه عن طريق استعارة بعض عباراته أو تضمينها، ولكن هل هو التضمين غير الواعي؟ أو هي الاستعارة الزائفة التي لا تتعدى الصور والأشكال؟

أعتقد أن الشاعر وفق إلى - حد ما - في أن يستفيد من بعض الأساليب الشعرية القديمة، وذلك لوعيه المتمثل في حسن استخدامه لها. فلئن قال الشاعر «البوصيري» شعراً يتشوق فيه إلى ديار الإسلام، ويتغنى بربوعها في وقت كانت تنعم هذه الديار - فيه - بالسلام والأمن:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

فإن الشعر في عهد «البيتي» يتوجه لرتاء المواطن، التي كانت تتجاوب بكلطمأنينة وسرور مع شعر المدح والحنين.

يقول «البيتي» موضحاً الفرق بين عصرين مختلفين من خلال الفرق بين نوعين متغايرين - أيضاً - من الشعر: شعر قاله الأقدمون غزلاً، وشعر يقوله شاعرنا رثاء:

كان التغزل في جيران ذي سلم واليوم قد كثرت فيها مراثيها

(٤)

ومن وسائل الشاعر الفنية سعيه في أن يتمثل بحوادث التاريخ، وهو تمثل يربط فيه الشاعر بين الوضع الذي آلت إليه البلدة في عصره، وبين الوضع الذي سبق أن مرت به في عصور سابقة، أو هو تمثل يحاول من خلاله - وبطريق غير مباشر - أن يعقد مقارنة بين الحكام، الذين يتغافلون - عن عمد أو غير عمد - عن مجريات الأحداث في المدينة، وذلك التغافل الذي أقدم عليه حكام سابقون، مما تسبب في ضياع مقاليد الأمور من أيديهم، وهو نفس المسار الشعري الذي سلكه الشاعر من حيث بعده عن المباشرة في الصياغة الشعرية، أو في الربط بين الأمور ومجريات الأحداث، محبذاً في ذلك الأساليب الأكثر قدرة في التأثير في القارئ أو الشخص المسؤول على حد سواء.

ولا أظن أن الشاعر لجأ إلى ذلك خوفاً ورهبة. ولكن أميل إلى أن وعيه وعمق ثقافته، دفعاه لأن يختار لعمله الشعري من الأساليب ما جعله متميزاً عن كثير من الأعمال الشعرية، التي أنتجها شعراء العصر العثماني.

يقول الشاعر في معرض تصويره للأهوال، التي شهدتها المدينة من خلال أحداث القرن الثاني عشر الهجري، ويقارنها في الوقت نفسه بتلك الأحداث التي جرت إلى أرض المدينة كيوم مقتل الخليفة «عثمان بن عفان» رضي الله عنه، في العصر الإسلامي الأول، وهو يوم الدار، أو في بلاد الإسلام الأخرى، كالقدس، وبغداد، وكربلاء، وحلب، ومصر:

مصيبة عرضت للمسلمين غدت عن «كربلاء» و«يوم الدار» تلهيها
عادت لنا سيرة «التيemor» في حلب أيام صبيانها شابت نواصيها
ويومه وهو في بغداد يهتكها ويوم «جنكيز» بالتاتار يرميها
وبخت نصر من قبل الذي ذكروا في مصر، والقدس، تقريبا وتشبيها

(٥)

إضافة إلى قدرة الشاعر على قراءة التاريخ الإسلامي قراءة واعية مكنته من استخدامه استخداماً موفقاً، فإنه عمل على تدعيم بناء ملحتمته الشعرية - أيضاً باستخدام المصطلحات الإسلامية الخاصة بأمثال: شرع الله، أصحاب بدر، الأنصار، أو ذكر بعض الأماكن، التي تثير شعوراً دينياً خاصاً عند القارئ المسلم. كمنبر الرسول ﷺ وروضته الشريفة:

وأصبح الحرم العالي وروضته كالجبخانه بالبارود يحشيها

كما أن الشاعر، انطلاقاً من ثقافته الدينية، عمل على تضمين قصيدته معاني بعض الآيات القرآنية، عند حديثه عن سمات أولئك المعتدين على حرمة المدينة ومسجدها:

وجاءهم كل من في قلبه مرض يسعى بعلته معهم يداويها

وهو المعنى المستفاد من قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(١)

(٦)

وإذا كانت ثقافة الشاعر الدينية انعكست على أبيات هذه الملحمة الشعرية، فإن إلمامه بالأدب العربي، أو اللغة الفارسية، كان واضحاً - من خلال تضمينه لبعض الأمثال العربية والفارسية - فعندما أراد - مثلاً - أن يصور غفلة الحكام العثمانيين، وتغاضيهم عن حماقات ولاتهم في الأرض المقدسة، نجد ذاكرته تلجأ إلى المثل العربي القائل: «نام نومة عبود أو

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠.

«أَنُومٌ من عبود» ويضمنه قصيدته قائلاً:

نمتم ولا نوم عبود الذي ذكروا عن المدينة حتى قام ناعيتها

وعند تعريضه بالفئة، التي عمل الشاعر - من خلال ملحتمه - على نقد تصرفاتها السلبية تجاه المدينة، ومقارنتها بالفئة الناجية التي دافعت عن البقعة المقدسة، فإننا نجده يستعمل المثل الفارسي: «نمك حرام» أي: الشخص الذي ليس جديراً بالمعاشرة والمخالطة وليس مكاناً للثقة والاعتماد، وكانت تضمينه لهذا المثل على النحو التالي:

هم المحامون دون الدار لا فئة «نمك حرام» وتكفيها مخازيها

(٧)

بعد هذه الدراسة التي استعرضنا فيها مضامين العمل الشعري للسيد جعفر البيتي، وحللنا جوانب من البناء الفني لهذا العمل، مراعين أهميته ضمن إطار الأعمال الشعرية الأخرى، في فترة القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي، وكذلك صلته بالأعمال الأخرى، التي ربما شابهته في اتجاهاتها أو بنائها، سوف نبتدئ بطرح السؤال الآتي:

هل إبداع السيد «البيتي» في ملحتمه الأخيرة يدخل ضمن إطار الأعمال الشعرية الطويلة؟

إذا ما أخذنا في الاعتبار موضوع القصيدة كأساس في تحديد طول القصيدة، فإنه اعتماداً على رأي الناقد الخليل بن أحمد الفراهيدي، هناك عدد من الموضوعات التي تكون ملائمة لمعالجة شعرية طويلة، مثل موضوعات الترهيب والترغيب، أو الموضوعات التي تستوعب فكرة حسم الخلافات الناشئة بين القبائل، مثل قصائد زهير بن أبي سلمى، والحوارث ابن حلزة.

اعتماداً على هذا المقياس الخليلي، فإنه يمكننا إدخال قصيدة السيد البيتي ضمن الإطار الملحمي، لأن موضوعها يتناول أحداث التاريخ الاجتماعي للمدينة المنورة، في فترة القرن الثاني عشر الهجري، حيث حاول الشاعر من خلال قصيدته أن ينبه السلطات المسؤولة في استانبول، أو الحجاز للقضاء على الخلافات الموجودة بين فصائل معينة في المجتمع وإعادة سمة الإسلام والطمأنينة إلى المجتمع.

الناقد الإنجليزي (Herbert Read) هربرت ريد، يعتبر المقياس الكيفي أساساً للتفريق بين القصيدة الطويلة، والقصيرة، التي غالباً ما تدعى غنائية (Lyric) فهذه الأخيرة تجسم - من وجهة نظر الشاعر - موقفاً عاطفياً فردياً أو بسيطاً، قصيدة تعبر مباشرة عن إلهام أو حالة مستمرة، أما القصيدة الطويلة فهي التي يمكن أن تعبر عن فكرة واحدة غالبية تكون - في ذاتها - وحدة عاطفية^(١).

وإذا ما أخذنا قصيدة السيد البيتي، التي نحن بصدد دراستها، نجد الشاعر قد خصصها لموضوع واحد، وهو طبيعة الخلاف في مجتمع المدينة خلال حقبة القرن الثاني عشر الهجري، وهذا الموضوع يكاد يسيطر على تطور القصيدة الطبيعي، من خلال مراحل الحدث، ولقد استطاعت القصيدة استيعاب هذه المراحل استيعاباً جيداً.

وهذه المراحل التي يمكن ملاحظتها في البحث عن العوامل التي كانت خلف نشوب القتال بين الأطراف المتنازعة ثم ما كان من أمر المفاوضات بين هذه الأطراف، ثم تطور الأمر إلى القتال المفاجئ في أثناء الليل، ثم كيف تم الاتصال بين شيخ الحرم، وشيخ قبائل حرب، والذي أدى إلى

(١) Herbert Read: Essays in Literary Criticism 2nd, ed London. 1951. p. 98.

دخول هذه القبيلة إلى المدينة لمساندة هذا الحاكم، الذي جعل من الحرم النبوي الشريف مركزاً لقيادة الهجوم ضد أعدائه من الأطراف الأخرى.

وعلى الرغم من الموضوعات المتعددة التي عالجتها القصيدة إلا أنه من الواضح أن التجربة الشعرية، التي تنتظم أجواء القصيدة هي تجربة الغضب واليأس، وهذا ما يجعلنا نصل إلى القول بأن قصيدة السيد البيتي هي قصيدة طويلة بالمعيار الشعري الحديث^(١).

في الحلقة الأولى من هذه الدراسة، التي خصصتها لمناقشة تعريف الملحمة بين الأدبين العربي والأوروبي، رأينا أن المستشرق «د. س. مرجليوث» يدعي أن القصائد الملحمة في الأدب العربي تمت صياغتها في بحر الرجز، لأنه البحر الوحيد الذي يتلاءم مع هذا الفن الشعري^(٢).

التحليل العروضي لقصيدة السيد البيتي يجعلنا نؤكد أن الشاعر نأى بقصيدته عن هذا البحر - أي: الرجز - واختار بحراً شعرياً آخر لصياغتها وهو البحر البسيط، وهو بحر يتسع - مثل الطويل - للحماسة والتشابه والاستعارات، وسرد الحوادث^(٣).

ولقد استطاع الشاعر البيتي بلوغ مستوى شعري جيد في وصف حوادث الحقبة التي عاشها، دون الهبوط إلى المستوى النظمي، الذي غالباً ما يصاحب مثل هذه التجارب.

(١) الدكتور يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ط ٢، بيروت ١٤٠٣هـ، ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) ملحق التراث، العدد الحادي والعشرون، من السنة الحادية عشرة جريدة المدينة، الخميس ٢٣ جمادى الآخرة، ١٤٠٨هـ.

(٣) جورج غريب، سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة، بيروت، ص ٣٤.

لقد كان الجانب الموسيقي المتناغم هو الذي يلامس أذن القارئ خلال قراءته لتفاصيل هذه الملحمة .

وفوق هذا فقد استطاع الشاعر أن يستخدم أدواته الفنية، بعيداً عن سمات الصنعة والتكلف، وكانت هذه الأدوات عاملاً هاماً تساعد القارئ في التحليق في الأجواء التي أراد له الشاعر أن يرتفع إليها، وأن يتخيل - بكل بساطة وتلقائية - حوادث مضى عليها حوالي قرنين ونصف من الزمن . إلا أن الشاعر لم يسلم من الوقوع في بعض الأخطاء الفنية، وخصوصاً من حيث انصياعه - أحياناً - للضغوط الاضطرارية، التي تشكلها القافية، وهو أمر غير مستبعد في قصيدة تتكون أبياتها من مائة وثلاثة وستين بيتاً .

تظهر ملحمة السيد البيتي: كقصيدة بلغت مستوى جيداً من الصياغة اللغوية، والخصائص التركيبية، واستطاعت أن تصور لنا بهذه المقدرات الفنية الحياة الإنسانية في صراعها الأبدي للحفاظ على القيم الأصيلة، في مجتمع تعرضت جوانب الحياة فيه لنوع من التصادم المنفعي أو الشخصي، ولكنه التصادم الذي يتبعه الاستقرار، ويتميز - بعد معركته - الجيد من الرديء .

لكن بناء القصيدة الملحمي عند السيد البيتي لم ينتج عنه ظهور بطل متميز عن بقية الأبطال، من حيث قوته أو شجاعته، وذلك من خلال الأحداث التي عرضتها القصيدة، ولعل ذلك ناتج من أن القصيدة كانت ترصد أحداثاً واقعية، وليست أحداثاً متخيلة أو أسطورية . وإذ كان تشكيل صورة بطل مُتميّز^(١)، من خلال أحداث القصائد الملحمة في الآداب

الأخرى، يعد أمراً أساسياً في بناء تلك الملاحم، وتميز ملامحها، إلا أن ذلك لا يمنع القول من أن ملحمة «البيتي» تعتبر إضافة قوية وجادة في تاريخ قصيدة الملحمة من منظور النقد العربي.

لقد كانت محاولة موفقة من «البيتي» وغيره من شعراء المدينة المنورة، في القرن الثاني عشر الهجري، وهي أن يحاولوا نفض الغبار عن هذا النوع المتميز من الشعر.

ولا شك أن المحاولة تكتسب أهميتها - كما ذكرنا في الحلقة الثانية من هذه الدراسة - أنها أتت في عصر من العصور، التي اصطاح النقاد على تسميتها بعصور الركود الفكري والأدبي، مع أنه لو توجهت المحاولات لدراسة أدب هذه الحقبة توجهاً جاداً لتغيرت مفاهيم كثيرة لا تستند إلى أسس نقدية قوية، تحدد المسارات الأدبية والاتجاهات الشعرية تحديداً واضحاً ومتميزاً.

من معالم الفكر والأدب في المدينة المنورة

لقد أعطت الهجرة النبوية للمدينة المنورة، وما رافقها من احتضان أهلها للعقيدة الإسلامية، وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام ونشر تعاليمه السامية في جميع أقطار الأراضي، أعطتها كل تلك المعطيات الحضارية والخصائص الثقافية التي عرفتها بها على مر العصور الإسلامية، وحتى بعد أن فقدت المدينة (البلد) مركزها السياسي، حيث انتقل مركز الخلافة إلى دمشق أولاً، ثم إلى بغداد ثانياً، فإنها لم تفقد ذلك الدور العلمي المتمثل في توجه أهل العلم والمعرفة إليها كلما احتاجوا إلى معرفة أوسع بالدين وبصاحب الرسالة، وبالأحكام والحديث والسنن والتفسير وأحاديث الدعوة الإسلامية الأولى وتفاصيل الهجرة والمغازي، هذا الجو العلمي هو الذي تأسست في رحابه مدرسة المدينة برعاية الصحابي الجليل عبد الله بن العباس - رضي الله عنهما - وكان من روادها أيضاً بعض من أبناء الصحابة الذين تخصصوا في رواية التاريخ والمغازي ونذكر منهم: سعيد بن سعد ابن عباد الخزرجي، وسهل بن أي خيثمة المدني الأنصاري وسعيد بن المسيب المخزومي، وأبان بن عثمان بن عفان، وعروة بن الزبير بن العوام، وقد تلا هذه المجموعة الأولى جيل ثان برز فيه عدة علماء منهم عبد الله بن أبي بكر بن (ابن حزم)، وعاصم بن عمرو بن قتادة، وأبو روح يزيد بن رومان الأسدي المدني، وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن

ابن نوفل الأسدي، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري^(١) - رضي الله عنهم أجمعين .

وسنقف في دراستنا هذه وقفات عابرة عند بعض الشخصيات الفكرية والأدبية التي اضطلعت بدور رائد في المجالات العلمية والثقافية بدءاً من القرن الحادي عشر الهجري فهي الفترة التي تحتاج إلى قدر كبير من البحث والدراسة والتحليل لما أصابها من إغفال ولحق بها من نقص. وما ذلك إلا لوقوعها في فترة ما يسمى بعصور الانحطاط الفكري، مع أن الشواهد التاريخية تثبت أن المدينة ممثلة في مسجدها النبوي الشريف ظلت تؤدي دوراً هاماً في نشر العلم والثقافة الإسلامية. وليس أدل على ذلك من بروز عالم متمكن في علوم الشريعة الإسلامية وهو الشيخ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني (١٠٢٥/١١٠٣هـ). الذي تتلمذ على أحد العلماء المجاورين بالمدينة وهو الشيخ أحمد القشاشي ثم درس بالمسجد النبوي، وتلقى العلم عنه عدد كبير من أبناء الأمة الإسلامية، وترك ثروة علمية تقدر بما يزيد على مائة كتاب كما يذكر المؤرخ المرادي^(٢)، إضافة إلى ذرية صالحه حملت العلم عنه، وكان منهم الشيخ محمد سعيد بن إبراهيم الكوراني^(٣) (١١٣٤/١١٩٦هـ) والشيخ محمد أبو الطاهر الكوراني^(٤) (١٠٨٥/١١٤٥هـ) وقد أخذ العلم عن هذا الأخير

(١) لمزيد من التفصيل عن مدرسة المدينة انظر: شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون ط ٣، بيروت، ١٩٨٣، ج ١، ص ١٤٩ - ١٦٨.

(٢) محمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، مصر، ١٣٠١هـ، ج ١، ص ٥ - ٦.

(٣) المؤلف مجهول: تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري - تحقيق الدكتور محمد التونجي، جدة ١٤٠٤هـ - ص ١٠٦.

(٤) عبد الرحمن الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، تونس ١٣٩٠هـ - ص ٤٥٩.

العلامة المجدد الشيخ ولي الله الدهلوي - صاحب: «حجة الله البالغة» الذي استقر بالمدينة في الفترة ١١٤٣/١١٤٥هـ، وكان ملازماً طوال تلك الفترة للشيخ أبي الطاهر الكوراني^(١).

كما حفل الحرم النبوي الشريف في القرن الثاني عشر الهجري بحلقاته العلمية المتعددة. ومن هذه الحلقات ما كان مختصاً بعلم اللغة والأدب مثل حلقة الشيخ محمد بن محمد الطيب الفاسي الذي كان تلميذاً من تلامذة الشيخ محمد أبي الطاهر الكوراني، ولقد كان الفاسي إماماً في اللغة العربية في وقته، ومحققاً متضلعا في كثير من العلوم كما تدل على ذلك قائمة الكتب التي تنسب إليه. كشرحه على (معجم القاموس)، وشرح (نظم الفصيح) وشرح (كافية ابن مالك) وشرح (شواهد الكشاف) للزمخشري^(٢).

كما حفل المسجد في الفترة نفسها بحلقات أخرى كانت مختصة بالحديث وعلومه، ومنها حلقة الشيخ محمد حياة السندي^(٣) الذي تلقى علومه من مشائخ عدة يأتي في مقدمتهم الشيخ أبو الحسن بن عبد الهادي السندي^(٤) والشيخ محمد أبو الطاهر الكوراني، ثم تصدى للتدريس بعد وفاة شيخه السندي، وأثمرت هذه الدروس، عن تأليفه لكتب هامة منها شرح الترهيب والترغيب، ومختصر الزواجر لابن حجر، وشرح الأربعين،

A. H. Jones, art,-(Kurani) Encyclopaedia of Islam, Leiden 1954, Vol. V P. (١)
43.

(٢) تراجم أعيان المدينة ص ٥٧-٥٨.

(٣) توفي بالمدينة في ٢٦ صفر سنة ١١٦٣هـ - انظر: تراجم أعيان المدينة ص ٦٨.

(٤) توفي بالمدينة في ٢٢ شوال سنة ١١٣٨هـ، انظر: المصدر السابق ص ٦٠.

ولعله من المفيد هنا أن ننقل عبارات الدكتور عبد الله العثيمين أستاذ التاريخ بجامعة الملك سعود بالرياض في كتابه (الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حياته وفكره - عن الشيخ محمد حياة السندي)؛ أما محمد حياة السندي فكان حجة في الحديث وعلومه صاحب مؤلفات مشهورة في هذا الحقل، وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح بعضهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة في مناطق إسلامية متعددة^(١) ويؤكد الدكتور العثيمين أثر الشيخين محمد بن حياة السندي، والشيخ عبد الله بن سيف^(٢) على الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - لا بالنسبة لتحصيله العلمي فقط وإنما بالنسبة لاتجاهه الإصلاحية أيضاً.

ومن علماء المدينة في هذه الحقبة المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري (١١٢٤/١١٩٧هـ) الذي تلقى علومه في (مدرسة الحديث) التي نشأت في المدينة خلال القرن الثاني عشر الهجري، حيث نعرف من ترجمته أنه تلقى العلم على الشيخ أبي الطاهر الكوراني، وأبي الطيب السندي، ومحمد بن الطيب الفاسي.

ينعته المرادي في كتابه (سلك الدرر) بمؤرخ المدينة في عصره^(٣) كما

(١) الدكتور عبد الله العثيمين الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حياته وفكره - دار العلوم، الرياض: ص ٣١ - ٣٢.

(٢) الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري العالم المشهور في المدينة النبوية، انتقل أبوه إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري، من بلدة المجمععة بعد أن قام على بيته وجعل بعضه مسجداً، وهو المعروف اليوم بمسجد إبراهيم في بلدة المجمععة وسكن في المدينة المنورة.

انظر: إبراهيم بن صالح بن عيسى - تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد منشورات دار اليمامة، الرياض: ص ٣٤.

(٣) سلك الدرر، ج ٢ ص ٢٠٣.

يذكر عمر الداغستاني، وهو معاصر له بالمدينة، أنه أَلَفَ تاريخاً جمع فيه بيوتات أهل المدينة^(١). وعبارة المرادي، على قصرها، تحمل دلالة واضحة على أهمية كتاب الأنصاري المسمى (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب) فهو كما ذكر محقق الكتاب الأستاذ محمد العروسي المطوي ليس مجرد كتاب أنساب فقط كما يدل عليه عنوانه بل هو بالإضافة إلى ذلك يصور مجتمع المدينة في القرن الثاني عشر الهجري من مختلف أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما يمكن الدارس وبخاصة الاجتماعي من تلمس العناصر والمعطيات للدراسة والتحليل والإنتاج^(٢).

لم يذكر الأنصاري سبباً لتأليف كتابه (التحفة) إلا أنه يشير عند ترجمته لآل الأنصاري إلى أن المؤرخ السخاوي أهمل كثيراً في كتابيه «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» و«الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع» من فروع هذا المجموع - أي آل الأنصاري - وذلك من قلة العلم بأصولهم وعدم تفصيلهم^(٣)، ولعل هذا ما حدا بالأنصاري أن يؤلف كتابه هذا وكتاباً آخر في تاريخ أنساب أهل المدينة لا نعرف عنه إلا اسمه وهو «نشر كمائم الأزهار المستطابة في نشر تراجم أنصار طابة»^(٤).

والأنصاري من خلال الترجمة التي كتبها بنفسه يبدو أنه أحد أولئك العلماء الذين تجولوا في بعض البلاد العربية والإسلامية، يحدوهم في ذلك

(١) عمر بن عبد السلام الداغستاني تحفة الدهر ونفحة الزهر في شعراء المدينة من أهل العصر «مخطوط» ص ٦١.

(٢) تحفة المحبين والأصحاب، المقدمة «و».

(٣) المصدر السابق ص ١٤.

(٤) المصدر السابق ص ٨.

الرغبة في طلب العلم والاستزادة من معطيات المعرفة. فهو يسافر إلى بلاد اليمن سنة ١١٧٢هـ، ويدون وقائع رحلته في كتابه المعروف باسم (قرة العيون في الرحلة إلى اليمن الميمون) كما يشير إلى اهتمامه بالأدب والشعر بخاصة، وذلك عند ذكره للزيارة التي قام بها لإمام اليمن «المهدي العباسي» حيث مدحه بقصيدة بائية في سبعين بيتاً^(١)، وهذا يؤكد ما نذهب إليه من احتكاك علماء الحرمين الشريفين - في تلك الفترة - واتصالهم بنظرائهم في البلاد العربية والإسلامية وهو اتصال كانت له ثمراته المباركة وآثاره الحسنة.

وكتاب الأنصاري (التحفة) يعتبر دليلاً واقعياً على خطأ الرأي الذي ذهب إليه بعض الباحثين وخصوصاً المستشرق «فرانز روزنتال»^(٢) من أن كتابة تاريخ المدينة المنورة لم تحظ بالجانب السيري. ويعتبر مؤلف الأنصاري حلقة في سلسلة من الكتب التي عنيت بتدوين تراجم رجال البلدة الطاهرة، بدءاً من القرن الثامن الهجري. وكان من أهمها كتاب ابن فرحون^(٣) المعروف باسم (نصيحة المشاور وتعزية المجاور)^(٤) وكتاب (الأعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام) للمطري^(٥) ثم تبع هذين المؤلفين

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

(٢) F. Rosental Ahistory of Muslim Historiography, Leiden1952, p. 142.

(٣) عبد الله بن فرحون اليعمري المالكي ولد سنة ٦٩٣هـ وكانت وفاته سنة ٧٦٩هـ - انظر: شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة». (تحقيق محمد جاد الحق) ط ٢، ١٣٨٥هـ، ج ٢. ص ٤٠.

(٤) توجد نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة عارف حكمت بالمدينة.

(٥) عفيف الدين عبد الله بن محمد بن أحمد المطري المتوفى سنة ٧٦٥هـ ديسمبر ١٣٦٣م انظر: فرانز روزنتال «علم التاريخ عند المسلمين» - ترجمة الدكتور أحمد صالح العلي، بغداد ١٩٦٣م، ص ٥٥٦.

المؤرخ السخاوي^(١) فألف كتابه (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة)^(٢) وعني فيه بتراجم رجال المدينة منذ عهد الرسول ﷺ حتى عهد المؤلف وهو القرن التاسع الهجري .

وممن برز في المدينة من العلماء، في حقبة القرن الثاني عشر الهجري، محمد ابن زين العابدين بن عبد الله بن عبد الكريم الخليفتي^(٣) وعالمنا هذا كما يذكر المرادي^(٤) تلقى علومه الدينية على يد عدد من مشائخ العصر الأجلاء كالشيخ محمد حياة السندي، والسيد إبراهيم أسعد وبعد أن تكونت مقومات شخصيته العلمية أخذ في تدريس العلوم مما هياً له بعد فترة من المراس والدربة أن يتولى وظيفة الخطابة والإمامة كما تولى منصب الإفتاء في المدينة .

أما من حيث إنتاج الخليفتي العلمي فنجد مصدراً ككتاب (تراجم أعيان المدينة)، يذكر أنه كان ناظماً وناثراً^(٥) - أما البغدادي^(٦) فإنه الوحيد بين المصادر التي ترجمت له نجده ينفرد بذكر مؤلفه في تاريخ المدينة، ولا نجد ذكراً لهذا الكتاب عند معاصره عبد الرحمن الأنصاري وهو أمر

(١) محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي: ولد في القاهرة سنة ٨٣١هـ - ١٤٢٧م وتوفي بالمدينة المنورة ٩٠٢هـ - ١٤٩٧م - انظر المصدر السابق ص ٣٧١هـ.

(٢) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، نشر في القاهرة سنة ١٣٧٦هـ بتقديم الدكتور طه حسين، وعناية المرحوم أسعد طرابزوني ثم في طبعة ثانية سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣) نسبة إلى الخليفة، وأول من قدم منهم المدينة المنورة سنة ٩٩٠هـ الشيخ عبد الوهاب الخليفتي العباسي - انظر: تحفة المحبين ص ٢٠١.

(٤) سلك الدرر، ج ٤ ص ٦٠.

(٥) تراجم أعيان المدينة ص ٧٦.

(٦) إسماعيل باشا البغدادي - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون طبعة استنبول، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م ص ٦٢٣.

غريب. فلقد عني الأخير بتدوين معظم الآثار العلمية التي دونها أصحابها إبان القرن الثاني عشر الهجري.

أما كتابه في تاريخ المدينة فهو (نتيجة الفكر في خبر مدينة سيد البشر) وهو كتاب لا يزال مخطوطاً اطلع الباحث على نسخة منه في مكتبة فضيلة الشيخ جعفر فقيه - أمد الله في عمره - وفي مقدمة هذه النسخة نجد المؤلف يذكر أنه وضع مؤلفه استجابة لرغبة قاضي المدينة وابن قاضي البلد الحرام محمد أمين أفندي ابن المرحوم صالح أفندي، الذي طلب منه أن يجمع له نبذة عن محاسن المدينة الزاهرة، وآثارها الفائقة، فكان هذا الكتاب الذي رتبته على خمسة أبواب وخاتمة:

الباب الأول: في فضل المدينة.

الباب الثاني: في فضل مسجدها الأنور وروضتها الشريفة.

الباب الثالث: في من يُزار بها من الصحابة الأخيار.

الباب الرابع: في مشاهدها وآثارها.

الباب الخامس: في فضل المجاورة بها.

وإذا كان الجانب التاريخي للمدينة قد حظي باهتمام بعض من علمائها وأدبائها. فإن الأدب وفنونه لم يهمل هو الآخر، حيث نجد الأديب عمر ابن عبد السلام الداغستاني^(١) يتصدى لهذه المهمة فيؤلف كتابه «تحفة

(١) عمر بن عبد السلام الداغستاني الأنصاري المتوفى بعد عام ١٢٠١هـ - ١٧٨٦م انظر ترجمته في تحفة المحبين للأنصاري ص ٢٩٩ - ٢٣١، والمنهل عدد أبريل ١٩٦٩م. ص ٢٥٢ مقالة الشيخ محمد سعيد دفتردار عن آل الداغستاني وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦١م ص ١١١٥ - ١١٢٩.

الدهر ونفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر»^(١).

قسم المؤلف كتابه «تحفة الدهر» إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: في السادة والأشراف.

الفصل الثاني: في العلماء الطيبو الأوصاف.

الفصل الثالث: في العلماء الكرام.

الفصل الرابع: في الأدباء الفخام.

ويبدو أن القاعدة التي اتبعها المؤلف في تجزئته لكتابه تستند إلى النظام الاجتماعي السائد في تلك الفترة أكثر من استنادها إلى مقاييس أدبية متعددة، كما أننا نلاحظ عدم قدرته على توضيح الأسس التي انطلق منها في التمييز بين أدباء الفصلين الثاني والثالث وكان بالإمكان أن يخصهم بفصل واحد ما داموا جميعاً - بحسب عبارته - من طائفة العلماء. ولربما كان المؤلف في تقسيمه لفصول الكتاب مدفوعاً بالرغبة في اتباع من سبقه من المؤلفين، كابن معصوم^(٢) في كتابه (السلافة) مع أن الأسس الأدبية التي انطلق منها ابن معصوم في ترتيبه لأجزاء كتابه تختلف عن تلك التي نجدها عند الداغستاني في كتابه «التحفة».

أشار المؤلف في مقدمة كتابه (التحفة) إلى تدهور حال الأدب في

(١) يذكر المرحوم الأستاذ محمد سعيد دفتردار في مقالته بمجلة المنهل أنه كانت توجد من هذا الكتاب نسخة تامة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت ولكنها مفقودة الآن وتوجد منه نسخة في مكتبة آل هاشم، ومكتبة السيد عبید مدني - رحمه الله - وتوجد في مكتبة آل الداغستاني نسخة مخرومة.

(٢) علي بن أحمد بن محمد بن معصوم الحسيني الحسيني المعروف بعلي خان الشهير بابن معصوم «١١١٩/١٠٥٢هـ» من كتبه «سلافة العصر في محاسن أهل العصر» انظر: الأعلام للزركلي

عصره، ولربما كان الأولى أن نثبت من هذه المقدمة، ما يكون دليلاً على تنبه الداغستاني لهذه القضية التي لم يشغل المؤلفون - حينئذٍ بمناقشتها.

يقول المؤلف:

مضى الزمن الذي قد كان فيه لأهل الشعر عزُّ وارتفاع
فإن الشعر في ذا العصر علم قليل الحظ، ملفوظ مضاع

ولئن هُجر الأدب ملياً، وأصبح نسياً منسياً، فإن لزنده وريا يلتمع
سقطه، ولمزنه دقا يستدر نقطه، والمرتدي بفاخر مطارفه بين الأخوان
والأقران، يشار إلى مجده وبيانه بالسلام والبنان، خصوصاً إن نظم في
سلك التحايف زبرجده، وسلك في قالب الظرايف عسجده^(١).

ويرى الدكتور عبد الرحمن الشامخ أنه على الرغم مما في إشارة
الداغستاني هذه من تنبيه إلى طبيعة الذوق الأدبي من صحة وسلامة إلا أن
شكاته لم تكن إلا استجابة لروح الحنين إلى الماضي، لما يتضمنه كتابه
من نصوص مفتقرة إلى الروح الأدبية والموهبة الفنية^(٢).

ولئن أظهر المؤلف قدرة أدبية في تدوين الإنتاج الفني لأدباء المدينة
في فترة القرن الثاني عشر. فإنه استطاع - أيضاً - أن يدل على ثقافته بما
عقده من مقارنات بين هذا الإنتاج وما يماثله من ناحية المعنى من إنتاج
بعض شعراء العصر العباسي كأبي نواس والبحتري، وبعض شعراء العصر
المملوكي مثل مجير الدين بن تميم، وصفي الدين الحلبي وجمال الدين بن

(١) مخطوطة تحفة الدهر للداغستاني ص ٢.

(٢) الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ - النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠/
١٩٤٥، الرياض ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ٣٦ - ٣٧.

نباتة، وهذه الدراسة التي توصل إليها الداغستاني هي مما يزيد في أهمية الكتاب من حيث اعتباره مصدراً رئيسياً للبحث في النواحي الفنية للشعر في تلك الفترة الزمنية، والتي يجب أن يحظى باهتمامات النقاد ودراساتهم العلمية.

وإذا كان بعض الشعراء عبّر عن بعض المشاكل الاجتماعية التي تعرضت لها المدينة في تلك الحقبة كما رأينا في الأبيات السابقة، فإن البعض الآخر حاول أن يبث همومه الخاصة من خلال الشعر على أن هذه الشكوى الذاتية كانت مرتبطة في النهاية بما يعانيه المجتمع بأكمله من مشاكل وحوادث.

يقول الشاعر يوسف الأنصاري^(١) عندما أُجبر على الخروج من المدينة تحت تأثير بعض الحوادث الخاصة:

وتصبر فعمرُ النَّائبَاتِ قصير
ومثلي على سير الزمان يسير
يقيني يقيني ما أظن من الردى
ويمنعني كيد العدى ويجير
ونفسي إن جاشت أقول لها اصبري
فلست بنفسي إن عراك ضجور
وكوني على حكم القضا مطمئنة
فليس سوى ما قد قضاه يصير
وما محن الأيام إلا سحابة
بإبان صيف ساعة وتغور
فما تغلبن إلا ضعيفاً يقينه
ويغلبها ثبُتُ الفؤاد صبور

(١) يوسف بن عبد الكريم الأنصاري ولد بالمدينة سنة ١١٢١هـ أخذ عن والده والشيخ محمد بن الطيب والشيخ أبي الطاهر الكوراني والشيخ أبي الطيب السندي توفي مقتولاً سنة ١١٧٧هـ بعد رحلة طويلة بدأها ببغداد وأنهاها، وأنهاها بمكة المكرمة - انظر تراجم أعيان المدينة ص ٥٢ - تحفة المحبين ص ٢٣ - ٢٥.

وتكشف أبيات الشاعر الأنصاري عن ثقافته التراثية المتمكنة، فهو مجيد في اقتباس الأمثال والأبيات الشعرية وتضمينها، حتى يكسب ذلك قصيدته قدراً كبيراً من الإجادة والقوة. فمن أبياته التي ضمنها بعض الأمثال العربية السائرة قوله:

فشنشنة من أخزم قد عرفتها وطبعاً فإنني للطباع غيور
وقوله أيضاً:

ومن جرب الأمر المجرب نادماً كما الكسعي ذي القوس وهو شهير
ومن اقتباساته الشعرية قوله:

فلولا فراق السهم للقوس لم يصب ولولا انصلات السيف ليس يضير
والبيت السابق هو صياغة أخرى لبيت الإمام محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله:

والأسد لولا فراق الأرض ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب
أما البيت الذي يقول فيه:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر هناك سمير
فهو يذكرنا ببيت مضاض بن عمرو الجرهمي القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سَامِرُ

أمين الحلواني
ومخطوطات مكتبة بريل

تنقل مصادر تاريخية وأدبية مختلفة أن مكتبة «بريل» في مدينة «ليدن»^(١) بهولندا، اشترت في عام ١٨٨٣م أكثر من ٦٠٠ مخطوطة من العالم العربي المسلم «أمين بن حسن المدني»^(٢) فمن هو هذه الشخصية التي قامت بنقل هذه المخطوطات إلى ذلك البلد الأوروبي؟ وما هي العوامل التي دفعته للقيام بمثل هذا العمل؟ وما قيمة هذه المخطوطات العلمية التي تم شراؤها من قبل هذه المكتبة التي اشتهرت بقسمها العربي المختص ونشر الكتب والمخطوطات العربية منذ عام ١٨٨٣م؟.

شخصية أمين بن حسن الحلواني المدني

يشير مؤرخ المدينة المنورة في القرن الثاني عشر «عبد الرحمن الأنصاري» إلى هجرة أسرة تدعى أسرة «الحلواني» من «الهند» إلى «المدينة» في تلك الحقبة التاريخية. حيث قدم إلى المدينة الشيخ «محمد أمين الهندي الكشميري الحلواني» سنة ١١٤٠هـ. ويصفه الأنصاري قائلاً:

(١) سبق أن نشرتُ جزءاً من هذا البحث في مجلة الطالب السعودي الصادرة عن نادي الطلاب السعوديين في المملكة البريطانية المتحدة، العدد الأول من السنة الخامسة في المحرم ١٤٠٦هـ - ص ٣٠ - ٣٨.

(٢) انظر على سبيل المثال: عبد الله عبد الجبار: التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، ط، ص ١٩٣، معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة - ١٩٥٩م.

«وكان رجلاً، كاملاً، عاقلاً، صاحب ثروة»^(١).

ولا أعلم إذا ما كانت الشخصية التي نحن بصددنا تنتمي إلى هذه الأسرة أم لا؟ كما أنه ليس من دليل يؤكد أو ينفي انتماءه إلى الأسرة التي تحمل الاسم نفسه في الوقت الحاضر، والتي ما زال عدد من أفرادها يعيش في المدينة المنورة.

أما «أمين الحلواني» فلا نجد خيراً من «محب الدين الخطيب» - رحمه الله - ليحدثنا عنه وعن اتجاهه العلمي وإنتاجه الأدبي حديثاً مفصلاً في تحقيقه للكتاب الذي اختصره «الحلواني» وهو (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود)^(٢) لعثمان بن سند البصري الوائلي^(٣)، يقول «الخطيب» في حديثه عن الحلواني: «عالم من أهل المدينة، كان والده من أعيانها وأفاضلها حتى إن «الشريف عبد الله بن عون»^(٤) أمير مكة، أوفده في سنة

(١) عبد الرحمن الأنصاري: (تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب) تحقيق محمد العروسي المطوي، ط، ص ١٩٧. تونس ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

(٢) داود باشا: أصله من الكرج ومولده في حدود ١١٩٠هـ، كان عالماً فاضلاً أنشأ المدارس العظيمة، ودور الخير والإحسان، وقد تولى حكم العراق سنة ١٩٣٤هـ ثم ذهب إلى الأستانة بعد استسلامه لجيش السلطان محمود الثاني، وظل فيها إلى سنة ١٢٦٠هـ حيث أرسله السلطان عبد المجيد خان شيخاً على الحرم النبوي، وبقي بالمدينة مشغلاً بالعلم والتدريس إلى أن توفي سنة ١٢٦٧هـ.

انظر خليل مردم بك «أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع» ط ٢، ص ١٨٠-١٨٢ بيروت ١٩٧٧.

(٣) عثمان بن سند البصري الوائلي: أصله من نجد ثم سكن البصرة، واشتغل بفنون لسان العرب، ومن تأليفه منظومة في علم الحساب ونظم قواعد الأعراب والأزهرية، ومغني اللبيب. توفي سنة ١٢٥٠ انظر المصدر السابق ١٦٤/٥.

(٤) عبد الله (باشا) ابن محمد بن عبد المعين بن عون، من أمراء مكة، ولد فيها سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١. وأقام بالأستانة فأحرز رتبة الوزارة، ثم ولي إمارة مكة بعد وفاة أبيه سنة ١٢٧٤هـ فجاءها، وتسلم أمورها واستمر فيها إلى أن توفي بالطائف سنة ١٢٤٦/١٨٧٧م.

١٢٧٩هـ إلى أمير نجد «فيصل بن تركي»^(١)، لينصح له بإعادة الخراج المرتب عليه للدولة العثمانية. فنجح الشيخ «حسن الحلواني» في مهمته، وكان موضع التجارة والإكرام من أمير نجد. وقد نشأ الشيخ أمين في طلب العلم، واقتناء المصنفات الجيدة، ولاسيما المخطوطة، وقام بالتدريس في الحرم النبوي الشريف^(٢)، وهناك عبارة وردت في الكتاب الذي اختصره (مطالع السعود) تدل على طلبه للعلم في الجامع الأزهر بمصر^(٣) - رحمه الله - ودون ذلك قائلاً:

«وأما الشيخ عبد الرحمن المذكور فقد أدركته في الجامع الأزهر، يدرّس مذهب الحنابلة، وكان شيخ رواق الحنابلة سنة ١٢٧٣هـ وتوفي سنة ١٢٧٤هـ وكان عالماً، فقيهاً، ذا سمعة حسن يظهر عليه التقوى والصلاح»^(٤)، ولا يستبعد تأثر الشيخ الحلواني بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية بعد التقائه بابنه الشيخ عبد الرحمن - رحمهما الله - لما

= انظر خير الدين الزركلي «الأعلام» ط ٣، ٤/١٣٢/١٩٥٥.

(١) فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود إمام شجاع حازم أقام في مصر معتقلاً بين ١٢٥٥ - ١٢٥٩هـ ثم عاد إلى نجد ودانت له الأحساء والقصيم والعارض حتى أطراف الحجاز وعسير، وتوفي بالرياض سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م انظر المصدر السابق ٥/١٦٤.

(٢) عثمان بن سند البصري الوائلي: «مطالع السعود بأخبار الوالي داود». اختصار أمين حسين الحلواني المدني، تحقيق محب الدين الخطيب، المقدمة، القاهرة ١٣٧١هـ.

(٣) عالم مشهور: ولد في بلاد نجد، وعندما انتقلت عائلة آل الشيخ إلى مصر، بعد أن حارب إبراهيم باشا عبد الله بن سعود أمير نجد التفت الشيخ عبد الرحمن إلى طلب التعلم والتعليم والإفادة إلى أن صار في الأزهر شيخ رواق الحنابلة، وكان ظاهر التقوى والصلاح والزهد والعبادة إلى أن توفي سنة ١٢٧٤هـ، انظر عبد الرزاق البيطار «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» - تحقيق محمد بهجة البيطار، ٢/٨٣٩ المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

(٤) مختصر مطالع السعود: ١١٧.

يعكسه اسم أحد مؤلفاته الذي ظهر في سنة ١٣١٢هـ تحت عنوان (السيول المغرقة على الصواعق المحرقة).

ويذكر الخطيب أن الكتاب رد على السيد أحمد سعد المدني^(١) من المنتمين إلى طريقة الشيخ أبي الهدى الصيادي^(٢)، لكن الشيخ أمين حلواني لم يصرح في هذا الرد باسمه وانتحل اسماً مستعاراً هو «عبد الباسط المنوفي»^(٣).

إنتاج الحلواني العلمي والأدبي:

اشتهر الحلواني باختصاره لكتاب (مطالع السعود) الذي يشتمل على أخبار بغداد من سنة ١٨١١ - ١٢٤٢هـ / ١٧٧٤ - ١٨٢٦م^(٤) وقد نشره الحلواني في بومباي بالهند سنة ١٣٠٤/١٨٨٦^(٥)، ثم أعاد نشره محب

(١) أحمد أسعد بن السيد بن محمد أسعد المدني الحسيني، ولد في المدينة المنورة ١٢٤٥هـ وتلقى العلم على عدد من علماء وقته «الشيخ يوسف الصادق والشيخ عبد الغني الدمياطي والشيخ حبيب المغربي» وتولى إفتاء المذهب الحنفي في المدينة، وتوفي في السابع من رمضان من عام ١٣١٤هـ في الآستانة، انظر المصدر السابق ٢٠١/١ - ٢٠٦، ونقلاً عن جعفر إبراهيم فقيه أن أحمد سعد، وأسعد العابد وأبا الهدى الصيادي كانوا من مستشاري السلطان عبد الحميد الثاني، ولهذا كانت إقامتهم في الآستانة.

(٢) أبو الهدى الصيادي: محمد بن حسن علي خزام الصيادي الرفاعي الحسيني، ولد في خان شيخون «من أعمال حلب» سنة ١٢٦٦/١٨٤٩، وتعلم بحلب وولي نقابة الأشراف فيها، ثم سكن الآستانة، واتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني، فقلده مشيخة المشايخ، توفي في جزيرة الأمراء في «رينكيو» سنة ١٣٢٨هـ/١٩٠٩م الأعلام ٦/٣٢٤ - ٣٢٥.

(٣) مختصر مطالع السعود - المقدمة.

(٤) المصدر السابق.

(٥) علي الخاقاني «مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة» القسم الأول/ ٥٠ مطبعة المجمع العلمي، العراق: ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

الدين الخطيب في القاهرة سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٣م^(١) وقد اشتملت مقدمة الكتاب على ترجمة لعثمان بن سند البصري قام بكتابتها «محمد بهجة الأثري» وترجمة لأمين الحلواني ملقياً الضوء على مشاركته العلمية في جوانب متعددة من تراثنا الإسلامي والعربي، ويظهر أن «الحلواني» اهتم بتاريخ «ابن سند» هذا فاستنسخ عدة نسخ منه، كالنسخة التي توجد في المكتبة العباسية بالبصرة، التي فرغ منها في «قصة الزبير» آخر ذي الحجة ١٢٦٦هـ في ٢٧٧ صفحة، ونسخة ثالثة بمكتبة المرحوم «إبراهيم الدروبي»، وجميع هذه النسخ بخط الحلواني^(٢).

وللحلواني كتاب ينقد فيه مؤلفات جورج زيدان^(٣) التاريخية ظهر في الهند سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م، تحت عنوان (نشر الهذيان من تاريخ جورج زيدان)^(٤)، ولقد رد زيدان على كتاب الحلواني هذا برسالة سماها (رد رنان على نبش الهذيان)، وطبعت سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م^(٥)، كما قام الحلواني بطبع ديوان (لزوم ما لا يلزم) لأحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري في الهند سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م.

ويظهر أن الحلواني قام بكتابة ترجمة عن حياة «أبي العلاء وبعض

(١) مصطفى عبد الغني: «مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث» ص ٦٤، القاهرة: ١٩٨٠م.
(٢) علي الخاقاني ص ٥٠، ويذكر الخطيب أن الحلواني اختصر تاريخ ابن سند قبل قيامه برحلاته من المدينة للشرق وأوروبا.

(٣) ولد في بيروت سنة ١٨٦١م، ودرس في الكلية الأمريكية، وسافر إلى مصر، واشتغل بالصحافة، وأصدر مجلة الهلال، ووضع تأليف كثيرة في التاريخ والقصص، واللغة، والعلوم، توفي في مصر سنة ١٩١٤، انظر: بطرس البستاني، أدباء العرب ٣/٤٣٣، دار مارون عبود - بيروت.

(٤) إلياس سركيس «معجم المطبوعات العربية والمعربة» ١٧٥/٢ القاهرة ١٣٤٦/١٩٢٨.

(٥) مختصر مطالع السعود: المقدمة.

الشروح والتعليقات على عمله الأدبي المعروف «باللزوميات»^(١) كما ألف رسالة صغيرة في علم الفلاحة التي دعاها «جني النحلة في كيفية غرس النحلة» ويظن «الخطيب» أن «الحلواني» ألف هذه الرسالة في مصر سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، ليرشد المشتغلين فيها بالزراعة إلى تجارب أهل المدينة التي اقتبسوها من أهل القصيم في نجد، مثل بريدة وعنيزة والرس، والقائمين على تربيتها ورعايتها^(٢). ولعل حياة الحلواني في المدينة اتصلت بشيء من أحوال الزراعة، فحمد الجاسر يحدثنا أن الحلواني كان يسكن في المدينة في دار مطلة على الحديقة العينية^(٣).

صلة الحلواني بمحمد محمود التركي الشنقيطي^(٤):

يذكر محب الدين الخطيب أن العامل وراء نزوح الحلواني من المدينة هو تأليفه في سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، لرسالة ينكر فيها صحة المخلفات النبوية التي كانت الدولة العثمانية تتقرب إلى العامة بدعوى الحيابة لها

(١) School of Oriental and African Studies of London, Library Catalogue. A31. (١) oe1963. Vol. 1. p. 347.

(٢) مختصر مطالع السعود: المقدمة.

(٣) حمد الجاسر «رحلات» ط ١، ص ٢١٣ الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٤) محمد بن محمود بن أحمد بن محمد التركي الشنقيطي، ولد في شنقيط (موريتانيا) وانتقل إلى المشرق فأقام بمصر ورحل إلى مكة فاتصل بأمرها الشريف عبد الله، وانتدبه حكومة الآستانة أيام السلطان عبد الحميد الثاني للسفر إلى أسبانيا، والاطلاع على ما فيها من المخطوطات العربية وإعلامها بما ليس منه في مكتباتها بالآستانة فقام بذلك، سافر إلى المدينة فلم يكن على وفاق مع علمائها فطلبوا إخراجه، فرحل إلى مصر حيث اتصل بالشيخ محمد عبده، من أهم أعماله العلمية تصحيحه لبعض الأوهام الواقعة في الطبعة البولاقية من الأغاني فنشرت تصحيحاته بكتاب سمي تصحيح الأغاني، توفي (سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤) انظر «الأعلام» ٣١١/٧ - ٣١٢.

والاحتفال بها في مواكب دورية أو غير دورية. وعلى أثر ذلك قام الحلواني برحلة إلى مصر وبعض بلاد الشرق العربي، وفي مصر اتصل بالعلامة التركي الشنقيطي، فأخذ عنه واستفاد منه^(١). إلا أن نصوصاً أخرى تثبت أن علاقته العلمية بالشنقيطي تمت قبل هذا الوقت، ويبدو أن الحلواني لم يغادر المدينة قبل نهاية ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، وهي السنة التي استنسخ فيها نسخة من شعر أبي المحجن بأسره «رواية أبي يوسف يعقوب السكيت، ثم أبي سعيد السكري، وأبي الحسن الطوسي، حيث كتبها الحلواني في المدينة المنورة في الثالث من ذي القعدة سنة ١٢٩٩هـ. وعلق الحلواني في نهاية هذه النسخة أنه نقلها من نسخة «بخط أديب زمانه وحيد عصره الشيخ محمد محمود التلاميذ الشنقيطي، وهو نقل من خط ياقوت ولفظه...»^(٢).

ويذكر الجاسر نصاً آخر يؤكد هذه العلاقة التي تمت في المدينة المنورة بين «الحلواني» و«الشنقيطي» في سنة ١٢٩٩هـ. وقد نقل الجاسر هذا النص من طرة المخطوطة رقم ٢٢ ش «تاريخ» من كتاب (عمود النسب) الموجود بدار الكتب المصرية، وهو بخط الحلواني الذي أثبت قراءته للكتاب على الشنقيطي قائلاً:

«قرأت هذا الكتاب (عمود النسب) للفهامة أحمد البدوي قراءة ضبط وتحري، دراية ورواية، فأوضحت مشكله وأعربت مغفله، وبينت مبهمه، وفصلت مجمعه، على شيخنا وأستاذنا علامة فن اللغة والأنساب، وفهامة

(١) مختصر مطالع السعود: المقدمة.

(٢) Carlo Landberg catalogue de manuscrits arabes provent dune bibliotheque, (٢) el-medina leide. E. j. brill1883, p. 90.

علم سيرة النبي والأصحاب، إمام المؤرخين بلا مدافع، سيدنا النسابة الشيخ محمد محمود الشنقيطي العشمي - أمتع الله بحياته - في مجالس منها في روضة النبي - ﷺ - ومنها في داري المطلة على الحديقة العينية وآخر مجلس وبه تم الكتاب في بيته - حرسه الله - في حارة الأغوات بقرب منهل العين الزرقاء».

وفي ظني أن هذه النسخة غدت من النسخ التي يعول عليها، ويرجع في المعضلات إليها. وكتبه الفقير إليه تعالى أمين بن حسن الحلواني المدني خادم العلم بالروضة المطهرة، في غرة رجب سنة تسع وتسعين بعد المائتين والألف من هجرة سيد المرسلين ﷺ^(١).

وقبل أن نتحدث عن رحلة الحلواني إلى البلاد الأوروبية، فإنه من الضروري أن نتحدث عن رحلة التركي إلى هذه البلاد، ما دنا بصدد الحديث عن العلاقة العلمية التي ربطت بين هاتين الشخصيتين، التي تركت بصماتها الواضحة على ما أبدعاه من إنتاج وما أدياه من جهد.

رحلة التركي :

يذكر التركي نفسه أن ملك السويد والنرويج «أسكار الثاني» أرسل إلى السلطان «عبد الحميد الثاني»^(٢) عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م. مبدياً رغبته في أن يقوم الشيخ التركي الشنقيطي بحضور مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في مدينة استكهولم^(٣)، حيث قام سفير السويد بمصر في ذلك

(١) رحلات : ٢١٣.

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني تولى خلافة الدولة العثمانية في الفترة ما بين ١٨٧٦م - ١٩٠٩م.

انظر أحمد عبد الرحيم مصطفى «أصول التاريخ العثماني» ط ١ ٣٢٠ دار الشروق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٣) كان عدد الأعضاء الذين اشتركوا في تلك الدورة من مؤتمر المستشرقين ٦٤٦ عضواً، من =

الوقت «الكونت كارلودي لندبرج»^(١)، بالإشراف على متطلبات الرحلة، واشترط الشنقيطي عدة شروط قبل القيام برحلته منها: أن يكون توجهه بصفة ترفع شأن الإسلام وأهله، وبأن ينتخب ثلاثة أو أربعة من أهل العلم بالعربية، ويستصحب مؤذناً وطهاة مسلمين. كما طلب السفير المذكور أن

= بينهم «الشيخ ابن عبد الله» قاضي تلمسان والشيخ «محمد محمود الشنقيطي» والبارون دي كيرمر النمساوي، وبروكش باشا الألماني الذي كان ناظراً لمدرسة اللغات القديمة بمصر، وأمكس مولر من أساتذة أكسفورد وكونوال الروسي مدير كتبخانة دار المعارف بقازان. ومن البحوث التي ألفت في المؤتمر: تاريخ الحكماء لابن القفطي، ومعجم الأدياء لياقوت، وفهرست للمخطوطات العربية، وأصول الحديث وكيفية الكلمات المركبة في اللغة العربية، وكتاب عجائب الهند وفلاسفة العرب الذين كانوا مع فردريك الثاني في صقلية، وكيفية النطق بالكلمات المصرية القديمة واستكشاف طرق المقاييس عند قدماء المصريين. ولقد أخرج محمد أمين فكري «بك» كتاباً عن هذا المؤتمر حيث كان والده «عبد الله فكري» رئيساً للوفد العلمي المصري في هذا المؤتمر وقد سمي كتابه هذا «إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا» مطبعة المقتطف بمصر: ١٨٦١.

انظر محمد خلف الله أحمد «معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها» ص ٥٥ - ٥٦ القاهرة: ١٩٦١.

(١) مستشرق سويدي ولد سنة ١٨٤٨ أمضى في الشرق سنوات عديدة، بدأ إنتاجه بكتاب عن الأمثال والأقوال الشائعة في ولاية سوريا، قضاء صيدا الذي صدر بالفرنسية ١٨٨٣م في ليدن، وتلاه بتحقيق ديوان «أبي محجن الثقفي» ١٨٨٦ وديوان «زهير بن أبي سلمى» ١٨٨٩م في مجموعة بعنوان طرف عربية وقد اتجه لاندبرج كذلك إلى دراسة لهجات جنوب الجزيرة العربية - ليدن، بريل، ١٩٠١ - ١٩١٣، وفي السنوات الأخيرة من عمره كرس نفسه للعمل في «قاموس وطني» أي قاموس لهجة وطنية في جنوب الجزيرة العربية، وقد أصدر منه الجزء الأول في ١٩٢٠ والثاني في ١٩٢٣م وتوفي قبل أن يصدر الجزء الثالث وهو الأخير وكان قد أعده للطبع فقام «زترستين» بطبع هذا الجزء الذي خلفه «لاندبرج» بعد وفاته كذلك توفي «لاندبرج» قبل أن يطبع كتاباً في معجم لغة بدو عنزة، فتولّى «زترستين» طبعه في عام ١٩٤٠م. وفي ميدان التاريخ الإسلامي، نشر لاندبرج كتاب «الفتح القسي في الفتح القدسي» عماد الدين الأصفهاني - ١٨٨٨م، وقد توفي «لاندبرج» سنة ١٩٤٢م، انظر عبد الرحمن بدوي «موسوعة المستشرقين» ط ١، ٣٥٠ - ٣٥١، بيروت: ١٩٨٤م.

وفي الأعلام ٦/٦٦، أنه نشر «رسالة التنبيه على غلط الجاهل والنيبه» لابن كمال باشا.

يقوم الشنقيطي بإنشاء قصيدة على أسلوب شعر العرب السابقين، لا على أسلوب شعر الشعراء في تلك الحقبة».

ولقد قام الشنقيطي بإنشاء القصيدة المطلوبة، ولكنه لم يحضر المؤتمر^(١) لعدم تنفيذ المسؤولين في الدولة العثمانية - في ذلك الوقت - مقترحاته التي اشترطها عليهم قبل القيام بالرحلة.

لقد قاربت القصيدة التي أنشأها شاعرنا لإلقائها في ذلك المؤتمر الاستشراقي حوالي مائتي بيت من الشعر الرصين، وافتتحها كما يفتح شعراء العرب القدامى قصائدهم قائلاً:^(٢)

ألا طرقت مي فتى مطلع النجم غريباً عن الأوطان في أمم العجم
منافيةً زارت على شحط دارها خدباً، مدبباً، عن قريش وعن دُعمي
فتاة ضياء الشمس ضوء جبينها حصان، رزان، عبلة، بضة الجسم
إذا غاب عنها البعل حيناً تحدرت ويرضيه نيل اللثم إن آب والشم
تصافحه عند اللقى بأنامل سباط البنان لا غلاظ ولا كُزْم

ويذكر بعد مآثرة هذا الملك الأوروبي في تبنيه لمثل هذا المؤتمر

العلمي:

(١) ويؤكد عدم حضور التركيبي لذلك المؤتمر، أحمد الأمين الشنقيطي حيث ذكر «أن السلطان بعث إليه بأن يتهباً للسفر فقال: لا حتى تعطوني مكافأة أتعابي فغضب عليه السلطان، وأمره بالسفر إلى المدينة» انظر «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» ط ٣، ٣٩٣ القاهرة: ١٣٨٠هـ: ١٩٦١م، بينما يدرج محمد خلف الله أحمد اسمه ضمن قائمة من حضر ذلك المؤتمر من العلماء والمفكرين: انظر «معالم التطور» ٥٥.

(٢) انظر محمد محمود بن التلاميذ التركيبي «الحماسة السنوية الكاملة المزينة في الرحلة العلمية الشنقيطية التركية» ٦/١ القاهرة ١٣١٩هـ.

ومأذبتا «أسكار» للعلم والطعم
فأضحى بها «أسكار» يعلو على النجم
وبالنقري كنت المخصص بالاسم
وعن أمة الإسلام في العلم والفهم
بها أثبت القرآن في الصحف بالرسم
وأبرأ ممن خاض في الغيب بالرجم
وآدب كل الناس للطعم وحده
دعا دعوة للعلم عمت وخصصت
دعا الجفلى كل الأنام معمماً
عن العرب العرباء آتيك نائباً
وفي اللغة الفصحى القريشية التي
ولم أعتمد إلا على الله وحده

ويشير إلى رحلته الطويلة مع العلم ومذاهبه قائلاً:

ولمّا علمتُ ما علمتُ بغربنا
ولم يثن عزمي نهْيُ حسناء غادةٍ
ولم يُعمِ قلبي حبُّ عذراء كاعبٍ
رحلت لجمع العلم والكتب ذاهباً
ترحلت نحو الشرق بالحزم والعزم
شبيهة جُمل، بل بُثينة، بل نُعم
وحب العذارى قد يُصمُّ وقد يُعمي
إلى الله، أبغي بسطة العلم في جسمي

ويعرج في قصيدته هذه أيضاً على ذكر العلاقة العلمية التي تربط بينه
وبين «محمد عبده»^(١)، فيقول:

تذكرت من يبكي علي فلم أجد
وغير الفتى المفتي محمد عبده
سوى كُتب تُختانُ بعدي أو علمي
الصديقُ الصدوقُ الصادقُ الود والكلمِ

ولعله من المناسب بعد إيرادنا لمقتطفات من قصيدته التي أنشأها لهذا
المؤتمر أن نورد شيئاً من قصيدته التي أنشأها في أثناء رحلته التي قام بها

(١) محمد عبده بن حسين خير الله من آل التركمانى، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح في الإسلام، ولد في شبرا من قرى الغربية بمصر سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م وتوفي بالإسكندرية سنة ١٣٢٣/١٩٠٥م ودفن في القاهرة، انظر: «الأعلام» ١٣١/٧.

لبلاد الأندلس سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، للاطلاع على الكتب والمخطوطات العربية، وفيها يجسد الشاعر تأسيه وحزنه على الوضع الذي آلت إليه هذه الجزيرة الإسلامية، وما تحويه من آثار ونفائس علمية^(١):

لكتب أندلس، ويل لأندلس وعلم أندلس من بعد ما اندرسا
جزيرة العلم والإسلام، قبل وقد هدت قواعده بالكفر فارتكسا
وجدت كتباً بها غراً محجلة ومنها الحديث. ومنها الرث قد درسا
لكنها في حصون الروم محصنة فنفعها عن مراد الواقف احتبسا
أمسى حديثاً معاداً أهل أندلس وأعظما رقماً كانت هي الرؤسا
علماء وحلماء وأخلاقاً مهذبة ودين صدق متيناً قيماً أسساً
ونجدة لم تكن لغيرهم ورث من «طارق» مذ أذل الكفر (فانخنسا)
ولم يدع ليث كفر شامخا شمما في الغيل يزأر إلا اصطاد وافترسا
وألبس العرب العرباء قاطبة بفتحها ثوب عن قبل ما لبسا
أعدها جنة للمسلمين زهت وأثمرت من ثمار الدين ما غرسا
ومذ قرون مضت بالذل أربعة تمكن الكفر فيها وحده ورسا
وافتر للشرك منها الثغر مبتسما من بعد ما افتر للتوحيد فانعكسا
فأحصنت فرجها بالكفر مكرهة وألبست حلية من حلية وكسا
وأصبحت من حلي الإسلام قد عطلت والدين منقرض، والنور قد طمسا
صارت جوامعها بعد الصلاة بها على الأذى والخنا موقوفة حبسا
رأيت فيه مصلى المسلمين به للكافرين غدا إذ جده تَعَسَا
رأيت فيه مقام المؤذنين به معطلا من أذان الله مبتئسا

ولا أذان به يدعو العباد إلى عبادة الله إلا اللغو والجرسا
ولا صلاة به للناس جامعة إلا المكاء وإلا نقس من نقسا
فكادت النفس مني غيرة وجوى تَفِيظُ من جمعه الانجاس والدنسا
والناصر الله أن يئس فنصرته تجيء مستيئساً من بعد ما يئسا

رحلة الحلواني :

يذكر محب الدين الخطيب أن الحلواني ذهب إلى ليدن وامستردام في سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، بمجموعة من المخطوطات العربية كان اقتناها في السنين السالفة، فابتاعها منه مكتبة ليدن الغنية بنفائس مخطوطاتها العربية، «ولمخطوطات الحلواني هذه فهرس خاص وضعه المستشرقون ووصفوا فيه مفرداتها»^(١).

فهرس مخطوطات مكتبة الحلواني :

تحتوي مكتبة جون رايلاندز بجامعة مانشستر بالمملكة المتحدة The John Rylands University Library of Manchester على نسخة^(٢) من هذا الفهرس الذي وضعه المستشرق السويدي «كارلو لاندبرج (Carl Landberg) ويحمل اسم «فهرس مخطوطات عربية مأخوذة من مكتبة خاصة بالمدينة» - ليدن، بريل، ١٨٨٣م.

Uatalogue de Manscripts Arabes Provenant Dune Bigliotheque

IE A eevrip-Medina Leide-J. Brill 1833.

(١) مختصر طالع السعود: المقدمة.

(٢) Number: NE B 892-7, B19.

ويقع الفهرس في ١٨٣ صفحة باللغة الفرنسية^(١)، إلا أن أسماء الكتب التي تضمنها الفهرس وعددها (٦٦٤) كتاباً ذكرت باللغة العربية وفي نهايته ذكر واضعه أنه انتهى من عمله في ليدن ٢٠ سبتمبر ١٨٨٣م.

مقدمة الفهرس :

ابتدأ «لانديج» هذه المقدمة بالحديث عن علاقته بالحلواني، وعن الظروف التي دفعته لبيع المخطوطات النادرة التي كانت في حوزته فيقول: «لقد تركت صديقي العالم الجدير جداً بالتقدير الشيخ أمين المدني في القاهرة أثناء شهر فبراير. مغادراً إلى منطقة البدو في غرب دمشق، ولم يكن حينئذٍ لديه الرغبة في بيع مكتبته، ولكنني رأيت بعد ذلك في أمستردام، عاقداً العزم على بيع كتبه التجارية بعد أن تعرضت استثماراته المالية لمضاربة فاشلة، كان خلفها شخص غير أمين، التقى به «الحلواني» في مصر أثناء إقامته بها.

لقد أخذت مؤسسة «بريل» المبادرة واشترت ما عرضه «الحلواني» من كتب، وطلبت مني إعداد فهرس لها في مدة أقصاها شهران من الزمن، إلا أنني رفضت في البداية هذا الطلب من المؤسسة بسبب عامل الوقت الذي حددته لإنجاز هذا العمل، ولكن عرفاني بجميل المؤسسة المتمثل في نشرها لمؤلفاتي. إضافة إلى توسلها الدائم للقيام بالعمل، دفعاني لأخذ المبادرة في تنفيذه، لقد استغرق عمل هذا الفهرس أقل من شهر، وهذا ما

(١) لقد تكرم الزميل إبراهيم ولد وله الطالب بقسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر بترجمة هذه المقدمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإنجليزية، وقد قمت - بتوفيق الله - بترجمتها إلى اللغة العربية.

يحملني تقديم العذر عن احتمال ما قد يوجد فيه من أخطاء، فإن السرعة في إنجازها هي العامل الرئيسي وراء ذلك.

ثم ينتقل بعد ذلك «لاندبرج» للحديث عن هذه المخطوطات التي دخلت في حيازة مؤسسة «بريل».

تمثل أهمية هذه المجموعة التي تزيد على ٦٠٠ مخطوطة في احتوائها على مؤلفات فريدة من نوعها وغير معروفة حتى في الشرق نفسه، فأهمية المجموعة لا تنبثق فقط من ناحية حب الاستطلاع فقط، ولكن من الناحية العلمية أيضاً، سوف يستغرب أحدنا من وجود سلسلة محترمة من المؤلفات اليمينية في الناحيتين، التاريخية والأدبية لبلد لا يعرف عنه إلا القليل. فقبل عشر سنوات من الآن (زمن وضع هذا الفهرس ١٨٨٣م) كان اليمن يعيش حياة تكاد تكون منفصلة عمن سواه، وهي حياة شبه مجهولة حتى في منطقة قريبة له كالحجاز، وبالرغم من ذلك، ففي هذا البلد كانت وما زالت - إلى درجة معينة - تجري حياة علمية نشيطة، ويتمتع أهلها بذوق فطري وأدبي قلما يتوفر في مكان آخر، ولقد حفظوا هذا الأدب وشجعوا المؤسسات التعليمية فأثمر هذا التشجيع عن انبثاق مجموعة من العلماء، والشعراء، والنساخ الأذكياء، والدليل على ما أذكره هنا هو وفرة الأعمال اليمينية التي تحتوي عليها هذه المجموعة من المخطوطات.

سوف تملأ الأعمال الأدبية اليمينية تلك الثغرات الموجودة في علمنا عن الشرق. كما ستلقي الوثائق المتخصصة في «القرامطة» ضوءاً جديداً على حياة هذه الفرقة الدينية التي جذبت في وقت سابق كثيراً من الأنصار في الجزيرة العربية، كما سيجد اليمينيون أن الأعمال المتعددة التي أنتجها

«أبو مخرقة بن المتوكل»^(١) وغيره من مشهوري رجال اليمن، قد لعبت دوراً جديراً في حياة اليمن الأدبية والعلمية، مما يؤهلها أن تكون خير شاهد ومؤرخ لهذا القطر في البلاد الأوروبية.

سوف يجد المتخصص في الأدب العربي متعته في مطالعة مجموعة من الدواوين الشعرية المتجانسة والتي تفتقر إلى وجودها المكتبات الأوروبية، فمن بين هذه الدواوين نسخة كاملة من (ديوان الأعشى)^(٢) هذه النسخة وإن لم تتوافر لها المقارنة العملية اللازمة. . إلا أنها تعتبر اكتشافاً جديداً في عالم الأدب، كما أن (جمهرة أشعار العرب) لابن أبي الخطاب^(٣) سوف تكون معيناً مفيداً للراغب في تحقيق الأدب القديم بصورة كلية أو متفرقة.

إن بعض هذه الوثائق الأدبية تعتبر بحق تحفاً خطية مضبوطة، بل ولم تترك شيئاً نرغب في وجوده فيها إلا واحتوته.

تمثل هذه المجموعة أيضاً الميدان التاريخي بصورة واسعة، إلا أنها لم تحتو إلا على القليل في تاريخ المدن المقدسة^(٤)، ولكننا نجد نسخة خطية

(١) أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، مولده سنة ١٨٧٠هـ/١٤٦٥م وتوفي سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م.

انظر: أيمن فؤاد سيد «مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي» ص ٢٠٥ - ٢٠٨ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة ١٩٧٤، وقد أثبت لاندبرج له من المؤلفات في فهرست «قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر» رقم ٢٣٢، و«رحلة لبعض اليمنيين إلى داخل أفريقيا» رقم ٢٣٥.

(٢) ورد في الفهرس ذكر ديوان الأعشى الكبير رقم ٣٠٢.

(٣) لقد أثبت «لاندبرج» في فهرسه نسختين من كتاب «جمهرة أشعار العرب» لابن أبي الخطاب القرشي وهما تحت رقم ٣١٠، ٣١١.

(٤) من المخطوطات التي تضمنها الفهرس في تاريخ مكة، «شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام» للفاسي، رقم: ٢٨٩. وكتاب «أخبار مكة» لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى =

من (تاريخ الذهبي)^(١) التي سوف يرحّبُ بها المحقق العالم لجزء من تاريخ الطّبري، إنّ الإنتاج السّيري (التّراجم) أدى خدمة جليّة في إخراج هذا الفهرس لحيز الوجود فليس من الضروري أن تكون الأعمال الصغيرة أقل أهمية، حيث إن الناس دائماً يدرسون الرسائل التاريخية المحدودة في سبيل فهم الأعمال الأكثر شمولاً في مادتها.

أما في الجزء المتخصص في مجال الشريعة الإسلامية فإننا نجد نسخة من كتاب «المزي»^(٢) وهي بحسب علمي ربما كانت النسخة الوحيدة في الشرق، وأغلب المؤلفات في هذا المجال إضافة إلى كتب الأحاديث النبوية هي من ممتلكات علماء من مكة والمدينة، بحسب ما تثبته تصحيحاتهم وتعليقاتهم عليها.

إن سرد وبحث هذه الوثائق النفيسة المتعلقة بحياة العرب الدينية والتاريخية، واللغوية بصورة تفصيلية، أمر يتطلب كثيراً من الوقت وهو ما لا تسمح به ظروف هذا الفهرس المحدد الذي حاولت في مقدمته هذه أن أركز الانتباه على الأعمال الرئيسية، والتي يتسم بعضها بخلل أو نقص، ولكن هذه العيوب يعوضها دائماً الوضوح المتوافر في المخطوطات - نفسها - والتي أثبت مسمياتها وأسماء مؤلفيها بحسب ورودها فيها، وإن

= رقم ٢٩٩، وكتاب «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» لقطب الدين النهروالي، رقم ٢٩٠، و«الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها، وبناء البيت الشريف» لمحمد جار الله بن ظهيرة المكي رقم ٢٩٦.

(١) ورد في الفهرس ذكر «الجزء الثالث من تاريخ الحافظ الذهبي» رقم ١.
(٢) كتاب يوسف الحافظ المزي، المسمى «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» وهو معجم مفهرس لمسانيد الصحابة والرواة عنهم، وموسوعة علمية لجميع أحاديث الكتب الستة الصحاح، تعليقات ابن حجر العسقلاني:

احتجت أحياناً الرجوع إلى كتاب حاجي خليفة^(١) في طبعته القاهرية، وحيث إن عدداً وافراً من المخطوطات قام بكتابته مؤلفون عرفوا بشهرتهم التاريخية.. إضافة إلى الرغبة في تشجيع البحث العلمي، فإنني رأيت مفيداً أن أثبت في نهاية هذا الفهرس قائمة بهذه الأسماء.

أتمنى ألا يعطى هذا الفهرس - أو بالأصح - هذه القائمة، مقداراً زائداً على الأهمية الحقيقية التي تستحقها، فإنني أنشرها مجرداً نفسي من أي ادعاء، لقد كانت التجربة التي مررت بها خلال معاشتي المخطوطات قراءة وبحثاً، تجربة مثيرة تشبه تلك التجربة التي يمر بها البخيل عندما يقوم بمعاينة ثروته، ولكن ما يجعل هاتين التجربتين غير متكافئتين هو ذلك السؤال الذي كنت أطرحه على نفسي عندما أقوم بوضع الأرقام الخاصة بكل جزء من هذه المجموعة.

إنني لأتجرأ القول متمنياً وأنا في مرحلة انتهائي من العمل في هذه المجموعة من المخطوطات أن ينتهي بها المقام في الأيدي التي تستحقها، تلك الأيدي التي تنشر، من غير تردد أو صعوبة، ما تحويه من علوم نرغب جميعاً في معرفتها^(٢).

وصف محتويات الفهرس :

لقد قسم «لاندربرج» المخطوطات التي يحتوي عليها هذا الفهرس إلى ثلاثة عشر جزءاً وملحقاً، معتمداً في تقسيمه هذا على تخصصاتها أو ما

(١) مصطفى بن عبد الله جلبي المعروف بحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧/١٦٥٧، وكتابه «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» انظر المصدر السابق: ٤٤.

(٢) C. Landberg Preface. VI - VIII.

تتضمنه من مواد علمية، وسوف نتعرض هنا لأقسام هذا الفهرس. مع ذكر نماذج من أسماء مخطوطات كل قسم مقرونة بأسماء مؤلفيها كما أوردتها واضعه، مع الإشارة إلى الأرقام التي وضعت لها في الفهرس نفسه.

الجزء الأول ويشمل ٢٢٨ مخطوطاً، وقد دعي هذا الجزء بـ
(المصادر الأولية)، ومن هذه المصادر الأولية:

- ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ - ٢.
- الإمام: [محمود] العيني: عقد الجمان في أخبار أهل الزمان - ٣.
- أبو الحسين أحمد بن فارس: مجمل اللغة - ١٣.
- أبو الفتح عثمان بن جني: مختصر التصريف الملوكي - ٢٥.
- مسلم بن الحجاج: الصحيح - ٣١.
- ابن القيم: (محمد أبو بكر بن زرعة) - ٥٣.
- عبد الرحمن الجبرتي: مدة دخول الفرنسيين بمصر - ٦١.
- القاضي أبو عبد الله الضبي: أمالي الضبي - ١٢٢.
- محمد بن عبد الوهاب: رسائل في (حكم أحوال القبر والحشر) ..
في (حكم الغيبة والنميمة والفتن التي تحدث) .. في (حكم خلق الله
السموات والأرض) .. في (حكم الغيظ والحلم) - ١٢٤.
- للمؤلف نفسه: رسالة في مبحث الاجتهاد والتقليد والاختلاف فيهما
- ١٢٥.
- للمؤلف نفسه: العقائد الوهابية - ١٢٦.
- أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني: في النجاسات المفقودة -
١٢٧.
- أبو القاسم خلف العباسي الزهراوي الأندلسي: الجزء الثاني من

كتاب الزهراوي في علم الطب والتشريح وفي الجراحات وغير ذلك -
١٦٩.

- الحافظ الذهبي: التلويحات في علم القراءات - ١٨٧.
- أحمد المقرئ: مناقب أحمد بن حنبل - ١٨٨.
- الخطيب التبريزي: شرح بانة سعاد - ١٩٨.
- أبو الحسن علي بن الحسين المفسر: الاستدراكات على «أبي علي الفارسي» - ٢٠٧.
- ديوان الإمام المنصور بالله أبي عبد الله بن حمزة بن سليمان - ٢٧٧.
- الجزء الثاني: (تاريخ) ويشمل هذا الجزء ٧٣ مخطوطاً منها:
- ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تاريخ أسماء الصحابة - ٢٨٨.
- أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال - ٢٣٠.
- السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب والألقاب - ٢٧٧.
- السيد أحمد بن معصوم المدني: سلافة العصر في مناقب أهل العصر.

الجزء الثالث: (أدب) ويشمل هذا الجزء ١٣١ مخطوطاً منها:

- ديوان لبيد بن أبي ربيعة - ٣٠١.
- ديوان أبي محجن الثقفي - ٣٠٣.
- ديوان الحطيئة - ٣٠٤.
- ديوان الحادرة - ٣٠٥.
- ديوان الشماخ بن ضرار - ٣٠٧.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي - ٣٠٨.

- ديوان أبي نواس الحكمي - ٣٠٩.
- ديوان البحتري - ٣١٢.
- أبو زكريا يحيى الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام - ٣١٣.
- ديوان أبي الحسن بن علي بن محمد التهامي - ٣١٦.
- ديوان علي بن أبي طالب - ٣١٧.
- ديوان أحمد بن حجر العسقلاني - ٣١٩.
- أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك: دار الطراز في الموشحات - ٣٢٤.
- محمد بن موسى كامل الدين الدميري: شرح لامية العجم - ٣٩٧.
- خضر الموصلبي: الإسعاف (شرح شواهد الكشاف) - ٤٠٤.
- الجزء الرابع (طب) ويشمل ١٠ مخطوطات منها:
 - الأزرقى اليمنى الزبيدي: كتاب الطب - ٤٣٤.
 - أحمد الدمهورى: منتهى التصريح بمضمون القول الصريح في علم التشريح - ٤٣٦.
- الجزء الخامس (فلك) ويشمل ١٦ مخطوطاً منها:
 - أبو القاسم الصوفى: كتاب الزيج في علم الفلك - ٤٤١.
- الجزء السادس (علوم) ويشمل ٧ مخطوطات منها:
 - أبو العباس أحمد بن عبد الله المعروف بابن البنا كتاب الجبر والمقابلة - ٤٥٧.
 - عثمان بن محمد المرعى: شرح القواعد الواضحة في علم المساحة - ٤٥٨.

الجزء السابع (العلوم الروحانية) ويشمل ١٥ مخطوطاً منها:

- كامل الدين أبو سالم محمد بن طلحة البسطاني: الدرر المنظم في السر الأعظم - ٤٧٢.

الجزء الثامن (الكيمياء) ويشمل ٨ مخطوطات منها:

- أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي الفيلسوف: كتاب في علم المزاج - ٤٨٤.

الجزء التاسع (الدراسات القرآنية) ويشمل ١٩ مخطوطاً منها:

- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن - ٤٨٨.

- أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري: الكشف والبيان في تفسير القرآن - ٤٨٩.

- محمد بن أحمد علي الوليد القرشي: البرهان في علوم القرآن من الغريب والإعراب والتفسير والأحكام والناسخ والمنسوخ والاشتقاق من...، والوقف وأعداد الآي - ٤٩٣.

الجزء العاشر (لغة) ويشمل ٢٧ مخطوطاً منها:

- سيوييه: الكتاب - ٥٦.

- يحيى بن حمزة اليميني: الأزهار الصافية شرح المقدمة الكافية - ٥١١.

- عبد القادر بن أحمد بن علي الفخري المصري: مجيب النداء إلى شرح الندى - ٥١٢.

- أبو الحسن المزني: معاني الحروف - ٥٢١.

- تقي الدين الأسفارييني: اللباب في علم النحو - ٥٢٤.

- صلاح الدين اليميني: نزهة الطرف في الجار والمجرور والظرف، وأحكامه، وتقسيمها - ٥٢٩.

- للمؤلف نفسه: كتاب الألباز - ٥٣١.
- الجزء الحادي عشر (بلاغة) ويشمل ٢٢ مخطوطاً منها:
- سراج الدين أبو يعقوب السكاكي: القسم الثالث من كتاب المفتاح - ٥٣٤.
- الشيخ ياسين الحمصي: شرح حاشية التلخيص، المسمى بالمختصر - ٥٣٩.
- حسن شلبي الرومي: حاشية المطول - ٥٤٥.
- لطف الله الأرزني: شرح نهاية الإيجاز في الحقيقة والمجاز - ٥٥٢.
- الجزء الثاني عشر (منطق) ويشمل ٣٨ مخطوطاً منها:
- فخر الدين الرازي: الآيات البينات في علم المنطق - ٥٥٧.
- أحمد بن سليمان كمال باشا: رسالة في الروح - ٥٧٦.
- الجزء الثالث عشر (شريعة) ويشمل ٦٣ مخطوطاً منها:
- الشيخ محمد عابد السندي المدني الأنصاري: طوابع النوار على الدر المختار - ٥٩٦.
- الحافظ الذهبي: مختصر تهذيب الكمال - ٦٠٢.
- أحمد الخلال اليميني: رسالة التحسين والتقيح - ٦٠٦.
- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي: السياسة الشرعية في صلاح الراعي والرعية - ٦٢٤.
- للمؤلف نفسه: مناظرة ابن تيمية مع البطايحية - ٦٢٦.
- للمؤلف نفسه: رسالة تتضمن الحديث في سؤال النبي عن الإسلام والإحسان وجوابه عن ذلك - ٦٢٧.

- للمؤلف نفسه: قاعدة في رد الغزالي في مسألة التوكل - ٦٢٨.
- للمؤلف نفسه: قاعدة في أفعال الحج - ٦٢٩.
- للمؤلف نفسه: قاعدة في الصبر - ٦٣٠.
- محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي: مناقب ابن تيمية الحرّاني - ٦٣٣.
- سراج الدين أبو حافظ عمر بن علي بن موسى البزار: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية - ٢١٥.
- مرعي بن يوسف الحنبلي الدمشقي: الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية - ٦٣٦.
- ابن قيم الجوزية: الكلم الطيب والعمل الصالح - ٦٣٧.
- للمؤلف نفسه: زاد المعاد في هدى خير العباد - ٦٣٨.
- للمؤلف نفسه: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام - ٢١٦.
- للمؤلف نفسه: تحفة المودود في أحكام المولود - ٦٤٠.
- للمؤلف نفسه: كتاب الروح - ٦٤١.
- للمؤلف نفسه: سفر الهجرتين وطريق السعادتين - ٦٤٢.
- الشوكاني اليمني: جواب الموحدين في دفع الشبه عن المجتهدين - ٦٤٤.
- للمؤلف نفسه: الدرر البهية في المسائل الفقهية - ١٤٥.
- الملحق ويشمل ست مخطوطات، منها:
- الإمام محمد بن الحسن الشيباني: رسالة في قرية تميم الداري - ٦٥٩.

خاتمة البحث ووفاة الحلواني

بعد أن تعرّض هذا البحث لشخصية هذا المفكّر الرّحالة، الذي بدأ حياته طالب علم، ثم مدرساً بالحرم النبوي الشريف بالمدينة، نجد أن رحلته العلمية لم تتوقف عند ذلك، فإذا هو طالب علم ثانيةً في رحاب الجامع الأزهر الشريف. يلتقي بعلماء عصره كعبد الرحمن بن عبد الوهاب ومحمد محمود التركي الشنقيطي - رحمهما الله - وتطورت أواصر العلاقة العلمية بين الحلواني والشنقيطي، فإذا هُما يأخذان خطوات فعّالة في مجالات البحث عن تراثنا العربي والإسلامي، يبحثان عن كنوزه وينشران منه ما تسمح به ظروفهما وظروف العصر نفسه.

وفي مصر التقى الحلواني - أيضاً - بالمستشرق كارلو لاندبرج ولا يستبعد أن الشنقيطي قد فعل ذلك، وذلك ما نستنتجه من محاولات «لاندبرج» في أن يقوم الشنقيطي برحلته إلى استكهولم لحضور مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في تلك المدينة الأوروبية سنة ١٨٨٨م التي رحل إليها الحلواني من قبل في سنة ١٨٨٣م. عارضاً للبيع - تحت ظروف مالية قاسية - تلك المجموعة الثمينة من المخطوطات العربية، التي أحرزت مؤسسة «بريل» بشرائها رصيماً علمياً في مجال اقتناء ونشر التراث العربي، وهو ما عُرفت به من قبل وما زالت محافظة عليها حتى الآن.

إلا أن ما صادفه الحلواني من مصاعب مالية أدت به إلى أن يتخلّص من التراث العزيز على نفسه، الذي قضى في نسخه وجمعه عدة سنوات من حياته العلمية في المدينة، تلك المصاعب لم تتسبب في أن يفقد الحلواني صلته القوية بهذا التراث، فإذا هو يستقر في الهند يتابع في موطن إقامته الجديد نشره، ولا نعلم إذا ما كانت الهند هي المحطة الأخيرة في رحلة مفكرنا الحلواني، فبعض من ترجموا له مثل محب الدين الخطيب يرون أن وفاته كانت بالهند^(١) ويرى الزركلي^(٢) أن تاريخ الوفاة كان في سنة ١٣١٦هـ - ١٨٦٨م وتُفصّل مقالة نُشرت في مجلة (المنهل) الظروف التي أحاطت بوفاته كما يلي:

«عندما تاق أمين حسن الحلواني إلى زيارة البلدان العربية في أواخر العهد العثماني، بارح المدينة المنورة وتوجه إلى طرابلس حاملاً معه «الربع العجيب» الذي كان يستخدمه لمعرفة اتجاه القبلة وأوقات الصلاة، وسير النجوم وحركاتها، فقد كان المذكور من أحذق علماء الفلك في وقته، مشغولاً بالبحث في هذا العلم، وقد قرأ عدة مؤلفات في علم الفلك قراءة درس وتمحيص. وكان أبيض اللون، ضعيف النَّظر، وكان يستعمل نظارة طبية للاستعانة بها في المطالعة والدرس، وعندما توغل في داخل البلاد اشتبه فيه الأعراب الطرابلسيون هناك وظنوه غريباً لبياض بشرته، ووجود نظارة طبية على عينيه، فانفقوا فيما بينهم على قتله ليلاً، وبالرغم من أن كثيراً من أهل طرابلس تدخلوا في الأمر وأفهموا الأعراب أن الرحالة عربي مسلم جاء من البلاد المقدسة، إلا أنهم لم يقتنعوا بذلك، بل قتلوه في

(١) مختصر مطالع السعود، المقدمة.

(٢) الأعلام: ٣٥٧/١.

آخر الأمر لاعتقادهم أنه غربي جاء يتجسس عليهم^(١).
ويستنتج كاتب المقالة أن وفاة الحلواني لم تكن في (بومباي) بالهند،
ذاكراً أنه استقى معلوماته من محمد نصيف^(٢) - رحمه الله - الذي كان
على صلة كبيرة بعلماء عصره في العالم الإسلامي.

(١) محمود عبد الوهاب الرحالة أمين الحلواني/مجلة المنهل، ج ١، ١٨٦ - ١٨٧، السنة الثالثة عشر، ربيع الآخر ١٣٧٢هـ، يناير ١٩٥٢م.

(٢) محمد بن حسن نصيف، ولد بجدة سنة ١٣٠٠هـ، عني بنشر مفيد الكتب وتوزيعها مجاناً على طلاب العلم، كما شارك بمقالاته الدينية والتاريخية والأدبية في صحافة المملكة العربية السعودية، وصحافة العالم العربي والإسلامي، وكانت مكتبته التي انتقلت فيما بعد إلى ملكية جامعة الملك عبد العزيز بجدة مرجعاً للمستنيرين والباحثين، وقد توفي - رحمه الله - في مدينة الطائف: سنة ١٣٩١ - ١٩٧١ ودفن في جدة.

انظر: عبد القدوس الأنصاري «موسوعة تاريخ مدينة جدة» ط ٢، ٣٤٩ - ٣٥٠، جدة: ١٤٠١هـ - ١٩٠م.

أمين بن حسن الحلواني بين الأسطورة والواقع

- لا شك أن «الحلواني» عاش في المدينة، وتنقل بين مصر، والهند، وهولندا، ثم بلاد الشام التي يقال إنه توفي بها. ولكن السؤال الذي ظل يبحث عن إجابة جازمة لها أهمية كبرى في معرفة هذه الشخصية، هو: حاصلته بأسرة «الحلواني» التي يعيش بعض أفرادها - إلى الوقت الحاضر - في المدينة المنورة؟ وإذا كان الشيخ حمد الجاسر، يذكر أن «الحلواني» كان يسكن في دار مطلة على حديقة العينية^(١)، فإن لهذه المعلومة دلالتها الهامة، حيث إن أسرة من آل الحلواني، وهي أسرة الشيخ عمر محمود حسن حلواني - رحمه الله - التي عرفت أخيراً، أنه ابن أخي الشيخ أمين، الذي نحن بصدد دراسة شخصيته.

هذه الأسرة كانت تسكن في دار تقع في منتصف شارع العينية، والذي أزيل لصالح توسعة المسجد النبوي في السنوات الأولى من القرن الخامس عشر الهجري. وكانت الدار بالتحديد خلف مكتبة ضياء المعروفة لبيع الكتب والصحف والمجلات، وكنت ألحظ في تلك الناحية أثراً لبستان

(١) رحلات، حمد الجاسر، ط، الرياض: ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ص ٢٠٣.

قديم يدل عليه وجود بقايا من النخل، والشيخ عمر حلواني الذي عرفته - شخصياً - في مطلع حياتي، كان من أعيان المدينة، كما كان والده الشيخ محمود - رحمه الله - رئيساً لبلدية المدينة - في أواخر العصر العثماني - كما أخبرني بذلك فضيلة الشيخ جعفر فقيه، ثم أصبح ابنه الأستاذ «محمود» والمسمى باسم جده، مساعداً لرئيس بلدية المدينة لفترة من الزمن، وهذا يدفعنا إلى القول إن «أمين الحلواني» الذي كان يدرس بالروضة الشريفة، في مطلع القرن الرابع عشر الهجري من أسرة لها مكانتها في بلد رسول الله - ﷺ - خصوصاً إذا ما علمنا، أيضاً، أن والده كان من الشخصيات البارزة في عصره، فقد أوفده الشريف «عبدالله ابن عون» أمير مكة سنة ١٢٧٩هـ، في مهمة رسمية إلى أمير نجد - آنذاك - المرحوم فيصل بن تركي، ولقد دوّن حسن الحلواني، بحسب رواية ابنه «أمين» انطباعاته عن هذه الرحلة في كتاب خاص^(١).

هذا الانتساب إلى أسرة عرفت بالعلم، والفضل، والمكانة، يدفع عن «الحلواني» تهمة الحصول على الكتب التي ابتاعتها منه مكتبة «ليدن» سنة ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م بطريقة غير مشروعة. ولقد ضمنني لقاء كريم بمعالي الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، فذكر لي أن فضيلة الشيخ حمد الجاسر يميل إلى هذا الرأي، وأني أمل أن يوضح أستاذنا الجاسر كل ما يتصل بهذه القضية، وخصوصاً أنه زار ليدين، عام ١٣٩٤هـ، مما يعكس اهتمامه الخاص - حفظه الله - بالمخطوطات التي نقلها «الحلواني» من المدينة إلى القاهرة، ثم إلى هولندا.

(١) مختصر كتاب «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود»، لأمين بن حسن الحلواني، «تحقيق محب الدين الخطيب»، القاهرة، ١٣٧١هـ، ص ١٠٥ - ١٠٦.

- على أنني أود أن أضيف - أيضاً - أنه في حالة افتراض حصول «الحلواني» على هذه الثروة العلمية من إحدى مكاتب المدينة فإنه يتعين بالتالي أن يكون «الحلواني» قد أسند إليه عمل يتصل بنسخ المخطوطات، أو مراجعتها، مدة إقامته بالمدينة، وهو أمر لم تشر إليه المصادر التي عنيت بالحلواني، وحياته العلمية. أما القضية الأخرى التي وقف عندها بعض الباحثين فهي صلة الحلواني بالمستشرقين الهولنديين، وعلى وجه خاص «بكارلو لندبرج» و «سنوك هورخزنيه».

أما الأول منهما، والذي أقام مدة بمصر لاضطلاعه بمهام سفارة دولة السويد، فلقد كان على صلة بالعلماء المسلمين، ومن بينهم العلامة محمد ابن محمود بن التلاميذ الشنقيطي (١٢٤٥ - ١٣٢٢) الذي عاش فترة من حياته في المدينة المنورة، كان فيها على صلة وثيقة بأمين الحلواني، ولا يستبعد أن تمثل شخصية «التركزي» حلقة الوصل التي ربطت بين الحلواني و«لندبرج» في صداقة علمية امتد أثرها إلى تصنيف «لندبرج» لمكتبة «الحلواني» التي اشترتها منه مؤسسة «بريل» في فهرس وضعه المستشرق المذكور باللغة الفرنسية، سنة ١٨٨٣م في مدة زمنية تقل عن شهر واحد، مما تسبب في ورود أخطاء عديدة وصفتها رسالة القيم (Curator) على القسم الشرقي بمكتبة «بريل» الباحث (J. J. Witkam) والموجه لي بتاريخ ٦ يناير ١٩٨٦م، بأنها أخطاء تصعب على الحصر، وكان هذا التصنيف غير الدقيق، وراء لجوء المؤسسة إلى تصنيف جديد لأسماء مخطوطات مكتبة «الحلواني» بصورة أدق ضمن فهرس عام صدر سنة ١٨٨٨م بإشراف الباحثين (M. J. Degpeje) و (M. TH. Houtsma).

ثم أخيراً ضمن عمل الباحث (P. Voorthoeve) والذي صدر سنة

١٩٨٠م، تحت عنوان قائمة المخطوطات العربية (The Hand List Of Arabic Manuscripts).

وبإمكان الراغب في معرفة جميع المعلومات الجديدة الخاصة بمخطوطات «الحلواني» الرجوع إلى الصفحات ٧٠٨ - ٧٢٧ من الفهرس الأخير.

أما العلاقة الأخرى التي أقامها الشيخ الحلواني - خلال حضوره مؤتمر المستشرقين (Orientalist Congress) سنة ١٨٨٣م، فكانت مع المستشرق والرحالة الهولندي المعروف «سنوك هوخرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦م). وتشير رسالة أمين القسم الشرقي بمكتبة بريل (Mitkam) التي أشرت إليها - آنفاً - أن المكتبة تحتفظ بصورة للشيخ «الحلواني» وعليها إهداؤه الخاص للمستشرق «سنوك» ولقد قام هذا الأخير بترجمة انطباعات Memoir صديقه «الحلواني» عن مؤتمر المستشرقين السادس من اللغة العربية إلى اللغة الهولندية، كما أن هذه الصورة القلمية تحتوي - أيضاً - على رسم للشيخ «الحلواني» نفسه، ويذكر الأستاذ المطبقاني أن «سنوك» قام بكتابة ترجمة الشيخ «الحلواني» لدائرة المعارف الإسلامية، ولكنني لم أعر على هذه الترجمة رغم أنني بحثت عنها ضمن عدد من المواد التي تم وفقها تصنيف الدائرة.

ولقد كانت العلاقة بين «حلواني» و «سنوك» مثار تساؤل من بعض الباحثين، وخصوصاً أن رحلة «سنوك» إلى مكة تمت بعد سنة من لقائهما في «ليدن»، فقد وصل الرحالة الهولندي إلى جدة في أغسطس ١٨٨٤م، وأقام بها إلى فبراير ١٨٨٥م، تحت اسم مستعار، هو عبد الغفار^(١)، وأقام

(١) موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، ط١، ١٩٨٤م، بيروت: ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

بمكة طوال ستة أشهر كانت ثمرتها كتابه الرئيسي عن مكة: (Makkah).

In The Latter Part of the 19th Century, Daily Life, Customs, and, Learning.

مكة في الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر: الحياة اليومية، العادات المعرفة)، وبين يدي طبعة الكتاب الإنجليزية، والتي قام بترجمتها J. H. Monahan السفير السابق بجدة، والتي صدرت عن مؤسسة «بريل» في لندن، ومؤسسة «لوزاك» في لندن سنة ١٩٣١م.

- وكتاب «سنوك» هذا ربما كان له ما يميزه عن كتب الرحالة الغربيين الأخرى، وهو اهتمامه بحلقات التدريس في الحرم المكي الشريف، التي يذكر أنها كانت في فترة إقامته بمكة تتراوح بين خمسين إلى ستين حلقة، وأنه كان يتم فيها تدريس السيرة النبوية بصورة علمية متميزة تعتمد على مقارنة الروايات ونقدها، واعتماد القوي منها، كما دوّن مشاهداته عن المناسبات العلمية التي كانت تعقد خاصة لإجازة الطلاب القادمين من العالم الإسلامي، في علوم الشريعة^(١).

ولعلّ أستاذنا الفاضل الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، الذي أخبرني، قبل فترة، بأن كتاب «سنوك» تتم ترجمته في جامعة أم القرى، تحت إشراف الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي، لعلّه يزودنا نتيجة لاهتمامه الخاص بدور الحرم المكي الشريف في نشر التعليم، في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، بمعلومات أخرى تخص «سنوك» وغيره من الرحالة الغربيين، الذين تمكّنوا من زيارة المناطق المقدسة في مكة والمدينة، مثل الرحالتين الإنجليزيين سير ريتشارد بيرتن وايلدون روتير.

(١) Mekka, in, the, Latter, Part of, the, 19th Century, p.p. 164, K87, 237.

وكما اختلف الباحثون حول جوانب عديدة من حياة «الحلواني» العلمية، والتي تدل على مثابرته، وطموحه، فإنهم اختلفوا كذلك حول الظروف التي تمت فيها وفاته. فبينما يرى بعض الباحثين أن وفاته كانت طبيعية في بلاد الهند سنة ١٣١٦هـ يذكر باحث آخر أنه توفي مقتولاً على يد أهالي مدينة طرابلس بالشام^(١). ويذكر مرجح هذا الرأي الأخير أنه استقى معلومات من فضيلة الشيخ محمد نصيف - رحمه الله - الذي كان على صلة كبيرة بعلماء عصره في العالم الإسلامي.

(١) الرحالة أمين الحلواني، محمود عبد الوهاب، مجلة المنهل، ج ١٨٦ - ١٨٧، السنة الثالثة

عشرة، ربيع الآخر ١٣٧٢هـ يناير ١٩٥٢م.

رائد الكلمة ومبدع القصيد السيد عبيد عبد الله مدني

(١)

إن صدور ديوان (المدينيات) لشاعر المدينة المنورة السيد عبيد مدني - رحمه الله - هو تكريم لذلك الرائد الذي كان إبداع الشعر أحد مواهبه المتعددة. ولعل الناظر في هذا الديوان يستطيع أن يجزم بأن صاحبه لم يكن ناظماً ولكنه الشاعر الذي غنى لسكون الليل وبكى لفقد الحبيب وتشوق لمربع الصبا التي يزيد بها ذلك التاريخ الحافل الذي شهدته في العصور الإسلامية الغابرة.

فالشاعر الذي يطيل الوقوف أمام قصر «سعيد بن العاص» بوادي العقيق ويرى في أطلاله روعة وجلالاً وفي حصباء الوادي الذي يحتضنه نضارة وجمالاً إنما ينفذ من ذلك الجلال الذي استجمعه قلبه وتلك النضارة التي تضوعت بها روحه إلى أعماق التاريخ تمثل أولئك الرواد الذين صنعوا أحداثه ويريد أن يستنطقهم فلا يحظى بما يريد، ولكأن نفسه الشاعرة تبحث في ذلك الاستنطاق عن السر الأبدي لهذه الحياة الذي تفردت بمعرفته القدرة الإلهية العظيمة.

ولئن استطاع الشاعر أن يقف عند تلك المآثر الإسلامية فيصور لنا

مدى إحساس نفسه بها وشغفه بتاريخها المجيد الذي هو تاريخ لكل فرد من أفراد أمة الإسلام والعروبة، فإن شاعرنا استجاب لتلك الأحداث التي عاصرها منذ حلول الحرب العالمية الأولى حتى تاريخ وفاته في نهاية عام ١٣٩٦هـ. وهذا دليل على أن السيد عبيد - رحمه الله - لم يكن يعيش في صومعة فكرية كما يظن البعض. وهذه قصائده التي دعيت بالوطنيات في الجزء الأول من الديوان تُرينا تلك النفس الكبيرة التي كان يحملها الشاعر بين جنبيه، نفس تفرحها تلك المواقف الإيجابية التي تتوق لأدائها كما يؤلمها تلك الصور السلبية التي تقع الأمة ضحيتها بسبب بعض الاجتهادات الفردية الخاطئة ومع هذا فإن الشاعر ينحو في معالجته لهذه المواقف منحى الحكيم الذي صقلته تجارب الأيام ولا يتردد في أن يستثمر تجربته تلك استثماراً تلمح من خلاله تلك المعاني القوية التي كان الشاعر يؤمن بها. فلنستمع إليه مخاطباً شيخه محمد العمري - رحمه الله - في شأن الأمة الإسلامية، وهي أبيات من قصيدة نظمها في عام ١٣٤٣هـ.

فيا شاعر الشرق المجيد ومن سمت به الضاد مجدداً واستوت منه في كهف تدارك رعاك الله شعباً مضيعاً تعمق فيه الجهل وانحط في الخسف تدارك رعاك الله شعبك إنه يجب فيافي الجهل في حالك الدجي يخبط فيها خبط عشواء هائماً ويسبح في بحر الغواية عائماً فثر فيه واترك لليراع سبيله وأمطر به في القوم ناراً وإن هم وبين لهم معنى الحياة فإنها

به الضاد مجدداً واستوت منه في كهف
تعمق فيه الجهل وانحط في الخسف
يهيم به التضليل في المهمة القف
ورائده الأهواء في المظلم العسف
فمن سبب سهل إلى هضبة زلف
يقلبه التيار بالزفzf العصف
فقد بات حيناً لا يبين ولا يخفي
أثابوا إلى الحسنى فويلاً من العطف
نأت عنهم لكن يطل من السجف

فذاك (هيجو) قد أهاب بنهضة أقام بها الشعب الفرنسي من الضعف
نهوضاً فقد طال السكوت وهذه أعاصيره تسفي على الشعب ما تسفي
وثابر ولا يثبط نهوضك دونه فقد يسلم المفؤود من حافة الحنف

- رحم الله أبا عدنان، فما أجدرنا اليوم بعد انقضاء أكثر من ستين
عاماً على إنشاء بعض قصائده أن نصغي لصوته الشعري المتجدد والذي
يلتزم بقضايا أمته ويعيش همومها وأحداثها، وذلك الفرق بين قصيد يموت
بعد ولادته وآخر يردده، بدون ملل، فم الزمان لأبنائه.

(٢)

تطرقت في الموضوع السابق لشاعرية السيد عبيد، ومدى التزامه
بقضايا أمته المصيرية والتي عبر عنها بوضوح وصدق في تلك القصائد التي
دعاها ناشرو الديوان من أبناء السيد عبيد نفسه بالوطنيات ولقد عرفت بيئة
المدينة المنورة منذ العصر الجاهلي حتى وقتنا الحاضر بكثرة الشعراء إلا
أن الدارس للإنتاج الشعري الذي أبدعه شعراء المدينة المنورة منذ القرن
الثاني عشر الهجري بإمكانه أن يقف على عدد من تلك القصائد التي
تسعى للتعبير عن القضايا التي تهتم الأمة الإسلامية والعربية... ويعتبر
السيد جعفر محمد البيتي (١١١٠ - ١١٨٢هـ) الذي نظم ملاحمه الشعرية
في وصف أحوال المجتمع المدني وتحذير الخلافة العثمانية من مغبة
التساهل تجاه الأراضي المقدسة، أول رائد لهذا الفن الشعري القوي..
ولعلّ الشاعر إبراهيم الأسكوبي (١٢٦٤ - ١٣٣١هـ) قد تأثر بسلفه البيتي
وربما وجدنا آثاراً لذلك الشاعر في قصيدته المشهورة التي نظمها قبل
الحرب العالمية الأولى ووجهها إلى حلفاء الدولة العثمانية صيحة إرشاد

وتنبه من الأعداء الذين لا يكفون عن السعي للنيل من الإسلام وأهله . ثم كانت قصائد الشيخ محمد العمري (١٢٨٢ - ١٣٦٥هـ) التي يخاطب فيها بعض دول الاستعمار الأوروبية التي عانت من ظلمها وتعسفها كثير من الشعوب الإسلامية لزمن غير قصير . . . ولقد كان الشاعر العمري - رحمه الله - رافداً فكرياً مؤثراً في حياة السيد عبيد - رحمه الله - كما يذكر الأستاذ عبد القدوس الأنصاري - رحمه الله - في المقدمة التي كتبها للديوان في عام ١٣٧٧هـ . فلا غرابة إذن أن نجد عند محاولتنا لقراءة وطنيات السيد عبيد ملامح من ذلك الموروث الشعري القديم ابتداء من البيتي وانتهاء بالعمري .

وربما أدى إلى ذلك التأثير قراءة السيد عبيد لذلك الموروث حيث اشتملت مكتبته على عدد من الدواوين الشعرية المخطوطة ومن بينها مخطوطة ديوان السيد البيتي والتي تمكنتُ من الاطلاع عليها بعد وفاة السيد عبيد كما اطلع عليها الأستاذ الناقد عبد الرحيم أبو بكر - رحمه الله - ولعلّه أفاد منها فيما كتبه عن البيتي في كتابه (الشعر الحديث في الحجاز) . ولقد علمتُ أخيراً من السيد عدنان مدني أنه عثر في مكتبة والده على النسخة الأصلية لديوان الشاعر إبراهيم الأسكوبي وهي النسخة التي اعتمد عليها السيد عبيد في جمع شعر الأسكوبي وتدوينه . . أما النسخة التي يحتفظ بها السيد علي حافظ في مكتبته بجدة فلقد اعتمد في تدوينها على نسخة السيد عبيد كما علمت من أخيه الفاضل السيد عثمان .

ولئن أدت العوامل المكوّنة للاتجاه الفكري للشاعر إلى تأثره بأولئك الشعراء المشهورين من شعراء المدينة المنورة وما نتج من ذلك من توجيه للإبداع الشعري عنده تجاه بعض المسارات التي تميزت بها الحركة الشعرية

في المدينة المنورة لعدة عصور متلاحقة فإن إسهاماته النقدية المحدودة تعطينا بعض الدلائل على مدى إعجابه بأولئك الشعراء . . . ولقد كان لذلك الإعجاب إيجابياته التي تمثلت في الحفاظ على جزء من التراث الأدبي ثم فيما أفادته الحركة الأدبية في بلادنا من هذا التراث . . . فلقد كانت كتابات السيد عبيد النقدية مرجعاً لأولئك الذين اهتموا بدراسة أدب الجزيرة العربية في العصر العثماني . . . ولعلّ لنا عودة أخرى إلى هذا الأديب الذي وصفه الأستاذ عبد العزيز الربيع - رحمه الله - يوماً بأنه (أديب متعدد المواهب).

أديب أهمله بنو قومه الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ

ليس غريباً أن يولد الناس شعراء في بلد المصطفى - ﷺ - . فلقد كانت المدينة موطناً للشعر منذ العصر الجاهلي فبالإنشاد الذي عرف بأنه سابق للكلمة الموزونة أو رديف لها ولاحق لبدايتها بذلك الإنشاد أرشد بنو النجار النابغة إلى موضع الإقواء في شعره وبالإنشاد - أيضاً - استقبلوا فرحين هادي الأمة - ﷺ - في قباء وكان منهم هتاف الروح الذي تجاوزت معه كل ذرات الوجود وفي كلماتهم تجسد الحب الذي صنع المجتمع الإسلامي فكان كالبنيان المرصوص والجسد الواحد الذي لا يصيبه وهن ولا يعتريه باطل ولا تخترقه الأكاذيب والتخرصات .

وحتى عندما خفت صوت الكلمة الشاعرة إلى حين في بعض المواطنين من العالم العربي كانت المدينة تمثل الموطن الذي يحتمي به الشعر من عوائد الدهر ونوائبه، وتتحصن موسيقى الكلمة بجباله الشاهقة وأطمه المنيعه، ويولد بين ظلال نخيله الصوت الحسن والوجدان الصادق وما علينا إلا أن نعود إلى حقبة القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين حيث كان الأدب يتجافى عن التجربة الحية والكلمة تثقلها قيود البديع ويحد من حركتها جفاف المصطلح حيث توارت الفصحى التي نزلت بها

آيات القرآن وتحدث بها بلغاء العرب وبلغوا بها رسالة الإسلام ودعوة الحق، في تلك الحقبة التي كان يبحث فيها الناس عن شعر يجسد واقع الأمة ويبعث في أبنائها تلك الروح التي اعترأها الخمول وذهب بانطلاقتها التخلف والجمود... في الحقبة نفسها عرفت المدينة من يجلس للدرس بين سوازي مسجدها صباحاً وينشد الكلمة الشاعرة في منتديات الأدب فيها ليلاً؛ ولقد خلدت (أبارية) برادة و(أنورية) العشقي روائع الشعر ونفائسه. وإذا ما عاد الدارسون اليوم إلى نماذج من شعر عبد الجليل برادة وإبراهيم الأسكوبي ومحمد العمري فإنهم لن يترددوا في القول إن التجديد في الشعر في العصر الحديث عرفته جزيرة العرب كما عرفته ديار مصر والشام وغيرها من أقطار الإسلام والعروبة.

وكان الوريث لهؤلاء الثلاثة الذين ذكرنا هو السيد عبيد عبد الله مدني - رحمه الله. وباستثناء الومضات النقدية التي دونها الأستاذ عبد الله عبد الجبار في دراسته القيّمة عن الأدب السعودي حول إنتاج هذا الرائد إلا أن صاحب المثنيات المعروفة يظل ينتظر الفارس المرتقب الذي يكشف عن قيمة إنتاجه الشعري وخصوصياته ودوره في دعم مسيرة الأدب السعودي ثم جاء من بعده جيل ساهم في دفع حركة الشعر في العالم العربي نحو آفاق الإبداع ومجالات التجديد وهو جيل لم يتوقف عند آثار الماضي مجتراً تجارب الآخرين ومحاكياً لأساليبهم ولكنه أيضاً لم يتنكر لتراثه وينقطع عن جذوره كان من هؤلاء عبد السلام حافظ ومحمد هاشم رشيد وماجد الحسيني وعبد الرحمن رفة ومحمد العامر الرميح ومحمد العيد الخطراوي وحسن الصيرفي وخالد رجب وكان هذا الأخير عبقرية شعرية فذة إلا أن شعلة الحياة انطفأت فيه فجأة كما أخبرني بذلك أستاذنا الفاضل محمد

حميدة والذي كان زميلاً لهذا الشاعر في المرحلة الابتدائية. ولعل في كتاب المرحوم الأستاذ عبد العزيز الربيع «ذكريات طفل وديع» ما يشير إلى آثار هذه العبقرية التي ربما كانت في بروزها واختفائها المفاجئ تتشابه في جوانبها مع عبقرية القاص «محمد عالم أفغاني» أحد أعضاء الأسرة الأدبية بالمدينة والذي كان - رحمه الله - له مع زميله الآخر علي رضا حوحو دور متميز وجدير بالدراسة في نشأة فن القصة في بلادنا كما أشار إلى ذلك معالي الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في إحدى دراساته النقدية التي سبق له أن نشرها بمجلة المنهل الغراء.

ولكن عبد السلام حافظ لم يتوقف إبداعه عند فن الشعر فلقد أخذه طموحه إلى عوالم أخرى من الكتابة منها: التاريخ، والسيرة النبوية، والدراسة الأدبية، والقصة أيضاً. ففي التاريخ توجهت جهوده للكتابة عن جوانب من تاريخ المدينة وفي السيرة نجده يسبر أعماق الماضي ويتجول بين آثار عظمائه ليخرج لنا مصدراً علمياً في سيرة سيد العظماء ﷺ ولم يكن غريباً على هذا الرائد وهو الذي حلقت روحه في أجواء ذلك المقام البهي وتنسجت الشذى العبق بين مرابع الخير ومنازل الوحي أن يشارك بإحساسه وقلمه في تصوير هذا الماضي العظيم.

لم تحل الظروف بينه وبين المشاركة والتفاعل الإيجابيين؛ فلقد كان قلمه متدفقاً ينبؤك عن ذلك النبع الثر الذي كان يختبئ في أعماقه وتنطوي عليه روحه التي قاومت المرض حيناً وصادقته حيناً آخر ولم يحن أديبنا ظهره لعوائد الدهر، ولكنه كثيراً ما توكأ على عصاه، وهذا قدر المبدعين، يتجول بين دور العلم ليبحث عن كتاب أو يحقق معلومة أو يشارك في ندوة علمية. ولم يسقط القلم من بين يديه؛ فلقد ظل وفياً للكلمة النظيفة

حتى في تلك الظروف التي يظن الآخرون أن اليأس فيها تغلب على الأمل وأن الظلام قد يحول بين بزوغ الفجر وانتشار الضياء.

اليوم يرقد هذا الرائد على فراش المرض وهو الذي كان دائماً منتصب القامة مرفوع الرأس شامخ الأنف، ولكنه قدر الله وإرادته والتسليم هو عقيدة الموحدين ودرع الصابرين، وإنما عتبنا على أحباب لنا في (نادي المدينة الأدبي) عرفوا هذا الرجل عن قرب وعاشوه عن تجربة ولكنهم نسوه في غمرة شؤون هذه الدنيا الفانية أما وإنهم لم يكرموا فقد ظلموه ولعلهم في يوم يكون قريباً أن ينصفوه.

الشيخ جعفر بن إبراهيم فقيه

نسبه وأسرته :

- ينتسب الشيخ جعفر بن إبراهيم فقيه إلى عائلة فقيه، التي كانت تقطن مكة المكرمة، وذكر منهم مؤلف كتاب (نشر النور والزهر) الشيخ «سليمان بن أحمد بن جعفر فقيه» (١٢٥٧هـ - ١٣١٥هـ) وأشار إلى أنه قام بالتدريس بالمسجد الحرام واشتغل بالخطابة والإمامة لمدة من الزمن، ثم ذكر - في آخر ترجمة سليمان هذا - أن: بيت الفقيه الموجودون بالمدينة المنورة هم أولاد أخيه الشيخ مصطفى، فإنه قد تديرها ومات بها^(١).

ولا نجد مؤلف كتاب (تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب) يذكر شيئاً عن أسرة آل فقيه بالمدينة، وهو أمر طبيعي، لأن انتقال جزء من الأسرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة قد تم بعد انقضاء القرن الثاني عشر الهجري، وهو الزمن الذي أُلّف فيه «عبد الرحمن الأنصاري» كتابه عن أنساب أهل المدينة المنورة^(٢).

(١) عبد الله مرداد أبو الخير: المختصر من كتاب «نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر» - اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، مكة: ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ج ١، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) يذكر الأستاذ محمد العروسي المطوي، محقق كتاب «التحفة» أن وفاة الأنصاري كانت في عام =

ولادته ودراسته العلمية:

- وُلد الشيخ جعفر فقيه بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٠هـ، وطلب العلم في حلقات المسجد النبوي الشريف، ومنها حلقة الشيخ إبراهيم الطرودي. ومن زملائه في هذه الحلقة العلمية: السيدان علي وعثمان حافظ.

ثم انقطع التدريس في حلقات الحرم النبوي الشريف، لقيام الحرب العالمية الأولى. وبعد أن انقضت شؤون الحرب استأنف صاحب الترجمة دراسته في حلقة الشيخ عبد الفتاح أبو خضير، وكانت الدراسة في هذه الحلقة دراسة دينية فقهية ووقتها بعد صلاة العصر.

أما حلقة الشيخ «حميدة» فلقد كان يؤمها بعد صلاة الفجر لدراسة كتاب (الشفاء) للقاضي الفضيل بن عياض، وكان مكان هذه الحلقة بين بابي الرحمة والسلام بالمسجد النبوي الشريف.

وكان يؤم حلقة أخرى يقوم بالتدريس فيها عبد الرؤوف عبد الباقي، قرب الحجرة النبوية، وكانت متخصصة في الحديث النبوي.

ومما درسه الشيخ جعفر في هذه الحلقة، كتاب «صحيح الإمام مسلم».

أما الدروس التاريخية فلقد كان يتلقاها من فضيلة الشيخ عبد القادر شلبي - رحمه الله - في مدرسته التي كانت تقوم بحي ذروان^(١) وهو حي كان يقوم بالقرب من المسجد النبوي الشريف.

= ١١٩٥هـ، انظر: تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب. تونس: ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م (المقدمة).

(١) ينطقه عامة أهل المدينة «بضروان» وقد هدم هذا الحي لصالح التوسعة السعودية الأخيرة.

ويذكر الشيخ جعفر أنه استفاد كثيراً من دروس الشيخ الشلبي، الذي كان متخصصاً في تاريخ المدينة، فلقد كان واحداً من العلماء الذين انتخبهم فخري باشا، قائد المدينة، لتدوين تاريخ المدينة النبوية.

أما بقية العلماء الذين تم انتخابهم فإن ذكرة الشيخ جعفر تسعفه بأسماء المشايخ أحمد كماخي، وأبو بكر داغستاني، ونذير خاشقجي.

ولم يكتف الشيخ جعفر بالحلقات، التي كانت تنعقد في رحاب المسجد النبوي الشريف، بل كان يؤم بعض المجالس العلمية الخاصة، كمجلس الشيخ زكي برزنجي وابنه جعفر في دارهم الكائنة بباب المجيدي، ولقد كانت تدور بعض المناقشات العلمية والمناظرات الفقهية في مجلس آل البرزنجي هذا. وكان عدد كبير من الناس يؤم هذا المجلس العلمي.

مشاركاته وأعماله الوظيفية :

- في سنة ١٣٤٩هـ افتتح الشيخ جعفر مكتبة (الإخاء) في باب الرحمة، وكان التعاون قائماً بين مكتبة الإخاء هذه، ومكتبة البابي الحلبي المشهورة في القاهرة، ومكتبة الشيمي في الإسكندرية.

وعندما بدأ مشروع التوسعة السعودية الأولى للحرم النبوي الشريف، في عام ١٣٧٠هـ تم تعيين الشيخ جعفر مديراً لمكتب بن لادن بالمدينة المنورة لشؤون التوسعة، وفي عام ١٣٧٢هـ أصبح فضيلة الشيخ صالح قزاز مديراً لهذا المكتب، وتم تعيين الشيخ جعفر مساعداً له، ولقد ظل الأخير في عمله هذا إلى أن انتهت العمارة في عام ١٣٧٥هـ.

وبعد انتقال الشيخ القزاز إلى مكة المكرمة للإشراف على توسعة الحرم المكي - أسندت أعمال المكتب ثانية للشيخ الفقيه، وظل في هذا

العمل إلى سنة ١٣٨٢هـ، وهي السنة التي كلف فيها من قبل مديرية الأوقاف بمكة المكرمة بمهام المديرية العامة لمكتبات المدينة المنورة، ثم تم حصر الوظيفة في الإشراف على شؤون المكتبة العامة حتى سنة ١٣٨٨هـ.

جهوده العلمية:

- قام الشيخ جعفر فقيه بالاشتراك مع الأستاذ هاشم دفتردار بتأليف كتاب عن توسعة الحرم النبوي الشريف. وضم الكتاب فصلاً عن توسعات المسجد النبوي التاريخية، والأسباب التي دعت إلى التوسعة السعودية الأولى، وصدور الأمر الملكي الكريم بذلك، وعن المسجد النبوي الشريف قبل التوسعة، ثم عن المسجد النبوي الشريف بعد العمارة، التي ابتدأها الملك عبد العزيز، وأتمها الملك سعود، - رحمهما الله - لتصبح المساحة التي انتهت بها توسعة المسجد النبوي الشريف هي ١٦٣٢٦م^٢ وتوضح أعمال هذه التوسعة خارطة خاصة بالتوسعة السعودية الأولى، كما يضم الكتاب فصلاً عن مساجد المدينة المنورة وإصلاحها، وعن المستشفى الذي تم إنشاؤه بالمدينة، وأطلق عليه اسم: «مستشفى جلالة الملك عبد العزيز» ثم عن مبنى الكلية الإسلامية، الذي تم تعميمه ليصبح مقراً لمدرسة طيبة الثانوية.

وقد رعى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، رعاه الله، الذي كان عندئذ وزيراً للمعارف، مهمة استلام مبنى هذا الصرح العلمي.

كما تطرق الكتاب للمشروعات الكثيرة التي تمت في تلك الفترة في بلد المصطفى - ﷺ - ومنها: إنشاء خزانات ماء الشرب، وإنشاء محطة

الكهرباء، وتعبيد طرق المدينة وإنشاء طريق جدة - المدينة، وإقامة السدود الزراعية العديدة.

كتاب خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى - ﷺ :

- وهو أحد مؤلفات مؤرخ المدينة نور الدين علي بن عبد الله السمهودي (٨٤٤ - ٩١١هـ) وقد ألفه المؤلف - كما يذكر الشيخ حمد الجاسر سنة ٨٩١ هـ، وقد اختصر فيه كتابه «وفاء الوفا» في نحو نصفه مع جمع مقاصده^(١).

قد طبع الكتاب عدة طبعات، أولها في بولاق سنة ١٣٥٨هـ^(٢) ثم نجد طبعة أخرى لهذا الكتاب، وقد أشرف على طباعتها الشيخ جعفر فقيه، سنة ١٣٦٧هـ وقامت دار إحياء الكتب العربية بنشره، كما قام الشيخ جعفر نفسه بنشر الكتاب للمرة الثانية في عام ١٤٠٣ - ١٩٨٣م. وهذه الطبعة بتعليقات والده الشيخ إبراهيم الفقيه - رحمه الله.

ولا بد من الإشارة إلى طبعة أخرى للكتاب نفسه قام بها المرحوم الشيخ محمد سلطان النمكاني في دمشق، سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م وكتب الشيخ حمد الجاسر مقدمة قصيرة لها، كما يذكر الشيخ الجاسر أن كتاب الخلاصة ترجم إلى اللغتين الفارسية والتركية^(٣).

ذكريات طيبة :

- كما نشر الشيخ جعفر، في عام ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م، كتاباً للأستاذ

(١) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض: ط ١، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م (المقدمة).

(٢) رسائل في تاريخ المدينة، بتقديم حمد الجاسر، الرياض: ط ١، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق نفسه.

هاشم دفتردار، عن أسرار الحج والزيارة، وتضمن عدة مباحث هامة،
منها:

- عن عوالم المادة، وعوالم الروح.
- عبادة الخالق، وعبادة المخلوقات.
- لا وثنية ولا إشراك في الإسلام.
- لا خلاف بين العلماء في أصول العقائد والتشريع.
- خلاصة السيرة النبوية.
- أركان الإسلام.
- الحج.
- العمرة.
- الأنساك الثلاثة: الأفراد والتمتع والقران.
- دار الهجرة.
- أثر المسجد النبوي في أنفس الزوار.
- آداب دخول المسجد النبوي.
- مساجد رسول الله ﷺ في طيبة، كمسجد قباء، والجمعة، والقبلتين
والإجابة، والراية، والسقيا، ومسجد بني ظفر، ومسجد المصلى، ومسجد
الفضيخ.

القسم الثاني
الدراسات التاريخية

«ابن شبة» بين الدكتور سليمان الغنام والأستاذ فهم شلتوت

- بجهود السيد حبيب حمود أحمد، وتحقيق الأستاذ فهم محمد شلتوت تم مؤخراً إخراج كتاب (تاريخ المدينة المنورة) لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصيري، محققاً في أربعة أجزاء، وتم طبعه في دار الأصفهاني للطباعة بجدة.

يذكر الأستاذ شلتوت، في مقدمة الكتاب «أن هذا الكتاب ظل مجهولاً، لا نعرف عنه إلا اسمه، ولم يذكر - بروكلمان - أن مكتبة، في العالم تحوي نسخة منه، وكان جل اعتقادنا^(١) فيما ينسب إلى هذا الكتاب على نقول السهمودي^(٢).

وإثباتاً للحقيقة العلمية - فلقد قام الدكتور سليمان محمد الغنام، الأستاذ المشارك بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة (سابقاً)، بتحقيق الجزء الأول من المتبقي من كتابه (أخبار المدينة المنورة) تحت إشراف البروفسور «بوزورث» رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر

(١) هكذا وردت، ولعلّ الصحيح اعتمادنا.

(٢) مقدمة الكتاب: م.

بالمملكة المتحدة، ونال عليه درجة (الدكتوراه) من الجامعة نفسها، سنة ١٩٧٣م^(١).

وقد قدم الدكتور الغنام رسالته في جزئين: الأول نص الجزء الذي حققه من المخطوطة، وينتهي بذكر فصل بني هاشم وغيرهم من قریش وقبائل العرب، في أربعمئة وسبع وستين صفحة - باللغة العربية.

والثاني: دراسة علمية - باللغة الإنجليزية - تتضمن: حياة المؤلف ومؤلفاته.

دراسة مختصرة عن مؤرخي المدينة المنورة المتقدمين: تبتدئ بعبد العزيز بن عمران الزهري المدني (ت ١٩٧هـ) وتنتهي بهارون بن زكريا الهجري (من أهل القرن الثالث والرابع الهجري).

- وصف المخطوطة وتأليفها.

- تاريخ نسخ المخطوطة وناسخها.

- جداول مختلفة للآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، المصطلحات

العلمية الواردة في نص المخطوطة.

- مختصر لمحتويات الكتاب.

- فهرس لشيوخ المؤلف، ورجال السند، والشخصيات وأسماء

المواضيع.

(١) انظر: فهرست الرسائل العلمية بالمملكة المتحدة لعام ١٩٧٣ - ١٩٧٤م، فصل اللغات

الأخرى ص ٤٦٧، لندن: ١٩٧٥م.

مخطوطة الكتاب

- يشير الشيخ «حمد الجاسر» - إلى أنه لم يصل إلينا من كتاب «ابن شبة» إلا قطعة اطلع عليها السمهودي، ونقل عنها كثيراً، وهي - الآن - في مكتبة رباط مظهر في المدينة^(١).

ولعلّ الشيخ حمد كتب دراسته عما أسماه بقطعة من كتاب «ابن شبة» في مجلة (العرب) في سنتها الرابعة^(٢).

ولقد أشار الدكتور الغنام - إلى أن رشيد ملحس هو أول من أشار إلى وجود مخطوطة الكتاب، في جريدة (أم القرى) الأسبوعية التي كانت تصدر بمكة المكرمة ١٧ - ٢٤ شوال، ٢ ذو القعدة ١٣٥٢هـ، ٩/٢ و ١٦ فبراير ١٩٣٤م - في دراسة قدمها عن تاريخ «المدينة المنورة وولاتها».

ولقد تضمنت مقالته، عن هذه المخطوطة، الإشارة إلى المكتبة الخاصة، التي توجد بها، مع إعطاء وصف مختصر لها، وقائمة بمحتوياتها، مع توثيق نسبتها إلى عمر بن شبة.

ولقد تنبّهت إلى وجود ملاحظة كتبت في حاشية رسالة الدكتور الغنام - تعنى بتصحيح اسم كاتب المقالة: حيث إن اسمه الكامل هو: رشدي الصالح ملحس، ولعلّ كاتب الملاحظة هو الدكتور إبراهيم الزيد الأستاذ (سابقاً) بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز^(٣).

إنه مما يدعو إلى التساؤل أن مؤرخاً كالسخاوي، لا يشير إلى اسم

(١) المغنم المطابة في معالم طابة، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي - قسم المواضع - تحقيق حمد الجاسر، المقدمة - ز - ط ٢، ١٩ - ٩٦.

(٢) رسائل تاريخ المدينة، تقديم حمد الجاسر، ص ٤١، ١، ٩٣ - ٧٢.

(٣) ابن شبة - د. الغنام، النص الإنجليزي، ص ٤٦.

كتاب «ابن شبة» مع عنايته الخاصة بتاريخ المدينة المنورة، بل هو يكتفي بالقول: «المدينة النبوية لعمر بن شبة كما في ترجمته، وهو عند صاحبنا ابن فهد نقله من نسخة بخط شيخنا كانت عند ابن السيد عفيف الدين»^(١).

ولقد عني الشيخ الجاسر بشرح عبارة السخاوي: «وأقول: يقصد ابن فهد: عمر بن محمد، وشيخه هو ابن حجر، وعفيف الدين هو المطري عبد الله بن محمد بن أحمد - ٦٩٨ - ٦٧٥^(٢) ولم يناقش الأستاذ فهيم شلتوت، في مقدمته لتاريخ ابن شبة، قضية اسم هذا الكتاب، ولكنه اكتفى بوضع اسمه الكامل «كتاب تاريخ المدينة المنورة» إلا أن الدكتور الغنام يناقش قضية عنوان الكتاب، اعتماداً على أن «ابن النديم» في «الفهرست» يذكره باسم «كتاب المدينة» و «ابن النديم» يعد مصدراً أولاً.

أما المصادر الأخرى: مثل ابن عبد البر، وابن حجر، والسمهودي فتذكره باسم (كتاب تاريخ المدينة المنورة) وهو يستنتج على أنه من المؤكد قد توافرت لهؤلاء المؤلفين نسخ متعددة، من هذا الكتاب، قد اطلعوا عليها، وأفادوا منها في أماكنهم وأوقاتهم، كما يرجح أن «ابن النديم» لم يطلع على نسخة منه^(٣).

وبينما يرجح الأستاذ شلتوت على أن نسخة مكتبة مظهر الفاروقي - هي نسخة الحافظ ابن حجر اعتماداً على مشابهة خطها، لما نسخه بيده

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، حققه وعلّق عليه بالإنجليزية: فرانز روزنثال، ترجمة د. صالح أحمد العلي، ص ٩٠٢، بغداد: ٨٢ - ٦٣، انظر كذلك: علم التاريخ عند المسلمين - ترجمة د. صالح أحمد العلي، ٦٤١، بغداد - نيويورك: ١٩٦٣ م.

(٢) المغانم المطابة، المقدمة: ز.

(٣) الغنام - النص الإنجليزي: ص ٥٠.

من الكتب المحفوظة بدار الكتب المصرية، مستبعداً أن تكون من خط السخاوي، كما ذكر في هامش المخطوطة^(١) يؤكد الدكتور الغنام أن هذه النسخة من الكتاب، هي التي اطلع عليها السمهودي، وأفاد منها في (الوفاء)^(٢).

- يفترض الأستاذ شلتوت - عند تعرضه لمؤلفات ابن شبة أن كتاب (أمراء المدينة) هو نفسه (تاريخ المدينة) الذي بين أيدينا. ولعلّ الذي دعا الأستاذ الكريم إلى افتراض ذلك هو أن الجزئين الثاني والثالث، من الكتاب، يشتملان على وصف تاريخي لحياة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان - رضي الله عنهما - بينما ركز الجزء الأول على حياة الرسول ﷺ - وسيرته^(٣).

لم يجزم الدكتور الغنام برأي، في هذا الموضوع، عند تعرضه لقضية الكتابين المذكورين، بل يفترض أن ما يسمى بأمراء المدينة هو جزء من كتاب «أخبار المدينة» ولا يستبعد أن الجزئين الثاني والثالث وضعاً معاً بيد متأخرة^(٤).

يعضد الدكتور الغنام رأي الشيخ حمد الجاسر في أن أول من دوّن تاريخاً منفصلاً للمدينة المنورة هو عبد العزيز بن عمران الزهري المدني، المعروف بابن أبي ثابت العرج، حيث يفيد الشيخ الجاسر: «أن صاحب الفهرست ذكر له مؤلفات، وتدل النصوص، التي أوردها صاحب كتاب

(١) شلتوت - المقدمة: م.

(٢) الغنام - النص الإنجليزي: ص ٤٨.

(٣) شلتوت - المقدمة: ي.

(٤) الغنام - النص الإنجليزي: ص ٥٠.

(المناسك)، على عنايته بتاريخ المدينة. كما تدل على ذلك نصوص أخرى نقلها السمهودي من كتاب: تاريخ المدينة، لابن شبة، وقد توفي ابن عمران هذا سنة ١٩٧هـ^(١).

بينما يعتبر الأستاذ فهيم شلتوت - أن أول مؤلف في تاريخ المدينة هو كتاب محمد بن الحسن بن زباله^(٢). ولقد اعتمد الأستاذ شلتوت - في رأيه هذا على بروكلمان. الذي أشار إلى أن أول من ألف في تاريخ المدينة المنورة بصورة خاصة هو محمد بن الحسن بن زباله، من تلاميذ مالك بن أنس، ولقد أتم كتابه في صفر سنة ١٩١٩هـ، سبتمبر، أكتوبر سنة ٨١٤ م، ولكن لم يبق منه شيء، ولقد قام المستشرق «فستنفلد» باستخراج كتاب «ابن زباله» من كتاب السمهودي، ونشره سنة ١٨٦٤م^(٣).

ولقد حدد الأستاذ فؤاد سزكين - موقفه، من هذه القضية، قائلاً: «ولا نستطيع أن نحدد الكتب، التي ألفت في تاريخ المدينة المنورة، ومع هذا يبدو أن محمد بن الحسن بن زباله المخزومي - كان أحد المؤلفين الأوائل^(٤).

ولم يتوسع كثيراً في الحديث عن كتاب ابن شبة بل أورده تحت اسم (أخبار المدينة) معتمداً على أن «الزركلي» في كتابه (الأعلام) قد ذكر قسماً منه قد وصل إلينا، كما أن هناك قطعاً منه في «الإصابة»^(٥).

(١) المغانم المطابة، المقدمة: و.

(٢) شلتوت - المقدمة: ل.

(٣) تاريخ الأدب العربي - بروكلمان - عبد الحليم النجار: ج ٣، ص ٢٤، ٢٥، ١٩٦٩م.

(٤) تاريخ التراث العربي - فؤاد سزكين - ترجمة: د. محمود حجازي، د. فهمي أبو الفضل، المجلد الأول، ص ٥٥٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

(٥) المصدر السابق نفسه: ص ٥٥٦.

- في ختام هذه الكلمة الموجزة عن أحد المصادر الهامة في تاريخ مدينة الرسول - ﷺ - وتسجيل أحداث سيرته المباركة، والعناية بوصف أحوال المجتمع المدني، في عهدي الخليفتين عمر بن الخطاب، وعثمان ابن عفان - رضي الله عنهما - تجدر الإشارة لجهد السيد حبيب محمود أحمد، الذي قام بطبع الكتاب ونشره على نفقته، والإشادة بالجهد العلمي المثمر، الذي بذله الأستاذ الفاضل فهيم محمد شلتوت، في تحقيقه، كما تجدر الإشارة إلى جهد الدكتور بكري شيخ أمين، الذي قام بوضع فهرس الكتاب المتنوعة، مما يسهل الرجوع إلى موضوعاته وأعلامه، كما أنه لا بد من الإشارة لمشاركة الأستاذ أحمد هاشم مجاهد، الذي عمل على تقديم مخطوطة الكتاب للأستاذ المحقق، والله ولي التوفيق.

أبو بكر المراغي وكتابه (تحقيق النصره)

- المؤلف أبو بكر بن الحسين بن عمر القرشي العيشمي، الأموي، العثماني، المراغي، المصري، الشافعي. ولد في (القاهرة) ٧٢٧هـ - ١٣٢٧م. وهاجر إلى «المدينة» واستقر بها لحوالي خمسين عاماً، ولقد تقلد - خلال حياته بالمدينة - عدة مناصب دينية: منها: القضاء، والوعظ، والإمامة، وكانت وفاته بها في عام ٨١٦هـ - ١٥١٤م^(١).

- الكتاب: عنوانه بالكامل هو (تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة) وقد اعتمد عليه الإمام «السمهودي» في كتابه المعروف (الوفاء) واقتبس نصوصاً منه في تسعة وعشرين موضعاً، ولقد ذكر الزركلي «أن المستشرق بوشر» Bushar قام بنشر الكتاب في القاهرة، إلا أن النسخة الوحيدة المطبوعة التي اطلعت عليها، هي التي قام بنشرها المرحوم الشيخ «محمد النمكاني» في سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، زاعماً أنها الطبعة الأولى للكتاب.

* * *

وقد قام بتحقيق هذه الطبعة الأستاذ محمد جواد الأصمعي اعتماداً

(١) انظر: ترجمة المراغي في شذور الذهب ١٢٠/٧، الضوء اللامع ١٦٧/٧، كشف الظنون، ٣٧٨، الأعلام ٢٨٣/٦، بروكلمان (الطبعة العربية) ٢١١/٦.

على نسختين خطيتين محفوظتين بدار الكتب المصرية^(١)، إلا أن المحقق لم يتمكن من الاطلاع على النسخ الخطية الأخرى الموجودة في الدور العلمية التالية:

- نسختان خطيتان في مكتبة الحرم المكي، الأولى منهما محفوظة تحت رقم ١٢١، «مجموعة الدهلوي» وتاريخ نسخها هو ١٢٤١هـ - ١٨٢٥م، أما النسخة الثانية فتحت رقم ١١٠، وتاريخ نسخها هو ١٠٩٢هـ - ١٦٨١م.

- نسختان خطيتان في مكتبة «بودليان» Bodleian بجامعة كيمبردج البريطانية، محفوظتان تحت الرقمين التاليين: ٤٥١، ٥٢٧.

- نسخة مكتبة طوبقوبو سراي بتركيا: المحفوظة تحت رقم ٦٠٦٦^(٢).

- نسخة مكتبة المتحف البريطاني المحفوظة تحت رقم ٣٦١٥، ويبدو أنها النسخة الأصلية للكتاب: حيث يذكر المؤلف - في خاتمتها - أنه انتهى من نسخها في ١٢ رجب ٧٦٦هـ - ١٣٦٤م.

وصف الكتاب اعتماداً على نسخة المتحف البريطاني:

- في المقدمة يذكر المراغي أن كتابه هو صياغة لكتاب (الدرة الثمينة في أخبار المدينة) للحافظ محب الدين النجار^(٣) «نشره الأستاذ الفاضل

(١) دار الكتب المصرية، تاريخ، رقم ٥٩، ١٦١٤.

(٢) انظر: Arapca Yazmalar Kataogu. C . III

(Istanbu) 1996, P 449, No 6066, k 894.

(٣) محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي. ولد في بغداد سنة ٥٧٨هـ -

١١٨٣م، وتوفي سنة ٦٤٣هـ - ١٢٤٥م.

انظر: ترجمته في «الموسوعة الإسلامية» (الطبعة الإنجليزية) الجزء الثالث، ص ٨٩٦، وكذلك في «الأعلام» ج ٧، ص ٣٠٧.

صالح جمال في عام ١٣٦٦هـ: وهي الطبعة الأولى للكتاب، وبين يدي الطبعة الثالثة، التي صدرت عن مكتبة الثقافة بمكة المكرمة سنة ١٤٠١هـ.

ويذكر المراغي أيضاً - اعتماده على كتاب آخر لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المطري^(١) وهو (التعريف بما آنت الهجرة من معالم دار الهجرة) نشره أسعد طرابزونى في سنة ١٣٧٢هـ، بتحقيق الشيخ محمد ابن عبد المحسن الخيال. وهذا نص عبارة المؤلف التي يذكر فيها اعتماده على هذين المؤلفين:

«ولما كان من أحسن الموضوعات وأجمعها، وأكثرها تحقيقاً، وأمتعها في الإعلام بمعالمها، وتحصيل دلائلها: تاريخ الشيخ الإمام الحافظ محب الدين النجار: الموسوم بالدرة الثمينة في أخبار المدينة، وما ذيله الشيخ الإمام الحافظ جمال الدين محمد بن أحمد المطري - تغمدهما الله وإيانا بفضل رحمته - فهو وإن حرر «أي المطري» بسبب تأخره مما أهمله ابن النجار من معاهده. قد أحل بكثير من مقاصده: فاستخرت الله تعالى في جمع مقاصدهما بحذف الإسناد، مقرباً بذلك طريق الإبعاد. تابعاً - في الغالب - لفظ من ذيل: مع تحرير عبارة وتنقيح إشارة».

- لقد رتب المؤلف كتابه على مقدمة، وأربعة أبواب وخاتمة:

(١) جمال الدين محمد المطري، الأنصاري، الخزرجي ولد سنة ٦٧١هـ - ١٢٧٢م وتوفي سنة ٧٤١هـ - ١٣٤٠هـ.

انظر: ترجمته في «نصيحة المشاور وتعزية المجاور» لعبد الله بن محمد بن فرحون، ص ١٣٨ - ١٤١. «مخطوط» عارف حكمت بالمدينة، تاريخ رقم ٧٦٧.

أما المقدمة فتشمل ثلاثة فصول:

- الفصل الأول في فضل المدينة وسكانها.
- الفصل الثاني في أسماء المدينة.
- الفصل الثالث في فضل المسجد الشريف.

أما الأبواب فكانت:

- الباب الأول: في بعض مقدمات الهجرة، ووروده - ﷺ - المدينة، وتأسيس مسجد قباء، وذكر مسجد الجمعة، ثم مسجد المدينة، وما يتعلق به «ويشتمل الباب الأول على ستة فصول».
- الباب الثاني: في ذكر وفاة النبي - ﷺ - ووفاته صاحبيه - رضي الله عنهما - ثم ذكر الزيارة وآدابها، وذكر البقيع، أي مقبرة المدينة - ومقبرة بني سلمة.
- الباب الثالث: في فضل جبل «أحد» وذكر الشهداء به، وذكر بقية المساجد، وذكر الآبار.
- الباب الرابع: في ذكر أودية المدينة، وحفر الخندق، وحدود حرمها، وجبالها، وجهاتها، وما خصت به من الفضائل، وما يؤول إليه أمرها.
- الخاتمة تشتمل على فصلين، أحدهما: في فضل الموت بالمدينة، والآخر: في ذكر ما يشوق إليها من الأشعار، ومن هذه الأشعار ما قرأه «المراغي» على شيخه «عبد الله عفيف الدين بن محمد بن أحمد المطري» شيخ المحدثين بالحرم الشريف - ما أنشده الإمام أبو محمد عبد الله بن عمر ابن موسى اليشكري». وهو قوله:

دار الحبيب أحق أن تهواها وتحن من طرب إلى ذكراها
وعلى الجفون متى هممت بزورة يا ابن الكرام عليك أن تغشاها

- قيمة الكتاب العلمية :

- من مصادر الإمام السمهودي الرئيسية في كتابه «الوفاء».
- تأثر به مؤرخو المدينة في طريقة عرض معلوماتهم التاريخية عنها.
- يذكر السيد «إسماعيل البرزنجي» في كتابه «نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخريين» أن «المراغي» يعتبر أستاذاً للسمهودي، ولعله أراد بذلك اعتماده عليه في تحقيق بعض المسائل المتعلقة بتاريخ المدينة.
- يشير «المراغي» في مقدمة كتابه إلى النقص الذي يوجد ببعض المؤلفات التاريخية عن المدينة، ومحاولته تلافي هذا النقص، والابتعاد عن التطويل، الذي لا يخدم النص التاريخي، مشيراً إلى إضافاته في موضوع التأليف عن المدينة.
- ينقل عن بعض المؤلفات التاريخية المفقودة - في تاريخ المدينة - كتاريخ «ابن زباله» إلا أنه يعارضه - أحياناً - وعن «المراغي» نقل هذه الآراء كثير من مؤرخي المدينة، الذين أتوا بعده.
- تأريخه للحوادث، التي تعرض لها المسجد النبوي الشريف: كالحرائق التي حدثت في سنة ٦٥٤هـ، كما أنه لا يغفل الحوادث التاريخية التي تعرضت لها الدولة الإسلامية عند عرضه لبعض مواد تاريخ المدينة.
- يحاول أن يربط بين وجود المعالم التاريخية التي يتحدث عنها بالفترة التاريخية، إبان كتاباته، فيقول - مثلاً - عند ذكره سور المسجد القبلي: «وهو باقٍ إلى تاريخ هذا الكتاب».

- يحاول الابتعاد عن أسلوب الجزم في تحديد المواضع إذا لم يكن متأكداً من ذلك. فهو يقول عن بني وائل: «ومنازلهم لا يعرف مكانها اليوم، إلا أن الظاهر أنهم كانوا بالعوالي شرقي مسجد الشمس».

- عند تغير اسم الموضع القديم أو المسجد - يحاول أن يذكر الاسم الذي حل محله فيقول عن وادي الروحاء: «ويعرف اليوم بوادي بني سالم».

وعن مسجد الروحاء يقول: «ويعرف الآن بمسجد الغزالة».

- يحاول التأكد من مكانة الموضع - دينياً وتاريخياً - بربطه بما تم فيه من حوادث فيقول مثلاً: «وبمسجد الروحاء موضع كان عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - ينزل فيه، ويقول: هذا منزل النبي - ﷺ .

- يحاول أن يقارن بين رأيه والآراء الأخرى في تحديد المواضع: فهو يذكر آراء «ياقوت» و «ابن الأثير» و «ابن مزروع البصري».

- تحديده لمسار البراكين، التي ثارت بالمدينة، والمدة التي استغرقتها، والآثار التي نجمت عنها.

- تسجيل المؤلف لحوادث السيول وهو ما عرفت به المدينة قديماً وحديثاً، وما تسبب عنها من أضرار.

- إشارته إلى النواحي التعليمية، في المدينة كإشارته إلى بعض مدارسها كالمدرسة الشهابية.

- يعطينا الكتاب إشارات هامة من بداية إنشاء الأربطة والأوقاف بالمدينة.

- إشارته للأولويات التي حدثت بالمدينة، كأول من اتخذ القضاء، وأول من جلب إليها العمال من أقطار أخرى، ومتى عرفت تخطيط البناء.

- تحقيقه للمواضع التاريخية الهامة كوادي العقيق، ووادي مدين، ووادي مهزور.

- من النواحي العامة في الكتاب وصف المؤلف الشخصي لطريق النبي ﷺ - من المدينة إلى مكة.

- استعانت به - عند الحديث عن الحجرة النبوية وقبور أصحابه - ﷺ - بمصور مبسط لها.

- تتميز نسخة المتحف البريطاني^(١) الخطية لهذا الكتاب بالشروحات التي أضافها المؤلف في الهامش.

(ذيل الانتصار لسيد الأبرار) لعمر ابن السيد علي السمهودي

المؤلف: السيد عمر ابن السيد علي السمهودي المدني (١٠٨٥ - ١١٥٨)^(١) ترجم له «الأنصاري» في (تحفة المحبين) عند تعرضه لنسب بيت «السمهودي» قائلاً:

نشأ نشأةً سالحة، واشتغل بطلب العلوم من منطوق ومفهوم ودرس بالروضة النبوية، وصار مفتي الشافعية، وخطب وأمّ وألف وصنف ونشر ونظم^(٢).

وزاد في (سلك الدرر)^(٣) أنه «أخذ عن أشهر علماء المدينة المنورة، في القرن الثاني عشر الهجري، الشيخ أبي الطاهر ابن الملا إبراهيم الكوراني»^(٤).

(١) عند بعض المؤرخين أنه توفي سنة ١١٥٧هـ، محمد خليل المرادي - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، طبعة بولاق ١٣٠١هـ، ج ٣، ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) عبد الرحمن الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، تونس: ١٣٩٠هـ - ١٩٨٠م. ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٣) سلك الدرر، ج ٣، ١٨٤.

(٤) محمد أبو الطاهر ابن الملا إبراهيم الكوراني الشافعي، ولد بالمدينة سنة ١٨٠١هـ، ونشأ بها وطلب العلوم، وتولى إفتاء الشافعية مدة إلى أن توفي ٩ رمضان سنة ١١٤٥هـ. انظر: تراجم =

- فالمؤلف من نسل السيد علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني السمهودي^(١)، مؤرخ المدينة المعروف، إلا أن أسرته لم تهجر من «سمهود» إلى المدينة، إلا بعد وفاة السيد «علي» المذكور.

- المخطوط: هو (ذيل الانتصار لسيد الأبرار) وهو مخطوط لم تشر إليه كتب التراجم، التي تصدت لترجمة المؤلف، ولم يتعرض له أحد من مؤرخي المدينة، في العصر الحديث، ولا يتجاوز حجم هذا المخطوط خمس عشرة صفحة، وذكر - في خاتمته - أنه فرغ من تحريره في النصف الثاني من ذي الحجة الحرام، عام ألف ومائة وأربعة وثلاثين، واقتصر فيه على التاريخ للفتنة الواقعة بين سكان المدينة المنورة والأغوات ومن ناصرهم من الأعراب، سنة ١١٣٤هـ.

- (فتنة العهد): هكذا أطلق عليها المؤرخ عبد الرحمن بن حسين الأنصاري^(٢) مكتفياً بعبارة موجزة عنها، ووصف مقتضب، عند قوله: «وفي زمن شيخ الحرم أيوب آغا، سنة ١١٣٤هـ، أربع وثلاثين ومائة وألف، وقعت قصة العهد، وفعلوا ما فعلوا، وخبرها طويل عريض»^(٢).

وقال - رحمه الله تعالى - ذاكراً ما جرى في أيام العهد الكائن من

= أعيان المدينة المنورة في القرن (١٢) الهجري: تحقيق وتعليق الدكتور محمد التونسي - دار الشروق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ١٠٤.

(١) علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني الشافعي: مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها، ولد في سمهود، ونشأ في القاهرة، واستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ، توفي بها. من كتبه «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ٧، ١٩٨٦م، ج ٤، ص ٣٠٧.

(٢) The Literatur of Medina in the Twelfth century A.H (Examined from contemporary sources, with Acritical Edition of one of these sources: Al-Akhbar Al-Ghariba Fi Dhikr Mawaqaa Bitaybaal-Habiba by: Ja - Far Hashim Al-Husayni.

Athesis, For The Degree PH. D.

By: Asim Hamdan, Part Two, P. 4.

أهل المدينة من الفتنة والحرب بينهم وبين أغوات الحرم النبوي: وسبب صدور العهد المذكور مجملاً، قد كرر سيف العهد السيد محمد بن علي أبي العزم - رحمه الله تعالى - في سنة أربع وثلاثين ومائة وألف^(١).

ثم ذكر القصيدة التي نظمها الشاعر تحت تأثير أحداث فتنة ١١٣٤هـ - ١٧٢١م، وتتكوّن القصيدة من أربعة وستين بيتاً، من بحر الكامل، ويفتحها الشاعر قائلاً:

المجد تحت ظلال سمر الذبل وظبا القواضب والجياذ القفل
الموريات العاديات ضوابعاً الصافنات الزافرات الجفل
والخوض في غمرات بطنان النوى يوم التصادم في القتام المسبل
وتواترت العزمات في طلب العلا والفوز في أقصى فيافي الهوجل
والفخر ما ترك الأعادي خشعاً رفل المحازم كالجياذ العزل
بين القنا وورود أحواض الردى لقوا العلاقم في تراقي الحوصل
لا عاش من ترضى المذلة نفسه طوعاً، وعن شأو المفاخر يأتلي
تعست حياة لا تشاب بعزة غبراء بين مهابة وتذل
العز أجمل ما اقتناه أولو النهي والذل بالأحرار ليس بمجمل

وتحت عنوان: (ذكر الفتنة التي وقعت بالمدينة بين الأغوات وأهل المدينة سنة ١١٣٤هـ) ذكر أحمد دحلان أنه: «في مدة ولاية الشريف مبارك بن أحمد بن زيد، سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، وقع بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الأغوات وأهل المدينة^(٢)، ونشأ عنها قتل السيد عبد

(١) مخطوطة ديوان السيد جعفر البيتي العلوي السقاف المدني: نسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد: ص ٢٠٥.

(٢) عاصم حمدان، شعراء المدينة المنورة والشعر الملحمي في القرن الثاني عشر الهجري، صحيفة المدينة المنورة، العدد ٧٥٩٣ (٢٣ جمادى الآخرة ١٤٠٨) «ملحق التراث» ص ٤.

الكريم البرزنجي المدفون بجدة، المشهور بالمظلوم وتلك الفتنة الكلام على تفصيلها طويل»^(١).

وأشار «دحلان» في مصدر آخر، إلى عواقب هذه الفتنة، وذلك عند ترجمته للسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي. ومن أولاده: السيد عبد الكريم المدفون بجدة المشهور بالمظلوم، وسبب ذلك أنه في سنة ١١٣٣ - ثلاث وثلاثين ومائة وألف، في دولة الشريف مبارك بن أحمد بن زيد - أمير مكة - وقعت فتنة بين أهل المدينة وأغوات الحرم، ووقع فيها قتال يوماً وبعض يوم، وانتشر فساد وشر كثير، ثم عرض ذلك على الدولة العلية، وذكروا أن السيد المذكور، وولده السيد حسن، وبعض أعيان أهل المدينة حرضوا الناس في تلك الفتنة، فصدر الأمر من الدولة العلية بقتل بعض الأشخاص، ونفي آخرين، وكان السيد عبد الكريم المذكور من جملة المأمور بقتلهم، وكذلك ولده السيد حسن»^(٢).

وأورد الأنصاري في كتابه (التحفة)^(٣) إشارات موجزة عن هذه الفتنة، عند ترجمته لبعض وجهاء المدينة في فترة القرن الثاني عشر الهجري، والذين كانوا طرفاً في هذه الواقعة، فنجده - مثلاً - يقول عند حديثه عن بيت العادلي أو بيت أبي العزم، كما هو مشهور عنهم: «أما السيد حسن فمولده سنة ١٠٩٩هـ، وخرج من المدينة المنورة مختفياً في الفتنة المذكورة أعلاه - أي: فتنة العهد ودخل مصر المحروسة»^(٤)، وبقي مختفياً

(١) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام - القاهرة: ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م، ص ١٧٣.

(٢) أحمد دحلان، أسنى المطالب، القاهرة: ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، ص ٤٠.

(٣) تحفة المحبين، ص ٣٥٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٨٨.

بها في بيت السيد محمد النحال، إلى أن توفي سنة ١١٨٤هـ، وله تصانيف ورسائل وخطب وغير ذلك»^(١).

وتؤكد بعض المصادر التي عنيت بتاريخ جدة، في القرن الثاني عشر الهجري، ومنها كتاب^(٢) الحضراوي^(٣) الذي تولى نشره الشيخ حمد الجاسر في (مجلة العرب)^(٤) وجود قبر عبد الكريم البرزنجي في ناحية مدينة جدة. يقول الحضراوي في هذا الشأن: «وبها قبر الإمام الشهير المعروف بالمظلوم، وهو أحد أجداد السيد جعفر البرزنجي، واسمه: السيد عبد الكريم بن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي»^(٥).

ويرى المؤرخ السيد عبيد عبد الله مدني - رحمه الله - أن فتنة العهد كانت سبباً لفتن أخرى أعقبتها، ومآسٍ عديدة نتجت من رواسبها، وكان ميدان هذه الفتنة جميعاً هو المدينة التي حرمها رسول الله - ﷺ - ودعا لأهلها بالخير والبركة.

يقول السيد المدني عند تقديمه لإحدى القصائد التي أرخ فيها لهذه الحوادث الأليمة: «نسب مؤرخو المدينة المنورة هذه الفتنة إلى عبد

(١) المصدر السابق، ص ٨٨.

(٢) توجد نسختان من كتاب الحضراوي «الجواهر المعدة في فضائل جدة» إحداهما بمكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي، المضافة إلى مكتبة الحرم المكي - بخط المؤلف - ورقمها ٢٧، والثانية في خزانه «جستر بيتي» في مدينة دبلن في إيرلندا، رقمها ٣٧٢٢. وقد أفادني بهذه المعلومات الزميل الفاضل محمد حبيب: الأستاذ بقسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

(٣) «أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي الهاشمي» مؤرخ ولد بالإسكندرية، ونشأ بمكة، وتوفي بها سنة ١٣٢٧ الأعلام، ج ١، ٢٤٩.

(٤) العرب (رجب، شعبان سنة ١٣٩٩) ص ١١٠ - ١١١.

(٥) أوصل نسبه في «الجواهر المعدة» إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

الرحمن آغا الكبير، شيخ الحرم النبوي الشريف، لأنه هو الذي تولى
كبرها، ونفخ في بوقها، وهاجتها بالإضافة إلى أسبابها رواسب من فتنة
العهد سنة ١١٣٤»^(١).

(١) عبيد مدني، شعراء المدينة المنورة والشعر الملحمي في القرن الثاني عشر الهجري. بحوث
المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، جدة: ١٩٧٤م، ص ٧٣١.

الخليفتي وكتابه (نتيجة الفكر في خبر مدينة سيد البشر)

المؤلف وشخصيته العلمية :

- محمد بن زين العابدين بن عبد الله بن عبد الكريم المدني، ينتسب إلى أسرة الخليفتي (نسبة إلى الخليفة) المجاورين بالمدينة، منذ أواخر القرن العاشر الهجري، حيث قدم الشيخ عبد الوهاب الخليفتي العباسي من مصر سنة ٩٩٠هـ، واستقرت أسرته بالمدينة، فكان منها العلماء والأئمة والخطباء.

أما المؤلف نفسه فتتباين المصادر التي ترجمت له في تاريخ ولادته، فبينما يحددها الأنصاري^(١)، وهو معاصر له، بعام ١١٣١هـ، نجد كلاً من المرادي^(٢) وإسماعيل باشا^(٣) يذكر أن ولادته تمت في سنة ١١٣٠هـ،

(١) عبد الرحمن الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب - تحقيق، محمد العروسي المطوي ص ٢٠٣، تونس: ١٣٩٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) محمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - طبعة بولاق ج ٤، ص ٦٠، ١٣٠١هـ.

(٣) إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، طبعة استانبول، المجلد الثاني، ص ٦٢٣، ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م.

وينفرد (المرادي) بذكر مشايخه، الذين تلقى العلم عنهم، كالشيخ محمد حياة السندي، والسيد إبراهيم أسعد، كما تجمع المصادر، التي ترجمت له على مكانته الدينية، فلقد تولى الخطابة والإمامة، وصار شيخ الخطباء في المدينة، كما تولى منصب الإفتاء فيها.

أما من حيث إنتاجه العلمي فنجد مصدراً ككتاب (تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر)^(١) يذكر أنه كان نظاماً وناثراً، أما (البغدادي) فإنه الوحيد بين المصادر التي ترجمت له نجده ينفرد بذكر مؤلفه في تاريخ المدينة، ولا نجد ذكراً لهذا الكتاب عند معاصره «عبد الرحمن الأنصاري» وهو أمر غريب، فلقد عني الأخير بتدوين معظم الآثار العلمية التي دونها أصحابها، إبان القرن الثاني عشر الهجري.

أما تاريخ وفاته فلقد اتفق الجميع أنها حدثت في سنة ١١٨٢هـ، إلا أن الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ^(٢) يرى أن الخليفة قد توفي سنة ١١٧١هـ.

كتاب (نتيجة الفكر):

- لم أطلع على مخطوطة أصلية لهذا الكتاب، ولكن الشيخ جعفر إبراهيم فقيه - أمد الله في عمره - زودني بنسخة منه، مطبوعة على الآلة الكاتبة، ولم يذكر لي عن الأصل شيئاً.

في مقدمة هذه النسخة نجد المؤلف يذكر أنه وضع مؤلفه هذا استجابة لرغبة قاضي المدينة، وابن قاضي البلد الحرام «محمد أمين أفندي» ابن

(١) المؤلف مجهول، تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري - تحقيق الدكتور محمد التونجي، ط ١، ص ٧٦، جدة: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) عبد السلام هاشم حافظ، المدينة المنورة في التاريخ - ط ٢، ص ١٩٨، القاهرة: ١٣٨١هـ.

المرحوم «صالح أفندي» الذي طلب منه أن يجمع له نبذة عن محاسن المدينة الزاهرة، وآثارها الفاتحة، فكان هذا الكتاب الذي رتبته على خمسة أبواب وخاتمة:

- الأول: في فضل المدينة.

- الثاني: في فضل مسجدها الأنور، وروضتها الشريفة.

- الثالث: في من يزار بها من الصحابة والأخيار.

- الرابع: في مشاهدتها، ومآثرها.

- الخامس: في فضل المجاورة بها.

- في الباب الأول: يسرد من فضائل المدينة، من نحو: فضل الإقامة والموت بها، والصبر على لأوائها وشدتها مُعَضِّداً قوله بجملة من الأحاديث، من صحيح البخاري ومسلم، كما يشير إلى بعض القصص التاريخية التي لم يذكر مصادرها كقصة المهدي العباسي، عندما قدم إلى زيارة المدينة، واستقبله الإمام مالك - رحمه الله - وجملة من أشرفها على أميال، فلما أبصر «المهدي» مالكا انحرف إليه، وعانقه، وسلم عليه، وسأله، فالتفت مالك إلى المهدي قائلاً: يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن - المدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك، وهم عترة النبي ﷺ وقربته، وأولاد المهاجرين والأنصار، فسلم عليهم، فإن ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، ولا خير من المدينة.

فسأله «المهدي» قائلاً:

- من أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟

فقال: لأنه لا يعرف قبر نبي - اليوم - غير قبر سيدنا محمد - ﷺ -

ومن كان قبر محمد - ﷺ - عندهم، فينبغي أن يعرف فضلهم على

غيرهم، إذ من معرفة فضلهم، واحترامهم، سرور خاطره - ﷺ . كما يورد المؤلف في هذا الباب جملة من دعاء الرسول - ﷺ - للمدينة كالذي ورد في البخاري ومسلم، «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة».

ويستشهد المؤلف - في هذا الكتاب - أيضاً بمن سبقه من العلماء، كاستشهاده بالمجد «الفيروز آبادي» ولكنه لا يذكر المصدر الذي نقل منه الاستشهاد، إلا أن يكون ذلك من باب الاعتماد على ثقافة القارئ الذي يعرف أن للفيروز آبادي كتاباً في تاريخ المدينة، وهو كتاب (المغانم المطابة في معالم طابة) ولقد قام الشيخ حمد الجاسر بتحقيق قسم المواضع منه^(١).

- وفي الباب الثاني يتعرض المؤلف لتفسير الآية التي وردت في فضل مسجد قباء ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِروا لِلَّهِ يَكْفُرُونَ بِالْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) ويورد رأياً آخر يذكر أن المراد بالمسجد في هذه الآية، هو مسجد المدينة «أي المسجد النبوي».

كما يتعرض لبعض الآثار الواردة في فضل الروضة المطهرة بالمسجد النبوي الشريف، مفصلاً الحديث في المعنى الوارد في فضل هذه الروضة من أنها روضة من رياض الجنة، ثم ينتقل إلى الحديث عن حدود الروضة ناقلاً عن المؤرخين «ابن النجار» و «المراغي»^(٣) قولهما إن حدود الروضة

(١) صدر عن منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ويحمل رقم ١١ في سلسلة نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب، وكانت الطبعة الأولى منه سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(٢) سورة التوبة: آية رقم ١٠٨.

(٣) قال «زين الدين أبو بكر الحسين المراغي» في كتابه «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار =

هي حدود المسجد كلها، ويختم الخليفة بحته في مسألة الروضة قائلاً: «وأما بيان الروضة من هذا المسجد فللعلماء في ذلك مجال، أوله أنها المسجد الموجود في زمنه - عليه الصلاة والسلام - الثاني: أنها ما سامت المنبر والحجرة فقط».

ويصل حديثه - بعد ذلك - عن الأسطوانات المعروفة في المسجد النبوي، كأسطوانة السيدة عائشة - رضي الله عنها - وأسطوانة التوبة، وأسطوانة الحرس، وأسطوانة السرير، وأسطوانة مقام جبريل، وأسطوانة التهجد، وأسطوانة الوفود، ويحدد مواضع هذه الأسطوانات من مسجد الرسول - ﷺ - مستشهداً ببعض آراء المؤرخين من قبله، مثل (ابن زبالة)^(١) و (المطري)^(٢).

- وفي الباب الثالث يتحدث عن زيارة مشاهد الصحابة - رضوان الله عليهم - كما يحدد مواضع بعض هذه المشاهد، وعند الحديث عن مشهد سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يروي «الخليفة» عن «ابن زبالة» أنه - رضي الله عنه - دفن بمقبرة كان اشتراها وزادها وهي التي تسمى «حشُّ كَوَكْب» وينقل عن «المراغي» تحديده لهذا المصطلح بأن «الحش»

= الهجرة»: وينبغي اعتقاد كون الروضة الشريفة لا يختص بما هو معروف - الآن - بل تتسع إلى حد بيوته - ﷺ - من ناحية الشام، وهو آخر المسجد في زمنه، فيكون كله روضة، انظر مخطوطة هذا الكتاب، نسخة مكتبة جامعة أكسفورد بالمملكة المتحدة رقم ٥٢٧ ص ١٦/١٧.

(١) محمد بن الحسن بن زبالة، ألف كتابه في تاريخ المدينة سنة ١٩٩هـ، ٨١٤م، انظر: فرانس روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، بغداد: ١٩٦٣م، ص ٦٤٢.

(٢) جمال الدين محمد المطري الأنصاري الخزرجي، صاحب كتاب «التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة» انظر كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. عبد الحلیم النجار، ج ٦ ص ٢١١ - ٢١٢، دار المعارف، ١٩٧٧م.

هو: البستان و «كوكب» اسم امرأة، وأن الناس كانوا يتوقفون أن يدفنوا موتاهم فيه، فكان عثمان - رضي الله عنه - يقول: «يوشك أن يهلك رجل صالح، فيدفن هناك، فيتأسى به الناس» قال: فكان هو أول من دفن به^(١).

- ويخصص «الخليفتي» الباب الرابع للحديث عن مساجد المدينة المنورة، والآبار المعلومة بها. فأول المساجد مصلاه - ﷺ - الذي لازمه في العيدين، وينقل قول المؤرخ «المطري»: لم يعرف من المساجد، التي ذكرها لصلاة العيد إلا هذا المسجد الذي يُصلى فيه اليوم، ومسجد شماليه وسط الحديقة المعروفة «بالعريضية»^(٢) المتصلة بقبة عين الأزرق، ويعرف - اليوم - بمسجد سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه .

ثم يعقب المؤلف قائلاً: ومسجد كبير شمالي الحديقة متصل بها يسمى بـ (مسجد سيدنا علي) - رضي الله عنه - ولم يرد أنه - رضي الله عنه - صلى بالمدينة عيداً في خلافته، فتكون هذه المساجد الموجودة - اليوم - من الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ صلاة العيد، سنة بعد سنة، وعيداً بعد عيد إذ لا يختص أبو بكر وعلي - رضي الله عنهما - بمسجدين لأنفسهما، ويتركان المسجد الذي صلى فيه النبي ﷺ .

(١) قال ابن شبة: «حدثنا علي، عن أبي دينار، أحد بني دينار بن النجار - عن مخلد بن خفاف، عن عروة بن الزبير، قال منعهم من دفن عثمان بالبقيع أسلم بن أوس بن بحرة الساعدي، قال: فانطلقوا به إلى حش كوكب، فصلى عليه حكيم بن حزام، وأدخل بنو أمية حش كوكب في البقيع» انظر: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، أخبار المدينة النبوية» تحقيق: فهميم شلتوت ط ٢، ص ١١٣، جده: ١٣٩٣هـ.

(٢) ما زال الحي الذي يقع فيه مسجد سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - يحمل اسم «العريضية».

وينقل عن مؤرخ المدينة «السمهودي» قوله في (الوفاء): «إن رسمهما بحيث يعلمان أنهما مآثر ومساجد كانت في زمن الخليفة - عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه .

ثم يتحدث المؤلف عن مسجد قباء وفضل زيارته، تأسياً بالنبي ﷺ، ويذكر أن أول من بنى هذا المسجد بعد بناء رسول الله ﷺ هو: عمر بن عبد العزيز^(١) - رضي الله عنه - في زمن الوليد، ثم جدد عمارته «جمال الدين الأصفهاني» وزير «ابن زنكي» أحد ملوك بلاد الموصل سنة ٥٥٥هـ، وجدده كذلك: الناصر بن قلاوون سنة ٧٣٣هـ.

وبعد مسجد قباء يأتي المؤلف على ذكر عدد من المساجد، منها: مسجد الجمعة^(٢) ويسمى - أيضاً - بـ (مسجد الوادي)، ومسجد الفضيخ، ويعرف بـ (مسجد الشمس)، وهو شرقي مسجد قباء، ومسجد مَشْرَبَة أم إبراهيم^(٣) ومسجد بني ظفر، ومسجد الفتح، ويقال له: مسجد الأحزاب، ومسجد ذباب، ويعرف بـ (مسجد الراية)، وهو على يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام، وذباب، اسم جبل.

وأما الآبار المشهورة بها، فهي سبع، وهي: بئر أريس، بفتح الهمزة وكسر الراء، وتسمى - أيضاً - بئر الخاتم، وبئر الغُرس، بضم الغين، وبئر

(١) يبدو أن بناء عمر بن عبد العزيز لمسجد قباء حدث إبان ولايته على المدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك.

(٢) يذكر مؤرخ المدينة الشريف العياشي: أن مسجد الجمعة هو الأثر الثالث من المساجد بعد مسجد مصبح ومسجد قباء، ثم هو أول مسجد ضُليت فيه الجمعة، وفيه أول خطبة للنبي ﷺ، وأصبح هذا المسجد الآن في وسط مزرعة السيد حسن شربتلي على يسار النازل من شارع قباء - انظر: إبراهيم بن علي العياشي، المدينة بين الماضي والحاضر، ص ١٠٣.

(٣) تقع المشربة في الجنوب الشرقي عن المسجد النبوي بنحو ثلاثة كيلومترات، وبالقرب منه أي: من مسجد المشربة من جهة الشرق حرة زهرة. انظر: المصدر السابق ص ٤٢٨.

العهن وبئر البُصّة، بضم الباء وفتح الصاد المشددة، والمعروف بين أهل المدينة - التخفيف، وبئر رُومة - بضم الراء وسكون الواو - وبئر بُضاعة - بضم الباء، وحكي كسرهما.

- أما الباب الخامس، الخاص بفضل المجاورة بها، فإن المؤلف يفتحه قائلاً: «يتعين على من قصد المجاورة بها أن يخلص نيته وطويته، فإنما الأعمال بالنيات، فينوي المجاور التقرب إلى الله تعالى بالإقامة بداره - ﷺ - والدخول في سلك جيرانه، ويغتتم مع زيارته ومجاورته الاعتكاف بمسجده، مع الاشتغال بذكر الله، وتلاوة القرآن وختمه، وملازمته، ودراسته، وإكثار الصلاة على النبي ﷺ وينوي اجتناب الآثام والمعاصي والمكروهات، مع التصميم وعقد التوبة النصوح على عدم العودة، ويلاحظ بفعله - مدة إقامته - جلالتها، وأنها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيه ﷺ في الحياة وبعد الوفاة».

كما يذكر بعض الاستشهادات الشعرية في فضل المدينة النبوية، وفضل المجاورة بها.

ولقد ورد في ختام هذا الكتاب - تاريخ الانتهاء من جميع مادته، وهو يوم الاثنين الثامن عشر من شهر جمادى من عام ١١٧١هـ.

(تحفة الدهر ونفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر) لعمر بن عبد السلام الداغستاني

- يعتبر كتاب (التحفة)^(١) أحد المصادر التي اهتمت بأدباء المدينة المنورة خلال القرن الثاني الهجري، إلا أن نسبة هذا الكتاب لمؤلفه المعروف عمر ابن عبد السلام الداغستاني^(٢) قضية اختلف حولها بعض الذين تعرضت دراساتهم لهذا المؤلف، ومن بينهم الدكتور صلاح الدين المنجد^(٣) الذي نسب الكتاب بعد اطلاعه على نسخة منه في جامعة كمبردج^(٤) لمؤلف آخر، هو محمد بن خليل المرادي^(٥) «١١٧٣هـ

(١) يقوم كاتب هذه الدراسة بالاشتراك مع سعادة الدكتور بكرى شيخ أمين بتحقيق هذا الكتاب. اعتماداً على مصادره الخطية الموجودة في مكتبات العالم.

(٢) عمر بن عبد السلام الداغستاني الأنصاري المتوفى بعد عام ١٢٠١هـ - ١٧٨٦م، انظر ترجمته في تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب لعبد الرحمن الأنصاري، ص ٢٢٩ - ٢٣١، والمنهل «عدد أبريل» ١٩٦٩م، ص ٢٥٢ - ٢٥٦. مقالة الشيخ محمد سعيد دفتردار - رحمه الله - عن آل الداغستاني. وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق البيطار، ط: مجمع اللغة العربية بدمشق: ١٩٦١م، ج ٢، ص ١١١٥ - ١١٢٩.

(٣) المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني - لصلاح الدين المنجد، ١٩٦٤م، ص ٧٤.

(٤) E. G. Browne A hand List of the Muhamad an Manu Scripts Preserved in The University of Cambridge J 1900 P. 38.

(٥) محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسنى ١١٧٣هـ - ١٢٠٦هـ ولد ونشأ في =

١٢٠٦م» وتبعه في ذلك كل من عمر كحالة^(١) وأسامة العانوتي^(٢).

ولقد رجعت إلى نسخة «كمبردج» التي كانت سبباً في هذا الاختلاف المتصل بنسبة الكتاب إلى أكثر من مؤلف واحد، وفي هذه النسخة الخطية من الكتاب نجد اسم «الداغستاني» ورد فيها كناسخ له، بينما نسب تأليف الكتاب إلى «المرادي» إلا أن النسخ الخطية الأخرى من الكتاب اتفقت على نسبة الكتاب للداغستاني.

الكتاب بين الداغستاني والمرادي :

وتفسير ذلك أن المرادي كان في فترة القرن الثاني عشر يعمل على تأليف كتابه المعروف (سلك الدرر) والمتخصص في تراجم أدباء وشعراء البلاد العربية، وكان كما يذكر الدكتور إسحاق الحسيني^(٣) يقوم - أيضاً - بمراسلة رجال الفكر والأدب، وحثهم على تزويده بما يحتاج من معلومات، ومن بينهم العالم اليمني السيد محمد مرتضى الزبيدي^(٤) الذي كان على صلة وثيقة بأدباء المدينة المنورة في تلك الحقبة، فيفترض أن

= دمشق، وتوفي في حلب. من أشهر كتبه «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» انظر: الأعلام للزركلي، ط ١، دار العلم، ج ٦، ص ١١٨.

(١) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (دمشق): ١٩٥٧ - ١٩٦١م، ج ٦ ص ٢٩٠.

(٢) الحركة الأدبية في بلاد الشام، لأسامة العانوتي - بيروت: ١٩٧١، ص ٢١١.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الحادي والأربعون، جمادى الأولى، ١٣٩٨ - ص ٤٣ - ٤٧. بحث الدكتور إسحاق موسى الحسيني عن موسوعة أعيان القرن الثاني عشر.

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي ١١٤٥ - ١٢٠٥هـ، علامة باللغة والحديث، والرجال والأنساب، أصله من واسط مدينة بالعراق ومولده بالهند في (بلجرام)، ومنشؤه في زبيد باليمن، رحل إلى الحجاز وأقام بمصر وتوفي بها، انظر: الأعلام للزركلي، ط، دار العلم، ج ٧، ص ٧٠.

«الزبيدي» قام بتقديم نسخة من كتاب (التحفة) للمرادي، فتوهم من اطلع على الكتاب أنه من تأليف «المرادي» فقام بنسخه، ونسبه إليه، وهذا الافتراض يدفعنا إليه تلك الدلائل الأكيدة التي تقوم على صحة نسبة الكتاب للداغستاني .

ومن بين هذه الدلائل :

أن شهرة نسبة هذا الكتاب للداغستاني دفعت بعض معاصريه من الأدباء أن يقرنوا بينهما في بعض القصائد الشعرية التي نظمت إشادة بمجهود هذه الشخصية الأدبية في التأريخ لأدباء المدينة في تلك الفترة، ومن هؤلاء الأدباء السيد زين العابدين بن محمد بن علي البرزنجي الذي يقول في قصيدة له :

إمام بدا للناس، والدهر تحفة همام، نمت من طيبة نفحة الزهر

أما الشاعر «يحيى بن هاشم المدني» الذي أهدى قصيدة للمؤلف ليضمنها كتاب «تحفة الدهر» فإنه يذكره باسمه قائلاً:

فلأنت حسان الزمان فكن به بسماً طباق الشعر بداراً نيرا
واسلم لنا «عمرًا» لملة قصدنا تحمي بسيف لانتقادك أخضرا

كما تقوم دلائل أخرى من الكتاب نفسه، من بينها اشتماله على ترجمة لأبي بكر ابن المدرس عبد السلام الداغستاني، ولقد أشير في مقدمة هذه الترجمة أنه أخ للمؤلف نفسه .

كما نجد أديباً كعبد الرزاق البيطار، في القرن الثالث عشر الهجري، يؤكد عند تدوينه لترجمة «عمر الداغستاني» نسبة هذا المؤلف إليه .

الكتاب :

قسم المؤلف كتابه إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : في السادة الأشراف .

الفصل الثاني : في العلماء الطيبين الأوصاف .

الفصل الثالث : في العلماء الكرام .

الفصل الرابع : في الأدباء الفخام .

ويبدو أن القاعدة التي اتبعها المؤلف في تجزئته لكتابه تستند إلى النظام الاجتماعي السائد في تلك الفترة، أكثر من استنادها إلى مقاييس أدبية محددة. كما أننا نلاحظ عدم قدرته على توضيح الأسس العلمية التي انطلق منها في التمييز بين أدباء الفصلين الثاني والثالث، وكان بالإمكان أن يخصصهم بفصل واحد، ما داموا جميعاً - بحسب عبارته - من طائفة العلماء. ولربما كان المؤلف في تقسيمه لفصول الكتاب، بحسب هذا النظام، مدفوعاً بالرغبة في اتباع من سبقه من المؤلفين كابن معصوم^(١) في كتابه السلافة^(٢)، مع أن الأسس الأدبية التي انطلق منها «ابن معصوم» في ترتيبه لأجزاء كتابه تختلف عنها عند «الداغستاني» في كتاب «التحفة».

أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى قضية تدهور حال الأدب في عصره، ولربما كان من الأولى أن نثبت، من هذه المقدمة، ما يكون دليلاً

(١) علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني الحسيني المعروف بعلي خان، الشهير بابن معصوم (١٠٥٢ - ١١١٩هـ) من كتبه: سلافة العصر في محاسن أعيان العصر - الأعلام للزركلي، ج٤، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) The Literature of Medina in the Twelfth Century A. H. Examined from Contemporary Sources A thesis Presented Forth Degree of Ph. D- J By: A Sim, H.A. Hamdan Man Chestre University 1986/ part/ one/ pp 67 - 71.

على تنبه «الداغستاني» لهذه القضية التي لم يشغل المؤلفون - حينئذٍ - بمناقشتها.

يقول المؤلف:

مضى الزمن الذي كان فيه لأهل الشعر عز وارتفاع
فإن الشعر في ذا العصر علم قليل الحظ، ملفوظ، مضاع

ولئن هجر الأدب ملياً، وأصبح نسياً منسياً، فإن لزنده ورياً يلتمع
سقطه، ولمزنه ودقاً يستدر نقطه، والمرتدي بفاخر مطارفه بين الأخدان
والأقران يُشارُ إلى مجده بالسلام والبنان، خصوصاً أن نظم في سلك
التحايف زبرجده، وسلك في قالب الظرايف عسجده^(١). ويرى الدكتور
عبد الرحمن الشامخ أنه على الرغم مما في إشارة «الداغستاني» هذه من
تنبيه إلى طبيعة الذوق الأدبي من صحة وسلامة، إلا أن شكاته لم تكن إلا
استجابة لروح الحنين إلى الماضي، لما يتضمنه كتابه من نصوص مفتقرة
إلى الروح الأدبية والموهبة الفنية^(٢).

ولئن أظهر المؤلف قدرة أدبية في تدوين الإنتاج الفني لأدباء المدينة،
في فترة القرن الثاني عشر، فإنه استطاع - أيضاً - أن يدل على ثقافته بما
عقده من مقارنات بين هذا الإنتاج، وما يماثله - من ناحية المعنى - عند
بعض شعراء العصر العباسي، كأبي نواس والبحري، وبعض شعراء العصر
المملوكي، مثل: مجير الدين بن تميم، وصفني الدين الحلي، وجمال

(١) مخطوطة تحفة الدهر للداغستاني، ص ٢.

(٢) النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية (١٩٠٠ - ١٩٤٥) للدكتور محمد عبد الرحمن
الشامخ، الرياض: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ص ٣٦ - ٣٧.

الدين بن نباتة، وهذه الدراسة المقارنة التي توصل إليها «الداغستاني» هي مما يزيد في أهمية الكتاب، من حيث اعتباره مصدراً رئيسياً للبحث في النواحي الفنية للشعر، في تلك الفترة الزمنية، والتي يجب أن تحظى باهتمامات النقاد ودراساتهم العلمية.

عبد الرحمن الأنصاري وكتابه (تحفة المحبين)

من الكتب الهامة في تاريخ أسر المدينة المنورة وتراجم رجالها، كتاب (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب) لمؤلفه عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري^(١).

يذكر المؤلف في المقدمة التي وضعها لكتابه أنه رغب في تخصيصه «بذكر أنساب أهالي المدينة المنورة الموجودين من حين تاريخ هذا الكتاب»^(٢). كما يذكر في الجزء الخاص بترجمة الأنصاري - الذين ينتسب إليهم - أنه ألف كتاباً خاصاً بتراجمهم دعاه «نشر كمائم الأزهار المستطابة في نشر تراجم أنصار طابة»^(٣).

(١) عبد الرحمن بن عبد الكريم بن يوسف الأنصاري، ينتسب إلى أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي، ولد في المدينة سنة ١١٢٤هـ - ١٧١٢م، تلقى تعليمه في مدرسة الحديث بالمدينة، وأصبح مؤرخ المدينة في عصره، توفي بالمدينة سنة ١١٩٧هـ - ١٧٨٢م، انظر ترجمته في المصادر التالية: تحفة الدهر ونفحة الزهر في شعراء المدينة من أهل العصر، لعمر بن عبد السلام الداغستاني «مخطوط» ص: ٦١، وفي معجم المؤلفين لكحالة، ص ١٦٤، وفي المدينة المنورة في التاريخ لعبد السلام هاشم حافظ، ط ٢، ١٣٨١هـ - ١٩٧٢م، ص ١٥٣، وفي سلك الدرر للمرادي، ج ٢، ص ٣٠٣، وفي هدية العارفين للبغدادي، ج ١، ص ٥٥٥، وفي الأعلام للزركلي ج ٦، ص ٨٣.

(٢) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب، لعبد الرحمن الأنصاري، تحقيق: محمد العروسي المطوي، تونس: ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ص ٢.

(٣) لا نعلم شيئاً عن هذا الكتاب الذي خصصه الأنصاري لتراجم آل لأنصاري، وذكر اسمه في كتابه التحفة.

وقد علل الأنصاري وضعه لهذه المؤلفات لأن المؤرخ «السخاوي»^(١) في كتابيه (الضوء اللامع)^(٢) و (التحفة اللطيفة)^(٣)، أهمل كثيراً من فروع هذا المجموع «أي آل الأنصاري» وذلك من قلة العلم بأصولهم وعدم تفصيلهم^(٤)، ولهذا جاء وعد الأنصاري بتكملة ما أهمله السخاوي في العبارات التوكيدية التالية «وستتبع - إن شاء الله تعالى - ما أهمله ونلحقه بما أجمله، وأيضاً نلحق من ولد وحدث بعد وفاته - أي: السخاوي - إلى تاريخ هذا الكتاب وإثباته على نمط حسن وضبط مستحسن»^(٥).

* * *

- ويؤكد الأستاذ محمد العروسي المطوي على أهمية كتاب (التحفة) «وأنه ليس مجرد كتاب أنساب فقط، كما يدل عليه عنوانه، بل هو بالإضافة إلى ذلك يصور مجتمع المدينة المنورة في القرن الثاني عشر للهجرة في مختلف أوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية»^(٦).

لقد رتب الأنصاري أسماء الأسر المدنية في كتابه التحفة بحسب حروف المعجم، مزوداً القارئ بالمعلومات الضرورية عن الموطن الأصلي

(١) محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، ولد في القاهرة ٨٣١ هـ، ١٤٢٧ م، وتوفي بالمدينة ٩٠٢ هـ - ١٤٩٧ م.

انظر: علم التاريخ عند المسلمين، لفرانز روزنثال، ترجمة الدكتور أحمد صالح العلي، بغداد: ١٩٦٣، ص ٣٧١.

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، نشر في القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م.

(٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، نشر في القاهرة سنة ١٣٧٦ هـ بتقديم الدكتور طه حسين، وعناية، «أسعد طرابزوني» ثم في طبعة ثانية سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩.

(٤) تحفة المحبين، ص ١٤.

(٥) المصدر السابق: ص ١٤.

(٦) المصدر السابق: تقديم المحقق «و».

لكل أسرة من الأسر - قبل هجرتها إلى المدينة - كما أنه يعلّل ألقابها الناتج بعضها من الحرف التي كان يقوم بها بعض أفراد هذه الأسر .

ولقد عمل الأنصاري في كتابه على تسجيل المعلومات الخاصة بأفراد كل أسرة من ناحية الوظائف التي شغلوها، إضافة إلى محاولة تقييمه للسلوك الشخصي لهؤلاء الأفراد وخصوصاً فيما يتعلق بطرق معاملاتهم مع نظرائهم في المجتمع . وقد شمل هذا الأسلوب التقييمي أفراداً من أسرة الأنصاري التي ينتمي إليها المؤلف .

كما نجد اهتمامات المؤلف تدفعه من خلال تقصيه لبعض الحوادث التي كان ضحيتها بعض الأفراد من إعطاء صورة محددة الملامح للحالة الأمنية التي كانت تعيشها المجتمعات خلال القرن الثاني عشر الهجري، فهو مثلاً يذكر أنّ شخصاً قُتِلَ على يد الأعراب في مكة سنة ١١٧٦هـ^(١)، وشخصاً آخر من أفراد المجتمع المدني قتل في استانبول سنة ١١٣٦هـ^(٢)، وآخر اغتيل في مصر سنة ١١٧٢هـ^(٣)، بينما اغتيل أشخاص في المدينة نفسها، وقد تمت بعض عمليات الاغتيال هذه في أحوال مختلفة^(٤)، ولعلّه من أغربها هو ما حدث لأحدهم من اعتداء على حياته أثناء أدائه للصلاة .

ولكن المؤلف الذي اهتم بتسجيل هذه الحوادث التي وقع بعضها داخل المجتمع المدني، والبعض الآخر خارجه، لم يعطنا تفسيراً لوقوع هذه الحوادث الأليمة، وإن شُدَّ أحياناً في ذكر سبب القتل - وخصوصاً

(١) المصدر السابق: ص ١٢٦ .

(٢) المصدر السابق: ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٥ .

(٤) المصدر السابق: ص ٨٠ .

عندما يتعلق الأمر بإصدار أمر من حاكم البلدة بقتل أحد الأشخاص، فإن السبب لا يكون مقنعاً. فلقد ذكر المؤلف أن رجلاً صدر أمر بقتله لأن الأهالي تضايقوا من سلوكه الشخصي^(١).

من حيث النواحي الاقتصادية للمدينة في القرن الثاني عشر الهجري لا نجد وصفاً دقيقاً يمكن الاعتماد عليه أو الرجوع إليه فيما يتصل بهذه الحياة، إلا أن المؤلف لم يغفل ذكر الوظائف التقليدية التي كانت بعض الأسر تعتمد عليها في تسيير شؤون حياتها، كوظائف الخطابة في المسجد النبوي الشريف^(٢)، أو الكتابة في ديوان الحاكم أو الأمير^(٣). بينما اشتغل البعض بالتجارة، ومنها التجارة في العطارة وبيع الأقمشة^(٤)، وانصرف البعض إلى استغلال الأراضي وزراعتها والاستفادة من محصولها^(٥).

كما لا ينسى المؤلف أن يشير - عرضاً - إلى نظرة المجتمع - حينذاك - إلى الاشتغال بالمهن والصناعات. وهي نظرة يشوبها شيء من الازدراء^(٦).

كتاب الأنصاري يعتبر دليلاً واقعياً على خطأ الرأي الذي ذهب إليه بعض الباحثين، وخصوصاً المستشرق فرانز روزنتال^(٧) من أن كتابة تاريخ المدينة المنورة لم تحظ بالجانب السّيري، ويُعتبر مؤلف الأنصاري حلقة

(١) المصدر السابق: ص ١١٨.

(٢) المصدر السابق: ص ١٧.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٣.

(٤) المصدر السابق: ص ١٠٦.

(٥) المصدر السابق: ص ١١٦.

(٦) المصدر السابق: ص ١٦٩.

F. Rosental: History of Muslim Historiography (Leiden, 1952, P. 142). (٧)

في سلسلة الكتب التي عنيت بتدوين تراجم رجال البلدة الطاهرة بدءاً من القرن الثامن الهجري. وكان من أهمها كتاب ابن فرحون^(١) المعروف باسم (نصيحة المشاور وتعزية المجاور) وكتاب (الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام) للمطري^(٢)، ثم تبع هذين المؤلفين المؤرخ السخاوي فألف كتابه (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة)، وعني فيه بتراجم رجال المدينة منذ عهد الرسول ﷺ حتى عهد المؤلف، وهو القرن التاسع الهجري.

(١) عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، ولد في سنة ٦٩٣هـ، وكانت وفاته سنة ٧٦٩هـ، انظر ترجمته في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (تحقيق محمد جاد لحق) ط ٢، ١٣٨٥هـ، ج ٢، ص ٤٠.

(٢) عفيف الدين عبد الله بن محمد بن أحمد المطري، المتوفى سنة ٧٦٥هـ - ديسمبر ١٣٦٣هـ. انظر: علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال، ص ٥٥٦.

(الأخبار الغربية فيما وقع بطيبة الحبيبة)

- المؤلف: السيد جعفر بن حسين بن يحيى بن هاشم المدني، المنتسب إلى السيد إبراهيم الموسوي الرومي. الذي استقر بالمدينة مجاوراً، في القرن الحادي عشر الهجري، وعلى وجه التحدد - كما يذكر المؤرخ عبد الرحمن الأنصاري - سنة ١٠٧٠هـ^(١) ويبدو أن أسرة آل هاشم عرفت بتوجهها العلمي والأدبي فمنهم: السيد هاشم، الذي تولى كتابة المحكمة الشرعية بالمدينة. كما تولى أمانة مدينة ينبع^(٢).

ومن هذه الأسرة أيضاً: السيد حسين، والذي يصف الأنصاري إنتاجه الأدبي بقوله: «كان له نظم رائع، ونثر فائق»^(٣).

أما السيد يحيى، الذي تولى وظيفة كاتب المحكمة، فهو صاحب مؤلف مخطوط في الأدب يعرف بـ (الفلك المشحون)، وقد اطلعت على هذا الكتاب في نسخته الأصلية المحفوظة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة^(٤).

* * *

(١) عبد الرحمن الأنصاري: «تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب»، تحقيق محمد العروسي المطوي، تونس، ١٩٧٠.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٤٨٨.

(٣) المصدر السابق نفسه ص ٤٨٩.

(٤) يحيى هاشم المدني: «الفلك المشحون» مخطوطة مكتبة عارف حكمت بالمدينة، رقم ٣٢٠٤.

- أما بالنسبة لمؤلف (كتاب الأخبار الغريبة)^(١) السيد جعفر فلم أتمكن من العثور على معلومات كافية عن حياته، إلا أن الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ يصفه بأنه كان واحداً من أدباء المدينة، وأن وفاته كانت بالمدينة سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٢م، وأنه ترك مؤلفاً في تاريخ المدينة^(٢)، ولعلّه هو الكتاب الذي نحن - هنا - بصدد دراسته .

المادة العلمية في الكتاب :

- يبدو - من مقدمة كتاب (الأخبار) أن المؤلف رغب في تسجيل الحوادث الاجتماعية، التي برزت أثناء القرن الثاني عشر الهجري، في المدينة المنورة، وهذا - بطبيعة الحال - يستدعي الإشارة إلى الحالة السياسية للمدينة، وصلتها بالبلاد العربية الأخرى، كما يشير - في الوقت نفسه - إلى مركز المدينة ضمن إطار الدولة العثمانية، التي كانت تحكم العالمين العربي والإسلامي، في تلك الفترة .

لقد بدأ المؤلف بذكر أهم الحوادث، التي وقعت في الفترة الزمنية ١١١١ - ١٢٠٣هـ، ويمكن تصنيف هذه الحوادث، التي يسميها الكاتب بالفتن كما يأتي :

١ - الفتنة الواقعة بين أهل المدينة، وبني علي، سنة ١١١١هـ، ويكتفي المؤلف في سرد تفاصيل هذه الفتنة نثراً، وبشيء يسير من الشعر الذي قيل أثناء تلك الفتنة .

(١) انتهت - بتوفيق الله - من تحقيق هذا الكتاب، وسوف أضع به للنشر - قريباً - بإذن الله، ص ٤٨٨ .

(٢) عبد السلام هاشم حافظ: المدينة المنورة في التاريخ، القاهرة ط ٢، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م، ص ١٦١ .

ويذكر الأستاذ عاتق بن غيث البلادي نقلاً عن ورقة من كتاب (الأخبار) قدمها له فضيلة الأستاذ حمد الجاسر أن هذه الواقعة كانت السبب الرئيسي وراء هجرة بني علي من المدينة إلى نجد^(١).

٢ - فتنة العهد: التي وقعت زمن شيخ الحرم «أيوب آغا» بين الأغوات وأهل المدينة، سنة ١١٣٤هـ، ويعتمد المؤلف - في وصف هذه الفتنة - على ملحمة الشاعر جعفر البيتي^(٢)، المكوّنة من أربعة وتسعين بيتاً من بحر الكامل.

٣ - فتنة بشير آغا، بين أغوات الحرم النبوي الشريف، وأهل المدينة، واشتركت فيها فروع من قبيلة حرب، سنة ١١٤٨هـ، ويعتمد المؤلف - كذلك في وصف أحداث هذه الفتنة - على ملحمة الشاعر البيتي، التي أبدعها تحت تأثير الفتنة نفسها، والمكوّنة من أربعة وستين بيتاً من بحر الكامل.

٤ - فتنة عبد الرحمن آغا الكبير، أو فتنة كابوس، وذلك سنة ١١٥٥هـ، واعتمد المؤلف - كما يذكر - على أفواه ثقات الناقلين لأخبار هذه الفتنة. وكذلك على قصيدة السيد البيتي، المكوّنة من مائة وثلاثة

(١) عاتق بن غيث البلادي: «نسب حرب مكة المكرمة»، ط٣، ١٤٠٤هـ، ص ١٦٥ - ٨١٦٦.

(٢) السيد جعفر البيتي العلوي السقاف، ولد في المدينة سنة ١١١٠هـ، من أشهر شعراء الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري. لا يزال ديوانه الشعري مخطوطاً، وتوجد منه نسخ في مكتبة عارف حكمت بالمدينة، ومكتبة المدينة العامة، وطوبقوب سراي باستانبول، وبمكتبة المرحوم السيد عبيد مدني.

انظر ترجمته في «تحفة المحبين والأصحاب» لعبد الرحمن الأنصاري ص ٧١. وفي «هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي استانبول: ١٩٥٥م، ج ١، وفي «الشعر الحديث في الحجاز» للمرحوم عبد الرحيم أبي بكر، القاهرة: ١٣٩٧هـ، ص ٦٩ - ٧٤.

وستين بيتاً من بحر البسيط، وقصيدة أخرى للشاعر محمد سعيد سفر^(١)،
مكوّنة من مائة وستين بيتاً من بحر الطويل.

٥ - ويذكر المؤلف أنه فيما بين سنة ١١٨٧هـ إلى سنة ١١٩٤هـ
وقعت في المدينة جملة فتن عظيمة فيما بين أهل المدينة بعضهم مع
بعض، وبينهم، وبين الشريف سرور^(٢) وبين جماعة أهل اليمن، الذين
وضعهم في القلعة.

النسخ الخطية من كتاب (الأخبار):

- نسخة مكتبة آل الأنصاري بالمدينة^(٣): «النسخة الأصلية»، وتقع في
حوالي مائة صفحة، وفي كل صفحة ٢١ سطراً، كتبت هذه النسخة بخط
جيد وواضح، وتوجد على هامشها بعض التعليقات الموضحة لبعض
المسائل. كما تم تشكيل بعض الكلمات في القصائد الشعرية، وقد فرغ
المؤلف من كتابتها صباح يوم الثلاثاء غاية ذي الحجة الحرام سنة
١٣٠٦هـ.

- النسخة الأخرى وتوجد بمكتبة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي^(٤) -

(١) محمد سعيد بن علي بن محمد أمين سفر، ولد في المدينة سنة ١١١٣هـ، سافر إلى مصر
والشام، ثم عاد إلى المدينة ليصبح خطيباً وإماماً، ثم تركهما، واشتغل بالتدريس، وكف بصره
وتوفي سنة ١١٩٤هـ.

انظر: «تحفة المحبين والأصحاب» للأنصاري، ص ٢٨٥.

(٢) في الحروب التي وقعت بين أهل المدينة والشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن زيد، انظر:
«كشف الحجاب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور»، مجلة العرب، ج ١١،
١٢ الجماديان سنة ١٤٠٦هـ.

(٣) أشكر للشيخ الفاضل نذير محروس تزويدي بمصورة للنسخة الأصلية من كتاب «الأخبار
الغريبة».

(٤) محمد صالح جمعة «فهرست مخطوطات الحرم المكي» تاريخ وتراجم، ١٣٩٢هـ، ص ١٠.

رحمه الله - التابعة لمكتبة الحرم المكي، وتقع في حوالي مائة وثمانين عشرة صفحة، وفي كل صفحة ١٧ سطراً، ومع أنها كتبت بخط واضح إلا أنها لا تتضمن شروحات وتعليقات في هوامشها، مقارنة بالنسخة الأصلية، ولم يذكر فيها اسم الناسخ، أو تاريخ النسخ، إلا أنه ذكر - في نهايتها - أن النسخة ربما كتبت بخط المرحوم الشيخ إبراهيم الخربوتي أمين مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة.

مصادر الكتاب :

- لقد وعد المؤلف في المقدمة بذكر أسماء الكتب والمؤلفين الذين قام بالنقل عنهم في كتابه، ومن خلال التوثيق العلمية، التي قام بها المؤلف، نستطيع أن نحدد مصادر كتاب «الأخبار» كما يلي:

١ - مصادر تاريخية: وتشمل كتابي (أمراء البلد الحرام) و(أسنى المطالب) لأحمد دحلان.

٢ - كتب التراجم والأنساب: وتشمل كتاب (تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب) وكتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)^(١) لأحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عتبة الداوودي، وكتاب (جوهرة العقدين في فضل الشرفين)^(٢) لنور الدين السمهودي.

٣ - مصادر أدبية: كديوان السيد البيتي، إلا أنه لم يزودنا بأي

(١) جمال الدين أحمد بن علي الحسيني «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب»، بيروت، لجنة إحياء التراث.

(٢) الكتاب لا يزال مخطوطاً. وقد رجعنا إلى نسخة مكتبة الأوسكريال، رقم ١٥٣٣.

معلومات عن النسخة الخطية لديوان هذا الشاعر، والتي اعتمد عليها في نقل القصائد المعنية. كما أن الشاعر لم يعن بذكر مصادر القصائد الشعرية الأخرى، والتي نظمها بعض شعراء تلك الفترة مثل محمد سعيد سفر، ويوسف الأنصاري، وأحمد الجامي.

٤ - هناك بعض المصادر الأخرى، التي ذكرها الشاعر، إلا أننا لم نوفق في الوقوف عليها لمراجعة المادة العلمية المستقاة منها، ومن ثم تصنيفها وهي «الروض الأعطر» و«الدر النظيم».

٥ - لم يرجع المؤلف إلى بعض المصادر المعاصرة، التي تحدثت عن هذه الفتن ككتاب «ذيل الانتصار لسيد الأبرار»^(١) للسيد عمر بن علي السمهودي^(٢).

أسلوب المؤلف في كتاب الأخبار:

- بما أن الكاتب عاش في فترة تميزت بتسرب الضعف إلى أساليب اللغة العربية؛ لذا فإن القارئ لكتاب (الأخبار) يمكنه ملاحظة استعمال المؤلف لبعض الكلمات العامية مثل: (خصماني)، للدلالة على الأعداء، أو بعض التعبيرات الخاصة، مثل: (ينزلون صلاة الصبح) كما يمكن ملاحظة عدم اتباعه للقواعد النحوية الخاصة بالإضافة مثلاً كقوله (مشيين الفتنة) بدلاً من (مشيي الفتنة)، كما أن الكاتب ليس بدعاً عن أدباء عصره

(١) الكتاب لا يزال مخطوطاً، وتوجد نسخة منه بمكتبة آل الصافي التابعة لمكتبة المدينة المنورة العامة.

(٢) ترجم له الأنصاري قاتلاً: نشأ نشأة صالحه، واشتغل بطلب العلوم، ودرس بالروضة النبوية وصار مفتي الشافعية، وخطب، وأم، وألف، وصنف، ونثر ونظم. (انظر: تحفة المحبين ص ٢٧٢ - ٢٧٣).

الذين شغفوا بأساليب البديع في كتاباتهم، ولهذا نجد الكاتب في عبارة كهذه: «وقال له: أين المسرى، وقد دهمك البلاء من أمام وورا؟» يضطر إلى إسقاط الحرف الأخير لكلمة «وراء» وهو الهمزة حتى يتناسب المقطع الأول من العبارة مع مقطعها الثاني.

- يحاول الكاتب أن يبرز ثقافته الأدبية، أثناء سرده للحوادث التاريخية فيستشهد ببعض الأبيات الشعرية: وهي استشهادات يمكن اعتبارها دليلاً على ذوقه الأدبي فكثيراً ما تصادفنا أبيات الشاعر «المتنبي» وأخرى للإمام «محمد بن إدريس الشافعي».

- يمتلك الكاتب حساً أدبياً نقدياً لا بأس به؛ فنجده ينتقد الشاعر «عبيد كدك» الذي حاول احتذاء الشاعر «البيتي» في بعض قصائده وزناً وقافية، ويصف إنتاج الأول بركاكة المعنى، واختلال النظام.

- يؤخذ على الكاتب عدم تثبته من بعض الروايات التاريخية التي ذكرها مؤلفون سابقون كنقله العشوائي لبعض القصص، التي ذكرها الشاعر «ابن عنبه» في ديوانه، أو في كتاب «عمدة الطالب».

أهمية الكتاب العلمية:

- تنبع قيمة الكتاب العلمية من تتبع الكاتب للحوادث التاريخية في المدينة. في فترة القرن الثاني عشر الهجري، والتي لم تحظ بالدراسة العلمية الوافية رغم أهميتها، وتكتسب هذه الفترة أهميتها من العوامل التالية:

- ظهور عدد من الدعوات الإصلاحية، في العالم الإسلامي، ولقد كانت المدينة المنورة، بحكم قدسيته، مركزاً دينياً هاماً تلقى العديد من الشخصيات الفكرية، في مسجدها الشريف، جزءاً من دراستهم العلمية

على يد بعض علمائها كالشيخ إبراهيم الكوراني^(١)، والشيخ أبي الطاهر الكوراني^(٢)، والشيخ محمد حياة السندي^(٣)، والشيخ عبد الله بن سيف والشيخ سليمان الكردي^(٤)، رحمهم الله جميعاً.

- وقع المجتمع المدني تحت تأثير تغيرات اجتماعية كثيرة في هذه الفترة الزمنية بسبب عامل الهجرة إليها من جميع أنحاء العالم الإسلامي. ولعلّ في ذلك ما يلقي الضوء على ذلك الاتجاه العلمي، الذي ظهر لدى بعض أدباء المدينة في تلك الفترة وهو التأليف في علم أنساب الأسر وما يتصل بوجودها في المجتمع المدني من حرف، وأعمال ووظائف، وما يتصف به أفرادها من أخلاق وطباع.

(١) إبراهيم بن حسن الكوراني: نزيل المدينة، ولد سنة ١٠٢٥هـ، وطلب العلم بنفسه ورحل إلى المدينة المنورة، وتوطنها وأخذ بها عن جماعة من علمائها كأحمد بن محمد القشاشي، درس بالمسجد النبوي، وألف مؤلفات عديدة، توفي بالمدينة سنة ١١٠١هـ. محمد خليل المرادي سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - ط بولاق ١٣٠١هـ، ج ١، ص ٥ - ٦.

(٢) أبو الطاهر بن إبراهيم بن حسن الكوراني، ولد بالمدينة في سنة ١٠٨١هـ، أخذ عن والده وعن الشيخ عبد الله بن سالم البصري، والشيخ حسن العجمي، تولى إفتاء الشافعية مدة إلى أن توفي سنة ١١٤٥هـ.

المؤلف مجهول، تراجم أعيان المدينة في القرن الثاني عشر الهجري - تحقيق الدكتور محمد التونجي، دار الشروق، ١٤٠٤هـ - ص ١٠٦.

(٣) العلامة المحدث، المعروف بتصانيفه في علم الحديث: كشرح «الترهيب والترغيب»، و«مختصر الزواجر»، و«شرح الأربعين النووية»، توفي بالمدينة سنة ١١٦٣هـ. المصدر السابق نفسه ص ٦٨.

(٤) الشيخ محمد بن سليمان الكردي الشافعي، ولد بدمشق، وحمل إلى المدينة وهو ابن سنة، ونشأ بها، وأخذ عن أفاضلها، وتولى بالمدينة إفتاء الشافعية سنة ١١٨٩هـ، وتوفي بالمدينة سنة ١١٩٤هـ.

المصدر السابق نفسه ص ٥٥.

- شهدت هذه الفترة صراعاً شديداً بين المواطنين في مجتمع المدينة، وبين المسؤولين عن إدارة شؤونها وهم من الأغوات الذين كانوا يتولون مشيخة الحرم النبوي الشريف. ويبدو أن الدولة العثمانية كانت تتولى تعيين هؤلاء الأغوات الذين لم يحسنوا، في فترة القرن الثاني عشر الهجري، تصريف أمور البلدة المقدسة.

- لقد كانت فترة القرن الثاني عشر الهجري فترة متميزة من حيث الإنتاج العلمي، حيث أسهم هؤلاء الأدباء في إمداد القصيدة العربية بزخم شعري جديد، كما حافظوا على شكلها التقليدي بما أبدعوه من قصائد سموها «ملاحم شعرية» وهي قصائد تعكس - بكل صدق - الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية للمدينة في تلك الفترة وتشكل هذه القصائد مصدراً رئيسياً لتاريخ المدينة.

منهج الشريف العياشي في البحث التاريخي

- عندما أتى الشيخ حمد الجاسر على ذكر أولئك الذين تصدروا لتاريخ المدينة المنورة، أو تراجم رجالها. نجده قد جعل كتاب «محمد بن زباله المخزومي» الذي ألفه سنة ١٩٩٩هـ. أول كتاب عرف تاريخ هذه المدينة الطاهرة، التي لقيت اهتماماً خاصاً من أشهر المؤرخين والكتّاب، على مر العصور الإسلامية، مثل: «ابن شبة»، و«ابن النجار» و«ابن فرحون» و«المراغي» و«السمهودي»، و«السّخاوي» وغيرهم^(١).

- وفي العصر الحديث تناول عدد من الكتّاب جوانب معينة من تاريخ المدينة المنورة الحضاري، والإداري، والاجتماعي، ولكن مؤلفاً واحداً ضمن هذه المؤلفات يظل متميزاً، لما بذله فيه مؤلفه من جهد غير عادي، كان يشهد به ذلك الشحوب والهزال الباديان على مؤلف هذا الكتاب في

(١) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: «المغانم المطابة في معالم طابة» تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة - الرياض: ١٣٨٩هـ، المقدمة - و -، ولمزيد من التفصيل انظر أيضاً: صالح أحمد العلي «المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز»، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الحادي عشر (١٣٨٤ - ١٩٦٤م) مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٤هـ، ص ١٢٧

أواخر حياته، ثم لذلك المنهج العلمي الدقيق الذي اتبعه الشريف «إبراهيم بن علي العياشي» فيما جمعه من معلومات، وما توصل إليه من نتائج، تتصل بتاريخ عاصمة الإسلام الأولى، ومنطلق حضارته، وموئل قاداته وعظمائه.

- وإذا كان «العياشي» استطاع أن يترك أثراً تاريخياً فريداً كهذا، إلا أنه لم يعرف عنه في مطلع حياته الاشتغال بالكتابة، أو البحث وما يتصل بهما من أمور، فلقد كان - رحمه الله - موظفاً إدارياً في شرطة المدينة المنورة، ثم نراه يترك المدينة ليسافر إلى الساحل الشرقي من جزيرة العرب، ثم يعرج على مدينة «ينبع» للإقامة فيها، ولكن الحياة لم تطب له إلا بعد أن عاد إلى مرايع صباه الأولى، حيث نجده مدرساً في بعض مدارسها الابتدائية، وإخاله زامل الأستاذ «ضياء الدين رجب» في التدريس، كما ذكر لي هذا الأخير - رحمه الله - في إحدى رسائله الخاصة، قبل أن ينتقل إلى الدار الآخرة.

ولعل السر في توجه «العياشي» لتدوين تاريخ المدينة المنورة يعود إلى حبه للأرض التي شهدت ربوعها انطلاقة الإسلام الأولى، وهذا ما يمكن أن نستشفه من تلك الكلمات الشاعرية التي صدر بها مؤلفه تحت عنوان «وهكذا كان الفضل».

يقول - رحمه الله: «كانت وليدة رغبة ملحة، بدأت معها أشق طريقي للغاية المرجوة، كنت بين جنان قباء وردهات صلحة، منها كنت أطل على واقم، وأسمع خريز العقيق، واصعد على قِمَم أحد، واسمع نشيد بنات التجار في الغيب...».

- والتزام «العياشي» بالمنهج العلمي، في دراسة آثار المدينة النبوية،

يظهر في ذلك النقد الذي وجهه لمن سبقه من المؤلفين الذين كانوا يكتبون بتحديد الموضوع، بقوله مثلاً: «ونزل بنو فلان بدارهم المعروفة بهم» واصفاً هذا التعريف للقارئ في هذا العصر، بأنه كمن عرف الشيء بنفسه، ولذا نجده - أي العياشي - في تحديد مساكن القبائل التي استقرت بالمدينة المنورة بدءاً بالعمالقة، ومروراً باليهود، وانتهاءً بالأنصار، ثم المهاجرين من بعدهم، يرجع إلى النصوص التي أوردها «الطبري» أو «ابن كثير» أو «السيد السمهودي» يثبت ما توافق فيه النص مع التطبيق العملي، وينفي ما خالف هذه القاعدة العلمية. ولقد سمعته - في حياته - يتحدث عن قيمة كتب السمهودي (وفاء الوفا) في تاريخ المدينة المنورة، وأنه يعد «السمهودي» أستاذاً له، ولكنه أردف يقول: إنه يختلف معه عندما يجد ما كتبه لا تؤيده شواهد واقع الموضوع أو الأثر نفسه.

وإنني لأذكر تلك الدهشة التي بدت على زميلي الدكتور «رشاد مفتي» في أثناء دراستنا في جامعة «لانكستر» بالمملكة المتحدة، بعد اطلاعه على كتاب «العياشي»، وذلك لارتباط دراسته «الجيولوجية» بحرة المدينة الشرقية، لقد كان سبب دهشته هو إمام هذا الرجل بعلم «الجيولوجيا» واستفادته من بعض أسسه، وهو الذي لم يعرف عنه تلقيه لأي دراسة «أكاديمية» في معرفة تكوين الحرار في المدينة، وما يمكن أن تدل عليه صلابة أحجارها أو ألوانها، ثم ما تركته عوامل التعرية على كل حرة من هذه الحرار التي تشكل مظهراً طبيعياً خاصاً بأرض المدينة.

- كنت أسأل هذا العالم التاريخي - رحمه الله - عن غزوة من غزوات الرسول ﷺ الهامة، وهي غزوة «أحد»، فلم يكتب بأسلوب السرد النظري الذي يأخذ به كثير ممن دونوا أخبار هذه الغزوات، وما يرتبط

بأحداثها من مواضع وأشخاص، بل قادني إلى منطقة أحد، وعين على الطبيعة الميادين الأربعة لتلك المعركة الشهيرة، حتى إذا ما سألته عن الموضع الذي كان الناس يسمونه (المصرع) وكان يقوم فيه بستان من بساتين المدينة القديمة، فإذا به يستوقفني ليقول: «إن الناس يتوهمون أن سيدنا حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قتل في هذا المكان. ولهذا يسمونه خطأ (المصرع)، وهو في حقيقة الأمر ميدان من الميادين المذكورة التي نشب فيها القتال بين المسلمين وكفار قريش. ثم يتوجه بي إلى مكان قديم كان يقوم بالقرب من منطقة قبور الشهداء، ويشير إلى صخرة من الحجر الجرانيت الأحمر، ليقول: «هذه الصخرة^(١) التي كان يختبئ - تحتها - وحشي، عندما عزم على قتل الشهيد حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنهما.

- ثم شاهدته يُحدّد على الطبيعة - أيضاً - وبالقرب من جبل «سلع» موضع الخندق الذي حفره رسول الله - ﷺ - حول المدينة المنورة في غزوة «الأحزاب» باستشارة «سلمان الفارسي» - رضي الله عنه - لقد كان - يومها - يومئ بعضاته التي كان يتوكأ عليها، إلى المواضع، وكأنه شاهد تلك الأحداث العظام، وعایش أبطالها من صحابة رسول الله - ﷺ - لقد حدثني كيف أن حفر ذلك الخندق في مدة وجيزة، وبأيدي محدودة، لم يكن ليتم، لولا أن الله بارك لعباده المؤمنين في الزمن، فأنجزوه في الوقت المناسب، يصدون به العدو، ويصونون به البلد الطاهر من أن تنتهك حرمة التي بقيت مرعية على مر العصور، إلى وقتنا الحاضر.

- ويخرج «العياشي» كتابه (المدينة بين الماضي والحاضر) والذي لم

(١) إبراهيم بن علي العياشي: «المدينة بين الماضي والحاضر» (بدون تاريخ) ص ٥٣١ - ٥٣٢.

يترك فيه منزلاً من المنازل التي كان ينزلها صحابة رسول الله - ﷺ - إلا وأبرز موضعه، ولا مسجداً من المساجد التي ذكرها المؤرخون - قبله - إلا وأجلى حقيقة تاريخه، ولا جبلاً من الجبال التي تقف شامخة في هذا البلد الطيب إلا وحدد طوله وعرضه، من جميع الجهات، ذاكراً الوديان التي تحيط به، وما يتجمع فيها من سيول، حتى إذا ندّد عن ذاكرته شيء من المعلومات يصوغ عبارته الوصفية لتناسب مع المعلومة التي لا يعتقد بجزميتها. لذا نجده - في تحديد طول جبل «أحد» من الجهة الشمالية - يقول: «أما طوله من الجهة الشمالية فقد نسبت ضبطها، وأعتقد أنه ستة، أو يزيد شيئاً بسيطاً»^(١).

- لقد خرجت تلك الموسوعة الشاملة في تاريخ المدينة المنورة، عام ١٣٩٢هـ، والتي استنفدت من مؤلفها ما يقرب من عقدين من الزمن، قضاها متنقلاً - على قدميه - بين جبال المدينة وأوديتها، بعيداً عن أسرته التي أحبها، وأبنائه الذين كانوا في مرحلة الطفولة، ولم يحتفل بتلك الإضافة العلمية الجديدة إلا نفر محدود من الباحثين، في مقدمتهم الشيخ «حمد الجاسر» الذي أشاد بالكتاب ومؤلفه في «مجلة العرب».

وعاش «العياشي» بقية حياته حبيس داره المتواضعة، في حي قباء، ولكنه كان راضياً عن الجهد الذي قدمه لتوافر عامل الإخلاص، وأسس البحث العلمي، في كل فصل من فصول السُّفر الذي ينير سبل المعرفة بتاريخنا الحي المشرق الذي شهدت أرض المدينة المنورة عظمة أحداثه، وبطولة رجاله. ثم يموت «العياشي» في شهر ربيع الأول من عام ١٤٠٠هـ.

وتعجز صحافتنا عن الإشادة الكافية بما أبدعه هذا المؤرخ الرائد في علم توثيق الخبر، وتتبع الأثر، بأسلوب علمي شامل يأخذ بكل ثابت في الرواية، ومنطبق مع حيثيات المنطق، نائياً بهذا عن كل ضعيف لا تقوم معه الحجة، أو أسطورة ترفضها حقائق الأشياء^(١).

وإنها لمناسبة كريمة في أن أتوجه إلى معالي أمين المدينة المنورة المهندس «عبد العزيز الحصيّن» ومساعدته الصديق المهندس «أنور إلياس» في إطلاق اسم «الشريف إبراهيم بن علي العياشي» على معلم بارز من معالم المدينة المنورة تخليداً لذكراه، واعترافاً بجهده في تاريخ هذا البلد الذي عرف بتقدير أولئك الذين ساهموا - بتجرد وإخلاص - في خدمته، أو شاركوا في بنائه الفكري والثقافي، وإنني على يقين من أن رجائي سوف يجد صدى إيجابياً لديهما، فهما أهل لكل فضل ومعروف، والله ولي التوفيق.

(١) يستثنى من هذا «ملحق التراث»، الذي نشر بصحيفة المدينة المنورة بتاريخ ١٢ ربيع الآخر ١٤٠٠هـ مقالة لكاتب هذه السطور، بعنوان «إبراهيم العياشي موسوعة المدينة التاريخية»، ومقالة أخرى للأستاذ «علي محمد حسون».

في رحاب المسجد النبوي

(١)

امتد أثر الحرمين الشريفين في نشر الثقافة الإسلامية إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي وعلى مر العصور الإسلامية. ولقد كانت بداية تاريخ هذا التأثير على يد معلم البشرية الأول سيدنا محمد ﷺ الذي جعل من مسجده الشريف مدرسة يتلقى فيها صحابته رضوان الله عليهم أجمعين ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم، وهي المدرسة التي تخرّج فيها عبد الله بن مسعود وأبو هريرة ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ وعبد الله بن عمر فكانوا أمثلة حية للشخصية الإسلامية التي تجمع بين نظافة السلوك وعمق المعرفة ورحابة الأفق.

ولقد قام المسجد النبوي الشريف بدوره القيادي في أحلك الظروف التي مرت بها الأمة الإسلامية. ففي القرن الحادي عشر الهجري تصدى للتدريس فيه، الشيخ إبراهيم الكوراني ١٠٢٥ - ١١٠١ هـ الذي أخذ العلم عن الثقات من الشيوخ في بغداد، ودمشق، ومصر، ثم ألقى عصا التسيار بالمدينة المنورة ليصبح حجة في علم مصطلح الحديث، وتنتهي إليه الرواية في هذا العلم الإسلامي في عصره، فيشد الناس رحالهم إلى مسجد رسول الله ﷺ ليجلسوا في حلقاته، ويتزودوا بزاد العلم والمعرفة الحقيقيين.

ولم ينقطع العلم عن آل الكوراني فنجد ابنه الشيخ محمد أبا الطاهر الكوراني ١٠٨١ - ١١٤٥ هـ الذي لم يكتف بطلب العلم على يدي والده، بل ارتحل أيضاً ليجتمع بعلماء عصره. من أمثال الشيخ عبد الله بن سالم البصري، والشيخ حسن العجيمي والشيخ محمد البرزنجي، مما أهله للإفتاء في علوم الفقه والحديث.

وعندما قام شاه ولي الله الدهلوي، رحمه الله، بزيارة الحرمين الشريفين في الفترة ١١٤٣ - ١١٤٥ هـ اجتمع بالشيخ أبي الطاهر الكوراني في المدينة وأخذ علوم الشريعة عنه مما أهله ليكون أحد الشخصيات البارزة في تاريخ الهند الإسلامية. ولقد بذل الشيخ الدهلوي، كما يذكر الدكتور جمال الدين الشيال في كتابه عن الحركات الإصلاحية، بذل جهوداً كبيرة للدفاع عن أهل السنة، وألّف كتاب «إزالة الخفاء عن تاريخ الخلفاء» حيث أثبت فضل الخلفاء الراشدين، كما فصل فيه القول على أسس الحكومة الإسلامية الأولى وما بذلته من جهود لنشر الإسلام. وسعى الدهلوي - رحمه الله - لتوضيح أهمية علمي الفقه والحديث وضرورة العناية بهما ودراستهما لفهم حقيقة الإسلام، حيث كان العلماء الهنود في عهده يعتمدون كثيراً على علم الكلام، ويعتقدون أنه قوام الدين وروحه، كما بدأ بدعوة مواطنيه إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة وكان في دعواه ودروسه وفي مؤلفاته يسعى دائماً للتوفيق بين مذاهب الأئمة فإن تعذر عليه ذلك أخذ ما يوافق الأحاديث الصحيحة، ورجحه على غيره وقد طبق طريقته هذه تطبيقاً ناجحاً في كتابه الرائع «حجة الله البالغة» وفي كتيبه الصغير «الإنصاف في بيان أسباب الخلاف».

إنه أحد دعاة الإصلاح الإسلامي في القرون المتأخرة ويعد ثمرة من ثمرات الارتحال في طلب العلم إلى الديار المقدسة. وما أكثر ثمرات هذا البلد في الماضي والحاضر.

(٢)

حفل الحرم النبوي الشريف في القرن الثاني عشر الهجري بحلقاته العلمية المتعددة، ومن هذه الحلقات ما كان مختصاً بعلوم اللغة والأدب، مثل حلقة الشيخ محمد بن محمد الطيب الفاسي الذي كان تلميذاً من تلامذة الشيخ محمد أبي الطاهر الكوراني الذي مررنا على ذكره في الحلقة الأولى من هذه الدراسة. لقد كان الفاسي كما يصفه مؤلف كتاب تراجم أعيان المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، إماماً في اللغة العربية في وقته محققاً فاضلاً، متضلِعاً في كثير من العلوم، ولعل قائمة أسماء مؤلفاته تؤيد هذا القول الذي ذهب إليه مؤلف كتاب التراجم، وللشيخ الطيب شرح على معجم «القاموس» للفيروز آبادي وشرح نظم الفصيح، وشرح كافية ابن مالك، وشرح شواهد الكشاف للزمخشري.

كما حفل بحلقات أخرى كانت مختصة بالحديث وعلومه، ومنها حلقة الشيخ محمد حياة السندي، الذي تلقى علومه من مشايخ عدة، يأتي في مقدمتهم الشيخ أبو الحسن بن عبد الهادي السندي، والشيخ محمد أبو الطاهر الكوراني. ثم تصدى للتدريس بعد وفاة شيخه السندي واستمر يؤدي رسالة التدريس في حرم الرسول - ﷺ - لأكثر من عشرين سنة. وأثمرت هذه السنون عن تأليفه لكتب هامة: (شرح الترهيب والترغيب)

و(مختصر الزواجر لابن حجر) و(شرح الأربعين النووية) المعروف باسم (تحفة المحبين في شرح الأربعين). ولعلّه من المفيد أن ننقل هنا عبارات الدكتور عبد الله العثيمين في كتابه (الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره) عن الشيخ محمد حياة السندي، إذ يقول العثيمين: «أما محمد حياة السندي فكان حجة في الحديث وعلومه وصاحب مؤلفات مشهورة في هذا الحقل. وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح بعضهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة في مناطق إسلامية عديدة. ويؤكد الدكتور ابن عثيمين أثر الشيخين محمد بن حياة السندي، والشيخ عبد الله بن سيف، على الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - لا بالنسبة لتحصيله العلمي فقط وإنما بالنسبة لاتجاهه الإسلامي أيضاً».

ومن علماء المدينة في تلك الحقبة المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري ١١٢٤ - ١١٩٧هـ الذي تلقى علومه في مدرسة الحديث التي نشأت في المدينة خلال القرن الثاني عشر الهجري. حيث نلاحظ خلال ترجمته أنه تلقى العلم على الشيخ محمد أبي الطاهر الكوراني، وأبي الطيب السندي. ومحمد بن الطيب الفاسي.

- ينعته المرادي في كتبه سلك الدرر. بمؤرخ المدينة في عصره كما يذكر عمر الداغستاني وهو معاصر له بالمدينة أنه ألف تاريخاً جمع فيه بيوتات أهل المدينة.

وعبارة المرادي على قصرها تحمل دلالة واضحة على أهمية كتاب الأنصاري المسمى «تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب».

فهو كما ذكر محقق الكتاب الأستاذ محمد العروسي المطوي ليس

مجرد كتاب أنساب فقط كما يدل عليه عنوانه، بل هو بالإضافة إلى ذلك يصور مجتمع المدينة في القرن الثاني عشر من مختلف أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما يُمكن الدارس وبخاصة الاجتماعي من تلمس العناصر والمعطيات للدراسة والتحليل والاستنتاج.

- لم يذكر الأنصاري سبباً لتأليف كتابه (التحفة) إلا أنه يشير عند ترجمته لآل الأنصاري إلى أن المؤرخ السخاوي أهمل كثيراً في كتابه (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة) و(الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع)، من فروع هذا المجموع - أي آل الأنصاري - وذلك من قلة العلم بأصولهم وعدم تفصيلهم ولعلّ هذا ما حدا بالأنصاري أن يؤلف كتابه هذا وكتاباً آخر في تاريخ أنساب أهل المدينة لا نعرف عنه إلا اسمه وهو (نشر كمائم الأزهار المستطابة في نشر تراجم أنصار طابة).

- والأنصاري من خلال الترجمة التي كتبها لنفسه يبدو أنه أحد أولئك العلماء الذين تجولوا في بعض البلاد العربية والإسلامية يحدوهم في ذلك الرغبة في طلب العلم والاستزادة من معطيات المعرفة فهو يسافر إلى بلاد اليمن سنة ١١٧٢هـ ويدون وقائع رحلته في كتابه المعروف باسم (قرة العيون في الرحلة إلى اليمن الميمون) كما يشير إلى اهتمامه بالأدب والشعر خاصة وذلك عند ذكره لزيارته لإمام اليمن - خلال الرحلة التي قام بها لهذا القطر - حيث مدحه بقصيدة بائية في سبعين بيتاً وهذا يؤكد ما نذهب إليه من احتكاك علماء الحرمين الشريفين واتصالهم بنظرائهم في البلاد الإسلامية، وهو اتصال كانت له ثمراته المباركة وآثاره الحسنة والله ولي التوفيق.

(٣)

- لقد استمرَّ المسجد النبوي في أداء رسالته العلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، ولقد كان مرد تلك الاستمرارية إلى طبيعة الأجواء الفكرية والعلمية التي يتمتع بها مجتمع المدينة والتي عرف بها على مر العصور الإسلامية. ولا شك في استفادة مجتمع المدينة العلمي من هجرة العلماء الأفاضل الذين استقر بعضهم المقام في الأرض الطيبة، بينما بقي البعض لفترة معينة من الزمن. وفي كلتا الحالتين فإن تلك الهجرات الدائمة والمؤقتة كان لها آثارها الواضحة في إمداد المجتمع بإشعاعات العلم والمعرفة. وفي تثبيت دعائم الفكر الإسلامي بين طبقات الناس المختلفة.

- لقد جاور بالمدينة علماء أفاضل، وكانوا على قدم راسخة في علوم الشريعة واللغة العربية. ومن هؤلاء الأعلام، الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي ١٢٤٥ - ١٣٢٢هـ. وهو العالم الذي انتدبته الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني إلى باريس، ولندن، والأندلس، للاطلاع على ما في خزائنها من الكتب العربية النادرة، وتقييد أسماء ما يوجد منها بخزائن القسطنطينية لتستنسخ، فسافر على باخرة خاصة، وكان ينزل حيثما حل دور السفارات ولكن المشروع أهمل بعد عودته.

- وفي عام ١٣٠٦هـ أرسل ملك السويد والنرويج أوسكار الثاني إلى

السلطان عبد الحميد، مبدياً رغبته في أن يقوم الشيخ التركي - نفسه - بحضور مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في مدينة استكهولم ولقد قام سفير السويد بمصر في ذلك الوقت، الكونت كارلو دي لندبرج بالإشراف على متطلبات الرحلة، حيث اشترط الشنقيطي عدة شروط قبيل القيام برحلته منها: أن يكون توجهه بصفة ترفع الإسلام وأهله، وبأن ينتخب ثلاثة أو أربعة من أهل العلم بالعربية، ويستصحب مؤذناً وطهاة مسلمين. كما طلب السفير المذكور أن يقوم الشنقيطي بإنشاء قصيدة على أسلوب شعر العرب السابقين لا على أسلوب الشعراء في تلك الحقبة. ولقد قام الشنقيطي بإنشاء القصيدة المطلوبة والتي قاربت حوالي مائتي بيت من الشعر الرصين ولكن الرحلة لم تتم. لأن الشروط التي اشترطها أغضبت السلطان، فأمر بسفره إلى المدينة.

- وقام الشنقيطي في المدينة باستنساخ عدة كتب منها (أساس البلاغة) للزمخشري، وبعض الدواوين الشعرية، ويبدو من الكتاب الوحيد المطبوع له وهو (الحماسة السنية الكاملة المزينة) أنه كان على صلة وثيقة في بداية أمره، بعلماء المدينة في تلك الفترة من أمثال عبد الجليل برادة، وإبراهيم الأسكوبي. كما تثبت مصادر أخرى قيام علاقة علمية بينه وبين الشيخ أمين ابن حسن الحلواني المدني. ولكن الشنقيطي والحلواني لم يستقرا بالمدينة، فنزحا إلى مصر. ولقد نقل الشنقيطي مكتبته من المدينة، وأقبل على المطالعة والإفادة إلى أن توفي بدار سكنه القريبة من الأزهر سنة ١٣٢٢هـ ومثله الحلواني الذي حمل معه مكتبته التي تحتوي على نفائس المخطوطات وفي مختلف الفنون إلى مصر. والتي قامت مؤسسة بريل E. J. Brill في ليدن. Ledien بشرائها منه لتصبح جزءاً من مقتنيات هذه المؤسسة المعروفة باحتوائها على نوادير المخطوطات العربية حتى الوقت الحاضر.

(٤)

مع حلول شهر رمضان تتداعى إلى ذاكرتي صورة أحد شيوخ الحرم النبوي الشريف، تلك الصورة المكلفة بجلال الإيمان، ويتسلل إلى نفسي صوته الجمهوري الأخاذ الذي كان يرتفع في مسجد المصطفى - ﷺ - ليجسد سيرته العطرة كل صباح ومساءً، وليتبع أحاديثه الكريمة ويفند مروياتها. لم يكن يومها ينظر إلى كتاب وإن كان الكتاب أمامه. ولا يتعثر في لغة فهو فصيح في عربية اللسان لغة القرآن الذي كان يستهدي بآياته. ولغة الأرض التي ينتمي إليها بعراقه الدين قبل عراقه النسب.

هو أحد الذين سمعتهم من علماء الحرمين الشريفين، كالشيخ محمد الأمين الجكني، والشيخ محمد نور سيف - رحمهما الله - يتعمقون في أغوار هذه اللغة فيأتون بالفصيح منها، ويتجنبون عثرات اللحن في أدائها. ويسلكون مسالك البلغاء الذين تنثال كلماتها على ألسنتهم بعدوبة وصفاء تأتي لهم أن يتحدثوا إلى الناس فيسمع لهم. ويرفعوا أصواتهم فتشرب الأعناق إليهم.

هذه نبذة يسيرة من سمات الشيخ محمد المختار بن محمد سيد الأمين الجكني ١٣٣٧ - ١٤٠٥هـ، الذي أنبتته عالماً أرض شنقيط، ثم هاجر إلى المدينة المنورة في عام ١٣٥٦هـ، وتلقى العلم فيها على يد الشيخين عمر

السالك ومحمد الحسن - رحمهما الله - ثم دخل مكة المكرمة في عام ١٣٥٩هـ، وسمع من علمائها كالشيخ حسن المشاط. والشيخ محمد العربي التباني - رحمهما الله - كما دخل الرياض وجلس إلى علمائها ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - ولقد دعاه الشيخ ابن إبراهيم في سنة ١٣٧١هـ، للتدريس بالمعهد العلمي بالرياض. فمكث مدرساً به لمدة ست سنوات.

وفي سنة ١٣٧٨هـ استقر به المقام في المدينة المنورة، حيث عين مدرساً بدار الحديث ثم مدرساً في الجامعة الإسلامية بعد تأسيسها.

لم يكن الشيخ المختار - رحمه الله - شحيحاً في العلم الذي مكّن له أساتذته في جامعة الإسلام الأولى، مسجد الرسول - ﷺ - حيث كان يلقي دروسه على طلاب العلم الذين يشدون الرحال إلى هذه البقعة المباركة طلباً للعلم. وكانت موضوعات تلك الدروس تتراوح بين علم الحديث الشريف كصحيح البخاري ومسلم. والفقهاء كموطأ الإمام مالك، وتفسير القرآن الكريم والسيرة النبوية لابن هشام.

ولقد كان إلى جانب هذا بين الفينة والأخرى محدثاً في أول مسجد أسس على التقوى، (مسجد قباء)، ولقد أحبه القوم هناك، كما كان أسلافهم يحبون من هاجر إليهم أو أقام بينهم.

وبمثل ما كان الناس يأوون إلى درسه ويلتفون حول حلقة علمه مُنصّتين في خشوع، أو مُناقِشين في أدب، كانت أفواج من طلبة العلم تؤم داره الكريمة التي تحوي مكتبة تزخر بأمّهات الكتب في العلوم الإسلامية والعربية، فلقد كانت تلك الدار مرجعاً مكّن الكثير من طالبي العلم أن يأتوا على ما يتطلبه لهم البحث. ولقد كانت شخصية الشيخ -

رحمه الله - وملامحه الكريمة خير معوان لهم لبلوغ ذلك المقصد الذي كان يسر الشيخ - رحمه الله - فقد كان أحد الذين منحهم الله من الصبر والتواضع ما يجعل علمهم مشاعاً بين مختلف طبقات الناس . ولقد اجتمع على حبه عامة الناس وخاصتهم .

لقد حفظ التاريخ لنا سيرة عطرة عن الشيخ نفسه - رحمه الله - وعن مآثره الكريمة . ومن بين هذه المآثر تلك الحسنة الجارية المتمثلة في أبنائه الذين نشأهم خير تنشئة وعلمهم فأحسن تعليمهم . ولعلها مناسبة كريمة أتوجه فيها إلى الدكتور عبد الله المختار، وشقيقه الأستاذ محمد في طبع ما تركه ذلك الرائد من مؤلفات ورسائل، يتممان بذلك الرسالة التي وهب والدهما حياته لها في صدق وإخلاص .

الأخبار الغريبة

في

ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة

الأخبار الغريبة

في

ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة

المؤلف

السيد جعفر بن حسين بن يحيى هاشم الحسيني المدني

تحقيق

عاصم حمدان علي

إشراف

البروفيسور كليفورد إدموند بوزورث

قسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر بالمملكة المتحدة

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الدائم^(١) وما سواه فان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله نجوم الهدى، وأصحابه أنصار الدين الذين من اقتدى بهم اهتدى، وبعد:

فيقول المفتقر إلى رحمة مولاه الغني، «جعفر بن الخطيب السيد حسين ابن المرحوم السيد يحيى^(٢) هاشم الحسيني المدني»، إني لما وقفت على مُسَوِّدة تاريخ المرحوم العالم الفاضل، والجهيد الكامل، الخطيب «عبد الرحمن ابن المرحوم حسين، ابن المرحوم الشيخ علي الأنصاري المدني» (رحمه الله تعالى رحمة الأبرار) وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، بخطه فوجدته مَخْرُوماً من عدة جهات، وفيه من التّوادر واللطائف والوقائع التي وقعت^(٣) في «المدينة المنورة» ما لا يوجد في غيره من المؤلّفات، لكونه مَدِينياً وصاحب الدّار أدري، فالتّعويل عليه في النقل أحقُّ من غيره وأخرى. فجمعتُ منه ما أمكنني جمعه في هذه الرسالة، واختصرت في بعض الأماكن ذكر بعض أشياء من غير تغيير

(١) س: الدائم.

(٢) سقطت من د.

(٣) سقطت من د.

(لألفاظه السَّيَّالة وأساليبه العَسَّالة)^(١) فقلت إلى أن قال خوف الأطالة وضممتُ إليه بعض نقول نقلتها من العلماء الأعلام وكل نقل عزوته إلى صاحبه، وكتبت تحته «انتهى» خوف الملام. ولست أنا بمؤلف وإنما أنا جامع لما قالوه، والعُمْدَةُ عليهم فيما سطره ونقلوه وسميتها «الأخبار الغربية في ذكر ما وقع بطَيْبَةَ الحَبِيبَةِ» وأسأله^(٢) التَّوفيق لأوضح طريق.

(١) ما بين القوسين سقط من س ثم أضيف في الهامش. وفي د أساليبه السيالة وهو تصحيف.

(٢) في كلتا النسختين: أسئلة.

ذكر الفتنة الواقعة بين أهل المدينة

وبني علي سنة ١١١١هـ (إحدى عشرة بعد المائة والألف)

قال المرحوم العالم الفاضل الخطيب عبد الرحمن بن حسين بن المرحوم الشيخ علي الأنصاري المدني (رحمه الله تعالى) في تاريخه، في الفصل السابع في ذكر مشائخ^(١) الحرم، ومن خطه نقلت ما نصه: ثم ولي مشيخة الحرم شاهين أحمد آغا وذلك في حدود سنة ١١٠٨، ثمان بعد المائة^(٢) والألف وفي أيامه حصلت الواقعة العظيمة بين بني علي وأهل المدينة في حرّة بني قريظة سنة ١١١١ إحدى عشرة بعد المائة^(٣) والألف.

خرج خلفهم أهل المدينة بالسلاح والمدد والإمداد، وأذرعوهم قتلاً ونهباً وأسراً وسلباً إلى أن أوصلوهم إلى أقصى حرّة بني قريظة، وكان معهم شاهين أحمد آغا^(٤) المذكور. ثم إنه أمرهم بالرجوع فقالوا: إن هؤلاء كفّار ولا يفيدنا معهم إلا استئصالهم، فغضب وقطع جميع ما معهم من المياه ورجع أكثر الناس فغلب أكثر الناس الظمأ^(٥)، وحميت عليهم

(١) س: مشايخ.

(٢) س: المائة.

(٣) س: المائة، دد: المائة وهو تصحيف.

(٤) سقطت من س ثم أضيفت في الهامش.

(٥) في كلتا النسختين: الظمأ.

الشمس ولم يلقوا لهم ملجأ، فترجع الأعراب عليهم وخلفهم نساؤهم بالماء يحملونه لهم، وصاروا يقتلونهم كيف شاؤوا وأكثر قتلاهم بالظماً^(١) ومع هذا أخذوا منهم مقدارهم. سوى مَنْ ذَهَبَ أَوَّلًا وأعانهم الأعراب من كل جهة، ثم استولوا على جميع أموال أهل المدينة الخارجة عنها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأصل الفساد كله من مشائخ^(٢) الحرم، ووقع بعد ذلك غير مرة منع أهل المدينة، وسيأخذ الله الحق من الظالمين ومن كان سبباً لإهلاك المؤمنين.

ولما وصلت الأخبار للدولة العلية عزلوه وذلك في حدود سنة ١١١١ إحدى عشرة بعد المائة^(٣) والألف، ثم ولي مشيخة الحرم - «نور»^(٤) أحمد آغا - وتوفي بالمدينة سنة ١١١٧ سبع عشرة بعد المائة^(٥) والألف، ثم ولي مشيخة الحرم «حافظ محمد آغا»، وفي أيامه كانت قصة الشَّامَةِ العجيبة في سنة ١١١٨ ثماني عشرة بعد المائة والألف، وهي المعنية بقول سيدي الوالد من قصيدة هجا بها الأفندي «عبيد كدك»^(٦) وطائفة القُمَّمُجِي كما يأتي قريباً (إن شاء^(٧) الله تعالى).

صَدَقْتَ نَحْنُ الْأَلِيِّ صَحَّتْ خِيَانَتُنَا بَنَهَبِ شَمَامَةٍ، أَمْ أَنْتُمْ؟^(٨) افْتُونِي
خِيَانَةٌ يَا لَهَا دَهْمَاءُ مُظْلِمَةٌ سَوَادُهَا زَادَهَا فَوْقَ السَّوَادِينَ

(١) د: الظما.

(٢) في كلتا النسختين: مشايخ.

(٣) س: المائة.

(٤) في كلتا النسختين «نور» والتصحيح من التحفة.

(٥) س: المائة.

(٦) سقطت من س ثم: أضيفت في الهامش، وفي كلتا النسختين قدك والتصحيح من التحفة.

(٧) في كلتا النسختين: إنشاء.

(٨) د: أنتمو.

وهذه الشَّمَامَة كانت من جُملة التَّعاليق في الحُجْرَة المطهَّرة فترابط ثلاثة من آغوات المسجد الموضوعين لحفظه وهم «يعقوب آغا جبلي» و«عبد النبي آغا» و «علي إبراهيم» وأخرجوها وتصرفوا فيها فوصل الخبر إلى الدولة العلية بذلك فعزلوا شيخ الحرم وعاقبوهم.

قُلْتُ هذه الشَّمَامَة أرسلها شاهُ العجم كروية الشُّكُل من الذهب مرصعة بالجواهر محشوة بالعنبر، فلما سُرقَتْ وكُسِرَتْ ظهر وتبين أن الذي بباطنها ليس بعنبر لأن حاكم المدينة اختبره في جمع من أعيانها فوضع منه مثقالاً في النار فشمُّوا منه أولاً رائحةً كرائحة العنبر وثانياً رائحة كريهة وراياه بعد الحرق^(١) لا يضمحل كالعنبر فعلموا بذلك أنها ما خلت هذه الشمامة من دسائس العجم. وقد ألف العالمُ الفاضلُ مفتي المدينة السيد «عمرُ بن السيد علي السَّمهودي الشَّافعي المَدَنِي» (رحمه الله) في الشَّمَامَة المذكورة رسالة سماها «كسر الشمامة للشيخين كرامة» فمن أراد الوقوف بالتفصيل على حقيقتها وكسرها فعليه بمطالعةِ الرِّسالةِ المذكورة.

(١) سقطت من س ثم أضيفت في الهامش.

ذكر قصة العهد

في سنة ١١٣٤ ، أربع وثلاثين ومائة بعد الألف

قال الخطيب «عبد الرحمن بن حسين الأنصاري» (رحمه الله تعالى):
وفي زمن شيخ الحرم «أيوب آغا» سنة ١١٣٤ أربع وثلاثين ومائة^(أ) وألف،
وقعت قصة العهد وفعّلوا ما فعلوا وخبرها طويل عريض، وهي مذكورة في
قصيدة السيد «جعفر البَيْتِي»، ويقال هي أول قصيدة نظمها لأن ولادته^(ب)
سنة ١١١٠ عشر ومائة^(ج) وألف فيكون في هذا الوقت سنّة أربعاً وعشرين
سنة، والله أعلم^(د)، وهذه القصيدة المشار إليها^(هـ).

- (١) المجد تَحْتُ ظلالِ سُمرِ الذُّبُلِ وُظبا القَوَاضِبِ والجِيادِ القُفْلِ
(٢) المَورِياتِ العَادياتِ ضَوابِحاً الصَّافِناتِ الزَّافراتِ الجُفْلِ
(٣) والخَوْضُ في غمراتِ بطنانِ النوى يومِ التَّصادمِ في القَتامِ المسبيلِ

أ - س: مائة.

ب - د: لأن ولادة السيد جعفر البيتي.

ج - س: مائة.

د - سقطت من د.

هـ - في هامش كلتا النسختين عدد أبياتها ٤٩.

٢ - س: الزفرات: ورواية الديوان النافرات وأثبتنا الزافرات لاستقامة الوزن بها.

٣ - في الشعر الملحمي القتال بدلاً من القتام.

- ٤) وتَوَاتَرَ الْعَزَمَاتِ فِي طَلَبِ الْعُلَا
٥) وَالْفَخْرُ مَا تَرَكَ الْأَعَادِي حُشْعًا
٦) بَيْنَ الْقَنَا وَوُرُودِ أَحْوَاضِ الرَّدَى
٧) عَاشَ مَنْ تَرْضَى الْمَذَلَّةَ نَفْسُهُ
٨) تَعَسَتْ حَيَاةٌ لَا تُشَابُ بَعِزَّةً
٩) الْعِزُّ أَجْمَلُ مَا اقْتَنَاهُ أَوْلُو النَّهْيِ
١٠) مَنْ شَاءَ إِذْرَاكَ الْمَعَالِي فَلْيَكُنْ
١١) السَّيِّدَ، الزَّيْنِ، الشَّرِيفِ «مُحَمَّد»
١٢) وَابْنَ الْكِرَامِ الطَّيِّبِينَ أُرُومَةً
١٣) وَالْحَازِمِ الْمُقْدَامِ، دَحَاضِ الرَّدَى
١٤) لَا عَرُوفِي سَجِيَّةً مَوْدُوعَةً
١٥) مَا زَالَ يُنْكَرُ فِي الْمَدِينَةِ مُنْكَرًا
١٦) وَتَغْلِبَ الْعُرْبَانِ فِي أَطْرَافِهَا
١٧) وَتَغَافَلَ الْحُكَّامُ عَمَّا أَبْصَرُوا
١٨) حَتَّى أَتَى الْفَرَجُ الْقَرِيبَ وَسَاعَدَتْ
١٩) فَاسْتَنْهَضَ الْأَبْطَالَ مِنْ أَنْصَارِهِ
٢٠) يُهْوِي إِلَى نَهَبِ الثُّفُوسِ بِهَمَّةٍ
٢١) فَتَعَاهَدُوا فِي اللَّهِ أَنْ يَتَنَاصَرُوا
- والفوز في أفضى فيافي الهوجل
رفل المحازم كالجياذ العزل
لثقوا العلاقم في تراقي الحوصل
طوعاً، وعن شأو المفاجر يأتلي
غبراء بين مهابة وتذلل
والذل بالأحرار ليس بمجمل
مثل الهمام الأمجد بن الأفضل
ذي العزم، سبط المصطفى والمرسل
أهل الكساء، الطاهرين، الكمل
دون العباد بسيفه والمقول
فيه، وشنشنه، لأخزم من علي
من مرجف، أو مفسد، أو مخذل
من كل ناحية، وبغى بني علي
من جورهم فيها، وظلم الأزم
هماته الأقدار بالله العلي
من كل شهيم في الخطوب مدلل
مفرونية بالنصر مثل الأجدل
في الدين، لا يخشون لوم العدل

٦ - في كلتا النسختين الفتى بدلاً من القنا واخترنا رواية الديوان .

١٠ - س: ابن الأفضل .

٢١ - رواية الديوان: فتعاهدوا في الدين .

- (٢٢) وَحَمَوْا حِمَاهُمْ وَالذَّيَارَ عَنِ الْعِدَا
بِالْبَيْضِ، وَالسُّمْرِ اللَّدَانِ الذُّبْلِ
(٢٣) فَتَذَلَّتْ لَهُمُ الْبَوَادِي عَنُوءَ
وَتَعَدَّلُوا بِالْجِدِّ أَيَّ تَعَدَّلُ
(٢٤) وَلَطَالَمَا قَاسُوا لِيَالِي الْعُسْرِ مِنْ
هَوْلِ يُذِيبُ مَرَاةَ الْمُتَهَوِّلِ
(٢٥) يَمْسُونَ فِي حِفْظِ الْمَنَاتِقِ كُفْنًا
مُتَخْتَلِينَ لِأَخْذِهِمْ فِي الْجَنْدَلِ
(٢٦) يَا وَيْلَ مَنْ قَدْ أَوْقَعَتْهُ نَفْسُهُ
فِيهِمْ، فَيُصْبِحُ فِي الْحَدِيدِ مُكَبَّلِ
(٢٧) فَهَمُ الرَّجَالُ وَمَا سِوَاهُمْ نِسْوَةُ
لَمْ يَتْرُكُوا مِنْ زِيَهِنَّ سِوَى الْحُلِيِّ
(٢٨) فَتَشَاوَرَ الْفُسَّاقُ فِيمَا بَيْنَهُمْ
أَنْ يَنْقُضُوا مَا أَبْرَمُوهُ بِمَبْطَلِ
(٢٩) فَجَرَتْ هُنَالِكَ صَيِّحَةٌ، يَرْفَى إِلَى
أُفُقِ السَّمَاءِ عَجَاجُهَا، بَلْ يَعْتَلِي
(٣٠) وَطَعَتْ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ عُصْبَةُ الْ
أَغْوَاتِ مَعَ أَتْبَاعِهِمْ وَالْجُهَّالِ
(٣١) وَالْأَضْلُ فِي ذَا أَنْهَمُ قَدْ رَكَّزُوا
«لِعَلِيِّ قَنَا» الْعَمْرِ، الزَّيْمِ الْحَسْكَلِيِّ
(٣٢) مَنْعُوهُ أَرْبَابُ الْوُجَاقِ جَمِيعُهُمْ
أَنْ يَشْتَرِي فِيهِمْ وَلَمَّا يَدْخُلِ
(٣٣) زَعَمُوا بِأَنَّ لَهُ فَسَادًا سَابِقًا
إِذْ خَانَ قِدْمًا فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
(٣٤) فَتَرَفَعُوا لِلشَّرْعِ، وَانْكَشَفَ الْغَطَا
وَدَعَاهُمْ الْقَاضِي لِيَوْمِ مُقْبَلِ
(٣٥) نَزَلُوا وَالْقَوَا فِي الْمَدَاعِيرِ الطُّبَا
مِنْ عَيْرٍ مُكْتَرَثٍ، وَغَيْرِ مُعَوَّلِ
(٣٦) فَتَفَازَعَتْ لَهُمُ الرَّجَالُ أَخْفُ مِنْ
وَرَدِ السَّهَامِ إِلَى وَتَيْنِ الْكَلْكَلِ

٢٢ - د: العدى .

٢٥ - د: متخيلين وهو تصحيف .

٢٦ - لم يرد البيت في رواية الديوان .

٢٩ - في رواية الديوان: بل ياتلي، وفي هامش س: في نسخة هذه بدلاً من صيحه .

٣١ - رواية الديوان: الحسكلي وهو تصحيف: وفي الشعر الملحمي الغر بدلاً من الغمر .

٣٥ - في كلتا النسختين: المداعين، والتصحيح من رواية الديوان .

٣٦ - سقطت عبارة - وتين الكلكل - من رواية الديوان وفي الشعر الملحمي فتبادرت بدلاً من فا .

- (٣٧) فهناك ولّوا مُدبِرِينَ وأُتِيعُوا
 (٣٨) وأتوا إلى الحَرَمِ الشَّرِيفِ وأغْلَفُوا الـ
 (٣٩) وَرَمَوْا عَلَى النَّاسِ الرُّصَاصَ، وَمَارَعُوا
 (٤٠) وَأَقَامَ ذَاكَ إِلَى الْغُرُوبِ، وَأَصْبَحُوا
 (٤١) فَدَعُّوا إِلَى أَنْ يَرْجِعُوا، فَتَعَصَّبُوا
 (٤٢) فَقَضَى عَلَيْهِمْ أَنْ تُبَاحَ دِمَاؤُهُمْ
 (٤٣) وَتَوَافَقَ الْجُمُهورُ قَوْلًا وَاحِدًا
 (٤٤) فَتَبَادَرَتْ لَهُمُ الرِّجَالُ عَوَابِسًا
 (٤٥) فَهُمُ بَيْتِ المَالِكِي وَصَفِّهِ
 (٤٦) وَمَشَتْ إِلَى ذِرْوَانٍ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ
 (٤٧) فَهَنَّاكَ صُبَّتْ لِلْمَنُونِ صَوَاعِقُ
 (٤٨) يَوْمًا أَشَدُّ مِنَ الحَدِيدِ قَسَاوَةً
 (٤٩) تَرَكَوا التَّوَاصِي شَيْبًا فَكَأَنَّهَا
 (٥٠) نَقَبُوا عَلَيْهِمْ كُلَّ دَارٍ عَنُودَةً
 (٥١) وَتَدَارَكُوهُمْ بِالرَّدَى فَتَفَجَّرَتْ
 (٥٢) فَتَصَاغَرَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِمَّا رَأَوْا
 طَعْنًا وَضَرْبًا كَاللَّهْيَبِ المَشْعَلِ
 أَبْوَابَ، وَاصْطَعَدُوا المَنَابِرَ وَالْعُلَى
 جَاهَ النَّبِيِّ وَلَا الْكِتَابِ المُنزَّلِ
 مُتَحَصِّنِينَ بِحَلِيَّةِ المُسْتَقْبَلِ
 وَأَتَوْا بِفِعْلِ مُنْكَرٍ لَمْ يُفْعَلِ
 هَدْرًا لِحَدِّ المُرْهَفَاتِ الفُصَّلِ
 وَالنَّصِّ فِي طُعْيَانِهِمْ نَصٌّ جَلِي
 مِنْ كُلِّ فَحْلٍ بِالنَّشْبَاتِ مُسْرَبَلِ
 وَلَنَا عَلَيْهِمْ صَفٌّ بَيْتِ الحَنْبَلِيِّ
 فَتَحَصَّنُوا الحَمَامَ مِنْهُ وَمَا يَلِي
 وَتَسَعَّرَتْ لِلْمَوْتِ نَارُ القَسْطَلِ
 وَأَمْرُ طَعْمًا مِنْ مَذَاقِ الحَنْظَلِ
 وَقَعَاتُ جَسَّاسٍ بِقَوْمِ مُهْلَهْلِ
 وَاسْتَخْرَجُوهُمْ مَنزَلًا مِنْ مَنزَلِ
 أَحْشَاؤُهُمْ مِثْلَ انفِجَارِ الدُّمْلِ
 وَجَرَتْ دِمَاؤُهُمْ كَجَرِي الجَدُولِ

٣٨ - في كلتا النسختين: المنابر وفي الشعر الملحمي من عل بدلاً من العلى .

٤٢ - د: دمائمهم، ورواية الديوان: دماؤهم من دون همزة .

٤٧ - في كلتا النسختين ورواية الديوان صواعقاً واخترنا رواية الشعر الملحمي .

٤٩ - د: بيوم مهلهل، وفي كلتا النسختين ورواية الديوان: فكأنه بدلاً من فكأنها وما أثبتناه هو ما

ورد في الشعر الملحمي لملائمته لسياق البيت

٥٢ - د: سقطت - راوا - من النص .

- ٥٣) وَتَحَقَّقُوا الْمَوْتَ الزُّوَامَ، وَسَلَّمُوا
٥٤) فَأَشَارَ قَاضِي الشَّرْعِ كُفُّوا، إِنَّهُمْ
٥٥) فَأَطَاعَ مَنْ مِنَّا جَمِيعاً قَوْلَهُ
٥٦) وَتَدَارَكُوا الْخَطْبَ الْجَلِيلَ بِحَبْسٍ مِنْ
٥٧) النَّائِبِ الْجَانِي، وَ «مَسْعُود» الَّذِي
٥٨) وَ «بِلَالِ عَنبر» رَأْسُ كُلِّ مُصِيبَةٍ
٥٩) وَتَلَاهُمُ عَبْدُ اللَّطِيفِ، فَأُسْجِنُوا
٦٠) وَمَشَتْ عُرُوضُ النَّاسِ فِيهِمْ جُمْلَةً
٦١) فَاهْتَالَ مِنْهُمْ، وَابْتَعَى إِحْضَارَهُمْ
٦٢) لِيَبِينَ بِالْإِجْمَاعِ كُلِّ مُعَمَّمٍ
٦٣) وَتَكُونَ حُجَّتُهُمْ هُنَاكَ قَوِيَّةً
٦٤) تَأْتِي إِلَى السُّلْطَانِ قَوْلًا مُثَبَّتًا
٦٥) فَتَوَافَقُوا لِلطُّوعِ إِذْ هُوَ وَاجِبٌ
٦٦) فَإِذَا أَتَوْهُ وَحَقَّقُوا مَا أَخْبَرُوا
٦٧) فَلَسَوْفَ تَأْخُذُهُ هُنَاكَ حَمِيَّةٌ
٦٨) يَأْتِيهَا الْمَوْلى تَدَارِكُ كَرْبِنَا
- لِلأَمْرِ طَوْعاً خُضْعاً بِتَذَلُّلٍ
جَنَحُوا لِسَلْمِكُمْ بِغَيْرِ تَفَعُّلٍ
إِذْ حَيْثُ كَانَ أَوْلَاكَ عَنْهُ بِمَعَزِلٍ
قَدْ كَانَ رَأْساً لِنُفْسَادِ الْأَوَّلِ
جَعَلَ الْمَفْسَادَ سُنَّةً لَمْ تُجْعَلِ
حَبَكْتَ عَلَيْهِمْ عُمَّةً لَا تَنْجَلِي
وَهُوَا إِلَى دَرْكِ الْجَحِيمِ الْأَسْفَلِ
نَحَوَ الشَّرِيفِ لِحَلِّ ذَاكَ الْمُسْكَرِ
هُمُ وَالْخُصُومَ، مَعَ الشُّهُودِ الْعَدَلِ
رَغَمًا عَلَى أَنْفِ الْعَدُوِّ الْمُبْطِلِ
عَرَاءَ، لَمْ تُدَحِّضْ وَلَمْ تَتَزَلَّزَلِ
أَيْضاً وَيَحْمِلُهَا بِأَحْسَنِ مَحْمَلِ
وَمَشَّوْا جَمِيعاً نَحْوَهُ بِتَذَلُّلِ
عَنْهُ، وَصَحَّ الْقَوْلُ غَيْرَ تَقْوَلِ
فِينَا بِغَيْرِ تَهَاوُنٍ وَتَمَهُّلِ
بِالْعَوْتِ مِنْكَ وَغَارَةِ الْمُتَعَجَّلِ

٥٣ - د: الزَّام، وفي الهامش: في نسخة الزووم، وفي هامش س: اللزام.

٥٥ - رواية الديوان: أولاً فقط، وبها لا يستقيم الوزن.

٥٨ - س: هوو.

٦٥ - د: فتوافقوا للقول، وفي رواية الديوان بالطُّوع.

وفي هامش كلتا النسختين: في نسخة: فاستمثلوا للأمر إذ هو واجب.

٦٨: في هامش كلا النسختين: في نسخة: المستعجل.

- ٦٩) فلك البلاد مع العباد وأمرهم وهم إليك بنسبة كالعيل
 ٧٠) تأتي ويسألك المهيمن عنهم
 ٧١) فالعوث ثم العوث إنك كهفنا
 ٧٢) إن المدينة حل فيها منكراً
 ٧٣) فلانت أولى الناس حقاً غيره
 ٧٤) ولأنت من بيت تقدس سره
 ٧٥) لو تسأل القبر الشريف غداً
 ٧٦) لأجاب أن محمداً في طيه
 ٧٧) حاشا لمختلف الملائك أن يرى
 ٧٨) الله أكبر إنها لمصيبة
 ٧٩) تالله ما جعل المساجد معكفاً
 ٨٠) أف لقلب مؤمن لا يمتلي
 ٨١) فاصدع، فما تأخذك لومه لايم
 ٨٢) لا ترثين إذا أتوا بتحيل
 ٨٣) لولا النبي أقام فيهم غارة
 وهم إليك بنسبة كالعيل
 عن كل فعل مجمل ومفصل
 نأوي له من كل أمر معضل
 لا يرتضى، والجور فيها قد ملي
 فافعل إذا ما شئت أو لا تفعل
 شرفاً، وغيرك من مناقبه خلي
 رجفوه بالفعل الفطيع المشكل
 متوجع من فعلهم بتململ
 مأوى البعات وكل وعد مضلل
 تبدو لغير المبصر المتأمل
 إلا لمثل القانت المتبتل
 غضباً، وطرف جامد لا يهمل
 في الله بالحق المبين المنجلي
 فلأنت تعرف علة المتحيل
 شعواء لم تبرح ولم تتحول

٦٩ - في كلتا النسختين: يسلك .

٧٥ - رواية الديوان: تسئل، رجفوه بالقول وفي د: القبيح بدلاً من الفطيع .

٧٧ - في هامش س: «مطل» بدلاً من «مضلل» وهو ما ورد في نص د، والوزن لا يستقيم إلا بفك الآغام في مضلل .

٧٩ - ورد البيت في الديوان كالتالي:

تالله ما جعل المساجد معلماً
 إلا لمشي القانت المتبتل

٨٠ - في كلتا النسختين: طرفاً جامداً، وهو خطأ نحوي والتصحيح من رواية الديوان .

٨١ - لا بد من تسكين الدال في «فاصدع» ليلوّن .

- ٨٤) ما أوقعتهم في الوبال غير نفوسهم
٨٥) قطعت زنانير النفاق بكتبتهم
٨٦) لا زلتُم يا أهل طيبة نُصرة
٨٧) إنَّ النَّبِيَّ له عليكم غيرة
٨٩) فامضوا على صدق العزائم وازفصوا
٩٠) إنَّا إذا أخنى علينا حادث
٩١) فلنا اعتصامٌ بالنبي وآله
٩٢) صلى عليه الله ما نشر الرُّبى
٩٣) وعلى بنيه والصحابة كلهم
٩٤) ما رجَعَ الحادي يقولُ معرضاً
ولكان ذاك الأمر لم يتحصّل
ولسوف تقطع في الزمان المُقبِل
للحقّ، سُمًّا للعدوِّ المُبطلِ
حقًّا، وإنَّ الله ليس بمُهملِ
قَوْلَ المُعَنِّفِ والجَبانِ المِفْشَلِ
أو شدّةً، أو بعضُ أمرٍ مُعْضَلِ
خَيْرِ الوَرَى، المُدَثِّرِ، المُزْمَلِ
نَشَرَ العَبِيرِ، مع النَّسِيمِ الشَّمَالِ
الطَّاهِرِينَ، الرَّاشِدِينَ، الكُمَّلِ
المَجْدِ تَحْتَ ظِلَالِ سُمْرِ الذُّبَلِ

قال العالم الفاضل عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري المدني (رحمه الله تعالى) في كتابه (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب): «فأما السيد محمد بن السيد علي أبي العزم العادلي» كان رجلاً مباركاً، شيخه^(١) أهل العهد الواقع بالمدينة المنورة، المشهور ذكره، سنة ١١٣٤هـ^(٢) فصار له صيت عظيم فورد الفرمان

٨٧ - د: بنعمة لا تبطل، وفي الهامش: وفي نسخة: لا تبدل.

وفي هامش س: في نسخة: لم تبدل.

٨٩ - سقطت، «ارفضوا» من د ثم أضيفت في الهامش.

٩٣ - في روايتي س، والديوان: وعلى نبيه والصحاب واله.

٩٤ - في رواية الديوان: يقول محرضاً.

(١) في كلتا النسختين: شيخوه، والتصحيح من التحفة - ٣٥٨.

(٢) في كلتا النسختين: أربع وثلاثين ومائة وألف، ولم يرد ذلك في التحفة.

السُّلْطَانِي فِيهِ وَفِي جَمَاعَةِ الْعَهْدِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، فَسْتَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ وَرُودِ الْأَمْرِ بِقَلِيلٍ بِبِرْكَةِ أَسْلَافِهِ الصَّالِحِينَ، وَتُوفِي (١) سَنَةَ ١١٣٦ هـ (٢) هـ».

«وَأَمَّا السَّيِّدُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّسُولِ (٣) الْبَرْزَنْجِي فَكَانَ خَطِيبًا سَنَةَ ١١١١ هـ (٤) وَتُوفِي شَهِيدًا مَقْتُولًا صَبْرًا، بِبَنْدَرِ جُدَّةِ الْمَعْمُورَةِ قَتَلَهُ بَاكِرُ بَاشَا بِمَوْجِبِ فَرْمَانٍ وَرَدَ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ، بِسَبَبِ فِتْنَةِ الْعَهْدِ الْوَاقِعَةِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَقَدْ أَرَخَهُ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ بِقَوْلِهِ: عَبْدُ الْكَرِيمِ مَاتَ شَهِيدًا سَنَةَ ١١٣٨ هـ (٥)».

٣١٦ ٤٤١ ٣٠١ ٧٦

«فَأَمَّا (٦) السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ السَّيِّدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ فَمَوْلَدُهُ سَنَةَ ١٠٩٩ هـ (٧)، وَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ مُتَخَفِيًا فِي الْفِتْنَةِ الْمَذْكُورَةِ أَعْلَاهُ، وَدَخَلَ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ وَبَقِيَ مُخْتَفِيًا فِي بَيْتِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ النَّحَالِ إِلَى أَنْ تُوفِي سَنَةَ ١١٤٨ هـ (٨)، وَلَهُ تَصَانِيفٌ وَرِسَائِلٌ وَخَطَبٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ».

قال العلامة الفاضل السيد «أحمد بن زيني دحلان» المكي (رحمه الله تعالى) في كتابه (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) ما نصه:

-
- (١) في كلتا النسختين: فتوفي واخترنا رواية التحفة.
 - (٢) في كلتا النسختين: ست وثلاثين ومائة وألف، ولم يرد ذلك في التحفة.
 - (٣) سقط بقية اسمه من رواية التحفة.
 - (٤) سقط التاريخ من كلتا النسختين وأضفته اعتماداً على رواية التحفة.
 - (٥) في كلتا النسختين: ثمان وثلاثين ومائة وألف، ولم يرد ذلك في التحفة.
 - (٦) في كلتا النسختين: وأما، وما أثبتناه هو رواية التحفة.
 - (٧) في كلتا النسختين: سنة ١١٠٠، وما أثبتناه هو رواية التحفة.
 - (٨) في كلتا النسختين: سنة ١١٤٥، وما أثبتناه هو رواية التحفة.

ذكر الفتنة التي وقعت بالمدينة بين الآغوات^(١) وأهل المدينة سنة ١١٣٤ هـ

«وفي مدة ولاية الشريف «مبارك بن أحمد زيد» سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، وقع بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الآغوات وأهل المدينة ونشأ عنها قتل السيد عبد الكريم البرزنجي المدفون بجُدَّة المشهور بالمظلوم وتلك الفتنة الكلام على تفصيلها طويل وملخصها أن رجلاً من توابع الآغوات يسمى «علي قنا» أراد أن يستفرغ وظيفة من وظائف^(٢) العسكر ويدخل في العسكرية فامتنع من إدخاله كِبَارُ العسكر، حيث إنه كان في العسكرية ووقعت منه خيانة وأُخْرِجَ منها فلا يُعَاد. وقال آغوات^(٣) الحرم لا بد من إدخاله، وطال النزاع بينهم ووافق أهلُ المدينة كِبَارَ العسكر في عدم إدخاله، ووقع في المدينة ضجة واتسع الأمر حتى آل إلى القتال، وابتدأ^(٤) ذلك على قَنَا ومن كان مُعَضِّداً له من الآغوات^(٥)، وكان معهم بعضٌ من قبائل^(٦) حَرْب، فصعدوا مَنَائِرَ الحرم الشريف وترسوها وأغلقوا أبواب المسجد، وترسوا بَعْضَ البيوت التي بجانب الحرم النبوي، وعزموا على محاربة العسكر ومن يعضدهم^(٧) من أهل المدينة، فرفع كبار العسكر وأهل المدينة أمرهم إلى قاضي الشرع خوفاً من وقوع الفتنة عند القبر المعظم وَذَهَابٍ ما في الحُجْرَة من الأموال وما سيحدث من القتل

(١) في الخلاصة: الآغوات.

(٢) في س: وظائف.

(٣) في الخلاصة: آغوات.

(٤) د: ابتداء.

(٥) في الخلاصة: الآغوات.

(٦) س: قبائل.

(٧) د: محاربة العسكر وأهل المدينة.

وَعَضِبَ الدولة عليهم. فأرسل قاضي الشرع للأغوات^(١) يمنعهم من الفتنة ويطلبهم الحضور إلى مجلس الشرع فامتنعوا من الكف ومن الحضور عند القاضي، فسجل عليهم القاضي أنهم عصاة بغاةٍ يَجِبُ قتالهم وضيّقوا عليهم من كل جانب. وقُتِلَ في تلك الفتنة أشخاص من الفريقين وعُطِّلَت صلاةُ الجماعة في المسجد النبوي، فجنحوا للسلم، فامتنع العساكر^(٢) وأهل المدينة إلا بعد إحضار الآغوات^(٣) القائمين مع «علي قنّا» وحبسهم في قلعة السلطان بالوجه الشرعي ثم بَرَفَعِ أمرهم إلى نائب السلطان بالحرمين الشريفين وهو الشريف «مبارك أحمد بن زيد «شريف مكة إذ ذاك. فحضر خمسة أو ستة من كبار الآغوات^(٤) كانوا رأس تلك الفتنة فحبسوا في القلعة، ورفع الأمر إلى شريف مكة المذكور فطلبهم إلى مكة لإقامة الدعوى فوصلوا إلى مكة، وحضر معهم مفتي المدينة السيد «محمد أسعد» وجماعة من أعيان أهل المدينة فعقد الشريف مبارك لهم مجلساً حضره من جاء من المدينة المنورة وقاضي مكة و «إبراهيم باشا» والي جُدَّة، ومفاتي مكة وجماعة من علمائهم وأعيانهم. وأقيمت الدعوى وثبت الخطأ على الآغوات^(٥) فَأَمَرَ الشَّرِيف «مبارك» بحبسهم في دار إلى أن يرفع الأمر إلى الدولة العلية، ويأتي الجواب فجاء الجواب من الدولة العلية بتنفيذ الحكم الذي حكم به قاضي المدينة على الآغوات^(٦)، وأَجْرُوا عليهم العقوبات

(١) في الخلاصة: الآغوات.

(٢) س: العسكر، وفي د: امتنعت العسكر.

(٣) في الخلاصة: الاغوات.

(٤) في الخلاصة: الاغوات.

(٥) في الخلاصة: الاغوات.

(٦) في الخلاصة: الاغوات.

المحكوم بها^(١) من العزل لبعضهم والنفي لبعضهم. ثم ما زال الآغوات يسعون في الانتقام من أهل المدينة» وقال السيد أحمد المذكور (رحمه الله تعالى) في آخر تأليفه المسمى بـ (بأسنى^(٢) المطالب في نَجَاةِ أَبِي طالب) في ترجمة^(٣) السيد «محمد بن رسول البرزنجي»: «مِنْ أولاده السيد عبد الكريم المدفون «بجُدَّة» (المشهور بالمظلوم) وسبب ذلك أنه في سنة ١١٣٢ ثلاث وثلاثين ومائة وألف في دولة الشريف «مبارك بن أحمد بن زيد» (أمير مكة) وقعت فتنة بين أهل المدينة وآغوات الحرم ووقع فيها قتال يوماً وبعض يوم، وانتشر فسادٌ وشرٌّ كثيرٌ ثم عُرضَ ذلك على الدولة العلية وذكروا أن السيد المذكور وولده السيد حَسَنَ وبعض أعيان أهل المدينة حَرَّضُوا الناس في تلك الفتنة، فصدر الأمر من الدولة العلية بقتل بعض أشخاص ونفي آخرين، وكان السيد عبد الكريم المذكور من جملة المأمور بقتلهم، وكذلك ولده السيد حَسَنَ. أما ولده فكان (رحمه الله) صاحب كرامات، وكان يُدرِّس بعد صلاة الصبح في المسجد النبوي فلما أرادوا القبض عليه ذهبوا إليه ليقبضوا عليه في المسجد وهو يدرِّس، فلما قربوا منه طَمَسَ اللُّهُ على أعينهم فكانوا يسمعون صوتَهُ وهو يدرِّس ولا يرون شخصه، فرجعوا وأخبروا أمرَهُم بذلك فلم ينزجر، فأرسل إليه غَيْرَهُم فجاءوا وقد أتم السيد درسه وذهب إلى داره بباب السلام، فذهبوا إليه وأحاطوا بداره، وجلس ناس منهم عند باب داره وأدخل الله الرعب والخوف في قلوبهم فلم يتجاسروا على الدخول عليه. فلما علم السيد أن

(١) في س سقطت من المتن.

(٢) د: اسنا.

(٣) د: رحمه وهو تصحيف.

فكاهه منهم لا يمكن إلا بالخروج من المدينة إلى مصر، تطهَّر وتوضأ^(١) وصلَّى ركعتين، وأخذ قبضة من التراب فخرج عليهم وهو يتلو: شأهت الوجوه، شأهت^(٢) الوجوه، وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً، ونثر على رؤوسهم^(٣) التراب وهم لا يعلمون^(٤) وخرج من بين أيديهم وهم لا يبصرون ولم يعلموا له خبراً حتى وصل إلى مصر وأتاهم خبره، فأقام بمصر مدة ودخل الجامع الأزهر، واجتمع بالأكابر من العلماء وألف كتابه (نفثة المصدور) وهو كتاب لم يؤلف له نظير في الفصاحة والبلاغة والقصائد^(٥) النعتية النبوية، والكلمات الحكيمة سلك فيها طريق القوم من السادة الصوفية، مشيراً إلى ما حصل له من الكدر وما ذاقه من الألم والفراق والبُعد من الحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وأشار فيه إلى هذه القصة، وأن النَّبِيَّ - ﷺ - أشار إليه بالخروج إلى مصر، وأن يخرج عليهم وينشر على رؤوسهم^(٦) التراب وأنهم لا يبصرون نظير ما وقع له - ﷺ - عند الهجرة إلى المدينة، ثم عاد بعد ذلك إلى المدينة وأما والده (رحمه الله) فصعب عليهم^(٧) قبضه بالمدينة، فحسَّن له بعض أعدائه الخروج من المدينة إلى مكة المشرفة والإقامة بها، فلما وصل إلى «مكة» قبضه الوزير أبو بكر باشا وأنفذه إلى جُدَّة، وحُبِسَ بِقَلْعَتِهَا ثم صدر الأمر بقتله فقتل

(١) د: توضأ.

(٢) سقطت من س ثم أضيفت في الهامش.

(٣) في كلا النسختين: رؤوسهم.

(٤) د: يعلمون وهو تصحيف.

(٥) س: القصايد.

(٦) س: رؤوسهم، د: رؤوسهم.

(٧) سقطت من س.

خَنَقًا فِي لَيْلَةِ الثَّامِنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ١١٣٨ ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً^(١) وَأَلْفَ، وَرُمِيَ فِي سَوْقِ جُدَّةَ يَوْمًا كَامِلًا، ثُمَّ رَفَعَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْخَيْرِ بِشَفَاعَةِ وَالتَّمَّاسِ وَغُسِّلَ وَكُفِنَ وَدُفِنَ بِجُدَّةَ، وَهَرَعَتِ النَّاسُ إِلَى جَنَازَتِهِ لِلتَّبَرُّكِ وَلَقِبَ^(٢) بِالْمَظْلُومِ (رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً).

ذكر في الروض الأعطر ما نصه:

«ثم عقب ذلك بيسير جاء الأمر بعزل الوزير المذكور فخرج متوجهًا إلى الأستانة، وركب مع من معه في سفينة من جدَّة، فبعدها حلَّوا شراعها وجرت غير بعيد أتت ريح عاصفة، فأغرقه الله ولم ينج منه إلا قليل. قال: هكذا أخبرني به بعض أهل العلم من أهل جدَّة سماعاً عن غيره من الثقات» انتهى.

وقال السيد «جعفر البيتي المدني». (رحمه الله تعالى) في ديوانه: لما قَتَلَ بَاكِرُ بَاشَا السَّيِّدَ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ رَسُولِ الْبَرْزَنْجِيِّ بِجُدَّةِ سَنَةِ^(٣) ١١٣٨ هـ أَرَّخْتُهُ بِقَوْلِي:

(١) يَا بْنَ عَبْدِ الرَّسُولِ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هـ وَقُدَّسَتْ مَيِّتًا وَفَقِيدًا
(٢) أَسْوَةُ الْمُسْلِمِينَ أَنْتُمْ جَمِيعًا فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ قَرِيبًا بَعِيدًا
(٣) إِنْ قُتِلْتُمْ ظُلْمًا فَغَيْرُ عَجِيبٍ قَدْ حَكَيْتُمْ آبَاءَكُمْ وَالْجُدُودَا
(٤) وَالَّذِي قَدْ شَقُّوا بِكُمْ وَسَعَدْتُمْ خَسِرُوا حَيْثُ أَرَبَحُواكُمْ سَعُودَا

(١) س: مائة.

(٢) سقطت من س.

(٣) في هامش س: عدد أبياتها ١٠.

- (٥) مَا بَرَحْتُمْ مُقَسَّمِينَ: قَتِيلًا
 (٦) نَحْنُ نَبْكِي الْأَحْيَاءِ مِنْكُمْ قَدِيمًا
 (٧) قَتَلُوكُمْ، وَقَبَلُوا كِسْوَةَ التَّاءِ
 (٨) قَتَلُوكُمْ ظُلْمًا، وَصَلُّوا عَلَيْكُمْ
 (٩) لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ يَزِيدُ عَلَيْكُمْ
 (١٠) فَسَلَامٌ عَلَيْكَ، مَتَّ سَعِيدًا
 (١١) عَامٌ حُزْنٍ قُتِلَتْ فِيهِ، فَأَرْحَنَّا
 أَوْ سَلِيبًا، أَوْ مُوثِقًا، أَوْ طَرِيدًا
 لَا تَظُنُّوا هَذَا الْبُكَاءَ جَدِيدًا
 بُوتِ مِنْ قَبْرِ جَدِّكُمْ وَالْحَدِيدًا
 عَجَبًا مَا نَرَى عَلَيْهِ مَزِيدًا
 بَلْ نَرَى دَهْرَكُمْ يَزِيدُ يَزِيدًا
 مِثْلَهُمْ فِي الْبَلَاءِ، وَعِشْتَ حَمِيدًا
 هُوَ عَبْدُ الْكَرِيمِ مَاتَ شَهِيدًا

وقال السيد جعفر المذكور (رحمه الله تعالى) وقلت أرثي المرحوم السيد حسن بن عبد الكريم البرزنجي^(١) المتوفى بمصر مختفياً^(ب).

- (١) يَا بَنَ عَبْدِ الْكَرِيمِ قَدْزَكَ أَعْلًا
 (٢) حَسَنَ الْأَسْمِ وَالْفِعَالِ جَمِيعًا
 (٣) أَنْتَ ابْنُ النَّبِيِّ وَابْنُ عَلِيٍّ
 (٤) بَيْتُكُمْ سَيِّدُ الْبُيُوتِ جَمِيعًا
 (٥) بَيْتُ تَقْوَى وَحِكْمَةٍ وَعُلُومٍ
 (٦) قُدَّسَتْ رُوحُكَ الشَّرِيفَةِ رُوحًا
 عَن رِثَاءٍ، فِيهِ نُرَدُّ فَضْلًا
 أَنْتَ فِيمَا تُبْدِيهِ قَوْلًا وَفِعْلًا
 وَكَرِيمِ الْأَبَاءِ فَرْعًا وَأَصْلًا
 وَلَكُمْ فِي الْعُلَى السُّهَامِ الْمُعَلَّى
 اغْرَقْتَ فِي الْكَمَالِ بَعْدًا وَقَبْلًا
 وَحَوَاهَا الرُّضَى مِنَ اللَّهِ نُزْلًا

٩ - في رواية الديوان: واحداً وهو تصحيف.

وفي هامش النسختين: يزيداً فيه التورية وغيرها.

١١ - في هامش النسختين: عام الحزن هو الذي ماتت فيه خديجة وأبو طالب (رضي الله عنهما).

أ - في كلتا النسختين: بن السيد عبد الكريم، وما أثبتناه هو رواية الديوان.

ب - في كلتا النسختين: (رحمه الله رحمة واسعة). ولم يثبت ذلك في رواية الديوان.

٤ - في رواية الديوان، و س: العلا.

٦ - د: الرضا.

- (٧) وَسَقَّتْ أذْمُعِي بِمُصَرَ ضَرِيحاً
(٨) صُورَةً مِتَّ نَائِيًا وَعَرِيباً
(٩) قَدْ رَثِينَاكَ قَبْلَ مَوْتِكَ لَمَّا
(١٠) فُزْتَ بِالْمِحْنَتَيْنِ بِالْجَوْرِ وَالطَّا
(١١) يَا بَنِي السَّيْفِ مِثْلَ قَوْلِ عَلِيٍّ
(١٢) حَبِذَا خِضْلَةٌ تُحَقِّقُ وَضْفًا
(١٣) هَذِهِ دَارٌ مَحْنَةٌ وَإِتِيَاءٌ
(١٤) سُنَّةٌ سَنَّتْهَا الْأَقَارِبُ فِينَا
(١٥) حَسَدَ النَّاسِ فَضَلَ رَبُّكَ فِيهِمْ
(١٦) لَيْتَهَا لَوْ تَكُونُ رَأْسًا بِرَأْسِ
(١٧) يَا فَقِيدًا فَقَدْتُهُ وَسُرُورِي
(١٨) أَنْتَ فِي دَفْتَرِ الْمَظَالِمِ تَالِ
(١٩) جَبَرَ اللَّهُ قَلْبَ كُلِّ كَسِيرٍ
(٢٠) وَسَلَامٌ عَلَيْكَ فِي كُلِّ حِينٍ
(٢١) أَبَدًا كُلَّمَا أَبَاحَ زَمَانٌ
- لَكَ، وَالْمُعْصِرَاتِ طَلًا وَوَبْلًا
وَالرَّفِيقَ الْأَعْلَى اتَّخَذْتَ مَحَلًّا
سَاءَ رَأْيِي الزَّمَانَ فِيكَ وَزَلًّا
عُون، يَا لِلشَّهِيدِ جَوْرًا وَقَتْلًا
صَدَقَ الْأَسْمُ فِيكُمْ حِينَ حَلًّا
مِنْ صِفَاتِ الْأَبَاءِ وَأَهْلًا وَسَهْلًا
وَبِنَا وَكُلَّ الْبَلَاءِ وَجَلًّا
فَاقْتَفَى أَثَرَهَا الْأَبَاعِدُ سُبُلًا
وَتَخَطُّوا الصَّحِيحَ نَقْلًا وَعَقْلًا
لَيْسَ نَبْغِي لَنَا بِذِي الدَّارِ فَضْلًا
أَنْتَ ضَاعَفْتَ فَوْقَ تَكْلِي تَكْلًا
ثُمَّ فِي الْعَرَضِ حَالَ ظُلْمِكَ يُتْلَى
ذَابَ بِالْحُزْنِ فِيكَ، ثُمَّ اضْمَحَلًّا
كُلَّمَا سَلَّمَ الشَّجِيَّ وَصَلَّى
حُرْمَةً مِنْ حِمَى الْعُلَا وَاسْتَحَلًّا

ذكر فتنة «بك بشير آغا» سنة ١١٤٨

وفي زمن شيخ الحرم «بك بشير آغا»، وقعت فتنة عظيمة بين أهل المدينة وأغوات الحرم فأدخل شيخ الحرم بك «بشير آغا» من حَرْب المسجد النبوي^(١) الشريف وأغلق أبوابه وأطلعهم على المنائر^(٢)، فصاروا يرمون بالرصاص على الناس ويصيب ذلك جميع من حول المسجد الشريف واستمر ذلك خمسة وأربعين يوماً، وهي مذكورة في قصيدة السيد «جعفر البيتي» (فلا حول ولا قوة إلا بالله).

قال المرحوم السيد «جعفر البيتي» في ديوانه، ما نصه: «وقلت على لسان أهل المدينة المنورة، شِكَايَةً إِلَى الشَّرِيفِ مَسْعُودِ بْنِ سَعِيدِ مَلِكٍ^(أ) «مكة» المشرفة وإنهاءً لضررهم^(ب) الواقع عليهم من الفتنة الكائنة سنة ١١٤٨هـ.

(١) قِفُوا تَنْظَرُوا آثَارَ مَا صَنَعَ الظُّلْمُ وَجُوسُوا خِلَالَ الدَّارِ تُنْبِيكُمُ الأُكْمُ
(٢) قِفُوا بِالرُّسُومِ الدَّارِسَاتِ فُرْبَمَا تَحَقَّقْتُمُ مِنْهَا وَمَا نَطَقَ الرَّسْمُ

(١) في كلتا النسختين: الحرم الشريف النبوي.

(٢) في كلتا النسختين: المنائر.

أ - في كلتا النسختين: أمير وما أثبتناه هو رواية الديوان.

ب - س: إنهاء لضررهم.

- ٣) قَفُوا نَشْتَكِي مَا قَدْ أَصَابَ فَإِنَّهُ
٤) على كُلِّ دَعْوَى فِي الظَّلَامَةِ حُجَّةٌ
٥) إِلَى عَدْلِكُمْ يَا آلَ زَيْدٍ تَوَجَّهْتُ
٦) إِلَيْكُمْ يُسَاقُ الأَمْرُ وَالتَّهْيِي فِي الوَرَى
٧) إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَالسَّلَامُ عَلَى الحِمَى
٨) سَلُّوا فِلِسَانَ الحَالِ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
٩) سَلُّوا عَنْ حَدِيثِ الأَبْتَلَا مَنْ بُلِي بِهِ
١٠) سَلُّوا كُلَّ دَارٍ بِالمَدِينَةِ مَا الَّذِي
١١) سَلُّوا عَنْ الهَتِّكَ الَّذِي قَدْ أَصَابَهَا
١٢) سَلُّوا عَنْ الأَعْرَابِ كَيْفَ تَسَنَّمَتْ
١٣) وَكَيْفَ ارْتَقُوا فَوْقَ المَنَائِرِ وَانْتَهَوْا
١٤) وَكَيْفَ أُعِيدَتْ وَقَعَةُ الحِرَّةِ الَّتِي
١٥) يَزِيدِيَّةٌ رُدَّتْ، وَحَقِّكَ إِنَّهَا
١٦) «وَلَوْلَا رِجَالٌ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ
١٧) وَمَا عَزَمُوا فِي ذَلِكَ إِلَّا بِرَأْيِهِمْ
١٨) هُمْ جَمَعُوا مَالَ الحَرَامِ وَأَنْفَقُوا
١٩) وَلِلَّهِ كُلُّ الحَمْدِ إِذْ كَانَ حَسْرَةً
٢٠) وَلَمْ يُرَ قَدِمًا مَنْ يُعِينُ بِمَالِهِ
- عَظِيمٌ، وَإِنَّ الأَمْرَ حَادِثُهُ ضَخْمٌ
يُصَدِّقُهَا التَّحْرِيقُ وَالهَدْمُ وَالرَّدْمُ
وَجُوهٌ شَكَايَانَا، وَعِنْدَكُمْ الحُكْمُ
وَأَنْتُمْ مُلُوكُ الأَرْضِ وَالسَّادَةُ الشُّمِّ
إِذَا حَامَتِ الأَعْدَا عَلَيْهِ وَلَمْ تَحْمُوا
أُصِيبَ بِبَلَوَى، عِنْدَهُ خَبَرٌ جَمٌّ
وَأَوْلَى بِنَعْتِ السُّقْمِ مَنْ مَسَّهُ السُّقْمُ
لَقِينَا، فَعِنْدَ الدَّارِ مَنْ أَهْلِيهَا عِلْمٌ
قَرِيبًا، فَمَنْ لُقِيَاهُ فِي وَجْهِيهَا وَشَمِّ
ذُرَاهَا، وَكَيْفَ النَّهْبِ وَالهَتِّكَ وَالعُغْمِ
إِلَى غَايَةِ يَنْحَطُّ مِنْ دُونِهَا النَّجْمُ
إِلَى هَذِهِ الأُخْرَى تُضَافُ وَتَنْضَمُّ
لِفَاقِرَةٍ أَسْبَابُهَا الجَوْرُ وَالعُشْمُ
بِأَيْدِيهِمْ» مَا أَخْرَبُوهَا وَلا هُمُومُوا
وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ عَزْمٌ
عَلَى البَغْيِ ذَلِكَ المَالِ فَاجْتَمَعَ الإِثْمُ
عَلَيْهِمْ مِنَ الإِنْفَاقِ أَعْقَبَهَا العُرْمُ
عَلَى عِرْضِهِ إِلَّا الدَّنْيَى أَوْ القَدَمُ

٩ - فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ: الِابْتِلَى .

١٠ - فِي الفِلَكِ المَشْحُونِ: كُلُّ أَرْبَابٍ وَهُوَ تَصْخِيفٌ .

١١ - فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ: وَشَمِّ، وَالَّذِي أُثْبِتَاهُ هُوَ رِوَايَةُ الدِّيَوَانِ .

١٦ - س: بِأَيْدِيهِمْ .

- (٢١) أَعَانُوا عَلَى السُّلْطَانِ أَعْدَاءَ مُلْكِهِ وَشَقُّوا عَصَا الْإِسْلَامِ جَهْرًا وَمَا لَمُّوا لَهُ، وَهِيَ لَا تَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ وَهُمْ نَفَيْتُمْ لَهُمْ مِنْ مُبْتَدَأِ حَرْبِكُمْ عِلْمٌ وَقَطَّعْتُمْ فِي السُّوقِ مَنْ لَا لَهُ جُزْمٌ وَحَارَبْتُمْ مَنْ عِنْدَهُ حَرْبِكُمْ حَتْمٌ عَلَى الْفِتْنَةِ الْعَمِيَاءِ مِنْ أَنَّهَا تَنْمُو وَتَعْصُونَ إِلَّا الْحَرْبَ أَمْ أَنْتُمْ صُمُّوا يَرَاهُ عَيَانًا فِيكُمْ مَنْ لَهُ فَهْمٌ أُمُورٌ لَهَا فِي الدِّينِ مُذْ صَدَرَتْ ثَلَمٌ يُرْمُ بِهِ شَعَثُ الْأَنْامِ وَيَلْتَمُّ أَرَامِلُهُ، حَتَّى أَضَرَ بِهَا الْيُتْمُ فِي الْعِنَادِ وَلَمْ يَبْرَحْ إِلَى بِدْعَةٍ يَسْمُو أُجِيبَتْ، عَسَى أَجَدْتُ، عَسَى نَقَدَ السَّهْمُ غُيُورٌ عَلَى الْعَوْرَاتِ، ذُو نَخْوَةٍ شَهْمٌ
- (٢٢) وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْحَمِيَّةَ مِنْهُمْ
- (٢٣) فَقُلْ لَهُمْ هَلْ كَانَتِ السُّتَّةُ الَّتِي
- (٢٤) وَهَلْ حَضَرُوا لَمَّا غَدَرْتُمْ عَشِيَّةً
- (٢٥) وَصَلْتُمْ جَمِيعًا بِالْبَنَادِقِ بَعْدَهَا
- (٢٦) وَهَلْ كَانَ طَلِبِكُمْ لِلشَّرِيعَةِ خِيفَةً
- (٢٧) وَهَلْ كَانَ دَاعِي الصُّلْحِ يَدْعُو فَتَسْمَعُوا
- (٢٨) وَمَا ذَلِكَ إِلَّا عَنْ هَوَى وَتَعَرُّضٍ
- (٢٩) إِلَى اللَّهِ تَشْكُو مَا أَصَابَ، وَإِنَّهَا
- (٣٠) عَسَى فِي حَبَايَا الدَّهْرِ نَصْرٌ مُعْجَلٌ
- (٣١) عَسَى حَقٌّ مَقْتُولٌ أُصِيبَ، وَيُتِّمَّتْ
- (٣٢) عَلَى رَعْمٍ مَنْ يَهْوَى الْفَسَادَ وَيَبْتَغِ
- (٣٣) عَسَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ حِينَ دَعَا بِهَا
- (٣٤) لَعَلَّ الْعَدَارَى الْمُحْصَنَاتِ يَرَاهُمْ

٢١ - في الفلك: وما تموا بدلاً من لموا.

٢٢ - د: منهموا.

٢٣ - في رواية الديوان: نفيتم لها.

٢٦ - في رواية الديوان وفي كلتا النسختين: تنموا وهو تصحيف.

٢٧ - س: صمو.

٣٠ - د: عسايا وهو تصحيف، وفي الفلك: فصل معجل.

٣١ - في د. والفلك أتى هذا البيت في الترتيب بعد البيت ٣٣.

٣٢ - في رواية الديوان وكلتا النسختين: يسموا وهو تصحيف.

٣٤ - في الفلك: ذو نجدة.

- ٣٥) عَسَى رَافِعٌ هَتَكَ الْمَحَارِمِ دَافِعُ الظَّلَاثِ
 ٣٦) عَسَى نَافِذُ الْأَحْكَامِ وَالْأَمْرُ فَيَصِلُ
 ٣٧) وَمَنْ غَيْرُ «مَسْعُودٍ» يُسَاعِدُ بِالْمُنَى
 ٣٨) قَرِيحُ الْعُلَا، مَلِكُ الْأَبَاطِحِ سَيِّ
 ٣٩) وَقَدْ جَاءَ قَالَ الْخَيْرِ مِنْهُ مُسَاعِدُ
 ٤٠) وَيَا حَبْدًا يَعْسُوبُ مُلْكٍ، مُقَدَّمُ
 ٤١) لَكَ الْخَيْرِ وَالْبُشْرَى لَدَيْكَ، فَإِنِّي
 ٤٢) فَيَا عَوْثَ مَلْهُوفِ الْفُؤَادِ وَمُنْتَهَى
 ٤٣) وَأَمَّنَ مَخُوفَاتِ الْبِلَادِ وَمُلْتَجَى
 ٤٤) اِعْدُ نَظْرًا فِي الْحَالِ وَالْحَادِثِ الَّذِي
 ٤٥) وَفِي كُلِّ مَسْكِينٍ فَقِيرٍ، وَوَالِدِ
 ٤٦) وَأَزْمَلَةٍ جَاعَتِ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
 ٤٧) وَقَدْ «بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَا»، وَتَضَرَّمَتْ
 ٤٨) خُذِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَاحْكُمِ بِمَا تَرَى
 ٤٩) رَضِينَا بِمَا تَرْضَى مِنَ الْأَمْرِ كُلِّهِ
 ٥٠) لَكَ الْعَفْوُ وَالْحِلْمُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 ٥١) فَمَا صَنَعُوهُ غَيْرَ خَافٍ، وَظَلَمَهُمْ
- م، عَدْلٌ، بِالرَّعِيَةِ يَهْتَمُّ
 لَهُ نَظَرٌ أَعْلَا، وَأَرَوْهُ حَزْمٌ
 وَيُرْجَى، وَذَلِكَ الْمَاجِدُ الْبَطْلُ الْقَرْمُ
 د الْجَحَاجِحِ، مَنْ تَعْنُو لِعِزَّتِهِ الْبُهْمُ
 شَبِيهُ اسْمِهِ، يَاحْبَدًا الْقَالَ وَالاسْمُ
 لَهُ الصَّدْرُ قَدَمَا مِثْلَمَا قُدِّمَتْ بِسْمِ
 أَشْمُ رِيَاحِ النَّصْرِ إِنْ صَدَقَ الشَّمُّ
 سِ الْمُرَادِ، وَجَالِي الْهَمِّ إِنْ عَظُمَ الْهَمُّ
 الْعِبَادِ، وَمَنْ فِي عَدْلِهِ لَهُمْ قِسْمُ
 جَرَى وَأَنْبَرَى مِنْ عَظْمِهِ اللَّحْمُ وَالْعَظْمُ
 حَزِينِ، وَمَوْلُودٍ أُصِيبَتْ بِهِ الْأُمُّ
 وَعَشْرًا، بِهَا الْخَوْفُ الْمُبْرِحُ وَالْعُدْمُ
 جَحِيمٌ وَعَى قَدْ ذَابَ مِنْ حَرِّهَا الْجِسْمُ
 وَشَمَّرَ لِحَسْمِ الدَّاءِ يَنْفَعُنَا الْحَسْمُ
 لَنَا وَعَلَيْنَا، لَا إِبَاءَ وَلَا رَغْمَ
 وَلَكِنَّ فِي الْعَاصِينَ لَا يُحْمَدُ الْجِلْمُ
 شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ، عِنْدَكَ الْعُرْبُ وَالْعَجْمُ

٣٨ - في رواية الديوان، و د: تعنوا وهو تصحيف.

٤٥ _ في الفلك: ففي كل مسكين وهو تصحيف.

٤٧ - س: الزبا وهو تصحيف، وفي د: الزبي.

- ٥٢) فَلَا تَلْتَفِتِ لِلْعُذْرِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ
٥٣) وَلَوْ صَدَقُوا لَمْ يَسْتَبِدُّوا بِرَأْيِهِمْ
٥٤) وَلَكِنَّهُمْ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ حُكْمَهُمْ
٥٥) وَقَالُوا كَثِيرًا مِثْلَ هَذَا، وَإِنَّهُ
٥٦) لَقَدْ رَضِعُوا دَرَّ الْحَرَامِ، وَإِنَّهُ
٥٧) وَاعْظُمَ بَلْوَى نَالَتِ النَّاسَ أَنَّهَا
٥٨) يَخَافُونَ فَرْمَانًا عَلَى غَيْرِ مُوجِبٍ
٥٩) إِذَا حَاوَلُوا الْإِنْصَافَ لَمْ يُسْعَفُوا بِهِ
٦٠) بِقِيَّتِهِمْ لَنَا يَا أَسْرَةَ الْهَدْيِ، إِنَّكُمْ
٦١) جَرَى اللَّهُ كُلَّ الْخَيْرِ حُسْنًا صَنِيْعَكُمْ
٦٢) إِذَا دَامَ فِينَا حُكْمُكُمْ وَالتَّفَاتُكُمْ
٦٣) لَكُمْ غُرَّرُ الْأَفْعَالِ مِنْ كُلِّ صَالِحٍ
٦٤) عَلَى جَدِّكُمْ أَزْكَى الصَّلَاةِ، وَبَعْدَهُ
- بَقَايَا خِدَاعٍ، جُرْحُهُ لَيْسَ يَنْدَمُ
لِأَمْرِ فِظِيْعٍ، عُْبُهُ الْعَارُ وَالذَّمُّ
إِلَيْهِمْ، وَلَا أَمْرٌ عَلَيْهِمْ وَلَا حُكْمٌ
قَبِيْحٌ، وَأَوْلَى مِنْ إِبَاحَتِهِ الْكُتْمُ
عَسِيْرٌ عَلَيْهِمْ بَعْدَ طُولِ الْمَدَى الْفِطْمُ
تَضَامٌ، وَلَا عِنْدَ الْمُلُوكِ بِهَا عِلْمٌ
إِذَا مَا شَكُوا ظُلْمًا، فَكُلَّهُمْ بُكُمْ
كَيْفَ يَرْجَى الْعَدْلَ وَالْحَكْمَ الْخِصْمُ
مَصَابِيْحٌ فِي الظُّلْمَاءِ يُمَحَى بِهَا الظُّلْمُ
وَمَا فَعَلَ التَّدْبِيرُ، وَالْحَزْمُ وَالْجَزْمُ
فَكُلُّ لِيَالِينَا وَأَيَّامِنَا سِلْمٌ
عَلَى النَّاسِ يُرَوَى ذَلِكَ النَّثْرُ وَالتَّنْظُمُ
عَلَيْكُمْ، وَفِيكُمْ يَحْسُنُ الْبَدْءُ وَالْخَتْمُ

٥٥ - في رواية الديوان: من إعادته الكتم.

٦١ - س: جزا، وسقطت الواو من الحزم.

وفي د: سقطت الواو من الحزم.

ذكر فتنة «عبد الرحمن آغا الكبير» سنة ١١٥٥ هـ خمس وخمسين ومائة وألف
قال الخطيب «عبد الرحمن بن حسين الأنصاري» (رحمه الله تعالى):
ثم تولى مشيخة الحرم «عبد الرحمن آغا الكبير» وذلك في سنة ١١٥١،
إحدى وخمسين ومائة^(١) وألف وعُزِلَ في سنة ١١٥٦، ست وخمسين
ومائة^(٢) وألف وتوفي «بمصر سنة ١١٦٢»^(٣)، اثنتين وستين ومائة^(٤) وألف،
وهو الذي صارت في زمنه الفتنة العظيمة الشهيرة بفتنة «كأبوس». وسبب
ذلك اختصاراً على ما فهمنا من أفواه ثقات الناقلين إلينا هذا الخبر، ومن
قصيدتي السيد «جعفر البيتي» والشيخ «محمد سعيد سقر»: أن «عثمان
بيك» أتى بمال الغلال فأخذه ومنع كل ذي حق حقه وكان كتحدا نو
بتجيان قديم السد «أحمد كوافي» وكتخدا القلعة محمد سعيد انقشاري،
وكتخدا الأسباهية «عبد القادر ظافر» فوَقعت المداخلة بينهم ولم تزل تتنامى
نواميها وكان «حسن كابوس» من وجاق النوبتجية وله كلمة نافذة، فهجموا
يوماً على «القلعة» وأثاروا الحرب بعد أن تجمَّعوا عليهم جُموعاً لا تُحصَى
وأغلقوا أبواب البلد وتفرقت كل جماعة منهم ناحية. فقالوا لهم الخبر،
وسعوا في الإصلاح بينهم فقالوا مطلوبنا ستة أنفس إما تقتلوهم أو
تجلوهم. فأخرجوهم وأجلوهم^(٥) عن «المدينة»^(٦) إطفاءً لنار الفتنة، منهم:
«عمر زكي كتحدا نو بتجيان، و «محمد مراد» كتحدا الإسباهية^(٧) ثم لم

(١) س: مائة.

(٢) س: مائة.

(٣) د: ١١٦٣.

(٤) س: مائة.

(٥) د: أبعدهم.

(٦) س، د: اطفاء.

(٧) د: الأوسباهية

يكتفوا بإخراج الستة حتى أخرجوا ثمانية عشر رجلاً وكتبوا بينهم حجة شرعية على الصلح والإصلاح والإعانة على تقوى الله وكتبوا عرضاً على مقتضى ذلك للدولة العلية. فجاء الفرمان على مطلوب شيخ الحرم ومن معه فزادت شوكتهم وعظمت صولتهم، وابتداء ذلك سنة ١١٥٥ خمس وخمسين ومائة وألف. فأرسل طائفة ممن يميل للجلوية يحرضونهم^(١) على المجيء إلى «المدينة» وأن يهجموا على «القلعة» وهم لهم أعوان إذا حلوا فيها ورأسهم «الصالح». فلما كان ليدخل الأحد الحادية وعشرين من جمادى الآخرة سنة ١١٥٦ هـ ست وخمسين ومائة^(٢) وألف ولما تسوروا عليهم «القلعة» من غير أن يشعر الموكلون به وبها وأغلقوا بابها ظل كثير منهم خارجه فظنوا أن الشبان تلعب ثم توجه أحدهم إلى بيت الكتبخدا وأكمن جماعته وطلبه فخرج إليه مترفهاً فشد عليه الكمين وقتلوه وقتلوا أخاه «حمزة»، فأحس بذلك ولده «حسين» وكان بطلاً شجاعاً وخرج بسيفه فقط لأنه لم يظن ذلك، وتجاوز معهم ساعات وصاروا يترادفون عليه زرافات، ومع هذا لم يتمكنوا منه، وقد جدّ^(٣) فيهم كيف شاء إلى أن قُتِلَ «الصالح» وكان رئيسهم فخذلوا ووهنوا وخافوا الفضيحة، كل ذلك ولم يعلم بها أحد ممن هو خارج القلعة، فختله بعضهم وعرقبه فصار على رُكْبِهِ يَحْمِلُ عليهم الكرة بعد الكرة وهم يفرون بين يديه وهو يضرب من شدِّ وَيَفْرِي من فدِّ إلى أن ذهب بعضهم إلى «العَيْن» وبل عباءةً بالماء ثم ختله ورماه على كاهليه^(٤) ورأسه فحينئذٍ أطفأوا نور نبراسه ورزقه الله تعالى

(١) س، د: يحرضونهم.

(٢) س: مايه.

(٣) د: جزع.

(٤) س: سقطت الكاف من نص الكلمة ثم أضيفت في الهامش.

الشهادة وله في الآخرة - إن شاء الله - الحسنى وزيادة^(١). ولما سمع بهم من يميل لهم أتوا إليهم أفواجاً ووقعت بينهم وبين أهل «الحارة» وقعات عظيمة وقتلوا «حسن كابوس»، فحينئذٍ عظم الأمر على أهل «الحارة» وأرسل شيخ الحرم للدولة العلية يعرفها بذلك وكذلك أرسل لوالي جدة والشريف مسعود، فأرسل الشريف «مسعود» جردة ودس إلى أميرها بأن شيخ الحرم إن لم يطع أهل القلعة في مطلوبهم من إخراج الخمسة الأنفار فإنهم معهم عليه، وبلغ ذلك شيخ الحرم فأرسل إلى «هزاع» شيخ «حرب» واستماله بالمال بأن يرد عنه الجردة، فجمع «هزاع» من قدر عليه ونزل عليها حين استقرارهم في رابع فقتل منهم من قتل ومن بقي هرب واستدعى «بهزاع» و «عيد» مشايخ «حرب» ومكنهم من «المدينة» غير مرة فأخربوها ونهبوها، وجلا أكثر الناس إلى «المناخة» واستمر الحال على ذلك إلى رجب فأرسل الشريف «مسعود بن سعيد» أمير «مكة» في الصلح بينهم ظاهراً، وكان مُباطناً لأهل «القلعة» فمشت بينهم الهدنة إلى مجيء الحاج. ولما وصل الحاج الشامي إلى «المدينة» أتى الفرمانُ بعزل «عبد الرحمن آغا الكبير» شيخ الحرم، ونصّب «عبد الرحمن آغا الصغير»^(١) نائب الحرم وخزندار سابقاً في السنة المذكورة وهي سنة ١١٥٦ ست وخمسين ومائة^(ب) وألف وذلك بما ذهب للدولة العلية من العروض من الشريعة وغيره من القصائد الاستنجدية مثل قصيدة الشيخ «محمد سعيد سَفَر» وقصيدة السيد «جعفر البيّتي»، قال السيد «جعفر البيّتي» (رحمه الله تعالى).

(١) س: فزيادة.

أ - س: نايب.

ب - د: مأه وهو تصحيف.

- (١) بَكَى عَلَى الدَّارِ لَمَّا غَابَ حَامِيهَا وَجَرَ حُكَّامُهَا فِيهَا أَعَادِيهَا
- (٢) بَكَى لَطِيبَةً إِذْ ضَاعَتْ رَعِيَّتُهَا وَرَاعَهَا بِكِلَابِ الْبَرِّ رَاعِيهَا
- (٣) بَكَى لِمَنْ هَاجَرُوا بِالْكُرْهِ وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، وَكَانُوا قَدِيمًا هَاجَرُوا فِيهَا
- (٤) وَاهَاً لِكَرْبَتِهَا وَاهَاً لِعُزْبَتِهَا وَاهَاً لِعَارِيهَا
- (٥) وَاهَاً لِحَالِي لَمَّا قَمْتُ أَنْشُدُهَا الدَّارُ أَطَبَقَ إِخْرَاسٌ عَلَى فِيهَا
- (٦) يَا دِمْنَةَ سُلِبَتْ مِنْهَا بَشَاشَتُهَا وَأَلْبَسَتْ مِنْ ثِيَابِ الْمُحَلِّ بَاقِيهَا
- (٧) وَقَفْتُ فِيهَا أُعْزِيهَا لِكَرْبَتِهَا إِعْجَبَ عَلَى جَلْدِي أَنِّي أُعْزِيهَا
- (٨) فَمَنْ مُعِينِي بِأَحْزَانِ بِضَاعِهَا عَلَيَّ؟ مَنْ لِعَيُونِي؟ مَنْ يُوَاسِيهَا
- (٩) يَا صَاحِ نَادِ الْبَوَاكِي وَابِكِ أَنْتَ مَعِي وَلَا تُصْبِرْنَ نَفْسِي، لَا تُسَلِّيَهَا
- (١٠) مَا مِثْلُ «طَيِّبَةَ»، مَا مِثْلُ الَّذِي لَقِيتُ مِنْ الْأَسَى، فَبِمَنْ تَرْجُو تَأْسِيهَا
- (١١) حَاشَا لِمُخْتَلَفِ الْأَمْلَاقِ مِنْ غَيْرِ الدُّنْيَا وَمَا صَنَعْتَ فِيهَا لِيَالِيهَا
- (١٢) بِأَبِي الْفِدَاءِ لَهَا مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ لَوْ كَانَ يَنْفَعُهَا أَنِّي أَفْدِيهَا
- (١٣) وَغَايَةُ الْجُهْدِ أَنْ أَبْكِي لَهَا أَسْفَاً حَتَّى تَجِفَّ دُمُوعِي فِي مَاقِيهَا

٣ - في رواية كلتا النسختين وفي الديوان: احتملوا واخترنا رواية الفلك، والشعر الملحمي لأنها الأدق في التعبير.

٤ - في الفلك: لجايها.

٥ - في الفلك: على ما فيها وهو تصحيف، وفي بقية المصادر: عليه واخترنا رواية ديوان أبي نواس لأن البيت من شعره (انظر القسم الإنكليزي).

٦ - في د: «يا بلدة» بدلاً من يا دمنة.

٧ - في الفلك: أغيرها بدلاً من أعزبها وهو تصحيف.

٩ - في د: وأبكي.

١٠ - في س، د: الآسا، وفي د، والديوان، والفلك: ترجوا.

١٢ - في س، د، والديوان: يابى، وفي الفلك: أبى، وأثبتنا لموافقتهما للوزن. والمعنى.

١٣ - في الفلك: أماقبها وهو تصحيف.

- ١٤) كان التغزُّلُ في جيرانِ ذي سَلَمٍ
١٥) هي المدينة أمست بعد عزَّتِها
١٦) ملهوفةً كَبُدُّها حرَّى، مقطَّعةً
١٧) ما قمتُ في نصرها حقَّ القيام، فلا
١٨) ما في الحياة ولا في العيش من أَرَبٍ
١٩) عَشْنَا إلى أن رأينا ما يُصدِّعُهَا
٢٠) مُصِيبةٌ عُرِضَتْ للمسلمين غَدَتْ
٢١) فيا شقاوةً من أمسى يروِّعُهَا
٢٢) يا رَحْمَةَ من قلوب المؤمنين لَهَا
٢٣) أَشَدُّ دارٍ خَرَاباً لا عَمَارَ لَهُ
٢٤) قُصُوا العجائبَ عني وانقلُّوا أخباري
٢٥) وذالك في (مائة والألف يتبعُهَا
٢٦) كان «الأغا» اضْطَفَى في السَّر طائفةً
- واليوم قد كَثُرَتْ فيها مراثيها
كسيرةً، غاب عنها اليوم حَامِيها
محروقةً، فاسقِها إن كنت تَسْقِيها
أقلَّ من أذْمَعِي فيها تُروِّبِها
مَنْ منعِمُّ بوفاةٍ منه يُسْديها
عشنا إلى أن رأينا ما يُنكِّيها
عن «كربلاء» ويوم «الدار» تُلْهيها
ويا سعادة من أمسى يُراعيها
في كشف عَوْرَتِها مِمَّن يُعْطِيها
دارٌ أتى هَدْمُها من كَفِّ بَانِيها
على الحقيقة أُمليكم وأزويها
خمسٌ وخمسون) احصَاهُنَّ مُحْصِيها
تبغِي على الأُمَّة الجُلِّي وتنوبها

١٤ - في الفلك: بواكيها بدلاً من مراثيها.

١٦ - في د: حراء.

١٨ - في الفلك بوفاء وهو تصحيف.

١٩ - في الفلك: فيها ما يصدعها وهو تصحيف.

٢٠ - في س: يلهيها وهو تصحيف، وفي الفلك تتليها بدلاً من تلهيها وهو تصحيف.

٢٢ - في د: يا رحمتي، وفي رواية الديوان والفلك: يا رحمة.

٢٣ - في الفلك: يد بدلاً من كف.

٢٤ - سقطت عني من د، وفي الفلك: العجائب.

٢٦ - في كلتا النسختين وفي رواية الديوان: من السر وهي تكسر الوزن. وفي جميع الروايات ما

عدا الشعر الملحمي: الجلا وفي كلتا النسختين: تنوبها وهو تصحيف.

- ٢٧) لَمُوا عَلَيْهِ لِأَحْقَادٍ مُقَدَّمَةٍ تَلُوْحُ فِي جُلُهِمْ وَالْعَجْزُ يُخْفِيهَا
٢٨) وَأَصْلُهُ فِي «الْأَغَا» مَالِ الْغِلَالِ أَتَى «عَثْمَانَ بَيْكًا» بِهِ لِلنَّاسِ يُوْفِيهَا
٢٩) فَضَمَّهُ مِنْهُ سِرًّا ثُمَّ أَنْكَرَهُ عَلَى الرَّعِيَّةِ يُقْصِيهَا وَيُلْوِيهَا
٣٠) ثُمَّ اسْتَقَرَّ بِهِ مِنْ بَعْدَمَا شَغِبُوا وَلِيَتَّهَمُ تَرَكَوا الدَّعْوَى وَدَاعِيَهَا
٣١) لَكِنْ دَعَاهُمْ إِلَى مَا كَانَ ضَرَّهُمْ نَاهِيكَ بِالضَّرِّ وَالْبَأْسَا وَنَاهِيَهَا
٣٢) فَدَبَّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ مَعَ عَصَابَتِهِ عِقَارِبُ الْكَيْدِ غَادِيهَا وَسَارِيهَا
٣٣) وَجَاءَهُمْ كُلُّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ يَسْعَى بِعَلَّتِهِ مَعَهُمْ يُدَاوِيهَا
٣٤) وَرَتَّبُوا صُحْفًا تُقْرَأُ بِقَلْعَتِهِمْ لِيَلًا، وَجَاءَ الْعِدَى فِي زِيٍّ قَارِيهَا
٣٥) وَحَمَلُوا فِئَةً أُخْرَى بِنَادِقِهِمْ وَسَطَ التِّيَازِيرِ تُخْفِيهَا وَتَطْوِيهَا
٣٦) وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ شَتَّى مُفْرَقَةٍ وَذَلِكَ الْمَكْرُ وَالتَّرْتِيبُ خَافِيهَا
٣٧) وَأَصْبَحُوا غَلَّقُوا الْأَبْوَابَ، ثُمَّ رَمَوْا بِنَادِقِ الْبَغْيِ تَهْوِي مِنْ مَرَامِيهَا

٢٨ - في الشعر الملحمي: مال الضلال وهو تصحيف.

٣٠ - في الفلك والشعر الملحمي: شنعوا بدلاً من شغبوا.

٣١ - في الشعر الملحمي: ضرهمو.

٣٢ - في الفلك والشعر الملحمي: من عصابته، وفي د: ساويها وهو تصحيف.

٣٣ - في د: جائهم، وفي الفلك: جاهم وهي عامية سكان المدينة المنورة.

٣٤ - في د: تُتلى بدلاً من تُقرأ، وفي س: تُقرأ بالهمزة، وفي الفلك: تُقرأ اخترنا ما ورد في الديوان والشعر الملحمي لملاءمتها للوزن، وفي د، الديوان: العدا، وفي الفلك: العدو وهو تصحيف، وفي الشعر الملحمي سقطت «وجاء العدى» من عجز البيت.

٣٥ - في الفلك والشعر الملحمي: يخفيها.

٣٦ - ورد الشطر الأول من البيت في الشعر الملحمي برواية مختلفة كالاتي: والناس في غفلة عما يراد بهم.

٣٧ - في الشعر الملحمي: أغلقوا بدلاً من غلقوا.

ومراقبها بدلاً من مراميها.

- (٣٨) فقيل ما الأمر؟ قالوا نشتكي ضرراً
(٣٩) إمّا القتال وإمّا تُخرجونهم
(٤٠) ثم البقية أيضاً بعد مَنْ ذُكروا
(٤١) فَكَانَ ذَلِكَ عَامَ الْحُزْنِ إِذْ خَرَجُوا
(٤٢) وَكَتَبُوا حُجَّةَ تَحْوِي فَسَادَهُمْ
(٤٣) وَأَكْدَوْهَا بِأَمْهَارٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ
(٤٤) قَالُوا: «وَلَا انْتَطَحَتْ شَاتَانِ صَدَقُوا»
(٤٥) وَعَرَفُوا الدَّوْلَةَ العَلِيَا بِمَا صَنَعُوا
(٤٦) وَمَرَّتْ ألسِنَةُ الشُّهْبَا وَحَاكَمْنَا
(٤٧) «أَيْدِي سَبَا مَرَّقْتَهُمْ فِي الْبِلَادِ يَدَا»
(٤٨) قَصِيدَةٌ فِي الْبَلَاءِ كَانَ الْعَرُوضَ لَهَا
(٤٩) وَكُلَّ ذَاكَ «وَمَسْعُودٌ» مَلِيكُهُمْ
(٥٠) وَأَقْبَلَ الْحَجَّ وَالْإِسْلَامَ كُلَّهُمْ
- من ستة، وولي الأمر يبغيتها
وذلك القدر يكفيكم ويكفيها
نعاهد الله أنا ليس نؤذيها
ظلماً على الناس تبكيهم بواكيها
تمنت كل زور في معانيها
شهود حوَّء لا ذرت مساعيها
لكنها الشهب خرت مع ذاريها
كي يسعدوها بقرمان يقويها
يجني على الناس طرداً أو يجنيها
دنياهم، وهي من إحدى دواهيها
وجاءت الناس إرسالاً قوافيها
يدري التلاف ويسعى في تلافيها
أرواحهم بلغت منها تراقيها

٣٨ - في الشعر الملحمي: تخرجونهمو .

٤٠ - في الفلك تعاهد، وسقط البيت بأكمله من رواية الشعر الملحمي .

٤٢ - في الشعر الملحمي: فسادهمو .

٤٣ - في د: حوئب وهو تصحيف، وفي الفلك: حوب، وإذا قرأت «شهود حوب» فمن أن تقرأ «فلا درت» ليستقيم الوزن .

٤٤ - سقطت صدقوا من النص في الفلك ثم أضيفت في الهامش .

٤٥ - في د: لي يسعدوها: وهو تصحيف .

٤٦ - في الشعر الملحمي: تجري وهو تصحيف .

٤٧ - في الفلك: يدي بدلاً من يدا، وسقط البيت بتمامه من الشعر الملحمي .

٤٨ - ورد الشطر الثاني من البيت في الشعر الملحمي كالاتي: وأصبح الناس إرسالاً .

٥٠ - ورد الشطر الأول من البيت في الشعر الملحمي كالاتي (وأقبل الحج والحجاج كلهم .

- ٥١) وَجَاءَ فَرْمَانُهُمْ طَبَقاً لِمُوجِبِ مَا
٥٢) وَالذَّنْبُ وَاللَّهِ حَقًّا ذَنْبٌ مِنْ شَهَدْتُ
٥٣) أَهْلَ الطَّيَالِسِ، إِيَّاكُمْ، خُذُوا حَذْرًا
٥٤) إِيَّاكُمْ هَذِهِ الْأَفْحَاخُ إِنِّي لَا
٥٥) عِصَابَةٌ خُلِقَتْ لِلغَيْشِ وَالتَّزَمْتُ
٥٦) وَاسْتَقْبَلُوا السَّنَةَ الْأُخْرَى بِحَالَتِهِمْ
٥٧) حَتَّى طَمَى الْجَوْرُ مِنْ نَحْوِ الْآغَا وَبَدَتْ
٥٨) وَلَمْ يَزَلْ يَتَدَاعَى الْأَمْرُ وَافْتَرَقَتْ
٥٩) وَأَصْبَحُوا قَتَلُوا كَابُوسَ إِذْ شَهِدُوا
٦٠) وَأَرْسَلُوا طَلَبُوا النَّاسَ الْأَوْلَى خَرَجْتُ
٦١) وَاسْتَقْبَلُوهُمْ، فَرَدَّ الْبَابَ دُونَهُمْ
٦٢) وَأَخْرَجُوهُمْ فَتَارَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ
- أَنَّهُوَا، وَأَنْفُسُهُمْ تَمَّتْ آمَانِيهَا
شَهَادَةَ الزُّورِ تُخْفِيهَا وَتُبْدِيهَا
مِنْهَا جَمِيعًا، فَإِنِّي لَا أَسْمِيهَا
الْوَكْمُ النُّصْحَ جَهْدًا فِي تَوْقِيهَا
بَابَ الْوُلَاةِ بَطُلْمِ النَّاسِ تُفْتِيهَا
لَكِنَّهُمْ فَسَدُوا فِي بَعْضِهِمْ تِيهَا
حَوَادِثٌ بَيْنَهُمْ تَنُمُو نَوَامِيهَا
مُرْدَانٌ قَلَعَةَ عَنْهُمْ مَعَ مَوَالِيهَا
بِكُفْرِهِ فِي أُمُورٍ كَانَ يَأْتِيهَا
وَعَادَ مُبْعِدَهَا فِي الْحَالِ يُدْنِيهَا
كُبَيْبَةً وَجَمَاعَاتٍ مُعَبِيَّهَا
لِفِتْنَةٍ قَدْ أَرَادَ اللَّهُ يَفْضِيهَا

٥١ - سقطت الواو من أنفسهم في رواية الفلك .

٥٢ - في الفلك : يخفيها ويبديها وهو تصحيف .

٥٤ - في كلتا النسختين : إياكموا وما أثبتناه رواية الديوان .

٥٦ - في كلتا النسختين : الفتنة بدلاً من السنة .

٥٧ - في س : والفلك : طما، وفي كلتا النسختين وبقية المصادر ما عدا الشعر الملحمي : تنموا وهو تصحيف .

٥٨ - في الشعر الملحمي : في موالبيها وهو تصحيف .

٦٠ - في كلا النسختين ورواية الديوان : التي بدلاً من الأولى وفي الفلك : الذي أثبتناه هو رواية الشعر الملحمي .

٦١ - في الفلك والشعر الملحمي : فاستقبلوهم وفي الشعر الملحمي : دونهمو، ومُهيبيها بدلاً من معبيها (أي مهيوها) الذي أعدها لهذا) .

٦٢ - في الشعر الملحمي : بينهمو .

- ٦٣) وأرسلوا لِبَلَاغَا لِلصُّلْحِ فَاضْطَرَبَتْ أَشْيَاعَهُ، وَأَبَتْ إِلَّا تَمَادِيهَا
- ٦٤) وَأرسلوا طَلَبُوا هَزَّاعٍ يَنْصُرُهُمْ عَلَى الْمَدِينَةِ كِي يَنْفِي أَهْلِيهَا
- ٦٥) فَجَاءَهُمْ بِجُنُودٍ كَالْحَصَى عَدَدًا الْبَغِيُّ قَادِمُهَا وَالظُّلْمُ تَالِيهَا
- ٦٦) وَشَمَرَ الْحَاكِمُ الْمَذْكُورُ يَسْبَحُ فِي سَفِينَةِ الْجُورِ يُجْرِيهَا وَيُرْسِيهَا
- ٦٧) جَرَّ الْبَوَادِي لَهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَانْدَكَّ أَسْفَلُهَا مِنْهَا وَعَالِيهَا
- ٦٨) وَحَسَّنَتْ عُلَمَاءُ السُّوءِ عَثْرَتَهُ بِحُكْمِ طَاغُوتِهَا فَانَجَرَ طَاغِيهَا
- ٦٩) وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَلَّى كِبْرَهُ وَلَهُ عُقْبَى عَذَابِ الْيَمِّ فِي تَوَلِّيهَا
- ٧٠) قَالُوا لَنَا نِسْبَةٌ «الْأَنْصَارِ» قُلْتُ أَجَلُ فِعَالُكُمْ صَدَقْتَهَا فِي دَعَاوِيهَا
- ٧١) سِتِّينَ يَوْمًا أَقَامُوا فِي مُحَاصَرِهَا قِتْلًا، وَنَهْبًا، وَهَدْمًا فِي صَيَادِيهَا
- ٧٢) أَيَّامَ بُوْسٍ حَكَتْ أَضْعَافَ مَا صَنَعَتْ أَيَّامُ «مُسْرِفِ الْمُرِّي» بَاغِيهَا
- ٧٣) كَأَنَّهَا دَارٌ كَفَرٍ قَامَ مُجْتَهِدًا فِي فَتْحِهَا، يَبْتَغِي رِضْوَانَ بَارِيهَا
- ٧٤) وَأَنْزَلُوهَا عَلَى حُكْمِ الْعَدُوِّ، وَلَا رَتُّوا لَذَلَّتِهَا فِي كَفِّ مُذْلِيهَا
- ٧٥) وَأَسْفَرَ الْحَالُ مَعَهُ فِي ثَمَانِيَةِ وَعَشْرَةِ بِقِضَاءِ الْجُورِ يُجْلِيهَا

٦٤ - في الفلك والشعر الملحمي: فأرسلوا.

٦٥ - في د: فجاءهم، وفي الفلك: فجاهم.

٦٨ - لم يرد البيت في رواية الشعر الملحمي.

٦٩ - لم يرد البيت في رواية الشعر الملحمي/ وفي الفلك: تواليها وهو تصحيف.

٧٠ - في س: نسبت، ولم يرد البيت في رواية الشعر الملحمي.

٧٢ - في الفلك: بوس.

٧٣ - لم يرد البيت في رواية الشعر الملحمي.

٧٤ - في د: رسو، ولم يرد البيت في رواية الشعر الملحمي.

٧٥ - في كلتا النسختين: اقتضاء بدلاً من قضاء وما أثبتناه رواية الديوان، وفي الشعر الملحمي:

الظلم بدلاً من الجور.

- ٧٦) وكتبوا كتباً في الصلح واحتكموا
٧٧) لكنها «هدنة جاءت على دخن»
٧٨) وسار «هزاع» والأحوال فاسدة
٧٩) وكان في «قلعة السلطان» طائفة
٨٠) فاطلعوهم إليهم في الجبال كما
٨١) فيا لها الله بسطامية وقعت
٨٢) مات «الأغاء» ومن في حزيه كمداً
٨٣) فادخل الحرم الأعراب فانتهكت
٨٤) وأصدوها ولا خافوا ولا اعتذروا
٨٥) وصاحب الأمر باق في تعصبه
٨٦) يصرّف المال مالم للمسلمين على
٨٧) وأصبح الحرم العالي وروضته
- على الرعية حكماً ليس يرضيها
وهدنة الجبر شرط لا يواتيها
والناس مضمرة أشيا تعميها
تحققت غش من قد كان يغويها
تسعى الأفاعي وترقى في مراقيها
أعدت الحرب بكرأ في مجاريها
بها، وعاد لتلك الحرب يئسيها
هناك حرمة هاديها ومهديها
فوق المنائر ترمي من أعاليها
معها على الناس يسليها ويغريها
تلك العصابة يسقيها ويغذيها
كالجبّخانة بالبارود يحشيها

٧٧ - في د: جات، وفي الفلك: جات، وفي رواية الديوان: لا يواتيها.

٧٨ - في الشعر الملحمي: الفاس بدلاً من الناس وهو تصحيف.

٧٩ - في الفلك والشعر الملحمي: يوفيهما بدلاً من يغويها وهو تصحيف.

٨٠ - في رواية الديوان: إليه بدلاً من إليهم وهو تصحيف.

٨١ - في الشعر الملحمي (بطامية) بدلاً من بسطامية وهو تصحيف.

٨٢ - في الفلك: الأغا، وفي الشعر الملحمي: الاغاة وفي د: ينشها وهو تصحيف.

٨٣ - في الشعر الملحمي: فانتهكوا.

٨٥ - معها بتسكين العين للوزن، وفي كلتا النسختين والفلك: يشليها وما أثبتناه اعتماداً على

رواية الديوان لموافقة معنى الفعل «سلي» أي أبغض وكره الفعل «أغرى» أي أفسد بين

الناس (انظر م - الوسيط، ج ١: ٤٤٩ ج، ٦٥٦).

٨٦ - لم يرد البيت في الشعر الملحمي.

٨٧ - في كلتا النسختين وفي رواية الديوان: من نواحيها وما أثبتناه اعتماداً على رواية الفلك والشعر

الملحمي.

- ٨٨) لا جمعة، لا صلاة، لا آذانٍ بها إلا البنادقُ ترمي في نواحيها
٨٩) فصاحتِ النَّاسُ شَرَعَ «الله» وابتَدَرُوا إلى الخُصومةِ قاصيها ودانيها
٩٠) وبَادَرُوا مَجْلِسَ الْقَاضِي لِيَنْظُرَ فِي فَضْلِ الْقِضَا وَلِنَارِ الْحَرْبِ يَطْفِئُهَا
٩١) فَصَدَّرَ الْحَاكِمُ الشَّرْعِيُّ نَحْوَهُمْ رِسَالَةً تَفْتَضِي الدَّعْوَى وَتَحْوِيهَا
٩٢) فَلَمْ يَرُدُّوا خِطَاباً عَنْ رِسَالَتِهِ إِلَّا الرُّصَاصَ جَوَاباً فِي حَوَاشِيهَا
٩٣) وَتَرَسُّوا مَسْجِدَ الْهَادِي، وَثَارَ بِهِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حَرْبٌ لَسْتُ أَحْكِيهَا
٩٤) فَيَا لَهَا زَلَّةٌ مِنْهُمْ وَفَاقِرَةٌ جَاءَتْ عَلَى رِغْمِ مُفْتِيهَا وَقَاضِيهَا
٩٥) وَقَامَتِ الْحَرْبُ فِيهِمْ تَرْتِمِي شَرَّراً سَتَيْنَ أُخْرَى، يَدُ الْأَعْرَابِ تُذَكِّيهَا
٩٦) وَصَاحِبُ الْقَبْرِ مَحْزُونٌ بِمَا صَنَعُوا غِيظاً لِأُمَّتِهِ مَمَّنْ يُعَادِيهَا
٩٧) وَامْتَدَّتِ الْحَالُ بِالْبُلُوبِ إِلَى رَجَبٍ وَمُنْتَهَى صَفَرٍ قَدْ كَانَ بَادِيهَا
٩٨) فَسَارَ مِنْ عِنْدِ مَوْلَانَا الشَّرِيفِ لَنَا عَسَاكِرٌ لِتَلَافِينَا يُوَالِيهَا
٩٩) فَسَارَ هَزْأُكَ مِنْ نَحْوِ الْأَغَا لَهَا يَرُدُّهَا دُونَنَا قَهْراً وَيُرْذِيهَا
١٠٠) فَصَدَّهَا وَأَتَى مَنْصُورٌ يَسْبِئُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي شَعْبَانَ يَحْمِيهَا
١٠١) وَجَاءَ هَزْأُكَ يَوْمَ النَّصْفِ، وَاسْتَعْرَتْ مَرَاجِلُ الْحَرْبِ وَالْمَلْعَلُونَ يُغْلِيهَا
١٠٢) وَقَسَمَ الْبَدْوُ نِصْفاً عِنْدَهُ قَعَدُوا وَالنَّصْفُ عِنْدَ الْأَغَا مَعَ عِيدِ يُبْقِيهَا

٨٩ - فِي الشُّعْرِ الْمَلْحَمِيِّ: فَطَالِبٌ بَدَلًا مِنْ صَاحَتِ .

٩٠ - سَقَطَ الْبَيْتُ بِتَمَامِهِ مِنَ الشُّعْرِ الْمَلْحَمِيِّ .

٩١ - فِي الشُّعْرِ الْمَلْحَمِيِّ: نَحْوَهُمْ .

٩٣ - فِي الْفُلْكِ: تَارَ وَهِيَ عَامِيَّةُ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ وَسَقَطَ الْبَيْتُ مِنَ الشُّعْرِ الْمَلْحَمِيِّ .

٩٤ - فِي د: جَاءَتْ، وَفِي الْفُلْكِ: جَاءَتْ وَسَقَطَ الْبَيْتُ مِنَ الشُّعْرِ الْمَلْحَمِيِّ .

٩٦ - فِي الْفُلْكِ: لَمَّا صَنَعُوا، وَسَقَطَ الْبَيْتُ مِنَ الشُّعْرِ الْمَلْحَمِيِّ .

٩٨ - فِي د: مَوْلَانَا، وَسَقَطَ الْبَيْتُ . مِنْ رَوَايَتِي الْفُلْكِ، وَالشُّعْرِ الْمَلْحَمِيِّ .

٩٩ - فِي الْفُلْكِ: الْأَغَا .

- ١٠٣) وَأَضَحَتِ الدَّارُ قَفْرًا لَا أُنَيْسَ بِهَا
الجنُّ تَنْدُبُهَا وَالْإِنْسُ تَرْتِيهَا
١٠٤) أَبَاحَهَا الْبَدْوُ نَهْبًا ثُمَّ حَرَّقَهَا
وَرَا حَ يَشْقَى بِهَا حَقًّا وَيُشْقِيهَا
١٠٥) أَبَاحَهَا وَهُوَ يَرْجُو مِنْ حَمَاقَتِهِ
ثَوَابَ أَصْحَابِ بَدْرِ فِي مَغَازِيهَا
١٠٦) لَكِنَّه صَانَ خَيْرَ الْخَلْقِ حَوْزَتَهَا
وَأَصْبَحَ السُّتْرُ غَاطِيهَا وَضَافِيهَا
١٠٧) وَحَقَّقَ اللَّهُ خَذْلَانَ الَّذِينَ بَغَوْا
جَمِيعَهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ يُعْلِيهَا
١٠٨) وَسَيَّرُوا هَدَنَةً لِلْحَجِّ، وَانْتَظَرُوا
فِيهَا الْجَوَابَ، وَسَاعَاهُمْ مُسَاعِيهَا
١٠٩) وَارْتَدَّ هَزَّاعٌ مَفْشُولًا وَعَصْبَتُهُ
بَدْوًا وَحَضْرًا تُعْطِيهَا مَسَاوِيهَا
١١٠) وَأَصْبَحَ الْحَاكِمُ الْمَغْرُورُ يَفْرَعُ فِي
سِنِّ النَّدَامَةِ مِمَّا كَانَ يُوَلِّيهَا
١١١) وَالْأَمْرُ لِلَّهِ مَكْتُوبٌ عَلَى يَدِهِ
أَنَّ الْآعَا سَوْفَ يُجْلِيهِمْ وَيُخْلِيهَا
١١٢) يَا لِلْكَبَائِرِ، مَنْ أَدْعُو فَيَسْمَعَنِي
حَتَّى أَصْرَحَّ عَنْهَا أَوْ أَكْنِيهَا
١١٣) مِنْ «لِلْمَدِينَةِ» إِنْ عَصَّتْ بَرِيْقَتِهَا
وَمَنْ يُجِيبُ نِدَاها، مِنْ يُلَبِّيها
١١٤) مَا أَقْفَرُ الصَّيْدُ إِلَّا بَعْدَ مَسْلَمَةٍ
أَعْطَتْ مَحَاسِنَهَا الدُّنْيَا لِمَاضِيها
١١٥) عَادَتْ لَنَا سِيرَةُ التَّيْمُورِ فِي حَلْبِ
أَيَّامِ صَبِيانِها شَابَتْ نَوَاصِيها
١١٦) وَيَوْمَهُ وَهُوَ فِي بَعْدَادَ يَهْتِكُها
وَيَوْمَ «جَنْكِيْز» بِالتَّاتَارِ يَرْمِيها

١٠٥ - في د، والديوان، والفلك: يرجوا.

١٠٨ - في الفلك: هدية وهو تصحيف.

١١١ - سقطت الاغا من د، وفي الفلك: يجليها بدلاً من يخليها وهو تصحيف.

١١٢ - في د. والديوان، والفلك: ادعوا.

١١٣ - في الفلك: ومن يبكيها بدلاً من يلبئها وهو تصحيف.

١١٤ - في س: أعطت بدلاً من أعطت وهو تصحيف، وفي الفلك أعطيت وهو تصحيف.

١١٥ - صححت إلى «شابت» في هامش الديوان وفي الأصل «شالت».

١١٦ - لأجل الوزن تقرأ: بالتاتار بدلاً من التتار.

- (١١٧) «وَبُخِتَ نَصْرًا» من قبل الذي ذكروا
(١١٨) ويوم «تَهَمَّازًا» ما أدراك ما صَنَعْتَ
(١١٩) شَأْنٌ عَظِيمٌ مَضَى فِي الْجُورِ أَعْظَمُهُ
(١٢٠) حَوَادِثٌ مَا رَأَاهَا «دَانِيَالٌ» وَلَا
(١٢١) يَا شِدَّةَ لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ يَكْشِفُهَا
(١٢٢) أَيْنَ الْحِجَازِ، وَأَيْنَ الرُّومِ تَسْمَعُ لِي
(١٢٣) يَا آلَ عُثْمَانَ عَيْنٌ فِي مَمَالِكِكُمْ
(١٢٤) عَيْنٌ لِدَوْلَتِكُمْ، عَيْنٌ لِدِينِكُمْ
(١٢٥) أَمْتُمُوهَا فِضَاعَتْ عِنْدَهُ سَفَهًا
(١٢٦) نَمْتُمْ وَلَا نَوْمَ عَبُودِ الَّذِي ذَكَّرُوا
(١٢٧) هُنَّا عَلَيْكُمْ وَهَانَتْ بَعْدَ عِزَّتِهَا
(١٢٨) أَحْوَالُنَا عَلِمَتْهَا الصَّبِينُ وَاعْجَبَا
(١٢٩) خَمْسُونَ عَامًا لَنَا وَالظُّلْمُ يَلْحَقُنَا
(١٣٠) وَرَامَ «سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ» قَطَعَ دَابِرَهُمْ
(١٣١) سَلُّوا عَنِ الْعَهْدِ عَمَّا كَانَ سَبَبُهُ
فِي مِصْرَ وَالْقُدْسَ تَقْرِيْبًا وَتَشْبِيْهَا
فِي «شَاهِ جِهَانَ» الْمَوَالِي مَعَ مَوَالِيهَا
شَأْنَ الْمَدِيْنَةِ مِنْ أَيْدِي شَوَانِيهَا
قَصَّتْ مَلَاحِمُهُ شَيْئًا يُسَاوِيهَا
وَعِمَّةٌ لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ يَجْلِيهَا
صَوْتِي، إِذَا قُمْتُ مِنْ كَرْبِي أَنْادِيهَا
مَطْرُوفَةٌ، لَطَمَتْهَا كَفٌّ وَالِيهَا
قَدْ كَانَ لَوْلَا دِفَاعَ اللَّهِ يُعْمِيهَا
وَيْلُ الْأَمَانَةِ مِمَّنْ لَا يُؤَدِّيَهَا
عَنِ الْمَدِيْنَةِ، حَتَّى قَامَ نَاعِيهَا
وَأَصْبَحَ الْكُلُّ جَافِيْنَا وَجَافِيهَا
مَنْ كَانَ يَمْنَعُهَا عَنْكُمْ وَيَثْنِيهَا
نُقَارِعُ الْبَدْوَ فِيهَا أَوْ نُدَارِيهَا
لَكِنْ عَدْتَهُ مِنَ الْبَلْوَى عَوَادِيهَا
فَلَيْسَ ذَا أَوَّلِ الشُّكْوَى وَثَانِيهَا

١١٨ - فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : شَاجِهَانَ وَاعْتَمَدْنَا رَوَايَةَ الدِّيَوَانَ .

١١٩ - فِي الْفَلَكِ : شَانَ ، وَفِي د : شَوَاتِيهَا وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

١٢٠ - فِي الْفَلَكِ : حَادِثَاتٌ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

١٢١ - فِي الْفَلَكِ لَا يُوَدِّيَهَا .

١٣١ - فِي الْفَلَكِ : شُكْوَى وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

- (١٣٢) غَضَضْتُمْ الطَّرْفَ عَنْ أَشْيَاءَ أَبَدَ عَها «بشيرُ بيكُ» فجاهدَ يُسَوِّها
 (١٣٣) سُوسُوا البِلَادَ بَعِينٍ مِنْ نُفُوسِكُمْ دَعُوا الأَجَانِبَ، «أعطو القَوْسَ بَارِيها»
 (١٣٤) لو أن «مسعود» قلدتم له عَمَلًا أَجزا، وَثَارَ لأَعْدَاكُم يُجَازِيها
 (١٣٥) لَكِنَّهُ رَاحَ مَرْبُوطًا عَلى يَدِهِ تَحْتَ الإِشَارَةِ لا يَبْغِي تَعْدِيها
 (١٣٦) يُنْهِي إِلَيْكُم، وَبَعْدَ الحِوَالِ يُنْظَرُ فِي جِوابِكُم عَن أَمُورٍ كان يُنْهِيها
 (١٣٧) ما أَبْعَدَ الوَرْدَ إِنْ بَاتَ العِطَاشُ عَلى وَادِي العِضَا، وَبِوادي الرَّمْلِ سَاقِيها
 (١٣٨) تالَّهَ لو كان هذا الدين مَبْدُوءَه عَلى التَّسَاهِلِ والإِغْفالِ تَمُويها
 (١٣٩) ما صَدَّقَ الرُّسُلَ فِي الدُّنْيا مُصَدِّقُها ولا جَبَى سَاحَةَ الإِفْرانِجِ جَابِيها
 (١٤٠) سلوا ففِي كِي قِبادِ الفِرسِ مُعْتَبَرٌ يُعْني المِلوِكُ إِذا شاءَ تَنبِيها
 (١٤١) سلوا ففِي عَليجِ عَمُورِيَةٍ نَبَأٌ «وابنِ الرِّشِيدِ» وَمَنْ نَادَتْهُ تَنبِيها
 (١٤٢) وَأَيْنَ تَلكَ مِنَ الدَّارِ التي شَرُفَتْ عَلى المِمالِكِ إِعْظَماً وَتَنزِيها
 (١٤٣) ما أَحْوجَ الأَرْضَ لِلْفَتْحِ الجَدِيدِ فَقد عَمَّ البِلا وَطغى طُوفانُ عاصِيها
 (١٤٤) مِنَ بابِ مِصرَ إِلى بُصرى إِلى عَدَنٍ إِلى العِراقِ يَمَانيها وَشامِيها
 (١٤٥) وَمَنْ سِواكُم وَعَيْنُ النَاسِ تَرُفُّبُكُم قَد وَجَّهوا لَكُمُ الأَمالَ تَوَجِيها
 (١٤٦) بِخِدمَةِ المُصْطَفَى أَسلافِكُمُ شَرُفَتْ عَلى المُلوِكِ، وَهَناها مُهَنِّيها

- ١٣٣ - «من نفوسكم» يقصد من أنفسكم أي استعملوا لتولي الأمور رجالاً منكم لا أجنبي وفي
 الفلك الإجابة بدلاً من الأجنبي وهو تصحيف .
 ١٣٤ - في الفلك أجزى، وفي د: لأعدائكم ولا يستقيم الوزن بالهمزة .
 ١٣٧ - في الفلك يناقيا بدلاً من ساقيا وهو تصحيف .
 ١٤٠ - في د: قي كباد، شاتته بدلاً من شاءته، وسقط البيت بتمامه من الفلك .
 ١٤١ : في الفلك: بناء وهو تصحيف .
 ١٤٥ - في د: الله بدلاً من الناس وهو تصحيف، وفي الفلك: تنظركم بدلاً من تنبيه .
 ١٤٦ - في الفلك: الممالك بدلاً من الملوك، وهو تصحيف، ولا يستقيم به الوزن .

- ١٤٧) تَمِيمَةٌ عُلِّقَتْ فِي جِيدِ دَوْلَتِكُمْ
١٤٨) عَضُوا عَلَيْهَا وَصَوْنُهَا، فَإِنْ سَقَطَتْ
١٤٩) وَإِنْ تَرَوْا حَادِثًا فِي الدَّهْرِ أَوْ قَلَقًا
١٥٠) مَا كَانَ أَحْوَجَنَا أَنْ تَبْعَثُوا ثِقَةً
١٥١) سَلُوا الطَّرِيقَ عَنِ الْحِجَاجِ يُخْبِرُكُمْ
١٥٢) سَلُوا عَنِ الْحُجْرَةِ الزَّهْرَاءِ إِنْ حَفِيتْ
١٥٣) سَلُوا عَنِ الْمَالِ فِيهَا وَالذَّخَائِرِ مَنْ
١٥٤) وَأَجْرُوا الْعَسَاكِرَ إِحْسَانًا فَقَدْ سَتَرُوا
١٥٥) وَكَمْ أَيَادٍ لِقَاضِي الشَّرْعِ قَدَّمَهَا
١٥٦) فَإِنَّهُ صَانَ عَرْضَ الْمُسْلِمِينَ، رَمَى
١٥٧) وَالنَّفْسُ لَا يَسْتَوِي مَنْ جَاءَ يَقْتُلُهَا
١٥٨) مَشَاهِدُ صَالِحِ الْأَرْوَاحِ تَشْهَدُهَا
١٥٩) فَهَمُّ وَحُكَاةٌ مَوْلَانَا الشَّرِيفِ، لَهُمْ
١٦٠) وَكُلُّهُمْ بَدَلُوا فِي حَالِ غَيْبَتِكُمْ
١٦١) هُمُ الْمُحَامِدُونَ دُونَ الدَّارِ، لَا فِتْنَةٌ
- تَذُبُّ عَنْهَا أَعَادِيهَا وَتَحْمِيهَا
تَفَرَّعَتْ، وَعَدَتْ لَا شَيْءَ يَشْفِيهَا
مِنَ الْعِدَا فَهُوَ مِنْ عُقْبَى تَنَاسِيهَا
يُنْهِي إِلَيْكُمْ قَضَايَانَا وَيُمْلِيهَا
بِالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ فِيهَا مِنْ بَوَادِيهَا
أَسْرَائِهَا، رُبَّمَا التَّسْأَلُ يُفْشِيهَا
بِالْبَخْسِ قَدْ بَاعَهَا مَنْ كَانَ يَشْرِيهَا
عَوْرَاتِهَا، وَسَبَّوْا مِنْ جَاءَ يَسْبِيهَا
لِلَّهِ، وَاللَّهُ فِي الْأُخْرَى يُكَافِيهَا
بِسَهْمِهِ، وَعَنَاهُ مَا يُعْنِيهَا
وَأَخْرُ قَامَ يَحْمِيهَا وَيُحْيِيهَا
لَنَا، وَإِنْ سُئِلَتْ عَنْهَا تُؤَدِّيهَا
أَعْمَالُ بَرِّ عَسَى الْمَوْلَى يَزَكِّيهَا
أَرْوَاحُهُمْ دُونَهَا، وَاسْتَقْتَلُوا فِيهَا
نَمَكٌ حَرَامٌ وَتَكْفِيهَا مَخَازِيهَا

١٤٩ - في د: العدى .

في الديوان، والفلک: تخبركم .

١٥٣ - في الفلك: الذخاير .

١٥٦ - في د: ترمي .

١٥٧ - في س: يحليها بدلاً من يحييها .

١٥٨ - في الديوان: صالحوا وهو خطأ .

١٦١ - في كلتا النسختين: ويكفيها معاصيها وما أثبتناه هو رواية الديوان .

(١٦٢) جَرَى الْقَضَا، عرفت أصحابها سَقَرٌ وَجَنَّةُ الْخُلْدِ قَدْ بَاءَتْ بِأَهْلِهَا
(١٦٣) نَامَ الْخَلِيُّ عِنَّا، وَالْمَحْزُونُ خَاطِرُهُ بَكَى عَلَى الدَّارِ لَمَّا غَابَ حَامِيهَا

وقال الشيخ «محمد سعيد بن محمد أمين سفر المدني» (رحمه الله تعالى) فلقد أجاد وأفاد.

- ١ - عَلَى بَلْدَةِ الْمُخْتَارِ يُبْكَى وَيُنْدَبُ وَيُشْكَى إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ وَيُرْغَبُ وَيُرْهَبُ مِمَّا قَدْ أَتَاهَا مِنَ الْبَلَاءِ وَيَأْنِفُ مِنْ تِلْكَ الْخُطُوبِ وَيَغْضَبُ لَمَّا رَاعَاهَا حُقَّتْ، بَلِ الْأَمْرُ أَصْعَبُ وَخَمْسِينَ أَبْدَى الدَّهْرَ مَا مِنْهُ يَعْجَبُ أُولَى الْعَقْلِ، وَاحْتَارَ الطَّيِّبُ الْمَطْبُوبُ تَظُنُّ شَرَاباً وَهِيَ نَارٌ تَلْهَبُ وَتَعْبَثُ بِالْحَبْرِ الْعَلِيمِ وَتَلْعَبُ وَلَا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَذْكَانٌ يَثْرَبُ وَهَتَكَ «يَزِيدٌ» لِلْمَحَارِمِ أَغْرَبُ فَلَيْسَ لَهَا بَعْدَ الْمَطَالَعِ مَغْرَبُ وَلَيْسَ يُرْجَى بَعْدَ أَنْ سَوْفَ تَذْهَبُ طَرِيقٌ يُظُنُّ الْخَيْرَ فِيهِ فَيُزَكَّبُ
- ٢ - وَيَحْزَنُ مِمَّا قَدْ أَتَاهَا مِنَ الْبَلَاءِ
- ٣ - وَيُزَيِّئُ لَهَا مِمَّا عَرَاهَا عَدُوَّهَا
- ٤ - وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْجِبَالَ تَصَدَّعَتْ
- ٥ - فِي مِائَةِ مِائَةٍ مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةٍ
- ٦ - بَدَتْ فِتْنَةٌ عَمِيَاءٌ فِيهَا فَأَدْهَشَتْ
- ٧ - تَمُوجُ كَمُوجِ الْبَحْرِ فِي ظُلْمَةِ الدُّجَى
- ٨ - وَتَخْدَعُ ذَا اللَّبِّ السَّلِيمِ بِمَكْرُهَا
- ٩ - وَمَا جَاءَ فِي الْإِسْلَامِ قَطْعاً نَظِيرَهَا
- ١٠ - وَإِنْ كَانَ قَتْلُ «السَّيِّخِ» أَعْظَمَ فِتْنَةٍ
- ١١ - وَلَكِنَّ هَذِي فِتْنَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ
- ١٢ - أَقَامَتْ عَلَيْنَا فَوْقَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ
- ١٣ - وَعَمَّتْ بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، فَمَا لَهَا

١٦٢ - في د: بائت .

١٦٣ - الخلي بدون شدة للوزن .

٥ - في س: أبداً .

٩ - في د: ما كان وهو تصحيف، وفي س: سقطت - مذ - ثم أضيفت في الهامش .

- ١٤ - وأعيًا فرار النَّاسِ منها، فكل مَنْ
١٥ - فما هيَ إِلَّا رِدَّةٌ جَاهِلِيَّةٌ
١٦ - فنسأل مولانا الكريم يُعيدنا
١٧ - ونرفع شُكُونَنَا إلى باب جُودِهِ
١٨ - وندعو رَسُولَ اللَّهِ في كُلِّ أزمَةٍ
١٩ - وَنُنْهِي إلى سُلْطَانِنَا دَامَ عدلُهُ
٢٠ - وَنُسْتَنْصِرُ الأشرافَ من آل «أحمد»
٢١ - على «حَرْبِ» الطَّاغِينَ مَعَ مَنْ أعانهم
٢٢ - «فيا لَنَمِيٍّ» «يا لَزَيْدٍ» ويا بني
٢٣ - أغِيثُوا، أغِيثُوا، بَادِرُوا دار جدكم
٢٤ - وَجَاسُوا خِلالَ الدُّورِ يَنْتَهَبُونَهَا
٢٥ - فَصَارَتْ خِلاءً، وَحِشَّةً بعد أنسها
٢٦ - وَعُظِّلَ مِنْهَا مَسْجِدُ الْمُصْطَفَى فَلَا
٢٧ - وَمِنْ عَجَبِ مَنعِ الْمُصَلِّي دُخُولَهُ
٢٨ - وَاعْجَبُ مِنْ هَذَا آذَانَ مُؤَدِّنِ
٢٩ - وَاعْجَبُ مِنْ هَذِينَ رَمِيَهُمْ بِهِ
- أَرَادَ النَّجَا مِنْهَا تَجُرُّ وَتَجْرُبُ
تَسِيرُ إلى سِرِّ القُلُوبِ وَتَثْقُبُ
وَكَلَّ مُنِيبٍ مِنْ لَظَاهَا وَوَنَطَلَبُ
فَذَاكَ لَنَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ مَهْرُبُ
لِيَشْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ فَهُوَ المَقْرَبُ
أَبِي الفَتْحِ «محمود» وَبُدي وَنُعْرَبُ
فَنَصْرَهُمَ لِلْمُسْتَغِيثِ مُجْرَبُ
عَلَى حَرْبِ جِيرَانِ النَّبِيِّ وَحَزَبُوا
«سَعِيدٍ» وَ «مَسْعُودٍ» مَاذَا التَّجَنَّبُ
فَقَدْ حَرَّقَ الأَعْرَابُ فِيهَا وَحَرَّبُوا
فَشَرَّقَ عَنُهَا سَاكِنُوهَا وَغَرَّبُوا
وَأَرْجَفَ فِيهَا المُفْسِدُونَ وَأَزْعَبُوا
يُذَاعُ بِهِ عِلْمٌ وَلَا القِسْطُ يَنْصَبُ
وَاعْدَاءُ دِينِ اللَّهِ مِنْهُ تَقَرَّبُوا
فَمَنْ جَاءَ يَسْعَى بِالبِنَادِقِ يَحْجُبُ
فَمَنْ رَامَهُمُ بِالرَّمِيِّ لِلْكَفْرِ يَنْسَبُ

١٦ - في د: فنسأل .

١٨ - في كلتا النسختين: ندعوا وهو تصحيف .

٢٢ - سقط البيت بتمامه من د .

٢٣ - سقط البيت بتمامه من د .

٢٤ - في د: ينهبونها وهو تصحيف .

٢٥ - في الشعر الملحمي: ارغبوا بدلاً من ارعبوا وهو تصحيف .

بأنَّهُم بالنَّصِّ للكُفْرِ أَقْرَبُ
 إِخَافَةَ جِيرَانِ النَّبِيِّ وَازْهَبُوا
 وَمَنْ رَامَهُم بِالسُّوءِ فَهُوَ مُعَذَّبٌ
 بِرٍ مِنْ قَدْ جَاءَ لِلشَّرْعِ يَطْلُبُ
 وَلَمْ يَخْتَشُوا بَطْشَ الإِلهِ وَيَرْقَبُوا
 مِنَ المَسْجِدِ الأَعْلَى أَحَقُّ وَأَوْجِبُ
 وَرَامِي أَعَادِيهِ إِلَيْهِ مَقْرَبُ
 يَصُولُ عَلَى الإِسْلَامِ، لَا شَكَّ يَضْرِبُ
 تُدَافِعُ عَنْهُ الكَافِرِينَ وَتَضْرِبُ
 أَبَاحُوا جِمَاهُ لِلعَدُوِّ وَاخْرَبُوا
 وَإِثْ، وَتَزْوِيجِ، وَلِلْكَفْرِ صَوَّبُوا
 فَقُتِلَ جَمْعٌ بِالرِّصَاصِ وَصُوبُوا
 وَيَرْضَى بِذَلِكَ المُنْكَرُ المُتَعَصِّبُ
 تُنَجِّسُهُ، هَلَا تُزَاحُ وَتُضْرَبُ
 وَقَدْ خَالَفُوا الشَّرْعَ الشَّرِيفَ وَكَذَّبُوا
 وَهُمْ لِوَلِيِّ الأَمْرِ أَعْصَى وَأَكْذَبُ
 وَمَنْ رَدَّ هَذَا القَوْلَ فَهُوَ مُكْذِبُ
 لَصَالُوا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ وَنَصَّبُوا

٣٠ - يَقُولُونَ يَزْمُونَ النَّبِيَّ وَمَا دَرُوا
 ٣١ - أَيَرْضِي رَسُولَ اللَّهِ مَا أَزْتَكَبُوهُ مِنْ
 ٣٢ - أَخَافَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ قَدْ أَخَافَهُمْ
 ٣٣ - أَيَرْضِي رَسُولَ اللَّهِ رَمِيَهُمْ مِنَ المَنَا
 ٣٤ - فَكَمْ قَتَلُوا مِنْهَا بَرِيئاً مُوَحِّداً
 ٣٥ - فَإِنَّ دِمَاءَ المُسْلِمِينَ وَعَرْضَهُمْ
 ٣٦ - وَأَمَّا رَسُولَ اللَّهِ فَهُوَ بِقَبْرِهِ
 ٣٧ - فَلَوْ كَانَ حَيًّا وَالعَدُوِّ بِجَنْبِهِ
 ٣٨ - أَمَا كَانَتْ الصَّحْبُ الأَكْبَابُ حَوْلَهُ
 ٣٩ - وَأَعْدَاؤُهُ مَنْ خَالَفُوا شَرْعَهُ، وَقَدْ
 ٤٠ - وَقَدْ أَبْطَلُوا أَحْكَامَهُ فِي وَصِيَّتِهِ
 ٤١ - وَقَدْ بَدَّوْا بِالرَّمِيِّ كُلَّ مُوَحِّدٍ
 ٤٢ - فَإِنْ تُرْكُوا يَسْتَأْصِلُوا كُلَّ مُؤْمِنٍ
 ٤٣ - فَحُكْمُهُمْ حُكْمُ الكِلَابِ بِمَسْجِدِ
 ٤٤ - يَقُولُونَ جَهْلًا قَدْ أَطَعْنَا أَمِيرَنَا
 ٤٥ - وَيَبْدُونَ مِنْ فِرطِ الخِدَاعِ نَصِيحَةً
 ٤٦ - وَليْسَ لِوَالٍ فِي المَعَاصِي إِطَاعَةٌ
 ٤٧ - وَأَقْسِمُ لَوْ أَنَّ «الأَغَاءَ» عَصَاهُمْ

٣١ - في د: وارهبوا .

٣٩ - في د: وأعدائه .

٤٣ - في د: هل لا تزاح .

٤٧ - في الشعر الملحمي: الأغاة، عصاهموا .

- ٤٨ - وَلَكِنَّ أَغْرَاضاً لَهُمْ قَدْ تَحَكَّمَتْ فَجَدُّوا عَلَى تَنْفِيذِهَا وَتَعَصَّبُوا
- ٤٩ - فَإِنْ كَانَ يَرْضَى فَعَلَهُمْ فَهُوَ مِثْلَهُمْ وَإِنْ كَانَ لَا يَرْضَى فَهُمْ قَدْ تَغَلَّبُوا
- ٥٠ - بَلَى صَارَ رَهْناً فِي يَدَيْهِمْ، مُوَافِقاً لِأَغْرَاضِهِمْ، وَالْعَقْلُ مِنْهُ مُغَيَّبٌ
- ٥١ - فَخَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهَوَى فِيهَا هَوْدًا فِي وَرْطَةِ الْجَهْلِ يَنْشِبُ
- ٥٢ - يَخَافُ حِسَاباً عَاجِلاً دُونَ آجَلٍ وَيُفْسِدُ أضعافاً لَمَّا مِنْهُ يَرْهَبُ
- ٥٣ - وَيَطْلُبُ بِالْفِرْمَانِ إِخْرَاجَ سِتَّةِ وَهُمْ مِنْهُ أَوْلَى بِالصَّوَابِ وَأَضُوبُ
- ٥٤ - حَمَوْا بِلِدَّةِ الْمُخْتَارِ وَهُوَ أَبَاحُهَا فَأَيُّهُمْ بِالنَّفْسِ أَوْلَى وَأَنْسَبُ
- ٥٥ - إِذَا أَجَاءَ فَرْمَانٌ عَلَى وَفْقِ قِصْدِهِ يُنْقِذُ، أَوْ فِيمَا سِوَاهُ يُغَيِّبُ
- ٥٦ - إِذَا جَاءَ فَرْمَانٌ بِتَفْوِيضِ سَيِّدِ الْجَمِيهِ حَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَا بِي وَيَنْكَبُ
- ٥٧ - وَإِخْرَاجِ فَرْمَانٍ بِإِخْرَاجِ بَعْضٍ مِنْ لَدَيْهِ، فَلَمْ يَخْرُجْهُ وَالْفِرْقُ مُعْرَبٌ
- ٥٨ - عَلَى أَنَّ فِي الْفَرْمَانِ إِنْهَاءَ كَاذِبٍ فإِخْرَاجُهُمْ بِالْكَذِبِ لَا يَتَرْتَّبُ
- ٥٩ - وَقَدْ عَلَّقَ الْفَرْمَانُ بِالشَّرْعِ فَارْتَضُوا مِرَافِعَةً، وَهُوَ الَّذِي يَتَجَنَّبُ
- ٦٠ - فَقَالُوا لَهُ: إِنْ لَمْ تَطْعَ لِشَرِيعَةٍ تُعْرِفُ مَوْلَانَا الشَّرِيفَ وَنَكْتَبُ
- ٦١ - فَلَمْ يَرْضَ بِالْأَمْرَيْنِ، وَاتَّبَعَ التِّي يَفْرَعُ مِنْهَا كُلُّ شَرٍّ وَيَعْقُبُ
- ٦٢ - وَقَرَّبَ «هَزَاعاً» وَحَكَّمَهُ عَلَى مَدِينَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ يُوْذِي وَيَرْهَبُ
- ٦٣ - فَلَمَّا رَأَى الْقَاضِيَّ انشِاقَ الْعَصَى قَضَى بِأَنْ يُخْرَجُوا دَفْعاً لَمَّا يُتَجَنَّبُوا
- ٦٤ - فَلَمْ يَكْتَفُوا مِنْهُمْ بِإِخْرَاجِ سِتَّةٍ وَمَالُوا إِلَى حَرْبِ الْعِبَادِ وَأَنْشَبُوا

٥٣ - بالفَرْمَانِ: الأَصْلُ الصَّحِيحُ بِكسْرِ الفَاءِ وَسكونِ الرَّاءِ وَقَدْ يَكُونُ بِفَتْحِ الفَاءِ.

٥٥ - أَوْ مَا فِي سِوَاهِ.

٦٠ - فِي س: بِشَرِيعَةٍ.

٦٣ - سَقَطَتْ قِضَى مِنْ د ثَمْ أَضِيفَتْ فِي الْهَامِشِ.

- ٦٥ - وَشَتُّوا عَلَيْهِمِ غَارَةً جَاهِلِيَّةً
٦٦ - فَأَدْرَكَهُمْ لُطْفُ الْإِلَهِ فَدَافَعُوا
٦٧ - وَحَاوَلَ بَعْضُ النَّاسِ بِالصُّلْحِ بَيْنَهُمْ
٦٨ - بَأَن يَخْرُجُوا مِنْهُمْ ثَمَانِي عَشْرَةَ
٦٩ - فَإِن لَمْ يُوقَوْهُمْ فَلَا صُلْحَ بَيْنَهُمْ
٧٠ - فَلَمَّا مَضَتْ لَمْ يُسَلِّمُوهُمْ حُقُوقَهُمْ
٧١ - وَعَايَنَ أَصْحَابُ الْحِصَارِ الَّذِينَ قَد
٧٢ - فَجَاؤُوا بَلِيلٍ تَحْتَ قَلْعَتِهِمْ فَمَا
٧٣ - فَلَمَّا عَلَوْهَا كَبَرُوا فَتَصَاغَرَتْ
٧٤ - سَعَى بَيْنَهُم بِالصُّلْحِ مِنْ هُوَ نَاصِحٌ
٧٥ - وَصَرَخَ بِالْمَنْعِ «الْأَغَاءُ» وَجُنْدُهُ
٧٦ - وَأَرْضُوهُ بِالْمَالِ الْكَثِيرِ فَجَاءَهُمْ
٧٧ - وَوَافَقَهُ «عَيْدٌ» فَجَاءَ بِجُنْدِهِ
٧٨ - فَعَاثُوا بِأَنْوَاعِ الْفَسَادِ «بَطِييَّةٌ»
٧٩ - فَهَلْ سَمِعْتَ أُذُنٌ بِحَاكِمِ بَلَدَةٍ
٨٠ - وَهَبَ أَنَّ مِنْهُمْ سِتَّةٌ قَدْ عَصَوْهُ، هَلْ
٨١ - وَهَبَ أَنَّهُمْ جَمْعًا عَصَوْهُ، فَهَلْ لَهُ
٨٢ - وَمَا ذَنْبَ أَطْفَالٍ صَغَارٍ وَنَسْوَةٍ
- أَحَاطُوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَنَقَّبُوا
عَنِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَأَوْجَبُوا
عَلَى دَخْنِ وَالْأَمْرِ فِيهِ مُذِيبٌ
وَيُوفُوهُمْ كُلَّ الْحُقُوقِ وَيَحْسِبُوا
إِلَى مُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ فَتَغَيَّبُوا
وَقَدْ بَاءَ «هَزَّاعٌ» بِمَا كَانَ يَكْسِبُ
نَفْسَهُمْ بِظُلْمٍ، بَغْيٍ «حَرْبٍ» فَأَغْضَبُوا
مَضَتْ سَاعَةٌ حَتَّى عَلَوْا وَتَغَلَّبُوا
قُلُوبُ الْأَعَادِي، وَاسْتَكَانُوا وَأُزِّ
فَسَارَعَ أَصْحَابُ الْحِصَارِ وَقَرَّبُوا
وَلَاذُوا «بِهَزَّاعٍ» وَأَغْرَوْا وَأَنْبَبُوا
بِجَيْشٍ كَجَيْشِ الْفِيلِ، وَاللَّهُ أَغْلَبُ
مُعِينًا لَهُ، وَالشَّرُّ لِلشَّرِّ يُجْلِبُ
وَأَذُوا إِمَامَ الْمُرْسَلِينَ وَأَغْضَبُوا
يُغَيِّرُ عَلَيْهَا بِالْعَدُوِّ وَيُجْلِبُ
عَصَاهُ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَذْنَبُوا
دَلِيلٌ عَلَى قَتْلِ الْعُصَاةِ فَيُعْرَبُ
أُخِيْفُوا وَمِنْ رَمِي الْمَدَافِعِ أَرْهَبُوا

٦٥ - في د: سنوا وهو تصحيف .

٧٥ - في الشعر الملحمي : الاغاة .

٧٧ - في د: معين وهو تصحيف .

- ٨٣ - فكم مَرَأَةً مَاتَتْ بِرُعب، وَحَامِل
٨٤ - وَمَا بَالُ دَارِ الْمُصْطَفَى حِينَ أُخْرِبَتْ
٨٥ - وَوُلِّيَ هَزَاعٌ وَعِيدٌ أَمُورَهَا
٨٦ - بَعَى تَضَرَّ هَزَاعٌ وَقَدْ طَالَ مَا بَعَى
٨٧ - فَهَلَا دَعَى مَوْلَاهُ مَسْعُوداً الَّذِي
٨٨ - وَمَنْ هُوَ فِي قُطْرِ الْحِجَازِ مُفَوَّضٌ
٨٩ - وَلَكِنْ هَزَاعاً إِلَى الْجُورِ مُسْرِعٌ
٩٠ - فَإِنْ كَانَ هَزَاعٌ أَتَى بِجُنُودِهِ
٩١ - فَجَاءَ بِأَعْرَابِ حُفَاةٍ كَأَنَّهُمْ
٩٢ - أُلُوفٌ وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهِمْ شِجَاعَةٌ
٩٣ - إِذَا قِيلَ «جَاؤَكُمْ» تَكَادُ قُلُوبُهُمْ
٩٤ - فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْ طَيْبَةٍ بِمُرَادِهِمْ
٩٥ - وَنَهَبَ جُيُوبَ الْمُسْلِمِينَ وَدُورِهِمْ
٩٦ - وَحَرَقَ بِنَارٍ سَوْفَ يَصِلُونَهَا غَداً
٩٧ - وَقَدْ تَرَكَ النَّاسَ الْمَدِينَةَ وَانْتَهَوْا
٩٨ - وَمَا عَجِبِي مِنْ كَفَرِ حَرْبٍ وَإِنَّمَا
٩٩ - وَمَنْ قَالَ: هُمْ أَهْدَى سَبِيلاً، وَحَنَّهُمْ
١٠٠ - أَلَيْسَتْ بَدَارُ الْعِلْمِ وَالِدِينِ وَالْهَدَى
- رَمَتْ حَمَلَهَا، وَالْخُوفُ لِلْكَلِّ مُتْعَبٌ
وَجُدَّدَ فِيهَا لِلْخَوَارِجِ مَنْصِبٌ
وَأُبْعِدَ مِنْهَا الْمُسْلِمُونَ وَجُنَّبُوا
وَمَنْ يَبْغِي دَا بَعِي فَذَاكَ الْمَحْيَبُ
يُنَالُ لَدَيْهِ كُلُّ خَيْرٍ وَيُجْلَبُ
وَيَعزَلُ عَنْهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْصَبُ
وَمَسْعُودُ الْمَرَضِيِّ فِي الْعَدْلِ يَرْعَبُ
فَنَحْنُ بِحَوْلِ اللَّهِ نَعْلُو وَنَغْلِبُ
كِلَابٌ تَعَاوَى أَوْ نِسَاءٌ تَصُوبُوا
سِوَى أَنَّهُمْ فِي الْكُفْرِ حِزْبٌ مُخَرَّبٌ
تَطِيرُ مِنَ الرَّعْبِ الشَّدِيدِ وَتَهْرَبُ
سِوَى أَكْلِ مَنْ جَاؤُوا بِهِمْ وَتَسَبَّبُوا
وَأَسْوَأَقِهِمْ وَاللَّهُ يَحْصِي وَيَحْسَبُ
وَهَذْمٍ وَحَفْرِ فِي الْبُيُوتِ لِيَنْهَبُوا
لِخَارِجِهَا إِلَّا قَلِيلاً فَاتَّعَبُوا
مَنْ الْمُزْتَضِي أفعالَهُمْ أَتَعَجَّبُ
عَلَى هَتَاكَ دَارِ الْمُصْطَفَى فَهُوَ أَعْجَبُ
وَأَرْضاً بِهَا جَبْرِيلُ يَأْتِي وَيَذْهَبُ

٨٦ - فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ: طَالَمَا بَعَى وَأَثْبَتْنَا «طَالَ مَا بَعَى» لِلْمَعْنَى وَالْوِزْنَ.

٨٧ - مَسْعُوداً بِالتَّنْوِينِ لِلْوِزْنِ.

٩٦ - د: لِيَذْهَبُوا بَدَلاً مِنْ يَنْهَبُوا.

- ١٠١ - فيا ويحها من قرية، ما أَجَلَّهَا وَأَطْيَبَهَا، إِذْ حَلَّ فِيهَا الْمُطَيَّبُ
١٠٢ - وَلَكِنْ أَضَاعَتْهَا وُلَاةٌ أُمُورَهَا
١٠٣ - فيا ويلهم من مالِكِ المُلْكِ في غد
١٠٤ - فلولاَ رسولَ اللّهِ فيها وصَحْبِهِ
١٠٥ - لما حَامَ فيها الطَّيْرُ من عَظْمِ بَعْثِهِمْ
١٠٦ - أُولَئِكَ أَصْحَابُ الحِصَارِ وأهلها
١٠٧ - فكَمِ وقعة فيها تخرَّ لوقعها
١٠٨ - فمنها بيوت «الزنج» في يوم جُمعة
١٠٩ - فَكَّرَ عليهم بالسَّيْفِ حُمَانُهَا
١١٠ - فَقُتِلَ منهم عَصَبَةٌ جاهليَّةٌ
١١١ - ولم يَحِمِ كلبٌ منهم دونَ نفسه
١١٢ - ويوم أَتَوْا فيه إلى «القلعة» التي
١١٣ - وقد عزموا أن يفتحوها بزعمهم
١١٤ - فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا وقد فُتِحَتْ لهم
١١٥ - فَفَرُّوا جميعاً كالجرادِ وبعضهم
١١٦ - ودُبِّحَ منهم بضع عشرة فاجراً
- وأطْيَبَهَا، إِذْ حَلَّ فِيهَا الْمُطَيَّبُ
وَجَدُّوا على تخریبها وتحزَّبوا
إِذَا أُدْخِلُوا نَارَ الجحيمِ وَعَذَّبُوا
وهِمَّةٌ قَاضِي الشَّرْعِ والحَقُّ يَغْلِبُ
ولكن حماها كُلُّ شهم مُجَرَّبُ
وقائد مَوْلَانَا الشَّرِيفِ المِهْدَبُ
وجوه الأَعَادِي في الترابِ وتسحبُ
وقد مَلَّوْها بالجنودِ وَرَتَّبُوا
وهل يُعْجِزَنَّ الأَسَدَ كَلْبٌ وثعلبُ
ثلاثونَ كلباً غير جمعِ تَصَوَّبُوا
بل اسْتَسَلَّمُوا كالبُدنِ حينَ تُقَرَّبُوا
تَحَصَّنَ فيها أهلها وتجنَّبوا
فَدَارُوا حَوَالِيهَا ومنها تقربوا
وَكَرَّ عليهم كُلُّ لَيْثٍ مُدْرَبُ
لِشِدَّةِ مَا يَخْشَى على البعضِ يَرْكَبُ
ومُنَّ على بَعْضِ وجمعِ مُصَوَّبُ

١٠٥ - مُجَرَّبُ: بالضَّمِّ تجنَّباً لإعرابها مثل شهم فتكسر فيحصل من ذلك إقواء فهي .

١٠٧ - د: تشجب بدلاً من تسحب .

١٠٨ - س: ملؤه بدلاً من ملؤوها، وفي د: ملئوه وما أثبتناه هو رواية الشعر لموافقته للمعنى والوزن .

١١١ - سقط البيت من الشعر الملحمي .

١١٤ - س، د: مدرَّب وما أثبتناه هو رواية الشعر الملحمي .

- ١١٧ - فعادوا حَيَارَى لا يقر قرارهم
١١٨ - «وذلك فضل الله يُؤْتيه من يشاء»
١١٩ - ثلاثة آلاف من البدو غير من
١٢٠ - يفرون من خمسين من بعد عزمهم
١٢١ - فهذا وبال البغي والظلم والأذى
١٢٢ - وذاك بأنفاس الشريف وعزمه
١٢٣ - هو الملك المُزَيُّي في النَّاسِ حَكْمُهُ،
١٢٤ - يحوط رعاياه بِرِفْقٍ ورأفة
١٢٥ - حَمَى الحرمين الأعظمين بسيفه
١٢٦ - وعارضه في «طَيْبَةَ» كُلُّ ظَالِمٍ
١٢٧ - فما زادهم إلا نُفُوراً وجرأة
١٢٨ - فانهبوا الهَزَّاعَ بِرَدِّ جنوده
١٢٩ - وَيَقْدُمُهُمْ من «آل زيد» عِصَابَةٌ
١٣٠ - فَرَدَّهُمْ عن قَصْدِهِمْ بعد مَعْرَكٍ
١٣١ - وذلك من جَوْرِ الزمانِ وَقَهْرِهِ
١٣٢ - اتَّعدوا أسود من «لؤي» ابن غالب
١٣٣ - وَلَا عَجَبٌ فالحكم لله وَحْدَهُ
١٣٤ - ولا بدع أن يُسْتَدْرَجُوا ثم يُؤْخَذُوا
- وما منهم إلا كئيبٌ مُخَيَّبٌ
وما النَّصْرُ إلا مِنْهُ، وهو المقلبُ
حمائم من السودان، والكُلُّ محزبُ
عَلَى الفَتْحِ، والمقدور عَنْهُمْ يُحَجَّبُ
وَمَنْ حَارَبَ اللهَ العَظِيمَ سَيُغْلَبُ
وهَمَّتْهُ فهو المَهَابُ المحببُ
وَسِيرَتُهُ في العَدْلِ تُتَلَى وتُكْتَبُ
فما مثله في الرِّفْقِ أُمَّ وَلَا أَبُ
فَدَانَتْ لَهُ «أُمَّ القُرَى» وهي أَرْحَبُ
فَعَامَلَهُمْ بالحلم كي يَتَهَدَّبُوا
على الله، حَتَّى حَارَبُوا وتَصَلَّبُوا
وفيهم بَنُو الهَيْجَا «معد» و «يعرب»
وكلهم في حومة الحرب أَشْهَرُوا
تُحَطَّمُ فيه السُّمُرُ والبِيضُ تُخْضَرُوا
يحارُّ له لُبُّ اللَّيْبِ وبِعَجَبُ
في منعها كَلْبٌ من البدو أَجْرَبُ
وكم حِكْمَةٍ في الكَوْنِ عَنَّا تُعَيَّبُ
كأخذة «عادٍ» أو «ثمود» فيذهبوا

١١٧ - في الشعر الملحمي: وما منهمو.

١٣٥ - في د: فيصفو بدلاً من ليصفو.

١٣٦ - في د: واجلبو.

أبي النصر «مسعود» ليصفو مشرب
فقد حازبت «حرب» وصدوا واجلبوا
فما لم يذوقوا السيف لن يتأذبوا
ولكن ذيل الجهل والبغي يسحب
شواهم بنار الحكم حتى تعذبوا
دروا أن شوم البغي للقتل يوجب
خصوصاً علينا، فاستطالوا وانعبوا
ونحن ندي أن يقتلوا أو يصبوا
رمت بزناها اثنين وهي تكذبوا
بطاغوتهم، والجهل فيهم مركب
على ذلك القتل الحرام وعذبوا
ولا ملة فيها حيي وأخطروا
لجيران خير الخلق أن يتعربوا
مصائب منها الحر في الموت يرغب
بلىنا بحكام «الحرب» يقربوا
وذلك عن معلوكم ليس يعرب
يصدونه بغياً فلسنا نعيب
من الإثم والعدوان ما ليس يحسب
يجيء إلى هذه الجبال ويقرب
وأن تمهلوهم للخلافة يطلبوا

١٣٥ - فارجوا لهم قتلاً ذريعاً على يدي
١٣٦ - فيا ابن سعيد جد بنصر معجل
١٣٧ - وصرح «هزاع» بأبطال حكمكم
١٣٨ - وما حده حتى يعارض حكمكم
١٣٩ - وقد كان من خدامكم «أحمد الددا»
١٤٠ - ولكن برد الحلم جرائهم وما
١٤١ - ولما تمادى جلمكم زاد بغيتهم
١٤٢ - فإن قتلوا منا أطلت دماؤنا
١٤٣ - وأعظم من هذا قضية امرأة
١٤٤ - فصممت الأعراب أن يقتلوها
١٤٥ - ووافقهم حكامنا فتعاونوا
١٤٦ - فوالله لم يسمع بهذا بملة
١٤٧ - إلى غير هذا من مظالم أوجبت
١٤٨ - فإن لم يطيقوا حالقوهم، فيا لها
١٤٩ - وما ذاك عن جبن بنا غير أننا
١٥٠ - ويعطوهم أموالنا لقتالنا
١٥١ - إذا كان جيش منكم جاء مصلحاً
١٥٢ - وكم قبله صدوا الحجاج، وكم أتوا
١٥٣ - يقولون ما السلطان، لو كان قادراً
١٥٤ - فلم يبق إلا دعوة المملك فوقنا

- ١٥٥ - فَبَادِرُ (حَمَاكَ اللَّهُ) فِي قَتْلِ عَضْبَةٍ لَهْم فِي قَبِيحِ الْكُفْرِ دِينٌ وَمَذْهَبٌ
١٥٦ - فَمِثْلُكَ مَنْ يُدْعَى لِكُلِّ مَلِئَمَةٍ وَمِثْلِكَ مَنْ يُرْجَى إِذَا عَزَّ مَطْلَبُ
١٥٧ - وَسِرٌّ بِجُنُودِ النَّصْرِ قَاصِدٌ «طَبِيبَةٌ» فَيَلْقَاكَ بِالْإِقْبَالِ سَهْلٌ وَمَرْحَبٌ
١٥٨ - فَلَيْسَ لَهَا يَا ابْنَ الْكِرَامِ سِوَاكُمْ لِفَصْلِ قِضَاءِ بَيْنِنَا يُتْرَقُّ
١٥٩ - فَلَا زِلْتَ مَقْضُوداً لِكُلِّ عَظِيمَةٍ وَلَا زِلْتَ «مَسْعُوداً» وَفَالِكَ طَيِّبٌ
١٦٠ - عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ وَأَخْوَانُكَ السَّادَاتُ مَا انْهَلَّ صَيْبٌ

فلله درهماً من شاعرين أديبين، وفاضلين أريبين كاملين غير أن السيد السفيه نسبنا إلى ما ليس نحن فيه، وجعل دعوانا لنسبة «الأنصار» قاطبة، كاذبة، وتكلم على سيدي الجد بما لا يليق بقوله:

عصاة خُلِقَتْ لِلشَّرِّ وَالتَّزَمَتْ بَابَ الْوَلَاةِ بِظُلْمِ النَّاسِ تَفْتِيهَا

قلت: كان بين المرحوم السيد «جعفر البيتي» وبين المرحوم الشيخ «يوسف الأنصاري» مناظرات ومناقشات وهجا كل منهما صاحبه لكونهما متعاصرين. (عفا الله عنهما بمنه وكرمه)، لكن بعد أن قتل الشيخ «يوسف الأنصاري» وابنه «محمد أبو الفرج» وابن أخته «أحمد» في «القلعة السلطانية» سنة ١١٧٧، سبع وسبعين ومائة وألف، حزن السيد جعفر البيتي عليم حزناً عظيماً وجزع جزعاً شديداً وصبر إلى أن قدم إلى «المدينة المنورة» سنة ١١٨٢ اثنتين وثمانين^(١) ومائة وألف مع الحج الشامي «شاهين أحمد باشا» والي الشام فامتدحه السيد «جعفر البيتي» بقصيدة غراء^(٢) عدد أبياتها أربعة وخمسون بيتاً، ذكر فيها جميع ما وقع على

(١) اثنان وثمانون.

(٢) س: غراء.

«الأنصار» وكيف كان قتلهم وما جرى عليهم، وكان السيد المذكور هو
السبب في أخذ ثأرهم (رحمة الله عليه) مطلعها:

حَمَدْتُكَ أَلْسِنَةُ الْعُلَا يَا أَحْمَدُ وَعَدَّتْ لِسُوددِكَ^(١) الْبَرَايَا تَشْهَدُ
صَدْرُ الصُّدُورِ، وَزِيرُ سُلْطَانِ الْوَرَى «شاهين أحمد» أَنْتَ تَصْطَادُ^(٢) الْعَدُو
بَشْرَى لَجِيرَانَ النَّبِيِّ أَتَيْتَهُمْ مَوْلَى تَنْظِمِ أَمْرَهُمْ وَتَمَهَّدُ

ومنها:

وَسَأَلْتَ عَمَا قَدْ جَرَى فِيمَا مَضَى وَبَقِيَتْ تَسْتَفْتِي الْخَبِيرَ وَتَنْشُدُ
وَعَرَفْتَ مَنْ شَرَبُوا مُدَامَةَ بَغْيِهِمْ صِرْفَاً وَلَمَّا أَسْكَرْتَهُمْ عَرَبَدُوا
وَعَلِمْتَ كُلَّ خَفِيَّةٍ وَجَلِيَّةٍ حَتَّى بَنَى الْأَنْصَارَ كَيْفَ اسْتَشْهَدُوا

ومنها:

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ الرَّحِيمِ عَلَيْهِمْ وَعَدَّتْ عَلَيْهِمْ دِيْمَةً تَتَعَهَّدُ
صَبْرًا بَنِي «الأنصار» هَا أَعْدَاؤُكُمْ بَيْنَ اللَّيَالِي مُزُّفُوا وَتَبَدَّدُوا

ومنها:

يَا مَعْشَرَ «الأنصار» إِنِّي مَعَكُمْ حُزْنَاً وَنِيرَانِي لَكُمْ تَتَوَقَّدُ

(١) في كلتا النسختين: بسوددك، واخترنا رواية ديوان السيد البيتي نفسه.

(٢) في كلتا النسختين: تصاد ولا يستقيم بها الوزن فاخترنا رواية الديوان.

وقد أعرضت عن ذكر قتلهم وكيفية ما جرى عليهم رحمة الله تعالى عليهم فقلت إلى إن قال: ولما تولى «عبد الرحمن آغا الصغير» كان كاليهود على المؤمنين وكابن «أبي» في المنافقين، فسفر منهم من أراد تسفيره وعزز منهم من أراد تعزيره، وجلّى كثير من الناس ما بين ذنب وراس وكان من جملتهم أهل بيتنا، ولم يبق منهم إلا ما ندر، وصار يهدد أهل «القلعة ويؤذيهم، والله (سبحانه وتعالى) مطلع على أحوال الجميع (فتوجه سيدي «عبد الكريم» وأولاده إلى «مكة» المشرفة سوى ولديه «محمد سعيد» و «محمد أبي البركات» فإنهما أقاما في «المدينة»^(١) وأما سيدي «يوسف» فإنه توجه إلى «بدر» وامتدح أصحاب «بدر» بقصيدة فمن ذلك ما قاله حين خروجه من «المدينة» وتوجهه نحوها وهي قصيدة غراء:

- ١ - تصبّر فعمر النَّائبات قَصِيرُ ومثلي على سير الزمان يسيرُ
- ٢ - يَقِينِي يَقِينِي ما أَظُنُّ من الرّدى ويمنعني كيد العدى ويجيرُ
- ٣ - وَنَفْسِي إِنْ جاشتْ أقول لها: اصبري فليست بنفسي إن عراك ضجور
- ٤ - وَكُونِي على حكم القضا مطمئنَّة فليس سوى ما قد قضاهُ يَصِيرُ
- ٥ - وما مَحَنُ الأيامِ إلا سحابةٌ بإيَّانِ صَيْفِ ساعةٍ وتغورُ
- ٦ - فما تَغْلِبُنْ إلا ضعيفاً يَقِينُهُ وَيَغْلِبُهَا ثَبْتُ الفؤادِ صَبُورُ
- ٧ - وللدهر حالاتٌ كثيرٌ ورودها ودورٌ على مر الزَّمانِ يَدورُ
- ٨ - فيومٌ بلاءٍ وامتحانٍ وشدةٍ ويومٌ رخاءٍ فرحةٍ وسُرورُ

(١) ما بين القوسين سقط من س ثم أضيف في الهامش.

٢ - في س: وتحفة الدهر: العدا.

٤ - في س: يسير بدلاً من يصير، واخترنا رواية د وتحفة الدهر لملاءمتها لمعنى البيت.

٨ - في تحفة الدهر: صفوة بدلاً من فرحة.

- ٩ - كما حركات الرمل يعلوه سافلٌ
ويسفل عالٍ والهباء يطيرُ
١٠ - فداً طبع دُنْيَانَا التي عَدَرَتْ بنا
ولم نعتبر ما قَدَمَتْ فنحورُ
١١ - نرى نابها للضحك والقصدُ غُمَّةً
«وَجَدُّعٌ لِأَمْرٍ مَا الْأَنْيْفَ قَصِيرُ
١٢ - وللحرِّ فيها غصّة بعد غصّة
وإن نالَ حمداً أَبْغَضْتَهُ نظيرُ
١٣ - إذا نَصَبْتُ ذَا مَنْصِبٍ نَصَبْتُ لَهُ
رداً نَصَبٍ، والعزْلُ منه جديرُ
١٤ - وكم رَفَعَتْ نَدلاً وْحَطَّتْ مُهْدَباً
وكم كَدَّرَتْ صَفْوَاً عليه نذيرُ
١٥ - وشركت الاثنين في أمرٍ إمْرَةً
ولم يَسَعِ السيفين صَاحِ جفيرُ
١٦ - وخالفت الغطريفَ، والوغدَ واقَّتتْ
وجاءت على ما في المُراد تَسيْرُ
١٧ - فلا تَعُدُّلْنَهَا واعْدُرْنَهَا، فإِنَّهَا
لساكن رِيحٍ لاتزالُ تَغُورُ
١٨ - فَشِنْشِنَةٌ من أَخْزَمٍ قد عَرَفْتُهَا
وطبعاً فَإِنِّي لِلطَّبَاعِ غيورُ
١٩ - فمن يَعْرِفُهَا يَسْتَعِدَّنْ لِحَرْبِهَا
مِجَنًّا من الرُّأيِ السديدِ سَتورُ
٢٠ - ومن لم يَضْعُ حَزَكَاتِهَا نَصَبَ عَيْنِهِ
رَمْتُهُ بِأَمْرٍ مِنْتِهَا خَطِيرُ
٢١ - وَمَنْ لَمْ يُحَاذِرْ عَدْرَهَا أَشَمَّتَتْ بِهِ
عِداهُ، وإشْمَاتُ العَدُوِّ كبيرُ
٢٢ - وَمَنْ لَمْ يَفْكَرْ فِي العَوَاقِبِ دَائِماً
فذلك مَعْدومِ الحواسِ بَصِيرُ

١١ - في س، د ورد الشطر الثاني من البيت كالتالي :

وجد لأمر ما الأئين قصير . وهو خطأ والتصحيح من رواية تحفة الدهر .

١٢ - سقط البيت بتمامه من تحفة الدهر .

١٤ - في تحفة الدهر : ندلاً وهي عامية المدينة .

١٦ - د : جئت .

١٧ - في تحفة الدهر : ما تزال .

١٨ - سقط البيت من تحفة الدهر .

٢٠ - في تحفة الدهر : وثباتها بدلاً من حركاتها .

٢٢ - في كلتا النسختين : في الحوادث بدلاً من في العواقب واخترنا رواية تحفة .

- ٢٣ - ومن لم يَسُدْ بالعلم والحلم والتقى فسَابِحُهُ عند السَّبَاقِ أَخِيرُ
٢٤ - ومن لم يشاور في مهمات أمره ولم يستخر فيها فذاك غريبُ
٢٥ - وَمَا حَابَ من في الأمر أبدى استخارةً ولم يندمَنْ من في الأمور يشيرُ
٢٦ - ومن لم يكن عند الشدائد عُدَّةً لإخوانه، وَيَلُّ له وُثْبورُ
٢٧ - ومن يتخذ أنصاره غير قومِهِ فليس له في النَّائباتِ نَصِيرُ
٢٨ - ومن يتساهل في أخيه فَإِنَّهُ يصيرُ عليه ما عليه يصيرُ
٢٩ - ومن ينتصر بالضد لا بد ينخذلُ كمن رامَ حُسَاداً يكون ظهيرُ
٣٠ - ومن يعتمد فرداً سوى الله قائلاً ومن يعتقد حسباً سواه كَفُورُ
٣١ - ومن يَعْتَبِرُ حَمْداً لغوغاء وقته يعد حَمْدُهُم دَنْباً، وذلك زورُ
٣٢ - ومن عَتَّفَ الموجوعَ أَبْدَى شَمَاتَةً لها في حَشَاشَاتِ الفؤادِ سَعِيرُ
٣٣ - وَمَنْ عَاشَرَ الأندالَ عَرَضَ عِرْضَهُ لِعَارِضِ شَتْمٍ بالمَلَامِ مَطِيرُ
٣٤ - «ومن جَرَّبَ الأمرَ المَجْرَبَ نادِماً» كما الكُسَعِي ذِي القوس وهو شهيرُ
٣٥ - ومن يتحمل زَلَّةً فوق زَلَّةٍ من الألفِ عن حلم فذاك شَكُورُ
٣٦ - ومن يتجرَّع غصة الصبر ذَاقَ من حَلَاوةِ عيشِ أضمرته دُهُورُ

٢٣ - في كلتا النسختين: قصير بدلاً من أخير واخترنا رواية تحفة الدهر له لمعنى البيت.

٢٩ - سقط البيت من تحفة الدهر.

٣٠ - في كلتا النسختين: فأيل، وما أثبتناه هو رواية تحفة الدهر.

٣١ - سقط البيت من تحفة الدهر.

٣٢ - سقط البيت من تحفة الدهر.

٣٣ - سقط البيت من تحفة الدهر.

٣٤ - في تحفة الدهر: نادم.

٣٥ - في تحفة الدهر: عن حمل بدلاً عن حلم، وهو خطأ واضح.

- ٣٧ - وويل لمعروفٍ بمعروفِهِ سَمَا
فَصَارَ لَهُ كَفُّ الْأَنْتَامِ يُشِيرُ
٣٨ - يُعَادِيهِ مَنْ يَسْدِي إِلَيْهِ جَمَائِلًا
ويسلمه من كَانَ عَنْهُ يَجِيرُ
٣٩ - فإِيَّاكَ إِيَّاكَ الظُّهُورَ فَإِنَّهُ
كما قِيلَ كَسَرَ لِلظُّهُورِ ظُهُورُ
٤٠ - فكم ظَاهِرٍ مِمَّنْ رَأَيْتَاهُ قَدْ غَدَا
بِبَاطِنِ أَطْبَاقٍ عَلَيْهِ صُخُورُ
٤١ - وَصَارَ حَدِيثًا قَدْ مَضَى ذَاكَ وَانْقَضَى
وَأَصْبَحَ تَنْعَوْهُ رَبِّي وَقُصُورُ
٤٢ - كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونَ إِلَى الصَّفَا
أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ هُنَاكَ سَمِيرُ
٤٣ - وَمَنْ بَعْدَ هَذَا يَنْقُضِي كُلَّ مَا تَرَى
وتحدثُ من بعد الأُمُورِ أُمُورُ
٤٤ - فَطُوبَى لِمَنْ أَعْلَى عَنِ الْعَيْبِ نَفْسُهُ
فَصَارَ لَهَا هَامَ السَّمَاءِ سَرِيرُ
٤٥ - وَأَكْرَمَهَا عَنِ أَنْ تُرَابَ بَرِيْبَةِ
فَأَكْرِمَ أُنَى يَغْتَدِي وَيَسِيرُ
٤٦ - وَأَبْدَلَهَا دَارَ الْمَعَزَّةِ وَالثَنَا
وَدَارًا بِهَا لِلأَكْرَمِينَ ظُهُورُ
٤٧ - فَدَارٌ وَلَا دَارٌ كَبْدَرِ وَأَهْلِهَا
نُجُومٌ «البدر» صُبْحُهُنَّ مَنِيرُ
٤٨ - يَلْأُقُونَ بِالْبِشْرِ التَّزِيلَ كِرَامَةً
وَيُسْأَلُونَهُ مَرْبَاهُ وَهُوَ صَغِيرُ
٤٩ - فَأَعْلَاهُمُ السَّادَاتُ ثُمَّ ابْنِ وَائِلِ
وَأخْرَ فِي ذَا الْأَنْتَسَابِ حَشِيرُ
٥٠ - بِلَادُهَا انتَصَرَ النَّبِيُّ عَلَى الْعِدَى
فَصَارَ عَلَيْهَا مِنْ هُنَالِكَ نُورُ
٥١ - سَكُنْتُ بِهَا وَاخْتَرْتُهَا دُونَ غَيْرِهَا
فَكَانَ بِهَا لِلوَارِدِينَ صُدُورُ
٥٢ - وَأَثَارَ «طه» فِي حَمَاهَا وَتَرْبِهَا
وَمَنْ كَانَ فِيهَا غَيْرَ فَاقِدِ «طيبة»
٥٣ - وَمَنْ كَانَ فِيهَا غَيْرَ فَاقِدِ «طيبة»

٣٧ - سقط البيت بتمامه من تحفة الدهر.

٣٨ - سقط البيت بتمامه من تحفة الدهر.

٤٠ - في د: غدي .

٥٠ - في س: العدا .

٥٢ - ما أي ماء .

- ٥٤ - بها شُهَدَاءُ اللَّهِ أَنْصَارِ دِينِهِ هُمْ أَهْلُ «بَدْرٍ» كُلُّهُنَّ بُدُورٌ
- ٥٥ - فَسِرَ قَاصِدًا تَلِكِ الْمَآثِرِ زَائِرًا فَمَا خَابَ مَنْ تَلِكَ الْقُبُورِ يَزُورُ
- ٥٦ - فَإِنَّهُمْ الْأَحْيَاءُ عِنْدَ إِلَهِهِمْ وَسَلَّ عَنْهُمْ مَا شِئْتَ فَهُوَ يَسِيرٌ
- ٥٧ - هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْتَمِي نَزِيلَ حِمَاهُمْ وَحَاشَا نَزِيلَ لِلْكَرَامِ يَبُورُ
- ٥٨ - وَمَا ضَرَّنِي إِنْزَاحَ دَارِ أَلْفُتْهَا فَكُلَّ دِيَارٍ لِلْمُهَذَّبِ دُورُ
- ٥٩ - إِذَا وَجَدَ الْإِنْسَانَ مَا يَكْرَهُهُ إِذَا بَدَارُ، جَفَاهَا، وَالذَّيَارُ كَثِيرُ
- ٦٠ - خُرُوجِ الْفَتَى عَن دَارِهِ فِيهِ حِكْمَةٌ يَحِيطُ بِهَا مِنْ بِالْأُمُورِ خَبِيرُ
- ٦١ - فَلَوْلَا فِرَاقُ السَّهْمِ لِلْقَوْسِ لَمْ يُصَبِّ وَلَوْلَا انْصِلَاتُ السَّيْفِ لَيْسَ يُضِيرُ
- ٦٢ - وَلَا يُعْرِفُ الْمَكْنُونُ إِلَّا إِذَا بَدَا وَلَا الدُّرُّ مَا لَمْ تَقْدِفْنَهُ بِحُورُ
- ٦٣ - وَلَيْسَ عَلَى ضَيْمٍ يَقِيمُ أَخُو حِجِّي وَيَرْضَاهُ إِلَّا الْعَيْرُ وَهُوَ (..)
- ٦٤ - وَلِي أَسْوَةٌ بِالسَّالِفِينَ إِذْ عَلَا عَلَيَّ ذَنْبِي، وَاسْتَحَلَّ حَقِيرُ
- ٦٥ - وَإِنْ صَيَّنَ الْعَرِضَ اسْتَبِيحَ وَمِثْلُهُ فَإِنَّ إِلَهَ الْعَالَمِينَ غَيُورُ
- ٦٦ - وَإِنْ سَادَ نَذَلَ فَوْقَ نَدْبِ مَوْثَلٍ فَلَا بَدْعَ قَدْ يَعْلُو الزَّلَالَ قَشُورُ
- ٦٧ - فَمَنْ دَقَّ دُقًّا بِمَا يَدُقُّ وَمَنْ يَكُلُّ يُكَالُ لَهُ كَيْلًا عَلَيْهِ يَجُورُ
- ٦٨ - وَمَنْ كَظَمَ الْغَيْظَ اسْتَرَاحَ، وَمَنْ عَفَى وَأَصْلَحَ فِي الْعَقَبَى جَزَاهُ أَجُورُ
- ٦٩ - وَذَلِكَ تَوْفِيقٌ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَسَا يُوَفَّقُ لَهُ مِنْ شَاءَ وَهُوَ قَدِيرُ
- ٧٠ - وَإِنِّي لِأَرْجُو مِنَ اللَّهِ تَعْجِيلَ نَصْرَةٍ تَطِيرُ لَهَا فِي الْخَافِقِينَ نَسُورُ
- ٧١ - وَتَفْرِيجَ كَرْبٍ مَا حَسِبْتَ حَسَابَهُ وَتَيْسِيرَ أَمْرٍ إِذْ يُقَالُ عَسِيرُ
- ٧٢ - وَنَيْلَ مُنَى نَفْسٍ عَلَى الْفُورِ عَاجِلًا يَجِيءُ بِهِ فِي الْحَادِثِينَ بِشِيرُ

ومكثَ بها مدةً من السنين إلى أن تُوفِّي والده سيدي الجد «عبد الكريم سنة ١١٦٢، اثنتين وستين ومائة وألف ببلدِ الله الأمين.

وفيما بين سنة ١١٨٧ سبع وثمانين ومائة^(١) وألف إلى سنة ١١٩٤ أربع وتسعين ومائة^(٢) وألف وقعت في «المدينة» جملة فتن عظيمة المحن فيما بين أهل المدينة بعضهم البعض^(٣)، وفيما بينهم وبين الشريف «سرور» وبين جماعة «اليمن» الذين وضعهم في «القلعة»:

الفتنة الأولى : سنة ١١٨٧ سبع وثمانين ومائة وألف .

فتنة جماعة «الْقُمُومِجِي»: وهو أصلها، والقُمُومِجِي كان كتحدا نو بتجيان واسمه «محمد جلبي بن مصطفى بن محمد آغا» وهو أول من قدم «المدينة» من «الرُوم» في حدود سنة ١١١٠هـ عشر ومائة وألف ابن «جعفر بيك ابن مصطفى باشا» أحد وزراء السلطان «محمد خان» (رحمهم وإيانا الرحمن) وكانت ولادة الكتحدا المذكور سنة ١١٣٩^(٤)، تسع وثلاثين ومائة وألف وتُوفِّي سنة (..)^(٥).

وكان عُمرَ حتى قارب المائة^(٦) ورأى ولد ولد ولده. وكان كتحدا القلعة «أبو صالح محمد بن صالح» وكان أبوه من عُتَقَاء الحاج «إسماعيل أفندي الفلبلي الرومي» وكان جاوشاً في وجاق الانقشارية ولما أنزله

(١) س: مائة.

(٢) س: مائة.

(٣) في كلتا النسختين: فيما بين أهل المدينة في بعضهم بعضاً.

(٤) في كلتا النسختين سنة ١١٢٩، تسع وعشرين ومائة وألف، واعتمدنا رواية تحفة المحبين لأنه معاصر للمؤلف وصديق له.

(٥) في كلتا النسختين: بياض.

(٦) س: مائة.

«المدينة» «أحمد باشا» ولاه كتخدا «القلعة»، ثم صار قائمقام^(١) آغاتها بعد وفاة السيد «عثمان آغا» وتوفي في سنة ١١٨٨^(٢).

وكان كتخدا الانقشارية «محمد أمين ميكائيل» وشيخ الحرم «علي آغا» وسببه أنه اتفق^(٣) ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١١٨٧ سبع وثمانين ومائة وألف حصل^(٤) بعض سرق في «المدينة» فاتفق^(٥) النوبجتيية أن يعسّوا البلاد ليلاً ويجعلوا كل ليلة على جماعة منهم وكبيرهم جاوش من جواويشهم. ولما كان ليلة الجاوش^(٦) علي قللي خرجوا^(٧) يعسون على عاداتهم ومعهم «عمر الغسال» و«شرف قباني» وجماعة، وكان بينه وبين جاوش «القلعة» «سعيد شَقْلِبَهَة» بعض منافرة. ولما وصل الجاوش^(٨) «علي» إلى باب القلعة في عسّه وجد جماعة من أهل «القلعة» عند «باب الصغير» جلوساً إلى الجلوس عندهم للمحادثة وجلسوا إلى مقدار نصف الليل، فلما قام من عندهم متوجهاً إلى مكانه عارضه «سلطان عبد مديني سندي» غارقاً في الشراب ومعه جمع من الناس وكان مُعْرَى^(٩) من طرف «القلعة» أو من جماعته - والله أعلم - بقتله فوقعت بينهم وقعات

(١) قائمقام.

(٢) في كلتا النسختين سنة ١١٩٠، تسعين ومائة وألف واعتمدنا رواية تحفة المحبين لأنه معاصر للمؤلف.

(٣) س: اتفق أن

(٤) سقطت من س ثم أضيفت في الهامش.

(٥) في كلتا النسختين: فاتفقوا النوبجتيية:

(٦) د: جاوش.

(٧) في كلتا النسختين: خرج يعس على عاداتهم.

(٨) د: جاوش.

(٩) في كلتا النسختين: مغروا وهي صيغة غريبة والمتوقع مُعْرَى من الإغراء

هائلات^(١) أُصِيبَ^(٢) فيها جمع من الطائفين، وقُتِلَ سُلْطَانٌ وسلم القللي وتوجهوا إلى «حارة الأغوات» وأتموا ليلتهم. ولما أصبح الصبح اجتمعت النوبتجية في «الحارة» واستحكموا في ذلك فأمر شيخ الحرم علي آغا بأن يحبس «محمد سعيد بن مصطفى» (كتخدا سابقاً) (اوده باشا) وكان بيرقدار في وجاقهم ويحبس معه جماعته فحُبِسُوا^(٣)، وبعد مضي نحو أربعة أيام افترت النوبتجية^(٤) فرقتين منهم من قال: إنه ما يُحْبَسُ ويُخْرَجُ من حبسه، ومنهم من تشدد في حبسه. وسبب ذلك أن شيخ الحرم تشدد في عدم إطلاقه حتى يصل إليه جوابه من الشريف «أحمد بن سعيد» أمير «مكة» المشرفة فتكاثر الآبون لِحَبْسِهِ وأطلقوه رغماً عن شيخ الحرم وجماعته ولما خرج «محمد سعيد» تعصب هو ومن في حزبه في عزل الجاوش^(٥) علي قللي وقالوا لا بد^(٦) من عزله وإخراجه من الوجاق فأبى ذلك شيخ الحرم، فظل بينهم الحال واشتد الأمر، فرأى شيخ الحرم الإصلاح في عَزْلِهِ فَعَزَلَهُ وعزل الجاوش^(٧) «أحمد خليل» ونصّب عوضهما: «شرف قباني» عوضاً عن «القللي» و «أحمد تركي» عوضاً عن «أحمد خليل»، فقالوا: ما نريد هذين أيضاً، فقال شيخ الحرم والكتخدا «محمد قُمُجِي»: ما نحن على رأيكم وأهوائكم فخرجوا نافرين وتوجهوا إلى

(١) س: هايلات.

(٢) في كلتا النسختين: تصوّب وهي عامية سكان المدينة المنورة.

(٣) س: حبسوا، د: حبسوا وهو تصحيف.

(٤) في كلتا النسختين النوبتجية وهي عامية سكان المدينة المنورة.

(٥) د: الجاووش.

(٦) غير واضحة في د.

(٧) د: الجاووش.

القلعة مستنصرين بهم ومستنجد بهم وصاروا كل يوم مع جماعتهم في أمور عظيمة، وأحوال جسيمة، فأرسل شيخ الحرم إلى الشريف «أحمد» يعرفه بهذا الأمر، فأتى بيوردي من طرف الشريف «أحمد لعشرين بقين من رجب فاجتمع^(١) العساكر وحكام المدينة وجميع الأعيان في «ذِكَّةِ الأَرْبَعِينَ» كما هو العادة، وأتى كتخدا القلعة «محمد فلبلي بنحو أربعين مقاتلاً تحزم ظهره، وحضر من جملتهم الشريف «زين العابدين البركاتي» ولما استكملوا جلوسهم في «الدِّكَّة» قام «أحمد كتخدا» كاتب شيخ الحرم وقرأ الكتاب عليهم وهم يسمعون^(٢) فكان مضمونه: قد بلغنا ما فعل «بالقللي» وعزل الجواويز فمن بعد الآن لا أحد يتعرض لوجاق غيره، وكل منهما حكمه لكتخداه وآغاته وشيخه، وأرسلوا الجماعة الذين حصل منهم هذا الفساد. فأبى أهل «القلعة» أن يطيعوه في ذلك، وكانت تقع المقاتلة بين الفريقين ولما طال النزاع بينهم وكثر الجولان دَخَلَ بينهم الشريف «زين العابدين» بالصُّلح وقال لأهل «القلعة»: أَخْرِجُوا لَنَا كَشْفَ مَنْ لَا تَرِيدُوهُ مِنْ جَمَاعَتِكُمْ، وَكَانَ تَعْصَبُ عَلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ فَأَخْرَجُوا لَهُ اثْنِينَ وَثَلَاثِينَ كَشْفًا. وقال كذلك النوبتجية^(٣)، فقالوا: نخرج كشف الجماعة الذين عندهم في «القلعة» ففزع هؤلاء لهؤلاء^(٤) واستعرض كلُّ منهما مَنْ عِنْدَهُ ثُمَّ كَتَبُوا بَيْنَهُمْ حُجَّةً شَرَعِيَّةً بِأَنَّهُ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ وَجَاقٍ^(٥) إِلَى وَجَاقٍ وَاصْطَلَحُوا

(١) في كلتا النسختين: فاجتمعوا.

(٢) في كلتا النسختين: يسمعه.

(٣) د: وقال كذلك النوبتجية.

(٤) في س تكررت العبارة نفسها مرتين.

(٥) د: ظاهر وهو تصحيف.

ظاهرياً^(١) والأمور في البواطن إلى أن صار^(٢) بين الوجاقات شديد العداوات .

الفتنة الثانية :

فتنة بين وجاق القلعجية ووجاق النوبتجية، وأسبابها عظيمة وأحوالها جسيمة فمن جملة^(٣) ذلك ارتكابهم للمعاصي في السر والنجوى وعدم التقيد في الأمر بالمعروف والتقوى، ولم يزل الحال بينهم في طول وعرض إلى أن كاد يملأ ما بين السماء والأرض، ولما عظم الكرب، وكادت^(٤) أن تشن بينهم نار الحرب والظعن والضرب أشار بعض الناصحين على الكتخدا «محمد فلبلي» بأن يعرف أمير «مكة» المشرفة الشريف «سُرور بن مساعد» - وكان أول ولايته - ويشرفه على هذا الأمر قبل أن يطول بينهم الحال فأرسل إليه يعرض بذلك ويستطعف خاطره في إطفاء نار الفتنة فأرسل الشريف إلى شيخ الحرم والكتخدا «محمد قُمُْمُجِي» يطلب منهم مُشَبِّي^(٥) الفتنة الذين^(٦) هم من طرفهم «كالقللي» و«عيسى الجَزَار» ونحوهم، فرأى - أي «القُمُْمُجِي» - الأمر عظيماً وتمت عليه الحيلة، فما وسعه إلا أنه توجه بنفسه إلى الشيخ وشكى إليه حاله وتظلم عنده وقال له أَحْضِرْ خصومي^(٧) بين يدي فإن كنت ظالماً

(١) س : ظاهر وهو تصحيف .

(٢) في كلتا النسختين : صارت .

(٣) سقطت من س ثم أضيفت في الهامش .

(٤) في كلتا النسختين : وكاد أن يشب بينهم .

(٥) في كلتا النسختين : وكاد أن يشب بينهم .

(٦) س : الذينهم، وهو خطأ .

(٧) في كلتا النسختين : خصماني، وهي عامية أيضاً .

فَأَنْتَ^(١) أَوْلَى مِنِّي بِالْإِنصَافِ وَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا فَأَنْتَ خُذْ بِيَدِي وَكَانَتْ حِيلَةً مِنْهُ فَأَرْسَلَ الشَّرِيفَ «سُرُورَ» يَطْلُبُ «الْفَلْبَلِيَّ» لِلْمَحَاكِمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَعَايِنَ «الْفَلْبَلِيَّ» مِنْهُ الْمَكْرُوهَ حَسْبَمَا أَلْقَى عَلَيْهِ فَتَعَدَّرَ فِي الْحَضُورِ، فَتَيَقَّنَ الشَّرِيفُ بِأَنَّ الْحَقَّ مَعَ «الْقَمْمَقْمَجِيِّ»، وَكَانَ بِالْأَمْرِ الْمَقْدُورِ إِذْ جَاءَهُ^(٢) خَبْرٌ مِنْ قُتَيْلٍ مِنَ النُّوبْتَجِيَّةِ فِي مَدَّةِ جُلُوسِهِ، فَزَادَهُ إِيقَانًا. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَوَجَّهَ «الْقَمْمَقْمَجِيُّ» إِلَى الشَّرِيفِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ (تَسْعَةَ رَهْطٍ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصِلِحُونَ) سَاكِنِينَ فِي^(٣) «الْمَنَاخَةِ» وَكُلَّ لَيْلَةٍ يَنْزِلُونَ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ «بَابِ الْمَصْرِيِّ» وَهُمْ أَشَدُّ طَائِفَةَ النُّوبْتَجِيَّةِ، وَصَارَتْ تَصْدُرُ مِنْهُمْ فِي أَهْلِ «الْقَلْعَةِ» أُمُورٌ خُصُوصًا لَمَّا تَيَقَّنُوا مَعَاضِدَةَ الشَّرِيفِ لَهُمْ كَمَا تَصْدُرُ فِيهِمْ مِنْ أَوْلَائِكَ عِظَائِمِ شُرُورٍ وَلَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنْ بَعْضِ اللَّيَالِي تَحَزَّمَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ «الْقَلْعَةِ» وَأَضْمَرُوا لِأَوْلَائِكَ^(٤) الْمَكْرُوهَ، وَدَسَوْا عَلَى بَوَابِ «بَابِ الْمَصْرِيِّ» بِأَنَّهُ حِينَ دَخُولِ أَوْلَائِكَ الطَّائِفَةَ يَغْلِقُ خَلْفَهُمُ الْبَابَ، وَكَانَتْ تِلْكَ الطَّائِفَةُ تَجْتَمِعُ^(٥) عَصَاةً وَاحِدَةً عِنْدَ «دَكَّةِ شَيْخِ الْحَرَمِ» وَيَنْزِلُونَ كَمَا هُمْ. وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهُمْ سِوَى أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ: أَبْنَاءُ «الْقَنْدُقَجِيِّ» الْإِثْنَانِ وَ «الْبِقْسِمَاطِيِّ»، وَشُرَفُ الْقَبَانِيِّ، وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ «بَابِ الْمَصْرِيِّ» أَغْلَقَ الْبَابَ وَكَانَ أَهْلُ «الْقَلْعَةِ» رَتَبُوا لَهُمْ رَتَبًا وَكَمَنُوا لَهُمْ كَمْنًا فِي غَيْرِ مَحَلٍّ مِنْ «بَابِ الْمَصْرِيِّ» إِلَى «بَابِ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ: أَنْتَ .

(٢) س: إِنْ جَاءَهُ، د: جَاءَهُ وَهُوَ خَطَأً .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ: يَنْزِلُونَ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَهُوَ تَعْبِيرٌ مُتَدَاوِلٌ بَيْنَ سَكَانِ .

(٤) د: لِأَوْلَائِكَ .

(٥) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ: يَجْتَمِعُونَ وَهُوَ تَعْبِيرٌ عَامِيٌّ أَيْضًا .

السلام»، ولما توسطوا خرج عليهم الكمين ثم الكمين الآخر^(١) حتى أحاطوا بهم من كل جانب وحملوا عليهم معاتب إثر معاتب من كل الجوانب وعَسَّروا عليهم المداخل والمخارج إلى أن أبحفوههم بالضرر واستولوا عليهم بالطعن والسلب وضعف منهم الساعد وخانهم شيطانهم والمساعد فوق «البقسماطي» قتيلاً وتلاه أحد ابني «القندقجي» جديلاً ونجا أخوه أو ظن أنه نجا فسمع أنيئته واستنجاهه به وحينئذ، فرجع له منجداً فوق بين مخاليب العدى^(٢) ولم ينبج منهم سوى «شرف قباني» فإنهم لما أحاطوا به رماهم بجوز قريبين فأفرجوا له ودخل بنعله إلى «دكة الأربعين» ونادى بأعلا صوته: يا أهل «الحارة» يا أهل النجدة والغارة، قد دهمتكم الرجال وقتلوا من رجالكم الأبطال^(٣)، فلم يكن له مجيب سوى صدى^(٤) صوته والنحيب ورجع أولئك وهم ضاجون بالصياح فرحون بما استلبوه منهم^(٥) من العدة والسلاح وبما نالوه من أعدائهم في ذلك اليراح، وتشويه وجوههم الملاح، ولما أتى الصباح وأضاء^(٦) بنوره ولاح، اجتمع العساكر أجمع فيما بينهم مع أمرائهم وعظمائهم وتوجهوا إلى بيت شيخ الحرم وقالوا: إنك رأيت ما صار البارحة وإن «القُمَّمُجِي» الآن عند الشريف ولا يمكن أن يترك ثار من قُتِلَ، ونحن ما نسلم له بوجه من الوجوه، فالرأي أننا نحزم الأمر قبل مجيئه ونعقد العهود

(١) س: ثم الكمين والآخر ولعله تصحيف.

(٢) س: العدا.

(٣) د: الأقطار وهو تصحيف.

(٤) س: صدا.

(٥) سقطت من س ثم أضيفت في الهامش.

(٦) د: أتى.

والمواثيق فيما بيننا ونطلب منك أن تضع لنا كتحدا غيره حتى يتم لنا الأمر ولا يتم له. فقال لهم كذلك اختاروا من شئتم فاجتمع رأيهم على «أحمد مكّي» فنصبه لهم، وعقد فيما بين الوجاقات الأربعة والأغوات وعبيدهم وشيخ الحرم العقود والمواثيق والعهود على أنهم عَصَاة واحدة ولا يُمكنون^(١) القُمَّمُجِي من دخول «المدينة» إلا أن أهل «الحارة» قالوا لهم: احفظوا «باب الجمعة» ونحن ليس لنا به حفيظ فإن دهمنا من خارج فنحن على ما نحن عليه، وإن دخل علينا أحد فالتفرق إنما جاء منكم، ونحن لا نسلم من يستنجد بنا فتموا على هذا الأمر وخالفهم الدهر العنيد ويأبى الله في ملكه إلا ما يريد.

الفتنة الثالثة :

فتنة «القُمَّمُجِي» مع «أحمد مكّي» وأهل «القلعة» الانقشارية. ذلك أنه لما كان عند الشريف سرور بلغه ما صار على جماعته كما قدمناه، قام له الشريف عضداً ومساعداً ویداً، وأرسل معه «إبراهيم آغا» وزير بابهِ وجوقدار باش، والجاوش^(٢) «حسن كوافي»، و «حمزة ظافر» وأرسل لِبَدَوِي - شيخ حَرْب - بأن يعينه مع جماعات أُخر، فخرج قاصداً^(٣) المدينة ووصل إلى «حَرَّة النَّقَا»، يوم الأحد الواحد والعشرين من شهر شعبان، فأرسل له أهل المدينة يمنعون^(٤) من الدخول فيها، فنزل جماعته

(١) في كلتا النسختين: ولا يمكنوا.

(٢) في د: الجاوش.

(٣) سقطت في س ثم أضيفت في الهامش.

(٤) في كلتا النسختين: يمنعه.

«بالتَّقا» وتوجه هو إلى «العَوالي»، «وَقُبَاء»^(١)، والقرايا التي بأطراف المدينة يستنجدهم وأرغمهم بالدرهم وأشرفهم على أمر الشريف، فأجابوه وساعدوه وحابوه، ونزل السيد «حسن كوافي» إلى أهل «الحارة» خَفِيَّةً وأرغمهم بالأموال في أن يقوموا معه فساعدوه على الشقاق، ونكثوا ما صدر بينهم من العهود لغش بواطنهم بالنفاق، ومكث عندهم ثلاث ليالٍ إلى أن استوثق منهم الفعل ثم طلع إلى جماعته وكان في مدة جلوسهم في «النَّقَا» نزل جماعة منهم ورئيسهم «عيسى الجزَّار»، وهدموا سد «بطحان» السَّاد ما بين «بئر نَقْر»^(٢) و «المَرَاشِيَّة»^(٣) وحرَّفوا «باب دَرْب الجَنَائِز» ثم إنهم بعد إقامتهم في «حَرَّة النَّقَا» تسعة أيام جمعوا كيدهم في اليوم العاشر وأتوا صفا، وانجروا ليلة الاثنين التاسع والعشرين من شعبان على «باب الجُمعة» يداً واحدة زحفاً وكمنوا تحت جدار^(٤) «البَقِيع»، ولم يكن بالباب أحد من طرف القلعة. ولما جاء البواب فتحه وما كان بأسرع من طرفه حتى هجموا عليه، فولى هارباً ورجلاه تضرب بإيَّته فوجدوا أهل الحارة منتظرين^(٥) بطلهم والنقارة فقام الكل مسرعين وأتوا نحو المسجد النبوي قاصدين، (فصادفوا)^(٦) خروج شيخ الحرم من المسجد النبوي) ومعه الكتخدا «أحمد مكِّي»، فهجموا على الكتخدا وكان شجاعاً فقاتلهم ساعة ثم تكاثروا عليه فمرق من بين أيديهم مروق السهم من الرَّمِيَّة، ودخل إلى

(١) في كلتا النسختين قبا

(٢) في كلتا النسختين: بسر.

(٣) في س: المراقشية.

(٤) في كلتا النسختين: جدر.

(٥) في كلتا النسختين: منتظرينهم.

(٦) في د: فصادفوا شيخ الحرم خارجاً من المسجد النبوي.

بيت الآغا وأغلق عليه الباب ومكث محبوساً ثلاثة أشهر سويّة، ولما يئسوا منه دخلوا المسجد وأغلقوا أبوابه التي من غير جهتهم كباب الرحمة وباب السلام ومسكوا البيوت والحارات المتصلة^(١) بقرب المسجد النبوي من جميع الجهات، ثم علّوا على المنائر وأطلقوا رمي البنادق والناس في غفلة وهجموا على الأزقة والأسواق وربما وصلوا إلى «باب المصري والسّاحة» وفرح من فرح واغتم كل مؤمن وأظهر النّياحة، فلما شاع خبرهم وشلش صياحهم ورميهم فتح أهل «القلعة» قلعتهم وخرجوا ومقدّمهم كتحداهم «محمد فلبلي» وكان من الشجاعة وقوة الجنان بجانب عظيم وقسم جماعته قسمين قسم على «الحمّاطة» والآخر توجه على «السّاحة»، فما غير ساعة حتى طردهم^(٢) طرد الكلاب، وصاروا بين يديه كالغنم الهاربة من الذئب^(٣) إلى أن وصل قُرب «ديار العشرة» ووصل محلاتهم، وأخرجهم من متارسهم، واستمر الحرب بينهم ثلاثة أشهر كاملة^(٤) وصار المسجد النبوي بيت الفسوق بعد أن كان بيت العبادة، إلى أن وصل الحاج الشامي، وكان واليه «محمد باشا بن العظم» ولما وصل إلى^(٥) «الجرف» طلع إليه الكتحدا «محمد قُمُمجي» بجماعته وطلع إليه الكتحدا «أحمد مكي» بجماعته، فرأى أن الأمر صعب إن بقي أحدهما في المنصب أو تركهما على حالهما، وكان مفوضاً من طرف الدولة العليّة ورأى ميل

(١) في: المتصل وهو تصحيف.

(٢) في س: طردوهم وهو تصحيف.

(٣) س: الذياب.

(٤) في كلتا النسختين: كوامل.

(٥) سقطت من س ثم أضيفت في الهامش.

الشريف «سرور» إلى الكتخدا «محمد» فنصبه وأخذ الكتخدا «أحمد» معه إلى «مكة» وسلمه الشريف وأطفأ^(١) نار الفتنة فجلست «المدينة» مطمئنة^(٢) سنة كاملة غير أن جماعة «الْقُمُومِجِي» صاروا يتعرضون لجماعة المكي ويتهددونهم^(٣) ويسخرون^(٤) بهم ويضحكون^(٥) عليهم، وأنشد في ذلك الأفندي «عُبَيْدُ كدك»^(٦) قصيدةً حذا فيها حذو السيد «جعفر» في قصيدته التي عملها في فتنة «كأبوس»، وقد قدمناها، وزناً وقافية، ولكن ما أبعد مرماه فأين من ثريا ذاك ثراه، ومطلعها^(٧).

وهاً على «طيبة» ماذا جرى^(٨) فيها من الفساد الذي قد حل ناديها
وهاً على بلدة المختار من مُضِرٍ قد سامها بفسادِ الرأي شانيها
وهاً لمسجدها السامي «وروضته» أبوابه عُلقَت لما عدا^(٩) فيها

ومنها:

ها قد غدت لولاية^(١٠) البغي مزجرةً صبح العروبة لا عاشت كواخيها
قتلاً وعزلاً كذا صلباً لأربعةٍ بغياً ولم يختشوا ممن ثوى فيها

(١) في كلتا النسختين: أطفىء.

(٢) سقطت من س ثم أضيفت في الهامش.

(٣) في س: يتهددوهم، وفي د: يتهدودهم وهو خطأ.

(٤) في كلتا النسختين: يسخروا وهو خطأ.

(٥) في كلتا النسختين: يضحكوا وهو خطأ.

(٦) في كلتا النسختين: كدك وهو تصحيف والتصحيح من تحفة الدهر.

(٧) في س: مطلعها.

(٨) في كلتا النسختين «ما جرى» وأضفنا «ماذا» لأن الوزن يتطلبها.

(٩) في د: عدى.

(١٠) في كلتا النسختين: أولة والصحيح لولاية.

عدد آياتها مائة واثنان وخمسون بيتاً، وقد تكلم فيها بالكلام الخارج غير^(١) المناسب للمقام، مع ما فيها من ركاكة المعنى واختلال النظام، وكان في بدء أمره خطيباً وإماماً^(٢)، ثم صار من أعوان أولئك اللئام فسلط على ذمه وهجوه وشتمه في غير قصيدة. وقد استحسنت منها قصيدة سيدي الوالد لكونها أنسب في الشتم من قصائد^(٣) المرحوم الفاضل الجامي، ولكونها نصيحة^(٤) له لو كان يسمع، ولكن (رحم الله) القائل^(٥):

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
ويرحم الله من قال وهو شاهد الحال، فيمن عكس الموضوع وأذل المرفوع.

يستوجب الصَّفْع في الدنيا ثمانيةً لا لومَ في واحدٍ منهم إذا صُفِّعا
المستخفُّ بسُلطانٍ له خَطَرٌ وداخلُ الدارِ تطفيلاً بغيرِ دُعا
ومُنْفَذُ أمره في غيرِ مَنْزِلِهِ وجالسٌ مجلساً عن قَدْرِهِ ازْتَفَعَا
ومُتَحِفٌ بحديثٍ غَيْرِ سامِعِهِ وداخلٌ في حديثِ اثْنَيْنِ مُنْدَفَعَا
وطالبُ الفضلِ مَمَّنْ لا خَلَقَ لَهُ ومُبْتَغِي الوُدِّ من أعدائه طمعا

(١) في كلتا النسختين: الغير.

(٢) في كلتا النسختين: خطيب وإمام وهو خطأ نحوي.

(٣) س: قصايد.

(٤) في كلتا النسختين: إذ بدلاً من لو وهو خطأ، والتصحيح من ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي لأن البيت من شعره (انظر الجزء الإنكليزي).

(٥) س: القايل.

وقال الآخر^(١):

وَدِينُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنٌ إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحِيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى
فَكُلُّكَ سَوَاءٌ، وَلِلنَّاسِ أَلْسُنٌ فَلَا يَنْطِقُنْ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوَاءٍ
فَدَعُهَا، وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنٌ وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَائِبًا
وَدَافِعٌ وَلَكِنْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ، وَسَامِحٌ مَنِ اعْتَدَى

وهذه القصيدة المذكورة:

(١) عبید لِمَ تشتري دنيَاكَ بالدينِ
(٢) وَلِمَ تعرَّضْتَ أمرًا لا تكونُ له
(٣) فالشَّعْرُ لستَ له أهلاً لِتَرْوِيَهُ
(٤) شهدتَ بالزورِ، لادَّرْتَ يداكَ غِنَى
(٥) قد كنتَ في نعمةٍ يرجو يكونُ بها
(٦) إمامَ في حضرةِ المُختارِ، تَقْرَأُ ما

وبعتَ ما لَمْ يبعَ بالدُرِّ بالدونِ
أهلاً، وَلِمَ لا تَصُونُ النفسَ عن هُونِ
رَكِبْتَ جهلاً جواداً غيرَ مَعْنُونِ
مَنْ ذاكَ أغراك؟ قُلْ بعضُ المَلاعِينِ
ملوكَ مَغْرِبِهَا والشرقِ والصينِ
أتَى الأَمِينُ بِهِ من قافٍ أو نُونِ

(١) وردت هذه الأبيات في كلا النسختين كالتالي:

وَحِظُّكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنٌ إِذَا رَمْتَ أَنْ تَحِيَا وَدِينُكَ سَالِمٌ
فَعِنْدَكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنٌ لِسَانُكَ لَا تَذُكُرُ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ
بِقَوْمِ قُفْلٍ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنٌ وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَسَاوِيًا
وَفَارِقٌ وَلَكِنْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِحٌ مَنِ اعْتَدَى

وقد اعتمدنا ما ورد في ديوان الإمام الشافعي لأنها من شعره. (انظر الجزء الإنكليزي).

٢ - د: يكون بدلاً من تكون وهو تصحيف ووردت قافية البيت في كلتا النسختين: دون، وقد اخترنا ما ورد في الحاشية كرواية أخرى.

٤ - س: غنا بدلاً من غنى.

٥ - في كلتا النسختين: يرجوا وهو تصحيف.

٦ - إمام بدون تنوين ليستقيم الوزن وحقها أن تكون إماماً على أنها خبر ثانٍ في البيت السابق أو خبر على تقدير «كنت».

- (٧) وَجِئْتَ فِي صَفِّ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ
(٨) فَذَلِكَ مِنْ شَفْوَةِ حَلَّتْ عَلَيْكَ فَلَا
(٩) أَشْيَا مَسْطُورَةً، قِدَمًا مَقْدَرَةً
(١٠) لَمْ تَرْضَ عِزًّا وَلَا عِلْمًا وَلَا عَمَلًا
(١١) حَتَّى تَبَدَّلْتَ بَعْدَ الْعِزِّ مَنْقَصَةً
(١٢) وَصِرْتَ مُلْتَطِئًا مِثْلَ الْكِلَابِ عَلَى
(١٣) مِنْ ذَا الزَّقَاقِ إِلَى ذَاكَ الزَّقَاقِ إِلَى
(١٤) نَعَمْ تَرَكْتَ الْعُلَا إِذْ لَسْتَ مَاهِلَهُ
(١٥) هَذَا وَتَزَعُمُ أَنْ قَدْ نِلْتَ مَرْتَبَةً
(١٦) مَنْ أَنْتَ مَا الْأَبُّ مَا الْأَصْلُ الذَّمِيمُ، أَمِنْ
(١٧) حَتَّى تَعَرَّضْتَ هَجَوًّا فِي عَطَارِفَةِ
(١٨) أَمَا «ابْنُ مَكِّي» فَجَهْلٌ مِنْكَ تَنْسِبُهُ
(١٩) فَهَاكَ أَوْصَافُهُ إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُهَا
(٢٠) جِبَارٌ لَكِنَّهُ فِي مِثْلِكُمْ أَبَدًا
(٢١) أَمِينٌ مَأْمُونَةٌ عُقْبَاهُ، لَيْسَ كَمَنْ
(٢٢) اللَّهُ يَحْفَظُهُ اللَّهُ يُرْشِدُهُ
- وَعِغْتِ صَفًّا لِأَمْلَاكِ الْأَسَاطِينِ
تَجَزَعُ، وَسَوْفَ تَرَى أَشْنَى مِنَ الشَّيْنِ
عَلَيْكَ، فَاسْتَوْفَهَا اسْتِيفَاءَ ذِي دِينِ
وَلَا انْتِسَابًا لِمَنْ أَرْجُوهُ يَهْدِينِي
لَا شَكَّ أَنَّكَ زَرْبُونَ بِنُ زَرْبُونَ
أَبْوَابِ أَهْلِ الشَّقَا أَوْ كَالشَّيَاطِينِ
أَبْوَابِ أَهْلِ الشَّقَا أَوْ كَالشَّيَاطِينِ
وَاحْتَرَّتْ أَنْ صِرْتَ مِنْ حِزْبِ الْكَوَانِينِ
تَعَلُّو عَلَى تِلْكَ، ذَا عَقْلِ الْمَجَانِينِ
مُلُوكِ سَاسَانَ، أَمْ نَسْلِ الْفِرَاعِينِ
لَوْ كُنْتَ تَمْدَحُهُمْ مَا كَانَ يُرْضِينِي
لِلْهِنْدِ، ذَا غَرَضِ أَمْ قِلَّةِ الدِّينِ
مَجْمُوعَةً، نُسِجْتَ فِي طِي شَطْرَيْنِ
شَفُوقُ، لَكِنَّهُ فِي كُلِّ مَسْكِينِ
أَضْبَحْتَ مَأْسُورَهُ عِنْدَ الدَّوَاوِينِ
اللَّهُ يُنْقِذُهُ مِنْ شَرِّ ذِي مِينِ

٨ - في د: وردت قافية البيت: أشين وهو خطأ.

٩ - حذف همزة أشياء تخفيفاً ليستقيم الوزن.

١١ - س: ابن بدلاً من بن.

١٢ - د: كالشياطين وهو تصحيف.

١٦ - س: ما لأب، ما لأصل وهو تصحيف.

١٧ - د: يرضيني.

- (٢٣) آمينُ لا بَرَحَتْ رجلاه واطِنَّةً
(٢٤) «محمد الفلبلي» عونُ الضعيفِ وبَلْ
(٢٥) شجاعُ ما مثلهُ إن نابَ نائبةً
(٢٦) كمَ قد أَعَدَّ لِمَنْ يَرْجُوهُ مَكْرَمَةٌ
(٢٧) فكلُّهم ليسَ من عَيْبِ بهم أبداً
(٢٨) يا رَبِّ سَخَّرْ لهم سلطانَ دولتنا
(٢٩) تأتي بُنصرتهم مع كل بُغْيَتِهِمْ
(٣٠) لم تُصدِّقوا أبداً، لا تعرفون هدىً
(٣١) بقولِ قائلكم: نَحْشَى أَخِيَّ عَلَيَّ
(٣٢) صدقت نحن الألى صحت خيانتنا
(٣٣) خيانةُ يا لها دهماءِ مظلمةً
(٣٤) لكنْ وجوهُهُمْ مثلُ القروِدِ، فلا
(٣٥) أنكرتم قول جَامِي فويلكم
(٣٦) إذ قال للقتلِ أَعَدْتُمْ مساجِدَكُمْ
(٣٧) صغيرة منهم كفر بلا شبه
(٣٨) بلاطَةٌ أن تَكُنْ في الماءِ تُجْمِدُهُ
(٣٩) هذا وُدُّمُ يا عَبِيدُ مع رفاقك في
(٤٠) كذا رَئِيسُكُمْ أَبِيُّ مَنْ عَقَدَتْ
(٤١) ومن يلوذُ به ومن يعودُ به
- على رقابِ العدا حيناً إلى حينِ
عَوْتُ اللهيفِ، وبِل كهفِ المساكينِ
تُخَوِّرُ إن تَلَقَّه شُمَّ العَرانينِ
وَكَمْ لأَعْدائِهِ مَنْ سَيْفِ مُسْتُونِ
إِلَّا مَحَبَّةُ أهلِ العلمِ والدينِ
«عبد الحميد» سريعاً بالفَرامينِ
لِتُصبحوا فرقاً ملاً الصَّيارينِ
توبوا قُبَيْلَ عَدِي يا آلَ قارونِ
أموالِ حُجْرَتِنَا من ذي المِلاعِينِ
بنهبِ شَمَامَةٍ أم أنْتُمْ؟ افتوني
سوادها زادها فوق السَّوادينِ
تَصْفَرُّ من ريبَةٍ لو كانَ في الدينِ
هل تَخْتفي الشمسُ حينَ الظهرِ عن عينِ
نعم، وللخمرِ أيضاً والغَلايينِ
وكفركم أنتم أدنى من الدونِ
اللَّهُ يلعنُكم لَعَنَ السَّراحينِ
ذُلُّ وهونِ لِيَوْمِ الحَشْرِ والدينِ
لَهُ ولايتَه قَوْمُ السَّوادينِ
ومن يميلُ له لو طرفَةَ العينِ

٢٤ - د: غوث الضعيف وهي قِراءةُ أُخْرَى صَحِيحَةٌ.

٣٢ - في كلتا النسختين: الذي، وأثبتنا «الألى» حتى يستقيم الوزن.

وللفاضل المناضل الشيخ أحمد الجامي جَمُّ قصائد هجا بها كُلٌّ من
في الحارة وخصوصاً - الأفندي - عُبيد وفيها من الشتم واللعن والذم ما لا
يليق ردّاً عليه من وِزْنِ قصيدته وقَافِيَتِها.

- (١) من في الأفندي بدت يا صاح معدته وأرعدت ثم سحت بالذي فيها
- (٢) وخضبت سرعة بالورس شاربه وطرطشت ذقنه، انظر حواشيها
- (٣) أما ترى صفرة في العارضين إذا ما لاح فيها بريق الماء يغشيها
- (٤) فالذقن قد زانها بل شأنها قدر فعن قريب ترى نثفاً يوافيها
- (٥) دندنت يا طبل قبل القرع واعجبا حركت ذيلك للفحشا ثروياً
- (٦) أدخلت نفسك يا متعوس في شبك كيف الخروج إذا ما شئت تُنجيها
- (٧) بالغت في سب أقوام سموا وزكوا حاشاهم من قبيح فُهتته فيها
- (٨) أعراضهم طهرت من قذف ذي قدر لا يستطيع غبار الذم يأتيها
- (٩) جاريت يا فازدهم الخيل في سبق أبوال إبل الفلا في العكس تحكيها
- (١٠) قد كنت في سالف الأزمان تخطبهم كذاك توعظهم تبكي بواكيها
- (١١) والآن تهجوهم هجواً وتشعرهم وأنت لا تعرف الآداب تحكيها
- (١٢) كم كذبة، كم زخارف، حاز نظمك يا قير اليهود، وكم أشيا تزكيها
- (١٣) قطعت للبعض بالنيران في سقر كذلك البعض جنات تؤدّيها

٦ - سقطت شبك من د ثم أضيفت في الهامش.

٧ - د: حاشاهموا.

١١ - في كلتا النسختين: تنجهم وهو تصحيف: وفي س: الأدب بدلاً من الآداب وتحويها بدلاً من تحكيها.

١٢ - زخارف: بسكون الفاء للوزن وكذلك خفت أشياء فحذفت الهمزة.

١٣ - كذا لك برسم الألف وهو تصحيف.

- ١٤) يا هل ترى رازبوتي أنت، أم قَدري أم رافِضي قمت للآداب تحكيها
١٥) كلا بل أصلك أَلْمُضْكَو كذا نقلوا عنك الثقات، ولا يغباك خافيتها
١٦) أبديت قافيةً حُنْثَى ومشكلة لا وزنَ فيها ولا رَبْطاً يُقَوِّيها
١٧) قد كان جَهْلُكَ مدفوناً عليه غَطّاً فَتَقْصُكَ الآنَ أبدنُهُ قَوَافِيها
١٨) كَشَفْتَ عورتَكَ البَرِصَاءَ يا زُحَلِي فاستُرْ عَوَارِكِ، وَاريها، وَعَظِيها
١٩) هذا لجامٌ لبغلٍ قام يرفُزنا كذاك بَرْدَعَةٌ خِيَطَتْ عَراوِبها
٢٠) بلبسها طولَ دهرٍ في الوري أبدأ ما سألَ في بَلَدَةِ المِخْتارِ وَاديها

وكان (أعني^(أ) الأمر) نَصَبَ القُمَّمُجِي وَعَزَلَ المَكِّي . وتَسْفِيرِهِ على عدم رضا^(ب) كل مؤمن من أهل المدينة وغيرهم . ولما رأى شيخ الحرم ما صار كتب عريضة^(ج) عظيمةً وَحَطَّ على القُمَّمُجِي غايةَ الحظِّ بما هو فيه، وذلك باطِّلاع من جميع أعيانِ المدينة، وأعطاه^(د) للأفندي: تاج الدين إلياس مُقْتَبِي المدينة، وكان بينه وبين الشريف عداوةً عظيمة، فتوجه صحبةً الحاج الشَّامي ورجع من آخر عامه ومعه الأوامرُ السلطانية بعزْل القُمَّمُجِي وتَسْفِيرِهِ، وتنصيب^(هـ) أحمد مكِّي، وتمت الأمور وذهب أهلُ

١٤ - رافضي بدون تنوين للوزن .

١٥ - كذي بدلاً من كذا وهو تصحيف .

١٨ - س: البرصاً، وفي د: الرصاء وهو تصحيف .

١٩ - د: يرفضنا بدلاً من يرفزنا .

أ - س: وكان الأمر أعنى، وفي د: وكان أعنى .

ب - س: رضا .

ج - في كلتا النسختين: عرضاً ولعلها عريضة وهي الكلمة التي ما زالت تستعمل لأداء المعنى المقصود بين سكان المدينة المنورة إلى الوقت الحاضر .

د - في كلتا النسختين: أعطاه .

هـ - في كلتا النسختين: نصّب .

الشُّرور إلى أن جددها، كما يأتي، الشَّريف سُرور.

الفتنة الرابعة: سنة ١١٨٩، تسع وثمانين ومائة وألف فتنة الدوس: سميت بذلك لكثرة ما وقع فيها من الدوس والمهالك، وذلك أنه لما تم «لِلْقَمُومِجِي» مراده، وصار بيده حل الأمور واستبداده صارت جماعة المكِّي بينهم ضحكة ومسخرة مستضحكة، بل ربما [إنه]^(١) جرى لعقلهم الفاسد، ورأيهم الخاسر الكاسد أن الباشا إنما فعل ذلك خوفاً منهم وقد تواترت كثير من الخرافات عنهم، حتى إنهم صاروا مثلاً يضرب بهم، فيقال: فلان عقله مثل عقل العبيد، ومن أعجب أمرهم، وليس بعجب في حقهم، إنَّ بقرة دخل رأسها في زير فَحَشِرَ رأسها في ذلك الجفير فأشار عليهم كبير من كبرائهم، وعظيم من عظمائهم، هو فرد لهم عند المشورة ومعدّ لهم عند الشورى^(٢)، بقطع رأس البقرة فلم يخرج فقال: اكسروا الزَّير بحجر، ثم علا صياحه، وبدا نياحه فسئل عن السبب، فقال: من يدبركم إذا استولى عَلَيَّ العطب؟ وهكذا فقس على ذلك، وهذا من أدنى أحوالهم. وحبس «أحمد مكِّي» عند الشَّريف مدة ثم أذن له المجيء إلى المدينة على شرط أن يلزم بها أدبه، ويلزم بيته ومتعبده، ويترك عنه القال والقال ويمشي على أوضح سبيل وأن يكون في المدينة طلقه، يعني حكمه لمن أطلعه فجاء إلى المدينة وأوفى بما التزم، وأصم أذنيه بما يطرق سمعه من اللعن والشتم، كل ذلك مراعاة لخاطر الشريف، ولم يزل الحال بينهم في زيادة إلى أن^(٣) بدت مبادي الفتن

(١) في كلتا النسختين: إنهم.

(٢) في كلتا النسختين: الشورة.

(٣) سقطت من د.

وظهر بعض الشرر ليلة سبع عشرة من صفر سنة ١١٨٩، تسع وثمانين ومائة وألف، فَصَارَ كُلُّ مَنْ الْآخِرِ عَلَى حَذَرٍ، وَاسْتَطَالَ بَيْنَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ فَتُوجِّهُ^(١) النَّاسَ لِمُصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَلَمَّا صَارُوا فِي [الْمَسْجِدِ]^(٢) جُمُوعًا مُجْتَمِعَةً، طَلَعَ الْخَطِيبُ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ الْأَفَنْدِيُّ «مُحَمَّدَ بَالِي»، وَهِيَ أَوَّلُ مَبَاشَرَتِهِ ثُمَّ لَمَّا أتمَّ الْخُطْبَةَ وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ بِأَوْفَرِ الْهَيْآتِ^(٣) فَهَمَّ بَيْنَ الْقِيَامِ لِلْمَلِكِ الْمَعْبُودِ فِي حَالَةِ السُّجُودِ وَإِذَا «بُسْنَارِي» عَلَيْهِ الْجَنُونَ طَارِيءٌ، صَاحَ فِي الْمَسْجِدِ صِيحَةً عَظِيمَةً مَلَأَتْ قُلُوبَ النَّاسِ رَعْبًا فَظَنَّ كُلُّ مَنْ جَمَاعَةَ الْقَمْقَمِجِيِّ وَالْمَكِّيِّ أَنَّ الْآخِرَ هَجَمَ عَلَى حَذَرٍ، فَتَشَوَّشَتْ صَفُوفُهُمْ، وَاخْتَلَفَتْ قُلُوبُهُمْ، فَعَمِدَ عَزِيبُ قُبَيْطِي وَكَانَ مِنْ جَمَاعَةِ «الْقَمْقَمِجِيِّ» إِلَى طَبَنجَةِ وَثُورِهَا وَسَطَ الْمَسْجِدِ فَتَيَقَّنَ كُلُّ مَنْهُمْ أَنَّ الْأَمْرَ حَقِيقٌ، وَعَمَدَتْ الْأَغْوَاتُ إِلَى «دَكَّتِهِمْ» وَأَخْرَجُوا مِنْهَا السَّلَاحَ لِأَنَّ هَذِهِ عَادَتُهُمْ، فَصَارَتْ مَأْوَى^(٤) لِلْفُجُورِ بَعْدَ أَنْ أُسِّسَ بِنْيَانُهَا عَلَى التَّقْوَى وَالصَّلَاحِ وَعَمَدُوا إِلَى «بَابِ السَّلَامِ» وَأَغْلَقُوهُ وَأَرَادُوا غَلْقَ «بَابِ الرَّحْمَةِ» فَمَا اسْتَطَاعُوا غَلْقَهُ لِكثْرَةِ^(٥) الزَّحَامِ لِأَنَّ النَّاسَ وَبِالْخُصُوصِ «الْمَكِّيِّ» وَجَمَاعَتَهُ وَمَنْ^(٦) هُوَ قَائِمٌ^(٧) لَهُمْ بِالْإِنْتِصَارِ كَأَهْلِ الْقَلْعَةِ وَالْإِنْقِشَارِيَّةِ وَالْأَسْبَاهِيَّةِ حَصَلَ لَهُمْ ضَيْقٌ عَظِيمٌ وَصَارُوا كَالْفَارِ فِي الْغَارِ وَوَقَعَ بِكثْرَةِ الزَّحْمَةِ دُوسٌ عَظِيمٌ

(١) في س: فتوجهوا.

(٢) في كلتا النسختين: فيه واخترنا كلمة [المسجد] لا يوضحها المعنى المقصود من الضمير.

(٣) في د: الهيئات.

(٤) في س: مأوا.

(٥) في س: لكثرت.

(٦) سقطت من س ثم أضيفت في الهامش.

(٧) في س: قايم.

«باب الرَّحمة» وامتلاً الطول والعرض حتى صارت العتبة العليا منه أرض، ومات في ذلك المجال نحو ثلاثين من الرجال، ولما رأى أولئك ما دهمهم من هذا الأمر العظيم عمدوا إلى «باب السَّلام» وكسروا مغلقة بالحسام، ثم فتحوه وخرجوا بعد أن حلّوا في ربيعة النكال وولجوا وحصل بذلك فرح عظيم على الناس، وزال عنهم ما دهمهم من اليأس^(١) ثم جاؤوا أفواجاً إثر أفواج ومسكوا المحكمة السلطانية والمدرسة الكائنة برباط السلطان المُطَلَّتَيْنِ على المسجد الشريف، بعد أن علا أهلُ الحارة ومن كان على شقاقهم المنائر والمسجد، وصاروا يترامى هؤلاء من نفس المسجد وأولئك على المسجد وقُتِلَ رأسُ الفتنة على ما يُقال الجاوش^(٢) علي قللي وغيره. وطال بينهم الحرب واستمر الطَّعْنُ والضَّرْبُ، واشتد الحال وتزايدت^(٣) أفعال أهل الضلال، أنشد الشيخ أحمد الجامي^(٤) مُرتجلاً في الحال بلسان المقال متوسلاً وشاكياً ذلك للنبي ﷺ^(٥) وعلى صحبه والآل^(٦).

(١) الامَ رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَدُّ ذَا الْخَطْبُ وَحَتَامَ هَذَا الْحَالِ وَالطَّعْنُ وَالضَّرْبُ
(٢) وَكَمْ هَتَكُوا رَبْعَ الْأَمَانِ «بَطِيْبَةً» يَهْدَدُّ فِيهَا مَنْ لَا يُهْدِدُهُ الرُّعْبُ
(٣) وَمَا بَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالشَّرْفِ الْأُولَى لَهُمْ دَرَجَاتٌ فَوْقَ غَيْرِهِمْ تَرْبُو

(١) في كلتا النسختين الياس بدون همزة.

(٢) في د: الجاوش.

(٣) في كلتا النسختين: تزايد.

(٤) في د: الحامي وهو تصحيف.

(٥) سقطت من س.

(٦) في د بزيادة: أفضل وأتم سلام.

٢ - ورد الشطر الثاني من هذا البيت في د كالتالي:

يهد فيها من لا يردده الرعب وهو تصحيف.

- ٤) بها لم يقم وزن لهم، وخيائهم
٥) وكيف بمرأى منك يا سيد الورى
٦) ويصدر فيها ما يمجح سماعه
٧) كنائس من لم يعبد الله وحده
٨) فما لأناس مسلمين تجبروا
٩) فأين حياهم منك، أين احتشامهم
١٠) وأين احترام السر، أين افتخارهم
١١) وكيف لهم وجهه مع الله في غد
١٢) وقال لك: ارفع إذا خرزت لسجدة
١٣) تعلق فيك الأنبياء ومن علوا
١٤) وكلهم نفسي يقول معدداً
١٥) وما لهم إلا جنابك يهرعوا
١٦) وذلك في فصل القضاء إذا لها
١٧) ونادى المنادى هؤلاء لجنّة
١٨) إلى غير هذا من أمور مهيلة
- أشأيرها مرفوعة ما لها نصب
ومستمع في مسجد يشهر العصب
ولا يرتضي ذكره شهم ولا ندب
لها حرمة فيهم، وعنها لهم دب
على الله في ناديك واستسهل الصعب
لذات سمّت، أين التخصع والحب
بنسبته، أين المهابة والقرب
إذا كنت أنت الخصم، والحكم الرب
وسل تعطه، قل يستمع قولك العذب
متون ذرى العلياء ألك والصحب
خطيئته، والعين كالعين تنصب
إليه، وفي تلك الشدايد ينكبوا
تقول أنا، والعجم تسمع والعرب
وللنار نادى هؤلاء ولا عتب
يشيب لها الطفل الرضيع الذي يحبو

٥ - س: مرأ.

٧ - س: كنايس.

٩ - س: وردت قافية البيت: الجب بدلاً من الحب وهو تصحيف.

١٤ - س: الشدايد.

١٧ - د: نادى.

١٨ - كلتا النسختين وردت قافية البيت: يحبوا وهو خطأ.

- ١٩) نَعُوذُ بِهِ مِنْهَا وَنَسْأَلُهُ بِأَنْ
٢٠) فَيَا وَيْلَ مَنْ سَاءَ الْجَوَارِ (..)
٢١) وَيَا بَعْدَهُ يَا لَيْتَ فِي الْكَوْنِ لَمْ يَكُنْ
٢٢) وَمِنْ عَجَبِي قَوْمٌ بِهِ لَمْ تَهْزَهُمْ
٢٣) يَتِيَهُ بِسُعْدَى، وَالْعُذَيْبِ، وَبَارِقِ
٢٤) وَصَوْتِ الْمَثَانِي وَالْمَثَالِثِ لَمْ يَزَلْ
٢٥) وَأَطْرَافِ أَهْدَابِ التَّمَادِي لَهُمْ بِهَا
٢٦) وَفَوْقَ الَّذِي أَحْكِيهِ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ ذَا
٢٧) وَمَسْجِدُهُ السَّامِي عَدَا جَبَّخَانَةَ
٢٨) وَلَيْسَ لَهُ أَضْحَى مَقَامٌ، وَإِنَّمَا
٢٩) وَقَدْ حُرِمَ الْجِيرَانُ طَيْبَ مَنَامِهِمْ
٣٠) فَعْتَبَأَ عَلَى حَظٍّ بِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ
٣١) وَلَمْ يَسْتَرِحْ مِنْ ذَا الْعَيَانِ وَذَا الْعَنَا
٣٢) قَضَايَا وَأَحْوَالِ إِذَا مَا تَحَقَّقَتْ
٣٣) يَقْهَقُهُ مِنْهَا كُلُّ وَعْدٍ، وَيَخْتَشِي
٣٤) وَحَقِّكَ لَوْلَا الْحَقُّ خَفَّ بِلُطْفِهِ
- يُعَامِلَنَا بِاللُّطْفِ، فَأَلَامَرُ ذَا صَعْبُ
إِذَا مَا لَهُ عَنْهَا طَرِيقٌ وَلَا دَرْبُ
وَلَا ضَمَّهُ ذَاكَ السَّتَارُ وَلَا الْحُجْبُ
مُرَوَّتِهِمْ فِي الدِّينِ، لَيْسَ لَهُمْ قَلْبُ
وَلَمْ تَنْزَوِي عَنْهُمْ أُثَيْلَةَ وَالشُّعْبُ
حَلِيفِهِمْ إِنْ قَامَ أَوْ قَعَدَ الْخَطْبُ
مُجَادِبَةً أَضَحَتْ، فَيَا بَيْتُ ذَا الْجَدْبُ
يَسُوغُ لَهُمْ، وَالْحَرْبُ حُبْلَى وَلَا طَبُّ
وَحِصْنًا حَصِينًا عَافَهُ الْفَرَضُ وَالنَّدْبُ
زِمَامُكَ فِيهِ لَيْسَ تُرْعَى وَلَا الْقُرْبُ
وَحَرَمُهُ الْأَرْجَافُ وَالرُّعْبُ وَالرَّهْبُ
يُشَاهِدُ تَوْقِيدَ الْوَعَى حِينَ يَشْتَبُ
وَقَدْ سَبَقَ السَّادَاتُ وَالْأَنْجُمُ الشُّهْبُ
لَعَمْرِي أَوْجَالَ مَفْرَقَةَ كُئْبُ
عَوَاقِبَهَا مَنْ زَانَهُ الْعَقْلُ وَاللُّبُ
لَشَاهَدَتْ طُوفَانَ الْمَصَائِبِ يَنْصَبُ

١٩ - في كلتا النسختين: نسئله

٢٠ - في كلتا النسختين وردت الكلمة التي ختم بها الشطر الأول من البيت غير واضحة.

٢٢ - س: حيث بدلاً من ليس واخترنا رواية د لملاءمتها للمعنى.

٢٥ - س: التماضي بدلاً من التماضي واخترنا رواية د لملاءمتها للمعنى.

٢٧ - جب: خانه وما أثبتناه هو رواية د.

٣٢ - د وردت قافية البيت: كئب وهو خطأ.

٣٤ - س: المصائب بدلاً من المصابي.

- (٣٥) فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَهَا فِي قِيَامِهَا
 (٣٦) وَهَلْ هُوَ هَدْمٌ فِي الشَّرِيعَةِ وَقِيعٌ
 (٣٧) وَإِلَّا فَأَعْرَاضُ الثُّفُوسِ وَحَظَّهَا
 (٣٨) فَيَا لَيْتَ ذَاكَ الْحَزْمِ وَالْعَزْمَ بَيْنَهُمْ
 (٣٩) وَيَا لَيْتَ مَا أَبْدَى التَّشْمُتُ بَيْنَهُمْ
 (٤٠) فَوَا لَهْفِي أَيْنَ الرَّجَالِ «بَطِيْبَةَ»
 (٤١) فَلَا حَوْلَ فِيهَا قَدْ سَعُوا فِي انْتِهَاكِهِ
 (٤٢) أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ غَارَةٌ غَيْرَةٌ
 (٤٣) فَبِلَدُنْكَ الْعَرَا زَاهِ خَرَابُهَا
 (٤٤) وَقُطِّعَتِ الْأَسْبَابُ فِيهَا وَعُظِّلَتْ
 (٤٥) وَصَارَ يَحُلُّ الْأَمْرُ خَوْفًا، وَحَالُهَا
 (٤٦) وَجُرِّدَ سَيْفُ الْبَغِيِّ وَالْمَنْكَرِ الَّذِي
 (٤٧) إِذَا كَانَ فِي حَالِ السُّجُودِ لَجْمَعَةٍ
 (٤٨) تَدُورُ رَحَى الْهَيْجَا لَا دَرَّ دَرُّهَا
 (٤٩) فَلَمْ لَا يَعُودُ الدِّينُ هَذَا كَمَا بَدَأَ
 (٥٠) كَقَابِضِ جَمْرِ فِي يَدَيْهِ كَمَا بِهِ
 (٥١) وَمَا عَرَّ أَهْلَ الْبَغِيِّ غَيْرُ مَقَالَةٍ
- على ساقها أضلُ فيصْفَى لها القَلْبُ
 فَقَامَ لتعميرٍ له ذلك الجِرْبُ
 وشعبدة من دُونهَا اللُّهُو واللُّعْبُ
 على من يُعَادِيهِمْ أقامت به التَّجِبُ
 ولا سرَّه ثَلَمَ الرَّجَالِ ولا الحربُ
 وأينَ العَيُورُ الحُرُّ والحازمُ الحَضْبُ
 ولا قُوَّةَ إِلَّا به، وهو الحَسْبُ
 يذوبُ لها الجلمودُ واليابسُ الصُّلْبُ
 وقامت للذغِ النَّاسَ حَيَاتُهَا الجُرْبُ
 وحقَّ عليها الحُزْنُ، والثَّوْحُ والتَّدْبُ
 عَدَا حَالِكًا، والخَلْقُ عَمَّهُمُ الكَرْبُ
 بهِ اللَّهُ لَا يَرْضَى، وَلَا أَنْتَ يَا حِبُّ
 وبَيْنَ يَدِي مَنْ لَا سِوَاهُ لَنَا رَبُّ
 وتطحنَ ذَا ذَنْبٍ وَمَنْ لَا لَهُ ذَنْبُ
 غَرِيبًا، وَمَنْ يَقْبِضُ عَلَيْهِ وَيَنْكَبُ
 لَقَدْ أَخْبَرْتُ عَنْهُ الرِّسَائِلُ وَالْكَتُبُ
 بَأَنَّكَ بَحْرٌ لَا يَكْدُرُكَ الْعَرْبُ

٣٥ - د: ساقها.

٣٨ - د: ورد هذا البيت مكوّنًا من الشطر الأول كما هو مثبت في النص وشطره الثاني، هو شطر البيت ٣٨ المثبت في النص، فعليه لم يتضمن نص د الشطر الثاني من البيت ٣٧، والشطر الأول من البيت ٣٨ وأظنه تصحيفاً.

٤٦ - د: لا يرضى.

- ٥٢) فلو شَاهَدُوا مَوْجَ انتقامك فيهم
٥٣) وَلَا نَثَرُوا ذَاكَ الرُّصَاصَ وَصَيَّرُوا
٥٤) وَلَا سَبَبًا كَانُوا لَخَلْقِ كَثِيرَةٍ
٥٥) وَلَا نَقَضُوا تِلْكَ الْعُهُودَ وَأَرْجَفُوا
٥٦) فَلَا سُقِيَتْ سَاعَتَهَا وَسَعَاتِهَا
٥٧) وَلَا رُعِيَتْ مِنْهَا الْمَطَالِعُ، إِنَّهَا
٥٨) وَحِينُذْ فَالْقَصْدُ حَلَّ لِعَقْدِهَا
٥٩) وَحَسَنَ اثْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ وَالتَّيْفَاتَةَ
٦٠) وَيَذْهَبُ حُزْنُ الْحُزْنِ عَنَّا وَيَنْجَلِي
٦١) وَتُحْيِي عِبَادَاتُ بِمَسْجِدِكَ الَّذِي
٦٢) وَتَرْتَعُ مَعْ ذَيْبِ شَيْبَاهُ تَعَجَّفَتْ
٦٣) فَأَنْتَ الَّذِي تُدْعَى لِكُلِّ كَرِيهَةٍ
٦٤) فَإِنْ لَمْ تَدَارِكْنَا وَتَنْظُرْ مَا بِنَا
٦٥) وَإِنْ نَحْنُ قَارِفْنَا الْإِبَاءَاتِ حَيْثُ لَمْ
٦٦) فَبَابِكَ فِي الصَّفْحِ الْجَمِيلِ، وَفِي الرِّضَا
٦٧) وَمَا خَوْفُنَا إِلَّا بِزَلَّةٍ غَيْرِنَا
٦٨) فَلَيْسَ بَبَدْعِ ذَاكَ فِي أَرْضِ «طَيْبَةَ»
- لَأُعْمِدَتْ الْبَيْضُ الْبَوَاتِرُ وَالْقُضْبُ
رَزَايَاهُ مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ تَنْصَبُ
بِوَطِيءِ اذْدِحَامِ النَّاسِ ضَمَّهِمُ التُّرْبُ
بِلَادِكَ، وَاسْتِرْزَاهِمُ الشَّرْقُ وَالْعَرْبُ
وَعَلَسَاتِهَا الْأَلَاتِي بِهَا رَحَلَ الرِّكْبُ
لِمَقْرُونَةٍ بِالنَّحْسِ أَنْجَمَهَا الشَّهْبُ
وَعَقْدَ لِحَلْوَى الصُّلْحِ هَذَا هُوَ التَّحْبُ
بِإِكْسِيرِ أَنْظَارِ عَسَى يَفْرَجُ الْكَرْبُ
ظَلَامَ الْأَسَى، وَالْعَفْوُ يَحْضُلُ وَالْحُبُّ
إِلَى الْآنَ لَمْ تُفْتَحْ مَدَاخِلُهُ الرَّحْبُ
وَأَبْعَدَهَا عَنْ رَعِيهَا الْهَمُّ وَالغَلْبُ
وَأَنْتَ الَّذِي تَرْجَى إِذَا ذَهَمَ الْخَطْبُ
هَلْ كُنَّا، وَحَاشَانَا وَأَنْتَ لَنَا طِبُّ
نَقَمِ بِحُقُوقِ وَاجِبَاتِ وَلَا نَحْبُ
عَلَى مُذْنِبٍ، لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ رَحْبُ
يَحِيطُ بِنَا مِنْ شَأْنِهِ السَّلْبِ وَالنَّهْبُ
فَكَمْ مَرَّةً حَلَّتْ بِسَاحَتِهَا الْعُرْبُ

٥٣ - د: زراياه.

٥٤ - د: بواطيه وهو خطأ.

٦١ - د: عبادات، وسقطت من الشطر الثاني كلمة الآن.

٦٢ - س: ذيب.

٦٥ - وردت قافية البيت في د كالتالي: ولم نحبوا وهو خطأ.

٦٩) فَلَا زِلْتَ عَوْنًا فِي الْمَلَمِّ وَغَيْثِنَا
٧٠) عَلَيْكَ صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ يَحُوزُهَا
٧١) وَتَابِعَهُمْ مَا لَأَذَّ بِالْبَابِ لِأَيْدٍ
٧٢) وَمَا «أَحْمَدُ الْجَامِي» الْمَقْصَرُ مُدْرَأَى
٧٣) وَلَيْسَ لَهَا مِنْ ذَلِكَ حَسَنٌ تَخَلَّصَ
٧٤) بِلَا غَايَةَ فِي الْكَرْبِ قَالَ مُؤْرَخًا

إِذَا ضَنَّ مُزْنٌ يَسْتَدْرُ بِكَ السَّحْبُ
هَدَأَتْ الْوَرَى الْأَنْجَابُ أَلُّكَ وَالصَّحْبُ
وَقَابِلُهُ الْإِقْبَالُ وَالسَّهْلُ وَالرَّحْبُ
بِلَاذِكَ قَدْ أَخْنَتُ مَنَازِلَهَا الْحَرْبُ
وَصَارَ غُرَابُ الْحُزْنِ فِيهَا لَهُ لَعْبُ
أَلَّا فَاثْدُبُوا فِيحَاءَ «طَابَةَ» لَا عَثْبُ

ثم تلاه الفاضل الماجد سيدي، وسندي الكامل، الواحد، (صاننا الله
وإياه من ريب المنون وأسعدنا سعادة الدارين بجاه صاحب السر المصون)،
وَشَرَّفَ وَكَرَّمَهُ .

١) أَخِي إِذَا مَا جِئْتُ فِي سُوحِ «أَحْمَدُ»
٢) وَنَادِ وَقُلْ يَا سَيِّدَ الرَّسْلِ نَجْدَةٌ
٣) عَسَى نَفْحَةٌ مِنْكُمْ، عَسَى لِمِحَّةِ بِنَا
٤) لَقَدْ طَالَ هَذَا الْكَرْبُ وَاشْتَدَّ عَسْرُهُ
٥) وَكَدَّرَ وَجْهَ الدَّهْرِ بَعْدَ ابْتِهَاجِهِ
٦) وَأَذْهَبَ رَاحَاتِ النُّفُوسِ جَمِيعَهَا
٧) وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَذِيبَ رُسُومَنَا
٨) كَأَنَّ كُرُوبَ الدَّهْرِ أَجْمَعَ أَمْرَهَا

تَضَرَّعَ لَهُ، وَامْدُدْ إِلَى نَحْوِهِ الْيَدَا
تَفَرَّجَ عَنَّا مَا قَامَ وَأَفْعَدَا
تَحُفٌّ، عَسَى الْمَوْلَى يُجِيبُ لَنَا النَّدَا
وَشَتَّتَ جَيْشَ الصَّبْرِ طُرًّا وَبَدَا
وَنَعَّصَ عَيْشَ الْمُؤْمِنِينَ وَنَكَّدَا
فَلَلَّهُ مَا وَّلَى وَلِلَّهِ مَا بَدَا
وَأَمَّا قُلُوبًا قَدْ أَذَابَ وَاكْبَدَا
عَلَى حَرِبِنَا، فَاسْتَنْفَرْتَ نَحُونَا الْعِدَا

٧٠ - د: صلاة، هدأت برسم المد على الألف.

٧١ - س: لا يذ بدلاً من لا تذ.

٦ - د. وتحفة الدهر وردت قافية البيت: ما بدى.

٨ - د، وتحفة الدهر وردت قافية البيت: العدى.

- ٩) همومٌ، غمومٌ، ثم قِلَّةٌ راحةٍ
 ١٠) ثلاثة أعوامٍ نُكَّابِدُ هَمَّهَا
 ١١) وكم يومٍ قَدْ قَلْنَا، وكم ليلةٍ بها
 ١٢) ومن قبلها قد كَانَ قحطٍ وشدةٍ
 ١٣) وكم جَرَمْتَنَا كَأْسَ صِبْرٍ وَحَنْظَلٍ
 ١٤) فُرَادَى وَمَثْنَى حيثما تَمَّ سُكْرُنَا
 ١٥) فنسألُ رَبَّ العرشِ تَفْرِيجَ كَرْبِنَا
 ١٦) ومُذْ شَقَّ أَقْوَامٍ عَصَاهُمْ، وشَمَّتُوا
 ١٧) - تَهَلَّلَ وجهَ الرِّفْضِ بعد اغْبِرَارِهِ
 ١٨) يَجْرُ ذُيُولَ النَّيِّهِ في أرضٍ «طَيِّبَةٍ»
 ١٩) وَسُرُّوا سُرُورًا لم يُسْرُوا بمثلِهِ
 ٢٠) وقد مَرَّ دَهْرٌ لا يَجْرُونَ ذَيْلَهُمْ
 ٢١) تُمَنِّيهِمْ يا سَيِّدَ الرِّسْلِ نَفْسَهُمْ
 ٢٢) فَسَوْفَ إِذَا طَالَ المَطَالُ لَأَنَّا
 ٢٣) وَقَالَ لَهُم دَاعِي الضَّلَالِ تَبَاشَرُوا
 ٢٤) فَقَامُوا جَمِيعًا واستَفْزُوا رِجَالَهُمْ
 وَحُزْنٌ عَظِيمٌ كَلَّمَا رثَّ جُدًّا
 وإن لم تداركنا هَلَكْنَا، فَأُنْجِدَا
 نَبِيتٌ ولا ندرِي الذي صَائِرُ غَدَا
 وأشجارٌ ظَلِمَ أَثْمَرَتِ عِلَّةٌ وَدَا
 مَرَارَتُهَا أَذْنَى المَصَائِبِ والرِّدَا
 تُرْكُنَا حَيَارَى قَط لا نعرفُ الهُدَا
 بجَاهِك يَا رَبَّ السَّمَاةِ والنَّدَا
 عِدَاهُمْ وَأضحى كُلِّ وَغَدٍ مُسَوِّدَا
 وَأصبحَ ذُو رِفْضٍ عَزِيزًا وَسَيِّدَا
 وكم من لَعِينٍ مِنْهُمُ السَّيْفَ جَرِّدَا
 وَعَنَّى مُعَنِّيهِمْ لَذَاكَ وَعَرِّدَا
 وَمَنْ جَرَّ أَمْسَى بالترابِ مُوسِّدَا
 بَأَنَّ يَمْلِكُوا أَرْضًا وَدَارًا ومَسْجِدَا
 سَلَلْنَا لِنَصْرِ الرِّفْضِ سَيْفًا مُهْنِدَا
 لِمَا قَدْ أَتَى في المومنين مِنَ الرِّدَى
 وَجَالَ أَخُو رِفْضٍ هُنَاكَ وَعَرَبِدَا

١٣ - س: المصايب بدلاً من المصائب، وفي د، والحلية وردت قافية البيت: الردى.

١٤ - د، وتحفة الدهر والحلية، وردت قافية البيت: الهدى.

١٥ - في الحلية وردت قافية البيت: الندى.

١٧ - د: ذوا بدلاً من ذو وهو تصحيف.

١٨ - في تحفة الدهر، والحلية: طابة بدلاً من طيبة.

١٩ - في هامش تحفة الدهر وردت قافية البيت أنشدا بدلاً من غردا.

٢٤: د: أخوا بدلاً من أخو وهو تصحيف.

- ٢٥) وقالوا لهم: قد هلَّ عيدُ انْتِظَارِنَا
٢٦) فَبَادَرَ مَلْعُونٌ عَلَى الْفُورِ جَهْرَةً
٢٧) وَاعْتَبَهُ مِنْ بَعْدِ أَبْنَاءِ مُتَعَةٍ
٢٨) وَلَمْ يَخْتَشُوا مِنْ سَطْوَةِ الْقَهْرِ فِيهِمْ
٢٩) وَمَا قَصْدُهُمْ إِلَّا أَنْتَهَاكَ مَحَارِمِ
٣٠) وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا لَعِينٌ وَمُلْجِدٌ
٣١) حُفَاةٌ، عُرَاةٌ، كَالْكِلَابِ تَنَابَحُوا
٣٢) فَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الشَّقَاقُ لَمَا جَرَى
٣٣) وَمَا كَانَ ذَا قَصْدًا وَلَكِنْ مَقْدَرِ
٣٤) فَلَا تَحْسِبُوا يَا مَعْشَرَ الرِّفْضِ أَنَّهُمْ
٣٥) فَيَا سَيِّدَ الْكُونِينِ صَارَ الَّذِي تَرَى
٣٦) وَيَا كَهْفَ مَنْ يَلْوِي عِنَانًا بِبَابِهِ
٣٧) تَلَاظِمِ بَحْرَ الْكَرْبِ وَاشْتَدَّ مَوْجُهُ
٣٨) أَرَامِلُ، أَيَتَامٌ، ضَعَافٌ آغْثُهُمْ
٣٩) فَيَا عَيْنَ سُحِّي بِالذُّمُوعِ، فَطَابَةِ
فَمَنْ رَامَ تَعْيِيدًا فِي الْيَوْمِ عَيْدًا
وَسَارَعَ «لِلسَّدِّ» الْقَدِيمِ وَهَدَّدَا
بِحَرْقِ لِبَابِ عِنْدَمَا اللَّيْلِ هَوْدَا
ووظنوا بأنَّ الله تاركهم سدا
وتخريبُ دُورِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلِي الْهُدَا
وَجَدُّ مَجُوسِيٍّ، وَابْنُ تَهَوْدَا
عَلَى قَرْعِهِمْ، وَالْأَصْلُ لَعْنُ تَأْبَدَا
عَلَى مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ ذَا، وَلَا عَدَا
مِنَ اللَّهِ، مَحْتَمُومٌ عَلَيْهِمْ مُؤَكَّدَا
يَدُومُونَ فِي هَذَا الشَّقَاقِ إِلَى مَدَى
مِنَ الْحُزْنِ وَالْكَرْبِ الَّذِي قَدْ تَرَدَّدَا
وَيَا خَيْرَ مَنْ نُودِيَ سَرِيعًا فَأَنْجَدَا
عَلَى أَهْلِ حَقِّ بِالْجَوَارِ تَأَكَّدَا
فَلَا زَلَّتْ مَأْمُولًا وَلَا زَلَّتْ مَقْصِدَا
تُبْكِي بِذِكْرِهَا حَدِيدًا وَجَلَمَدَا

٢٨: سقطت الأبيات من ٢١ إلى ٢٨ من نصي تحفة الدهر والحلية.

٢٩ - د، والحلية وردت قافية البيت: الهدى.

٣١ - في تحفة الدهر، والحلية: قرعهم بدلاً من فرعهم.

٣٢ - في تحفة الدهر، والحلية: مثلنا بدلاً من مثلها.

٣٤ - سقط البيتان ٣٣، ٣٤ مِنْ نَصِّي تحفة الدهر والحلية.

٣٦ - في كلتا النسختين عنان بدلاً من عنانا واخترنا رواية تحفة الدهر والحلية لأنها الأصح.

٣٧ - سقط البيت من تحفة الدهر والحلية.

- (٤٠) أَيَا بِلْدَةَ ضَاعَتْ نَضَارَةَ حَسْنَهَا وَأَضَحَّتْ وَصَارَ الْوَجْهَ مِنْهَا مُرَمِّدًا
(٤١) تَوَاضَعَتْ أُمٌّ وَضَعَتْ مِنْ بَعْدِ رِفْعَةٍ تَنَاهَتْ بَعْلِيَاكَ سِمَاكًا وَفَرَّقَدَا
(٤٢) فَحَاشَاكَ مِنْ ذُلٍّ وَحَاشَاكَ مِنْ قِلَا وَحَاشَاكَ مِنْ خَوْفٍ وَحَاشَاكَ مِنْ رَدَا
(٤٣) أَفِي مَنَبَعِ الْإِسْلَامِ يَصْدُرُ مِثْلُ ذَا لَقَدْ عَادَ هَذَا الدِّينُ حَقًّا كَمَا بَدَا
(٤٤) فَلَا حَوْلَ فِيمَا قَدْ آصَارُوا وَقُوَّةَ سِوَى الَّذِي تَعْنُو لَهُ الْخَلْقُ سَجْدًا
(٤٥) عَسَى نَظْرَةٌ مِنْكُمْ تُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ لِيُصْبِحَ سَيْفُ الدِّينِ فِي الْكُفْرِ مُغْمَدًا
(٤٦) فَصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا لَاحَ بَارِقٌ وَمَا نَاحَ قُمْرِيُّ الْأَرَاكِ وَغَرَّدَا
(٤٧) وَآلٍ وَأَصْحَابٍ كِرَامٍ أَجَلَّةٍ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا مَدَى الدَّهْرِ سَرْمَدًا
(٤٨) وَمَا هَلَّ وَبَلُّ الْجُودِ مِنْكَ عَلَيْهِمْ وَمَا قَامَ مُنْشِيهَا بِبَابِكَ مُنْشِدَا
(٤٩) حُسَيْنِ ابْنِ أَنْصَارٍ إِلَيْكَ انْتِمَاؤُهُمْ يَرْجَى فَكُنْ عُونًا لَهُ ثُمَّ مَسْعِدَا
(٥٠) وَمَعَ غَايَةِ الْإِحْصَاءِ قَالَ مُؤَرِّخًا لَقَدْ أَشْمَتُوا فِينَا أَعَادِي وَحُسَّدَا

ولما طال بالناس الحال، واتسع بالبأس المجال، وطارت بهذه الفتنة قَطَا الأخبار، ورسبت في أساس دُرَى^(١) شوامخ الأقطار، ورثاها الظاعن والمقيم، وونى بهجة حسننها المروي بماء التنسيم، أرسل الشريف «سرور» السيد «حسين العلوي» من طرفه لهذه الشرور^(٢)، فوصل إلى «المدينة لخمس بقين من شعبان وعقد بينهم الهدنة إلى مجيء^(٣) الحاج الشامي،

٤١ - سقطت الأبيات من ٤٠ إلى ٤٤ من نَصِي تُوْحْفَةِ الدَّهْرِ، والحلية.

٤٦ - د: عليه بدلاً من عليك.

٤٧ - سقط البيت من نَصِي تُوْحْفَةِ الدَّهْرِ والحلية.

(١) س: ذرا.

(٢) د: السرور وهو تصحيف.

(٣) د: مجيء وهو تصحيف.

ويحصل المكفوف والكاف، فلا أحد يتعدى على أحد بنوع خلاف^(١)، فتموا على هذا الأمر، وانشرح بذلك الصدر، وسرت فيما بينهم نساء المراوحة وانعدت بينهم التولية والمراوحة^(٢)، بعد أن دامت^(٣) فيما بينهم المبارزة والانتقام وتزلزلت بالمنازلة أقدامهم والأجسام، أربعة أشهر وثمانية أيام، ففتحت المساجد وقام لله العابد، فلا ترى في مسجده الشريف بعد تلك الفسوق غير راعٍ أو ساجدٍ، أو قانتٍ أو عابدٍ، أو عاشقٍ لجمال الله واحد. وكان من خبر الأفندي «تاج»^(٤) الدين إلیاس» إنه لما توجه إلى الدولة العلية بالعروض السلطانية أتت على مقتضى لما فيها من عزل «المُقمّجي» وتعزيره، ودحض^(٥) شوايخه وتبذيره، وتمزيق صحبة ولايته^(٦) وتقريره وحمله إلى الدولة وتسفيره. فورد بهم على والي الشام. «محمد باشا ابن^(٧) العظم» الهمام، وأتيا معاً صحبة الحاج إلى أن قطعوا في السير المهامه والفجاج، ووصلوا إلى «الجرف» ونزلوا به على حسب العرف، فطلع إليهم عساكر المدينة، ومن جملتهم «أحمد مكّي» مع آغاته^(٨) بكامل الزينة، ولم يطلع «المُقمّجي» وكأنه أوجس في نفسه خيفة فلما لم يره الباشا سأل^(٩) عنه عسيفه فتعذر له عنه فلم يكن مقبولاً منه، وأوهمه أنه مشتاق لرؤياه^(١٠)،

(١) د: خلاف.

(٢) د: المراوحة.

(٣) د: دامت.

(٤) د: تاج.

(٥) د: رحض وهو تصحيف.

(٦) د: ولايته.

(٧) د: بن.

(٨) في كلتا النسختين: آغاته بدون مد على الألف.

(٩) في كلتا النسختين: سئل.

(١٠) د: لرؤياه برسم المد على الألف.

وأظهر الحقد على «ابن مكّي» لما رآه وقال: إنا نفينا هذا لما عاداه^(١). ونصبنا ذلك وآويناه^(٢)، ويُجانبنا البعاد، وعدَم التودد والترداد، وأنا عَصْدُهُ ووزيره، وعِصْمَتُهُ ونصيره، فَلَأْفَعَلَنَّ «بابن المكّي» من النكال زيادة على الأول القيود والأغلال ولا يكون ذلك إلا بحضرة المشار إليه ليكمل له السرور بزيادة الوبال عليه، وحرَّضَ على مجيئه غاية التَّحْرِيض، بتصريح القول والتعريض فنزل إليه من يعتمد عليه، وأشرفه على ذلك الأمر فطلع وعمر، وفي الحقيقة أنه بخبايا الأمور غمر. ولما وصل إليه وتمثل واقفاً بين يديه، قال له: قد أبطأت علينا، ولم تصل سريعاً كعادتك إلينا ونحن في انتظارك مدة خروجنا من الشام إلى نهارك، فتعذر له بعدرٍ باطل ليس تحته طائل^(٣)، فقبل عذره، وأظهر له غدره، ثم أخرج له فرمان السلطاني، وقُرِيء^(٤) على رؤوس^(٥) الأشهاد ما بين قاصٍ ودان^(٦)، فكان مضمونه التعزير والعزل والتفسير، والوبال لبعض جماعته والنكال بما يقتضيه الحال، ولما تمت قراءته^(٧) بين الحاضرين، وأخذته رامقةٌ أبصار الناظرين، أَخَذَتْهُ الرَّعْشَةُ والدَّهْشَةُ، وتمنى أن لو حُمِلَ على النعش وتيقن أن ليس له ناصر ولا وقاية، وتلا^(٨) عليه لسان الحال «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» وأخرج له القيود

(١) د: عاداه برسم المد على الألف.

(٢) د: وآويناه برسم المد على الألف.

(٣) س: طایل.

(٤) د: قرء وهو تصحيف.

(٥) د: رؤوس برسم المد على الواو.

(٦) د: دآني برسم المد على الألف.

(٧) د: قرآته برسم المد على الألف.

(٨) د: تلا.

والأغلال، فقيّد وصار يحجل^(١) [بها]^(٢) بين الرجال في ذلك المجال، وأخرجت الخلع والتلابيس، وطُرِحَتْ على الكتبخدا أحمد مكّي، وغمر فيها إلى التلابيس، وأتيا مع الباشا إلى المدينة في الآلي، هذا كالحاقّة به الزبانية والآخر كالباي^(٣)، وهذا في نعمة كالعروس^(٤)، وذلك في ليمة في شدة البؤس^(٥) وغالب قلوب الخلق متغيرة عليه، لما صدر من المفاسد المنسوبة حالاً ومآلاً. إليه. وقلت:

أسدان^(٦) ضرغامان، كل منهما شاكي السلاح ومضرب الأمثال
لكنّ من ليسَ الدرّوعَ مفاضةً فرّق، وبين مصفد الأغلال

وقلت أيضاً اقتباساً من القرآن الكريم:

لنور روضة جنّة «فيها قطوف دانية»
ما مثلها نور اللظى «تسقيه عين أنية»

واستمر عند الباشا في العذاب الشديد، والنكال البيد إلى أن بلغ من الزيارة غاية الوطر ثم اقتعد غارب السفر، متوجهاً بذلك لغمام^(٧) الركّام وأصحابه معه إلى البيت الحرام وقبل وصوله إلى البيت الشريف بالسرور وصل إليه بريد من الشريف سرور: بأنك سلمته إلينا، وإلا فلا طريق لك

(١) د: وردت العبارة كالتالي: وصار يحجل بينهم في ذلك المجال.

(٢) وفي س: يحجل بهم وما أثبتناه [بها] هو ما يستقيم به سياق المباراة.

(٣) د: كالبأي برسم المد على الألف.

(٤) د: كالعروس برسم المد على الواو.

(٥) في كلتا النسختين البوس.

(٦) د: أسدان برسم المد على الألف.

(٧) د: الغمام وهو تصحيف.

علينا فسلمه إليه ورجع عما عزم عليه، وجلس إلى أن قضى حجه، وعجبه
وثجه، وتمت منادمة أنسبه، أب قاصداً مدينة قُدْسِه، ووصل بعد الإقامة
مصحوباً بالسلامة^(١)، وبعد أن صلحت البلاد^(٢) واطمأنت^(٣) العباد من
الفساد، ونادى منادي الحُبُور حيّ على اصطباح كاسات السرور، وانساب
سبب شآبيب^(٤) الراحة خلال الدور، وانوات^(٥) قزع الراحة فهزمت حالك
ظلام الديجور، وعَتَّتِ الوُرُقُ بأنواع الألحان على أغصان البان، ترنم
بصوته الرخيم، محبنا الصديق الحميم، المرحوم الشيخ أحمد الجامي
الفاضل السامي^(٦)، وهنا ها بقدم تاج الدين إلى محمد باشا بالفرامين فيا
لها من فَرَحَةٍ لو تمت، وواها لمصائبها^(٧) التي في المآل^(٨) عمت، فإننا لله
وإننا إليه راجعون ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
(يس : ٨٢).

(١) يَهْنِيكَ يَا بَلَدَةَ الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرِّ
(٢) وَنَظْمُ أَحْوَالِكِ اللَّاتِي قَدْ انْتَشَرَتْ
(٣) وَنَفْيِي مَا حَلَّ فِي نَادِيكَ مِنْ حَبَثٍ
(٤) حَتَّى عَدُّوا عِبْرَةً بَيْنَ الْحَجِيجِ كَمَا
قُدُومُ تَاجِ الْعُلَا بِالنُّصْرِ وَالظَّفْرِ
عُقُودُ سَيْرَتِهَا فِي سَائِرِ الْقُطْرِ
«لِحَيْثُ أَلَقْتُ» كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْخَبْرِ
«تَفْرِيقُ أَيْدِي سَبَا» مِنْ أَعْظَمِ الْعَبْرِ

(١) د: بالسلامة برسم المد على الألف.

(٢) البلاد برسم المد على الألف.

(٣) في كلتا النسختين: اطمئنت.

(٤) د: شآبيب برسم المد على الألف.

(٥) د: انوات.

(٦) د: السامي برسم المد على الألف.

(٧) في كلتا النسختين: مصايها.

(٨) د: المآل برسم المد على الألف.

٣ - د: ما مل بدلاً ما حل وهو تصحيف.

يُنُوحُ فِيهَا غَرَابُ الْبَيْنِ بِالْكَدْرِ
وَحَارِبُوا اللَّهَ وَالْمَبْعُوثَ بِالسَّوْرِ
وَمَهْبَطَ الْوَحْيِ مَاوَى الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ
فِي حَرْبِهَا، أَيْنَ أَنْتَ الْيَوْمَ فَاغْتَبِرِ
فِي طَيْبَةِ دُمْتَ لَا تُبْقِي وَلَا تَذِرِ
وَالْبَعْضُ قَصْدُكَ نَفِيًّا لَوْ إِلَى سَقَرِ
وَلَا لِمُتَشَّحٍ بِالْفَضْلِ مُتَّزِرِ
أَسْتَارِ حَزْبِكَ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
قَدْ خَرَّقَتْ لَكَ أذْنَآ بِمُزْدَجَرِ
«أَذَابَهُ اللَّهُ ذَوْبَ الْمَلْحِ فِي النَّهْرِ
فَكَيْفَ لَوْ أَسْعَفْتَ بِالْقَصْدِ وَالْوَطْرِ
مِ الْقَوْسِ فِي الْخَلْقِ مِنْ مُثْرٍ وَمُفْتَقِرِ
فَأَثْبُتْ لِقَهْرِ رِجَالِ الْوَقْتِ وَاصْطَبِرِ
رَمَى بِهِ الْأَمْلُ الْخَوَانَ فِي الْخَطْرِ
ظِلُّ الْإِلَهِ، عَظِيمِ الْقَدْرِ وَالْقَدَرِ
دِ الْمُصْطَفَى، عَوْنِهَا بِالتَّبْرِ وَالبُّثْرِ
هَابِثُهُ أَسْدُ الشَّرِّ فُضْلًا عَنِ الْبَشْرِ
وَصَانَهَا مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَالْغَيْرِ

(٥) «وَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ»
(٦) هَذَا جَزَاؤُهُمْ بِالنَّصِّ حَيْثُ بَغُوا
(٧) أَلَيْسَ قَدْ أَصْبَحْتَ دَارًا لِهَجْرَتِهِ
(٨) فَقُلْ لِمَنْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا
(٩) أَيْنَ الرُّكُوبَ الَّذِي يَقْضِي بِأَنَّكَ إِنْ
(١٠) فَالْبَعْضُ تَصْلُبُهُمْ، وَالبَعْضُ تَقْتُلُهُمْ
(١١) وَلَمْ تُرَاعَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ مَرْتَبَةً
(١٢) حَتَّى رَكِبْتَ ذُلَّ الدُّلِّ، وَانْتَهَكْتَ
(١٣) أَمَا سَمِعْتَ أَحَادِيثَ الْوَعِيدِ، أَمَا
(١٤) كَمَنْ أَرَادَ بِسُوءِ أَهْلِ كَاظِمَةٍ
(١٥) هَذَا وَمَا كَانَتْ الْأَقْدَارُ مَسْعِفَةً
(١٦) لَكُنْتَ تَمْرُقُ مِنْ ذَا التِّيهِ مَرَقَ سِهَا
(١٧) وَحَيْثُ عَادَتْ لَكَ الْأَمَالَ خَائِبَةً
(١٨) وَاعْرِفْ نَتِيجَةَ خَفَّارِ الذِّمَامِ وَمَنْ
(١٩) وَلَمْ يُبَالِ بِحَامِي الْمَلِكِ حَافِظِهِ
(٢٠) مُقْلِدِ الْمِنَنِ الْعُظْمَى نَحْوَرَ بِلَا
(٢١) طَوْقِ الْخِلَافَةِ، سُلْطَانَ الْبَسِيطَةِ مِنْ
(٢٢) «عَبْدِ الْحَمِيدِ» أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ

٦ - د: جزائهم بدلاً من جزاؤهم.

١٣ - س: آذان بدلاً من آذانا وهو خطأ.

١٤ - د: آراد بدلاً من أَرَادَ.

١٧ - في كلتا النسختين: خاية بدلاً من خائبة.

٢١ - س: الشرا.

٢٢ - د: أدام بدلاً من أَدَامَ.

- (٢٣) واعلم بأنك لو في أي مزبلة
(٢٤) قرضاً بقرض كما أبدأ مهذركم
(٢٥) عن طيبة وكذا عن منبر قدماً
(٢٦) وعن وقوف لقد أمسى يفضله
(٢٧) أعني به حاطب الليل المخبط في
(٢٨) والمدعي طول باع في الفنون، وفي
(٢٩) ومن عليه أتى قول الذين مضوا
(٣٠) تزيين الشعر أفواه إذا نطقت
(٣١) عبيد دزهمك الممخوق - لا برحت
(٣٢) ولا أراه بروق الحي من إضم
(٣٣) مع أنه الوغد لما خاض أبحرهما
(٣٤) وإن فجراً دعاه كاذب أبداً
(٣٥) وليس يعرف أكل الزنجبيل ولا
(٣٦) ولا لسبك القوافي من معانها
(٣٧) بويهيم أنعام يفتتر عن
(٣٨) أتى له يجتني أزهار روضتها
(٣٩) ما ناله غير ما يقضي بحطته
(٤٠) نعم، ولوع له في عرض سادته
(٤١) بما جلت له مراهة ذاتهم
- كمنت تئبش بالصمصامة الذكر
للرجم شاعرك المطرود في الأثر
وموقف بقيام الخمس مزدهر
على الجميع بباب الحجرة العطر
هجائه خبط عشوا أقرع النظر
تدوينها، وعلوم الأنجم الزهر
محكماً صادق الدعوى بلا نكر
بالشعر يوماً وقد يزيه ذو بحر
في اصفره رماح العي والحصر
نافية، مبعده عن روضها النضر
دلت على أنه في غاية القصر
وبرقه خلّب، والزند غير وري
يدري حقيقة ذاك الطعم كالحمر
وسبك عسجدها من بوطه الفكر
دوق يفرق بين الدر والمدر
أو يجتلي من محياها سنا القمر
منها، وما يزدريه بين كل سري
وغيرهم بلسان ماذق حدر
من كل وصف دميم فيه مستتر

٣١ - د: لأبرحت بدلاً من لا برحت.

٣٣ - د: الوعد بدلاً من الوغد وهو تصحيف.

٣٤ - د: دعاه بدلاً من دعاه.

٣٩ - س: وردت قافية البيت سر بدلاً من سري وهو تصحيف.

٤١ - د: مرءات بدلاً من مرآة.

- ٤٢) ولا عجيب فهذا شأن «كل إنا
 ٤٣) وَشَأْنُ مَنْ بَعِيْبُ الطَّبْعِ يَشْهَدُ مَا
 ٤٤) وَإِنَّمَا عَنْهُ صَفْحًا أَضْرِبُوا، وَأَبُوا
 ٤٥) حِفْظًا لِمُقْدَارِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاقِصَةٍ
 ٤٦) وَصَوْنٌ دَرَّهْمِ الْمَكْنُونِ خَيْفَةَ لَا
 ٤٧) وَلَوْ يَكُنْ فِي تَعَاطِيِ الْهَجْوِ مَنْقِبَةٌ
 ٤٨) لَكَانَ يَسْمَعُ مَا يُضْمِي مَسَامِعَهُ
 ٤٩) وَمَا يُصَيِّرُهُ بَيْنَ الْوَرَى مَثَلًا
 ٥٠) لَكِنَّ لِلْمَتَنَّبِيِّ شَاهِدًا عَجَبًا
 ٥١) وَحَسْبُهُ كَوْنُهُ رَقًّا لِمَنْ رَضَعُوا
 ٥٢) وَمَنْ بَأَقْبَحَ قُبْحٍ فِيهِ خَصَّهْمُ
 ٥٣) لِيَنْجَلِي أَنَّهُ فَرُخٌ وَابْنُ زَنَا
 ٥٤) سَلْ عَنْهُ مِنْ يَعْرِفُوا تَحْقِيقَ نَسَبَتِهِ
 ٥٥) هَذَا وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَنَا
 ٥٦) وَلَا نَضِيعُ سُدَى فِي بَابِهِ وَبِهِ
- ءِ نَاضِحٌ بِكِبَاءِ فِيهِ» أَوْ قَدِرِ
 فِي الْكُونِ مِنْ عَالَمِ الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ
 عَنْ رَمِيهِ بِجَمَارِ الرَّجْمِ فِي الْقَفْرِ
 عَنْهُمْ تَسِيرَ بِهَا الرِّكْبَانِ فِي الْعُصْرِ
 يَضِيعُ فِي مَزْبَلَاتِ الْبُومِ وَالْبَقْرِ
 أَوْ فَخْرَةَ يَرْتَدِيهَا كُلُّ ذِي جَبْرِ
 وَمَا بَصِيرَتُهُ يُعْمِي مَعَ الْبَصْرِ
 فَضِيحَةً عُزْرَةً مِنْ أَكْبَرِ الْعُزْرِ
 يَكْفِي جَوَابًا لَهُ إِنْ كَانَ عَنْهُ دَرِي
 تُدِي الْعُلُومِ وَأَحْيُوا اللَّيْلَ بِالسَّهْرِ
 بِلَا مُقَدِّمَةٍ تُفْضِي إِلَى الْهَجْرِ
 مَحْضٌ، وَأَتَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الشُّهْرِ
 فَهْمٌ بِطَيْبَةِ مِثْلِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 لَدَيْهِ وَجْهَ قُبُولِ غَيْرِ مُنْكَسِرِ
 أَضْحَى تَوَشَّلْنَا عِقْدًا مِنَ الدَّرْرِ

٤٢ - د: وناضح بدلاً من ناضح وهو خطأ.

٤٣ - د: شان بدلاً من شأن.

٤٦ - د: مزبلات بدلاً من مزبلات.

٤٩ - د: عذرة بدلاً من عذرة، والعذر بدلاً من العزر وهو تصحيف.

٥٠ - س: شاهد بدلاً من شاهداً وهو خطأ نحوي.

٥٢ - في كلتا النسختين: تُفْضِي بدلاً من تُفْضِي وهو تصحيف.

٥٣ - د: أو ابن زنا وهو خطأ.

٥٤ - الصحيح «يعرفون» وحذف النون ليستقيم الوزن.

- ٥٧) وَأَنَّ إِيَّانَ تَنْفِيذِ الْأُمُورِ عَلَيَّ
٥٨) هَيَّا لَنَا سَبَبًا فِي حَلِّ عُقْدَتِنَا
٥٩) لَكِي تُقَلَّبُ فِي ظِلِّ الْأَمَانِ عَلَيَّ
٦٠) وَهُوَ التَّصَدُّرُ لِلْفَتْوَى الَّتِي حَظِيْتُ
٦١) أَعْنِي مُحَمَّدًا الْمَوْلَى الْأَمِينَ عَلَيَّ
٦٢) وَصَالِحَ الْمُؤْمِنِينَ الْقَانِطِينَ بِهَا
٦٣) وَالْبَائِذِلُ الْجُهْدَ فِي تَنْظِيمِ بِلَدَتِنَا
٦٤) وَمَنْ تَطَوَّلَ أَبْقَى اللَّهُ دَوْلَتَهُ
٦٥) بِمَنَّةِ الْفَرَمَانَاتِ الَّتِي نَفَذْتَ
٦٦) جَمَالَ وَجْهِ أَوْلِي الْأَرَاءِ، قَاهِرٌ مِنْ
٦٧) وَمَنْ كَمِثْلَ بَنَاتِ النَّعْشِ صَيَّرَهُمْ
٦٨) وَنَفَذَ الْأَمْرَ فِي تَقْيِيدِ رَاهِبِهِمْ
٦٩) وَالْحَالِ «لَمْ تَنْتَطِحْ شَاتَان» مُنْذُ
٧٠) وَالِي دِمَشْقَ وَحَامِيهَا مُحَمَّدٌ، مَنْ
٧١) لَا زَالَ وَجْهُ التَّهَانِي مِنْ تَرُدِّهِ
٧٢) وَكَمْ وَكَمْ مِنْ مَهْمَاتٍ قَدْ أَنْحَدَرَتْ
٧٣) تَخَالَهَا حِينَ تَبْلُوهَا وَتُخْبِرُهَا
- رَغَمَ الْعَدُوِّ وَثُمَّ الْكَاذِبِ الْأَشْرِ
وَقَضَمَ عُزُورَةَ هَذَا الْبُؤْسِ وَالضَّرَرَ
فُرْشَ السَّرُورِ، وَنَجْنِي لَذَّةَ الثَّمَرِ
بَخِيرَ كُفُورِ لَهَا فِي الدَّوْمِ مُعْتَبَرِ
مَا قَلَّدْتُهُ أَيَادِي الدَّوَلَةِ الْعُرَرِ
عَيْنُ الْقِلَادَةِ فِيهَا وَاهِبُ الْبِدْرِ
وَالْمَنْجَزُ الْوَعْدَ وَالْإِيْفَاءَ بِالنُّذْرِ
وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْعُمْرِ
أَحْكَامُهَا حِينَ وَافَى عُمْدَةَ الْوُزْرِ
عَتَوْا عَتُورًا وَقَوَّوْا عُضْبَةَ النَّظْرِ
بَعْدَ التَّمَثُّرِي بِذَاكَ الْمَهْمَةَ الْقَفْرِ
غِبَّ الْإِضَاحَةَ لِلْفَرَمَانَ حِينَ قُرِي
عَلَيْهِ الْفُخُّ أَصْبَحَ بَيْنَ الصَّخْبِ وَالْعَشْرِ
بِهِ تَبَاهَتْ أَهَالِي الْحَجِّ وَالْعُمَرِ
بَيْنَ الْحِجَازِ طَلِيْقًا زَاهِرَ الطُّرَرِ
عَنْهَا الْمِدَارُكَ حَسْرَى أَيَّ مُنْحَدَرِ
قَدْ حَاكَتِ الْقَلَكُ الدَّوَارَ فِي الصُّورِ

٥٧ - د: وغم بدلاً من ثم، أي إنه سبب غمًا للكاذب الأشر.

٥٨ - س: البوس مخففة بدلاً من البؤس.

٥٩ - د: جاء في موضع الشطر الثاني من البيت عجز البيت رقم ٦١، وقد سقط هذا البيت والبيت ٦٠ من د.

٦١ - س: محمد بدلاً من محمدًا وهو خطأ لأنّها مفعول به منصوب لأعني.

٦٦ - في كلتا النسختين: قوا.

- (٧٤) أو إنَّ سَعْدَ سَعُودِ الحِظِّ قَارَنَهَا
 (٧٥) واصلها هِمَّةُ الشَّهْمِ الذي ابتَهَجَتْ
 (٧٥) وفتَّحتْ سُرْعَةَ أبوابها ومَشَّتْ
 (٧٦) وألْبَسَتْ من حُلِيِّ الأَمْنِ أسُورَةَ
 (٧٧) وأنهلَّ من جيرة حَلُّوا بِمَعْهَدِها
 (٧٨) إذ رَدَّهُ اللهُ مَسْرُوراً ومُنْجَبِراً
 (٧٩) بِدَوْلَةِ المنصبِ المِئْمُونِ طَائِرُهُ
 (٨٠) وهو التَّشْرُفُ بالفَتْوَى وخدمَتِها
 (٨١) إنسانٌ عَيْنِ المَعَالِي وَرُدُّ وَجَنَّتِها
 (٨٢) بَلْ فَذُ توأمَ رَبَّاهَا وَزَرَنِها
 (٨٣) صَدْرُ الرِّئاسَةِ تاجُ الدِّينِ، لا بَرَحَتْ
 (٨٤) وَسَعْدُ سُوْدِدِهِ لا زالَ ذابِحَ مَنْ
 (٨٥) وَاللَّهُ سُبْحانَهُ المَأْمُولُ نائِلُهُ
 (٨٦) وَأَنْ يُدِيمَ لَنَا إِشْراقَ عُرَّتِهِ
 (٨٧) وَأَنْ يُمْتَعِنَا طُولَ الزَّمانِ بِهِ
 (٨٨) وَأَنْ يَصُونَ حِمَاهُ ذُو الحِمَايَةِ مِنْ
- أَوْ وافَقَتْ لِلتَّجَلِّي سَاعَةَ السَّحَرِ
 بِهِ المَدِينَةُ حينَ العَوْدِ مِنْ سَفَرِ
 مَعَ ذُنْبِها شأهُ رَعِي النَّبْتِ وَالشَّجَرِ
 وَهَزَّتِ العُطْفَ مِنْ تِيهِ وَمِنْ خَفَرِ
 سَحَابِ شُكْرِ اجْتِماعِ الشَّمْلِ كالمَطَرِ
 مِنْ بَعْدِ قَطْعِ فَيافِي السَّهْلِ وَالوَعْرِ
 عَلَي أَتَمِّ نِظامِ غيرِ مَنْكَدِرِ
 وَعِزُّ رُتْبَتِها المَرْفوعَةِ السُّرْرِ
 وَعَيْنُ إنسانِها الفَتَّاكِ بِالْحَوْرِ
 وَمَنْ بِتاجِ حُلاها الجوهري حَرِي
 أَيامِ دَوْلَتِهِ العُراءِ كالأزْهَرِ
 نَواهُ ذَبَحَ رِقابِ الشَّاةِ وَالجُزْرِ
 أَنْ لا يُذيقَ لَهاهُ جُرْعَةَ الكَدْرِ
 فِي طيبِ عَيشِ رَغيدِ يانِعِ زَهِرِ
 وَأَنْ يُؤمِّنَهُ فِي السَّرْبِ وَالْحَجْرِ
 بَطائِنِ السُّوءِ فِي الأَصالِ وَالْبُكَرِ

٧٥ - س: همة بالنصب وهو خطأ لأنها مبتدأ مؤخر .

٧٥ - د: ومست بدلاً من ومشت وهو تصحيف وفي كلتا النسختين: ذبيها بدلاً من ذئبها .

٨٢ - في كلتا النسختين: توعم بدلاً من توأم .

٨٣ - في كلتا النسختين: الرياسة بدلاً من الرئاسة .

٨٤ - في كلتا النسختين: سوودده بدلاً من سوؤده .

٨٥ - س: نايله بدلاً من نائلة .

٨٦ - د: اشراق بدلاً من إشراق .

٨٨ - د: حمآه بدلاً من حماه .

- ٨٩) وَأَنْ يُوفِّقَهُ ذُو الْمَكْرَمَاتِ لِمَا يُحِبُّهُ، وَلِمَا يَرْضَاهُ مِنْ وَطَرِ
٩٠) وَلَا يَضِيمَ لَنَا حُكَّامَ بَلَدَتِنَا حِمَاةَ حَوْمَتِهَا بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
٩١) وَأَنْ يُؤَلَّفَ مَا بَيْنَ الْقُلُوبِ وَلَا
٩٢) وَيَجْعَلَ الْأَمْنَ هَذَا لَمْ يَزَلْ أَبَدًا
٩٣) بَمَنْ لَعَيْنِيهِ أَكْرَمْنَا وَقَامَ لَنَا
٩٤) حَامِي حِمَاهُ، مُبِيدُ الْمُفْسِدِينَ بِهِ
٩٥) الْمُصْطَفَى، الْمُجْتَبَى، الْهَادِي، الْغَيُورُ عَلَى
٩٦) جَزَاهُ عَنَّا إِلَاهَ الْعَرْشِ أَفْضَلَ مَا
٩٧) وَدَامَ مُنْسَكِبًا وَبُلُّ الصَّلَاةِ عَلَى
٩٨) وَالْآلِ وَالصَّحْبِ مَا الْأَكْوَانُ لَاحَ لَهُمْ
٩٩) وَمَا صَفَّتْ طَيِّبَةً وَرَدًا وَقِيلَ لَهَا

الفتنة الخامسة سنة ١١٩٤، أربع وتسعين ومائة^(١) وألف فتنة الشريف

«سرور» وما أحدثه في المدينة من الشرور وسبب ذلك ما قدمناه من قصة «القُمَّقُمَجِي» ومعاضدته له. ولما جاء الأمر من الدولة العلية بعزله^(٢)

٩١ - د: «ذوا» ولعله يقصد ذا بغي وذا فجر بالفتح على أنهما مفعول يشمت ولكي يستقيم الوزن لا بد أن نقرأ يُشِمَّتْ بمعنى يَشِمَّتْ أو يُشِمَّتْ على صيغة المجهول أو يُشِمَّتْ ذا بغي أي يتيح له أن يَشِمَّتْ.

٩٣ - أكرمنا بسكون الميم للوزن والصحيح ا: رمنا بفتحها.

٩٥ - د: بلادته بدلاً من بلاده.

٩٦ - س: جازا بدلاً من جازى.

٩٨ - س: ما لاكوان وهو تصحيف.

(١) في س: مايه.

(٢) في د: بعز وهو خطأ.

وأتى به «محمد باشا» مغلولاً في القيود وجلس عنده مدة، ثم أذن له في المجيء^(١) إلى المدينة المنورة وأسرّ إليه أنه يأتي لنصرته ولكن حرص^(٢) في^(٣) ألا^(٤) يحدث شيئاً ما وألا يتعرض، وأن تُعرّضَ له. فجاء إلى «العوالي» وأرسل إلى حكام المدينة يستفسحهم في النزول إليها، فاتفقوا على أن ينزلوه ولكن يشربون^(٥) عليه عدم التعرض لشيء ما، وحرصوا عليه في لزوم حده وحفظ لسانه. ثم في ليلة السبت في محرم افتتاح سنة ١١٩٠، تسعين ومائة^(٦) وألف توفي الكتخدا «محمد فلبلي» ونصب بدله كتخدًا^(٧) القلعة «أبو بكر جليبي» واستمرت الأحوال رائقة^(٨) والمدينة ببهجتها على سائر^(٩) المحاسن فائقة^(١٠) أكثر من أربع سنين إلى أن كان يوم الخامس في رجب سنة ١١٩٤، أربع وتسعين ومائة وألف فما فطنوا إلا والشريف «سرور» قد وصل إلى المدينة فجأةً، وهم على غرور، بخيله ورجاله وعُدته وآلات قتاله، فخرجوا إليه مُلاقين وللعفو طالبين، إلى أن نزل «العنبرية» فمكث بها ثلاثة أيام سوية ليُفرغوا له البيوت «الواجهة البرانية» وأنزل عرضية «المناخة السلطانية» وهو منطوٍ على قبح النية وسوء

(١) في د: المجييء.

(٢) في س: حرص عليه.

(٣) في د: إنه.

(٤) في س: أن لا يحدث.

(٥) في كلتا النسختين: يشربوا وهو خطأ.

(٦) في س: مايه.

(٧) في كلتا النسختين: كتخداء.

(٨) في كلتا النسختين: رايقه.

(٩) في س: ساير.

(١٠) في س: فايقه.

الطوية، فما كان بأسرع من أن دهش الناس وكاد أن يقع بهم اليأس^(١) ثم اجتمعوا جمعياً وأتوا إليه في الحجرة الشريفة ووقعوا في مراحمِهِ وعرضه بأن يسمح عنهم، ويحقن الدماء^(٢) بعد أن قبلوا بين أرضه، وقالوا له بصريح الكلام: إن من^(٣) كان مُعاديك يعني «الفلبلي» قد ذاق الحمام وصار في الثرى رمام. فقال لهم: عفى الله عما^(٤) مضى وتجاوز عنكم ما سلف وانقضى. فخرجوا من عنده فرحين وبالغفو مسرورين، واستطمَنَ الخلقُ بالبيع والشراء^(٥) وحصل الأمنُ أمامَ ووراء، وأصلح بين «الْقُمْمُجِي» وبينهم، وقال لهم: قد استوفتُ كل طائفةٍ من الأخرى دَيْنَهُمْ. ومكثَ «بالمدينة» مدة أيام مُراعياً بها الدِّمَامَ إلى أن شاع أنَّ قَصْدَهُ الظَّنَّ، وأعطاهم من الإكرام عطاءً مَنّ، إلى أن ظهرت منه الخيانة وهي من آل البيت النبوي عجب. قبيل الزوال يوم السادس والعشرين من شهر رجب دُعِيَ جميع حكام المدينة فأتوا إليه مستطمنين بالوقار والسكينة، فما راعهم في الحال إلا دهمت عليه في مجلسه الرجال وكَبَلُوهم في القيود والأغلال، وأتت عساكره أفواجاً إثر أفواج، كُلُّ منهم يَظُنُّ ظاهره أنه الأورق إذا هاج، وفي الحقيقة أنهم همَجُ أجاج، يختشي من الحرب نهراً فضلاً عن الليل الداج.

جاءت^(٦) جماعتهُ العبدانُ مع عربٍ سودِ الوجوه، عراة الأست^(٧) كالإبل

(١) في س: الياس، وفي د: الباس وهو تصحيف.

(٢) في س: الدما.

(٣) في د: إن كان معاديك وهو تصحيف.

(٤) في د: عن ما مضى.

(٥) في د الشرا

(٦) في س: جأت، وفي د: جاءت.

(٧) سقطت الاست من د.

وحين ما عين أهل القلعة هذا الأمر أغلق من كان داخلها عليهم البب وعمدوا إلى الأبراج وحرّروا المدافع والبنادق على عرضي الشريف، وما كان بها غير نحو عشرين من الرجال وما بقي فأرامل لا يُحصون وأطفال، وما بقي من أهل «القلعة» فمستغروُن على العهد والميثاق والوعد، ولم يظنوا بأنه مضمِرٌ على النفاق وقد امتطى جادة الشقاق، وإلا لكان له ولهم شان^(١) وأروهُ منازلَةَ الأقران. ويقال إن الشريف لم يفعل ذلك الأمر المخيف إلا بأمرٍ أوجبَ ذلك عنده هو الذي نكث عهده. وذلك أن «مصطفى ابن الكتخدا محمد قُمُومَجِي» كان هو المتحرك لأبيه في هذه الفتنة. وقد ساعده على ارتكاب المِحْن وأعانهُ عليه قَوْمٌ آخرون فقد جاؤا^(٢) ظلماً وزوراً. ولما وصل الشريف «سرور» «المدينة» استنظر منه الإنجاز بالموعود بأن ينتقم لهم مِمَّن كان معادِيهم، وينصب والده كتخدا نوبتجيان كما أولاً كان. فلم يُلح لهم من ذلك الأفق وميضٌ بارق وعَصُوا بريق ظمأ غيظهم فكانوا بين مخنوق وشارق عمد «مصطفى» المذكور وساعده بعض أهل الغرور، إلى كتابِ علي لسان أهل المدينة مُزَوِّر مشحونٍ بالخِدَع والتلابيس والخوض في رحلة البهتان إلى التلابيس، مضمونه من أولئك الأعيان إلى شيخ حرب «قد عَلِمَت ما وقع بيننا في بعضنا من الشرور وما وقع بينكم بعضكم في بعض من مدلهمات الأمور، وكل ذلك من دسائس^(٣) الشريف «سرور»، فغاية الأمر وما فيه إرغام العُمر إن أردت اغتنامَ الفُرصة فَهَلِّمْ إلينا من خارج، ونحن من داخل كي نرهقه

(١) في النسختين: شان.

(٢) في النسختين: جاؤوا.

(٣) في س: دسائس.

الغُصّة، ويَصِيرَ بعدها عِبْرَةً لِمَن اعتبر وقصة، ولك من عندنا غير ما ما
تُحْصَلُهُ منه جانباً من المال وحصّة، فلا يُكُنْ جوابك إلا المجيء وقطع
ذلك الغُصن الرّوي» ونحو هذا من الخزعبلات الدالة على نفاقِ قائِلِهِ
والخرافات، ثم عمد إلى أعرابيٍّ من الجبل قد أعطاه وأعظم له الجُعْلُ،
وقال له: إذا كان الوقت الفلاني تلقاني مع جماعة ناحية «النَّقَا التَّحْتَانِي»،
فمُرَّ بالكتاب علينا ولا تسلمه^(١) إنكاراً إلا بعد جهد جهيد إلينا، ولك
الجُعْلُ وافراً^(٢) وإن شئت خذه إليك حاضراً، ثم عمد إلى خواص الشريف
وقال لهم: إنكم قد استوعبتم المزارات وها هنا قد فاتكم منيف وهو
مسجد «السُّقْيَا» فلا تفوتكم فيه الزيارة ولو لحقتكم الغارة. فهو مسجد
عظيم وفضله جسيم^(٣) فيه يستنزل المطر فيعم أهل الأضاحي والوبر، وكم
ببقيعه من صحابي جليل «كأبي سعيد المقبري» وغيره من تابعي فضيل،
ولم يزل يمثل لهم بزخرف القول وغروره حتى استولى على عقولهم بخفيٍّ
أمره، فخرجوا معه على الوعد مسرعين ولذلك المكان طالبين، وحيث
انتهى بهم الجلوس في ذلك المحل المأنوس برز لهم ذلك الشيطان في
زيّ إنسان، فسألوه عن المحتد، وأين المقصد؟ فزوا عنهم خباياه وفطنهم
لبعض خفاياه^(٤)، فعمد إليه «مصطفى» وقال له: أظهر ما بطن من أمورك،
واختف^(٥) فجدد وأنكر واستعد للهروب وبكر، فمسكه بالتلابيب وقال له:
ضع عنك الأساليب، ثم التفت إلى الجماعة الأعيان وقال لهم: هذا

(١) في د: لآتسلمه.

(٢) في د: وآفرا.

(٣) في د: الاضاحي.

(٤) في د: خفاياه.

(٥) في كلتا النسختين: واختفى وهو خطأ نحوي، لأن الفعل هنا للأمر.

متخفٍ^(١) ولي به خبرة سابقة، إنه عيّن من أعيان جماعة «ابن مضيان» وهو لكشف أخبار البلاد عينه، وقد بان، والحالة هذه كذبة وميئه، فهلموا إليه لا يهرب فلا يسير لنا سلقه عليه، فقاموا عليه وأحاطوا به من خلفه وبين يديه، وأجحفوه بالضرب وهددوه بالقتل والسلب إن لم يخرج لهم ما عنده فأخرج لهم الكتاب بختمه، ففضّوه وقرؤوه^(٢)، ففهموا معناه وأحاطوا على ما حواه فحواه. ثم قام^(٣) به وقاموا، وسبّحوا عدواً في بحر الضلال وعاموا، وأتوا به قاصدين الشريف «سرور» فأخرجوا إليه الكتاب كما هو، ولما قرأه^(٤) طلعت عيناه في أم رأسه وكشّر أنيابه وأضرّاسه، فزادهم ذلك المُفسدُ على البلّة طينة، وحطّ بما شاء^(٥) وكيف شاء^(٦) على أولئك من الهزيمة، فأرسل الشريف ودعاهم، وغدر بمن ذكرنا وفي ظلمة الحبس رماهم. ولما كبس جماعته على «القلعة» لم يكن لهم جواب^(٧) غير تسويد وجهه شريفهم بالخيانة ورمي الرصاص، فقتلوا منهم جماعة وساعدتهم العناية.

قومي إذا خاضوا العجاج حسبتهم ليلاً، وخلت وجوههم أقماراً
لا يبخلون بزادهم عن جارهم عدل الزمان عليهم أو جارا
وإذا الصريح دعاهم لملمة بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا
وإذا زناد الحرب أورت نازها قدحوا بأطراف الأسنة نازا

(١) في كلتا النسختين: متخفي.

(٢) في كلتا النسختين: قرؤوه.

(٣) في د: قاموا وهو خطأ.

(٤) في س: قرأه.

(٥) في س: شأ.

(٦) في كلتا النسختين: كيف شاء، وأثبتنا: وكيف ليستقيم بها سياق العبارة.

(٧) في د: جواب.

وليتَهُ كَشَفَ عن مكنونِ ذلك الكتابِ إنَّ صَحَّ واستبان له الخطأُ من الصوابِ أو كان ذلك مكنوناً في جوف ضميره وذلك لا شكَّ من علامة فُجوره، فكم ذَهَبَ فيها من صالح وكم دُفَّتْ شواهِق صناديد الرجال، وصار أساسُ^(١) بناءِ^(٢) الكل فيها طائح^(٣).

لكن جَزَى اللّهُ أبطالاً «بطيبة» إذ قاموا عليه لِمَا أَبْداه من دَخَلِ خيراً كثيراً عظيماً لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى مَدَى الدهرِ والأزْمانِ والمِلَلِ

وحرروا المدافع على صيوانه^(٤) وجميع عرضيه وخيامه وبيوته التي كان نازلاً بها في «الواجهة»، وَأَجْحَفُوهُ بالرمي وهدموا عليه بعض منازلها، «فخرج منها خائفاً يترقب». ونقبوا البيوتَ ونقلوا عياله وأهله منها سوى الأموال فإنها ذهبت في الحرق والهدم والخرق، وحرقوا بالرَّمْيِ غالب عرضيه من رجال وخيل وجمال وخيام ومحال وأثاث وأموال. وصارت جماعة الشريف يعملون على «القلعة» أنواع الخِدَع فيكون مرجعُ وبالهم عليهم. وكانت هذه «القلعة» من بناء السلطان «سليمان» كما يَأْتِي راسخةً البنيان، شَرَفُها يحكي نجومَ السماء ويقصُرُ عنه الطرف، لكن وما، تجاري السحاب ويزلق الطرف فيها كأنها سراب يُضْرَبُ بها المثل في الارتفاع والشهوق، تكاد تلامس ذروة نجوم الثريا والعيوق، فكان^(٥) الهامة لها عمامة، أو نملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قامة، ومن جملة ذلك

(١) لم ترد الكلمة واضحة في س.

(٢) في س: بنا.

(٣) في د: طايح.

(٤) في د: صيوانه.

(٥) في د: فكان.

أنهم تَسَوَّرُوا عليهم «السُّورَ» بالسلام غير مرة، وكان شيخُ العبيد من خيار رجال الشريف «سرور»، ففطنوا بهم ورموا عليهم الحجارة، فأنزلوهم إلى أن كادوا يصلوا تخومَ الأرض ووقعت الحجارةُ على رأس شيخ العبيد فهشكت البيضة في رأسه، وخدمت روحه بأنفاسه. ثم تنبهوا لمثل هذه القضية فعملوا كشانيات مثثة أينما حَلَّتْ جلست، وكانوا إذا أحسوا بشيء من ذلك شَبُّوا النار فيها ثم رموها موضع ما أحسوا. فتكشف لهم الرجال فينزل عليهم صيب الوبال ويقتلونهم كيف ما شاؤوا^(١) واستمروا^(٢) على مثل هذه الأحوال مدة أيام وليالٍ إلى أن ضاق الشريف «سرور» بما وقع عليه من الشرور وعزم على السفر وكان حين أغلق باب القلعة على من كان فيها كان من جملتهم نخولي صبي^(٣) «لدرويش عبد العال» فضاق ذرعه، وأخرجه^(٤) على حين غفلة من «القلعة» ففطن به من أهل «المدينة» ممن يميل للشريف فأخذه وأوصله للشريف، وقال له: هذا الآن خرج من «القلعة» وهو صبي «لدرويش عبد العال» فسأله^(٥) الشريف عما في «القلعة» من الرجال فقال: نحو عشرين مقاتل وما بقى نساء وأتباع وأطفال. فهده بالقتل إن لم يقر بالصحيح ويبين ذلك بالصريح، فقال له: واللَّهِ ما قُلْتُ زوراً ولا أتيتُ فُجوراً، فيقال إنه ضحك وقال؛ هذا القدر، ويفعلون^(٦) في

(١) في كلتا النسختين: ما شاؤوا.

(٢) في د: واستمر وهو تصحيف.

(٣) في كلتا النسختين: صبياً، توهما على أنها خبركان، بينما الخبر الذي تم به معنى الجملة هو شبه الجملة المقدم (من جملتهم) فتكون مرفوعة على اعتبار أنها صفة لاسم كان المتأخر (نخولي).

(٤) في د: وأخرجه.

(٥) في كلتا النسختين: فسأله.

(٦) في كلتا النسختين: يفعلوا وهو خطأ.

فِعَلَ القَدَر، ثم إنه حرض الرجال على اشتداد الحرب والنزال، وساعدهم كثير من أهل المدينة ممن يميل لأولئك الأرجاس فلم يزدادوا إلا انهزاماً وانعكاساً^(١)، وصار الشريف يحرض بنفسه العساكر ويبني بيديه بروج خدع والدساكر، فلم يزداد إلا انهضاماً^(٢) ويرجع هباءً^(٣) ما بناه من الركام. ولما طال عليه الحال واشتد عليه القتال قال: إننا ننام وأولئك لا ينامون، ونحن جموع مجمعة وهم شرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون، وإنا لجميع منهم حاذرون، فليت شعري لا كان الله لمن أغراني حتى دهاني ما دهاني، فلاصبرن عليها صبر الكرام ولأناوشهم^(٤) الحرب ثلاثة أيام فإن كان كالماضي فأنا ذاهب عنهم وماضٍ وإن لم أكن بذلك راضٍ^(٥)، فنزل عليهم بخيله ورجله وكشف عن لثامة برقع خجله، واستمر عليها إلى وفاء وعده فلم يلح له برق رعه، وكان «ما استقبل أوديته عارضاً فيها عذاب أليم». وذاق بما كسبت من الوبال أشد عذاب عظيم فعزم على السفر بعد أن سقى من خبال سقر. وأمرهم بشد الأحمال وربط الأثقال خفافاً وثقالاً^(٦)، ونادى في الرجال: لا يأتين جنح الليل وقد بقي لكم خيط أو ميل. فكان ذلك عليهم أشد مما ذاقوه، وركضوا بجرأة عزمهم في ميدان البهتان وتوجهوا أولاً من القيل. فأبى إلا الرحيل ومنادمة السفر الطويل، فزادهم ذلك صنعاً ووهنوا ووضعوا وضعاً. وكان عند الشريف رجل مغربي فاجر

(١) في كلتا النسختين: انعكاس وهو خطأ.

(٢) في كلتا النسختين: انهضام وهو خطأ.

(٣) في كلتا النسختين: هبا وهو خطأ.

(٤) في د: ولأناوشهم.

(٥) في كلتا النسختين: راضي.

(٦) في س: وأثقال، وفي د: وثقال.

يدعى بـ «الساحر». ولما رأى ما هم فيه من الأحوال وكثرة القيل والقال، جاء^(١) إلى الشريف وقال له: الآن تأخذ «القلعة» ويحصل لك بذلك غاية المنعة. وفي الحقيقة أنه عند الله وَضَعَهُ وبأغراض نفسه الخبيثة عند الشيطان رَفَعَهُ. فدعى بطست قد ملئ^(٢) ماء^(٣) وقص جلوداً على صور الأوادم في لون الدماء^(٤) ووضعهم في ذلك الماء^(٥) وصار يتلو [العهد]^(٦) وقال له: ليكن جماعتك بغاية الحضور مجموعين نواحي السور فإذا رَأَوْا الرَّمِي قد همد فليرتقوها على العمد. فكان الأمر كما ذكر ولم يكن ذلك ببال بشر خطر، فما كان بعد حصه حتى أشرق أولئك بالسحر وَعَصَّه، وهمد الرَّمِي وضل كل منهم^(٧) عن هُدَاهُ وعمى، فخرقوا السور من ناحية «باب الصغير» وطلبوا منهم الأمان فما كان جوابهم إلا الحسام والسنان.

كَأَنَّهُمْ فَتَحُوا أَقْلَاعَ مَالِطَةِ سَلُّوا السُّيُوفَ وَجَاؤُوا^(٨) شَارِعِي^(٩) الْأَسَلِ

وَأَذْرَعُوهُمْ قَتْلًا وَسَلْبًا وَفَتْكَأَ وَنَهْبًا، وهتكوا المحرمات وأسروا الرجال والبنين والبنات وعاملهم معاملة قسوة لا تلين ما سمعنا بمثلها في أبنائنا الأولين، ثم إِنَّهُ جَهَّزَ أَحْوَالَهُ لِلْمَسِيرِ وَأَخَذَ نَحْوَ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ

(١) في س: جأ.

(٢) في س: ملأ.

(٣) في س: ما.

(٤) في كلتا النسختين: الدِّمَا.

(٥) في س: الما.

(٦) في س: الهد، وفي د: الهدوما، وما أثبتناه يتمشى مع المعنى الذي يرمي إليه سياق العبارة.

(٧) أضيفت في هامش س.

(٨) في كلتا النسختين: وجاؤوا.

(٩) في كلتا النسختين: شارع.

«المدينة» في شرك مخالبيه أسيراً^(١) ولم يترك من النهب ما جل وقل والسلب، ولا ممن وقع في مخاليب أسره من الرجال سوى رجلين: أحدهما «عثمان سردن» والآخر «عمر عبد العال» لكونه أصابه في وجهه صواب أضلّه عن سبيل الصواب. فأودعاً مَحْبُوسَيْن وبالنكال الأليم عند «اليمن» مَعْصُوصِينَ، وَعُزِّزًا بثالث في الحبس خادم «لِعُمَرَ» المذكور كان لنعمته غرس، إلى أن فرَّج الله عنهم بكرمه والمنن بعد إخراج «اليمن». ولما توجه الشريف من «المدينة» بجنوده المرتبكة لثمان بقين من شعبان نحو «مكة» المشرفة وضع نحو أربعمائة من «اليمن» ووضع وزيراً عليهم «محمد بن (. .) العَدَوَانِي المَضَايْفِي». ولما وصل الشريف إلى «مكة» مسك بعضهم عنده في النكال الشديد والوبال الأبيد وأرسل بعضهم على «القنفذة» وبعضهم على «الهند»، وشتت بعضهم^(٢) في البلاد الطرائف^(٣) والتلاد، واستمروا كذلك إلى أن فرَّج الله عنهم وأطلقهم (انتهى).

قُلْتُ: لم يُحَسِّن الخطيب «عبد الرحمن بن حسين الأَنْصَارِي» في هذه الفتن التعبير وارتكب الأمر الخطير، فقد ذكر بصريح العبارة في هذه الفتنة بلا تعمية ولا إشارة إن «مصطفى بن الكتخدا محمد فَمُقْمَجِي» كان هو المحرك لأبيه في هذه الفتن، وقد ساعده على ارتكاب المحن، وإن مصطفى المذكور كتب كتاباً مُزَوَّراً على لسان أهل المدينة إلى شيخ «حرب» يحثونه على^(٤) المجيء إلى «المدينة» بجماعته لقتال الشريف «سُرُور» من خارج وهم من داخل، إلى أن قال: فزادهم (يعني «مصطفى

(١) في كلتا النسختين: أسير وهو خطأ.

(٢) في كلتا النسختين: وبعضهم شتتتهم في البلاد.

(٣) في كلتا النسختين: الطرائف.

(٤) في كلتا النسختين: بالمجيء بدلاً من على المجيء.

بن الكتخدا محمد قمقمجي) على البَلَّةِ طينة، وخط بما شاء وكيف^(١) شاء على أولئك من الهزيمة، ولو عدل عن هذه الألفاظ غير اللائقة^(٢) لكان أسلم^(٣) فقد ذكر السيد النسابة جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين (الشهير بابن عِنَبَة) في كتابه (عُمدة الطالب في نسب آل أبي طالب): «أن أبا المحاسن نصر الله بن عُنين الدمشقي الشاعر توجه إلى مكة (شرفها الله تعالى) ومعه مال وأقمشة فخرج عليه بعض بني داود فأخذوا ما كان معه وسلبوه وجرحوه. فكتب إلى الملك العزيز ابن أيوب صاحب اليمن وقد كان أخوه الملك الناصر أرسل إليه يطلبه ليقوم بالساحل المفتوح من أيدي الإفرنج، فزهدده ابن عنين في الساحل، ورغبه في اليَمَن وحرَّضه على الأشراف الذين فعلوا، به ما فعلوا وأول القصيدة:

أعيت صِفَاتُ نِدَاكَ المِضْقَعِ اللِّسِنَا وَجُرَّتْ فِي الجُودِ حَدَّ الحُسْنِ والحَسَنَا
وما تريدُ بِجِسْمٍ لا حَيَاةَ لَهُ من خَلَّصَ الزبَدَ ما أَبْقَى لك اللَّبَنَا

ومنها:

ولا تَقُلْ سَاحِلَ الإفرنجِ أَفْتَحُهُ فما يُسَاوِي إذا قَايَسْتَهُ عَدَنَا
وإن أردتَ جِهَاداً فَازِو سَيْفَكَ من قَوْمٍ أَضَاعُوا فُرُوضَ اللّهِ والسُّنَنَا
طَهَّرْ بِسَيْفِكَ بَيْتَ اللّهِ من دَنَسٍ وما أَحَاطَ به من خِسَّةٍ وَخَنَا
ولا تَقُلْ إنهم أولاد فَاطِمَةَ لو أدركوا آلَ حَرْبٍ حَارَبُوا الحَسَنَا

(١) في كلتا النسختين: كيف شاء.

(٢) في كلتا النسختين: اللائقة.

(٣) لم يثبت في نص: س من تعليق حسين هاشم المدني على عبارات عبد الرحمن الأنصاري إلا قوله «لم يحسن الخطيب عبد الرحمن بن حسين الأنصاري في هذه الفتن التعبير وارتكب الأمر الخطير، ولو عدل عن هذه الألفاظ غير هذه الألفاظ غير اللائقة لكان أسلم».

فلما قال هذه القصيدة رأى في النوم فاطمة الزهراء^(١) البتول وهي تطوف بالبيت فسلم عليها فلم تجبه، فتضرع وتذلل وسأل عن ذنبه الذي أوجب عدم جواب سلامه، فأنشدته الزهراء:

حاشا بني فاطمة كلهم من خِسةٍ تَعْرِضُ أَوْ مِنْ خَنَا
وإنَّما الأيَّامُ في عَدْرِها وفعَلها السُّوءُ أساءتُ^(٢) بِنا
إِنْ أَسَا^(٣) مِنْ وَلَدِي واحِدٌ جَعَلتْ كُلَّ السَّبِّ عَمداً لَنَا
فَتُبَّ إلى اللَّهِ، فَمَنْ يَعْتَرِفُ^(٤) ذنِباً بنا يَغْفِرْ لَهُ ما جَنَّا
واكْرِمَ بَعِينِ^(٥) المُصْطَفَى جَدِّهم ولا تُهِنْ مِنْ آلِهِ أَعْيُنًا
فَكُلُّ ما نالَكَ مِنْهُم عَنَّا تَلَقَى بِهِ في الحَشْرِ مِنَّا هَنا

قال أبو المحاسن نصر الله بن عتّين^(٦): فانتبهت من منامي فزعا مرعوباً وقد أكمل الله عافيتي من الجراح والمرض فكتبت هذه^(٧) الأبيات وحفظتها وتبت إلى الله تعالى مما قلت وقطعت تلك القصيدة وقلت:

-
- (١) في س: الزهرا.
(٢) في د: أساءت.
(٣) في كلتا النسختين: إذا أسى، وفي «عمدة الطالب»: ألا أسى، وما أثبتاه هو في ديوان الشاعر ابن عنين نفسه (انظر الشرح الإنكليزي).
(٤) في كلتا النسختين: و «ع»، «الطالب» يقترف بدلاً من يعترف وما أثبتناه هو ما ورد في ديوان الشاعر.
(٥) في كلتا النسختين: لعين بدلاً من عين وما أثبتناه هو ما ورد في «ع. الطالب»: ديوان الشاعر.
(٦) سقطت «هذه» من كلتا النسختين.
(٧) سقطت «هذه» من كلتا النسختين.

عُدْرًا إِلَى بِنْتِ نَبِيِّ الْهُدَى تصفح^(١) عن ذَنْبِ مُسِيءٍ جَنَى
وَتَوْبَةً تَقْبَلُهَا مِنْ أَحِي مَقَالَةً تُوقِعُهُ فِي الْعَنَا
وَاللَّهِ لَوْ قَطَّعَنِي وَاحِدٌ منهم بِسَيْفِ الْبَغْيِ أَوْ بِالْقَنَا^(٢)
لَمْ أَرِ مَا يَفْعَلُهُ سَيِّئًا بل أَرَاهُ فِي^(٣) الْفِعْلِ قَدْ أَحْسَنًا

وقد ذَكَرَ هذه القصة أيضاً السَّيِّدُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ «نُورُ الدِّينِ عَلِي السَّمْهُودِي الشَّافِعِي» فِي كِتَابِهِ (جَوَاهِرُ الْعُقَدِينَ فِي فَضْلِ الشَّرَفِينَ) وَقَالَ «هذه القصة مشهورة، مسطرة في ديوان ابن عُنين^(٤)، وقد ذكرها البادراوي^(٥) فِي كِتَابِهِ (الدَّرُ النَّظِيم). انتهى.

قال الخطيب «عبد الرحمن بن حسين الأنصاري» (رحمه الله) . .

«الفتنة السادسة»

فتنة أهل المدينة مع «اليمين» التي غدت حكاية في جبهة الزمن: وذلك أنه لما فعل ما فعله^(٦) الشريف «سرور» من عظيم^(٧) المفاسد في

(١) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ: أَتَصَفَّحُ بَدَلًا مِنْ تَصَفَّحَ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مَا وَرَدَ فِي «ع. العالم» وَدِيَوَانَ الشَّاعِرِ.

(٢) فِي ع. الطَّالِبِ: الْقَنَى بَدَلًا مِنَ الْقَنَا.

(٣) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ، وَفِي «ع. الطَّالِبِ»، وَفِي دِيَوَانَ الشَّاعِرِ: أَرَهُ، وَأَثْبَتْنَا «أَرَاهُ» لِيَسْتَقِيمَ بِهَا الْوِزْنَ.

(٤) د: عَيَّنَ وَهُوَ خَطَأً.

(٥) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ: الْبَارِزِي وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ رِوَايَةُ «ع. الطَّالِبِ».

(٦) فِي د: مَا فَعَلَ.

(٧) سَقَطَتْ مِنْ د.

المدينة والشور، ولم يكتف بما فعله في أهل المدينة من غدر بالرجال حتى كَمَل ضلاله بوضع اليمن في هاتك المجال، فأحلَّهم قلعة السلطان يسكنونها^(١) بتمليكهم فكانوا على الحالين أفجر من مليكهم، أشد أذى^(٢) على الأمة غلاظاً^(٣)، لا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمَّةً بل يرسلون عليهم من نار البغي شواظاً^(٤) وترابطوا على المعصية والعدوان واستبَقُوا، وانتظموا في سلك الطغيان واتَّسَقُوا، وسقوا الأمة من ماء البلايا حميماً وجرفوهم على جرف هار المهانة والرزايا فقطع لهم صميماً. فمن جملة أخبارهم وأحوالهم القبيحة وآثارهم أنهم إذا أُمرَ عليهم أو رأوا أحداً من علماء الإسلام والإيمان قالوا: هذا من القسيسين والرهبان أو عباد الأصنام والأوثان، وكانوا لا يسمُّون المدني إلاً يهودياً^(٥) أو نصرانياً^(٦) أو وثنياً^(٧) وإذا أراد أحد يبتاع شيئاً من طرف السوق يأتي بالدراهم الزائفة^(٨) التي لا رسم عليها ولا عروق، فإن ردَّها تسبب لأذية نفسه، وإن كظم غيظه وأخذها فقد استضر بفلسه. وهذا دأبُّهم أبداً وبعض فعالهم أمداً، فضجت الناس إلى الله برفع البأس^(٩) فناداهم لسان الحال:

(١) في كلتا النسختين: يسكنوها.

(٢) في كلتا النسختين: إذا.

(٣) في كلتا النسختين: غلاظ، لأنَّ ميل المؤلف إلى التَّسجيع يدفعه إلى التَّسكين.

(٤) في كلتا النسختين: شواظ.

(٥) في كلتا النسختين: يهودي.

(٦) في كلتا النسختين: نصراني.

(٧) في كلتا النسختين: وثني.

(٨) في كلتا النسختين: الزائفة.

(٩) في كلا النسختين: البأس.

قد آن لكم انحلال عقد الأحوال وقلتُ :

وما هي إلا شدةٌ وستنقضي ويبدو^(١) مجيءُ النقص عند تمامها
وقيل :

إذا تَمَّ أمرٌ بدا^(٢) نَقْصُهُ تَوْفَعُ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمَّ

ولما كان ليلةً أربع وعشرين من شهر رمضان قام بعض الرعية وأخذته
النخوة الإسلامية، واجتمعوا في بيتٍ لهم على الانفراد لئلا يظهر لهم على
المراد، وتعاهدوا على نصره الإسلام وهجم القلعة على اليمن اللئام،
ووكّل^(٣) بعضهم بعضاً الخواص بتعبئة^(٤) البارود وصب الرصاص، ثم
تشاوروا في كيفية ذلك وكيف لنا الدخول في مثل هاتيك المهالك،
فقالوا: يعمد أحدنا إلى مجلس الوزير الكائن برأس «العنبرية» ويحرقه من
غير أن يفتن به في هذه العشية ونحن نتزين الدور الكائنة بقرب «القلعة»
و«السور»، فإذا خرج الوزير لِمَا دهمه من الأمر الخطير هجمنا عليهم
القلعة وأوصلناهم إلى أقصى القلعة. فتمموا وفعلوا ما عزموا عليه،
وانتظروا بعد تزيينهم تلك البيوت مجيءَ خبر حرق الكشك إليه، فما كان
قدر فواق حتى دهمه من ذلك الأمر انعاق، فخرج ركباً فرسه لينظر كيف
صار غَنّاً بالاحتراق ما غرسه، فلم يكن ببعيد من مأواه حتى جاء بعض من
نصره أولاً وآواه، وقال له: أين المسرى؟ وقد دهمك البلاء^(٥) من أمام

(١) في د: يبدو وهو خطأ.

(٢) في مخطوطة الديوان المنسوب إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ذنى بدلاً من بدا.

(٣) في كلتا النسختين: واكلوا وما أثبتناه هو الأفصح لغوياً.

(٤) في كلتا النسختين: تعبئة.

(٥) في س: البلاء.

وورا. فأخذه بيديه ورجع ناكصاً على عقبه ولما استظمن قي قلعته وأمن من روعه^(١) بعد أن أغلق عليه «القلعة» من بغتة سأل^(٢) من نصحه وقمعه عما كاد يهلكه وفضحه فأخبره بكمال الصورة وكأنه استشعر من مرآه^(٣) بعض اطلاع^(٤) على تلك السريرة. ولما رأى أولئك أنه قد خانهم التدبير وهوى بهم إلى حضيض قعر البئر^(٥)، خرجوا طالبين الفرار لأنه لا مقعد لهم ولا قرار، فصادفوا بعد أن خرجوا من مقرهم بعض اليمن في «الحمّاطة» على ممرهم، فواحداً قتلوه وآخر سلبوه، ثم صاح الصائح^(٦):
«ألا انفروا يا آل «طيبة» وعجلوا بكامل عدتكم والعيبة. فما صدق الناس بمثل هذا الكلام حتى خرجوا «من كل حذب ينسلون» كالركام، وصارت اليمن منهم من يتسلل لواداً ومنهم من يطلب ملجأ^(٧) وملاذاً، وحشر منهم في «بئر لسبيل الحاكم» المقابل «لباب المصري» نحو خمسة وعشرين ظالماً^(٨)، فأخرجوا وقتلوا عن آخرهم وقتلوا من وقعوا عليه ممن كان في طرف الشريف وقطعوهم لدابرههم. وإماماً كان من أمر الموكلين «بالقلعة السلطانية» من تلك الطائفة الخارجية الشيطانية فإنهم لما رأوا^(٩) ما دهمهم من ذلك الأمر المنساب بادروا كالبرق إلى غلق الباب، ثم طلّعوا إلى

(١) في د: يروعه وهو تصحيف.

(٢) في س: سئل، وفي د: سل.

(٣) في س: مرآة، وفي د: مرآه وهو تصحيف.

(٤) في كلتا النسختين: اضطلع وهو خطأ.

(٥) في كلتا النسختين: البير.

(٦) في كلتا النسختين: الصايح.

(٧) في د: ملجأ.

(٨) في كلتا النسختين: ظالم وهو خطأ نحوي.

(٩) في س: راوءا، وفي د: راوا وهو تصحيف.

الأبراج ورموا^(١) هَتَّانَ مناقع البنادق والمدافع على الأوعار والفضج واستمروا على مثل هذه الأفعال مدة شهر وليالٍ وصار يطلع عليهم بعضُ أهل المدينة إلى بعض البيوت المُشْرِفة عليهم الحصينة ويرامونهم منها بالبنادق فيهدموا لهم الرجال^(٢) وينكسوا لهم البيارق، واستمروا معهم مدة أيام وهم معهم في شدةٍ وآلام. كل ذلك ولم يكثرث بهم أحد بل إن الطفل صار يستجلب له النوم بصوت المدافع في المهد، ومع هذا لم يُقتل أحد بتلك المدافع والبنادق المنساب وإبلها الهَتَّانِ سوى بقرةٍ وشاب أته باردةٍ أو آخر^(٣) رمضان، غير أنهم كانوا خائفين من مجيء جرّده من عند شريفهم أو نجدة، فتشاوروا فيما بينهم وأرسلوا لليمن بأن يخرجوا بالأمان «فما زادهم ذلك إلا فجوراً وطغياناً»^(٤). فقال لهم الرسول «إني ناصح لكم أمين».

ووالله إنكم لم تدوقوا حرباً ولا طعناً ولا ضرباً، فإن أبيتم أن تكونوا سناناً فستدوقوا الليلة وما بعدها الحرب، وإن مدافعكم المحررة لم تصب أحداً سوى شاب وبقرة «وإني لكم ناصح أمين فاتقوا الله وأطيعون» فلم يزدهم ذلك إلا فجوراً، وركوب عمياً وغروراً. ولما وصل أهل المدينة هذا الخبر كان أنكى عليهم من وخز الإبر، وعزموا على الحرب وشدة الطعن والضرب، وطلعوا في الليل إلى تلك البيوت الشاهقة وأنزلوا على من بالقلعة صواعق الداهية الماحقة، وقتلوا منهم جمعاً لا يُحصى وصوّبوا

(١) في س: ارموا وهو تصحيف.

(٢) في كلتا النسختين: الرجال وهو تصحيف.

(٣) في د: أوخر وهو تصحيف.

(٤) في كلتا النسختين: طغيان وهو خطأ نحوي.

من لا يدخل تحت عد ولا يستقصى وكذلك في كل ليلة على مثل ذلك فصاروا ينامون واليمن لا ينامون^(١)، وأصابهم وبال النكال إن قعدوا أو قاموا، ثم وقعت المشورة فيما بين الحكام بأن يحفروا نَقْباً^(٢) تحت بعض الآطام ويفتكوا عليهم جدار السور ويهبوا على أولئك صرصر الشمال وريح الدُّبور. فجاء الخبر لليمن بما أضمره فوهى جدار بنيان تدبيرهم بعد أن عمروه، وعلموا أن «لات حين مناص»، وتحققوا إن لم يعجلوا بطلب الأمان الإخلاص^(٣). فأشاروا على وزيرهم بطلب الأمان وحرصوا عليه في ذلك التسليم والأمان وقالوا: لئن لم تُسَلِّم طوعاً لا طاعة لك علينا ولا سمعاً فقال لهم: إن الجردة تأتيكم عن قريب فتأخذوا بثأر^(٤) من قُتِلَ منكم بأوفر نصيب. فقالوا له: لا يفيد الكلام ولو كانت تأتينا بعد ثلاثة أيام. وتعين له الجِدِّ والتعدي فوق الطَّورِ والمحدِّ، فأرسل وطلب الأمان، فأمنوا على أن يخرج بما عليه كل إنسان، وأن يجدوا «عمر عبد العال» والآخر سالمين. فخرجوا على الشرط المذكور، وتركوا جميع ما في القلعة مدخوراً^(٥) ووضعوا في جبخانة البارود حبلاً طويلاً قد شُبُّوا رأسه بالفتيل نكاية منهم بالمسلمين^(٦) لأنهم من القوم الظالمين، فأطفؤوه^(٧) ورجع عليهم الوبال. وكان ذلك يوم الاثنين لسبعة عشر خلت من شوال

(١) في كلتا النسختين: لا يناموا وهو خطأ نحوي.

(٢) في كلتا النسختين: لغياً وهو تصحيف.

(٣) في كلتا النسختين: أن لا خلاص.

(٤) في س: بثار، وفي د: بثاركم.

(٥) في كلتا النسختين: مدخور وهو خطأ نحوي.

(٦) في كلتا النسختين: للمسلمين.

(٧) في س: فأطفؤوه، وفي د: فأطلقوه وهو تصحيف.

من غير أن يُؤذي أحدٌ بحالٍ فله الحمد على أحسن حال، وقد أرخ^(١) ذلك سيدي «عبيد الرحمن بن سيدي الجد عبد الكريم الأنصاري» في بيتين فقال:

خَرَجَ الْوَزِيرُ بِشِيعَتِهِ^(٢) وقد انْقَلَعُوا أَقْوَى^(٣) قَلْعَهُ
وَأَتَى فِي الْحَالِ مُؤَرِّخُهُمْ خَرَجَ الزُّيُودُ مِنَ الْقَلْعَهُ

«فمدة الحصار ثلاثة وعشرون يوماً ثم بادروا بالتعمير نحو خمسة أيام ما خرب من السور»^(٤).

الفتنة السابعة: سنة ١١٩٤: أربع وتسعين ومائة^(٥) وألف.

فتنة الجردة: وما كان لهم بالحرّة من جرده. وذلك أن الشريف «سرور» لما بلغه ما وقع على اليمن من الشرور أخذته الرأفة والحمية على طائفته اليمنية واستفزته الحمية الجاهلية على مجاوري الحضرة النبوية، فشخر ونخر، وعبس وبسر، وأدبر واستكبر، وقام وقعد، ثم فكر وقدر وقال إن هذا إلا سحر يؤثر، بمثلَى يفعل هؤلاء البشر «سأصليهم سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي عليهم ولا تذر، لَوَاحَةٌ للبشر». وأرسل عليهم من نار الوبال شواظاً^(٦)، بجنود كالليل شداد

(١) سقطت من د.

(٢) في د: أموي وهو تصحيف.

(٣) في د: لشيعة وهو تصحيف.

(٤) سقطت العبارة التي بين القوسين بتمامها من نص د.

(٥) في س: مائة.

(٦) في كلا النسختين: شواظ وهو خطأ نحوي.

غلاظ، لا يعصونني^(١) فيما به أمرهم ولا يستطيع أحد يُعاملني بما
أعاملهم، لندرنَّ عليهم مناهل المناقع، فلتدرنَّ الرجال آجالاً والديار
بلاقع. ثم عمد إلى نحو ألف مقاتل ما بين رامح ونابل، وفارس
وراجل، وكاسر وساجل، أظلم من سواد الليل، يحملون مناقع المنايا
والويل، وعليهم الشريف «ناصر بن مستور». فخرجوا من «مكة» بكامل
العُدِّ والعُدِّد، مسرعين في السير يَخْدون فِجَاجَ مَهَامِهِ الأوعار، متسرلين
بسرِبال النكال والبغي، ومتحلين بجلباب حلي البوبال والطَّغْي، فلم يزلوا
كذلك بين أغوارٍ وأنجادٍ وقطع مهامه وأوهاد إلى أن قَرَبوا من البلاد
ووطئوا^(٢) لهم في «العَرِيض» مهاداً^(٣). فجاء خبرهم إلى مَنْ «بالمدينة»
من الرجالِ لِسَتْ بقين من شهر شوال فلم يرْعهم ذلك الخبر المهول،
ولم يعبأ بهم أن يذكر سيرتهم أحد أو يقول^(٤). ولما أصبح وأضاء بنوره
ولاح ونادى منادي الفلاح بحي الفلاح، شمر للهروب جيش ظلام الليل
وأتى جيش النور^(٥) عَدَواً خلفه، مضمراً للذيل، برز من خلف السور نحو
ثلاثين هصوراً^(٦) ليس معهم سوى خمسة بنادق، وما بقي فبالعصي
والبيض والسمر الخوارق العواتق، استهتاراً بتلك الأندال لئلا يقال
خرجوا لنا بكامل العدة والرجال، ثم توجهوا لهم وأولئك أقبلوا
وأخلصوا أمرهم لله وإليه تبتلوا، فما كان دون فواق حتى حصل بينهم

(١) في كلتا النسختين: لا يعصوني.

(٢) في س: ووطءا: وفي د: ووطئوا.

(٣) في كلتا النسختين: مهاد، وهو للسَّجَع.

(٤) أضيفت في هامش د.

(٥) تكررت في نص د.

(٦) في كلتا النسختين: هصور وهو للسَّجَع.

التلاق، ودهم كل منهم على الآخر وهجم وآدهم^(١)، وزحفوا على بعضهم بعضاً «في حرة دشم» وأحاط اللثام بالكرام، وضيقوا عليهم بذلك الجيش الطام، وأطلقوا عليهم الأعنة وأشاروا نحوهم بالأسنة، وظنوا أنهم آخذيهم بحسب الظن والتخمين وتلى^(٢) عليهم لسان ظلمهم «أنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين». فناداهم لسان حال المدنيين وتلى^(٣) عليهم «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».

وابنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقِنَاعِيسِ

ثم رشقوهم بسهام المنايا وفروهم بحسام الرزايا وأولوهم بجرافات الآلام شراً ونجوا منهم كما نجى «تأبَّطُ شِراً»، ثم عطفوا على ميمنتهم فكسروها وعلى ميسرتهم فخذلوها وحطموها وعلى جناحيهم والقلب، فقلبوهم مع السَّاقَةِ أَي قَلْب، واستمر بينهم الحرب والطعان قدر فواق من الزمان، فأنزل الله نصره على المؤمنين وجعل كيده على القوم المجرمين، فطلبوا الفرار ولا فرار وولَّوا الأَدْبَارَ بالإدْبَارِ.

مَضَوْا مُتَسَابِقِي الْأَعْضَاءِ فِيهِ لِأَرْؤُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ
إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضُّوءَ عَنْهُمْ دَجَا لَيْلَانَ: لَيْلُ وَالْعُبَارُ^(٤)
وإنْ جُنْحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عَنْهُمْ أَضَاءَ الْمَشْرِفِيَّةِ وَالنَّهَارُ
إِذَا فَاتُوا الرَّمَّاحَ تَنَاوَلْتُهُمْ بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارُ

(١) في كلتا النسختين: والدهم.

(٢) في كلتا النسختين: تلا.

(٣) في كلتا النسختين: تلا.

(٤) في كلتا النسختين: وجا ليل سليل والغبار وهو خطأ، والتَّصْحِيحُ من ديوان الشعر لأنها من شعره (انظر الشرح الإنجليزي).

يَرَوْنَ الْمَوْتَ قُدَّاماً وَخَلْفاً فَيُخْتَارُونَ، وَالْمَوْتُ اضْطِرَارٌ

وطلبوا الخلاص فلا خلاص، وتيقنوا أن «لات حين مناص». فعادت ظهورهم ذرقاً للأرماح وعواتقهم أقرباً للصفاح وخيلهم تهوي بهم في تلك الفيافي هويّ الرماح، وعاد إلى الظلمة ضوء نورهم والمصباح، فكانوا كالمستسلمين يُقتلون^(١) ويُسلَّبون^(٢) وكالمنهمكين في اصطباح الغرور يهتكون ويُنهبون^(٣).

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام

وألقى الله في قلوبهم الذلة، ورماهم بالعجز والقلة، وأعلَّهم بكل مرض وعة، فرموا عن جسداهم السلاح، وملؤوا^(٤) الجو خوفاً بكثرة الصياح، وأبقوا إلى الجبال وأبقوا العُبار في يد الرماح، فهووا^(٥) هرباً في مهامه حضيض الهزيمة والقتل، وتراهم ينظرون إليك خاشعاً أبصارهم من الذل. فقطعوا مسافة السفر في أدنى مدة وهم يتخيلون الرجال معهم من الجهات الست بكامل العدة، ولسان الحال ينشدهم:

أين المفر ولا مفر لهارب إلا ظلال البيت والأزماع

فلم يزالوا يفرون تلك البراري والقفار فرّي الأديم ذي^(٦) الفقار، لم

(١) في كلتا النسختين: يقتلوا وهو خطأ نحوي

(٢) في كلتا النسختين: يسلبوا وهو خطأ نحوي.

(٣) في كلتا النسختين: يهتكوا وهو خطأ نحوي.

(٤) في كلتا النسختين: ملؤوا.

(٥) في كلتا النسختين: فهوا.

(٦) في كلتا النسختين: ذا وهو خطأ نحوي.

يقر لهم قرار لا ليل ولا نهار، إلى أن وصلوا إلى شريفهم أرسالاً، لا يستطيعون رفع طرفهم ولا ردّ سؤالاً، فاشتبهت قصتهم بمقاتلة أهل المدينة بهذا الجيش قصة محاربة رسول الله ﷺ «ببدر» كفار قريش ولما رآهم الشريف بتلك الحالة تيقن قبل سؤالهم^(١) بأنهم ذارت عليهم المَحالة، ثم سألهم عن كامل الحقيقة بما وقع عليهم بالذرة والدقيقة فأخبروه بما صار عليهم من الهزيمة من شذمة أهل المدينة، فتعجب من ذلك غاية العجب وتاه في صَبوح غُرُوره والطَّرب، ثم دعى مَنْ عنده من الأسرى رجال المدينة الأسرى، وقال لهم مستفهماً^(٢) بلسان المقال: هل تركت في المدينة رجالاً للقتال؟ فقالوا له: إنك لم تأخذ أحداً من الشجعان بل من يُهمد شعل نيران الحرب والطعان، وكل من رأته في بلادنا ما بين أغوارنا وأنجادنا فلا يستطيع أحد من رجالكم أن يُذكر معه بل ولا يرضى أن يكون عيلة عليه أو تبعه فتنفس الصعداء^(٣)، وقال: بارك الله فيهم حموا بلادهم ووقفهم الله وهدى^(٤). وبعد مدة قليلة أطلق من عنده من الأسرى، وكان رجوع الجَرْدَةِ إلى مكَّة ودخولهم فيها لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة وقال الشيخ «عمر بن^(٥) عبد السلام الداغستاني» (رحمه الله تعالى):

(١) يا من تَوَلَّع بالتَّشبيبِ والغَزَلِ وقد صَبَا في مَلِيحِ العُججِ والكَحَلِ
(٢) باهى الجمالُ الذي قد حاز مَبْسُمُهُ عِقْدًا من الدُّرأِ وخَمْرًا من العَسَلِ

(١) في س: سئلهم، وفي د: سألهم.

(٢) في س: مستفهم وهو خطأ نحوي.

(٣) في س: الصعداء.

(٤) في كلتا النسختين: هدا.

(٥) في س: ابن.

- ٣) كم ذا التَّصَابِي نحو الحِسانِ وَكَمْ
٤) تَمِيلُ لِلغَيْدِ لا تَنْفِكُ عَن كَلْفِ
٥) دَعِ التَّعْزَلَ فِيهِمْ كَم تَغَازِلُهُمْ
٦) وَاذْكَرْ لِمَنْ قَتَلُوا فِي «طَيْبَةَ» بَطْرًا
٧) فِي طَيْبَةَ الْمُصْطَفَى، دَامَتْ مُعْظَمَةً
٨) كَم جَاءَنَا مِنْ حَدِيثٍ فِي فِضَائِلِهَا
٩) وَكَمْ قَدْ أَوْصَى بِلا رَيْبٍ لِأُمَّتِهِ
١٠) بَشَرٌ لِكَائِدِهَا أَوْ مِنْ أَرَادَ بِهَا
١١) أَمَا سَمِعْتَ بِمَا قَدْ صَارَ فِي بَلَدِ
١٢) مِنْ مُحَدَّثَاتِ أُمُورٍ أَحْدَثَتْ فِتْنًا
١٣) جَاءَ الشَّرِيفُ «سُرُورٌ» ذُو الشُّرُورِ بِهَا
١٤) فَارْتَاعَتِ النَّاسَ مِمَّا قَدْ رَأَوْا فَرَعًا
١٥) قَالُوا عَسَى تَحْصِلَ الْأَفْرَاحُ مِنْهُ لَنَا
١٦) فَأَمَّنَ النَّاسَ تَسْكِينًا لِخَاطِرِهِمْ
١٧) وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ مَقْتَصِدًا
١٨) فَلَمْ يَرُعْنَا سِوَى مَسْكَ الرُّؤُوسِ وَقَدْ
- تكون صبا، وعنهم أنت لم تحل
بأهيف القد، ذاك الزجاج الكفل
وعن مغاني الهوى واللهو فارتحل
ونح عليهم بدمع منك منهمل
بالعز من قبل والإكرام لم تزل
عن النبي، الشفيح، الطاهر الكامل
بحفظ جيرانه من كل منتحل
سوءاً يذوب كذوب الملح في البلل
المختار طه المرجى سيد الرسل
والناس في شغل منها وفي شغل
في جحفل سائل قد سد للسبل
وأسلموا الأمر للرحمن فهو ولي
ويحصل الأمر فينا غير مفتعل
من المخاوف من مكر ومن حيل
كأنه قاصد للخير في العمل
غدا لقلعتنا بالغدر في أمل

٧ - في س: جأنا، فضائلها، وفي د: جاتنا.

٩ - في س: كايدها، وفي كلتا النسختين: سوا.

١٣ - في س: سائل بدلاً من سائل.

١٤ - في س: الرحمان بدلاً من الرحمن.

١٧ - في كلتا النسختين: قاصداً وهو خطأ نحوي.

١٨ - في س: الروس، وفي د: الرؤوس:

- ١٩) فَمَنْعُوهَا رِجَالَ الْحَرْبِ جِيرَتَهَا
٢٠) فَبَعْدَ ثَالِثَةٍ لَمَّا هُمُوا غُلِبُوا
٢١) لَوْ أَنَّهُمْ طَلَبُوا الْكُفَّارَ مَا طَلَبُوا
٢٢) جَاءَتْ جَمَاعَتُهُ الْعِبْدَانُ مَعَ عَرَبٍ
٢٣) كَأَنَّهُمْ فَتَحُوا إِقْلَاعَ «مَالِطَةَ»
٢٤) فَصَارَ مَا صَارَ مِنْ سَفْكَ الدَّمَاءِ وَمِنْ
٢٥) وَنَهَبَ أَمْوَالَ خَلْقِ اللَّهِ وَاسْفَا
٢٦) شَتُّوا عَلَى الْقَلْعَةِ الْغُرَاءَ غَارَتَهَا
٢٧) وَأَخْرَجُوا أَهْلَهَا مِنْهَا بِظُلْمِهِمْ
٢٨) كَمْ قَتَلُوا مِنْ صِنَادِيدٍ مُكْرَمَةٍ
٢٩) كَمْ هَتَكُوا عِرْضَ رَبَّاتِ الْخُدُورِ وَقَدْ
٣٠) هَلَكَى، حَفَايَا، عَرَايَا، فِي مَكَابِدَةٍ
٣١) أُصِيبَ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِينَ مَعَ وَلَدٍ
٣٢) رِجَالَهُنَّ عَدَوْا أَسْرَى، كَأَنَّهُمْ
٣٣) مِقْدَارُ خَمْسِينَ فِي الْأَغْلَالِ قَدْ أُخِذُوا
٣٤) فَيَا لَذَلِكَ مِنْ يَوْمٍ قَدْ انْفَطَرَتْ
- وقاوموهُ وليسوا منه في فَشَلٍ
قالوا الأمان وأين الأمن من خَتِلٍ
منه لأعطوهم التَّامِينَ بالعجلِ
سُودِ الوجوه، عُرَاةِ الأست كالإِبِلِ
سَلُّوا السُّيُوفَ وَجَاؤُوا شَارِعِي الأَمَلِ
هَتَكَ العيال مع الصبيان والخَوْلِ
وا حسرتاهُ على ذا المُنْكَرِ الْجَلَلِ
بَنَهَبِ أَسْبَابِهَا الباقِي من الأَوَّلِ
بسوءِ حالٍ، وهتكِ مَعَهُ متصِلِ
كَمْ قَتَلُوا مِنْ شَجَاعِ بِاسِلِ بَطَلِ
خَرَجْنَ مِنْ فَعْلَةِ الأَوْعَادِ وَالسَّفَلِ
من بعد ما كُنَّ فِي الأَثْوَابِ وَالْحُلَلِ
وفي النفوس، وهذا حكمةُ الأَزَلِ
عبيدُ تلك العبيدِ السُّودِ كالجعلِ
وأهلهم في عويلٍ غيرِ مُنْفَصِلِ
به القلوب لهذا الأمرِ والخَلَلِ

٢١ - في د: التَّامِينَ بدلاً من التَّامِينَ .

٢٢ - في س: جأت وفي د: جاءت .

٢٣ - في كلتا النسختين: جاءوا .

٢٤ - في س: الدماء .

٢٦ - في س: الغرا .

٣٢ - كلمة غدوا غير واضحة في نص س .

- (٣٥) ترى الأنام حَيَارَى من فَعَائِلِهِمْ
عقولهم مثل عقل الشارب الثَّمَلِ
(٣٦) فَقَيَّدُوهُمْ جميعاً في السلاسل والأغلا
ل كالسبي تحت الذل والخجل
(٣٧) وحين راح وفي الأسواق مرَّ بهم
يُحذِّرُ الناسَ أَنْ كُونُوا على وَجَلِ
(٣٨) فنسأل الله مولانا الكريم بأن
يَفْكَ عَسْرَهُمْ من فَضْله الهَطَلِ
(٣٩) فليته لو رعى للمصطفى ذمماً
وحرمةً، فعفى عن صَاحِبِ الزَّلَلِ
(٤٠) هذا وولى وزيراً من جماعته
قليل خير، عديم العقل، كالوعَلِ
(٤١) كثير جور، عظيم الكبر تحسبه
عِلْجاً من الروم ضخماً غير محتفل
(٤٢) أحله قلعة السلطان يسكنها
في عسكر كقُرُودِ البَرِّ والجبل
(٤٣) فذا لعمري عجيب في الأنام غدا
يحتاج يذكر في التاريخ والمثل
(٤٤) فأظهر البغي والعدوان، يظلم مع
أمر عظيم على الإفساد مُشْتَمِلِ
(٤٥) لكن جزى الله أبطالاً بطيبة إذ
قَامُوا عليه لما أبداه من دَخَلِ
(٤٦) خيراً كثيراً عظيماً، لا يعد ولا
يُحصى مدى الدهر والأزمان والمَلِ
(٤٧) فقتلوا فوق عشرين لعسكره
وقد شَفُوا منهم للذل والغل
(٤٨) عَتَوْا على الناس من جهل ومن سفه
وجاوزوا الحد في فُحْشٍ وفي خَطَلِ
(٤٩) قالوا سنترككم عن أهل طيبة من
طَعَانِنَا رِمماً تحت القنا الذبل
(٥٠) فما مضت مدة إلا وقد تُرِكُوا
كما أرادوا بهم في شرُّ مُقْتَتَلِ
(٥١) فَأَعْلَقَ القلعة العرا وزيهرهم
وقام يحربنا بالجد لا الكسل

٣٥ - ف س فعائلهم .

٣٨ - في كلا النسختين : فنستل .

٤٣ - في د : غدى .

٤٧ - في د : للدر بدلاً من للدل وهو تصحيف .

- ٥٢) فكم رَمَوْا من مَدَافِيعِ بلا عَدَدٍ
٥٣) فَمَا أَصَابَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ غيرَ فَتَى
٥٤) فَحَاصِرُوهُ بها من بعدِ ما مَنَعُوا
٥٥) فحينما قد رأى عَجْزاً به طلب الأمان
٥٦) فَأَخْرَجُوهم بلا ضُرٍّ ولا نكِدٍ
٥٧) فحينَ أسمعَ ذي الأخبارِ سيدهم
٥٨) فَأَرْسَلَ الجُرْدَةَ التَّعْسَاءَ لاظْفِرَتْ
٥٩) فَقَابِلُوهم رِجالَ الحَرْبِ في دَشَمٍ
٦٠) كم أَنزَلُوا فارساً بالعِزْمِ من فَرَسٍ
٦١) كَرُّوا عليهم ففِرُّوا حينما عَلِمُوا
٦٢) وَذَاكَ في عَامِ أَلْفٍ بعدَهُ مائة
٦٣) بِذَاكَ عن طَيْبَةٍ قد زالَ ملكُهُم
٦٤) لكن بحمدِ إِلِهِ الخَلْقِ خالِقِنَا
٦٥) سلطاننا المَلِكِ العَالِي وَمَالِكُنَا
٦٦) منها القلوبُ لقد سُرَّتْ وقد فَرِحَتْ
٦٧) هبت بناديه رِيحُ النَّصْرِ عَاطِرَةٌ
- وارعَبُوا لِقُلُوبِ النَّاسِ بِالقُلُلِ
أَضْحَى شَهِيداً من الجَنَّاتِ في ظُلُلِ
عليه ماءً وَزَاداً وهو في مَلَلِ
منهُم فاعطُوهم بلا مَهَلِ
مع الأمان واجلُوهم بلا جَدَلِ
أنغاطَ حتى امتلأَ بالهَمِّ والعِلَلِ
لأهلِ طيبةَ في جَمْعٍ من الهَمَلِ
في مَعْرِكٍ من صياحِ الحربِ في زَجَلِ
كم قتلوا منهم يا صاحٍ من رجلِ
مِنْ أن قُرَيْبُهُم يُذْنِي إلى الأَجَلِ
من قَبْلِ أربعِ مَعِ تَسْعِينَ إن تَسَلِ
فهل سمعتَ بِمُلْكٍ غيرِ منتَقِلِ
جَاءَتْ لَنَا نَجْدَةٌ من مالِكِ الدُّولِ
«عبد الحميد» مليكُ الوقتِ خَيْرُ ولي
والنَّاسُ مِلَانَةٌ بالأنْسِ والجذَلِ
على الدوامِ مدى الأَبْكارِ والأَصْلِ

٥٤ - في كلتا النسختين : ماء .

٥٥ - سقطت كلمة طلب من نص د .

٥٨ - في كلتا النسختين : التعساء .

٦٤ - في س : جأت : وفي د : جائت .

٦٦ - في س : ملآنة .

٦٨) وَدَامَ فِي الْمُلْكِ تَأْتِينَا بِشَائِرُهُ مَا اهْطَلَتْ سُحُبٌ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ إِلَى أَنْ قَالَ (رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى): ثُمَّ تَوَلَّى مَشِيخَةَ الْحَرَمِ مُحَمَّدَ جَوْهَرَ آغَا دَارِ السَّعَادَةِ سَنَةَ ١١٩٩ هـ تَسَعٍ وَتَسْعِينَ وَمِائَةً وَأَلْفٍ وَاسْتَمَرَ فِي الْمَنْصِبِ إِلَى أَنْ تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٠٣ هـ ثَلَاثَ بَعْدِ الْمِائَتَيْنِ وَالْأَلْفِ^(١). وَفِي أَيَّامِهِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَتَيْنِ حَدَثَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ عَسَاكِرِ الْمَدِينَةِ، وَسَبَبُهَا أَنْ بَعْضَ مُحِبِّي الْمَدِينَةِ أَشَارَ عَلَيْهِ بِعِزْلِ كِتْخَدَا نُوْبَجْتِيَانِ أَحْمَدَ رَجَبٍ وَنَصَبِ عَبْدِ اللَّهِ مَدِينِي فَعَمَلٌ، وَوَقَعَتِ الْمَشَاحِنَةُ بَيْنَ الْوَجَاقَاتِ وَتَعَصَّبَ كَثِيرٌ مِنَ النُّوْبَجْتِيَةِ بِرَدِّ الْكِتْخَدَا أَحْمَدَ رَجَبٍ وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ الْقَلْعَةِ، وَلَمَّا رَأَى الْكِتْخَدَا أَحْمَدَ رَجَبَ زِيَادَةَ الْحَالِ تَعَفَّفَ عَنِ الْمَنْصِبِ وَطَلَعَ إِلَى «قَبَاءِ»^(٢) إِطْفَاءِ^(٣) لِنَارِ الْفِتْنَةِ وَكَانَ قَاضِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِسْمَاعِيلَ أَفْنَدِي^(٤) كَاتِبَ زَادِهِ، وَكَانَ رَجُلًا مَبَارَكًا فَصَارَ يَتَفَوَّهُ وَيَقُولُ: «وَاللَّهِ وَأَنَا»^(٥) حَيٌّ بِالْمَدِينَةِ لَا تَقَعُ فِتْنَةٌ فِيهَا أَبَدًا». فَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى (رَحِمَهُ اللَّهُ). وَفِي يَوْمِ وَفَاتِهِ ضُحْوَةُ النَّهَارِ مَا فَطَنَ النَّاسَ إِلَّا وَأَهْلُ الْقَلْعَةِ وَمَنْ فِي طَرَفِ أَحْمَدَ رَجَبٍ نَزَلُوا الْمَحْكَمَةَ السُّلْطَانِيَّةَ وَمَدْرَسَةَ بَابِ الرَّحْمَةِ، وَمَسَكُوا الْمَسْجِدَ وَجَمِيعَ مَا حَوْلَهُ وَأَطْلَقُوا عَلَى أَوْلِيئِكَ الطَّائِفَةَ^(٦) رَمِيًّا بِالْبِنَادِقِ عَامًّا وَكَادُوا يَضْبُطُونَ «الْحَارَةَ» وَأَثَارُوا عَلَى جَمِيعِ مَا بِهَا

(١) ما بين القوسين سقط من نص د.

(٢) في كلتا النسختين: قبا.

(٣) في س: أطفأ، وفي د: اطفأ.

(٤) غير واضحة في نص د.

(٥) في كلتا النسختين: أناجي، وأضفنا الواو قبل العبارة ليستقيم بها سياق الكلام.

(٦) في س: الطائفة.

الغارة. ولما^(١) وصل الخبر إلى شيخ الحرم خرج من بيته مدهوشاً وقال: «اذهبوا إليهم وأرضوهم بما يكون ليُطفئوا»^(٢) نار الحرب فإن كان يرضيهم قتلي أسلم لهم نفسي، وإن كان يُسفرُّوني سافرت في هذا اليوم». فذهب إليهم وسائط^(٣) الخير وقالوا لهم بذلك. فقالوا: «كل ذلك لا نريد، وإنما طلبتنا يسيرة ویدنا عن طلب مثل ذلك في حقه قصيرة، بل يُعزل عبد الله مديني من المنصب ويُصبَّ أحمد رجب فقال: «آتوني»^(٤) به». فأنزلوه من مكانه ونصبه ودقَّت التوبة وتوجَّه كلُّ منهم إلى منزله، وطُفئت^(٥) الفتنة في تلك الساعة، كأنها لم تكن، وفتحت الدكاكين وحصل البيع والشراء. فانظر إلى كرامة هذا القاضي ولطافة هذا الآغا^(٦). (رحمهم الله وإيانا أجمعين). انتهى ما أردت جمعه في هذه الرسالة وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وكان الفراغ من جمْعها صباح يوم الثلاثاء غاية ذي الحجة الحرام ختام سنة ست بعد الثلاثمائة^(٧) والألف بقلم جامعها الفقير إليه عزَّ شأنه «جعفر بن السيد حسين بن المرحوم السيد يحيى هاشم الحسيني المدني. غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

(١) غير واضحة في نص س.

(٢) في كلتا النسختين: ليطفئوا.

(٣) في س: وسائط.

(٤) في س: ايتوني، وفي د: اتتوني.

(٥) في كلتا النسختين: طفيت.

(٦) في س: الآغا.

(٧) في س: الثلاثماية.

THE LITERATURE OF MEDINA IN THE TWELFTH CENTURY
A.H. (EIGHTEENTH CENTURY A.D.) EXAMINED FROM CONTEM-
PORARY SOURCES, WITH A CRITICAL EDITION OF ONE OF
THESE SOURCES:

AL-AKHBār AL-GHARĪBA FĪ DHIKR Mā WAQCA BI - TAYBA
AL-HABĪBA

BY Ja^CFAR HāSHIM AL-HUSAYNĪ

A Thesis

Presented for the degree of Ph. D.

By

ASIM .A. Hamdan

Part Two

Manchester, 1986

[Dept. Middle Eastern Studies]

INTRODUCTION TO THE TEXT OF AL-AKHBār

INTRODUCTION TO THE TEXT OF AL-AKHBār AL-GHARĪ- BAH FĪ DHIKR Mā WAQA^CA BI-TAYBAH AL-HABĪBAH

The Author

Ja^Cfar ibn Husayn ibn Yahyā Hāshim al-Madanī belonged to the family of al-Hāshim, who emigrated to Medina in 1170 - 1756 with their forefather⁽¹⁾, Hāshim ibn Ibrāhīm al-Mūsawī al-Rūmī al-Ahsā'ī, well known as kuduk Bāshā. Some of Medina's poems were composed by Ja^Cfar's fater Husayn, who took over the presidency of the Prophet's Mosque (Mashyakhah al-Haram)⁽²⁾ (1157 - 1744), and his grand father Yahyā, who was the ocer of medina's Court (Kātib al-Mahkamah)⁽³⁾. As regards Sayyid Ja^Cfar himself, I have not been able to discover much about his life, but Hāfiz mentioned that he was an intellectual and literary man. He was born and died in Medina in 1342 - 1923. He wrote many books, one of them dealing with Medina's history⁽⁴⁾. The manuscript which is here edited may well be the autograph of his al-Akhbār al-Gharībah fī Dhikr mā waqa^Ca bi-Tayba al-Habībah.

(1) Al-Ansārī, Tuḥfat al-Muḥibbīn, ed. Muḥammad al-carūsī al-Matwīl (Tunis, 1970) p. 487f.

(2) Ibid., p. 489.

(3) Ibid., p. 488.

(4) Abd al-Salām Hāfiz, al-Madīnah al-Munawwarah fī al-Ta'rīkh, 2nd ed. (Cairo, 1381 - 1961) p. 161.

The Sources used by Ja^Cfar Ibn Husayn

In the introduction to al-Akhhbār, the author promised that he would cite the names of the books and authors quoted by him⁽¹⁾, and from his references we may classify his sources in the following categories.

1 - Historical sources: these included al-kalām fī Bayān Umarā' al-Balad al-Harām and Asnā al-Matālib fī Najāt Abī Tālib, both by Ahmad Zaynī Dahlān (d. 1304 - 1886). Our author fulfilled his promise and cited the relevant passages in these two sources. We have checked his quotations and have found them to be accurate⁽²⁾.

2 - Genealogical sources: these include Tuhfat al-Muhibbīn Wa'l-Ashāb fī Ma^Crifat mā li'l-Madaniyyīn min Ansāb, by ^Cabd al-Rahmān al-Ansārī (d. 1197/1782); ^Cumdat al-Tālib fī Nasab āl Abī Tālib, by Ahmad ibn ^CAlī al-Husaynī (Ibn ^CInaba) al-Dāwūdī (d.828/1424); and Jawāhir al-Iodayn fī Fadl al-Sharafayn, by Nūr al-Dīn ^CAlī al-Samhūdī (d. 911/1505). We have also been able to check all the author's citations from these works and in this category also his references prove accurate⁽³⁾.

3) Literary sources: our author cited passages of verse by famous Medinan poets, but in these cases he was not so precise in his references. On some occasions he would introduce his citations with the words, "The poet said in his Dīwān.." as in the case of some of al-Sayyid Ja^Cfar al-Baytī's⁽⁴⁾ poems⁽⁵⁾, but he failed to give any other information concerning the Dīwān of al-Baytī, i.e.

(1) Al-Akhhbār, p. 1.

(2) See respectively p. 11, 1.7 and p. 15, 1.2.

(3) See respectively p. 10, 1.2, p. 98, 1.2, and p. 99, 1.11.

(4) For his biography, see p. 4, 1.4.

(5) He used this formula in two places: al-Akhhbār, p. 17 & p. 20.

Which copy of the *Dīwān* he referred to and its locality, or other necessary details. He also failed to mention the sources of his quotations from other poems by al-Baytī⁽¹⁾, as well as other poets like Muhammad SaCīd Safar⁽²⁾ Yūsuf al-Ansārī⁽³⁾, and Ahmad al-Jāmī⁽⁴⁾. He simply introduced the poet by his name and his verse with the word, "Qāla..." ("He said...")⁽⁵⁾, or "Anshada..." ("He recited...")⁽⁶⁾. This lack of careful referencing of citations, which is customary in modern writings, was apparently not so necessary at the time when JaCfar ibn Husayn wrote. It seems reasonably likely that in writing for his contemporary readers, who were familiar with the poets cited and their works, there was no need to mention precise sources of his quotations. Although I consulted the available works of these poets, like *Dīwān* al-Baytī, in order to check the poems which comprise part of the book, I failed to trace some other verses in the original sources. This no doubt serves to show that these original poetic works are no longer extant, which in itself demonstrates the importance of al-Akhhbār as an original source for some lost works, which are necessary in the study of many aspects of the intellectual life of that period.

4) There remain some sources cited in al-Akhhbār which we have failed to trace, such as al-Rawd al-Actar⁽⁷⁾ and al-Durr al-Nazīm⁽⁸⁾. In consequence, we must remain ignorant of their nature

(1) Al-Akhhbār, p, 18, 27.

(2) For his biography, see p. 47, 1.7.

(3) For his-biography, see p. 66, 1.15.

(4) For his - biography, see p. 66, 1.1.

(5) Al-Akhhbār, p. 39.

(6) Ibid., p. 70.

(7) Ibid., p. 17.

(8) See p. 99, 1.12f.

and how for our author has been accurate in his quotation from them.

The Contents of al-Akhhbār and its Author's Literary competence

The text of al-Akhhbār is of value in that it deals with the history of Medina in the little-studied twelfth/eighteenth century, which is of importance for the following reasons:

1) The advent of Islamic revivalism in the Arabian Peninsula. Muhammad ibn ^Cabd al-Wahhāb came to Medina as a relatively young scholar and studied under Muhammad Hayāt al- Sindhī who, according to scholars, exerted an important influence on Ibn ^CAbd al-Wahhāb⁽¹⁾.

2) Medinan society came under a considerable development because of the emigration from the Islamic world to Medina. This would explain the tendency which arose with some of Medina's intellectuals of that period to attach greater importance to Medina's family histories.

3) It was a distinguished period in terms of literary movements, in which some of Medina's poets are considered to have made valuable contributions, including the production of long poems called Malāhim⁽²⁾. These poems faithfully reflect the political, religious, and social life of the times. Medina's history was largely based on accurate descriptions of what was happening in the place which used to be the capital of the Muslim empire.

4) Medinan society suffered at this period from a great deal of trouble arising which arose from the struggles between Medina's

(1) See pt. 1, p. 50.

(2) On Malahim, see Pt. 1, ch. 5, p. 10 - 105.

population, and some of the Bedouin tribes (in particular the Harb) who combined with their allies the Banū ^ĀAlī and the Aghawāt, whose particular work was to look after the Prophet's Mosque. These groups dominated the administrative affairs of Medina during this period, being authorised by the Turkish government, who thus disregarded the wishes of Medina's inhabitants and indeed expelled many of them from the city.

The introduction to al-Akhhbār shows that it was evidently the author's intention to record the social events which took place in Medina during the twelfth/eighteenth century, which by implication involved reference to the political status of the city, its links with the Arab provinces, and its place within the Ottoman Empire. Ja^Āfar ibn Husayn began to record the important events from 1111/1699 and ended in 1203/1788-9, a period which witnessed no less than five occasions of civil strife (fitan, p 1 . of Fitna). Since, however, the author depended heavily on the poetical works of the famous Medinan poets of the twelfth/eighteenth century, this led him to mention some details of their involvement, their anger, and their purposes in writing, which itself adds an important aspect to the value of the book, since it provides us with a fair overview of the literary life of Medina during that period of time. Thus, our study is not merely a historical curiosity, but treats both the political and intellectual life of Medinan society in the twelfth/eighteenth century.

Ja^Āfar ibn Husayn lived in a period which has come to be considered one of decline in Arabic language. Thus, he himself recorded some words of the colloquial language of Medina, such as the word ⁽¹⁾ خصماني ("my opponents"), or expressions such as ⁽²⁾ ينزلون صلاة الصبح ("they came down to the sunrise prayer"). If

(1) Al-Akhhbār, p. 56.

(2) Ibid., p. 57.

this last expression were to be judged by the standards of Classical Arabic, then the verb dhahaba ("to go") should have been used rather than nazala ("to come down"), while if the verb nazala were used, then it would be more appropriate in conjunction with a preposition. In other places also, the author showed relaxation of grammatical rules, as in his sentence: مُشَبِّى الفتنَة

("the people who encourage the civil strife").

According to the principle of idāfa (the genitive construction), the last letter of the word مُشَبِّين should have been omitted and replaced by the letter Vā, thus: مُشَبِّى⁽¹⁾

Ja^Cfar ibn Husayn, like most of his contemporary writers, tried to decorate his writing by figures of speech, and he would sometimes take liberties with received convention. Thus, in his sentence.

وقال له أين المسرى؟

وقد دهمك البلاء من أمام وورا.

He omitted the last letter of the word Warā', i.e. the hamza, writing instead warā in order to suit by Saj^C (rhymedprose) the preceding word al-masrā. This is a liberty taken for the sake of rhetorical effect.

Throughout his book, Ja^Cfar ibn Husayn followed the common tendency of quoting some extracts from early Arabic poetry in order to illustrate the events which he was recording and at the same time to embellish his own writing by the most attractive examples of Arabic writing, which were poetry. The citation of classical authors would also demonstrate his own good taste, as for example when he quoted the famous poet al-Mutanabbī in different

(1) We have corrected the phrase in the text. See Ibid., p. 56, 1. 17.

places⁽¹⁾. He was, however, sometimes inaccurate in his poetical quotations, as for instance in his citation of Imām Muhammad ibn Idrīs al-Shāfi⁽²⁾.

Ja^Cfar ibn Husayn showed his feeling for quality in poetry when he criticised verse that was weak in both meaning and form. So, when he referred to the poem of ^CUbayd Kuduk⁽³⁾, which sought to follow the bahr (poetical metre) and the qāfiyya (rhyme) in imitation of Ja^Cfar al-Baytī's poem⁽⁴⁾ composed on the events of 1156/1743, our author criticised kuduk's poem, which ran into 152 lines, by describing its contents as feeble and its form as unbalanced⁽⁵⁾.

In another place, it is possible that our author might be criticised for his inclusion of the story which he cited from Ibn ^Cinaba's ^Cumdat al-Tālib, where it is implied that the poet Ibn ^CUnayn⁽⁶⁾ saw in a dream the Prophet's daughter Fātima al-Zahrā' and exchanged poetry with her. Ibn ^Cunayn recorded this story in his *Dīwān* and Ibn ^CInaba included it in his *Cumdat al-Tālib* without any discussion. Ja^Cfar ibn Husayn, however, was not aware of the nature of the story and was not inclined to discuss its content and so he recorded it, but with reference to its original sources.

The Manuscripts

Two manuscript copies of al-Akhhbār have been used to es-

(1) See al-Akhhbār, p. 106, 1.18 - 22 & p. 107, 1.6.

(2) Ibid., p. 62f.

(3) For his biography, see p. 3, 1.6.

(4) See al-Akhhbār, p. 27 - 38.

(5) Ibid., p. 61f.

(6) For his biography, see p. 98, 1.2.

establish the text following. The first is in the private library of al-Ansārī family and contains 100 pages. The size of the page is 12 x 7 cms., every page having 21 lines, with 9 words to each line.

The first page has an introductory note concerning the original book that was found damaged. This was written by ^ᶜabd al-Rahmān ibn Husayn ibn ^ᶜabd al-Rahmān Ibn ^ᶜAbd al-Karīm al-Ansārī⁽¹⁾, whom Ja^ᶜfar ibn Husayn refers to throughout al-Akḥbār with the phrase: "Qāla al-Khatīb Husayn al-Ansārī..." In view of this preceding work, our author states his wish to summarise the contents, since he felt that some information needed also to be added from other sources. He undertook to refer to the names of authors and books quoted by him, since he did not wish to be blamed for any incorrect information, for he made it his aim to re-write the facts in an accurate manner. He called himself a compiler⁽²⁾.

This copy is particularly important because it is written in pleasant and clear handwriting (naskh). It contains notes in the margin and between the lines, and the full vowel-pointing is often used in poetic passages. The colophon contains this statement concerning the date of completion: "Tuesday, the last day of Dhū al-Hijja, 1306", i.e. 1919. It is followed by the name of the scribe. The photocopy of the manuscript was made available to me by courtesy of members of al-Ansārī family.

The second copy also belongs to a private library in Mecca, called al-Dahlawī Library, the library which contains valuable manuscripts on the history of Hejaz and which has become incorporated into al-Haram al-Makkī Library. The manuscript is num-

(1) See p. 1, 1.7.

(2) Introduction, p. 1f.

bered 2755 in the biography section and it contains 118 pages. The size of the pages is 21 x 17 cms. And every page has 17 lines, with 9 words to each line. The handwriting is a sloping naskh, but the marginal notes are fewer than in the first copy. It ends without mentioning the name of the scribe, or the date of its completion. It has, however, been suggested⁽¹⁾ who the scribe might be: Ibrāhīm Kharbūtī, the former librarian of C-Arif Hikmat Library in Medina.

(1) Muhammad Sālih JumCa, Catalogue of al-Haram al-Makkī's Manuscripts, Sect. History & Biography (1392/1972) p. 10.

P. L.

- 1 4 Al-Ansārī relates that Sayyid Husayn ibn Yahyā was a traveler in Islamic countries. He visited Bilād al-Ri (Anatolia), Egypt, and Baghdad. He also entered Bilād al - °Ajam (Iran) and stayed there for some time. (°Abd al-Rahmān al-Ansārī, *Tuhfat al-Muhibbīn wa'l-Ashāb fī Ma°rifat mā li'l-Madaniyyīn min al-Ansāb*, ed. Muhammad al-°Arūsī al-Matwī [Tunis, 1390/1970] p. 490).
- 1 5 AL-Ansārī records that Sayyid Yahyā ibn Hussayn was born in Medina in 1146/1733. He was appointed Kātib al-Mahkama (court recorder) and he was known as a writer and poet. (*Tuhfat al-Muhibbīn*, p. 487).
- 1 7 The name of °Abd al-Rahmān ibn Husayn al-Ansārī is mentioned only by Muhammad Mahjūb al-°Umarī al-Hajjār, who stated that he was the only living descendant of the Ansārī family in 1184/1770. He called him al-mu'allif ("the author"). (*Mukhtasar Tuhfat al-Muhibbīn wa'l-Ashāb fī Ma°rifat mā li'l-Madaniyyin min Ansāb*, °-Arif Hikmat Library, Medina, MS. No. 3803).
- 1 7 Husayn al-Ansārī: al-Dāghistānī, the original source, records his poem on one of the battles between the inhabitants of Medina and the authority, called Al-Fitna al-Rābi°a (1189/1775), but he failed to mention the dates of his birth and death. Some time later, al-Baytār cited al-Dāghistānī's infor-

mation, adding to the biography that he died after A.H. 1200. (°Umar ibn °Abd al-Salām al-Dāghistānī, Tuhfat al-Dahr wa-Nafhat al-Zahr fī Shu°arā' al-Madīna min Ahl al-°asr, Topkapi Saray Medina MS. No. 519, p. 59 - 61; °Abd al-Razzāq al-Baytar, Hilyat al-Bashar fī Ta'rīkh al-Qarn al-Thālith 4444ashar [Damascus, (1389/1963) vol. I, p. 556 - 8).

2 3 Hāfiz relates in his work on Mashyakhat al-Haram that it was the top authority of Medina's administration which had the privilege of direct contact with the Turkish government. The Shaykh al-haram had to be appointed according to the following conditions:

1. He had acquired judicial experience;
2. He had worked for the Mashyakhat al-Islām in Istanbul;
3. He must be Turkish.

(°Alī Hāfiz, Fusūl min Ta'rīkh al-Madīnat al-Munawwara [Jeddah, 1388/1968] p. 30f).

Burckhardt gave a satisfactory account of the post of Shaykh al-Haram: "The chief of the eunuchs is called Sheikh el Haram; he is also the chief of the mosque, and the principal person in the town; being consequently of much higher rank than the Aga, or chief of the eunuchs at Mekka. He is himself a eunuch, sent from Constantinople, and usually belonging to the court of the Grand Signor, who sends him hither by way of punishment or exile, in the same manner as Pashas are sent to Djidda. The present Sheikh el Haram had been formerly Kislār Agassi, or prefect of the women of the Emperor Selym, which is one of the first charges in the court. Whether it was the dignity of his former employ, of which the eastern grandees usually

retain the rank through life, even if they are dispossessed of it, or his new dignity of Sheikh el Haram, that gave him his importance, I am unable to say; but he took, on every occasion, precedence of Tousoun Pasha, whose rank was that of Pasha of Djidda, and of three tails; and the latter, whenever they met, kissed the Sheikh's hands, which I have seen him do in the mosque. (Travels in Arabia, repr. [London, 1968] p. 343f).

In Burton's time, the post of Shaykh al-Haram was occupied by a Turkish Pāshā, as he recorded: "The principal of the Mosque, or Shaykh al-Haram, is no longer a neuter. The present is a Turkish Pasha Osman, appointed from Constantinople with a salary of about 30,000 piastres a month. His Naib or deputy is a black eunuch, the chief of the Aghawat, upon a pay of 5000 piastres. The present principal of this college is one Tayfur Agha, a slave of Esmā Sultanah, Sister to the late Sultan Mahmud". (Personal Narrative of a Pilgrimage to Al-Madinah & Meccah, vol. I [London] p. 371).

- 2 4 Shāhīn Ahmad āghā took the presidency of the Prophet's Mosque in 1108/1696, but he was dismissed from his service in ā/1699 because of his involvement in the Banū °Alī's uprising with the inhabitants of Medina. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 63).
- 2 5 Banū °Alī: the Banū °Alī originated with Harb's tribe, a branch of a tribe called CAwaf min Masrūh. They live around Medina in al-Harrat al-Sharqiyya, Qurayza, and al-Mab^c-uth. Some of the members of the Banū °Alī live in Najd and are headed by al-Qarm. They owned many palm-groves in Medina and were known as a powerful tribe.

(Sharīf Masā^c-ad Ibn Mansūr Ibn Surūr, unpublished notes written about some of the tribes of Hejaz). Al -Bilādī relates further of the Banū ^cAlī that they are reputed to be ^cAlawī. They represent a third part of Masrūh, most of whom settled in Najd, While some of them still live around Medina because they originally came from there. (^cAtīq Ibn Ghayth al-Bilādī, Nasab Harb [Mecca, 1399/1979] p. 4).

Burckhardt also recorded some details about the Banū ^cAlī: "In the Eastern Desert, at three or four day's journey from Medina, lives a whole Bedouin tribe, called Beni Aly, who are all of this Persian creed". (Op.cit., p. 371). "Beni Aly - These are of the Persian creed, and followers of Aly. In numbers they amount to five hundred matchlocks. A few of them are settlers. They possess some watering places, situated in fertile spots, where they sow corn and barley, but continue to live under tents and pass the greater part of the year in the Desert".(J.L. Burckhardt, Notes on the Bedouins and Wahábys, vol. II [London, 1967] (p. 32). Burton, however, disputed with Burckhardt on the settlement of the Banū ^cAlī, recording it more correctly as the ^cawālī district: "Burckhardt alludes to this settlement when he says, "In the Eastern Desert, at three of four days journey from Medinah, lives a whole Bedouin tribe, called Beni Aly, who are all of this Persian creed". I travelled to Suwayrkiyah, and found it inhabited by Benu Hosayn. The Benu Ali are Badawin settled at the Awali, near the Kuba Mosque; they were originally slaves of the great house of Auf, and are still heretical in their opinions". (Op. cit., vol. II, p. 3). Some of the Banū ^cAlī still live in al-^cAwālī district in Medina, as Hogarth recorded: "One of the subsections of the [^cawf], the Beni

°Ali (a turbulent lot of Shiahhs), cultivate [the plantations] about Kubah in the °Awalī plains". (D.G. Hogarth, Hejaz before World War I, 2nd ed. Rev. [Cambridge, 1978] p. 38f).

- 2 6 "Harra, a basalt desert, "a district covered with black broken stones, which looks as if it had been burned by fire". Such Harras, which owe their origin to subterranean volcanoes which have repeatedly covered the undulating desert with a bed of lava, are found particularly in the east of Hawrān and stretch from there to Medina. Al-Samhūdī. Khulāsāt al-wafā'bi-akhbār dār al-Mustafā, Mecca ed., 1316, 38 gives a detailed description of a great earthquake at Medina which began on 1 Djumāda II 654/26 June 1256 and lasted several days". (Art. "Harra", EI², vol. III, p. 226, and see refs there).

Some of Medina's historians record that the earthquake at Medina started on a Tuesday in 654/1256 and lasted four days, while the fumes from the fire which were seen in the eastern part of Medina lasted about three months. See Anon., Risāla fī Akhbār Nār al-Hijāz, Universiteits Bibliotheek, Leiden, or. MS. 2662, p.1.

Medina's historian al-°Ayyāshī has distinguished between Hal'at Qurayza and Harrat Qurayza. He defined the first one as a small, black-green mountain in the south-east of al-Ghānimiyya. The Turkish government cleared the way to this place, but they did not set up any camp because of their failure to control that part which was dominated by the Banū °Alī, who had rebelled against the government in 1319/1901. Then they attacked them with machine-guns. The Banū °Alī resisted bravely, but the government won because of their superior fire power. Al-°Ayyāshī defined Har-

rat Qurayza as lying to the south-east of Medina, 4 Kilometres from the city centre. He added that it is the oldest harra in Medina. It is known today as al-Harrat al-Sharqiyya. (Ibrāhīm al-[°]Ayyāshī, al-Madīna bayn al-Mādī wa'l-Hādir [1392/1972] p. 538f., 497).

Al-Samhūdī, however, says that Harrat Wāqim was also called Harrat Banī Qurayza and the name originated from the Jewish tribe which used to live in its southern side. Some of the Madinan inhabitants of this place were killed there when Yazīd ibn mu[°]-awiya besieged the Prophet's city. ([°]Alī ibn Ahmad al-Samhūdī, Wafā'al-Wafā' bi-Akhhār Dār al-Mustafā, ed. Muhammad Muhyī al-Dīn [°]Abd al-Hamīd [1373/1955] vol. III, p. 1188. Al-[°]Abbāsī says that Maytān is a red mountain, known today as Jabal al-Aghawāt. According to the marginal notes given by the annotator [°]Abd al-Jalīl Barrāda, one of Medina's well-known poets who died in 1327/1909, it is called Jabal al-Aghawāt because Aghawāt al-Haram bought it from their allies the Bedouin when agreeing to fight together against the inhabitants of Medina. (Ahmad al-[°]Abbāsī, [°]umdat al-Akhhār fī Madīnat al-Mukhtār, 3rd ed. [Cairo] p. 430).

Al-Samhūdī says that Maytān is a mountain to the east of Banū Qurayza. (Wafā', vol. IV, p. 1316).

Rutter gave a full account of the lava fields of Medina: "The distance between Jebel Ohod and Jebel [°]ayr is some ten miles; while, from the foot of the western hills, the plain stretches southward and eastward beyond the enflanking mountains as far as the eye can see. From Jebel [°]ayr to within a distance of less than half a mile of the walls of El Medina, the ground consists of a broken slope of volcanic

rock; and on the plain to eastward of the city lies a superimposed mass of black lava. The latter extends to within a mile of the eastern gate of El Medina - called Bab el Jum^oa or Bâb el Bakia. It is known as El Harra. It is probably much more than ten miles in length, from west to east, and is some two miles wide. It comes to an abrupt termination at a distance of half a mile from the mountain range of Jebel Chod, to which it runs parallel; and on the opposite flank it forms, for some distance, the right bank of a shallow watercourse which flows westward to El Medina. This watercourse passes along the southern wall and through the eastern suburbs of the city, and then flows north-westward into the hills. The lava stream of El Harra is about ten feet thick, and on all sides it rises abruptly from the sandy soil, like a black wall. The space between the Harra and the city is thickly grown with palm trees, and in the shade cast by these, birsim, wheat, barley, tomatoes, and several other sorts of vegetables are grown". (Eldon Rutter, *The Holy Cities of Arabia*, 2nd ed. [London, 1931] [p. 512f.

- 3 2 Nūr Ahmad āghā: the same statement about him is found in *Tuhfat al-Muhibbīn*, p. 63.
- 3 4 Hāfiz Muhammad āghā: the same statement about him is found in *Tuhfat al-Muhibbīn*, p. 63.
- 3 4 Shammāma: possibly the Shammāma was that which was described by al-Barzanjī as a golden sham^oadān (candlestick) . He mentions that two sham^oadān were donated for the hujra (Prophet's chamber). (Ja^ofar Ismā^o-īl al-Barzanjī, *Nuzhat al-Nāzirīn fī Masjid Sayyid al-Awwalīn wa'l-ākhirīn* [1332/1914] p. 60.
- 3 6 ^oubayd Kuduk: al-Dāghistānī presents a long review of Ku-

duk's poetical skill, supported by the poems exchanged between himself and Kuduk. The same matter is found in al-Hilya, with a slight difference in his name, given as °Ubayd Allāh Kuduk. (Tuhfat al-Dahr, p. 85f.; al-Hilya, vol. II, p. 1021-4.

- 3 6 Al-qumqumjī, or qumquma, is a large-bodied, narrow-necked vase, bottle, or flask. (J.W. Redhouse, Turkish and English Lexicon [1974] p. 1473. Al-Ansārī gives us some details about qumqumjī, saying that it is a Turkish word which means "the master of al-Qumqum's servants, "while qumqum is a special word for a waster-jug used by the Sultan. This group of servants comprised forty men, the first of whom, Muhammad āghā ibn Ja°far Bik ibn Mustafā, Bāshā, one of Sultan Muhammad Khān's ministers, emigrated to Medina in 1110/1698. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 395).
- 3 20 Sayyid °umar ibn Sayyid °Alī al-Samhūdī al-Madani (1085 - 1158/1677-1745): al-Ansārī lists him among the other members of al-Samhūdī's family. He was a person interested in education. He delivered lectures in the Prophet's Mosque, until he became Muftī al-Shāfi°iyya in Medina, and he wrote many books, (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 273). Al-Murādī added that he was one of al-Shaykh Abū al-Tāhir al-Kūrānī's students. (Muhammed Khalīl al-Murādī, Silk al-Durar fī A°yān al-Qarn al-Thānī °Ashar, vol.III [Cairo, 1397/1977] p. 183. Neither of these two historians gives any more details concerning his books, but I have discovered one of them in the Medina Library. It is a manuscript concerning one of the battles between the inhabitants of Medina and the other allies. The book is called Dhayl al-Intisār li-Sayyid al-Abrār. The author was motivated to write the book because of pro-

blems he faced after the battle of 1134/1721, when he was expelled from Medina by the Turkish government.

4 2 Ayyūb āghā: al-Ansārī mentions his name twice - first, when he had been appointed to the Mashyakh al-Haram in succession to Hāfiz āghā and later dismissed by Nasūh Bāshā in 1124/1712; and second, when he took over the same post in 1128/1715, but was dismissed again in 1135/1722 and died in Egypt.

4 4 Sayyid Ja^ofar al-Baytī al-^oalawī al-Saqqāf al-Madanī was born in Medina in 1110/1698. He was a famous poet during the twelfth century A.H. in Hejaz, when he worked for the Ministry of Al-Sharīf in Medina. His Dīwān is still unprinted, although four copies are known to exist in manuscript, viz:

1. The autograph, in ^o-Arif Hikmat Library, Medina (MS. Literature, no. 169).
2. The Medina Library copy (collection of al-Sāfī's manuscripts, special no. 104;
3. Topkapi Saray Library, Istanbul (Medina MS. No. 541);
4. ^oUbayd Madanī's Library (private library).

His other work, Kitāb Mawāsīm al-Adab wa-āthār al-^oajam wa'l-^oArab, was published in Cario, 1326/1908. His biography may be found in Tuhfat al-Dahr, p. 37 - 51. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 71f.; al-Murādī, vol. I, p. 141f.; Abū Bakr ^oAbd al-Rahīm, al-Shi^or al-Hadīth fī'l-Hijāz [Cairo, 1397/1977] p. 69 - 74; ^oAbd al-Rahmān al-Jabartī, ^oAjā'ib Al-āthār, 2nd ed. [Beirut] vol.III, p. 302; Ismā-^oil al-Baghdādī, Hadiyyat al-^o-Arifīn [Istanbul, 1951] vol. I, p. 256; Jurjī Zaydān, Ta'rīkh ādāb al-Lughat al-^oarabiyya, 2nd ed. [Beirut, 1978] vol. III, p. 302; Adīb Muhammad Ghālib, Min Akhbār al-Hijāz wa-Najd fī Ta'rīkh al-Jabartī [Jeddah, 1395/1975] p. 243;

°Umar Kahhāla, Mu°jam al-Mu'allifīn [Damascus, 1377/1958] vol. III, p. 144; C. Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, vol. II [Leiden, 1949] p. 498; & Suppl., vol. II, p. 512; °Ubayd al-Madānī, "Shu°arā' al-Madīna wa-Shi°r al-Malhamī fī'l-Qarn al-Thānī °ashar al-Hijrī, Buhūth al-Mu'tamar al-Awwal li'l-Udabā' al-Sa°-udiyīn, vol. II [Jeddah, 1974] p. 738f.

5 20m Al-Ajdal al-Saqr - Mukhtār al-Sihāh. See Muhammad ibn abī Bakr al-Rāzī, Mukhtār al-Sihāh. See Muhammad ibn abī Bakr al-Rāzī, Mukhtār al-Sihāh, ed. Mahmūd Khātir Bik (Cairo, 1340/1922) vol. I, p. 96, s.v. "Jadal".

6 32 Al-Wijaq, or al-awajaq. Cf. Redhouse, p. 238, S.V. ojaq: "a body politic: especially (formerly) the corps of Janissaries or any regiment thereof; also, a guild, a fraternity".

6 36 Al-Kalkal, or al-Kalkāl, means al-sadr (chest). (Isma°-il Ibn Hammad al-Jawāhirī, al-Sihāh, ed. Ahmad °Abd al-Ghafūr °Attār, vol. I, p. 576.

6 45 Bayt al-Mālikī: many people who emigrated to Medina from the Maghrib, because they belonged to the Mālikī school of jurisprudence, had the Laqab al-Mālikī. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 439).

Bayt al-Hanbalī: this term refers to the people who belong to the Hanbalī school of jurisprudence. They emigrated to Medina from Najd. (Tuhfat al-Muhibbīn. P. 169f). To my knowledge their name has been changed to Bayt al-Nu°-mān, who lived c. 1190c 1776.

6 46 Dharwān: al-Samhūdī, al-°abbāsī, and al-Marāqī agree that Bi'r Dharwān is in Banū Zurayq, but al-°ayyāshī defined Dharwān as a place beyond sūr (the wall of) al-Madīna, to the east of Būstān al-Hamman, and today called Ribāt (the

hospice of) al-Maghāriba. (Wafā', vol. IV p. 1135; al-°Umda, p. 327f; Abu Bakr ibn al-Husayn ibn -°umar, al-Marāqī, Tah-qīq al-Nussara bi-Talkhīs Ma°alim Dār al-Hijra [1374/1955] p. 144f.; al-°Ayyāshī, p. 234 - 40.

6 46 Hammām (natural hot spring): this place still bears the original name Dharwān.

7 57 Al-Nā'ib, i.e. Nā'ib Shaykh al-Haram (Deputy of the Mosque's President): he was supposed to take over the President's affairs if he was ill or died, until the Turkish government decided on the state of al-Haram. One of his duties was to look after Medina's awqāf (religious endowments). (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 56). Burton recorded the nature of the post of Nā'ib in the Prophet's Mosque: "His Naib or deputy [Shaykh al-Harim] is a black eunuch, the chief of the Aghawat, upon a pay of 5000 piastres. (Op. cit., vol.I, p. 371). Rutter also mentioned the work of the Nā'ib in his special note about the Haram of Medina: "The chief of this legion of helpers is the Shaykh el Haram, who is assisted by a deputy (nâib)". (Op. Cit., p. 544).

10 1 °Abd al-Rahmān ibn °Abd al-Karīm ibn Yūsuf al-Ansārī was related to Anas ibn Mālik al-Ansārī al-Khazrajī. He was born in Medina in 1124/1712. He received his education at the Hadīth school in Medina, and he became historian of Medina for this period. He died in 1197/1782. His biography may be found in the following sources: Tuhfat al-Dahr, p. 61; M. al-Mu'allifīn, vol. V, p. 146; °Abd al-Salām Hāshim Hāfiz, al-Madīnat al-Munawwara fī'l-Ta'rīkh, 2nd ed. (1381/1972) p. 153f.; al-Murādī, vol.II, p. 303f.; al-Baghdādī, vol. I, p. 555; and al-A°lām, vol. IV, p. 83. In all of these sources, the date of his death is given as 1195/1780, but the editor

of his work, Tuhfat al-Muhibbīn, disagrees with this information on the basis of two factors: (1) the author himself mentioned that he finished his work by the beginning of 1197/1782; and (2) the author recorded some events which occurred in the same year. Thus he concludes that his death might have occurred in 1197/1782. See Tuhfat al-Muhibbīn, intro.

10 1 °Abd al-Karīm ibn Yūsuf al-Ansārī al-Hanafī al-Madanī was born in Medina in 1085/1674, He took his education under the famous °ulamā of Mecca and Medina at that time, including al-Basrī and al-Barzanjī, until he became a teacher in the prophet's Mosque. His chief interest was history. He died in Mecca in 1162/1748. See his biography in al-Murādī vol. III, p. 80; Tuhfat al-Muhibbīn, p. 20; °Abd Allāh Abū al-Khayr Mirdād, al-Mukhtasar min Kitāb Nashr al-Nawr wa'l-Zahr fī Tarājim Afādil Makka min al-Qarn al-°Ashir ilā al-Qarn al-Rābi° °ashar (Mecca, 1398/1978) vol.I, p. 233.

10 2 See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 358.

10 5 Farmān: a command, order, or royal patent. (F. Steingass, Persian-English Dictionary [1892] p. 921).

10 8 See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 88.

10 8 °Abd al-Karīm al-Barzanjī: al-Ansārī records that Abū Bakr Pāshā, the Governor of Jeddah, executed him because he was the president of the party formed by Medina's inhabitants, called Jama°at al-°ahd, in 1134/1721. The date of his execution was 1138/1725. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 88). The same date is given by °Alī Hāfiz in his unpublished work A°lām al-Madīna (p. 19), but Dahlān records the date as 1136/1723. (Ahmad ibn Zaynī Dahlān, Khulāsāt al-Kalām fī Bayān Umarā' al-Balad al-Haram [Cairo, 1305/1887- 8] p.

174. Al-Ansārī says that there is still a community in Jeddah today called al-Mazlūm ("the wronged one"), so named because of the tragedy of the death of Sayyid °Abd al-Karīm al-Barzanjī, and he records the date of his execution as 1134/1721. See °Abd al-Quddūs al-Ansārī, *Mawsu°at Madīnat Judda*, 2nd ed., vol. I (Jeddah, 1401/1980) p. 316. See also his biography in Ahmad al-Hadrāwī, "Al-Jawāhir al-Mu°adda fī Fadl Judda", *Al-°Arab* (July, 1979) p. 110f. However, Ibn Faraj recorded that the place called al-Mazlūm which was located to the north of Jeddah was named after a saint called °Afīf al-Dīn °Abd Allāh. (°Abd al-Qādir Ahmad ibn Faraj, *al-Sillāh wa'l-°udda fī Ta'rīkh Bandar Judda*, ed. G.R. Smith & Ahmad °Umar al-Zayla°ī [Durham, 1984] p. 66.

10 8 Al-Ansārī records that Bayt al-Barzanjī emigrated to Medina from Barzanj (see below), a well-known city in Kirdistān and that Sayyid Muhammad ibn °Abd al-Rasūl, who was born in Shahrazūr, was considered to be the first person from this family to settle in Medina, in 1068/1754. He died there in 1103/1691. See *Tuhfat al-Muhibbīn*, p. 78 - 80. Hāfīz records a lengthy, but useful biography about him. He tells us that he composed about ninety books and that he specialised in the Knowledge of Hadīth. He apparently received some of his knowledge through his mother and was considered to be one of Medina's poets in his time. (A. al-Madīna, p. 18). Al-Murādī and Kahhāla record the date of his birth as 1040/1631. See al-Murādī, vol.IV.I; p. 65f; and M.al-Mu'allifīn, vol.IX, p. 308. Hāfīz mentions that most of his works are still unpublished and that he translated some books from Persian into Arabic. See °Abd al-Salām Hāshim

Hāfiz, A.M. *fī'l-Ta'rīkh*, p. 149. Al-Dāghistānī recorded some information about some of this family's nobles, although he commenced the first chapter of his book with Ja^cfar al-Barzanjī, whom he called al-Sayyid al-Sharīf. (*Tuhfat al-Dahr*, p. 3). Al-Tarkazī composed a poem criticising Ahmad al-Barzanjī's views. When the latter related his father to al-Imām Mūsā al-Kāzim, al-Tarkazī called this an allegation without any evidence. See Muhammad Mahmūd ibn al-Talāmīd al-Tarkazī al-Shinqīṭī, *al-Hamāsāt al-Saniyyat al-Kāmilat al-Maziyya fī al-Rihlat al-Cilmiyyat al-Shinqīṭiyyat al-Tarkaziyya* (Cairo, 1319/1901) p. 13 - 21.

"Birdjand. District and town in the 19th Ustān of Persia. The town is situated at 59° 13' E. (Greenwich) and 32° 52' N". (L. Lockhart, art. "Birdjand", *El²*, vol.I, p. 1233).

10 9 Judda: the inhabitants call it Jedda, while the Egyptians call it Jadda. See Muhammad al-Batanūnī, *al-Rihlat al-Hijāziyya* (Cairo, 1329/1911) p. 5. Al-Ansārī defines Jeddah as a port of Mecca on the eastern coast of the Red Sea, between 28°/21 north and 20°/39 east. See M. Judda, p. 11 - 27. Burton commented on the different ways in which the city's name is pronounced: "Abul Feda writes the word 'Juddah', and Mr. Lane, as well as M M. Mari and Chedufau, adopt this form, which signifies a 'plain wanting water'.. 'Jeddah', or 'Jiddah', is the vulgar pronunciation; and not a few of the learned call it 'Jaddah' (the grandmother), in allusion to the legend of Eve's tomb". (*Op. cit.*, vol. II, p. 267f). Burckhardt used the form "Djidda": "I shall add here some remarks on Djidda and its inhabitants. The town is built upon a slightly rising ground, the lowest side of which is washed by the sea. Along the shore it extends in its

greatest length for about fifteen hundred paces.. It is surrounded on the land-side by a wall, in a tolerable state of repair, but of no strength". (Op. cit., p. 8) Rutter called it Jidda: "Situated on the coast at, roughly, the half-way point between the Gulf of Akaba and the Strait of Bâb al-Mandeb, lies the port of Jidda". (Op. Cit., p. 115). "Djudda, pronounced Djidda locally, a Saudi Arabian port on the Red Sea at 21° 29' N., 39° 11' E.. Most Arab geographers and scholars maintain that Djudda, signifying a road (Lane; al-Bakrī, ii, 371) is the correct spelling of the name of the town, rather than Djidda or Djadda (grand-mother) as claimed by Gautier, Philby (Heart, i. 221) and others (cf. Yā-kūt, ii, 41; Hitti; Wahba) on account of the existence (until 1928), of the 'tomb of Eve' not far from the city". (R. Hartmann, rev. P.A. Marr, art. "Djudda", EI², vol. II, p. 571).

10 10 Bākir Bāshā: al-Murādī records his name as Abū Bakr Bāshā ibn Ibrāhīm al-Rūmī, one of the Ottoman ministers. He was well known under the title Qūja. He died in 1171/1757. See al-Murādī, vol.I, p. 49. Al-Ansārī gives some particular information about his post as Wālī of Jeddah. He was appointed Wālī of Jeddah and Habasha and Mashyakh al-Haram in 1134/1721, but he was replaced in 1135/1722 by Isma^oīl Bāshā. He returned to Jeddah for a later period of oce in 1137/1724. He continued to work there, but without possessing the oce of Mashyakh al-Haram, for three years. (M. Judda, p. 315-7). Dahlān mentions him as Wālī of Jeddah in connection with the events of 1145/1732. See al-Khulāsa, p. 189. While commenting again on the death of Sayyid ^oAbd al-Karīm al-Barzanjī, al-Ansārī records that Abū Bakr Bāshā intended to show his loyalty to the Turkish

authority which had favoured him by returning him to Jeddah's Wilāya for another period of nine years. See M. Judda, p. 317. Ghālib, however, says that Bākīr Bāshā came from Jeddah to al-suways as Wālī after he had left Egypt. (M.A. al-Hijāz, p. 50). Gaury refers to him three times as Abu Bekr Pasha. (Rulers of Mecca) [1951] p. 165-9.

- 11 5 Ahmad Zaynī Dahlān al-Makkī was born Mecca in 1232/1817 and became a famous historian of Hejaz. His work, *Khulāsat al-Kalām fī Bayān Umarā' al-Balad al-Haram*, contains a history of the Ashrāf in Hejaz. In his days the first press was established in Mecca, which enabled him to publish his books. He died in Medina in 1304/1886. His biography may be found in the following sources: Khayr al-Dīn al-Ziriklī, *al-ʿlām*, 2nd ed., vol.I, p. 125; j. Sarkīs, *Muʿjam al-Matbuʿāt al-ʿarabiyya wa'l-Muʿarraba*, vol.I (Cairo, 1346/1928) p. 990; *M.al-Mu'allifin*, vol. I p. 229 (where his date of birth is given as 1231/1861); Zaydān, *T.A.al-Lugha*, vol. IV, p. 261; *al-Hilya*, vol. P. 181-3; and *GAL*, Supp. II, p. 810f.

During his stay in Mecca, C. Snouck Hurgronje recorded some useful information about the role of the Shāfiʿite juristic school and its professors, referring to Ahmad Dahlān as one of its most important shaykhs: "It is thus not by chance that the Mufti of the Shafiʿites or else some eminent doctor of that rite generally holds the position of Sheikh of the ʿUlama, and that the number of the regular Shafiʿite professors reaches 20 or 30 out of a total of 50 or 60. Their circles are the most interesting examples of the academic life of Mekka. Their professors are many of them born Mekkans. The old Sheikh al-ʿUlama, Ahmed Dahlān (ob. 1886) was born and brought up here". He also mentioned some

of his important works and their value in the religious circles of Mecca at that time: "Works of history and biography which are connected with the sacred doctrine are in more demand, such as the lives of Muhammed and his companions, of the founders of mystic orders and recognised schools, and in general of the saints. Such productions are read in friendly gatherings, but edification, rather than instruction about the past, is sought in them. A characteristic example is the *Sîrah* (biography of the Prophet) of Ahmed Dahlân, who says in the introduction that there have been more than enough of such works, but that they contained more data for criticism of sources and more comparative estimates of different versions than were needed by students of the present day, and he therefore had only imparted facts to the best of his knowledge, and especially the points in which the men of our time could take an interest". We learn from Snouck Hurgronje that he met Shaykh Dahlân and had the chance to attend a religious celebration: "one I was paying a visit to the Muffî Ahmed Dahlân when a party of thirteen pilgrims desirous of new names was announced". (Mekka in the Latter Part of the 19th Century [Leyden, 1931] p. 184, 164f., 237).

11 7 See al-Khulāsa, p. 173f. Al-Siba[°]ī gives the same information as al-Khulāsa concerning this battle. (Ta'riḫ Makka: Dirāsāt fī al-Siyāsa wa'l-[°]ilm wa'l-Ijtima[°] wa'l-[°]Umrān, 2nd ed. [1380/1960] p. 66f. However, Sayyid [°]Umar al-Samhūdī, who was involved in the fighting, records additional details, which highlight the beginning and the results of it, as well as the people who were concerned in it. These may be listed as follows:

1. The battle started on the 17th Sha^obān, A.H. 1134.
2. Sultān al-Husaynī from the opposing side went to al-Shām on the 3rd Muharram in order to expel many of Medina's inhabitants by authority of faramān, having obtained an agreement with the Pāshā on the matter. The Pāshā, however, died in Khulays, a villa between Mecca and Medina, and Sultān also died.
3. Another person, named Hasan al-Sharqī, did his best to expel some of Medina's inhabitants, but he died in al-Suways.
4. The Harb tribe, with their allies, tried to cut off the water supply when they had surrounded Medina.
5. Their base was Jabal Sil^o, a mountain to the north-east of Medina, where the Ottoman castle had stood until its recent destruction.
6. The northern and western gates in Sūr al-Madīna (the wall of the city) were kept closed for fifteen days. On al-Sur, see below, p. 101, 1.11.
7. The allies caused much damage; they burned the palm groves and destroyed the Qur'ān in Qubā' Mosque.
8. They also devastated al-^oAliyya and Qurbān, except al-Jurf. This would indicate that the Banū ^oAlī were involved in this battle with Harb, because al-Jurf was one of their habitations.
9. In that period all the production of Medina's farms was seized by the A^orāb, who besieged Medina.
10. Medina's fighting men amounted to eight-hundred, while the A^orāb numbered seven-thousand.
11. The siege of Medina by the A^orāb lasted around three months.

12. The leader of Medina's fighting men was called Khidr al-Baghdādī. The enemy commander was called Ibn Mu-dayyān and his son Hazzā' was the leader in battle.

13. The cost of the battle in lives lost among the fighting men was estimated at two-hundred on the side of the A^c-rāb, and thirty on the side of Medina's inhabitants.

14. Ultimately, the two sides agreed to sit together in Qubā' Mosque in order to make a peace treaty.

15. The result of this meeting was the proclamation of peace around Medina and the acknowledgement by the A^c-rāb of their offences committed against Medina's inhabitants.

See Sayyid ^cUmar ibn Sayyid ^cAlī al-Samhūdī al-Madanī, Dhayl al-Intisār li-Sayyid al-Abrār, Medina Library Ms., al-Sāfi Collection.

11 10 Mubārak ibn Ahmad ibn Zayed was appointed Sharīf of Mecca for two periods of time, the first from 1132/1719 to 1134/1721, and the second for five months in 1136/1723. After his replacement by ^cAbd Allāh ibn Sa^c-īd ibn Sa^cd ibn Zayd, he decided to emigrate to Yemen, where he died in 1146/1727. See al-Khulāsa, p. 171 - 180; al-Sharīf Musa^cad ibn Mansūr ibn Surūr, Jadāwil Umarā' Makka wa-Hukkāmu-hā min mundhu Fathihā ilā al-Waqt al-Hādir (Mecca, 1388/1968) p. 38; E. von Zambaur, Mu^cjam al-Ansāb wa'l-^cUsrā al-Hākima fī'l - Ta'rīkh al-Islāmī (1371/1951) p. 37; and Gaury, p. 162f. Al-Siba^cī, however, records that when Mubārak ibn Ahmad came to power in Mecca, he prepared the Banū Zayd tribal branch to rule for around fifty years. (T. Makka, vol. II, p. 66f).

12 6 Harb: "a powerful Arab tribe of Yemenī origin in the Hidjāz

between Mecca and Medina. They are divided into two great bodies, the Banū Sālīm and B. Musrūh. To the B. Sālīm belong amongst other clans, al-Hamda, al-Subh, °Amr, Mu°ara, Walād Salīm, Tamīm (not the celebrated great tribe of this name), Muzayna, al-Hawāzim, (Awāzim, Hāgim), and Sa°dīn (Saadīn, sing. Saadanī); to the Masrūh, amongst others: Sa°dī (Sa°adī), Lahabba, Bishr, al-Humrān, °Alī, al-Djahm, Banū °Amr". (J. Schleifer, art. "Harb", EI², vol. III, p. 179). Burckhardt, describing his way to Medina, passed al-Safrā valley and gave an account of its inhabitants: "The inhabitants of this valley, the name of which is celebrated in the Hedjaz for the abundance of its dates, are of the Beni Salem tribe, the most numerous branch of Harb, and, like most other tribes of the Hedjaz, partly Bedouins and partly settled inhabitants; the latter remaining in their houses and gardens the whole year round, though they dress and live in the same manner as their brethren under tents". (Op. cit., p. 307). Further, he wrote on the Banū Harb: "From the aggregate of this tribe, there might probably be formed a body comprising between thirty and forty thousand men armed with matchlocks, and such is the numerical strength of their main tribes, that each of them is rather to be considered as a distinct body, yet the ties which connect the whole body together are much stronger than those by which the numerous Aeneze tribes are united. Some of the Harbs are settlers, some are Bedouins. Almost every tribe has adopted both modes of life. They derive considerable profit from the Syrian and Egyptian pilgrim caravans, and may be styled the masters of Hedjaz. They have few horses southward of Medinah, but every boy is armed with

a matehlook.. The Arabs belonging to this tribe of Harb frequently make plundering excursions against the Aenezes in their camps, as far as the plains of Hauran near Damascus". (Note, vol. II, p. 31f).

Burton also mentioned the Harb tribe while discussing the tribes of Hejaz: "The tribes of Al-Hijaz are tediously numerous: it will be sufficient to enumerate the principal branches of the Badawi tree, without detailing the hundred little shoots which it has put forth in the course of ages. Those ancient clans the Abs and Adnan have almost died out. The latter, it is said, still exists in the neighbourhood of Taif; and the Abs, I am informed, are to be found near Kusayr (Cosseir), on the African coast, but not in Al-Hijaz. Of the Aus, Khazraj, and Nazir details have been given in the previous chapter. The Benu Harb is now the ruling clan in the Holy Land. It is divided by genealogists into two great bodies, first the Benu Salim, and, secondly, the Masruh, or 'roaming tribes'. The Benu Salim, again, have eight subdivisions.. The Masruh tree splits into two great branches, Benu Auf, and Benu Amur". (Op. cit., vol. II, p. 119f).

C.M. Doughty enquired about Harb's settlements and his reports, obtained by questioning a guard named Zeyd, provide us with the following information: "All the Harb country seyles to the Wady al-Humth". I asked, 'And is the head of that great valley in the Wady Laymūn?' He answered, 'It is likely'. All the Harb may be divided, he told me, into Beny Sâlem and Mosrūh. I enquired of their settlements. Zeyd: 'I will tell thee all that I know, - and thus the Sherif bade me: the villages of Mosrūh are Râbug, Klèys, el-Khereyby. (near Mecca), es-Suergîeh, and others. I have them not all in

mind. But the Bany Sâlem villages, between el-Medina and Yanb[°]a, and in Wâdy Ferr[°]a, - a long valley, with Aarab Beny [°]amr and el-[°]ubbeda, are these; - el-Jedeyda, Umm-Theyàn, Kaif, el-Kissa, el-Ab, el-Hamra, el-Khorma, el-Wâsita, el-Hassanîeh, el-Faera, el-[°]Alîy, Jedîd, Beddur, and (his own) J. el-Figgera; and in Wâdy Yanb[°]a are Sweyga, Shâtha, en-Najjeyl, Medsūs' ". (Travels in Arabia Deserta, vol. II [London, 1921] p. 512.

When al-Batanūnī made his journey to Mecca and Medina in 1327/1909, he mentioned that the Banū Harb numbered 80,000 and that they lived towards the north of al-Hamrā' and towards the east and west of [°]asfān. (R. al-Hijāziyya, p. 51).

Al-Bilādī listed the reasons for the immigration of Harb to the relatively large cities in Saudi Arabia after the Second World War as follows:

1. The drying up of the lands of the tribe, resulting in the cessation of agriculture, which must be considered the main source of the people's livelihood.
2. The proliferation of motor-cars as a means of transport between Mecca and Medina, which gradually caused the disappearance of the old camel system. The tribe used to depend largely on managing the affairs of the pilgrimage between the two holy cities and protecting them from any attack at the same time.
3. The rise in the price of food in comparison with the pre-war period. This last factor, working with the others, forced the tribe to immigrate to Mecca. When this immigration provoked some trouble for the city, the government reacted by organising special programmes for the benefit of the new-

comers, resulting lately in the construction of new quarters in Mecca like Ri^oal-Kuhul al-Zahrā' and al-Zāhira. The other part of the tribe immigrated to Medina. (N. Harb, p. 230f). Despite the huge immigration of the tribe to Mecca and Medina and the other cities of Saudi Arabia, a section of the Banū Harb still inhabit their own native places, which have undergone much development as the government sought to spread the educational programmes among the new generation. This has resulted in the positive contribution of this tribe to the country as a whole. They still maintain the traditional right to choose a head for the tribe (Shaykh al-Qabīla), whose present power does not extend beyond his personal intervention to resolve peacefully the conflicts which arise from time to time among the people of the tribe.

12 10 Al-Samhūdī devoted a special chapter of his Wafā' to the history of al-Hujra in the Prophet's Mosque. It was in the house of the Prophet's wife ^oā'isha that he died and was buried. (Wafā', vol. II, p. 458, 65). Al-Matarī records that when al-Sultān al-Zāhir Rukn al-Dīn Baybars visited Medina in 667/1268, he decided to surround the Hujra with a wooden wall. This was completed and sent to Medina in the following year. (Jamāl al-Dīn Abū ^oAbd Allāh Muhammad ibn Ahmad al-Matarī, al-Ta^orīf bi-mā ānasat al-Hijra min Ma^oālim Dār al-Hijra, ed. ^oAbd al-Muhsin al-Khayyāl [1372/1952]).

Burckhardt sought to give a full description of the Hujra as it appeared to him from outside: "Near the S.E. corner stands the famous tomb, so detached from the walls of the mosque, as to leave between it and the S. wall a space of about twenty-five feet, and fifteen between it and the E.

wall. The enclosure, which defends the tomb from the too near approach of visiters, forms an irregular square of about twenty paces, in the midst of the colonnade, several of its pillars being included within it: it is an iron railing, painted green, about two-thirds the height of the columns, filling up the intervals between them, so as to leave their upper part projecting above it, and entirely open. The railing is of good workmanship, in imitation of filligree, and is interwoven with open-worked inscriptions of yellow bronze, supposed by the vulgar to be of gold, and of so close a texture, that no view can be gained into the interior, except by several small windows, about six inches square, which are placed in the four sides of the railing, about five feet above the ground. On the south side of the railing, where are the two principal of these windows, before which the visiters stand when praying, the railing is thinly plated over with silver, and the oftenrepeated inscription of 'La Illah il Allah al hak al Mobyn', ('There is no God, but God, the evident Truth'), is carried in silver letters across the railing all round these windows. This enclosure is entered by four gates... Each.. has its particular name: Báb en' Neby, Báb Errahme, Báb et Touba, Báb Setna Fatme. The permission to enter into this enclosure, which is called El Hedjra, is granted gratis to people of rank, as Pashas, or chiefs of the Hadj caravans, and may be purchased by other people from the principal eunuchs, at the price of about twelve or fifteen dollars, distributed in presents among them: but few visiters avail themselves of this privilege, because they well know that, on entering the enclosure, nothing more is to be seen than what falls under their observation when peeping

in at the windows of the railing, which are constantly kept open; and I was myself not inclined to attract general notice, by thus satisfying my curiosity. What appears of the interior is a curtain carried round, which takes up almost the whole space, having between it and the railing an open walk, of a few paces only in breadth. The curtain is equal in height to the railing; but I could not distinguish from below, whether, like the latter, it is open at the top. There is a covering (as the eunuchs arm), of the same stuff of which the curtain is made; this is a rich silk brocade, of various colours, interwoven with silver flowers and arabesques, with a band of inscriptions in golden characters, running across the midst of it, like that of the covering of the Kaaba. This curtain is at least thirty feet high: it has a small gate to the north, which is always shut; no person whatever being permitted to enter within its holy precincts, except the chief eunuchs, who take care of it and who put on, during the night, the new curtain sent from Constantinople, whenever the old one is decayed, or when a new sultan ascends the throne. The old curtains are sent to Constantinople, and serve to cover the tomb of the sultan and princes. According to the historian of Medina, the curtain covers a square building of black stones, supported by two pillars, in the interior of which are the tombs of Mohammed, and his two earliest friends and immediate successors, Abou Bekér and Omar. As far as I could learn here, these tombs are also covered with precious stuffs, and in the shape of catafalques, like that of Ibrahim in the great mosque of Mekka". (Op. cit., p. 331 - 3). Burton also contributed to the description of the Hujra, which used to be the Prophet's wife's

house: "The Hujrah, or chamber, where, by Mohammed's permission, Azrail, the Angel of Death, separated his soul from his body, whilst his head was lying in the lap of Ayishah, his favourite wife, was now for the first time taken into the mosque. The rawbrick enceinte which surrounded the three graves was exchanged for one of carved stone, enclosed by an outer precinct with a narrow passage between. These double walls were either without a door, or had only small blocked-up wicket on the Northern side, and from that day (A.H. 90), no one, says Al-Samhudi, has been able to approach the sepulchre". (Op. cit., I, p. 365f).

Al-Samhūdī, in his introduction to *al-Wafā' bi-mā yajib li-Hadrat al-Mustafā* (see p. 99, 1.10f), mentioned that the purpose of this book, which contained three chapters and a conclusion, was to find the *Fatwā* permitting entrance to the Prophet's Hujra in order to restore it after the fire which involved the whole mosque in 654/1256. In the third chapter, he gave his views, supported by clear evidences, in favour of restoring the damaged chamber and cleaning the tomb. This is what is entailed in the reference to al-Samhūdī made by Burton.

Rutter also described the Hujra and its gates: "The Prophet's Hujra stands in the south-eastern corner of the mosque, immediately eastward of the rowdha. It is situated at a distance of twenty-five or thirty feet from the Southern wall, and half that distance from the eastern wall. It consists of two enclosures, one within the other. The outer enclosure is some forty-five feet square, and the screen of ornamental iron-work by which it is bounded is supported by square stone pillars. This screen is said to rest upon a subterra-

nean wall of solid metal, being the same which was made by order of the Sultan Nūr ed-Dīn. It was made by digging a trench twenty feet deep and filling it with molten lead and copper. Within the outer enclosure there is a five-sided chamber, the walls of which are some twenty feet in height. Three of its sides - the eastern, the southern, and the western - are disposed as sides of a square, while the remaining two meet in an acute angle at the centre of the northern side of the outer enclosure. This inner chamber stands directly underneath the green dome. It is always completely covered by a black pall. Within it lie the tombs of Muhammad, Abu Bakr, and Umar, and the empty sepulchre.. There are gates in the iron-work screen on each side of the Prophet's Hujra, but the only means of entrance which is commonly used is the gate in the northern side of Fâtima's tomb-chamber. Passing through this, the visitor comes to another gate in the iron-work partition which separates the two tomb-chambers. This gate gives access to the Prophet's Hujra". (Op. cit., p. 540f).

Ja^cfar Isma^cīl al-Barzanjī mentions that the money and valuables in the Hujra were sent as gifts by Muslim kings and sultans. (Al-Nuzha, p. 63 - 80).

During his visit to Medina, Burckhardt gathered detailed data relating to the valuable materials which the prophet's chamber contained, the accesses made upon them by the chief of the mosque, and how they were brought back to their original place: "Here were deposited all sorts of vessels, set with jewels, ear-rings, bracelets, necklaces, and other ornaments, sent as presents from all parts of the empire, but brought principally by great hadjys who passed

through Medina. There is no doubt that the whole formed a collection of considerable value, but far from being inestimable, as the people are inclined to fancy. Sherif Ghaleb estimated that part of it which he bought, at one hundred thousand dollars. The chiefs of the town are said to have carried o about one hundred weight of golden vessels, at most worth forty or fifty thousand dollars.. The total value, therefore, might have amounted to about three hundred thousand dollars.. It would be strange if the governors of Medina, who were often independent, or the guardians of the tomb themselves, should not have made occasional draughts upon this treasure.. Toussein Pasha, on his arrival at Medina, made search for the golden vessels, which had been re-sold by the chiefs of the town to some other of the inhabitants, and not yet melted. He found several of them, which he bought from the owners for about ten thousand dollars, and replaced them in their original situation". (Op. cit., p. 334f).

Burton also commented on the value of the golden vessels and the action of Tūsūn pāshā in retrieving these vessels after they had fallen into the hands of some of Medina's inhabitants: "My predecessor estimates the whole treasury in those days to have been worth 300,000 Riyals, - a small sum, if we consider the length of time during which it was accumulating. The chiefs of the town appropriated 1 cwt. Of golden vessels, worth at most 50,000 dollars". "Toussein pasha, the Egyptian General bought back from the townspeople, for 10,000 Riyals, all the golden vessels that had not been melted down, and restored the treasure to its original place. This I have heard denied; at the same time it

rests upon credible evidence. Amongst Orientals the events of the last generation are, usually speaking, imperfectly remembered, and the Olema are well acquainted with the history of vicissitudes which took place 1200 years ago, profoundly ignorant of what their grandfathers witnessed. Many incredible tales also I heard concerning the present wealth of the Al-Madinah Mosque: this must be expected when the exaggeration is considered likely to confer honour upon the exaggerator". (Op. cit., p. 369f).

13 3 Nā'ib al-Sultān bi'l-Haramayn al-Sharīfayn: "Nā'ib (A) literary 'substitute, delegate' (nomen agentis from n-w-b 'to take the place of another')". (H.A.R. Gibb, art. "Nā'ib", EI, p. 837). D. Hasan Bāshā recorded that the title of Nā'ib al-Saltana bi'l-Aqtār al-Hijaziyya appeared during the Mamluk rule and he mentioned the discovery of an inscription incorporatin the title dated 869/1464. (Al-Funūn al-Islāmiyya wa'l-Wazā'if, vol. III [Cairo, 1965] p. 1235).

13 7 Al-Ansārī records that Muhammad AsCad was born in Medina in 1088/1677. He was appointed Muftī of Medina in 1118/1706, until he was dismissed in 1125/1731. He went to Istanbul, but returned to Medina, where a certain Ahmad Kuhaylān attacked him with a knife and mortally wounded him in 1143/1721. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 35f. However, we learn from the introduction to one of the poems of J. al-Baytī that this poem was composed in favour of Ahmad Yahyā Azharī, who had been expelled from Medina after being accused of instigating the assassination of Muhammad As^cad. He was forced to remain outside with Shaykh Harb Sa4444ad ibn Badawī and when he returned, the people trie to cause diculties for him. Al-Baytī therefore senthis

poem to Shaykh Harb, asking for his help and the latter responded by arranging peace between Ahmad Yahy and the other people who were at enmity with him, in 1143/1730. (Dīwān al-Baytī, Hikmat MS., p. 120).

13 9 Ibrāhīm Bāshā: al-Ansārī records that he was appointed Wālī of Jeddah in 1122/1710, but he adds that his name is mentioned in al-Khulāsa for the same post in 1134/1721. See M. Judda, p. 315.

14 4 Hasan °Abd al-Karīm Barzanjī was born in Medina in 1099/1687 and died in Egypt in 1148/1735. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 88).

15 2 Ahmad Zaynī Dahlān, Asnā al-Matālib fī Najāt Abī Tālib (Cairo, 1323/1905) p. 40.

17 15 This poem by Sayyid Ja°far al-Baytī is found in the copies of his poetical works, as follows: Hikmat MS., p. 105; al-Sāfī MS., p. 79; Topkapi MS., p. 78; and °ubay Madanī's Library MS., p. 107 (but with a slight difference in line 8, as mentioned in his Dīwān:

«قتلوكم ظلماً وَصَلُّوا عليه».

("They executed you wrongfully and afterward they performed the prayer for you").

18 12 This poem by Sayyid Ja°far al-Baytī, concerning Sayyid Hasan al-Barzanjī, is found in some copies of his poetical works, as follows: Hikmat MS., p. 128; and Topkapi MS., p. 95f.

18 13 The third line of the poem concerning sayyid Hasan, where he is referred to as son of the prophet and son of °ali, means that he was related to the prophet's family, for the biography of his grandfather Muhammad ibn °Abd al-Rasūl

- Barzanjī indicates that his descent was through Hasan ibn °Alī ibn Tālib. See al-Murādī, vol. IV, p. 65f.
- 20 1 Bashīr Bik āghā is mentioned as Shaykh al-Haram in 1145/1732, but he was dismissed in 1148/1735. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 64).
- 20 7 This poem by Sayyid Ja°far al-Baytī is found in Yahyā Hāshim al-Madani's al-Fulk al-Mashhūn (Hikmat MS., p. 20 - 22) and in the following copies of al-Baytī's poetical works: Hikmat MS., p. 37 - 9; al-Sāfi MS., p. 27f.; and °Ubayd Madani's Library MS., p. 38 - 40.
- 20 8 Mas°ūd ibn Sa°īd ibn Zayd was nominated twice as ruler of Mecca, first in 1145/1732, but he remained for only three months. The second occasion was in 1146/1733, when he remained for nineteen years, until his death | 1165/1751. See al-Khulāsa, p. 187 - 195; T. Makka, vol. II, p. 73 - 5; Gaury, p. 167 - 9; and M. al-Ansāb, p. 34.
- 20 2 SHm "The trace is the sign of the house. It is here for emphasis".
- 20 9 Malik Makka: Hasan Bāshā recorded that the title of Malik al-Jihāt al-Hijāziyya appeared in the Islamic middle ages among other titles which were used with an ocial or honorary meaning, while sometimes the two meanings were combined. See al-Funūn, vol. III, p. 1140. See also M. Plessner, art. "Malik", EI, p. 204.
- 21 9m "He repeated the question for emphasis".
- 12m "The A°rāb ascended to the top of the houses and the sanam (camel's hump) is well known".
- 21 13 FHm "This means that the Shaykh al-Haram Bashīr Bik āghā caused the A°rāb of Harb to ascend the minarets of the prophet's Mosque in order to fire upon the people around the Mosque".

21 13SH "This indicates that it was not considered acceptable to ascend to a position superior to the Prophet's tomb".

21 14FHM "This refers to the famous battle of al-Harra [i.e. Harrat Wāqim] in the period of Yazīd ibn Mu^cāwiya". N.B. the comment of L. Veccia Vaglieri on Harrat Wāqim "the one that stretches through the gardens of Medina on the north-eastern side of the town, known as the Harrat Wāqim, became, thanks to a famous battle in 63/683, al-Harra par excellence". (Art. "al-Harra", EI2, vol. III, p. 226). For further information, see Muhammad ibn Jarīr, al-Tabarī, Ta'riḫ al-Rusul wa'l-Mulūk, ed. Abū al-Fadl Ibrāhīm, vol. V, p. 482 - 94.

21 15SHm "Fāqira means that it breaks the spine".

21 16FHM "Rijāl means that some of Medina's inhabitants were on the side of the Shaykh al-Haram". This line contains a quotation from Sūrat al-Hashr (S. 59) v.2:

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾

(الحشر: ٢)

("They destroyed their dwellings with their own hands and the hands of the believers. Take warning then, you with eyes to see").

21 19m "This means that although they spent their money, they lost the battle and so were filled with regret".

21 20SHm "Al-fadm means 'vile' (al-nadhī)". Al-Rāzī, however, gives a different explanation of the word. For him it denotes a person who cannot express himself properly because of his limited intelligence. See M. al-Sihāh, p. 494, s.v. fadama.

21 21FHM "A^cdā' mulkihi means al-A^crāb".

22 22m "They claimed that they were the protectors, but they for-

got that this obliged them to defend the country against the aggressor".

22 23m "The six persons were a group of Nūbetjīan who had been dismissed from their duties. Later they made peace with the Aghawāt, from which they took advantage by commencing an insurrection against them". Redhouse defines nūbetjī in two senses: "(1) sentry; (2) a man on his turn of duty". (p. 2109).

22 27m "All the questions discussed here are intended to stress the truth and to use it as proof in favour of Medina's inhabitants".

22 37 Al-qarm: chief, See M. al-Sihāh, p. 531f. s.v. qaram.

23 48FH The words allude to Sūrat al-A^crāf (S.7) v. 199:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

("Hold to forgiveness; command what is right; but turn away from the ignorant").

24 59SH The words contain a quotation from Abū al-Tayyib al-Mutanabbī's verse:

يا أعدل النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

("You are the fairest among the people, but that does not apply in my treatment. I claim that my dispute is with you, but you are the adversary and the referee at the same time").

See Dīwān al-Mutanabbī, with commentary of Abū al-Baqā' al-^cAskarī, ed. Mustafā al-Saqqā, Ibrāhīm al-Ibyārī, and ^cAbd al-Hāfiz Shalabī, vol. III (1391/1971) p. 362.

25 2 °Abd al-Rahmān āghā was appointed Shaykh al-Haram of Medina in 1151/1738 and was dismissed in 1156/1743. He died in Egypt in 1163/1749. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 64). Al-Jabartī, however, records that he died in Shawwāl 1179/1765 and was buried near al-Mashhad al-Nafīsī. (°ajā'ib, vol. I, p. 267). "When an Aga was dismissed he too was exiled to Egypt". (H.A.R. Gibb & H. Bowen, Islamic Society and the West, vol. I, pt. 1 [London, 1950] p. 331, Appendix B).

25 5 Fitna Kābūs: al-Ansārī records some information about this event in the course of his biography of the Kābūs family. He says that some of the people of Qal°a Killed Hasan Kābūs in his shop in Safar 1156/1743, as a result of which civil strife ensued, lasting until 25 Dhū al-Hijja of the same year. The result was widespread damage and a heavy slaughter among the inhabitants of Medina. The Shaykh al-Haram was also dismissed and Medina's inhabitants were deported to al-°aliyya and Mecca. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 411f). "Medina now drew the Sherif's attention. A quarrel between the Egyptian Sheikh of the Haram and the Turkish garrison there had split both the townsmen and the Harb tribe into two camps and when the Sherif of Mecca's slave cavalry were sent by him to restore order, they failed so signally that he angrily closed the Red Sea ports to them, cutting off their retreat to Mecca and ordered them into the field once more. The down travelling pilgrim escort restored order on their arrival at Medina, the Sheikh al-Haram was dismissed and sent to Egypt and the city once more placed under the Sherif's control and his own troops furnishing the garrison". (Gaury, p. 168f).

25 7 Muhammad Sa[°]īd Safar was born in Medina in 1113/1701. He was diligent in seeking knowledge from his childhood and for that purpose he travelled to Istanbul, Egypt, and Bilād al-Shām. When he returned, he was given oca in religious affairs as Khatīb and Imām. He lost his sight, but did not give up teaching until he died in 1194/1780. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 284f). Al-Dāghistānī records a part of the two poems he composed on the occasion of his two sons' deaths. (Tuhfat al-Dahr, p. 53). Al-Mirdād records in his biography that Safar was a teacher in al-Haram al-Makkī and an immigrant to Mecca. He links the loss of his sight with the death of his sons, but he records the date of his death as 1192/1778. (Al-Mukhtasar, vol. II, p. 385f). Al-Jabartī mentions that he came from Egypt in 1192/1760, but he gives his death as occurring in 1192/1778. (°Ajā'ib, vol.II, p. 36). Kakhāla is mistaken when he records his surname as Safar and states that he was born in 1114/1702. (M. al-Mu'allifīn, vol. X, p. 37). Madanī and Ghālib are also mistaken in giving his surname as Safar. See al-Shi[°]r al-Malhamī, p. 739; & M.A. al-Hijāz, p. 245. The most authentic source for his biography is Tuhfat al-Muhibbīn, because al-Ansārī wrote as a contemporary, in addition to which he mentions that Safar was his colleague in Madina's Mosque.

25 7 Cuthmān Beg: al-Jabartī records that °Uthmān Beg Dhū al-Fiqār was a Wālī in Egypt in 1138/1725, later becoming the Hākīm of the country. He went to Hejaz as Amīr al-Hajj al-Shāmī in 1155/1742, but returned in 1156/1743. Al-Jabartī adds that during his journey to Hejaz he sought to make the pilgrimage roads safer. He died in Istanbul in 1190/1776. (°Ajā'ib, vol.I, p. 184f).

- 25 8 Kat-Khudā: "vicegerent, vicar, locum tenens, deputy". (Steingass, p. 1014; cf. Redhouse, p. 1524). The word was originally Persian, meaning "head of family, or household", hence "headman", Arabic equivalent naqīb, °umda, etc.
- 25 8 Ahmad Ibrāhīm Kawāfī: the cognomen Kawāfī describes a maker or seller of Kūfiyyāt (headdresses). His father emigrated to Medina from Bukhara in 1090/1679. He is described as a brave person and he became Kat-Khudā of his group in al-Qal°a. He was forced to leave Medina and so lived for a while on the outskirts of the city. He died in 1165/1751. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 414f).
- 25 9 Al-Qal°a, i.e. "the fort": Ibn Mūsā notes that it was built by Sultān Salīm ibn Sultān Sulaymān and was consequently known as al-Qal°a al-Sultāniyya. (wasf al-Madīna al-Munawwara [1303/1885] p. 48; Rasā'il fī Ta'rīkh al-Madīna, collected and introduced by Hamad al-Jāsir [Riyadh, 1392/1972] p. 48). Rutter describes it as follows: "At the north-western extremity of the city there is a small, square fort, which was built by the Turkish Sultān Selim in 939 A.H./1532 A.D. It stands on a rising ground, and is strongly built of stone. Its walls are some thirty-five feet in height, and a round watch tower rises above its western ramparts". (Op. cit., p. 517). Al-°Ayyāhī witnessed two events concerning what he called "the explosion of al-Qal°a", one in 1342/1923, when bombs exploded there during the civil war between the Banū °Alī and the youths of Medina, and the second one in 1344/1925 when the Hāshimite army clashed with the Sa°ūdis before Medina was surrendered. See al-°Ayyāshī, p. 553 - 5.
- 25 9 Inqishārī: i.e. Janissaries (Turkish yeni-áeri k, "new troops").

"The name [is] given to the regular infantry created by the Ottoman Turkish in the xivth century, which became their principal force and rendered possible the conquests made in this and the following centuries". (C. Huart, art. "Janis-saries", EI, vol.II, p. 572).

25 9 Muhammad Sa^oid Inqishārī: his great-grandfather came to Medina in order to maintain discipline on al-Qal^oa when Sul-tān Sulaymān built it in 946/1539. Muhammad Sa^oid was involved in the civil strife which occurred in Medina in 1156/1743. He was besieged by his enemies inside al-Qal^oa; they climbed the wall and were able to kill him with his brother and son. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 503.

25 9 Ispāhiyya: Redhouse defines ottoman Turkish ispāh as "a soldier, warrior; a horseman, knight; [and] An army; troops, forces". (p. 86). The word was originally Persian, sipah ("army"), hence sipahi ("soldier").

25 9 ^oAbd al-Qādir Zāfir was related to Hasan āghā al-Rūmī al-Bushnāqī, who came to Medina in 980/1572. CAbd al-Qādir was born in 1110/1698. He was deported from Medina because of the civil strife of 1156/1743, and when he returned he was destitute of all means of livelihood. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 347 - 9).

25 10 Hasan Kābūs: it is popularly believed among the people of Medina that the Kābūs family are Shī^oCites, although they are not so. They originate from Egypt. Regardless of his bravery, Hasan was killed by Hamza Qulyūbī and Mustafā Muzwīr in 1156/1743. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 411f).

25 15 ^oUmar Muhammad Zakī al-Dīn: his family were immigrants from India. He was an unknown person until he established his own trading form which gave him great fame among the

people of Medina. He was expelled from the city in 1156/1743 and on his return he was appointed Kat-Khudā al-Qal^oa until 1172/1758, when he died. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 263).

25 16 Muhammad Murād: al-Ansārī records his name as Ahmad āghā al-Antākī. He emigrated to Medina in 1150/1737. The famous site (formerly a garden) in Medina called al-Murādiyya is possibly related to him. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 455).

25 17 Hujja shar^odiyya: Legal instrument. (K. al-Jurr, Lārūs: al-Mu^o-jamal-^oArabī al-Hadith [Paris, 1973] p. 432).

25 18 ^oard: derived from the verb ^oarada, "he exposed [a thing to view]". (E.W. Lane, Arabic-English Lexicon [London, 1874] bk. 1, pt. 5, p. 2002f., s.v. ^oarada). "Isti^orād, ^oard, the mustering, passing in review and inspection of troops, the ocial charged with this duty being known as the ^oārid, pl. ^our-rād". (C.E. Bosworth, art. "Isti^orād", EI2, vol. IV, p. 265).

26 2 Al-Jalwiyya: from the verb Jalā ("to oust"). Jalā al-qawm: when the people are sent into exile under pressure of the authority. (Ibn Manzūr, Lisān al-^oArab, ed. ^oAbd Allāh ^oAlī al-Kabīr & others vol. I (Cairo) p. 969, s.v. Jalā).

26 3 Al-Sālihī: Qāsiyūn Mountain is also well known under the name al-Sāliphīyya, a name which derives from the immigration to this region in A.H. 554 of the Banū Qudāma al-Maqādīsa, who were also also known as al-Sālihīn. See Muhammad ibn Tūlūn al-Sālihī, al-Qalā'id al-Jawhariyya fī Ta'rīkh al-Sālihiyya, ed. M.A. Dahmān, pt. 1 [Damascus, 1368/1949] p.5.

Al-Ansārī suggests a link with Sālihiyyat al-Shām. Ahmad ^oUthmān Muhammad al-Sālihī was killed during the Qal^oa

violence on the 11 Jumāda, 1156/1743. His tomb is at the top of al-Qal[°]a. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 324).

26 6 Al-shubbān: pl. of Shābb, "youth". (M. al-Sihāh, p. 327, s.v. shababa).

26 12 [°]Arqaba: "he raised the camel's hocks, in order that he night stand up". (Lane, bk. 1, pt. 5, p. 2022, s.v. [°]arqaba).

26 13 Shadhdha: "he became apart from the collective body". (Lane, bk. 1, pt. 4, p. 1521, s.v. shadhdha).

26 14 Al-[°]ayn: "the spring". Ibn Mūsā locates this place near to the district founded by [°]Adīla ibn al-Sultān Mahmūd Khān. It is also called [°]ayn al-Sāha. (W. al-Madīna, p. 49). Al-[°]Ayyāshī explains the foundation of what he calls Manāhil as intended to provide the pilgrims with water while staying in the centre of the city. (p. 562).

26 17 Al-Hāra: a district of Medina. Ibn Mūsā notes of this part of Medina that in the period of al-Sultān Sulaymān Khān al-Qānūnī in 950/1543, the interior wall of the city was built and a part of the cemetery (al-Baqi[°]) was appended to the city, giving rise to this new district. (W. al-Madīna, p. 13). In his description of Medina, Burckhart called it Hārat al-Aghawāt (i.e. of the eunuchs): "The quarters lying to the north of the street El Belát, extending to the north of the mosque, as far as the gate El Djoma, are: - El Hamáta, Zogág el Habs, Zogág Ankyne, Zogág es' Semáhedy, Háret el Meyda, Haret es' Shershoura, Zogág el Bedour, Haret el Agowat, where the eunuchs of the mosque live". (Op. cit., p. 324). This quarter of Medina still bears the same name. Rutter, who called it Harat el-bakīa, wrote, "The ancient quarter of Al-Medina is called Harat el-Bakīa, and one of its narrow streets is called Zuq6666q el Aghaw6666t. Here the eu-

nuch guardians of the Mosque have their dwellings". (Rutter, p. 520).

26 19 Wālī Juddah: al-Ansārī records that °Alī Bāshā was Wālī of Juddah between 1146/1733 and 1158/1745. (M. Jeddah, p. 317f).

27 1 Jurda: "an escort of cavalry; especially the escort of Arab horsemen that accompanies the Mekka pilgrims". (Redhouse, p. 654). "Expedition sent down to Arabia from Damascus to meet the returning H6666j, at Medain". (Deserts, vol. II, p. 610).

27 3 Hazza^c: the Banū Hazza^c were the second branch of al-Marāwiha from Banū Sālīm of the Harb tribe. They were natives of Hejaz and their settlements lay between the Wādī al-Safrā', al-Musayjīd, and Wādī al-Fāri^ca. They played a major role in the wars which occurred in this region. (N. Harb, p. 84, 101f).

27 5 Rābigh is a valley in al-Juhfa. (M. ibn Ya^cqūb al-Fīrūzābādī, al-Maghānim al-Mutāba fī Ma^cālīm Tāba, ed. Hamad al-Jāsir [Riyadh, 1389/1969] p. 149. On his journey from Mecca to Medina, Burckhardt: recorded some information about Rābigh, with its wells, coast, inhabitants, their activities, and its commercial and religious situation: "Rabegh possesses the advantage of a number of wells, the water of which is, however, but indierent: its vicinity to the sea, which, as I heard, was six or seven moles distant, though the view of it was hid by palm-groves, causes the coast of Rabegh to be visited by many country ships that are in want of water. The Bedouins of this coast are active fishermen, and bring hither from the more distant parts their salted fish; a quantity of which may always be found in the market, where it is

bought up by the Arab ships' crews, who consume a great part of it, and carry the rest to Egypt or Djidda. The inhabitants of Rabegh are of the above-mentioned Harb tribes of Aamer and Zebeyd, principally the latter. In the opposite mountains, to the east, live the Beni Owf, another tribe of Harb. The Hadjys passing by sea from Egypt to Djidda, are obliged to take the ihram opposite to Rabegh, which they may do either on shore, or on board ship". (Op. cit., p. 301). When Sir Richard Burton passed Rābigh in order to perform the pilgrimage, he informs us that when they passed "the village of Rābikh, on the Arabian coast.. the time had consequently arrived for changing our usual habiliments for the 'ihrām', or pilgrim-costume of two towels and for taking the various interdictory vows involved in its assumption: such as not to tie knots in any portion of our dress, not to oil the body, and not to cut our nails or hair, nor to improve the tints of the latter with the coppery red of henna". (Op. cit., vol. II, p. 409). Rutter noted, "It is a seaport of some importance and during the Hijaz war, it largely took the place of Jiddah as the port of Mekka". (p. 476).

27 7 Al-Manākha: "a place in which camels are made to lie down upon their breasts, [with their legs folded].. a place where they so lie.. a nightly resting place of camels". (Lane, bk. 1, pt. 8, p. 2864, s.v. munākh). The historians seem to give conflicting accounts of the location called Manākha in Medina. I would like to suggest that there is more than one place called Manākha according to the development of the city. Ibn Mūsā defines Manākha as the space near Ja^cfar Alley and names it Manākha Dīr. (W. al-Madīna, p. 42). Burckhardt gave its name as "Monákh", but he recorded the

names of the mosques in Manākha incorrectly: "There are two mosques in the Monākh: the one, called Mesdjed Aly, or the mosque of the Prophet's cousin, is said to be as old as the time of Mohammed; but the building, as it stands, was rebuilt in A.H. 876. Mohammed is said to have often prayed here; and, for the convenience of the inhabitants of suburbs who are at a distance from the great mosque, the Khotbe, or Friday's prayer, is likewise performed in it. The other mosque, called Mesdjed Omar, to which a public medrese, or school, was attached, serves at presents as a magazine, and quarters for many soldiers.. Two other mosque, the one called Mesdjed Zobáb, stood in this neighbourhood in the sixteenth century; and the Monákh at that time bore the name Djebel Sola, the Arabian applying the name of Djebel (or mountain) to any slightly elevated spot of ground". (Op. cit., p. 327). As far as I am aware, there are three mosque in al-Manākha: Masjid °Alī ibn abī Tālib, near al-Tayār Street; with two other mosques in the neighbourhood: Masjid Abī Bakr al-Sadīq and Masjid al-Ghamāma, the original name of which was Masjid al-Musallā, where the Prophet performed the first festival prayer in A.H. 2. Masjid °Umar ibn al-khattāb is not in Manākha, but near what is known until today as Bāb Qubā' in the area called al-Sayh. Burton also dealt with the Manākha mosques, their names and locations: "The Khamsah Masajid, or the Five Mosques, which every zair is expected to visit. They are.

The Prophet's Mosque in the Manakhah.

Abu Bakr's near the Ayn al-Zarka.

Ali's Mosque in the Zukak al-Tayyar of the Manakhah.

Some authors call this the 'Musalla el-Id', because the Pro-

phet here prayed the Festival Prayer.

Omar's Mosque, near the Bab Kuba of the Manakhah, and close to the little torrent called Al-Sayh. Belal's Mosque, celebrated in books; I did not see it, and some Madani assured me that it no longer exists.

A description of one of these buildings will suce, for they are all similar. Mohammed's Mosque in the Manakhah stands upon a spot formerly occupied, some say, by the Jami Ghamamah. Others believe it to be founded upon the Musalla al-Nabi, a place where the Apostle recited the first Festival prayers after his arrival at Al-Madinah, and used frequently to pray, and to address those of his followers who lived far from the Harim, or Sanctuary. It is a trim modern building of out stone and lime in regular layers, of parallelogramic shape, surmounted by one large and four small cupolas. These are all whitewashed; and the principal is capped with a large crescent, or rather a trident, rising from a series of gilt globes: the other domes crown the several corners. The minaret is of the usual Turkish shape, with a conical roof, and a single gallery for the Mu'ezzin. An acacia-tree or two on the Eastern side, and behind it a wall-like line of mud houses, finish the coup-d'oeil; the interior of this building is as simple as is the exterior". (Op. cit., vol. I, p. 395f). Al-^cayn al-Zarqā', which he mentioned near to Abū Bakr's Mosque, no longer exists. Billāl's Mosque, which used to be inside the Imāra building (the oce of the governor) has been demolished since the old building has been rubuilt and new ocial oces have been established. Ibrāhīm Rif^cat says that between the western wall and the houses which lie to its west is a space, the average width

of which is 400k., and is called Manākha because some of the Banū CUthmān kings bought the land and ordered it to be reserved against building in order to make it available for pilgrimage caravans. (I. RifCat Bāshā, Mir'āt al-Haramayn, vol. I [Cairo, 1344/1925] p. 413). The same information is found in R. al-Hijāziyya, p. 264. Rutter describes it as follows: "Between the suburb El-Wajha and the inner wall is the couching place of the caravans, El-Manākha". (p. 515). Al-^cAyyāshī has more recently tried to attribute the name Manākha to the space near al-Sabīl garden to the north of al-CAyn road. It was named, he claims, at the end of the Ottoman Empire Manākhāt al-Hajj al-Shāmī, although Medina's inhabitants call it Barahāt Bāb al-Shāmī. (p. 561).

27 9 Al-Hajj al-Shāmī: Burton tried to describe the Syrian caravan, or what he called Shugduf, as follows: "The Syrian Shugduf diers entirely from that of Al-Hijaz. It is composed of two solid wooden cots about four feet in length, slung along the camel's sides and covered over with cloth, in the shape of a tent. They are nearly twice as heavy as the Hijazi litter, and yet a Syrian camel-man would as surely refuse to put one of the latter upon his beast's back, as the Hijaz to carry a Syrian litter. (Op. cit., vol. I, p. 418). Burton also stated the importance of the arrival of the Syrian caravan for the people of Medina: "On the morning of Sunday, the twenty-third Zu'l Ka'dah (28th August, 1853), arrived from Al-Sham, or Damascus, the great Caravan popularly called Hajj al-Shami, the 'Damascus pilgrimage', as the Egyptian Cafila is Al-Misri, or the Cairo pilgrimage.. The arrival was anxiously expected by the people for several reasons. In the first place, it brought with it a new curtain for the Prophet's Huj-

rah, the old one being in a tattered condition; secondly, it had charge of the annual stipends and pensions of the citizens; and thirdly, many families expected members returning under its escort to their homes". (Ibid., vol. I, p. 416). Al-Hajj al-Shāmī consisted of two ranks of camel litters (hawdaj), bringing the income of al-Haramayn endowments from Bilād al-Shām. It was headed by a military leader who commanded a contingent of troops to guard it from the bedouin. It entered Medina via al-^oAqīq, Zubāla, and Thaniyyat al-Wada^o al-Shāmiyya, and it stopped at al-Zakī opposite al-Qal^oa. (Al-^oAyyāshī, p. 561).

27 10f ^oAbd al-Rahmān āghā al-Saghīr was appointed Shaykh al-Haram in 1156/1743 and dismissed in 1168/1754. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 27).

27 11 Kh znadār: "Khāzin (a.), usual pl. Khuzzān (the pl. Khazana is found in the Kur'ān in XXXIX, 71, 73, etc. for the angels who guard Paradise and Hell), literally, 'he who Keeps safe, stores something away', a term of mediaeval Islamic administration for certain members of the financial departments.. and also of the chancery". (C.E. Bosworth, art. "Khāzin", "EI², vol. IV, p. 1181f). Thus khaznadār = "a treasurer". See Steingass, p. 458; & Redhouse, p. 845. D. Hasan Bāhā comments on this post that the person who holds it could at the same time hold the post of Shaykh Mashāyikh al-Haram al-Nabawī al-Sharīf and that the eunuchs always filled these two posts together. (Al-Funūn, vol. I [Cairo, 1965] p. 453 - 60). Burton mentioned the post of the Khaznadār in Medina's Mosque "The chief treasurer is called the Mudir al-Harim; he keeps an eye upon the khaznadar, or treasurer, whose salary is 2000 piastres". (Op. cit., p. 371).

- 27 14 The poem of al-Sayyid Ja^ofar al-Baytī is found in the copies of his poetical works as follows: Hikmat MS., p. 73 - 7; al-Sāfī MS., p. 53 - 6; Topkapi MS., p. 53 - 6; ^oUbayd Madanī Library MS., p. 72 - 7; Dār al-Kutub MS., p. 38 - 42; as well as in other sources. (Al-Fulk, p. 4 - 8; al-shir^or al-Malhamī, p. 731 - 4).
- 28 5 The second hemistich of the fifth line and the whole sixth line of Sayyid Ja^ofar al-Baytī's poem are cited from Abū Nuwās's poem composed in praise of al-^oAbbās ibn al-Fadel ibn al-Rabi^o. Dīwān Abī Nuwās, ed. ^oAbd al-Majīd al-Ghazālī [Cairo, 1953] p. 464.
- 28 6m Al- Dimna: "deserted ruin".
- 29 20 Karbalā' "a place in ^oRāq some 6 miles SW of Baghdād celebrated by the fact that the Prophet's grandson al-Husayn b. ^oAlī was killed and his decapitated body buried there". (E. Honigmann, art. "Karbalā", "EI², vol. IV, p. 637).
- 29 20 Yawm al-dār: "the house event" ^oUmar ibn Shabba al-Nuwayri al-Basrī comments that yawm al-dār means the day when the Caliph ^oUthmān was killed in Medina. (Kitāb Ta'rīkh al-Madīna al-Munawwara, ed. F.M. Shaltūt, vol, IV [Jeddah, 1393/1973] p. 1270).
- 29 21FHm Yarawwi^oihā: "frightening Medina".
- 29 21SHm Yura^oihā: "to take into account Medina's duties".
- 29 21SHm "The task of the āghā is to protect Medina from her enemies, not to help them".
- 29 26 Al-āghā, pl. aghawāt: "eunuchs and the like (quasi-Arabic form)". (Redhouse, p. 152). "In Ottoman Turkish agha (usually pronounced ā'ā or even ā) means 'chief', 'master' and sometimes 'landowner'. It is also used for the head servant of a household and occurs in combination with many

words.. the eunuchs of the palace service were headed by the Bāb ūl-Se^oādet Aghasi or Kapi Aghasi (white) and the Dār l-Se^oādet Aghasi or Kizlar Aghasi (black), and the eunuchs attendant on the Wālide Sultān and princesses of the imperial blood. Hence eunuchs employed by officials and the well-to-do in general came usually to be known as harem or Khādīm aghalari, till the word agha alone might sometimes mean 'eunuch' ". (H. Bowen, art. "Agha", EI², vol. I, p. 246). Al-Suyūṭī records that Mu^oāwiya ibn abī Sufyān was the first person to employ eunuchs in Islamic times. (Ta'rīkh al-Khulafā', 4th ed. [1389/1969] p. 200). Burckhardt confirmed the notes of al-Suyūṭī concerning the work of the eunuchs in the mosque: "The employment of slaves or eunuchs in this mosque is of very ancient date. Mawya Ibn Aby Sofyan, a short time after Mohammed, first ordered slaves for the Kaaba". (Op. cit., p. 158). Burton further discussed the legality of employing eunuchs in the mosque: "In Al-Islam, the employment of such persons about the mosque is a 'Bida^oah' or custom unknown in the time of the Prophet. It is said to have arisen from the following three considerations: 1. These people are concentrated in their professions; 2. They must see and touch strange women at the shrines; and 3. The shrines are 'Harim', or sacred, having adyta which are kept secret from the prying eyes of men, and, therefore, should be served by eunuchs". (Op. cit., vol. I, p. 371). The first notice of eunuchs in Medina is found in Ibn al-Najjār's history of Medina, when he records that during Qāsim ibn Muḥannā al-Husaynī's reign, on Saturday 11 Rabi^o II 504/1110, a black eunuch entered the Prophet's tomb in order to clean the chamber. (M. ibn Mah-

mūd ibn al-Najjār, al-Durrat al-Thamīna fī Akhbār al-Madīna, ed. S. Jamāl [Mecca, 1366/1947] p. 118). Ibn Jubayr also confirmed the presence of the eunuchs in the Prophet's Mosque during his visit to medina: "Towards the east is a wooden structure where some of the guardians of the blessed Mosque sleep. These guardians are Abyssinian eunuchs and slaves of handsome presence, elegantly clad and ornamented". (The Travels of Ibn Jubayr, trans. R.J.C. Broadhurst [London, 1952] p. 201). Later we have another historian, Ibn Farhūn, who gives a full account of what he calls Mashā'ikh al-Khuddām bi'l-Haram al-Sharīf. The first eunuch he saw was °Azīz al-Dawla in 700/1301, and then Shibl al-Dawla Kāfūr al-Muzaarī, who rebuilt the Bāb al-Salām minaret in 706/1306. Ibn Farhūn also devoted some pages of his book to what he called al-Khuddām al-Mutakhallīn, who operated under the authority of al-Mashā'ikh. From the important account he gives, we may deduce their nationalities through a consideration of their surnames, e.g. Shams al-Dīn al-Hamawī, °izz al-Dīn Mukhtār al-Halabī, Rayhān al-Hindī, Dīnār al-Qurtubī, Mukhtār al-Baghdādī, and Amīn Khālīs al-Bukhārī. (°Abd Allāh ibn Muhammad ibn abī al-Qāsim ibn Farhūn al-Mālikī, Nasīhat al-Mushāwir wa-Ta^c-ziyyat al-Mujāwir, °ārif Hikmat MS, Ta'rīkh, no. 797, p. 31 - 53). Shams al-Dīn al-Sakhāwī records their number in his day as forty and their origins he gives as from Ethiopia, Anatolia, Tukrūr (Africa), and India. Most of them were apparently Indian and he adds that their chiefs must have been chosen as ideal masters. (Al-Tuhfat al-Tīfa fī Ta'rīkh al-Madīnat al-Sharīfa, vol. I [Cairo, 1399/1979] p. 61). Al-Ansārī records that after al-Sultān Salīm assumed power over

Hejaz, he appointed al-Amīr al-Zaynī Sandal al-Salīmī from Anatolia as Shaykh al-Haram in 929/1522, the order of this appointment being written by °Abd al-Rahīm al-°Abbāssī, the author of Ma°āhid al-Tansīs. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 58f. This would indicate that the post of Shaykh al-Haram meant more than simply looking after the mosque's services; it meant a new approach being adopted in arranging the administration of Medina, which was the source of all the troubles and insurrections during the 12th-18th centuries. The Shuyūkh al-Haram during this period appear to have been black eunuchs, who also held the office of governor of Medina. This probability seems to be confirmed by Gibb and Bowen who write, "governor of Madina, a post which, as we have mentioned, was conferred in later times on negro eunuchs of the Harem service". (I.S.A. the West, vol. I, pt. 1, appendix B, p. 331). Burckhardt traced the origin of the eunuchs before they were called for service in the Mecca and Medina mosques: "I enquired at Shendy whether any of the slaves were eunuchs, but I was informed that no eunuchs were imported into that place during my stay, and that Borgho, to the west of Darfour, is the only country in eastern Soudan where slaves are thus mutilated for exportation. Their number, however, is very small; a few are carried to Egypt from Darfour, and the remainder are sent as presents by the negroe sovereigns to the great mosques at Mekka and Medina, by the way of Souakin". (Travels in Nubia [London, 1819] p. 328f). Again, on his journey to Arabia, he continued his inquiries and provided a full account of their jobs and features, with a comparison of them with the European eunuchs: "The police of the mos-

que, the ope of washing the Hedjra and the whole of the building, of lighting the lamps, & c. is entrusted to the care of forty of fifty eunuchs, who have an establishment similar to that of the eunuchs of the Beitullah at Mekka; but they are persons of greater consequence here; they are more richly dressed, though in the same costume: usually wear fine cashmere shawls, and gowns of the best Indian silk stus, and assume airs of great importance.. They live together in one of the best quarters of Medina, to the eastward of the mosque, and their houses are said to be furnished in a more costly manner than any others in the town. The adults are all married to black or Abyssinian slaves. The black eunuchs, unlike those of Europe, become emaciated; their features are extremely coarse, nothing but the bones being distinguishable; their hands are those of a skeleton, and their whole appearance is extremely disgusting. By the help of thick clothing they hide their leanness; but their bony features are so prominent, that they can be distinguished at first sight. Their voice, however, undergoes little, if any change, and is far from being reduced to that fine feminie tone so much admired in the Italian singers". (Op. cit., p. 342f). In his time also, Burton sought to provide his reader with an account of the institution of the eunuchs in the Medina Mosque, their numbers, ranks, works, private life, and their characteristics generally: "The eunuchs. About a hundred and twenty in number, are divided into three orders. The Bawwabin, or porters, open the doors of the Mosque. The Khubziyah sweep the purer parts of the temple, and the lowest order, popularly called 'Battalin', clean away all impurities, beat those found sleeping, and act as bea-

dles, a duty here which involves considerable use of the cane.. Their pay varies from 250 to 500 piastres a month; they are looked upon as honourable men, and are, generally speaking, married, some of them indulging in three or four wives, which would have aroused Juvenal's bile. The Agha's character is curious and exceptional as his outward conformation. Disconnected with humanity, he is cruel, fierce, brave, and capable of any villany. His frame is unnaturally long and lean, especially the arms and legs, with high shoulders, protruding joints, and a face by contrast extraordinarily large; he is unusually expert in the use of weapons, and sitting well 'home', he rides to admiration, his hoarse, thick voice investing him with all the circumstances of command". (Op. cit., vol. I, p. 372). During his visit to Mecca, C. Snouck Hurgronje gave an account of the nationalities of the Mecca Mosque's eunuchs: "Among the aghas (eunuchs attendants in the mosques) are found Nubians, negroes, and Abyssinians, of-ten strongly built but seldom amiable people". (Mekka, p. 20). Burckhardt recorded that some of the Meccan eunuchs went to the Sudan to collect presents for the Ka^Cba: "Most of the eunuchs, or Towashye, are negroes; a few were copper-coloured Indians. One of the former is sometimes sent to the Soudan countries, to collect presents for the Kaaba. The fate of a eunuch of this description is mentioned by Bruce. Some years since a Towashye obtained permission to return to Soudan, on presenting another person to the mosque in his stead. He then repaired to Borgo, west of Darfour, and is now the powerful governor of a province". (Op. cit., p. 159). It seems that the eunuchs of the two holy mosques obtained some endow-

ments in Sudan and they sent some representatives from among themselves to arrange and collect the proceeds of them. Burckhardt specified an important function of the Meccan eunuchs, which has been carried down to the present time: "The second officer of the mosque in rank is the Age of the eunuchs, or, as he is called, Agat el Tawashye. The eunuchs perform the duty of police officers in the temple; they prevent disorders, and daily wash and sweep, with large brooms, the pavement round the Kaaba". (Op. cit., p. 158). At the end of the nineteenth century, Ibn Mūsā indicates that the Shaykh al-Haram used to be from the Serāy, later from the Kizlaraáasi, and currently from the wuzarā'. (W. al-Madīna, p. 71). The exalted work of the aghawāt led to their disdaining any subsequent profane employment: "A tawāshī 'l-nabī light not enter the service of an individual after having been attached to the temple". (Ch. Pellat, art. "Khāsī", EI², vol. IV, p. 1088). The historians have sought to deal with the question when the eunuchs became established as an institution in the Medina Mosque and what were the specific functions of this institution: "It is of some interest to note that at a much later period, Nūr al-Dīn.. instituted in 557/1161 a body of ministers of the hudjra of the prophet: it consisted of twelve Abyssinian eunuchs, whose number was then doubled by Saladin.. In the period of Ibn Battūta.. the servants and door-keepers of the Mosque of the Prophet at Medina were also eunuchs of Abyssinian or other origin, under the order of the Shaykh al-Khuddām". Ch. Pellat, art. "Khāsī" EI², vol. IV, p. 1088). RifCat mentions that al-Sultān Salāh al-Dīn al-Ayyūbī was the first caliph to discipline the aghawāt in Medina. (Mir'āt,

vol. I, p. 459). Rutter agreed with RifCat that it was Salāh al-Dīn al-Ayyūbī who instituted the eunuchs in the Medina Mosque, and he described their wealth and their numbers, but without going into details about their works or their private lives: "It is commonly believed that the Aghas possess great riches which are secreted in their dark houses adjoining Bâb Jibrîl. The corps of Aghas in El Medîna formerly numbered fifty. I doubt whether there were more than thirty of them employed in the Mosque at the time of which I write; but there was evidently no intention of allowing them to become extinct, as they has a number of little black boys in their houses who must have been recently purchased by or presented to them. These youths spent their time in study and in serving the elders, preparing to enter the mosque service when they should arrive at years of discretion. The employment of eunuchs in the Haram of El Medîna was instituted by the Sult6666n Salah ed-Dīn el Ayyûbi - Saladin of the Crusaders". Op. cit., p. 564). The eunuchs of Medina contributed in the past to the religious and social life of the city. Thus, the historian Ibn Mūsā related that a well-known āghā called Hāfiz Bahrām āghā Dār al-Sa^Cāda (fl. C. 1303/1885) erected a mosque in al-Anbariyya quarter (see p. 89, 1.1) and a ribāt (hospice), as well as a power-mill for flour and a hostel for the employees of the mill. Among the schools founded during the time of Ibn Mūsā was Madrasat Bashīr āghā, located near Bâb al-Salām. Further, among the scattered Cuyūn (wells of water) around Medina, were two that were owned by the aghawāt and supplied the inhabitants with water. One of them was near Zubab mountain, or what is known as al-Qurayn al-

Tahtānī, while the other was in the Majrā sayl al-^oqīq (the course of al-^oAqīq torrent). See W. al- Madīna, p. 17 - 20, 37. At the present time the numbers of the eunuchs officiating in the Mecca and Medina mosque is not more than fifty. The nationality of the majority of them is Ethiopian, apart from the Shaykh and the Nā'ib of the Medina corps, who are Sudanese in both mosques. Most of their functions have been assumed by other institutions, but in mecca they still clean the Matāf (around the KaCba) every day before sunset. In Medina some of them guard the mosque during the night and take charge of the Hujra (the Prophet's chamber). Penzer mentioned the disappearance of the eunuchs from the Islamic world, except in Mecca, as already noted: "But the days of the eunuch are over. With the passing of the harēm in the Muhammadan world (save in Mecca itself) the neccessity for the eunuch has disappeared, and despite all my eorts in Turkey I met only two, or possibly three, of these strange beings. I was told that these were the last of them" (The Harām, 3rd imp. [London, 1967] p. 150).

29 27 FHm "These rancours among the people started after the civil strife concerning al-^oAhd in 1134/1721".

29 28 Ghilāl: pl. of ghalla, "proceeds, revenue, or income accruing from the produce of yield of land". (Lane, bk. 1, pt 6, p. 2278, s.v. ghalla).

29 28 FHm "The revenue sent to Medina from Egypt was the price of the grain".

30 34 FHm "They pretended to read the Qur'ān in order to Keep the inhabitants from knowing anything about the situation".

30 35 Tayāzīr: pl. of tīzār, a colloquial word used by Hejazi peo-

ple. It seems to be a corruption of the classical Arabic *Izār*, but Steingass glosses *izārī* Khargāh as "a tent-flap", the same meaning intended by *tīzār*. See Steingass, p. 42f.

30 35 SHm "They disguise the muskets among the *tayāzīr*".

30 37 FHm "Al-abwāb means Medina's gates".

30 38 SHm "Sitta means six of the troops".

31 40 FHm "They said to them that the wanted people were only those six".

31 42 SHm "Zūr means untruth".

31 43 Amhār: pl. of muhr, "seal ring". (Lārūs, p. 1168).

31 44 The first hemistich contains a quotation of the prover:

« لا يَنْتَطِحُ فِيهَا عِزَانٌ »

("Two goats do not clash in this matter"). (Abu Hilāl al-^oaskarī, *Kitāb Jamharat al-Amthāl*, ed. M. Abū al-Fadl Ibrāhīm, vol. II [1384/1964] p. 403).

31 46 SHm "Al-Shahbā' means 'white', but it is used here metaphorically. Sana shahbā' means "to be barren and show no sign of life". See al-Lisān, vol. IV, p. 2347, s.v. shahaba.

31 46 SHm "Yujannihā means 'to incriminate them', i.e. the people".

31 47 The first hemistich contains a quotation of the proverb:

« ذهبوا أيدي سبا وَتَفَرَّقُوا أيدي »

("They fled and scattered like the Sabaeans' souls"). Al-Nī-sābūrī glosses the name Sabā' as referring to Sabā' ibn Yashjūb, and the word aydi as meaning "souls". The proverb recalls the alarm caused to the people of Sabā' by the flooding from the burst dam of Ma'rib, when they were

forced to flee in all directions, never to be reunited. See Ahmad ibn Muhammad al-Nīsābūrī, *Majma^c al-Amthāl*, vol. I (1342/1923) p. 252.

31 50 FHm "Al-Islām is used metaphorically for the Muslims".

31 50 SHm "Tarāqīhā means the collarbone".

31 53 Al-Tayālīs: pl. of taylasān, "cloths or shawls used as turbans or wraps; also, the ens of such cloths or shawls, that hang down". (redhouse, p. 1266). "Masculine turbans. The Turkish Kavuk was a headdress of felt or Woollen cloth of dierent thickness around which was wrapped a turban (a long band of material) called in Turkish sarik or dlband (current pronunciation tlband). It is from the form of the kavuk and the way in which the turban was tied that there derive dierent types and names of head-gear known in Europe as turbans. The kavuks, whose height varied, normally had the form of a contracted or enlarged cylinder, flat or bulging; but there were also those which resembled a truncated cone or a cupola. The highest Kavuks (40 to 60 cm). Were kept rigid by means of a construction of metal bars or a kind of basket. They had a smooth or quilted (terk) surface and were trimmed with cotton to give the effect of relief or a dome shape with the quilting (dilim). To make the turban, lengths of material (sarik) were used which were folded or made into rolls (burma). Fine materials such as cotton, gauze, muslin, fine wool, silk or brocade were chosen For this. Under the kavuk was placed a skull-cap (takke) which could also be worn alone. Sometimes small braids (zlf) or pendants (pskl) were attached to the Kavuks, allowing the and of the sarik to fall on the back or the shoulders (taylasāh). To give protection from the rain,

a kind of small umbrella or covering (yaghmurluk) was carried". (T. Majda, art. "Libās", EI², vol.V, p. 751). Burton tried to describe the preacher in the Mecca Mosque and the style of his clothing: "The style of head-dress called Taylasan covered his turband, which was white as his robes, and a short sta supported his left hand". He described the taylasān as "a scarf thrown over the head, with one end brought round under the chin and passed over the left shoulder". (Op. cit., vol. II, p. 225f). Still in Mecca some °ulamā' wear the taylasān over their turbans.

32 54 FHm Al-Afkhākh: "snares". He tries to say that turbans of the aghawāt are like snares. Rutter gives a full description of the aghawāt's clothing: "The Aghas wore a special form of dress, which includes a jubba of any colour, with very long, loose sleeves which hang down to the wearer's knees, completely concealing his hands. They wear very large white turbans, and also broad saches, the ends of which hang down from the waist to below the knee". (p. 265).

32 56 SHm "They [the eunuchs] seek to tyrannize over each other".

32 57 Tamā al-jawr: "the outrage burst forth". See al-Lisān, p. 2707.

32 58 SHm "Murdān means brave people". The word is the pl. of mard. See Steingass, p. 1212, s.v. mardān.

32 59 FHm "Kābūs, on the Nubetjian's side".

32 60 FHm "They tried to bring back the people who had already been deported by them".

32 61 SHm "Kubayba, on the side of al-qa^oa, were brave troops".

32 64 FHm "Haza^o was one of Harb's 'Pharaohs'".

33 69 This line contains a quotation from Sūrat al-Nūr (S.24), v. 11:

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١١).

("To him who took upon himself the lead among them, there will be a severe penalty").

33 70 Al-Ansār: " 'the helpers', the usual designation of those men in Medina who supported Muhammad, in distinction from the Muhādjrūr or 'emigrants' i.e. his Meccan followers. After the general conversion of the Arabs to Islam the old name of al-Aws and al-Khazraj jointly, Banū Kayla, fell out of use and was replaced by Ansār, the individual being known as an Ansārī. In this way the early services of the men of Medina to the cause of Islam were honourably commemorated. Ansār is presumably the plural of nasīr, but the latter has the connotation of helping a person wronged against his enemy. This is sufficient to explain why the Muslims of Medina were called al-Ansār (sometimes ansār al-nabī, 'the helpers of the prophet')." (W. Montgomery Watt, art. 'al-Ansār', EI², vol. I, p. 514). Al-Samhūdī suggests as the reason Behind the emigration of al-Aws and al-Khazraj to Medina the bursting of the dam. After their arrival, they spread abroad in al-^cAliyya and al-Sāfila. (Wafā', vol. I, p. 166 - 177). Al-^cAyyāshī describes the places occupied by these two tribes as being some within the city and the rest on its outskirts. Qubā' and Qurbān are the lowest parts of al-CAlliyya and Harat Benī Qurayza. Aws and Khazraj's living places reached the district of Uhud and they spread abroad in al-^cAqīq valley, alongside Yathrib, as far as al-Hulayfa al-^cUlyā. See al-^cAyyāshī, p. 33. "Now that God had called them 'Ansār' and they were proud of their new

name. When Mu^cāwiya summoned them to meet him by their old names, Aus and Khazraj, they refused to obey the summons as though they had never borne those names before". (H.M. Bajouda, New Edition of the Works of the Minor Madinese Poets to the End of the Umayyad Period, unpublished Ph. D. thesis, S.O.A.S., University of London, 1968, vol. I, p. 22). In al-Ansārī's biography of the Ansārī family, he notes that they became few in number and became known by the family name Zarandī. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 7). Al-Fīrūzābādī records Zarand as a village in Isfahān, near Sāwa, between al-Ray and Sāwa. (Al-Maghānim [Riyadh, 1389/1969] p. 171). Al-Hamawī notes Zarand as one of the well-known cities of Kirmān. (Mu^cjam al-Buldān, vol. III [Beirut, 1956] p. 138). "Zarandj, a town in Persia, the former capital and principal town of Sidjstān to the south of Herāt, at a distance of three days' journey in a desert traversed by canals led from the river Hindmend (Hīlmend).. Zarandj was, in early times, the name of the province (zaranka) and of the people who inhabited it (zapiwa, Arrian)". CCI. Huart, art. "Zarandj", EI, vol. IV, p. 1218). A place in Medina called al-Zarandī is known to me, but it has been recently destroyed; it is where the Ansārī family formerly lived. During his visit to Medina, Burckhardt suggested that the people who would be considered Ansār were some poor peasants living around Medina: "Like the mekkans, the people of Medina are for the greater part strangers, whom the Prophet's tomb, and the gains which it insures to its neighbours, have drawn to this place. But few original Arabs, descendants of those families who lived at Medina when Mohammed came from Mekka, now remain in the

town; on the contrary we find in it colonies from almost every quarter of the Muselman empire, east and west. I was informed, that of the original Arab residents, to whom the Mohammedan writers apply the name of El Ansar, and who at Mohammed's entrance were principally composed of the tribes of Ows and Khezredj, only ten families remain who can prove their descent by pedigrees, or well-ascertained traditions: they are poor people, and live as peasants in the suburbs and gardens". (Op. cit., p. 370). In his statement about the people of Medina, Burton noted four families as descendants of the prophet's supporters, one of which was the Ansārī family, and he mentioned its state at that time: "Al-Madinah contains but few families descended from the Prophet's Auxiliaries. I heard only of four whose genealogy is undoubted. These were, -1 - The Bayt al-Ansari, or descendants of Abu Ayyub, a most noble race whose tree ramifies through a space of fifteen hundred years. They keep the keys of the Kuba Mosque, and are Imams in the Harim, but the family is no longer wealthy or powerful", (Op. cit., vol. II, p. 1). RifCat records that when he visited Medina, the population was around 56,000. He included the Ansār, but said that their number was fewer than could be counted on one's hands. See Mir'āt, vol. I, p. 439.

33 72 Because of the disturbing events occurring in his time, he sought to go back to the history of the city during the first Islamic century, a time when, "in the reign of Yazīd, feeling in Medīna, even among the Umayyads, was more or less hostile to the Caliph and many took the side of his rival °Abd Allāh b. Zubair in Mecca. The expedition of the gover-

nor CAmr b. SaCīd, which Yazīd ordered, was a failure. In 63 (682/3) the Madīnese rebelled openly, appointing °Abd Allāh b. Hanzala as their leader and building a wall with a ditch to defend the town on the north. The Caliph sent an army under the leadership of Muslim b. °Ukba which took up its quarters on the Harra, which ended in the defeat of the Madīnese". (F. Buhl, art. "al-Madīna", EI, vol. III, p. 88). Muslim ibn °uqba ibn Rabā al-Murrī was a rather violent leader of the Umayyad period. In the dispute between °Alī and Mu°āwiya, he took the side of the latter. On account of his slaughtering and plundering during the battle of al-Harra, the Hejazi inhabitants nicknamed him Musrif ("immoderate"). He died between Medina and Mecca in a place called al-Mushallal. His body was later exhumed and crucified over his tomb. See al-A°lām, vol. VIII, p. 118f. For further details, see al-Tabarī, Ta'rikh, vol. V, p. 484 - 494; °Alī ibn al-Husayn ibn °Alī al-Mas°ūd Kitāb al-Tanbīh wa'l-Ashrāf (Beirut, 1965) p. 303 - 7; M. ibn °Alī al-Tabātibā, al-Fakhrī fī al-ādāb al-Sultāniyya wa'd-Duwal al-Islāmiyya, ed. W. Ahlwardt (Gotha, 1860) p. 141.

33 74 Mudlīhā is derived from the Arabic verb dalā, "he was or became confounded or perplexed, and unable to see his right course". (Lane, bk. 1, pt. 3, p. 909, s.v. dalā).

33 75 m "The governor came out, with the result that eighteen of the troops had to be deported".

33 77 The first hemistich contains a quotation of the proverb:

«هُدْنَةُ عَلَى دَخْنٍ».

("The truce is clouded over"), which is cited when people appear to be in agreement about something, while in reality

their intentions are not good. See Majma^c, vol. II, p. 305f. Abū °Ubayd al-Bakrī attributes this proverb to the Prophet Muhammad. (Fasl al-Maqāl fī Sharh Kitāb al-Amthāl, ed. I. °Abbās [Beirut, 1391/1971] p. 9).

33 79m "There was a group from Kubayba's side, but they realised the truth, so they intended to help the rebels by assisting them up to the front".

33 81FHm "Al-Urjūza al-Bistāmiyya is a poem in the metre rajaz composed by °Abd al-Rahmān al-Bistāmī, concerning the campaigns.

33 83 Al-A^crāb: "The history of nomadism in Arabic is closely connected with the word A^crāb. In Semitic language and pre-Islamic times, this word was only used for inhabitants of the Bedouin and Oasis regions north of the Rub^c al-Khālī. It especially meant the camel nomads, but also included the oasis dwellers. Even Muhammad used the word a^crāb only for Bedouin". (H. von Wissmann, art. "Badw", EI², vol. I, p. 884).

33 84 Manā'ir: pl. of manāra, "tower, minaret". "The minaret of the mosque of Walīd in Medīna may have been Syrian in form. The manāras at present standing in Medīna belong to the sixth restoration of the mosque by Kā'it Bey in 888 (1483)". (E. Diez, art. "Manāra", EI, vol. III, p. 227, 229). Al-Samhūdī related to Ibn Zubāla that CUmar ibn °Abd al-°Azīz built the minarets of Medina Mosque at the time of its construction. See Wafā', vol. II, p. 526 - 9. Ibn Jubayr's travelogue also notices three minarets of the Prophet's Mosque: "The blessed Mosque has three minarets, one in the angle between the east and the south, and the other two in the two north corners. They are small and have the form of turrets

but the first is like a minaret". (Op. cit., p. 203). Ibn Farhūn records that the Bāb al-Salām minaret was built in the reign of Shaykh al-Haram Kāfūr al-Muzaarī (700/1300). See al-Nāsīha, p. 32 - 4. Al-Matrī records that the Bāb al-Salām minaret (in the south-west of the mosque) was built during al-Sultān al-Nāsir Muhammad ibn Qalāwūn's reign, in 706/1306. See al-TaCrīf, p. 40 But Ibn Mūsā agrees with E. Diez that al-Ra'īsiyya minaret was built by Kā'it bey. (W. al-Madīna, p. 61). Burckhardt was not quite sure of the number of the mosque's minarets (which was in fact five); "Either three or five minarets (I forget which) are erected on different sides of the building; and one of them is said to stand on the spot where Bellal, the Abyssinian, the Mueddin of Mohammed, and one of his great favourites, used to call the faithful to prayers". (Op. cit., p. 349f). The account given by Burton of the minarets of the Prophet's Mosque is ideal in its description, with the origin of their names and comparison of some of their styles with Turkish or Egyptian examples: "The minarets are five in number; but one, the Shikayliyah, at the North-West angle of the building, has been levelled, and is still in process of being rebuilt. The Munar Bab al-Salam stands by the gate of that name: it is a tall, handsome tower, surmounted by a large ball or cone of brass gilt or burnished. The Munar Bab al-Rahmah, about the centre of the Western wall, is of more simple form than the others: it has two galleries, with the superior portion circular, and surmounted by the conical 'extinguisher'. Roof so common in Turkey and Egypt. On the North-East angle of the mosque stands the Sulaymaniyah Munar, so named after its founder, Sultan Sulayman the Magnifi-

cent. It is a well-built and substantial stone-tower divided into three stages; the two lower portions are polygonal, the upper cylindrical, and each terminates in a platform with a railed gallery carried all round for the protection of those who ascend. And lastly, from the South-East angle of the mosque, supposed to be upon the spot where Belal, the Apostle's loud-lunged crier, called the first Moslems to prayer, springs the Munar Raisiyah, so called because it is appropriated to the Ruasa or chiefs of the Mu'ezzins. Like the Sulaymaniyah, it consists of three parts: the first and second stages are polygonal; and the third, a cylinder, is furnished like the lower two with a railed gallery. Both the latter minarets end in solid ovals of masonry, from which project a number of wooden triangles. To these and to the galleries on all festive occasions, such as the arrival of the Damascus caravan, are hung oil-lamps - a poor attempt at illumination, which may rationally explain the origin of the Madinite superstition concerning the column of light which crowns the Prophet's tomb. There is no uniformity in the shape or the size of these four minarets, and at first sight, despite their beauty and grandeur, they appear somewhat bizarre and misplaced. But after a few days I found that my eye grew accustomed to them, and I had no difficulty in appreciating their massive proportions and lofty forms". (Op. cit., p. 333f). Rutter discussed the resemblance of three minarets of the mosque to the Turkish style. It is probable that the three which he referred to were al-Shukayliyya, al-Sulaymāniyya, and the Bāb al-Rahma minaret: "At each corner of the Mosque there is a lofty spire; that at the south corner is of a beautiful Saracenic design, with stalactic car-

ving under the galleries; the other three taper smoothly to a point in the Turkish style, and are as ugly as huge waxen candles, which they resemble. A fifth minaret, of a meaner aspect, stands adjacent to B6666b er-Rahma". (Op. cit., p. 542). Bāb al-Rahma minaret was demolished during the latest reconstruction of the mosque, which commenced in 1370/1950 and was completed in 1373/1952. At the present time, the southern part of the mosque consists of two minarets, al-Ra'īsiyya and Bāb al-Salām, while the remainder of the old part of the mosque has not been changed. The north part consists of two new minarets, which still bear the old names: al-Shukayliyya and al-Sulaymāniyya. See J.F. Hāshim Daftardār, Tawsi^cat al-Haram al-Nabawī al-Sharīf (Beirut, 1373/1953) p. 54.

34 86FHm "The money sent to medina's inhabitants through Anatolia and Egypt was spent by the āghā on his supporters".

34 87 Al-Rawda: "the space between the tomb chamber (El Hujra) and the pulpit is known as Er-Rawdhat el-Mutahhara - the purified luxuriant garden. Said the Prophet, 'The space which lies between my chamber and my pulpit is a garden of the gardens of paradise". (Rutter, p. 498). Al-Samhūdī cites three different definitions of al-Rawda: (1) the original mosque built by the Prophet himself; (2) the site which faces the Hujra and the minbar (pulpit), extending from the side of the hujra but narrowing beside the minbar; (3) the site which faces the minbar on the southern side of the mosque. Even if it does not face the minbar, it faces the hujra on the northern side. See Wafā', vol. II, p. 434f. Al-Isfarā'ini comments on the meaning of rawda that it becomes a garden of paradise by the worship of God. See SaCd al-

Dīn ibn SaCd Allāh ibn °Umar ibn Muhammad al-Isfarā'ini, Zubdat al-A°māl wa-Khulāsat al-Af°āl, British Library MS, Or, 3034, p. 114.

34 87 Al-Jubbukhāna: "Jebe-Khāne.. a supply of ammunition.. Military supplies of any kind". (redhouse, p. 644). "Djebeli, also djebel, in the ottoman empire an auxiliary soldier equipped by those to whom the state assigned a source of income such as tīmār, áiftlik, wakf etc. The word Djbeli is made by adding the sux -li or lü to the word diebe, arms". (H. Inalcik, art, "Djebeli", EI², vol. II, p. 528f). "Djebedji (Turk.: gunsmith), a name given to members of the gunsmiths corps of the Sublime Porte (djebedjiyā I dergāh-i °ālī), corps of Kapi kulu.. closely associat ed with that of the Janissaries.. they had the responsibility of manufacturing and repairing all the arms, ammunition, and equipment of the Janissaries, and, during the military campaigns, of transporting these items to the front, of distributing them to the Janissaries, of collecting them at the end of the campaign, drawing up an inventory of losses, and repairing what was damaged". (Art. "Djebedji", EI2, Suppl., livr. 5 - 6, p. 269, trans. From French).

34 89 Shar° Allāh: "Shari°a.. also shar° (originally infinitive).. the path which the believer has to tread, the religion of Islām, as a technical term, the common law of Islām, the totality of Allāh's commandments". (J. Schacht, art. "Shari°a", EI, vol. IV, p. 320).

34 94FHm "It is certain that the mistakes were made by the āghā and his supporters".

35 99m "Hazzā ° went to Rābigh to stop the troops coming to Medina and he succeeded".

- 35 102SHm "Half of the bedouin joined the āghā with their leader °īd ibn Sa°d, the son of the chief of the Harb tribe, and the other half stayed with Hazza° in order to fight from outside".
- 35 105 Ashāb Badr: "Badr, or Badr Hunayn, a small town southwest of Medina.. It lies in a plain, 5m. (8 Km). Long and 2 1/2m). broad, surrounded by steep hills and sand-dunes, and was a market centre. Here occurred on 17 (or 19 or 21) Ramadān, 2 A.H. (= 13 or 15 or 17 March, 624) the first great battle of Muhammad's career", fought against the Meccan force. (W. montgomery Watt, art. "Badr", EI2, vol. I, p. 867f).
- 35 114FHm "Maslama ibn °Abd al-Malik ibn Marwān won many victories and when he died this proverb was quoted, showing how much faith the people lost after his death".
Maslama ibn CABd al-Malik ibn Marwān ibn al-Hakam was a millitary commander during the reign of his brother Sulaymān ibn °Abd al-Malik. He died in Bilād al-Shām in 120/ 738. (Al-A°lām, vol. VIII, p. 122).
- 36 116 Jinkīz Khān: "áingiz - Khān, the founder of the Mongol world-empire, was born in 1167 A.D. on the right bank of Onon in the district of Deli'n-Boldok in the present-day Chita region in eastern Siberia.. He died on 25 August 1227 whilst resting in his summer quarters in the district of Ch'ing-shui on the His River in Kansu". (J.A. Boyle, art. "áingiz-Khān", EI2, vol. II, p. 41, 43).
- 36 117 Bukhtnassar: "Bukht-nas(s) ar, the Nebuchsdnezzār of the Bible. The Kur'ān does not mention him. He is a very complex figure in Muslim tradition.. To [the].. Biblical extracts, often much corrupted and simplified, are added feutures borrowed from the Jewish Haggada (for example, Bukht-na-

sar was one of the universal monarchs..he was tormented to death by a mosquito which got into his skull, this being a transfer of the rabbinical legend about Titus, the destroyer of the Second Temple) and some elements of a folklore character". (G. Vajda, art. "Bukht-nas(s)ar", EI², vol I, p. 1297f). See also al-Tanbīh, p. 200; °Alī al-Mas°ūdī, Murūj al-Dhahab wa-Ma°ādin al-Jawhar, ed. C. Pellat, vol. I (Beirut, 1966) p. 68; & M. ibn Habīb, al-Muhbar (Beirut) p. 394.

36 118FHm "Tahmāz, or Tahmāz, or Tahmāyiz, as I learnt from Indian people", "Tahmāsp II, third son of Shāh Husain, proclaimed heir-presumptive during the siege of Isfahān by the Afghāns (1135 = 1722), escaped at the head of 600 men and tried without succes[s] to raise troops in kazwīn. He made a treaty with Peter the Great who had just occupied Resht and Bākū (the treaty led to nothing), held out at Farahābād in Māzandarān, with the support of Fath CAli Khān, chief of the Kadjār, and was joined there by the future Nādir Shāh, who then took the name Tahmāsp Kūlī Khān (the Khān, servant of Tahmāsp). Nādir.. had himself proclaimed ruler of Persia in 1148 (1736). In the course of the campaign in India, the son of Nādir, Ridā Kūlī, put Tahmāsp to death along with the greater part of his family at Sebzawār (1151 = 1739)". (C. Huart, art. "Tahmāsp", EI, vol. IV, p. 616). See also C.E. Bosworth, The Islamic Dynasties (Edinburgh, 1967) p. 175f.

36 118SH Shāh Jahān: Shāh Jahān III, Moghul emperor, came to power in RabīC al-Thānī 1173/1760 and was sacked on the 29th Safar 1174/1761. (M. al-Ansāb, p. 442. See also Dynasties, p. 210).

36 120 Shama al-Dīn M. ibn Dāniyal ibn Yūsuf al-Khuza°ī was

born in 646/1248. He was a poet and novelist; three of his novels were published by M. Taqī al-Dīn al-Hillālī in 1948. He died in 710/1310. See F.A. al-Bustānī, *Dā'irat al-Ma'ārif*, vol. II (Beirut, 1900) p. 52. M. ibn Shākir al-Kutubī records the date of his death as 608/1211, but the editor corrects this mistake. (*Fawāt al-Wafayā wa'dh-Dhayl °alayhā*, ed. I. °Abbās, vol. II [Beirut, 1974] p. 330). Ysuf ibn Taghribirdī records that he was born in Mosul. (*Al-Nujūm al-Zāhire fī Mulūk Misr wa'l-Qāhira*, vol. IX [Cairo] p. 215f). Al-Ziriklī gives the date of his birth as 647/1249. (*Al-A°lām*, vol. VI, p. 54f). M. ibn Ahmad ibn Īyās al-Hanafī refers to his well-known book *Tayf al-Khayāl*. (*Badā'ī° al- Zuhūr fī Waqā'ī° al-Duhūr*, ed. M. Mustafā, vol. I, pt. 1. [1975] p. 438). Sarkīs records that three volumes of *Tayf al-Khayāl* have been edited and published by G. Jacob at Erlangen in 1910, but the publication remains incomplete. (*M. al-Matbu°āt*, vol. I, p. 100f). "In literary and colloquial Arabic poetry and versified prose, he wrote some of the earliest shadowplays in mediaeval Egypt. He apparently composed some Arabic poems too, but he is mainly memorable for the keen observation reflected in his dramatic works. All three plays were actually intended for production, and the manuscripts were most probably intended to serve as guides rather than as binding texts; the producer could, and did, depart from them. The three plays are: (1) *Tayf al-Khayāl* (the shadow of imagination).. (2) °Adjīb wa-Gharīb (°Adjīb and Gharīb).. [and] (3) *al-Mutayyam* (The Enamoured).. (J.M. Landau, art. "Ibn Dāniyāl", *EI2* , vol. III, p. 742). M.M. Badawī has discussed the format Ibn Dāniyāl arranged for his plays and compared it with the common *maqāma*. ("Medieval Arabic

Drama: Ibn Dāniyāl" Journal of Arabic Literature, vol. XIII [1982] p. 106f).

36 122 Al-Rūm: "the name in Persian and Turkish for the Byzantine empire. Rūm means the land of the Rhomaeans ('Pwadīol) or Byzantines although in Central Asia Rūm is also used for the Roman empire. In course of time the conception became narrower. While Rūm still is the old name for Konya.. in the early Ottoman period Rūm comprises the district of Amasia.. and Sīwās.. while Anatolia included the so-called province with the capital Kūtāhiyya.. From the earlier name Rūm for old Hellas.. Eastern Roman and Byzantine, it was applied in Turkey to designate the modern Greeks (also Urūm) in contrast to the ancient Greeks who were called Yūnāniyān or Ionians. Rūm also sometimes meant Turkey in general; cf. The expression Rūm pādishāhi for the Sultān. Rūmī later was used in a derogatory sense. Rūm Meshreb was said of the Greek character, faithless, unreliable, flattering". (F. Babinger, art. "Rūm", EI, vol. III, p. 1174f). "Name given by the Persians in modern times to the Ottoman Empire and its subjects". (Redhouse, p. 994).

36 123SHm "Wālīhā means the āghā". Wālī: "governors-general were now usually referred to by the Arabic word Wālī, pronounced in Turkish Vali, and meaning 'ruler'". (I.S.A. the West, vol. I, pt. I, p. 143f).

36 126 The first hemistich alludes to the Arabic proverb:

«نَامَ نَوْمَةَ عَبُودٍ أَوْ أَنْوَمَ مِنْ عَبُودٍ»

("he slept like °abbūd, or even longer than °Abbūd, or even longer than °abbūd"). The proverb illustrates a person who sleeps for a long time and neglects his duties. °Abbūd is a

personal name. See Majma^c, vol. II, p. 264; Hamza ibn al-Hasan al-Isfahānī, al-Durr al-Fākhira fī'l-Amthāl al-Sā'ira, ed. °Abd al-Majīd Qatāmish, vol. II (Cairo) p. 402.

36 130 Sa^cd ibn Zayd ibn Muhsin ibn al-Husayn al-Hasan ibn abī Numay occupied the oca of Sharāfat Makka on four occasions, scil. (1) al-Muharram 1077/1666 - Dhū al-Hijja 1082/1671; (2) Dhū al-Hijja 1103/1691 - Dhū al-Hijja 1105/1693; (3) Rabi^cII 1106/1694 - 1113/1701; (4) Shawwāl 1116/1704. See M. al-Ansāb, p. 33. Guary comments on his rulership that Zayd was founder of the line of the Banū Zayd and died in 1666. His son Sa^cd succeeded him, but not without diculty. (p. 145). Al-Ansārī records that Sa^cd ibn Zayd came to Medina in 1154/1741 to fight against the Harb and that he killed some of the city's inhabitants. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 118f). Dahlān records that Sharīf Sa^cd left Mecca in Jumādā I 1104/1692 in order to fight against the Harb tribe, because they had killed Sayyid °Abd Allāh ibn al-Harth. (Al-Khulāsa, p. 119). Sharīf Sa^cd's biography is found in M. ibn Fadl Allāh al-Muhibbī, Khulāsat al-āthār fī A^cyān al-Qarn al-Hādī °ashar, vol. I (Beirut) p. 190 - 7; °Abd al-Malik ibn Husayn ibn °Abd al-Malik al-°Isāmī al-Makkī, Simt al-Nujūm al-°Awālī fī Anbā' al-Awā'il wa't-Tawālī, vol. IV (Cairo) p. 473; T. Makka, vol. II, p. 29; Mir'āt, vol. I, p. 364; R. al-Hijāziyya, p. 77; al-A^clām, vol. III, p. 134f.; & Jadāwil, p. 36.

37 133 The second hemistich contains a quotation of the Arabic proverb:

«اعط القوس باريها»

("Give the bow to him who knows how to shape it"), originally uttered by al-Hutay'a and illustrating the need to obtain

help from experts. (J. al-Amthāl, vol. I, p. 76; F. al-Maqāl, p. 298f).

37 137 Al-wird: "a coming to, or arriving at water, whether one enters it or does not enter it". (Lane, bk. 1, pt. 8, p. 2935, s.v. warada).

37 137SHm "Al-Ghadā: the valley in Hejaz in the Arabian Peninsula". Yāqūt defines al-Ghadā as a valley in Najd. (vol. IV, p. 205). But al-Barzanjī defines it as a place in Medina. (Al-Nuzha, p. 95).

37 137SHm "Al-Raml is a valley in North Maghrib", mentioned in Zuhayr's poetry. (Yāqūt, vol. IV, p. 69).

37 139 Jabā: "to collect a levy". See al-Lisān, vol. I, p. 541, s.v. Jabā.

37 141 °Ilj: a non-Muslim. (Al-Lisān, vol. IV, p. 3065).

37 141 °Ammūriyya: "Arabic form of the name of the famous stronghold of Amorium (Syriac Amūrīn) in Phrygia, situated on the great Byzantine military road from Constantinople to Cilicia, S.E. of Dorylaeum, S.W. of Ankara, and S. of the Upper Songarios (Sakarya).. It only fell in 223/838 to the powerful forces of al-Mu^otasim, whose Turkish troops besieged it for twelve days.. The capture of Amorium was the subject of a famous poem of Abū Tammām". (M. Canard, art. "°Ammūriya, EI2, vol. I, p. 449).

37 141 Ibn al-Rashīd: "Al - Mu^otasim bi'llāh, Abū Ishāk Muhammad, and °Abbāsīd Caliph of Hārūn al-Rashīd.. Al-Mu^otasim died on 18th Rabi^o I 227 (Jan. 5 842)". (K.V. Zetterstéén, art. "Al-Mu^otasim, EI, vol. III, p. 785).

37 142FHm "Al-Dār means Medina".

37 144 Bosrā: "a town of southern Syria in the fertile plain of the

Nukra, in the province of Hawrān.. Situated in 32° 30' N., 36° 28' E., and called today Bosrā Eski Shām". (A. Abel, art. "Bosrā", EI², vol. I, p. 1275).

37 147FHm "Jīd means 'neck'.

38 155FHm "Qādī al-Shar^c was Isma^cīl Efendī Uskudārī".

38 157SHm "This means he joined in defending the right course".

38 158 Arwām: pl. of Rūmī. See Lane, bk. 1, pt. 13, s.v., Rūm.

38 158 FHm "The good Arwām were like Muhammad Efendī, Mas^cūd Zāda, Muhammad Shirwānī, and the others".

38 161SHm Namak Haram: "A Persian proverb exemplifying treachery". Literally it means, "to whom salt is unlawful", i.e. not worth his salt. See Redhouse, p. 2105.

39 9SH Yathrib: the Prophet's city. It is named Yathrib because its first inhabitant was Yathrib ibn Qāniyya ibn Mahlā'il ibn Iram ibn ^cAbīl ibn ^cAwad ibn Iram ibn Sām ibn Nūh. (Yāqūt, vol. V, p. 430f. See also Abū al-^cAbbās Ahmad ibn ^cAlī al-Qalqashandī, Subh al-A^cshā fī Sina^cat al-Inshā', vol. IV [Cairo] p. 285]. "The real Arabic name of the town was Yathrib, Jathrippa (this is the correct reading) in Ptolemy and Stephan Byzantinus, Jthrb, in Minaean inscriptions (M. Hartmann, Die arabische Frage, p. 253 sq)". (F. Buhl, art. "al-Madīna", EI, vol. III, p. 83). Margoliouth commented on these inscriptions: "The name Yathrib is found in two Minaean inscriptions, from which this much is clear, that it was not a Jewish but a pagan settlement at some time B.C". (The Relations between Arabs and Isrealites prior to the Rise of Islam [London, 1924] p. 60). Jawād ^cAlī mentions that the oldest historical source mentioning Yathrib is the Chronicle of Nabonidus, King of Babylon, who lived in Taymā' and visited what is called Yathrib. (Al-Mufassal fī

Ta'rīkh al-^oArab qabl al-Islām, vol. IV [Beirut, 1970] p. 130). Khālid al-Dusūqī, who translated the Nabonidus Chronicle into Arabic, notes that this Babylonian emperor reigned between 556 and 538 B.C. and that the last place captured by him is given as Yatribū, apparently the old name of Medina. ("Nābūnīd", al-Dāra, vol. II, pt. I [Rabi^o al-Awwal 1396/March 1976] p. 190 - 202]. Al-Matarī noted that Yathrib is the name of a place lying outside the bounds of the Prophet's city, i.e. Medina. He located Yathrib to the west of the grave of the Prophet's uncle Hamza and to the east of the site called al-Barka. He added that Yathrib was inhabited by the Banū Hāritha, a branch of the Aws. (Al-Ta'rīf. P. 19). Al-Marāghī comments that Yathrib used to be Umm Qurā al-Madīna before the arrival of al-Aws and al-Khazraj. (Abū Bakr ibn al-Husayn ibn ^oUmar al-Marāghī, Tahqīq al-Nusra bi-Talkhīs Ma^oālim Dār al-Hijra, British Library MS, Or. 3615, p. 9). Al-Samhūdī located Yathrib "between the part of Qanāh and the part of al-Jurf, and between the places called al-Barnī and Zubāla". (Wafā', vol. IV, p. 1333). Al-^oAyyāshī recently tried to explain al-Samhūdī's definition "between the part of Qanāh and the part of al-Jurf" as meaning from the outlet of al-^oAqīq Valley, toward the part of al-Ghirībāt Mountains, in the direction of Ibrāhīm Shākīr and ^oAbd al-^oaziz Barrī Gardens. Thus he describes it in a direction from east to west. Then he commented on the words of al-Samhūdī, saying, "Regarding al-Barnī, I have no idea of this place, but regarding Zubāla, it would be the district called today al-Ciqāb (^oontaining the well of Ruma). This must be the description of Yathrib from the southern side" Thus he concluded that Yathrib was a

part of Medina and not medina itself. (p. 24f). Ahmad Ibrāhīm Sharīf suggests that Yathrib would have been inhabited before the Jews emigrated to Medina. (Makka wa'l-Madīna fī'l-Jāhilliyya wa-°ind al-Rasūl [Dār al-Fikr] p. 292). Al-Batānūnī discussed the possibility of deriving the name Yathrib from the Egyptian word Itrībs, which might suggest that the °Amāliqa built the city after their departure from Egypt. (R. al-Hijāziyya, p. 252). Rutter tried to summarise the history of Yathrib from Arabic historians' accounts, since it had been inhabited by the °Amāliqa until the substitution of the name Yathrib by al-Madīna: "The Arab historians say that Yathrib was founded by °Amlak, a son of Shem, whose tribe is known as El °Am6666lika. In the time of Nebuchadnezzar the °Am6666lika were driven out by the Israelites, who remained in power at Yathrib until the Bursting of the great dam at Marib in the yemen. This disaster resulted in the dispersal of the yemenite Arab tribes into distant parts of Arabia. The tribe of Bani °amr marched northward and settled in Yathrib, where they eventually overpowered the Jews who still dwelt there. Subsequently the descendants of °Amr became separated into two tribes, the °Aus and the Khazraj, which were antagonistic to one another.. After the coming of the prophet the name Yathrib appears to have been no longer used, that of El Medīna being substituted for it". (Op. cit., p. 528). According to the Encyclopaedia Hebraica, the name Yathrib was the old name of Medina, the name used by the Hebrew geographer Talmi (Yathrippa). (Vol.XXII [Tel Aviv, 1969/70] p. 262).

40 19SH Mahmūd I: "the twenty-fourth Ottoman Sultān, reigned 1143 - 1168 (1730 - 1754). He was born on the 3rd Muhar-

ram 1108 (Aug. 2, 1696), the son of Mustafā II - the Sijill- I COthmānī gives the date 7th Ramadān 1107 (April 10, 1696) - and had spent his life in seclusion up to his accession. He came to the throne through the mutiny of the Janissaries under Patrona Khalīl, a mutiny which cost the grand vizier Ibrāhīm Pasha, the Kapudan Pasha and the Kiaya Beg their lives, and forced Sultān Ahmad III to abdicate in favour of Mahmūd; these events took place on the 17th Rabi^o I, 1143 (Oct. 1, 1730)". (J.H. Kramers, art. "Mahmūd I", EI, vol. III, p. 124). His biography may be found in many other sources, e.g. Muhammad Farīd Beg, Ta'rīkh al-Dawlat al-^oAliyya al-^oUthmāniyya, 3rd ed. (Cairo, 1330/1912) p. 147 - 151; & ^oAjā'ib, vol. I, p. 210.

40 22FH Muhammad Abū Numayy al-Thānī ibn Barakāt ibn Muhammad ibn al-Hasan ibn ^oAjlān ibn Rāmaytha ibn Muhammad Abū Numayy al-Awwal was born on the 9th Dhū al-Hijja 911/1505. In 918/1512 his father sent him to Cairo in order to meet al-Sultān al-Ghūrī, who made him joint-governor of Mecca with his father. He again travelled to Cairo in 922/1516 to meet al-Sultān Salīm, who validated his partnership with his father in handling Mecca's affairs. When his father died in 931/1524, he succeeded him as sole governor until he died in 992/1584. (Jadāwil, p. 30).

40 22FH Zayd ibn Muhsin ibn Husayn ibn Hasan ibn abī Numayy al-Thānī ruled Mecca for thirty-six years until he died in 1077/1666. (Jadāwil, p. 34).

40 22SH Sa^oīd ibn Barakāt ibn Muhammad ibn Ibrāhīm ibn Barakāt succeeded his father Barakāt as governor of Mecca in 1094/1682, but he was replaced by Ahmad ibn Zayd in 1095/1683, when he left for Egypt where he spent the rest

of his life. (Jadāwil, p. 35).

40 24FH This hemistich contains a quotation from Sūrat al-Isrā' (S. 17) v.5:

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَّا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾
(الإسراء: ٥).

("We sent against you our servants given to terrible warfare; they entered the very inmost parts of your homes").

40 32FH This hemistich contains a quotation of the Hadīth, according to al-Sā'ib ibn Khallād, that the prophet said.

«مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ»

("God will terrify him who attempts to terrify by wicked deeds Medina's inhabitants"). See Musnad al-Imām Ahmad ibn Hanbal, vol. IV (Cairo, 1313/1895) p. 55. However, another Hadīth says,

«مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ جَنْبِي»

("He who terrifies Medina's inhabitants would have terrified what my two sides contain"). See Muhammad ibn °Abd Al-lāh ibn Kibrīt, al-Jawāhir al-Thamīna fī Mahāsin al-Madīna, °arif Hikmat MS., Ta'rīkh, 274, p. 7.

40 33SH Manābir: pl. of minbar (pulpit). "In contrast to the mihrāb, the minbar was introduced in the time of the Prophet himself. The word, often pronounced mimbar (cf. Brockelmann, Grundriss, i, 161), comes from the root n-b-r "high"; it could be derived from the Arabic quite easily with the meaning "elevation, stand", but is more probably a loanword from the Ethiopic (Schwally, Z.D.M.G., lii. 1898, p. 146 - 148; Nöldeke, Neue Beiträge z. sem. Sprachw., 1910, p.

49). After the Caliph Mu^oāwiya abandoned the idea of removing the Prophet's minbar from Medina, he improved its condition. Buhl noted that among the relics of the mosque were 'the remains of the trunk of a tree, on which Muhammad used to lean, and especially his minbar or pulpit'. According to tradition MūCāwiya wished to remove this; but immediately a vigorous earthquake began and he abandoned the idea and instead raised it by an upper structure five steps higher. Al-Mahdī later wished to remove this addition, but he was dissuaded from doing this as the nails had been driven into the old minbar.. According to the descriptions it had 8 steps and there was a slab of ebony over the seat which visitors might touch". (F. Buhl, art. "al-Madīna", EI, vol. III, p. 90). Ibn Shabba related that al-Khalīfa al-Mahdī tried in 161/777 to reconstruct it to its state at the time of the Prophet. He consulted with Mālik ibn Anas, but Mālik recommended that it should be left as it was, and this advice was followed by al-Mahdī. See Ibn Shabba (Shaltūt), vol. I, p. 18. Ibn al-Najjār said that the minbar consisted of nine steps and that during his lifetime two steps were added and a door, which was opened every Friday. (Al-Durra, p. 67). Ibn Jubayr, who visited Medina in 580/1184, thirteen years before Ibn al-Najjār, wrote describing the minbar as follows: "The venerated pulpit is a man's stature or more in height, five spans wide, five paces long, and has eight steps. The door is in the form of a grille, four and a half spans long. It is locked, but is opened every Friday. The pulpit is covered with ebony wood, and the seat of the Prophet - may God bless and preserve him - can be seen above, covered by ebony board that does not touch it

but protects it from being sat upon". (Op. cit., p. 200). Ibn Farhūn records that the minbar underwent some alteration after the burning of the mosque. Although al-Malik al-Muzaffar Sāhib al-Yaman (i.e. Yūsuf ibn Cumar ibn CAī ibn Rasūl al-Turkumānī al-Yamanī, 619 - 694/1222/1295 - see al-A^Clām, vol. IX, p. 321) sent a new minbar to Medina in 656/1258, in 666/1267 al-Malik al-Zāhir Rukh al-Dawla Baybars al-Bunduqdārī ordered it to be removed and replaced by a new one. See al-Nasīha, p. 161. Al-Samhūdī records that this minbar underwent alteration in 797/1394, when al-Zāhir Barqūq Sāhib misr sent a new one to replace the old one which had suered some damage. This new minbar remained there until it was in turn replaced by another new one sent by the Sultān of Egypt al-Malik al-Mu'ayyid in 822/1419. "Al-Malik al-Mu'aiyad Saif al-Dīn, Shaikh al-Mahmūdī (so-called after his first owner) al-Khāsskī (member of the bodyguard).. His death took place on the 8th Muharram 828 (jan. 14, 1427)". (M. Sobernheim, art. "al-Malik al-Mu'aiyad", EI, vol. III, p. 614f). Burton, depeding on the information of Burckhardt, noted that al-Mu'ayyid also sent a pulpit to the mosque of Mecca in A.H. 818: "The first pulpit was sent from Cairo in A.H.818, together with the staircase, both being the gifts of Moayed, caliph of Egypt". (Op. cit., vol. II, p. 313). This new pulpit donated by al-Mu'ayyid, was destroyed in the mosque's second fire in 886/1481 and then replaced by a new minbar constructed of ājurr (baked brick), although this in turn was destroyed in 888/1483. (Wafā', vol. II, p. 407 - 410). Al-Sakhāwī recorded that the minbar constructed in 886/1481 was supervised by al-Shams ibn Zaman. (T. al-Latīfa, vol, I, p. 60). Al-Barzanjī re-

corded that al-Sultān Murād Khān sent a new minbar constructed of al-rukhām (marble) in 998/1589. See al-Nuzha, p. 52. Burton described this minbar and noted how it had been compared with features of Christian architecture: "It is now a handsome structure, apparently of wood, painted and gilt of the usual elegant form, which has been compared by some travellers with the suggesta of Roman Catholic churches". (Op. cit., vol. I, p. 362). Ibn Mūsā affirmed that the minbar standing in his time was still the same one that had been sent by al-Sultān Murād Khān without any change. (W. al-Madīna, p. 62). The same unchanged minbar still stands in the Prophet': Mosque at the present day.

43 42SH Suwwibū has the sense suwwibat ilayhim ("bullets were fired on them [by the inhabitants of the city])".

43 84SH Al-Khawārij: "Khāridjites.. the members of the earliest of the religious sects of Islām, whose importance lies particularly, from the point of view of the development of dogma, in the formulation of questions relative to the theory of the caliphate and to justification by faith or by works, while from the point of view of political history the principal part they played was disturbing by means of continual insurrections, which often ended in the temporary conquest of entire provinces, the peace of the eastern part of the Muslim empire during the two last years of the caliphate of CAĪ and during the Umayyad period, and involuntarily facilitating first Mu^cāwiya's victory over ^cAlī, then that of the ^cAb-bāsids over the Umayyads". (G. Levi Della Vida, art. "Khāridjites" EI2, vol. IV, p. 1074).

43 94FH Tayba: the name of the Prophet's city. It is called alter-

nately Tayba and Tāba, the name being derived from al-tīb (goodness). It has been suggested that the name was given to the city on account of the gentleness of its inhabitants. See Yāqūt, vol. IV, p. 53. In one tradition, Jābir ibn Samra related that the Prophet said, "God ordered me to name Medina Tayba" See °Alā' al-Dīn °Alī al-Muttaqī ibn Husām al-Dīn al-Hindī, Kanz al - °Ummal fī Sunan al-Aqwāl wa'l-Af°āl, vol. XII (Aleppo, 1394/1974) p. 232.

43 99FH This hemistich contains a quotation from Sūrat al-Nisā' (S.4) v. 51:

﴿هَتُولَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ (النساء: ٥١).

("They are better guided in the right way than the believers").

43 100SH Jibrīl: "In the Qur'ān Jibril.. The angelic being who is supposed to have been the medium of the revelation of the Qur'ān to Muhammad". (T.p. Hughes, (Dictionary of Islam [London, 1953] p. 133).

43 101FH This hemistich contains a quotation from the tradition related by Burayda that the Prophet took him to Uhud and they ascended the mountain, the Prophet looked down on Madina and said,

«وَيْحَ أُمَّهَا يَدْعُهَا أَهْلُهَا كَخَيْرِ مَا تَكُونُ».

("Woe unto her mother - this village - its inhabitants will leave it in the good state it has been"). See Ibn Shabba (Shaltūt), vol. I, p. 274; in Wafā', vol. I, p. 122, Way li-ummi-hā (woe to her mother!).

44 106SH Al-Sharīf: "'noble, exalted'.. based on Kur'ān xlix, 13 'Verily the noblest amongst you in the eyes of god is he that fears God most'" (C. van Arendonck, art. "Sharīf", El,

vol. IV, p. 324). In course of time the title Sharīf was given to those who were considered descendants of the Prophet, without any exception. In the fourth century A.H. it became well known that those entitled to be called Ashrāf must be āl al-Bayt (the Prophet's family), especially the descendants of the Prophet's cousin °Alī ibn abī Tālib. The reason behind this must have been the weakness of the Abbasid caliphate and the rise of the Fatimids. It would have been impossible for the °Alawids to bear such a title during the Abbasids' superiority, since they argued strongly that the uncle has greater title than the son of the daughter. See M. Hamīd Allāh, intro. to al-Balādhurī, Ansāb al-Ashrāf, vol. I (Cairo) p. 20 - 22. "In Mekkan parlance Sharīfs are descendants of Hassan, son of Ali. Seyyids, who are much more numerous, are descendants of Husain, brother of Hassan". (C. Snouck Hurgronje, Op. cit., p. 9). Burton confirmed these conventions in some detail: "In Arabia the Sharif is the descendant of Hasan through his two sons, Zaid and Hasan al-Musanna: the Sayyid is the descendant of Hosayn through Zayn al-Adibin, the sole of twelve children who survived the fatal field of Kerbela. The former devotes himself to government and war; the latter, to learning and religion". (Op. cit., vol. II, p. 3). Burckhardt also dealt with the subject of the Sharīf while discussing the inhabitants of Medina, paying particular attention to the Banū Husayn: "The number of Sherifs descended of Hassan, the grandson of Mohammed, is considerable; but most of them are not originally from this place, their ancestors having come hither from Mekka, during the wars waged by the Sherifs for the possession of that town. They almost all belong to the class

of olemas, very few military sherifs, like those of Mekka, being found here. Among then is a small tribe of Beni Hossey, descended from Hossey, the brother of Hassan". (Op. cit., p. 370).

44 118FH This hemistich contains a quotation from Sūrat al-Mā'ida (S. 5) v. 57:

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤).

("That is the grace of God, which he will bestow on whom he pleases. God encompasses all and knows all thing").

45 125SH Umm al-Qurā: the name used in the Qur'ān for Mecca, e.g. Sūrat al-An'ān (S.6) v. 92:

﴿وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الأنعام: ٩٢).

("That you may warn the mother of cities and all around her").

45 128SH Ma^cadd: Ma^cdd ibn ^cAdnān ibn ād ibn Adad ibn al-Hamaysa^c was Isma^cīl's grandson, the Prophet Muhammad's great-grandfather and a father of Nizār, to whom Rabi^c a and Mudar are related. See al-AClām, vol. VII, p. 180. "The fact that the name Banū is not found combined with Ma^cadd as well as the form of the word itself suggests that MaCdd may originally have been of similar foundation and meaning to Ma^cshar, a general name for 'people', body of people. Ibn Duraid (Ishtikāk, p. 20) long ago suggested the derivation from the root ^cdd, 'to count, number' not however without adding other very dierent attempts to interpret it. The usual genealogical scheme of Arab tradition has inserted in it the name Ma^cadd as the name of an ancestor of an eponymous series, namely a son of the traditional founder ^cAdnān. Ma^cadd is brought into connection with

the history of Mecca by the legend that he married Mu^ā-na, a daughter of the Djurhumites. From this marriage were born Nizār, father of the tribal eponyms Mudar, Rabi^ā and ^ālyād. According to Abu 'l-Fidā', Hist. Ante-islamica, ed. Fleischer, p. 72 Ma^āadd is even said to have been a contemporary of Nebuchadnezzar". (H.H. Bräu, art. "MaCadd", EI, vol. III, p. 58).

128SH Ya^ārub: Ya^ārub, or Ya^ārib ibn Qahtān ibn ^āābir was one of the pre-Islamic Arab kings. He is considered to be the father of all the yemeni tribes and his descendants would be al-^āArab al-^āāriba. He and his father tried to protect the Arabic language from any corruption by mixture with other languages and some historians suggest that Arabic poetry commonced with Ya^ārub. (See al-A-Clām, vol. IX, p. 250).

139FH Ahmad al-Dadā: al-Ansārī called his family Dadah, descendants of Muhammad Dadah al-Rūmī, who emigrated to Medina in 1070/1659. His son Ahmad began by working at al-Qal^āa al-Sultāniyya. He was then employed by the Sharīf Makka ^āAbd al-Karīm ibn Ya^āla, Which led to his appointment as Wazīr al-Madīna. Occupying this post, he abused his position and oppressed the inhabitants. But he was deposed and brought to justice, being sentenced to death for his murders in 1120/1708. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 225f.

144SH Jahl murakkab: "Jahl.. 'Ignorance'. A term used by theologians for an ignorance of religious truths, which they say is of two kinds: Jahl-I-Basīt, simple ignorance, and Jahl - i - Murakkab, or complicated ignorance, or confirmed error". (Hughes, Op. cit., p. 224).

146SH Milla: "It is expressive of religion as it stands in relation to the prophets, as distinguished from Dīn.. which signifies re-

ligion as it stands in relation to God, or from Mazhab.. which signifies religion with reference to the learned doctors". (Hughes, Op. cit., p. 348).

146SH Huyayy ibn Akhtab was one of the Ashrāf (nobles) of the Banū al-Nadīr (see below) during the Prophet Muhammad's time in Medina. He went to Mecca to provoke the Quraysh tribe and al-Ahzāb (a group of supporters) to fight against the Prophet in the Battle of al-Khandaq (the trench) (see below), pitched around the city of Medina. He also provoked the Banū Quryza tribe, but he was executed later among the other people of the tribe who were put to death in 5/627. See Tahdhīb Sīrat Ibn Hishām, ed. °Abd al-Salām Hārūn, 6th ed. (Kuwait, 1399/1979) p. 190.

"Nadīr (Banu 'l-), one of the two main Jewish tribes of Madīna, settled in Yathtib from Palestine at an unknown date, as a consequence of Roman pressure after the Jewish wars". (V. Vacca, art. "Nadīr", EI, vol. III, p. 815). See also Wafā', vol. I, p. 161-5; al-Maghānim, p. 411; R.B. Serjeant, Op, cit., vol. VI, p. 36.

In the "expedition of al-Khandaq", "Muhammad foiled a Meccan attempt to storm Medina by digging a moat or trench at those parts of the oasis which were open to attack by cavalry. This was in Dhū'l-KaCda 5/April 627". (W. Montgomery Watt, art. "Khandak", EI², vol. IV, p. 1020).

147SH Yatagharrabū: "Taghrīb. Expatriation for fornication is enjoined by Muhammadan law, according to the Imām ash-Shāfi'ī, although it is not allowed by the other doctors of the law". (Hughes, Op. cit., p. 35).

155SH Madhhab: Mazhab.. as it stands in relation to the decisions of the Mujtahidūn.. The expression Dīn, however, is

of general application, whilst Millah and Mazhab are restricted in their use". (Hughes, Op. cit., p. 72.

- 5 - 6 Yūsuf al-Ansārī: Yūsuf ibn °Abd al-Karīm al-Ansārī was born in Medina in 1121/1709. He received his education in Medina Mosque, where he was able to benefit from the knowledge of the well-known CUIamā' of his time, including Muhammad ibn abī al-Tayyib al-Fāsī, Abū al-Tāhir Muhammad ibn Ibrāhīm al-Kūrānī, and Abū al-Tayyib al-Sindī. See al-Murādī, vol. IV, p. 247f. Al-Ansārī records that Yūsuf al-Ansārī went to Baghdad in 1170/1756, where he met the Wālī Sulaymān Bāshā, whom he eulogized in a seventy-line poem. When he returned to Medina, he received appointment as Muftī, but he was unable to assume office because some of the inhabitants in powerful positions disliked him. He left Medina for Cairo, but from there he travelled back to Yanbu° and passed on to al-°Alliyya on the outskirts of Medina, but when he was harassed by his enemies, he left for Mecca and after a short time returned to al-°Aliyya under the guarantee of al-Sharīf Musā °ad. However, Shaykh al-Haram Ahmad āghā and Muhammad Sālih al-Tayyār cheated him; they wrote to him that he would be safe if he entered Medina, but instead of that he found himself in al-Qal°a's prison with his son Muhammad Abū al-Faraj and his nephew Ahmad. They were all executed and buried in al-Qal°a in 1177/1763. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 23 - 25. Al-Dāghistānī recorded that Yūsuf al-Ansārī contributed to the development of Medina's poetry at that time and he mentioned his didactic poem on al-Manāsik (the ritual of pilgrimage). See Tuhfat al-Dahr, p. 59f. His biography may also be found in A.M. fī't -tārīkh, p. 151.

- 47 8 Muhammad Abū al-Faraj: al-Ansārī recorded that Muhammad Abū al-Faraj ibn Yūsuf al-Ansārī was the student of his father, who undertook his education and upbringing. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 26.
- 47 12 The poem of al-Sayyid Ja^ofar al-Baytī is found in the two copies of his poetical works, as follows: al-Sāfī MS, p. 141f., & Topkapī Saray MS, p. 140f.
- 48 6 Ibn Ubayy: "°Abd Allāh ibn Ubayy ibn Salūl was related to the Khazradj tribe. Salūl was Ubayy's mother and she was related to Khuza^oa, while his father was Mālik ibn al-Hārith", (Ansāb, p. 274). Ibn Shabba related that °Abd Allāh ibn Ubayy ibn Salūl was a hypocritical Muslim. He went with the Prophet on one of his expeditions and encouraged the tribal solidarity between the Muhājirūn and the Ansār. As a result of this, °Umar ibn al-Khattāb suggested that the Prophet should have killed him, but the Prophet replied, "Would you like the people to say that Muhammad killed his companionsá" See Ibn Shabba (Shaltūt), vol. I, p. 360. He died in 9/630. (Al-AClām, vol. III, p. 188).
- 48 10 Muhammad Sa^oīd ibn °Abd al-Karīm al-Ansārī was born in Medina in 1115/1703. He educated himself and became a poet and writer. He died in 1163/1749. See Tufhat al-Muhibbīn, p. 20f.
- 48 10 - 11 Muhammad Abū al-Barakāt ibn °Abd al-Karīm al-Ansārī was born in Medina in 1118/1706. Following his education, he became a faqīh (jurisprudent). See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 21f.
- 49 11SH This hemistich contains a quotation of the proverb:

«لأمر ما جدع قصير أنفه».

("For his own reason Qasīr had his nose cut of."). The words were said by al-Zabā' when she saw Qasīr's nose had been cut o. See Majma^c, vol. II, p. 13.

49 18FH This hemistich contains a quotation oif the proverb:

«شِشْنَةٌ أَعْرَقَهَا مِنْ أَخْزَمٍ».

("I have known this habit from Akhzam"). Abū Akhzam al-Tā'ī had a disobedient son called Akhzam. After Akhzam died, his children jumped upon their grand-father and hit him, to which he reacted by uttering this proverb. See F. al-Maqāl, p. 219f.; Abū al-Faraj al-Isfahānī, Kitāb al-āghānī, vol. X (Cairo, 1357/1938) p. 60.

50 34FH This hemistich contains a quotation of the colloquial Hejazi proverb:

«الْمُجَرَّبُ لَا يُجَرَّبُ»

("An even which has been experienced does not need to be experienced again").

50 34SH This hemistich contains a quotation of the proverb:

«أَنْدَمُ مِنَ اللُّسَعِيِّ»

("He is regretful more than al-Kusa^{cī}"). Muhārib ibn Qays al-Kusa^{cī} was a man from Kusa^c. He broke his hunting bow after a night's fruitless chase, but in the morning he found his game and so regretted his destructive action. See J. al-Amthāl, vol. II, p. 324f. Kamāl al-Dīn al-Damīrī, Hayāt al-Hayawān al-Kubrā, vol. II (beirut) p. 277; Ibrāhīm ibn Muhammad al-Bayhaqī, Kitāb al-Mahāsin wa'l-Masāwī, ed. F. Schwally, T1. II (Giessen, 1902) p. 323 - 5.

51 42 This line contains a quotation of the line:

كَأَنَّ ام يَكُنْ بَيْنَ الْحِجُونَ إِلَّا الصَّفَا أَنَيْسُ، وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

("It seems that between al-Hajūn and al-Safā neither intimate friend nor entertainer ever held a soirée in Mecca"). This line and the rest of the poem are attributed to Mudād ibn °Amr al-Jurhumī in the following sources: Yāqūt, vol. II, p. 225; Safī al-Dīn °Abd al-Haqq al-Baghdādī, Marāsīd al-Itlā° alā Asmā' al-Amkina wa'l-Bīqa°, ed. °A.M. al-Bujāwī, vol. I (Beirut, 1373/1954) p. 383; Ibn Shabba (Shaltūt), vol. II, p. 721f.; T. Makka, vol. I, p. 18; Qutb al-Dīn al-Nahrawālī al-Makkī al-Hanafī, Kitāb al-°lām bi-°lām Bayt Allāh al-Harām, ed. F. Wstenfeld (Beirut, 1964) p. 41f.; Muhammad ibn °Abd Allāh ibn Bulayhid al-Najdī, Sahīh al-Akhhbār °ammā fī-Billād al-°Arab min al-āthār. But in some sources the same lines are variously attributed to °Amr ibn al-Hārith ibn Mudād ibn °Amr, to al-Hārith al-Jurhumī (al-Lisān, vol. II, p. 791f., s.v. hajana), to al-Hārith ibn Mudād al-Jurhumī (Murūj vol. II, p. 166f). and to °Amr ibn Mudād al-Jurhumī (Abū Muhammad °Abd Allāh As°ad ibn °Alī ibn Sulaymān °Afīf al-Dīn al-Yāfi°ī al-Makkī, Mir'at al-Jinān wa°lbrat al-Yaqzān, vol. I [1337] p. 411).

51 49 Khashīr: in Medinan colloquial Arabic the word means a partner, particularly in commercial matters.

52 61FH This is a quotation of the second hemistich of a line by °Abd Allāh Muhammad ibn Idrīs al-Shāfi°ī:

والأسد لولا فراق الأرض ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب

("The separation of the lions from the earth is an incentive to them to prey, and the separation of the arrow from the bow is an incentive for it to fly swiftly"). See Dīwān al-Imām al-Shāfi°ī, ed. M. °A. al-Za°bī (Beirut, 1391/1971) p. 27.

53 3 Al-Sharīf Surūr: Surūr ibn Musā[°]ad ibn Sa[°]īd ibn Sa[°]d ibn Zayd rebelled against his uncle Ahmad ibn Sa[°]īd and became the Sharīf of Mecca on Saturday 13th Dhū al-Qa[°]da 1186/1772. He remained in this post until he died on the 18th Rabī[°] al-Thānī 1202/1787. See al-Khulāsā, p. 207 - 225. Al-Ziriklī records that Surūr seized power in Mecca in 1185/1771. (Al-AClām, vol. III, p. 128). But Musā[°]ad ibn Mansūr records (no doubt mistakenly) that the date was 1195/1780. (Jadāwil, p. 41). Gaury dates his accession in A.D. 1771. (p. 177).

53 7 Muhammad Jalabī: al-Ansārī records that Muhammad Jalabī was born in 1139/1726. He worked very hard to become one of Medina's prosperous inhabitants and he was appointed Kat-Khudā Nūbetjīān by Ahmad Bāshā. However, after a dispute with the troops, he was deported by firmān to al-Shām, but he went to Mecca in the company of the Amīr al-Hajj Muhammad Bāshā. There he met al-Sharīf Surūr who asked him to stay in Mecca but after a short time he returned to Medina with al-Sharīf Surūr and when al-Sharīf left Medina, the disputes between himself and Medina's inhabitants recommenced. Then he left the city to dwell in Qurbān on the outskirts. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 396.

53 9 Al-Sultān Muhammad Khān: "Muhammad IV, nineteenth Sultān of the Ottoman Empire, was born on December 30, 1641 and was placed on the throne on August 8, 1648, after the deposition, soon followed by the execution, of his father Sultān Ibrāhīm. The power in the state was at that time divided between the court, where the old wālide K8888sem.. and Sultān Muhammad's mother, the wālide Tarkhān, held the reins, and the rebellious soldiers of the

Janissaries and the Sipāhīs. The lack of stability in the government at this time is shown by the fact, that until the nomination of the grand vizier K8888prl Muhammad in 1656, there were no less than thirteen grand viziers. In 1651 the old wālide Kösem was assassinated and at the same time the resistance of the Janissaries was broken; the régime of the court party that followed under sultān's mother did not improve the situation. The grand vizierate of Ibshir Pasha (1654 - 1655), who at first seemed to be the strong man needed, was brought to an early end by his rival Murād Pasha, and in the meantime the Cretan war against Venice was exhausting the resources of the Empire. In March 1656 a military rebellion forced the sultān to allow the execution of several of his favourite courtiers.. All these disasters caused a revolt of the troops in the field; they marched on the capital in Spetember 1687 under Siyawush Pasha of Aleppo. This time the sultān himself fell a victim to them; he was deposed on November 8, 1687 by the kā'im-makām Köprl Mustafā Pasha and lived in seclusion in Adrianople until his death on December 17, 1692. He was buried next to his mother in the Yeni Djāmi^c. (J.H. Kramers, art. "Muhammad IV", EI, vol. III, P. 660f).

53 13 Abū Sālih Muhammad ibn Sālih: al-Ansārī records that Muhammad ibn Sālih ibn ^cAbd Allāh al-Habashī was a jāwūsh (cawus) (see below, on p. 54 1.4) in the Janissaries. He was deported from Medina to Yanbu^c al-Bahr, where he lived for eleven years, but he returned to Medina in 1181/1767 with the help of Ahmad Bāshā, who appointed him Kat-Khudā in al-Qal^ca al-Sultāniyya. Later he rose to become Qā'im-maqām of al-Qal^ca's aghawāt, until he died in

1191/1777. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 385.

53 13 °Utaqā', pl. of °atiq: applied to a slave to signify his emancipation. See Lane, bk.1, pt. V, p. 1947, s.v. °ataqa. "Although Islam, in teaching and in actuality, has favoured the emancipation of slaves, it was only under an overwhelming foreign influence that it began, about a hundred years ago, an evolution in doctrine and in practice towards the total suppression of slavery, its abolition in law and custom. This evolution, which has continued, is in some regions still incomplete. Here we have one of the most typical examples of the transformation that the Muslim world has undergone, through European pressure of example, from the mid-19th century down to our own day". (R. Brunschvig, art. "°Abd", EI², vol. I, p. 36).

53 13f Al-Hājj Isma'īl Efendī al-Falbalī: al-Ansārī records that he was the first member of his family to emigrate to Medina. None of the relevant sources specifies the place of his family's origins, but al-Suyūtī noted that al-Falalayy is derived from Fala, a village in Bakhābirān. (Lubb al-Lubāb fī Tahrīr al-Ansāb, ed. H. Engelineo [Baghdad] p. 199). ûFilibe, Ottoman name for the town of Plovdiv in Bulgaria, situated on and around six syenite hills in the Thracian plain along the Maritsa. Called Pulpudeva by the Thracians, Philippopolis by the Greeks, Trimontium by the Romans, and Pludin by the Slavs. (B. Cvetkova, art. "Filibe", EI², vol. II, p. 914).

15 Qā'im-maqām: "A lieutenant-colonel in the army; a junior post-captain in the navy.. A governor of a town or district.. an acting representative.. An under-secretary of the state in the Ministry of mortmain estates". (Redhouse, p. 1429).

16 °Uthmān āghā: al-Ansārī records that °Uthmān āghā l-Qal'a

arrived in Medina in 1147/1734. He was apparently too weak to control the Qal^oa's affairs, so that opportunists gained inroads and caused much trouble. ^oUthmān died in 1188/1774. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 52).

1 ^oAlī āghā: al-Ansārī records that ^oAlī āghā al-Musāhib was appointed Shaykh al-Haram in 1182/1768, but was deposed in 1187/1773, Thereafter he resided in Bilād al-Shām. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 65).

54 3 Ya^oussū, from ^oassa: "He went round-about, patrolled, or went the rounds, by night". (Lane, bk. 1, pt. V, p. 2039, s.v. ^oassa).

54 4 Jāwish: "Chawush.. A herald.. a pursuivant; a messenger.. A sergeant in the army; a first class petty officer in the navy". (Redhouse, p. 711). Ahma al-Sa^oīd Sulaymān suggested that this word was used in Arabic before the Ottoman era, since it is mentioned by al-^oImād al-Isfahānī in al-Fath al-Qussī fī'l-Fath al-Qudsī. (Ta'sīl mā warad fī Ta'rīkh al-Jabartī min al-Dakhīl [Cairo, 1979] p. 61).

54 5 ^oAlī Qualalī: al-Ansārī records that the name Qulalī is derived from the craft of making al-qulal al-fakhkhār (fired clay). The family emigrated from Egypt and ^oAlī Qulalī became Chāwūsh in al-Nūbetjiyya. He was shot down in the Prophet's Mosque on Friday the 17th of Rabi^o al-Thānī 1189/1775. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 400f).

54 6 Sharaf Qabbānī: the name Qabbānī is derived from al-qabbān (steelyard). See Tahrīr, p. 203. Al-Ansārī records that the Qabbānī family emigrated from Egypt to Medina and that Sharaf al-Dīn ibn Hasan ibn Ahmad ibn Sharaf al-Dīn al-Qabbānī al-Misrī became Chāwūsh in al-Nūbetjiyya. When the civil strife arose, he was deported to Mecca in

1190/ 1776 because of his involvement with al-Qumqumjī's party, but he returned with the Sharīf Makka to become Bayraq-dār in al-Nūbetjiyya. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 399f).

54 6 Sa[°]id Shaqlibhā: al-Ansārī records that the first member of this family to emigrate to Medina from Damascus in 1070/ 1659 was al-Hājj Muhammad. He established himself as a trader and amassed wealth. On account of his questionable business dealings he was nicknamed Shaqlibhā, meaning "Turn-it-upside down". Al-Ansārī describes Sa[°]id Ibrāhīm Shaqlibhā as an oppressor and stubborn person. He associated with al-Qal[°]a's party to become a Chāwūsh and was later promoted to Kat-Khudā of al-Qal[°]a. On account of his oppressions, the inhabitants attempted to kill im, but he made his escape to Mecca, yet later he accompanied the Sharif of Mecca to Medina in order to settle there again. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 307f).

54 8 Bāb al-Saghīr: Ibn Mūsā described Bāb al-Saghīr as the road leading to al-Manākha. See W. al-Madīna, p. 50. Muhammad ibn Khider al-Rūmī mentions that the wall of Medina had among its gates two called Bāb al-Shām: one was Bab al-Kabir, the main gate, and the other was Bāb al-Saghīr, the minor gate. ("Kitāb al-Tuhfa al-Tīfa fī °Imārat al-Masjid al-Nabawī wa-Sūr al-Madīna al-Sharifa", in Rasā'il fī Ta'rikh al-Madīna, collected and introduced by H. al-Jāsir [Riyadh, 1392/1972] p. 87). Burckhardt referred briefly to the minor gate: "a smaller by-gate, called Bab es' Soghyr, in the south wall, had been closed up by the Wahabys". (Op. cit., p. 323).

54 15 Muhammad Sa[°]id ibn Mustafā Oda-Bāshā: al-Ansārī records that the first person to settle in Medina from this fa-

mily was Ahmad Oda-Bāshī al-Rūmī al-Misrillī, with his son Mustafā, who was Kat-Khudā al-Nūbetjiyya and was and was killed on the 17th Jumādā al-ūlā 1172/1758 near al-Canbaryyya district. He does not, however, record, much information about his son Muhammad Sa^oid, (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 82f).

54 15 Oda-Bāshā: "The chief of a chamber of servants.. The ocer in command of an oda among the Janissaries.. A kind of steward in charge of the rooms in a khan". (redhouse, p. 256).

54 16 Bayraq-dār: "A standard-bearer, cornet". (Steingass, p. 219).

55 2 Al-Sharīf Ahmad ibn Sa^oid: Ahmad ibn Sa^oid ibn Sa^od ibn Zayd took over Mecca's shirāfa after the death of his brother Musa^oad in Muharram 1184/1770, but he was replaced by al-Sharīf ^oAbd Allāh ibn Husayn ibn Yahyā ibn Barakāt on Friday 18th Rabi^o al-Awwal 1184/1770. He did, however, return to power for a second period of oce in Jumādā al-Akhīr of the same year. He remained in the shirāfa until Saturday 13th Dhū al-QaCda 1186/1772, when he was defeated by Sharīf Surūr ibn MusāCad ibn SaCīd ibn SaCd ibn Zayd. See al-Khulāsa, p. 202 - 207. Gaury records that Sharīf Surūr entered Mecca after a two-hours' fight against Ahmad and his troops on the 5th February 1773. (p. 175) Sharīf MusāCad records that Sharīf Surūr took over from Sharīf Ahmad ibn SaCīd in 1185/1771. (Jadāwil, p. 41). Ahmad ibn SaCīd's biography may also be found in M. al-Ansāb, p. 34.

55 7 Ahmad Khalīl: al-Ansārī records that the Khalīl family emigrated from Juddah to Medina when al-Sayyid Mustafa Kha-

līl al-Khalīlī settled in Medina in 1176/1762. His brother's son Ahmad ibn Muhammad Khalīl arrived in Medina in 1190/1776.

55 12 Bayrūdī: "An order, mandate, decree, or rescript; especially, a safe-conduct addressed to those whom it may concern, delivered to an individual about to travel in Turkey". (Redhouse, p. 427, s.v. huyuruldu).

55 14 Dakkat al-ArbaCīn: the dekka is a raised platform, the place where the aghawāt (eunuchs) of the Prophet's Mosque sit while they are on shift duty. Ibn Jubayr described this place in the Prophet's Mosque as follows: "Towards the east is a wooden structure where some of the guardians of the blessed mosque sleep". (Op. cit., p. 210) But at the same time he described another place at the end of Qubā' village which was called Dār al-Sua: "At the end of the village (Qubā') is a tall hill called CArafat by which one passed to Dar al-Suah [the House of the Choice Ones], where stayed Cammar and Salman with their Companions called Ahl al-Suah [the Choice Ones]". (Ibid., p. 205). Al-Fīr-ūzābādī quoted this account of Ibn Jubayr, but he commented that it was in error. (Al-Maghānim, p. 220).

Al-Samhūdī alone gave some account of the prophet's Mosque's Sua, which he located in the mu'akhkhar (near part) of the mosque. (Wafā', vol. II, p. 453). J. Pedersen dealt with the early history of this dakka, the original name of which was al-Sua: "When the kibla was moved to the south, the arbour at the north wall remained; under this arbour called sua or zulla the homeless Companions found shelter.. In seven months the work was completed (Wstenfeld, Medina, p. 59), according to others in he month of Safar of

the year 2 (Ibn Hishām, p. 339, 18 sq.). The mosque was very simple. It was really only a courtyard with a wall round it; the sua already mentioned supplied a shelter on the north side, while on the south side, later the kibla side, an arbour was probably built also". (J. Pedersen, art. "Masjid", EI, vol. III, p. 317). Ibn Farhūn noted that the eunuchs sat with their chief after a midday prayer on this platform which lies between Bāb Jibrīl and Bāb al-Nisā', in order to help anybody who might require their assistance or to answer any question relating to their works. (Al-nasīha, p. 199f). Al-Barzanjī related that the eunuchs would formerly perform their prayers at the gallery which lies behind the platform, but at that present time they performed them on the platform itself. He further noted that a decoration of this platform (dakka) took place on the 15th Safar 1272/1855. (Al-Nuzha, p. 35). Ibn Mūsā mentioned that this platform, known as Dakkat al-Aghawāt, was the place which used to bear the name al-Sua in the Prophet Muhammad's time. (W. al-Madīna, p. 59). Burton recorded how the Caliph °Umar II erected the sua, which served as a place for literary conversation: "Outside the Northern wall he erected a Suah, called Al-Batha - a raised bench of wood, earth, or stone, upon which the people might recreate themselves with conversation and quoting poetry, for the Mosque was now becoming [a] place of peculiar reverence to men". (Op. cit., vol. I, p. 363). It is doubtful, however, that °Umar II did in fact construct this place, since, as we gather from the previous account, the sua existed before his reign. It is more probable that he restored it or gave it a new shape. In another place Burton called the feature Dakkat al-Aghawāt

and described it as follows: "The peculiar place where the guardians of the tomb sit and confabulate is the Dakkat al-ághawát (eunuch's bench) or Al-Mayda - the table - a raised bench of stone and wood, on the North side of the Hujrah". (Ibid., p. 316). In Mecca, he recorded that the eunuchs of the mosque would have the opportunity of performing their prayers in the Maqām (the site of) al-Hanbalī: "The Makam el Hanbaly is the place where the ocers of government and other great people are seated during prayers: here the Pasha and the sheri are placed, and in their absence the eunuchs of the temple". (Op. cit., vol. II, p. 309). Rutter described the location in Medina referred to by Burton on his own visit: "To the north of Fātima's enclosure and separated from it by a space some ten feet wide, is a raised platform. In this place several of the āghās may usually be seen". (p. 541). Elsewhere, however, he described a raised place which was dierent from that which Burton had described and where the eunuchs of the Mecca mosque performed their prayers of sat: "I saw a eunuch, sitting on a raised place beneath the cloister near B6666b es-Safâ, which is their favourite praying-place". (p. 267). Neither of the two sites described by Burton and Rutter relating to the eunuchs of the Mecca Mosque's sitting-places now exists and at the present time, as the eunuchs have become less important in managing the services of the Mecca Mosque, the eunuchs may be seen praying and sitting beneath the Maqām al-Mu'adhhdhinīn (the place of the Prayer Announcers). In Medina, however, the eunuchs still pray and sit in the sua or dekka, the description of which has been made by the above historians.

- 15f. Al-Sharīf Zayn al-ʿābidīn al-Barakātī: his father was al-Sharīf Ibrāhīm ibn Muhammad ibn Ibrāhīm Barakāt ibn abī Nu-mayy al-Thānī, who died in 1087/1676. Zayn al-ʿAbidīn was in the favour of al-Sharīf ʿAbd al-Karīm ibn Yaʿlā al-Barakātī when the latter was fighting with al-Sharīf Saʿīd ibn Saʿd ibn Zayd for the control of Mecca in 1120/1708. When the conflict arose between al-Sharīf Saʿīd ibn Saʿd ibn Zayd and the rest of the Ashrāf, Zayn al-ʿābidīn was one of the delegation to negotiate with Sharīf Saʿīd. See Nāsir ʿAbd Allāh Sultān al-Barakātī, Ithāf Fudalāʾ al-Zaman bi-Taʾrīkh Wilāyat Banī al-Hasan: a Critical Edition with Introduction, a Political and Historical Survey of the Unedited Part of the Manuscript, unpublished Ph. D. thesis (manchester, 1983) vol. II. i., p. 177, 264, vol. II. ii, p. 278. Sharīf Zayn al-ʿābidīn's son ʿAbd al-ʿAziz was involved in the civil strife between the common people of Mecca and the Shiʿites in 1143/1721. See al-Khulāsa, p. 185.
- 8 Bāb al-Misrī (Egyptian Gate): Rifʿat records that Muhammad ʿAlī Bāshā opened the western gate, Bāb al-Misrī, and rebuilt the inner wall. (Mirāt, vol. I, p. 413). Al-Batanūnī relates that this gate gained its name because the Egyptian caravan stopped there in preparation for the walk to the Prophet's Mosque. (R. al-Hijāziyya, p. 42). Burton left in his account a perfect picture of the now demolished Egyptian Gate. He described its structure and decoration, and compared it with the gateway tower of the old Norman castle and in addition he went beyond the gate to provide his reader with a lively picture of the market of medina: "Westwards the Bab al-Misri (Egyptian) opens upon the plain called the Barr al-Manakhah. The Eastern and the Egyptian

gates are fine massive buildings, with double towers close together, painted with broad bands of red, yellow, and other colours, not unlike that old entrance of the Cairo Citadel which opens upon the Ramayliyah plain. They may be compared with the gateway towers of the old Norman castles - Arques, for instance. In their shady and well-watered interiors, soldiers keep guard, camel-men dispute, and numerous idlers congregate, to enjoy the luxuries of coolness and of companionship. Beyond this gate, in the street leading to the Mosque, is the great bazaar. Outside it lie the Suk al-Khuzayriyah, or greengrocer's market, and the Suk al-Habbabah, or the grain bazaar, with a fair sprinkling of coe-houses. These markets are long masses of palm-leaf huts, blackened in the sun and wind, of a mean and squalid appearance, of the gates". (Op. cit., vol, I, p. 391). This old bazaar of Medina was demolished gradually between 1974 and 1983 (including the gate itself). It is worth mentioning concerning the site of this old bazaar, that between the Egyptian Gate and al-Musallā (al-Ghamāma) Mosque, lies a part of the old road called al-Balāt, which the Prophet and the caliphs used to take from the Prophet's Mosque to al-Musallā to perform the festival prayer.

13m Dakkat Shaykh al-Haram: this site is Known as al-Khālidiyya, since it was built by Khālid Bāshā, Medina's Muhāfiz (the chief officer of government). Ibn Mūsā located Khālidiyya towards the eastern side of al-Musallā Mosque. (W. al-Madīna, p. 41). Until recent times, Khālidiyya used to be the headquarters of the police force.

14 Qundajī: "An incendiary.. A manufacturer of gunstocks or gun carriages". (Redhouse, p. 1499).

- 16 f Min Bāb al-Misrī ilā Bāb al-Salām: Rutter gave an accurate description of this important part of medina: "The principle street of El-Medina is the market street called Es-Sûk. This runs from the Egyptian Gate to the great gate mosque, Bāb es-Salām". (p. 518).
- 18 Mu[°]ātib: from [°]ataba, "He passed [from place to place].. mu[°]ātaba signifies also training, exercising, or making tractable". (Lane, bk, 1. pt. v, 1943, s.v. [°]ataba).
- 3 Jawz: "[The walnut; or walnuts]; a well-known fruit.. Which is eaten.. jawza.. pl. jawzāt.. the tree thereof abounds in the land of the Arabs, in the province of El-Yemen, where it bears fruit and is cultivated; are trees thereof, which are not cultivated: the wood thereof is characterized by hardness and strength". (lane, bk. 1, pt. ii, p. 485 . s.v. jawza).
- 14 Ahmad Makkī: al-Ansārī records that Hasan Efendī al-Rūmī emigrated to Medina in 1040/1630. He was a teacher in the Propht's Mosque. His son Makkī was born (as his name implies) in Mecca and from him the family as a whole derived its name. Ahmad [°]Umar Makkī was a Chāwūsh and Bayraq-dār and was later nominated as Kat-Khudā, but he was captured by al-Sharīf Surūr and taken to Mecca to be imprisoned there and then deported to al-Qunfudha. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 448.
- 8 17 Bāb al-Jum[°]a: "In the Eastern wall, the Bab al-JumCah, or Friday gate, opens upon the Nijd road, and the cemetery Al-Bakia". Burton, Op. cit., vol. I, p. 391). Like the rest of Medina's gates, Bāb al-Jum[°]a no longer exists, but al-[°]Ayyāshī tried to describe it: "Bāb al-Jum[°]a was the eastern gate of Medina. It had three apertures: one towards the north, another, lying opposite it, facing south, along the dis-

trict of al-Baqqāl and terminating at Isma^oāīl ibn Ja^ofar al-Sādiq's cemetery, and the third providing access to Zuqāq ^oAmqa, which ran between the general cemetery and the Prophet's aunt's cemetery. The two cemeteries were, however, combined with the removal of Zuqāq ^oAmqa". Al-^oAyyāshī concluded that the site of Bāb al-Jum^oa gate would be towards the eastern side of al-Shaykh ^oAbd al-Qādir ^oAbd al-Hakīm's house. (p. 168f). This house mentioned by al-^oAyyāshī still exists in Hārat al-Aghawāt.

- 4 Chohadār: "a lackey who walks by the side of his lord's horse, and acts as a footman indoors... Bāsh chohadār A head lackey, or valet". (Redhouse, p.738).
- 4 Hamza Zāfir: al-Ansārī records that Hasan āghā al-Rūmī al-Bushnāqī arrived in Medina in 980/1572 and had a lot of property there. He belonged to the ispāhiyya and was deported to Mecca, where he lived until Sharīf Makka Musa^oid deported him to Sawākin (see below). However, he returned to Mecca and Medina, where he became Kat-Khudā of the ispāhiyya in 1187/1773, but he was deposed and compelled to leave for Mecca, until he lost his sight. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 352. "Sawākin (Suakim, or Suakin) a seaport on the west coast of the Red Sea in 19° 5' N . lat". (A, Grohmann, art. "Sawākin", EI, vol. IV, p. 184f).
- 4 Badawī Shaykh Harb: al-Bilādī refers to him as Badawī ibn Midayān, when he records that his two sons Bādī and Bad-dāy attacked Medina with their people in 1220/1805. (N. Harb, p. 206).
- 6 Harrat al-Naqā: the name of a well-known place to the west of al-Musallā in Medina, in the direction of Manzilat al-Hājī which lies to the west of Buthān valley, the valley which se-

parates al-Naqā from al-Musallā. Harrat al-Zāhira also lies in al-Naqā district. See al-Maghānim, p. 414, 241. Al-Samhūdī located al-Naqā between Buthān valley and al-Manzila (stopping-place) in which was al-Suqyā (commonly known as al-A^ojam) well. (Wafā', vol. IV, p. 1322). Al-^oAyyāshī described the location of al-Naqā as the site which starts on the west side of al-Musallā Mosque (now al-Ghamāma) and ends at al-Suqyā in the railway station and the place to the south of the station. (p. 188).

- 8 Al-^oAwālī: the old name is al-^oAlliyya. Al-Samhūdī defined al-CAwālī, or al-^oAliyya, as the district which lies to the south of Medina, as far as one or two miles from the Prophet's Mosque. The district itself used to be inhabited by the Banū al-Hārith ibn al-Khazraj. See Wafa', vol. IV, p. 1260f.
- 8 Qubā' "lies about two miles to the south of Medina. It was once a large city contiguous with Medina the venerated". (Ibn Jubayr, p. 205). Yāqūt mentions Harrat Qubā' as lying to the south of Medina. (vol. II, p. 247). Al-Samhūdī states that in pre-Islamic times, before Medina was inhabited by the Aws and Khazraj, there was an utum (a small fort) called Cāsīm in the house of Thawba ibn Husayn ibn al-Sā'ib ibn abī Lubāba, and the utum contained a well called Qubā'. (Wafā', vol. I, p. 163). Al-^oAyyāshī so defined Qubā' well and the house of Thawba that it would be the site of al-Qā'im and al-Quwaym. (p. 280). Al-Samhūdī, who disputed with al-Matarī the distance from the Prophet's Mosque to the Qubā' Mosque, measured it himself and found it to be about three miles, as ^oIyād suggested. See Wafā', vol. IV, p. 1285. Burton agreed with al-Samhūdī against

others on the matter of this distance: 'I believe Kuba to be about three miles S.S.E. of Al-Madinah; but Al-Idrisi, Ibn Haukal, and Ibn Jubayr all agree in saying two miles". (Op. cit., vol. I, p. 407). Burckhardt described the village of Qubā', paying particular attention to its gardens and its production of fruit supplying the inhabitants of the city: "It lies to the south of the town, distant about three quarters of an hour. The road to it passes through a plain, overgrown with date-trees, and covered in many spots with white sand. At half an hour from the town begin gardens, which spread over a space of four or five miles in circuit, and form, perhaps, the most fertile and agreeable spot in the Northern Hedjaz. All kinds of fruit-trees (with the exception of apple and pear, none of which I believe grow in Arabia), are seen in the gardens, which are all enclosed by walls, and irrigated by numerous wells. It is from hence that Medina is supplied with fruits: lemon and orange trees, pomegranates, bananas, vines, peach, apricot, and fig trees, are planted amidst the date and nebek trees, and form as thick groves as in Syria and Egypt, while their shade renders Koba a delightful residence. The kheroa (Ricinus, or palma Christi), is likewise very common here. The village is frequently visited by the people of Medina; parties are continually made to spend the day, and man sick people are carried to enjoy the benefits of a cooler atmosphere". (Op. Cit., p. 367). The road to Qubā' has been cleared of most of its gardens which were described by Burckhardt, on account of the expansion of the city, as Makkī stated: "The growth towards the south occurred along Qoba street; building in this street is distinguished by large blocks of

flats of several storeys, in the vicinity of Mudarraaj bridge". (Medina, Saudi Arabia [London, 1982] p. 49). But there are still many gardens surrounding the area of Qubā' which provide Medina with its necessities in fruit and vegetables. However, people are now less concerned to pass the time in these gardens in groups, as they did in former times.

- 14f Sadd Buthān: the dam of Buthān, which is one of Medina's three valleys; the other two are al-^cAqīq and Qanāt. (Yāqūt, vol. I, p. 446). Jisr Buthān, the bridge of Buthān, is close to the site of Sūk Banī Qaynuqa^c. The bridge is situated at the highest part of Buthān valley, towards the place called Zu-qāq al-Bayd. See al-Maghānim, p. 100. Al-^cAyyāshī states that the torrent of Buthān is at the present time called Abū Jīda and that it collects the waters of the southern valleys: Mudhaynib, Mahzūr, and Rānūnā'. They meet on the east side al-Mishrifiyya garden and on the west side of al-Tāyibiyya garden, and then they flow down into Abū Jīda valley to the west of al-Musallā and al-Sayyah. See al-^cAyyāshī, p. 442.
- 15 Al-Marākishiyya: Ibn Mūsā gives an account of the gardens which were situated around the outer wall of Medina. Al-Marākishiyya, owned by Muhammad Sa^cīd ^cAbd al-^cāl, and al-Ahmadiyya, in al-Marākishiyya, alley, were among those mentioned. (W. al-Madīna, p. 54). Al^cAyyāshī tried to trace the history of the site of al-Marākishiyya, which was considered the first part of Banū Habīb ibn Mālik ibn Ghadab ibn Jasham ibn al-Khazraj's manzila. (P. 235).
- 16 Darb al-Janā'iz: the road of funeral processions. Al-^cAyyāshī gives its old name as al-Diya alley. The word diya is derived from the verb wadā (to pay blood money).

He describes the road as starting from the east of al-Nūra alley and finishing at Bāb al-^oAwālī. Al-Cayyāshī notes that the name al-Diya derives from the fact that when the Banū Zurayq paid the diya to the Banū Habīb in the course of pre-Islamic feuding, a portion of the payment consisted of this road which used to belong to the Banū Zurayq. (P. 235). Darb al-Janā'iz was widened over a number of years, but still bears the same name.

- 9 19 Al-Baqi^o: "Baki^o al-Gharkad (also called Djannat al-Baki^o or simply al-Baki^o), is the oldest and first Islamic cemetery of al-Madīna. The name denotes a field which was originally covered with a kind of bramble called al-gharkad; there were several such Baki^os in al-Madīna. The place is situated at the south-east end of the town, at a short distance from the Prophet's tomb, outside the town-wall, now demolished, through which a gateway, Bāb al-Baki^o gave admittance to the cemetery (see the map of Madīna in Caetani, Annali, ii, 173).. During the life-time of the prophet al-Baki^o was a very small place; the graves of ^oUthmān b. CAān and Halīma al-Sa^odiyya not being within its precincts. ^oUthmān b. ^oAān was buried originally in Hashsh Kawkab, which was included in al-BakīC by the Umayyads much later. Even the enclosure where some of those killed during the Umayyad occupation of al-Madīna were buried fell outside its present boundaries". (A.J. Wensinck, rev. A.S. Bazmee Ansari, art. "BakīC al-Gharkad", EI², vol. I, p. 957f). Concerning Hashsh Kawkab, where ^oUthmān ibn CAān the third caliph was buried, Yāqūt stated that Hashsh means bustān (i.e. garden) and Kawkab was the name of one of the Ansār. He added that the caliph ^oUthmām during his

lifetime bought the Hashsh so that it became part of al-Baqi^c and he was buried in the same place. (Op. cit., vol. II, p. 262). Ibn Shabba related that Hashsh Kawkab was a garden in Medina or a locality on the eastern side of al-Baqi^c which was called Khadrā' of Abān ibn ^cUthmān (see below) and that the Banū Umayya incorporated Hashsh Kawkab within al-Baqi^c. (Ibn Shabba) (Shaltūt), vol. I, p. 112f. "Abān b. ^cUthmān b. ^cAān [was a] governor, [who] died in Madīna in 105/723-4 according to report, at any rate during the reign of Yazīd b. ^cAbd al-Malik". - K. V. Zetterstéén, art. "Abān b. ^cUthmān", EI², vol. I, p. 2). Hassān ibn Thābit, who elegized ^cUthmān after his murder, also mentioned in the last line of his poem that ^cUthmān bequeathed Baqi^c al-Gharqad. (Dīwān Hassān b. Thābit, ed. W. ^cArafat, vol. I [London, 1971] (p. 118). Al-Juzayrī recorded that Usāmā b. Sinān al-Salāhī erected a dome over the tomb of ^cUthmān in 601/1204. (^cAbd al-Qādir b. Muhammad b. Abd al-Qādir b. Muhammad b. Ibrāhīm al-Ansārī al-Juzayrī, Durar al-Fawā'id al-Munazzama fī Akhbār al-Hājj wa-Tarīq Makka al-Muqazzama [Cairo, 1384/1964] p. 644). Ibn Jubayr noted that in his time the cemetery lay outside the wall of the town: "Baki^c al-Gharqad, the cemetery of Gharqad, lies to the east of Madīna and men go forth to it by the gate called Bab al-Baqi^c". (Op. cit., p. 203). This is confirmed by al-Fīrūzābādī, who noted that the cemetery used to lie inside Medina, but during his time it became outside the city wall. (Al-Maghānim, p. 171). Burckhardt, on his visit to the city, also recorded the location of the cemetery outside the wall and its poor state: "It is just beyond the town-walls, near the gate of Bab Djoma, and bears the

name of El Bekya. A square of several hundred paces is enclosed by a wall which, on the southern side, joins the suburb, and on the others is surrounded with date-groves. Considering the sanctity of the persons whose bodies it contains, it is a very mean place; and perhaps the most dirty and miserable burial-ground in any eastern town of the size of Medina". (Op. cit., p. 362). The date-groves which surrounded the cemetery in the description of Burckhardt have been gradually felled, although a few of them still exist at the present time. Burckhardt also noted the habit of the residents of the city in visiting their relatives' tombs and decorating them with palm-fronds during the Ramadān festival: "Branches of palm-trees are stuck upon the graves, and changed once a year, at the feast of Ramadhan, when the family visits the grave of its relations, where it some times remains for several days". (Ibid., p. 364). The custom of visiting relatives' tombs at the festival time has been carried down by the inhabitants to the present time, but no palm-branches are now attached to the tombs. Burton compared the state of the tombs in his time with that in Burckhardt time and attributed the amelioration of their condition to two of the Ottoman sultans: "In Burckhardt's time the whole place was a 'confused accumulation of heaps of earth, wide pits, and rubbish, without a singular regular tomb-stone'. The present erections owe their existence, I was told, to the liberality of the sultans Abd al-Hamid and Mahmud". (Op. cit., vol. II, p. 33). Rutter also observed the untidy state of this place, due to the demolition of the buildings and domes previously erected upon the saints' tombs: "When I entered the Bakîa the sight which I saw was as it

were town which had been razed to the ground. All over the cemetery nothing was to be seen but little indefinite mounds of earth and stones, and a broken rubble of cement and bricks, strewn about. It was like the broken remains of a town which had been demolished by an earthquake. Against the western wall lay great stacks of old wooden planks, and others of stone blocks, and of iron bars and railings. This was some of the scattered material, which had been collected and stacked in order. A few narrow paths had been cleared in the rubble, so that visitors might make their way to the further parts of the cemetery; but other signs of order there were none. All was a wilderness of ruined building material and tombstones - not ruined by a casual hand, but raked away from their places and ground small". (Op. cit., p. 562f). Much improvement in the size and the state of this cemetery has taken place since Rutter's time, as Makkī noted: "After its expansion in 1953 this cemetery had an area of 52,741m² and now comprises 0.47% of the total built-up area of Medina. Originally it was situated a short distance outside the city, within easy access, but as the city grew the cemetery became part of it". (Medina, p. 146). In 1981 a new improvement in the cemetery took place when its wall was rebuilt and its zone expanded on the eastern side, enclosing within the bounds of the cemetery the two tombs of Abū Sa[°]īd al-Khudarī (Sa-Cad ibn Mālik b. Sinān b. ThaClaba b. °Ubayd b. al-Abjar) and Fātima b. Asad b. Hāshim b. °Abd Manāf (the Caliph °Alī ibn abī Tālib's mother). These formerly lay outside the cemetery in a place called al-Hamām.

drum family. Islāmic tradition attributes its 'inventio n' to Tū-bal b. Lamak (mas^cūdī, ed. Paris, viii. 88 - 89), whilst another piece of gossip says that Isma^cīl, the founder of the musta^criba.. was the first to sound it (Ewliyā áelabi, Travels, I/ii. 239). The word may be equated with the Assyrian tab-balu and perhaps the Egyptian tabn. According to al-Faiyū-mī (1333 - 1334), the term tabl was applied to a drum with a single membrane (diild) as well as to that with two membranes. This, however, does not include the du or tambourine.. The tabl family may be divided into two classes, viz:

1. the cylinder type; and 2. the bowl type".

(H.G. Farmer, art. "Tabl", EI, Suppl., p. 215).

60 2 Al-Naqqāra, cf. anqara: "[He made a snapping with his thumb and middle finger]; he struck his thumb against the end of the middle finger and made a sound with them". (Lane, bk. 1, pt. viii, p. 2837, s.v. naqara). Naqqar: "to Knock or peck at repeatedly". (S. Spiro, Arabic-English Dictionary of the Colloquial Arabic of Egypt, [Beirut, 1973] p. 611).

60 8 Bāb al-Rahma (the gate of morcy): "Five doors give admittance to the sanctuary: on the west the Bābal-Salām and Bāb al-Rahma, on the north the Bāb al-Madjīdī, on the east the Bāb Djibrā'īl [also called Bāb Jibrīl] (or al-Bakī^c) and Bāb al-Nasā' [sic; more correctly Nisā']. They are all closed at night". (F.R. Buhl, art. "al-Madīna", EI, vol. III, p. 91). Of these five gates, constituting the gates of the old mosque before its first reconstruction under the Saudis, four remain unaltered, viz: Bāb al-Rahma on the west side, and Bāb Jibrīl and Bāb al-Nisā' on the east side. The fifth door, which has been added to the old part of the mosque after the

reconstruction, is Bāb Abī Bakr al-Saddīq, located between Bāb al-Salām and Bāb al-Rahma, Al-Barzanjī recorded that the old name of Bāb al-Rahma was Bāb °ātika b. °Abd b. °Abd Allāh b. Yazīd b. Yazīd b. Mu°āwiyya and another name given to it was Bāb al-Sūq. (Al-Nuzha, p. 83). Al-Marāqī stated that the name °ātika was given to the mosque door because this lady's house lay opposite to the door. In this house used to be the utum (small fort) of Thābit (father of the poet Hassān) and the name of the utum was Fāri°C. Al-Marāqī added that the ownership of the °ātika house was transferred to Yahyā b. Khālid b. Barmak Wazīr al-Rashīd (N.B. "Yahyā b. Khālid, a Barmakid.. died 3rd Muharram 190 (Nov. 29, 805) in al-Rafika, at the age of 70 or 74)" - K.V. Zetterst en, EI, vol. IV, p. 1511). See Tahqīq, p. 79f. Al-Samhūdī related the utum to Hassān himself, not to his father, with the utum on the site of the house of JaCfar ibn Yahyā al-Barmakī. (Wafā', vol. II, p. 697). W. 4°Arafat, in his introductory comments on the life of Hassān ibn Thābit, stated that Hassān "had an 'utum' of his own, kept rich and pleasant company not only from among his fellow Medinese, such as the Ausite poet Qais b. al-Khatīm, but also members of the Jewish community of Medīna". (D. Hassān, vol. I, p. 3f). In one of the introductions to his poems, Hassān stated that he composed the poem after being presented with the Utum Fāri°C by the Prophet. (Ibid., p. 285). Al-°Ayyāshī later came to the conclusion that the site of the utum became enclosed within the mosque between Bāb al-Rahma and Khawkhat 9i.e. the wicket of) Abī Bakr al-Saddīq, when the °aliph °Uthmān expanded the mosque on the western side. (Op. vot., p. 206). Al-Samhūdī again re-

corded that the Bāb al-Rahma used to bear the name Bāb al-Sūq (i.e. the Gate of the Bazaar) because the bazaar of Medina was on its western side. He further explained how the gate had come to be known as Bāb al-Rahma, stating that the Prophet was once preaching to the people on a Friday when an unknown person approached the mosque from the direction of Dār al-Qadā' (the House of Judgment). He asked the Prophet to pray to God for rain, which the prophet did, and after a while the rain came in the mercy (Rahma) of God. Since the person who asked the Prophet to pray for rain came via this door, the name al-Rahma became attached to it. (Wafā', vol. II, p. 697f). Al-Barzanjī stated that Dār al-Qadā' was a site between Bāb al-Salām and Bāb al-Rama. (Al-Nuzha, p. 83). Al-Fīrūzābādī stated that Dār al-Qadā' used to be owned by Caliph ^CUmar and that he recommended it to be sold after his death to clear his debt. MuCāwiyya ibn abī Sufyān bought it and it became the property of Marwān ibn al-Hakam. ("Marwān b. al-Hakam, a father of the Marwānid caliphs, died at Damascus on 27th Ramadān 65 (7th May 685)" - H. Lammens, art. "Marwān b. al-Hakam", EI, vol. IV, p. 308). Some have suggested that this would have been Dār al-Imāra (the Government House), which is quite possible since it became the property of the Amīr (governor) of Medina. (Al-Maghānim, p. 138). Burton was astonished by the tawdry shape of the Bāb al-Rahma when he entered the Prophet's Mosque: "And entering the Bab al-Rahmah - the Gate of Pity-by a diminutive flight of steps, I was astonished at the mean and tawdry appearance of a place so universally venerated in the Moslem world. It is not, like the Meccan Temple, grand and

simple, the expression of a single sublime idea: the longer I looked at it, the more it suggested the resemblance of a museum of second-rate art, an old Curiosity-shop, full of ornaments that are not accessories, and decorated with pauper splendour". (Op. Cit., vol. I, p. 307). The gate described by Burton remains until the present time like the other three gates: Bāb al-Salām, Bāb Jibrīl, and Bāb al-Nisā'. The citizens of Medina prefer to carry the funeral biers of their dead through Bāb al-Rahma before performing the prayers for them in the Prophet's Mosque, regarding the name al-Rahma (mercy) as a good omen.

60 14 Al-Hamāta: ibn Mūsā gives the following description of the site of al-Hamāta, leading to the site of Sayyidnā Mālik, Saqīfat al-Amīr, Zuqāq al-Tawāl, Sūq al-Shurūq, and Bāb al-Misrī. (W. al-Madīna, p. 50). Al-^CAyyāshī noted that al-Hamāta is the corruption of the old name al-Hamāda and he located it on a site between the tomb of Mālik ibn Sinān and the demolished garden of al-Sultāniyya. (Op. cit., p. 98).

60 16 Diyār al-^CAshara: the old name of this place is the house of ^CAbd Allāh ibn ^CUmar ibn al-Khattāb. Ibn Shabba mentioned this house to the south of the Prophet's Mosque, situated in Banū ^CAmr ibn Mabdhūl, known as Dār al-Janābidh. The house was inherited by ^CAbd Allāh ibn ^CUmar's children. See Ibn Shabba (Shaltūt), vol. I, p. 247, 256. Al-Samhūdī noted that ^CAbd Allāh ibn ^CUmar inherited the house from his sister Hafsa, but in al-Samhūdī's time it was not owned by any member of ^CUmar's family and it contained a khawkha (skylight). (Wafā', vol. II, p. 718). Hāfiz relates that Dār al-^CAshara was removed due to the Sau-

dis' expansion of the Prophet's Mosque. (Fusūl, p. 24). The Cārif Hikmat Library now stands on the site of Dār al-^CAshara.

60 18 Wālī al-Hajj al-Shāmī: "Amīr al-Hādjdj, leader of the caravan of pilgrime to mecca. In 9/630, after which date non-Muslims were excluded from the Hadjdj, the Prophet nominated Abū Bakr to conduct the pilgrimage and to prevent pagans from taking part in it. In 10/631 he presided over it himself. Thereafter this duty belonged directly to the caliphs, who either undertook it themselves or nominated an ocial to act in their places (e.g. the Governor of Mecca or Medina, a high ocial etc).. The Mamlūk sultans of Cairo used their amīr al-hādjdj to support their policy of establishing gradual control over the Hidjāz, symbolized by the mahmal.. and to distribute gifts or surre.. The Ottoman sultans did the same after 923/1517, but their amīr al-hādjdj (Cairo, Damascus and, for a short period, Yemen), were appointed for a period of years until recalled. In Egypt under the Ottomans, up to the end of the 18th century, one of the principal beys held the post. The discharge of their duties necessitated heavy exoenditure, a large part of which was met by the sultans; but as a result of the fact they received many gifts; that the eects of those who died on the way without heirs legally reverted to them, and that they carried on trade on their own account, the holders of this oche could make a handsome profit. It was a great honour to be required to fill the post". (J. Jomier, art. "Amīr al-Hādjdj", EI2, vol. I, p. 143f). "The title of the pasha who has the privilege of conducting the caravan. It is a lucrative as well as an honourable employment, for the Amir enjoys the droit d'aubaine,

becoming heir to the personal property of all pilgrims who die in the Holy Cities on the time of march".

(Burton, Op. cit., vol. I, p. 420).

60 18f Muhammad Bāshā al-CAzm: Muhammad ibn Mustafā ibn Fāris ibn Ibrāhīm's mother's father was al-Wazīr Ismā^Cīl Bāshā al-Dimashqī, known as al-^CAzm. He was born in Damascus on the 10th Shawwāl 1143/1730. He remained there and received his education when his maternal uncle al-Wazīr Sa^Cd al-Bāshā was appointed Wazīr in 1176/1762 by al-Sultān MustafāAhmad. He became Wālī of Aleppo on the 24th ShaCbān 1177/1763, but was transferred from his position in the middle of Shawwāl 1178/1764 to become a Wālī of Iyālat al-Rahā'. He took over the oice of Wilāyat al-Shām and Imārat al-Hajj al-Sharīf from ^CUthmān Bāshā in Rajab 1185/1771, He was dismissed from this post in 1186/1772, but was reinstated in 1187/1773. See al-Murādī, vol. IV, p. 97 - 102.

60 19 Al-Jurf: a portion of land or sand which the torrents have partially swept away or worn down. Many places bear the name al-Jurf, including one in al-Hīra, a place near Mecca, another in the refion of al-Yamāma, and yet another in Yemen. The medinan Jurf is located three miles from the city, towards al-Shām, containing the wells of Jamal and Jusham. See Yāqūt, vol. II, p. 128. Al-Fīrūzābādī adds that its old name was al-Cird. (Al-Maghānim, p. 88f). When al-^CAyyshī more recently tried to define al-Jurf, he noticed that the farmers forget the original names of the western districts of the old city, including Zubāla ad Yathrib, and gave all the places located to the west and east of al-^CAqīq valley the name of al-Jurf, whereas in reality the

name properly excluded the places on the west side. (p. 488).

61 10SH Shānīhā: "Shāni' Hating, or a hater.. and an enemy". (Lane, bk. 1, pt. iv, p. 1603, s.v. Shānī').

61 13SH Kwākhīha: Kyaahya (Redhouse, p. 1530). The word was borrowed in Turkish from the Persian Kat-Khudā (see above, n. on p. 25, 1.8).

62 3 Al-Jāmī: al-Ansārī records that the Jāmī family were originally Kurds. ^CAbd al-Rahmān Mullā Jāmī and his brother Mullā Mahmūd were apparently the first members of this family to emigrate to medina. ^CAbd al-Rahmān was named Mullā Jāmī after the wall-known grammarian ^CAbd al-Rahmān ibn Anad Jāmī (see below) (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 149f). The name al-Jāmī originally derives from Jām, pronounced Zām. See Tabrīr, p. 59. "Djām [is] a village in Afghānistān (orchards, particularly of apricots) in the region of Ghūr", (H. Masse, art. "Djām", EI², vol. II, p. 406). "To the east of the Z vah district, and in the north-east corner of Khistān, near the Herāt river, was the district of Z m or J m, of which the chief town was in the 4th (10th) century known as Bzj n. This was a considerable city, and 180 villages were of its dependencies. The name Bzjān was pronounced Bzkān by the Persians, and in later times it was written Pchk n". (G. Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate, 2nd edn. [London, 1930] p. 356f). "Mawlanā Nūr al-Dīn ^CAbd al-Rahmān [Jāmī], the great Persian poet.. Was born in Khardjird, in the district of Djām which is a dependency of Harāt, on 23 ShaCbān 817/7 November 1414 and died at Harāt on 18 Muharram 898/9 November 1492". (Ci. Huart, rev. H. Mass, art. "DJāmī", EI², vol. II, p. 421).

62 5 This line is taken from ^CAmr ibn Ma^Cdī Yakrib al-Zubaydī. See Shi^Cr ^CAmr ibn Ma^Cdī Yakrib al-Zubaydī, ed. Muta^C al-Tarābīshī, [Damascus, 1394/1974] p. 98f).

62 12 These four lines are taken from Muhammad ibn Idrīs al-Shāfi^Cī. See D. al-Shāfi^Cī, p. 84.

64 11Sh Zarbūn: "Zerbous" were despised as bad and people who wore them were also despised. "Zerboun" is also used as a degrading expression towards somebody else. By the latter part of the nineteenth century, however, the term was used for a sort of large shoe, no longer worn by slaves, but by other people of high social rank. See R. Dozy, Supplement aux Dictionnaires Arabes, vol. I (Leyde, 1881) p. 584.

64 14SH Hizb: "'a party, faction, division'. It is probably at Ethiopic loan-word, the original Arabic meaning of the root being 'to befall' of a misfortune (asāba) and 'to be rough, coarse' (ghaliza).. In the Kur'ān the word is used of confederates and mostly in a bad sence". (D.B. Macdonald, art. "Hizb", EI, vol, II, p. 822).

64 14SH Al-Kawānīnī: "Kānūn, the name of a month, which is found as early as in inscriptions from Palmyra.. and corresponds to Marheshwān. It later appears among the Syriac names of the months". (A.J. Wensinck, art. "Kānūn", EI, vol. II, p. 723). Kānūn also has another meaning in colloquial Egyptian and Hijāzī Arabic: "Kann, stove, hearth, fireplace, pl. kawyn". (Spiro, Op. cit., p. 507). "At Mekka, they make small hearths of clay (k?noun), which they paint with yellow and red". (Burckhardt, Op. cit., p. 257). Hijāzī usage of Kānūn led to a derived meaning, which is that intended by the poet in this line. By the title kawānīnī, the inhabitants of

Hijāz describe those people who have a strongly positive attitude towards the negro people. They combine two of the meanings found in the text in the popular saying, najmuh kawānīnī ("his star goes well with the negroes").

17FH Ghatārifa: "ghatārīf, i.e. chiefs, &c., (pl. of ghitrīf) or noble.. taghatrafa.. He magnified himself, or was proud". (Lane, bk. 1, pt. vi, p. 2270, s.v. ghatrafa).

21SH Al-Dawānīn, pl. of dīwān: "Dīwān, a collection of poetry or prose.. a register, or an oce, Sources dier about linguistic roots. Some ascribe to it a Persian origin from dev, 'mad' or 'devil', to describe secretaries. Others consider it Arabic from dawwana, to collect or to register, thus meaning a collection of records or sheets". (A.A. Duri, art. 'Dīwān", EI², vol. II, p. 323).

64 28SH ^CAbd al-Hamīd: "Ottoman Sultan, born 5 Radjab 1137/20 March 1725, succeeded his brother Mustafā 8 Dhūl-Ka^Cda 1187/21 January 1774. ^CAbd al-Hamīd succeeded to the throne during a war with Russia, in which financial diculties, rebellions in various provinces, and the weariness aroused by ill success made the cessation of hostillities an absolute neccessity for Turkey". (M. Cavid Baysun, art. "^CAbd al-Hamīd I", EI2, vol. I, p. 62). "^CAbd al-Hamī al-Awwal ibn Ahmad was enthroned on the 8th Shawwāl, or 7th Dhū al-Qa^Csa 1187 A.H. He died on the lith Rajab 1203/1788". (M. al-Ansāb, p. 240).

29SH Al-Sayārīn: this is how the word was pronounced in the colloquial language of Medina. Al-Samhūdī states al-Sūrān is muthannā (dual) of sawr, the grove of small date-palms. It is the name of a place in the furthest part of al-Baqī^C, neighbouring Banū Qurayza's road. He added that the

water from Mahzūr torrent flows into al-Sāfiyya (irrigation channels), then comes to the qasr (palace) of Marwān in al-Sūrīn. He adds that al-Sūrān is also a place situated in the lower part of al-Ghāba. (Wafā; vol. IV, p. 1255). Al-^CAyyāshī notes that al-Sūrān are a kind of date-palm called ^CUtharī and growing in saline soil. Its fruit is uneatable. Another name given to this plant is al-hadarī. (p. 318).

65 36SH Ghalāyīn, pl. of ghalyūn: "galjn, steamer, pipe, pl. gala-jyn". (Spiro, Op cit., p. 434).

65 38SH Al-sarāhīn: "Sirhān.. the wolf.. pl. sarāhīn". (Lane, bk. 1, pt.iv, p. 1345, s.v. sirhān).

65 40SH Qawn al-Sawādīn (the company from Sudan): "is said in the R [i.e. Al-Rawd al-Unuf of al-Suhaylī] to denote [The negroes]; that particular people, or race, who are the most stinking of mankind in the armpits and sweat, and the more so those who are eunuchs". (Lane, bk. 1, pt. iv, p. 1463, s.v. aswad).

66 1 Ahmad al-Jāmī: Ahmad ibn CAbd al-Rahmān ibn Ahmad ibn ^CAbd Allāh ibn Husayn ibn CAIī al-Madanī al-ShāfiCī was born in Medina in RabīC al-Awwal 1161/1748. In the following year, his father (who was Imām al-ShāfiCiyya) died in Medina. He obtained his education under the famous Culamā' of Mecca and Medina in his time. He was also recognized as a poet of some ability. He was appointed to the post of Imāmt al-ShāfiCiyya. He travelled to Istanbul three times, the first occasion being in 1187/1773, and he visited Damascus in 1204/1789. See Khalīl Mardim beg, A^Cyān al-Qarn al-Thālith ^Cashar fī'l-Fikr wa's-Siyāsa wa'l-Ijtimāc, 2nd ed. (Beirut, 1977) p. 251. Al-Dāghistānī listed some of the poems he composed and one them was cited in hi intro-

duction and said to have been written in al-Rūm, in which he expressed his love of Medina. (Tuhfat al-Dahr, p. 66). His biography may be found in Tuhfat al-Muhibbīn, p. 150 & al-Hilya, vol. 1, p. 287 - 9.

65 2 Al-Efendī: a corruption of colloquial Greek afendī, derived from the old word *afendīs*. It came into the Anatolian Turkish language at an early time and was used by the Turkish people in the thirteenth century A.D. See Ta'sīl, p. 20. "Efendī.. Gentlemanly, well-behaved; polished in speech and manners.. kind, benevolent or beneficent". (Redhouse, p. 160).

66 2FH Al-wars: "wars, A certain plant.. of a yellow colour.. It is not wild, but is sown one year, and remains ten years.. or twenty years.. without ceasing to be profitable, resembling sesame in its manner of growth: and when it dries, on its attaining to maturity, its pericarps.. burst, and it is shaken and the seeds shake out from it". (Lane, bk, 1, pt. p. 2936, s.v. wars). "Abou Hanbal. The wars is sown in the Yemen, and I should not think that it comes from anywhere else but in the Arab world, and that, even within the Arab world, it grows anywhere but in the Yemen.. ABOU'L-ABBā EN-NE-Bāty. Wars is known in the Hejaz, where it is brought from the Yemen. It is a little fruit which looks like dust from the heads of camomile. Its colour is that of saron. I learned from a man worthy of trust, who had lived in Abyssinia, that this substance fell upon a species of tree unknown to him, was gathered for use at an opportune time, but that it was not sown in the manner claimed. The Abyssinians bring it to Mecca.. [Footnote]: "Wars is not the exclusive product of Arabia. It is found in abundance in India, notably in the sur-

roundings of Pondicherry of which some has been sent to Europe in the recent trials. It is called kana the country. In the red colouring it acts as a mordant and gives out alum. The memecylon belongs to the family of Melastomaceae, a relative of the Lithraes". (Trait des Simples par Ibn al-Bethar, tom III [Paris, 1883] p. 409 - 411 - trans, from French).

66 5FH Dandana: "It buzzed, or made a buzzing sound". (Lane, bk. 1, pt. iii, p. 917, s.v. dandan).

66 7SH Fuhtahu: "Fahha.. He.. failed of being thoroughly eective [in his discours, or oration, or harangue, and his argument, or plea, or evidence". (Lane, bk. 1, pt. vi, p. 2452, s.v. fahiha).

67 14FH Qadarī: "Kadariya is given regularly as a descriptive or surname (lakab) of the Mu^Ctazilia, but it points back to a pre-Mu^Ctazilite time when the Muslims were beginning to ask theological questions.. The later Mu^Ctazilites resented the name and held that it applied better to those who maintained Allāh's kadar of all things. Good and bad, than to themselves who held that man has a certain power (kudra) over his actions". (D.B. Macdonald, art. "Kadarīya", EI, vol II, p. 605f). "In a short article ^Carlo Nallino discussed how it came to be that the word 'Qadarī', which one would expect to refer to an upholder of God's qadar, in fact meant the opposite. His suggestion was that the term applied to men who spent much tome debating about the Qadar and so made it an important question, irrespective of the precise view they held. The suggestion may be sound up to a point; but it is more important to notice that 'Qadari-te'quickly became an abusive nickname which each tried to

fasten on the other. Thus CAmr ibn [◌]Ubayd, though widely attacked for his Qadarite views, is found writing a 'Refutation of the Qadariyya', while al-Jāhiz, who was Mu[◌]tazilite, spoke of the caliph [◌]Umar ibn-[◌]Abd-al-[◌]Azīz writing books on the Qadar in the fashion of the Jahmiyya. The correct use of the name is discussed by al-[◌]Asharī thus: The Qadarites consider that we deserve the name of Qadar, because we say that God has determined (qaddara) evil and unbelief, and whoever arms (yuthbit) the Qadar is a Qadarite, not those who do not arm it. The reply to them is: The Qadarite is he who arms that the Qadar is his own and not his Lord's, and that he himself determines his acts and not his Creator. This is the proper use of language". (W.M. Watt, The Formative Period of Islamic Thought {Edinburg, 1973} p. 116f).

66 4SH Rāfidī: "Afterwards, this appellation became applied to All persons transgressing in this way, [i.e. all apostates, or schismatics] speaking against the Companions of the Prophet". (Lane, bk. 1, pt. iii, p. 1121, s.v. Rāfida). "Three main forms may be distinguished within the Shi[◌]a: the Zaidīs.. who are nearest akin to the Sunnīs, limit the manifestation of God in the Imām quite rationalistically to mere divine 'right guidance' and deny the miraculous influx of the divine portion of light into a definite [◌]alid individual.. In the course of history each of the three divisions had perforce to divide into many subdivisions, simply on account of the specifically Shi[◌]a ideas of each. Thus, as a result of the Zaidī agitations, small principalities arose in Tabaristān and Dailam from 250 (864) and in Yemen from 288 (901) which from the distance between them could not form a unity nor even

possess uniformity. The Zaidīs of ^CIrāk, who never attained independence in a kingdom of their own, but were often able to make up for this by exerting considerable influence in the caliph's empire, had to adapt themselves to conditions there by a greater use of the takīya.. or the kitmān". (R. Strothmann, art. "ShīCa", EI, vol. IV, p. 351f). "Al-Zaidīya, the practical group of the Shi^Ca, distinguished from the Ithnā Cashariyya.. and the Sab^Cī.. by the recognition of Zaid b. ^CAlī. After the latter's death they took part in several ^CA-lid risings but were not a united body. Writers on heresy distinguish eight schools among them: from Abū 'l-Djārūd, who combined warlike activity with apotheosis of the imām and belief in a mahdī, to Salama b. Kuhail whose Zaidism was warered down to a simple ShīCa point of view". (R. Strothmann, art. "Zaidiya", EI, vol. IV, p. 1196). But for many people Zayd was not suciently radical. He considered Abū Bakr and ^Cumat as lawful caliphs, something very characteristic of him and the majority of his Kūfan followers, and at all events refused to declare them usurpers. Thus he could not condemn the Unayyds, or so the extreme Shī-Cites thought and they renounced any obligation to him. They were therefore called the Rāfida (the apostates). Now they declared Zayd's brother, Muhammad b. CAī to be the true Imām and after him his son Ja^Cfar, although they themselves certainly wanted nothing to do ith the Rāfida. They themselves say that the name is attributed to them not only by Zayd but also by Mughāira b. ShuCbā. Sabā'īya is an older name for the same thing". (J. Wellhausen, The Religio-Political Factions in Early Islam, tr. R.C. Ostle & S.M. walzer [1975] p. 162f., 166).

Ibn Habīb notes that they gained the name al-Rāfida when they rejected Zayd ibn [°]Alī ibn al-Husayn because of his loyalty to Abū Bakr and [°]Umar. (Abu JaCfar Muhammad ibn Habīb, al-Muhabbar [Beirut] p. 485). "The primacy and superiority of [°]Alī normally implied a rejection of the Shaykhayn, that is, Abū-Bakr and [°]Umar. The name Rāfida or Rawāfid comes from the verb rafada, probably with the meaning 'desert', and so could be rendered 'deserters'. It is a nickname applied by opponents, and is used by al-Khayyāt, for example, when the Shi[°]ite work he is criticizing uses Shi[°]a. The nickname was applied in at least five different ways: e.g. it as given to those who 'deserted' Zayd ibn-[°]Alī who revolted in 740. Among non-Shi[°]ites, however, as al-Ash[°]arī states, the basic use was of the 'desertion' of Abū-Bakr and [°]Umar. Whatever ground was averred, the application was always to those later known as Imāmites". (The Formative, p. 159. See also W.M. Watt, "The Rāfidites: a Preliminary Study", Oriens, vol. XVI [1963] p. 119f).

67 2 Al-barsā': "Abrās [leprous]; having the disease called barās.. fem. barsā'". (Lane, bk. 1, pt. i, p. 188, s.v. abras).

67 2 Zuhālī: "Zuhal, the planet Saturn. Zuhal (without nunation) is derived from the Arabic root z-h-i 'to remove'; the planet takes its name, according to the Tādi al-[°]Arūs, from the fact that it is 'far removed, in the seventh heaven'.. The Arab astronomers refer to Saturn and Mars together as al-Nahsān 'the two planets of misfortune' and contrast them with 'the two planets of good fortune', Venus and Jupiter, al-Sa[°]dān". (W. Hartner, art. "Zuhal", EI, vol. IV, p. 1237f).

67 8 Al-Efendī Tāj al-Dīn Ilyās: al-Ansārī records that the first member of this family to emigrate to Meduna was Khidr al-

Rūmī, in the tenth century A.H. He worked for the oice of qadā' (judge) and has two sons, al-Qādī Jalāl al-Dīn and al-Qādī Ilyās (from whom the family as a whole derived its name). Khidr himself died in 950/1543. Tāj al-Dīn ibn Jalāl al-Dīn ibn CAbd Allāh ibn Ilyās was born in 1144/1731. After he finished his studies he became Khatīb and Imām. He was appointed Muftī of Medina in 1186/1772. When the civil strife occurred, he tried to intervene, but aroused the anger of al-Sharīf Surūr over his course of action, so that he was sacked and left to travel between Baghdad, Aleppo, and Istanbul. He was reappointed to his post when he returned to medina on the 24th Dhū al-Hijja 1189/1775, but when al-Sharīf Surūr visited Medina, Tāj al-Dīn left for Egypt where he stayed. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 39 - 41.

67 8 Muftī al-Madina: "Fatwā, opinion on a point of law, the term 'law' applying, in Islam, to all civil or religious matters. The act of giving a fatwā is a futyā or iftā'; - the same term is used to denote the profession of the adviser; the person who gives a fatwā, or is engaged in that profession, is a muftī; - the person who asks for a fatwā is a mustafī". (E. Tyan, art. "Fatwā", EI2, vol. II, p. 866). "In the reign of Murād II (824 - 55/1421 - 51) the right to issue fetwās was vested exclusively in an individual known as the shaykh al-islām.. Who, although appointed by the Sultan, had no part in the councils of the state, [and] received no fees for the decisions he delivered.. Individuals with the title of mftī are to be found acting along with the Kādīs throughout all the provinces but they have no connexion with fetwā other than in etymology. While in theory the mftī should be a man deeply versed in the canonical works of his madhhab and of

an unimpeachable character, in practice it was only the latter quality that was demanded in these provincials.. In the Arab provinces (Egypt, Syria, North Africa) where Kadī's were appointed from Istanbul only to a few prominent cities (Cairo, Damascus, Aleppo, Jerusalem, Mecca, Medina) - and these merely as sinecures on the road of higher office - earlier traditions and practices were allowed to remain in force; here the muftīs of the various other madhhabs were frequently the chief religious and judicial dignitaries and were recognized as such by the shaykh al-islām who (for a price) issued their patents of office and by the civil authority who enforced their judgments". (J.R. Walsh, art, "Fatwā, ii, Ottoman Empire", EI2, vol. II, p. 867). Al-Ansārī records that the post of niyābat al-qādī and al-iftā' was held by Muhammad Makkī Efendī, who died in 1095/1683. He left a recommendation that Is'cād Efendī should take over the office of iftā', which was seconded by the administration in Istanbul, in 1192/1778. He in turn died in 1116/1704 and was succeeded by his son Muhammad, who was appointed as a muftī of Medina in 1118/1706. His authority remained valid until 1125/1713, when it passed to his brother Abd Allāh, who was in turn followed by his own nephew Abd al-Muh-sin ibn Muhammad. This latter enjoyed the approval of the Shaykh al-Islām until 1182/1768, when he was deported to Mecca on the order of al-Sharīf Musa^Cid. Later, however, he was reappointed to the same post in the beginning of 1183/1769. In 1186/1772 this post of iftā' was transferred to Ilyās al-Rūmī. However, Tāj al-Dīn Ilyās went to Istanbul to ask for the post and it was granted to him, but when he returned to Medina, he found that the post had been trans-

ferred officially to al-Khatīb [°]Abd Allāh Khalīfītī in 1188/1774, whose family had held this post before. When his son [°]Abd al-Karīm ibn [°]Abd Allāh al-Khalīfītī, who was given the posts of al-Khitāba and al-imāma, as well as iftā' of Medina, died in 1133/1720, then his son [°]Abd Allāh was appointed to the joint offices of al-iftā' and niyābat al-qadā'. He in turn died in 1154/1741. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 446, 35 - 38, 41, 202).

68 8 Z Īr: "[A large water-jar, wide in the upper part and nearly pointed at the bottom]; a [vessel of the kind called] ذَوّ : or, a [vessel such as is called] حُوبَ .. in which water is put". (Lane, bk. 1, pt. iii, p. 1276, s.v. zīr). Steingass gives the following senses in Persian: "Under, below, beneath, lower; shrill, sharp (sound); weak, thin; the character of the short vowel i (- - -); anything dressed under meat when roasting (as rice); covered, concealed; great, large; the smallest string of a lute, guitar, &c.; a yellowdyeing wood; a linen summer-garment". (P. 333).

69 3 Muhammad Bālī: al-Ansārī recorded that the Bālī family emigrated to Medina in 1050/1640, when [°]Abd Allāh Bālī zāda settled in Medina. He died in 1100/1686. Muhammad ibn [°]Alī Bālī was born in Medina in 1166/1752. He studied the traditional Islamic sciences and was raised to the offices of Khatīb (preacher) and Imām (prayer leader) in the Prophet's Mosque, but he later left this religious post to set up his own business. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 98 - 100.

69 3 Mubāshara: Hasan commented that this word is found in Arabic documents in two forms, viz. mubāshir and mubāshara. Mubāshir refers to the employee charged with overseeing and carrying out a task, while mubāshara might be

used for the employees who worked for the Dawāwīn (governmental offices). See al-Funūn, vol. III, p. 982.

69 8 ^Cudhayb Qubbaytī: al-Ansārī related that the first person to settle in Medina from this family was al-Hājj ^CArabī al-Qubbaytī al-Magribī al-Fāsī al-Andalusī, who emigrated in 1120/1708. He noted that ^Cudhayb was born in 1140/1727 and he described him as a brave person who was forced by Ahmad Bāshā to leave his home town, Medina, for Mecca, where Sharīf Musa ^Cad sent him to al-Qunfudha as a prisoner. He was, however later freed by Mus ^Cad and allowed to go back to Medina (Tuhfat al-Muhibbī, p. 397). Al-Suyūtī noted that the name al-Qubbaytī was derived from qubbayt, which he equated in meaning with al-nātif. (Tahrīr, p. 204). Al-nātif is a kind of sweet made of almonds, walnuts, and pistachios, and it was some times called Qubbayt. See Ibrāhīm Mustafā Ahmad Hasan al-Zayyāt, Hāmid ^CAbd al-Qādir, & Muhammad CALī al-Najjār, al-MuḤjam al-Wasīt, vol. II (Cairo, 1961) p. 939.

69 3 Tabanja: Redhouse supplies the following definitions of the word in Turkish: "1.A pistol. 2.A pistol-shot. 3.A slap on the face or head. 1. آتمق 1. To fire a pistol. 2. To give a slap on the face. اورمق 1. For a pistol to hit. 2. To give a slap. اویونی The game of tabanja, very like marbles. جالمق To give a cu, etc" (p. 1231). Steingass has the following definitions in Persian: "a box, slap (construed with Khwurdan and zadan)". (p. 808).

70 3 Al-Mahkamat al-sultāniyya: "A place of judging; a tribunal; a court of justice". (Lane, bk. 1, pt. ii, p. 618, s.v. mahkamah). "In the Ottoman empire, in which Muslim law according to the Hanafī school attained the greatest importance in

actual practice that it had ever had since the earliest times, the shari^Ca courts were from the first competent to deal with both civil and criminal cases; there was one under a kādī in the chief town of each kadā and all were under the authority of the chief muftī, the shaikh al-Islām.. who also dealt with complaints against their decisions, but himself hardly ever exercised judicial functions". (J. Schacht, art. "Mehkeme", EI, Supp., p. 145).

70 3m "The site of the mahkama where Sultān Mahmūd Khān's school is found". This was true in the time of the author, but the mahkama is no longer there, due to the expansion of the Prophet's Mosque in this century.

70 4 Ribāt: "A fortified Muhammadan monastery. Of the various explanations that have been given of this word from the root rabata: 'to bind, attach', the most reasonable is that which refers to the Kur'ān, viii. 62: 'Prepare against them (the enemies of Allāh) all that ye possess of strength and places for horses..' (min ribāti 'l-Khaili). The ribāt is originally the place where the mounts are assembled and hobbled to be kept in readiness for an expedition. Ribāt also has the closely related meanings of relay of horses for a courier, caravanserai, The word however was early applied to an establishment at once religious and military which seems quite specifically Muhammadan". (G. Marais, art. "Ribāt", EI, vol. III, p. 1150f).

71 7FH Kanā'is: pl. of "Kanīisah.. A ^Christian church, a Jewish synagogue, or a pagan temple. It is used in the Hidāya (vol. li, p. 219) for a synagogue". (Hughes, Op. cit., p. 261).

72 23FH Al-CUdhayb: the day of al-^CUdhayb refers to an event in Arab history in pre-Islamic times, i.e. the combat between

the Banū Sa^Cd ibn Zayd Manāh with ^CAnaza against Midh-haj and Himyar, which ended in the defeat of Midh-haj and Himyar in a place called al-^CUdhayb. See Abū CAī al-Ha-san ibn Rashīq al-Qayrawānī al-Azdī, al-^CUmda fī Mahāsin al-Shi^Cr wa-ādābih wa-Naqdih, ed. M. Muhyī al-Dīn CAbd al-Hamīd, 4th ed., vol. I (Beirut) p. 217. Al-^CUdhayb is a marhala (way-station) from al-Kūfa, he is in Najd until he reaches the boundary of Tihāma. See al-Sayyid Mahmūd Shukrī al-Alūsī al-Baghdādī, Bulūgh al-Arab fī Ma^Crifat Ah-wāl al-^CArab, ed. M. Bahjat al-Atharī, vol. III (Cairo, 1343/1924) p. 109.

72 23FH Bāriq: a water-course in Iraq, considered as the bound-ary between al-Qādisiyya and Basra. Al-Bāriq is also the name of a place in Tihāma. (Yāqūt, vol. I, p. 320).

72 23SH Uthayla: al-Uthayla is a place near Medina, between Badr and al-Safrā' valley. It is called Dhū Uthayl. (Yāqūt, vol. I, p. 94). AL-Bakrī said that al-Uthayl was a place in al-Safrā' (^CAbd Allāh ibn ^CAbd al-^CAzīz al-Bakrī al-Andalusī, Mu^CJam mā 'sta^Cjam, ed. M. al-Saqqā, vol. I [Cairo, 1364/1945] p. 109), but al-Isfahānī referred to al-Uthayl as a place di-erent from al-Safrā' when he defined Kutāna as a locality between al-Safrā' and al-Uthayl. (Al-Hasan ibn ^CAbd Allāh al-Isfahānī, Bilād al-CArab. Ed. H. al-Jāsir & S. al-^CAlī [Riyadh, 1388/1968] p. 417). Al - Fīrūzābādī recoded that al-Uthayl, also called Dhū Uthayl, was a place near Medina in which was located the well of āl JaCfar ibn abī Tālib, between Badr and Wādī al-Safrā'. (Al-Maghānim, p. 7).

72 23SH Al-Shi^Cb: the mountain path, defile, ravine. There are many places called Shi^Cb, like Shi^Cb ^Camir, Shi^Cb Bawwān,

and Shi^Cb Jabla. (Yāqūt, vol. III, p. 346f).

72 24FH Al-Mathānī: "a term of uncertain meaning which occurs twice in the Kur'ān, namely in Sūra XV. 87: 'and we have brought thee seven of the mathānī and the noble Kur'ān', and Sūra XXXIX, 24: 'Allāh sent down the most beautiful recital, a book which is in harmony with itself, mathānī, at which the skin of those who fear their Lord creeps'. The interpretation of the word is made more difficult by the fact that in the latter passage it seems to mean the Kur'ān itself, in the former, on the other hand, something similar to the Kur'ān.. In conclusion it may be mentioned that Goldziher (Z.D.M.G., lxi. 866sqg). has called attention to a term mathnāt, which occurs in non-canonical tradition and is obviously a new formation modelled on the Hebrew mishnā". (A.J. Wensinck, art. "al-Mathānī", EI, vol. III, p. 410).

72 25SH Al-jadh: "Jazbah.. 'Attraction'. A term used by the Sūfī mystics to express a yearning after the Divine Being. The nearer approach of man to his Maker through God's grace (CAbdu 'r-Razzāq's Dictionary of Sūfī Terms)". (Hughes, op.cit., p. 226). See also Kamāl al-Dīn ^CAbd al-Razzāq al-Qāshānī, Iṣṭalāhāt al-Sūfiyya, ed. M.K.I. Ja^Cfar (Cairo, 1981) p. 39.

72 27SH Al-Fard: "Farz.. That which is obligatory. A term used for those rules and ordinances of religion which are said to have been established and enjoined by God Himself, as distinguished from those which are established upon the precept of practice of the Prophet, and which are called sunnah". (Hughes, op. cit., p. 124).

73 37Sh Sha^Cbadha: "He practised the art termed شعبه inf. n., making a thing to appear different from what it really is, or

making what is false to assume the form of what is true"
(Lane, bk. I, pt. iv, p. 1559, s.v. sha^Cdha).

73 49 This line contains a quotation of the Hadīth, according to Abū Hurayra, that the Prophet said,

«إن الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء».

("This religion started strange and will return strange. A blessing on those who are strange"). See M. Hanbal, vol. II, p. 389.

73 51SH Al-gharb: "A large دلو [or leathern bucket].. made of a bull's hide.. with which one draws water on the [camel, or she-camel, called] "سانية".

(Lane, bk. I, pt.vi, p. 2241, s.v. gharb).

74 56SH Al-Rakb: "In general, the Arabs of the Hedjaz call the caravans Rukub. Speaking of the Baghdad caravan, they say Rukub es'Shām, or Rukub el-Erak".

(Burckhardt, op.cit., p. 200).

74 8SH Al-Nahb: "A proof; a demonstration ; an evidence.. A necessity; want; needful thing; an object of want or need".
(Lane, bk. I, pt. viii, p. 2773, s.v. nahb).

74 62FH Ta^Cajjafat: Cf. ^Cajufa, "lean, meagre, or emaciated.. having lost his fatness or plumpness.. weak", & ta^Cajjuf, "The being in a dicult and hard state or condition". (Lane, bk. I, pt. v, p. 1963).

74 63SH Dahama: cf. dahmahum, "came upon them, or happened to them, suddenly, unexpectedly, without their being aware of it, or without any previous cause; surprised them; took them by surprise, or unawares". (Lane, bk. 1, pt. iii, p. 925, s.v. dahama).

74 73SH Tis hemistich cites the proverb:

«أَشْأَمُ مِنْ غُرَابِ الْبَيْنِ»

("More ominous than he raven of separation").

See J. al-Amthāl, vol. I, p. 559; MajmaC, vol. I, p. 349 - 51.

76 7FH MutCa: "temporary marriage (according to the Arab lexicographers 'marriage of pleasure'), a marriage which is contracted for a fixed period on rewarding the woman". (Heening, art. "MutCa, EI, vol. III, p. 774). "Such marriages are still legal amongst the ShīCahs, and exist in Persia.. to the present day, but they are said to be unlawful by the Sunnīs. They were permitted by the Arabian Prophet at Autās.. but the Sunnīs say that he afterwards prohibited a mut-Cah marriage at Khaibar.. The ShīCahs establish the legality of mutCah not only upon the traditions, but also upon the following verse in the Qur'ān, the meaning of which, according to the Commentary Tafsīr-i Mazharī, is disputed. Surah iv.28: 'Forbidden to you also are married women, except those who are in your hands as slaves. This is the law of God for you> And it is allowed you, beside this, to seek out wives by means of your wealth, with modest conduct, and without fornication. And give those with whom ye have cohabited their dowry. This is the law. But it shall be no crime in you to make agreements over and above the law. Verily, God is Knowing, Wise"! (hughes, op., cit p. 424).

79 2m Al-Casīf: the employee, or slave, who is expected to lend support.

79 2m Qāmūs: this refers to Muhammad ibn YaCqūb al-Fīrūzābādī's al-Qāmūs al-Muhīt, 2nd ed., vol. III (Cairo, 1371/1952) p. 181, s.v. Casafa.

80 1 This line contains part of a verse from Sūrat Yūnus (S. 10), v. 92:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِّكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ (يونس: ٩٢).

("This day we will save you in your body, that you may be a sign to those who come after you").

80 3 Al-Khila^C: "Khil^Ca (an Arabic word derived from Khala^Ca 'to), a robe from the wardrobe of the sovereign, which he no longer wears and which he bestows, as a gift, on the person whom he wishes to honour.. This garment is of course rich and sumptuous and of great value. It is also given as a sign of investiture to an ocial. Sometimes a sum of money is given instead. Thus it was that in Turkey the name kilCat-beha, 'the price of a robe honour', was formerly given to a certain sum of money distributed to the officers of the Janissaries on the Sultān's accession". (C1. Huart, art. "khil^Ca", EI, vol. II, p. 955). "Robes of honour were given on all sorts of occasions and for a variety of reasons. Thus, there was the khil^Cat-niyāba or kh. Al-istikrār (robe of appointment), the kh. al-wizāra (robe of viziership), the kh. al-ridā' or kh. al-ridā (robe of pardon), and the kh. al-^Cazl (robe of dismissal) - with honour of course). The kh. al-kudūm was given to a guest from afar, while the kh. al-safar was given upon his departure. A sultān might give a kh.al-Cāfiya (robe of health) to a favourite who had recovered from an illness". (N.A. Stillman, art. "Khil^Ca", EI², vol. V, p. 7).

80 5 Al-bāy: Redhouse gives the following definitions for the word in Turkish: "Rich and great. صونقور

... The lammergeyer, gypsaetos barbatus? .. قره

... The Arabian vulture, vultur monachus? قوش

_ ... The owl, bubo. وكدا -... Rich and poor". (p. 337).

80 11SH This hemistich contains words from Sūrat al-Hāqqa (S. 69), v. 21 - 23:

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

(الحاقة: ٢١ - ٢٣)

("So he will be in a life of bliss, in a garden on high, the fruits of which are near to hand").

80 12SH This hemistich contains words from Sūrat al-Ghāshiyā (S. 88), v. 4, 5:

﴿تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً . تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آٰنِيَةٍ﴾ (الغاشية: ٤ - ٥).

("While they enter the blazing fire and while they are given to drink from a boiling spring..").

80 14 Al-Rukām: "Cloud (سَحَابٌ) collected together, and heaped . or piled, up". (Lane, bk. 1, pt. iii, p. 1148, s. v. rukām).

81 6 This line contains words from Sūrat Yāsīn (S.36), v. 82:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).

("When he intends a thing, his command is 'Be' and it is so".

82 3SH This hemistich contains a line from the poet Zuhayr ibn abī Sulmān's MuCallaqa:

"فَشَدَّ وَلَمْ يُفْزَعْ بِيوتاً كثيرةً لدى حيث لَقَّت رَحْلَهَا أُمَّ قَشَحَم"

("Then he attacked his victim from Abs, but he did not cause fear to the people of the many houses, near which death had thrown down his baggage". Trans. F.E. Johnson, The Seven Poems [London, 1894] p. 79). See also Abū

Bakr Muhammad ibn al-Qāsim al-Anbārī, *Sharh al-Qasā'id al-Sab^cal-Tiwāl*, ed. CAbd al-Salām Hārūn (Cairo, 1963) p. 277; Abū Zayd Muhammad ibn abī al-khattāb al-Qurashī, *Jamharat AshCār al-CArab fī al-Jāhiliyya wa'l-Islām*, ed. CALī Muhammad al-Bijāwī (Cairo) p. 199; L. Cheikho, *Kitāb Shu^carā' al-Nasrāniyya qabl al-Islām*, vol. I, 2nd ed. (Beirut, 1967) p. 520; al-Lisān, vol. V, p. 3636, s.v. qashCam. The first hemistich appears as follows in his Dīwān:

فَشَدَّ فِلم يُفْزَعُ بِيُوتًا كَثِيرَةً.

(Dīwān Zuhayr ibn abī Sulmā, ed. Karam al-Bustānī [Beirut, 1379/1960] p. 84).

82 5FH This hemistich contains words from Sūrat al-Ahqāf (S. 36) v. 25.

﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾

(الأحقاف: ٢٥).

"It will destroy everything by the command of its Lord. Then by the morning they - Nothing was to be seen but the ruins of their houses!

Thus do we recompense those given to sin!".

82 14FH Kāzma is the name of a place. See al-Lisān, vol. V, p. 3887, s.v. Kazma. Yāqūt recorded that Kazma lay on the seacoast in the direction of Marhalatayn (the two-way station) from al-Basra. (Op. cit., vol. IV, p. 431). AL-Akwa^c mentioned that Kāzma lay on the coast of the Arabian Gulf near to Kuwait. See al-Hasan b. Ahmad b. Ya^cqūb al-Hamdānī, *Sifat Jazīrat al-CArab*, ed. Muhammad ibn ^cAlī al-Akwa^c (Beirut, 1403/1983) p. 84. Al-Samhūdī mentioned that Kāzma was a place near Medina, but when he was describing the site of ^cayn al-Shuhadā', which was dug by

the Caliph Mu^Cāwiyya b. abī Sufyān, he said that it used to be named Kāzma. (Wafā', vol. IV, p. 1293, 1274).

83 23SH Al-samsāmat al-dhakar: the samsāmat is "a sword.. or a sharp sword.. that will not bend". (Lane, bk. 1, pt. iv, p. 1724, s.v. samsām). The sword may be called mudhakkār and sayf dhū dhukra, meaning "a sharp sword". (Al-Lisān, vol. III, p. 1509, s.v. dhakara). According to Lane, the dhukra is "a piece of steel that is added [to the edge of a sword and] to the head of an axe & c". (Op. cit., pt. iii, s.v. dhukra).

83 27 This line contains the proverbs:

أخبط من حاطب ليل (١)

("Striking out at random, like one who gathers wood at night") &

أخبط من عشواء (٢)

("Striking out at random, like the weak-sighted she-camel that beats the ground with her fore-feet"). See J. al-Amthāl, vol. I, p. 441.

83 30 This line alludes to a line from the poet al-Farazdaq. When Sulaymān asked him about the poetry of al-Farazdaq's opponent Nusayb ibn Rabāh, al-Farazdaq replied laconically,

وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَهُ الْعَبِيدُ وَخَيْرُ الشُّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا

("The best poetry spoken by the noble people and the worst spoken by the slaves"). See Yāqūt ibn ^CAbd Allāh al-Rūmī al-Hamawī, Irshād al-Arīb ilā Ma^Crifat al-Adīb, col. XIX (^Cairo, n.d). p. 232; al-Ashānī, vol. I, p. 338.

83 32FH Idam: a watering-place on the road between Mecca and Medina, the name of a valley in Tihāma mountain, and the

name of the valley which the city of Medina lies in. (Yāqūt, Op. cit., vol. I, p. 214f). Al-Hamdānī recorded that Idam was a valley of AshjaC and Juhayna (two tribes). (Op. cit., p. 293). Al-Fīrūzābādī recorded that the valley which medina lies in was called al-Qanāh; the upper part of the city as far as al-Sadd (the bridge) in the valley was called al-Shāzāh, while the lower part of the city was called Idam. (Al-Qāmūs, vol. IV, p. 76, s.v. al-adam). Al-Samhūdī noted that the name Idam was derived from the indimām (i.e. the joining) of torrents in the valley itself, which in al-Samhūdī's time was called al-Dīqa. (Wafā', vol. IV, p. 1127). Al-^Cayyāshī stated that all medina's torrents joined together in the valley of Qanāh, which was also called Idam. Or al-Hamd. (Op. cit., p. 493).

83 34SH Barqun khullabun means lightning without rain.

See al-Lisān, vol. I, p. 261, s.v. baraqa. The phrase may be used figuratively of making promises without ever living up to them.

83 35FH Al-zanjabīl: "Ginger; amomun zinziber; a certain plant growing in the country of the Arabs, in the land of Comān.. and in El-Yemen". (Lane, bk. 1, pt.iii, p. 1256, s.v. Zanjabīl). Abū Hanīfa commented that zanjabīl was frequently mentioned by the poets. (Abū Hanīfa al-Dīnawarī, The Book of Plants, ed. B. Lewin [Beirut, 1974] p. 214).

83 35SH Humur; pl. of himār (donkey, or wild ass). See al-Qāmūs, vol. II, p. 13, s.v. al-ahmar. See also Lane, bk. 1, ii, p. 641, s.v. himār; J. Ruska, art. "Himār", EI2, vol. III, p. 393f.

83 36SH ^CAsjad: all jewels, like pearls or rubies. See al-Qāmūs, vol. I, p. 325, s.v. al-Casjad.

83 36SH Būta: equivalent to būtaqa (see M. al-Wasīt, vol. I, p. 76,

s.v. bāt), a word meaning "crucible". ^CAbd Allāh al-^CAlāyilī noted that būta was originally a Persian word. (Al-Marji^C, vol. I [Beirut, 1963] p. 472, s.v. bawta).

83 40SH Mādhiq: lit. mixed with waten a friendship, al-mumādhaqa (i.e. superficial, specious false) is the opposite of al-mukhālasa (i.e. sincerity See al-Lisān, vol. VI, p. 4163, s.v. madhaqa.

83 40SH Al-madhar: the corruption. See ibid., s.v. madhara.

84 42 This line contains a quotation of a line spoken by the poet Sa^Cd ibn Muhammad al-Sayfī al-Tamīmī, known as Hays Bays:

وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالذِّي فِيهِ يُنْضِجُ فَحَسْبِكُمْ هَذَا التَّفَاوْتُ بَيْنَنَا

("But enough of this difference between us, for every vessel leaks with what it contains"). See Irshād, vol. II, p. 207; Ahmad ibn Muhammad ibn abī Bakr ibn Khallikān, Wafayāt al-ACYān wa-Anbā' Abnā' al-Zamān, ed. Ihsān ^CAbbās, vol. II (Beirut, 1969) p. 362-5; Dīwān al-Amīr Shihāb al-Dīn abī al-Fawāris Sa^Cd ibn Muhammad ibn Sa^Cd al-Sayfī al-Baghdādī, al-ma^Crūf bi-Hays Bays, ed. Makkī al-Sayyid Hāshim Shākir Hādī Shakr, vol.I (Baghdad, 1394/1974) p. 47.

فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ وَإِذَا أَتَتْكَ مَذْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ

84 42SH Kibā': a kind of incense used for perfuming. See al-Lisān, vol. V, p. 3815, s.v. Kibā.

84 50m This refers to al-Mutanabbī's line:

("If my blame came from a lower person, it would have been evidence that I am perfect"). See D. al-Mutanabbī, vol. II, p. 260.

85 61FH Muhammad: see p. 60, 1.18f.

85 62SH Wāhib al-bidar: lit. "giver of bidar" Lane comments on badra: "when it [i.e. a lamb or kid] has been weaned its skin for milk is called *دُرَّة*; and for clarified butter, *مَسْنَد* and when it is in its second year, its skin for milk is called *بُدُورٌ* .. pl. (of the former..) *فُحِي* : and for clarified buttel *بُدُورٌ* and *بُدُورٌ* . "Bk. 1, pt. I, p. 166, s.v. badra). Al-Lisān, however, states that badra Kīs (sack) contains a thousand or tenthousand items of currency and that the pl. is budūr. (Vol. I, p. 229, s.v. badra). However, the poet appears to use the word in the latter sense, but with the pl. of the former, suggesting that this celebrated politica figura was a donor of gifts.

85 67FH Banāt al-NaCsh: *بنات نعشي الكبرى* constitute The constellation of Ursa Major: or the principal stars thereof.. seven stars; whereof four [which are in the body] are called *نَعَشِي* [or *نَعَش*] and three [which are in the tail] are called *بنات نعش* .. i.e. *بنات نعش* .. and in like manner *بنات نعش الصغرى* or *بنات نعش الصغرى* [together with *نَعَش الصغرى*] constitute the constellation of Ursa Minor: or the principal stars thereof; seven in number; whereof the four in the body are called *لِإ*, and the three in the tail are called *بنات نعش*. (Lane, bk, 1, pt.iii, p. 2816, s.v. na^Csh). See also P. Kinitzsch, Arabische Sternamen in Europa (Wiesbade 1959) no. 7] .

85 67SH Al-tamrī: this is how the word appeared in the original copy of the manuscript. Al-Fīrūzābādī noted that, "I see the fire *tatamātar*" means "act with vastness or expanse", and *immatara* (with *imitāran* as *ifta^Cal*) means *imtadda*, "to stretch". (Al-Qāmūs, vol. II, p. 135, s.v. al-matr). Since the poet is describing the shattering of the enemies of this

celebrated leader in this fight with them, the word al-tamtrī might contribute to the description of the defeated and scattered state of this group of people.

85 68SH Ghibb al-idāha: Lane defines ghibb as an infinitive noun meaning "he came to the people, or party, day after day". (Bk. 1, pt. vi, p. 2221, s.v. ghb). Al-mutadayyih is the last person who comes to drink from the wurd (watering-place). See al-Lisān, vol. IV, p. 262; s.v. dayaha. The word al-idāha possibly derives from the verb dayaha, meaning "to have a turbid drink". By the phrase ghibb al-idāha, the poet sought to describe the state of the group who were dismissed by the firmān of the Sultan, comparing them to persons whose turn at drinking happened to be disappointed.

86 82FH Zarnab: "A certain perfume: or certain sweet-smelling trees.. or a species of sweet-smelling plant". (Lane, bk. I, pt. iii, p. 1228, s.v. zarnab). Al-zarnab may here be used to describe the personal praise of the people. See al-Lisān, vol. III, p. 1829, s.v. zarnab. The poet uses the word to praise the personality of the celebrated Muftī of Medina.

86 83FH Tāj al-Dīn: see p. 67, 108.

88 12f. Dahlān recorded that al-Sharīf Surūr arrived in Medina on the 9th Rajab 1194/1780, accompanied by 5,000 bedouin and 250 men from al-Sāda al-Ashrāf, and was welcomed by Medina's citizens. (Al-Khulāsa, p. 216f).

89 1 Al-^CAnbariyya: al-^CAyyāshī mentioned that Hārat [i.e. the quarter of] al-Canbariyya was known as al-Naqqā (see p. 59, 106). (Op. cit., p. 564).

Burckhardt mentioned al-^Canbariyya twice: "The principal quarters of the suburbs are Hāret el Ambarye, Hāret el

Wádjeha, Háret es' Sahn, Háret Abou Aysa, Háret Masr, Háret el Teyar, Háret Nefáse, Háret el Hamdye, H?ret el Shahrye, Háret el Khaybarye, Háret el Djafar.. I was told that in the quarters El Ambarye the house where Mohammed lived is still shown; but many doubt this tradition, and the spot is not visited as one of the holy places". (Op. cit., p. 327). Sir R. Burton described al-^CAnbariyya's entrance as follows: "Passing through the Bab Ambari we defiled slowly down a broad dusty street, and traversed the Harat (Quarter), Al-Ambariyah, the princopal in the Manakhah suburb. The thoroughfare is by no means remarkable after ^Cairo; only it is rather wider and more regular than the traveller is sccustomed to in Asiatic cities. I was astonished to see on both sides of the way. in so small a place, so large a number of houses too ruinous to be occupied". (Op. cit., vol. I, p. 287f). Despite the development of a part of al-^CAnbariyya quarter, another part of it still remains as Burton descibed it, especially some of the houses which have fallen into a poor state on acount of the death of their owners or problems among their families. Rutter later gave his description of what he called Bāb [i.e. the gate of] al-^CAnbariyya: "Slowly the beasts moved forward. To our left was a high wall; to our right a mass of brick lava sloped down to a depression; at the end of the straight road in front of us stood the great western gate of the city, called B b al ^CAnbar?ya". (Op. cit., p. 492). Like the rest of Medina's gates, this gate has been destroyed in the course of the city's expansion.

98 2 Al-Wājiha al-Barrāniyya: "The western part of the space which lies between the outer and inner walls of the city is

filled by the large suburbs of Es-S h, El ^CAnbariya and El Wajha; while the southern part is occupied by palm groves, among which are mud houses and walled camel yards. The latter district is known as Esh-Shagrîya. Between the suburb El Wajha and the inner wall is the couching place of the caravans, El Man kha" (see p. 27, 1.7). (Rutter, Op. cit., p. 515).

89 17 Hamaj: "Stupid, or foolish, men; or men of little sense". (Lane, bk. 1, pt. viii, p. 2899, s.v. hamaj).

89 17 Ajja: "It (water) was, or became, such as is termed أَجَّه = .. أَجَّاج He rendered it (namely water) such as is termed أَجَّاج". (Lane, bk.1, pt.i, p. 23, s.v. ajja). "What acorches the mouth by bitterness or saltiness". (M. al-Wasî, vol.I, p.6).

90 7f. Mustafā Muhammad Qumqumjī: al-Ansarī recorded that Mustafā ibn Muhammad āghā ibn Ja^Cfar Bik ibn Mustafā Bāshā (see p. 3, 106) was born in Medina in 1153/1740. He was well educated and became a member of the Wujāq al-Ispāhiyya. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 396.

90 14 Dahlān contradicts the suthor here concerning wat the author called aleged letters written on behalf of Medina's inhabitants. Dahlān tried to arm that some letters were sent to the Harb tribe by responsible peoplein Medina requesting military assistance against al-Sharīf Surūr. See al-Khulāsa. P. 216f.

91 3 Al-Ju^Cl: "Wages; pay; a stipend; or a thing that is appointed, or stipulated, to be given to a man for work, or service". (Lane, bk. 1, pt. ii, p. 431, s.v. juCl).

91 7 Masjid [i.e. the Mosque of] al-Suqyā: al-Matarī mentioned al-Suqyā well on the Prophet's road to Mecca. (Al-Ta^Crīf, p. 73). Ibn Mūsā described the location of al-Suqyā Mosque

in the middle of al-Naqqā. It was famous for the Qubbat al-Rūs (Dome of the Heads). Al-Suqyā well was situated towards the southern side of the Mosque. (W. al Madīna, p. 36). Al-^CAyyāshī located al-Suqyā well in the south-west part of the railway station, with the station > (Op. cit., p. 188). Al-Jāsir commented that the name Qubbat al-Rūs was given to the site of al-Suqyā Mosque on account of the execution of some highwaymen on this site in ottoman times. (Al-Maghānim, p. 458). Hāfiz added that al-Suqyā well was known as al-Cahd. See A.M. fī al-Ta'rīkh, p. 78.

91 9 Abū Sa^Cīd al-Maqbarī: Abū Sa^Cīd Kaysān al-Maqbarī al-Madanī was a reliable "Follower" (tābi^Cī, see note on following line) who related many of the Prophet's Hadīths. He was known as al-cemetery, or he was responsib for supervising the digging of the tombs. He died in 100/718. (Al-A^Clām, vol. VI, p. 99).

92 10 TābiCī: "TābiC.. pl. tābi^Cūn, follower, follower of a prince, disciple of a teacher, adherent of a doctrin the verbal form is tābaCa, e.g. tābaCa Djalīnūs, he followed Galen (in medicine). The word is of special significance in Tradition where the name tābi^C is given to those who came after the ^Companions of the Prophet, the Ashāb are the people who saw and were directly squainted with thr Prophet; the tābi-Cūn are those of the next generation or contemporaries of the Prophet, who did not know him personall; but who knew one of his companions". (B. Carra de Vaux, art. "Tābi^C", EI, vol. IV, p. 583).

92 12 - 14 These lines have been ascubed to al-Qāsīm b. Muhammad b. Ja^Cfar, who governed Mecca for 35 years, and who was also a poet (d.518/1124). See al-Khlāsa, p. 20; T.

Makka, vol. I, p. 185. The lines are found in al-Mustatraf fī kull Fann Mustazraf, but without ascription to anybody, and with some variation from the manuscript version in lines 12f., viz:

شَمْسًا، وَخَلَّتْ وجوههم أقمارا قَوْمِي إذا اقتحموا العجاج رأيتهم
عَدَلَ الزَّمان عليهم أو جَارًا لا يَعْدلون برفدهم عَنْ سائلٍ
("When my people start to fight, you see them like the sun and you think that their faces are like moons. Either in weal or in woe, they always share their food with their neighbours"). (Shihāb al-Dīn Muhammad ibn Ahmad abū al-Fath al-Abshīhī al-Mahallī, al-Mustatraf, vol. I [Cairo, 1361/1924] p. 228).

93 6 Siwān: "Sywān, large tent, pl. صيوانات sawawyn, or صيوانات syānāt". (Spiro, Op. cit., p. 347; see also Lārūs, Op. cit., p. 759).

93 7f. There is an allusion to Sūrat al-Qasas (S. 28) v. 21:

﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: ٢١).

("He therefore got away therefrom, looking about, in a state of fear").

93 15 Al-Cayyūq: "A red [?] bright star in, or on, the right [?] edge of the Milky Way, following, not preceding الثريا [the Pleiades]; rising before الجوزاء [by which may be meant either Orion of Geminil]". (Lane, bk. 1, pt. v, p. 2199, s.v. al-Cayyūq. See also al-Lisān, vol. IV, p. 3173, s.v. Cawaqa; kunitzsch, no. 27, p. 119 - 121: Capella).

93 12 -15 In these three lines the author describes and praises Medina's castle (al-Qal^Ca, see p. 25, 109), but the travellers who visited Medina have described this castle in different

ways. Burckhardt recorded that "the castle is built at the point, upon a small rocky elevation; and the whole is enclosed by a thick stone wall, between thirty-five and forty feet high, flanked by about thirty towers, and surrounded by a ditch.. which is in many "places nearly filled up" (Op. cit., p. 323). Burton recorded how the inhabitants thought about the castle: "The Madani, who, as usual with Orientals, take a personal pride in their castle, speak of it with much exaggeration. Commanded by a high line of rocks on the North-West, and built as it is in most place without moat, glacis, earthwork, or outworks, a few shells and a single battery of siege guns would soon render it untenable, In ancient times it has more than once been held by a party at feud with the town, for whose mimic battles the Barr al-Manakhan was a fitting field". (Op. cit., vol. I, p. 394).

94 4 Al-bayda means here al-khūdha (helmet). See al-Lisān, vol. I, p. 399, s.v. bayda.

94 10 Nakhwalī: al-Ansārī referred to these people as Nakhlī a name deriving from their work in the palm-groves. He added that in the Medina dialect Nakhwalī is the name of a ShīCite people of different origins, like India, Yemen, Egypt, and Morocco, and that some of them were slaves. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 479f). Burckhardt recorded some valuable information about this group of people: "It is publicly said that the remnants of the Ansars, and great numbers of the peasant Arabs who cultivate the gardens and fields in the neighbourhood of the town, are addicted to the same heresy. The latter, called Nowakhele (a name implying that they lie among the date-trees) are numerous, and very warlike... and in civil contests have proved always superior to the

town's-people. They are said to be descendants of the partisans of Yezid, the son of Mawya, who took and sacked the town sixty years after the Hedjra. They marry only among themselves; and exhibit on all occasions a great esprit de corps. Many of them publicly profess the creed of Aly when in their date-groves, but are Sunnys whenever they come to town. Some of them are established in the suburbs, and they have monopolised the occupation of butchers". (Op. Cit., p. 371). Burton also dealt with what he called the race of al-Nakhawilah: "There is also a race called Al-Nakhawilah, who, according to some, are descendants of the Ansar, whilst others derive them from Yazid, the son of Mu'awiyah: the latter opinion is improbable, as the Caliph in question was a mortal foe to Ali's family, which is inordinately venerated by these people. As far as I could ascertain, they abuse the Shaykhayn (Aby Bakr and Omar); all my informants agreed upon this point, but none could tell me why they neglected to bedevil Osman, the third object of hatred to the Shi'ah persuasion. They are numerous and war-like, yet they are despised by the townspeople because they openly profess heresy, and are moreover of humble degree.. Their corpses are taken down an outer street called the Darb al-Janazah - Road of Biers - to their own cemetery near Al-Bakia. They dress and speak Arabic, like the townspeople; but the Arabs pretend to distinguish them by a peculiar look denoting their degradation: it is doubtless the mistake of effect for cause, about all such 'Tribes of the wandering foot and weary breast". (Op. Cit., vol. II, p. 1f). Makkī has more recently recorded some information about al-Nakhāwila: "In the eighth century the real

and clear divisions between sects appeared in Medina, as the Shi'ia followers called Al-Nakhawilah tended to be grouped together in the South of Medina in their own quarter". (Medina, p. 119f).

At the present time the Nakhāwila still live in the south of Medina, in the quarter named after them-Hārat al-Nakhāwila - while some of them have settled in agricultural districts like ^oAwālī, Qurbān, Qubā, and a few of them in the north of Medina, in Hawsh [i.e. the enclosure of] al-Sayyid. As Burckhardt recoded, some of this group are still cultivating the fields in the neighbourhood of the town and some of them are involved in the trade of butchers. At the same time they enjoy their full rights with the rest of the inhabitants in economic and educational opportunities, which has led to their contributing to the improvement of the standard of living in the town. Speaking as an outsider, I must totally reject the attempted derivation of the Nakhāwila from Yazīd b. Mu^oāwiyya, a legendary notion which has enjoyed favour only with ignorant inhabitants of the town.

95 5 Al-Dasākir: "الداكير", deskere, S. p. (دسكره 1. A village; a hamlet; a town. 2. A house of revelry and debauchery; a theatre; a tavern. 3. A Christian monastery or hermitage. 4. A villa, a country-house". (Redhouse, p. 903).

95 8f. There is an allusion to Sūrat al-Shu^oarā' (S. 26), v. 55f.:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِبُونَ﴾ (الشعراء: ٥٤ - ٥٥).

("These are but a small band and they are raging furiously against us").

96 13f. There is an allusion to Sūrat al-Ahqāf (S. 46), v. 24:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ﴾ (الأحقاف: ٢٤).

("Then, when they saw a cloud coming to meet their valleys, they said, 'This cloud will give us rain").

96 13 Mālita: "Malta, the chief island of the Maltese archipelago (Malta, Gozo, ^Comino, ^Cominoto, Filfola and minor rocks), inhabited in ancient times by a preserved at Hagiar Kim ("standing stones"), Hal Tarxen and Hal Saflieni. It was colonized very early, certainly before the xth century B.C., by the Phoenicians, and formed a base for their trading ships.. The ^Carthaginians became masters of the island in the viith-vith century B.C., and kept it four or five centuries. The Romans conquered it in 218 B.C., and for the next ten centuries Malta remained under Roman and Greek influence.. The Muslim conquest of Malta is usually adscribed to the year 256 (869 - 870)... In Malta the Muslim occupation was certainly more permanent and strongly established than in Sicily; the narrow island was completely subjugated by the conquerors; and this helps us to understand how the Arab-Berber Muslims of Africa succeeded in forcing upon Malta the Arabic language, from which the modern Maltese dialect is derived". (E. Rossi, art, "Malta", EI, vol.III, p. 213).

97 8f. Muhammad al-^CAdwānī al-Madā'ifī: Dahlān did not name him but he said that he appointed his minister at-al-Qal^Ca fro the tribe of ^CAdwān along with his troops. (Al-Khulāsa, p. 218). Al-Suyūtī recorded that the name al-^CAdwānī is derived from ^CAdwānī is derived from Qays ^CAylān. (Tahrīr, p. 177). Burckhardt dealt with some a spectrs of ^CAdwān's history and their present state, their characteristics customs and social standing, mentioning also their stopping-places and sub-branches: "The Adouán - About forty years ago these formed a considerabletribe, mustering one thousand

matchlocks. Their continual wars with every neighbour had reduced them to little more than one hundred families, and latterly they have been nearly exterminated by Mohammed Aly Pasha. They were an ancient and noble tribe, unequalled by any in Hedjaz for bravery and hospitality and they occupied the first rank in public esteem. They were the intimate friends of the Sherifs of Mekka. The regning Sherif, and all the families of other Sherifs, were accustomed to send their children when eight days old to be educated among Bedouins and principally among the tribe of Adouán, with whom they remained until they had learned to manage a horse with dexterity. The Adouáns formerly had not any fixed pasturing places, but encamped all over the country from Djidda to Tayf. Such was the high reputation, that a man of Hodheyl tribe said to me one day, 'Where shall we now look for models of generosity and courage, since the Adouáns are gonaá' A small branch of this tribe, called el Harreth were all Sherifs of the Beni Hashem race. In Nadjd also are found some branches of those Adouáns, not very numerous but bearing the same names". (Notes, vol. II, p. 41 - 43). Al- Sharīf Muhammad b. Mansūr b. Hāshim āl CAbd Allāh b. Surūr al-Zaydī lately published a useful article about the tribe of [◌]Adwān among other tribes of al-Tā'if. He stated that [◌]Adwān is a Qaysiyya tribe ascribed to al-Hārith th b. [◌]Amr b. Qays [◌]Aylān b. Mudar. [◌]Adwān may be considered among the oldest tribes to inhabit al-Tā'il and also were well known in pre-Islamic times, counting among their number the Hakīm al-[◌]Arab [◌]Amir b. al-Zarb. The writer further stated that due to the fighting between [◌]Adwān and other tribes, the strength of

the position of ^٢Adwān was weakened, so that a part of the tribe became annexed to the tribe of Zahrān al-Azdiyya, while some members emigrated to other regions in Najd and in the north of the Arabian peninsula. A small part of the tribe settled in the lowest part of Wādī Liyya, in Wādī al-CArj, in al-Tā'if, and in their places known as Bilād CAdwān. The notable village of ^٢Adwān. The notable village of CAdwān in the Liyya valley are Umm al-Sharm, al-CUbaylā', al-Majnab al-A^٢lā, al-Majnab al-Asfal, Sullaba, and al-Bārida. The notable village in al-^٢Arj valey are al-Farīdat al-^٢Ulyā, al-Farīdat al-Suflā, and al-^٢Aqrab, the las of which is inhabited by the āl CUthmān (or al-^٢Athāmīn), the descendants of CUthmān b. CAbd al-Rahmān al-CAdwānī, called al-Madā'ifī, who was governor of al-Tā'if under al-Imām SaCūd and his son ^٢Abd Allāh. SaCūd died on May 1st, 1814 and Imām ^٢Abd al-^٢Aziz was assasinated at Dar-Cīyya on the 4th Nov. 1803. (see D.S. Margoliouth art. "Wahhābiya", EI, vol. IV, p. 1087f). CUTmān was captured by Muhammad ^٢Alī Bāshā and sent to Istanbul to be put to death in 1292/1813. The family of ^٢Adwān still exist: in al-Tā'if among the descendants of the late ^٢Uthmān. Including his grandson Mansūr b. Muhammad b. ^٢Abd Allāh b. CUthmān, who is now about 100 years old. ("Qabā'il al-Tā'if", al-^٢Arab, vol. I-II [Rajab-ShaCbān 1399/June-July 1979] p. 42 - 72).

97 11 Al-Qunfudha: "Kunfuda, a seaport on the Red Sea, 45 miles from Halī.. The town of Kunfuda passed to the Sharīf with the whole strip of coast from Djidda to Halī which the Sharīf with of Mecca won about 1772 and even had a certain revival of prosperity when Muhammad ^٢Alī conquered

the Sharīfs and made kunfuda his base of operations for the campaign against Central Arabia and [°]Asīr". (A. Grohmann, art. "Kunfuda", EI, vol. II, p. 1117f). Hasan ibn CA'id proclaimed the independence of his country [°]Asīr, but for the purpose of uniting the Arabian Peninsula, King [°]Abd al-[°]Azīz ibn Sa[°]ūd reunited it to Abhā in 1341/1922, when he sent his son Faysal to fight against ibn [°]A'd who fled to Harmala. It was, however, taken by Faysal. Ibn CA'id went to al-Qunfudha seeking help from King Sharīf Husayn, who sent an army under the leadership of al-Sharīf [°]Abd Allāh ibn Hamza al-Fi[°]ir. When Faysal learnt of his, he dispatched some of his troops, who trapped the army of Ibn [°]A'id and al-Fi[°]ir near Abhā. Thereafter the whole of [°]Asīr was subjected to Faysal, who returned to Riyadh by the beginning of 1341/1923. (Khayr al-Dīn al-Zirikī, Shih al-Jazīra fī [°]and al-Malik [°]Abd al-[°]Azīz, vol. I [Beirut, 1390/1970] p. 248-251).

97 12 Concerning the release of Medina's captives by al-Sharīf Surūr, Dahlān mentioned that in 1196/1781. Surūr ordered their transfer from al-Qunfudha to Juddah for their imprisonment there. (Al-Khulāsa, p. 230).

98 2 Ibn [°]Inaba: al-Sayyid Jamāl al-Dīn Abū al-[°]Abbās Ahmad ibn [°]Alī al-Hasanī al-Haydarī al-Dāwūdī, known as Ibn [°]Inaba, died in Safar 828/1124, or perhaps 827 or 825, in Kirmān. He composed his work [°]Umdat al-Tālib fī Nasāb āl Tālib at the request of Jalāl al-Dīn al-Hasan ibn [°]Alī ibn al-Hasan, who was related to [°]Alī Zayn al-[°]ābidīn ibn al-Husayn ibn [°]Alī ibn abī Tālib. It was published in Bombay in 1318/1900. (Al-Sayyid Muhsin al-Amīn al-Husaynī al-[°]āmīllī, A[°]yān al-Shi[°]a, vol. IX [Damascus, 1357/1938] p. 149 -

152]. Zaydān mistakenly called him Ibn ^UUtba ani his book ^UUmdat al-Tālib fī Manāqib āl Ibn Tālib. He added that he completed the work in 814/1411 and presented it to Taymūr Lank. Two manuscript copies are extant, one in al-Khizānat al-Taymūriyya, containing 353 pages and with the author's name written as Ibn ^UUtba, the other in Dār al-Kutub al-Musriyya, with the author's name written as Kamāl al-Dīn al-Husaynī Ibn Cabbasa (d.827/143). (T.A. al-Lugha, vol. III, p. 189). Al Baghdādī mistakenly referred to him as Ibn Cuqba, or Ibn Canbasa. (Hadiyya, vol. I, p. 123f). Khalīfa referred to him as Ibn ^UUqba and stated that he took his book ^UUmdat al- Tālib from the summary of his teacher Abū al-Hasan ^AAlī al-Sūfī al-Nassāba and from the sources of his other teacher Abū Nasr Sahl ibn ^AAbd Allāh al-Bukhārī, adding some further information from different sources. (Mustafā ^AAbd Allāh Hājī Khalīfa, Kashf al-Zunūn ^Aan Asāmī al-Kutub wa'l-Funūn, vol. II [Baghdad] col. 1167f). In M.al-Matbu^Aāt (vol. I, p. 194) his name is given against his published book ^UUmdat al-Tālib as Ibn ^UUtba al-Asghar al-Hasanī. Al-Zirikī considered both names, Ibn ^UUqba and Ibn ^UUqba and Ibn Canbasa, as errors, giving instead his name as Ibn ^IInaba. (Al-A^Ilām, vol.I, p. 172).

96 2f. Abū al-Mahāsin Nasr Allāh ibn ^UUnayn al-Dimashqī: Ibn Khallikān called him Abū al-Mahāsin Muhammad ibn Nasr ibn al-Husayn ibn ^UUnayn al-Ansarī al-Kūfī al-Dimashqī. He was born in Damascus (549/1154) and was a noted poet, given to satirizing the people, which explains his ex[ulsion from Damascus by al-Sultān al-Dīn. Then he visited India and Yemen when Yemen's king was Sayf al-Islām Tughtikīn, and Irbi in 623/1226 as an envoy from Sharaf al-Dīn ^IIsā

ibn al-Malik al-^Cādil Sāhib Dimashq. A small amount of his verse has been collected by some of the citizens of Damascus, but it has been mixed with some compositions not related to him. He was charged with the wizāra at the end of al-Malik al-Mu^Cazzam and al-Malik al-Nāsir ibn al-Mu^Cazzam's reigns, but was dismissed by the time of al-Malik al-Ashraf. He died in Damascus in 630/1232. (W. al-A^Cyān, vol. V, p. 14 - 20). His biography may be found in N. al-Zāhira, vol. VI, p. 293 - 295; Irshād, vol. XIX, p. 81 - 90, where al-Hāfiz Abū al-Qāsim ibn ^CAsākir is mentioned as one of his teachers; al-A^Clām, vol. VII, p. 348; K. al-Zunūn, vol. I, p. 298; and GAL, vol. I, p. 318; S., vol. I, p. 551).

98 4 Banū Dāwūd are related to Dāwūd ibn al-Husayn ibn ^CAlī ibn Mūsā al-Thānī and their settlement used to be in Wādī al-Safrā', a village between Mecca and Medina. The Banū Dāwūd gradually disappeared. See al-Sayyid Ahmad ibn ^CAlī al-Dāwūdī al-Hasanī, ^CUmdat al-Tālib fī Ansāb āl Abī Tālib, ed. Nizār Ridā (Beirut) p. 105.

98 5 Al-Malik al-^CAzīz ibn Ayyūb Sayf al-Islām Tughtikīn ibn Shādhī ibn Marwān, known as al-Malik al-^CAzīz Zahīr al-Dīn Sāhib al-Yaman, was commissioned as governor of Yemen by his brother al-Malik al-Nāsir Salāh al-Dīn in 577/1181. The Poet Abū al-Mahāsin ibn ^CUnayn eulogized him in noble poems, for which he was rewarded with large sums of money, which were however confiscated from him in Egypt by al-Malik al-^CAzīz ^CImād al-Dīn ^CUthmān ibn al-Sultān Salāh al-Dīn, to be put with the alms treasury. Sayf al-Islām died in al-Mansūra city in Yemen on the 19th Shhwāl 593/ 1197. See W. al-A^Cyān, vol. II, p. 523.; al-A^Cām vol. III, p. ^CAbd al-Rahmān ibn ^CAlī al-Dayba^C al-Shaybānī al-Zabīdī,

Kitāb Qurrat al-CUyūn bi-Akhhbār al-Yaman al-Maymūn, ed. Muhammad ibn ^CAlī al-Akwa^C, vol. I (Cairo) p. 386 - 9. In his critical studies of Kitāb al-Simt al-Ghālī al-Thaman fī Akhhbār al-Mulūk min al-Ghuzz bi'-Yaman, G.R. Smith recorded that "it was not until 579/1183-4 that the second Ayyūbid ruler of the Yemen, al-Malik al-^CAzīz Tughtikīn b. Ayyūb, entered the country". (The Ayyūbids and early Rasulids in the Yemen, vol. II [London, 1978] p. 51).

98 6 The author noted that al-Malik al-Nāsir commissioned his brother, al-Malik al-^CAzīz, to go to the coast, which had been liberated from the Franks. "Al-Malik al-Nāsir Salāh al-Dīn Yūsuf I, was the son of the Amīr Nadjm al-Dīn Aiyūb born in Takrīt in 532 (1138).. the Caliph [Nūr al-Dīn Mahmūd].. appointed him vizier with the title 'al-Malik al-Nāsir' (March, 26 = Djumādā II, 25 [1169].. The decisive battle of Hattīn [Rabi^C II, 17, 583 = June, 26, 1187] gave him Palestine with Juresalem. The fortress of Tiberias, Nazareth, Samaria, Sidon, Beirut, Batrūn, ^CAkkā.. Ramla, Gaza and Hebron fell. He then advanced on Jerusalem and took Bethlehem, Bethanla and the Mount of Olives in Radjab, 583 (Sept., 1187).. on the 1st of Dhu'l-Ka^Cda, 585 (Dec. 11, 1189) [he captured] Safad.. Kawkāb, Kerak and Shawbak". He died in Safar, 589 (February 11930 at the age of 55. (Sobernheim, art. "Saladīn", EI, vol. IV, p. 84-9). See also al-Rawdatayn, vol. II (Cairo, 1288/1871) p. 75 - 183; ^CImād al-Dīn Abū al-Fidā' Isma^Cīl ibn Nūr al-Dīn Sāhib Hamā, al-Mukhtasar fī Akhhbār al-Bashar, vol. III (Istanbul, 1281/1864) p. 68 - 70; W. al-A^Cyān, vol. VII, p. 139 - 205; & al-A^Clām, vol. IX, 291f.

98 11-14 These lines are found in the Dīwān of Ibn ^CUnayn with

some variations from the text of ^CUmdat al-Tālib and the text of the manuscript. The lines are in his Dīwān as follows:

ولا تَقُلْ ساحل الإفرنج أملكه فما يُساوى إذا قايسته عَدْنَا
وما تريدُ بجسم لا حياةَ له من خَلَصَ الزبدَ ما أبقى لك اللبنَا
وإن أردتَ جهاداً رَوَّ سيفكَ من قوم أضاعُوا فُرُوضَ اللّهِ والسُننَا
طَهَّرْ بسيفكَ بيتَ اللّهِ مِنْ دَنَسٍ وما أحاط به من خِسَّةٍ وَخَنَا
ولا تَقُلْ إنهم من آل فاطمةٍ لو أدركوا آل حرب قَاتَلُوا الحَسَنَا

("Do not say that I like to dominate the coast of al-Ifranji [Europe]. If you were to compare it, you would not find it equal to Eden").

("What do you want from a lifeless body? Whoever skims away the cream will not leave for you the milk").

("If you desire Jihād [holy war], then you should wet your sword [with the blood of] those who abandoned the furūd [religious duties] and the sunan [Prophet's practice]").

("Cleanse with your sword the mosque of God from its filth and the vileness which surrounded it"). (Do not say that they are the descendants of Fātima. They would have fought al-Hasan if they could apprehend the Banū Harb").

In this last line the poet referred to the dispute in the first Islamic century between the Banū Sufyān ibn Harb and the Banū Hāshim. (Sharaf al-Dīn abū al-Mahāsin Muhammad ibn Nasr, Known as Ibn ^CUnayn, Dīwān, e. Khalīl Mardam Beg, 2nd ed. [Beirut] p. 102).

99 6-9 The editor of Ibn ^CUnayn's Dīwān commented that these

lines have allegedly been attributed to Fātima al-Zahrā' (the Prophet's daughter), but they are clearly invented and there is no validity in attributing them to her. See D. Ibn [°]Unayn, p. 103.

99 10f. Nūr al-Dīn [°]Alī al-Samhūdī al-Shāfi[°]: "Al-Samhūdī, Nūr al-Dīn Abū 'l-Hasan [°]Alī b. [°]Abd Allāh, a descendant of al-Hasan b. [°]Alī, according to the genealogy traced by Ibn Fahd, was born in Samhūd in Upper Egypt (al-Sa[°]id) in the month of Safar, 844 A.H., where his father was a noted lawyer.. In the year 860 he made the pilgrimage for the first time and settled in al-Madīna.. He died on Thursday the 18th of Dhu 'Ka[°]da, 911 A.H., and was buried in the Baki[°].. cemetery between the grave of Saiyid Ibrāhīm and the Imām Mālik". (F. Krenkow, art. "al-Samhūdī", EI, vol, IV, p. 134f). His biography may be found in GAL, vol, II, p. 173; S., vol. II, p. 223f.; F. Rosenthal, A History of Muslim Historiography (Leiden, 1952) p. 399; T. al-Tīfa, vol. I, p. 21, where he is called al-Sayyid al-Samhūdī; D. al-Lāmi[°], vol. V, p. 245-8, where he is called al-Sharīf al-Samhūdī and is said to have married into the Zarandī family in Medina; and al-A[°]lām, vol. V, p. 122. Al-Ansārī gave his name as [°]Alī ibn Ahmad ibn [°]Abd Allāh al-Hasanī al-Samhūdī, and said that he emigrated to Medina in 880/1475, had no children, and wrote four books on Medina's history: (1) al-Wafā', which was destroyed in the mosque fire, but is summarized in (2) Wafā' al-Wafā'; (3) Khulāsāt al-Wafā'; and (4) Dharwat al-Wafā', which is devoted to the reconstruction of the Prophet's Mosque. (Tuhfat al-Muhibbīn, p. 271). His book Wafā' al-Wafā' has been published many times in unedited form, before it was published by Muhammad Sul-

tānī and edited by Muhammad Muhyī al-Dīn [°]Abd al-Hamīd in four volumes (1374/1955), with a supplement concerning the later reconstruction of the Prophet's Mosque in Saudi times. See Wafā', intro., p. 3. Sālīh Ahmad al-[°]Alī recorded that Wafā' al-Wafā' was published twice: (1) by al-Mu'ayyid in 1326/1908; and (2) by al-Sa[°]āda in 1956. See Sālīh Ahmad al-[°]Alī, "al-Mu'allafāt al-Carabiyya [°]an al-Madīna wa'l-Hijāz", Majallat al-Majma[°]al-Cilmī al-[°]Irāqī, vol. XI (1384/1964) p. 118 - 157. [°]Alī Jawād al-Tāhir was mistaken when he recorded that the edition of al-Wafā' by Muhyī al-Dīn [°]Abd al-Hamīd was published in 1379/1959. ("MU[°]jam al-Matbu[°]āt al-Arabiyya fī 'l-Mamlakat al-Sa[°]ūdiyya", al-[°]Arab, vol. IX/X [1401/1981] p. 745). Khulāsāt al-Wafā' bi-Akhbār Dār al-Mustafā, the summary of Wafā' al-Wafā', was composed in 891/1480 and contained some historical materials not contained in al-Wafā' itself. It has been published twice, firstly in Būlāq in 1285/1868. It has also been translated into Persian and Turkish. (Hamad al-jāsir, "al-Wafā' wa-Mu'allifuh", Rasā'il, p. 35). Dharwat al-Wafā', noted by al-Ansārī (p. 271) is given the fuller title Dharwat al-Wafā' bi-Akhbār Dār al-Mustafā by al-Baghdādī (Hadiyya, vol. I, p. 740). Al-Jāsir argues that the correct title of the book is al-Wafā' bi-mā yajibū li-Hadrat al-Mustafā, since this is the title found on al-Shaykh al-Dihlawī's manuscript copy. Al-Dihlawī was, however, mistaken. According to al-Ansārī, the book was devoted to describing the reconstruction of the Prophet's Mosque, although the book actually contains detailed information about the state of the Mosque after the fire of 654/1256, which would suggest that Dharwat al-Wafā' is another name for al-Wafā' bi-mā yajibū li-Hadrat al-Mustafā.

The book has been published under the latter title with other material concerning Medina's history, and introduced by Hamad al-Jāsir, the whole collection bearing the title *Rasā'il fī Ta'rīkh al-Madīa* (Riyadh, 1392/1972).

99 11 The story may be found in the noted source, *Jawāhir al-^Qiqdayn fī Fadl al-Sharafayn*, where it is recorded that the Banū Dāwūd (see p. 98, 1.4) settled in Wādī al-Safrā'. See al-Sayyid al-Sharīf Jamāl al-Dīn ^QAlī ib ^QAbd Allāh al-Hasanī al-Samhūdī al-Shāfi^Qī, *Kitāb Jawāhir al-^Qiqdayn fī Fadl al-Sharafayn*, El Escorial MS. No. 1533, p. 113. For other sources dealing with the story, see Hamad Mohammed ^QUrainan, *An Edition of Nasha'at al-Sulāfah bi Munsha'at al-Khilāfah*. Ph. D. thesis, University of St. Andrews, 1972, vol. I, p. 255f.

99 12f. Al-Bādrāwī: the name occurs in *J. al-^Qiqdayn* in the form al-Bādrāy. I have sought to trace this name and the source noted, i.e. al-Durr al-Nazīm, but unfortunately without any success.

101 4 This line has been attributed to ^QAlī ibn abī Tālib, with a slight variance:

إذا تم أمر دنى نقضه توقع زوالا إذا قيل تم

("The matter would decline when it reaches its peak. If it is said to have been completed, you expect vanishing"). See Dīwān ^QAlī ibn Tālib, John Rylands University Library of Manchester, Arabic MS. No. 147[7] (B), p. 166.

101 11 Al-sūr: the wall of the city. Al-Matarī recorded in al-Ta^Qrīf (p. 76) that the first city wall was built in 360/970, by the Buwayhid ruler ^QAdud al-Dawla, on whom see H. Bowen,

art. "Adud al-Dawla", EI², vol. I, p. 211f.; Abū al-Hasan ^CAlī ibn abī al-Karam Muhammad ibn Muhammad ibn ^CAbd al-Karīm ibn ^CAbd al-Wāhid al-Shaybānī, known as Ibn al-Athīr al-Jazrī, al-Kāmil, vol. VIII (Cairo, 1301/1883) p. 20 - 9; al-A^Clām, vol. VI, p. 364f. But Hāfiz recorded that the first wall was built in 236/850 by Muhammad ibn Ishāq al-Ja^Cdī. (A.M. fī al-Ta'rikh, p. 36). Al-Jāsir commented on this disputed matter by recording that a person from Baghdad built the first wall for the city after the Banū Kilāb tribe attacked the inhabitants in 263/876. (Al-Maghānim, p. 190). In 540/1145, in Wazīr Jamāl al-Dīn Muhammad ibn ^CAlī ibn abī Mansūr al-Isfahānī's time (see al-A^Clām, vol. VII, p. 165) a wall was built around the city to protect it from the Bedouin, See Shihāb al-Dīn Abū Mihammad ^CAbd al-Rahmān ibn Isma^Cīl, known as Abū Shāma al-Maqdisī al-Dimashqī, Kitāb al-Rawdatayn fī Akhbār al-Dawlatayn al-Nūriyya wa's-Salāhiyya, ed. Muhammad Hilmī Muhammad Ahmad, vol. I, pt. 2 (Cairo, 1962) p. 348. Ibn Farhūn confirmed that the wall built by al-Isfahānī was the inner wall. (Al-Nasīha, p. 231, P. 231). Rif^Cat recorded in Mir'āt (vol. I, p. 411), that the outside wall was built in 558/1162 by al-Malik al-^Cadil Nūr al-Dīn Mahmūd ibn Zinkī, i.e. Nūr al-Dīn Abū al-Qāsim Mahmūd ibn ^CImād al-Dīn Zengī, called al-Malik al-^CAdil. See K.V. Zetterst en, art. "Nūr al-Dīn", EI, vol. III, p. 957-9; al-Kāmil, vol. II, p. 180 - 2; al-Rawdatayn, vol. I, pt. 1, p. 235 - 242; & al-A^Clām, vol. VIII, p. 46. Al-Batanūnī recorded that the outer wall was rebuilt by al-Malik al-Sālih ibn al-Nāsir ibn Qalāwūn, in 755/1354. (R. al-Hijāziyya, p. 263f). Rif-Cat again recorded in Mir'āt (vol. I, p. 411), that a part of the same wall was rebuilt in 881/1476 by al-Sultān Qāyit-

bāy, i.e. "Kā'itbey, al-Malik al-Ashraf Abu 'l-Basr Saif al-Dīn al-Mahmūdī al-Zāhirī, sultān of Egypt and Syria (873 - 902 = 1468 - 95)". (Sobernheim, art. "Kā'tbey", EI, vol. II, p. 663f). Ibn Khidr al-Rūnī recorded that the inner wall was rebuilt by Sultān Sulaymān ibn al-Sultān Salīm between 939 and 946/1532 and 1539. Its total length was almost 3,000 m. and it was built mainly of stone. It has three gates: al-Jum^Ca (see p. 58, 1.17) in the east of the mosque, leading to the cemetery, al-Saghīr (see p. 54, 108) or al-Shāmī leading to the north, and al-Misrī (see p. 57, 1.8), leading to the west of Medina. See K.T.T. fī ^CImārāt al-Masjid, p. 86-9. Sultān Sulaymān also ordered "the restoration of the Sultān Sulaymān also ordered "The restoration of the walls of Jerusalem.. the restoration of the Kab^Ca [sic] (after authorisation by a fatwā of Abu 'Su^Cūd.. and of the aqueducts of Mecca". (J.H. Kramers, art. "Sulaimān I, EI, vol. IV, p. 526). Rif^Cat further recorded in Mir'āt (vol, I. p. 411-3) that the same wall was restored in 1078/1667 by al-Sultān Muhammad Khān (see p. 53, 1.9), further restored in 1162/1748 by al-Sultān Mahmūd (see p. 40, 1019), and again in 1285/1868 by al-Sultān ^CAbd al-^CAziz, i.e. "^CAbd al-^CAzīz (Abdlazis), the thirty-second Ottoman sultan.. the third son of sultan Mahmd II.. he succeeded [sic] his brother 4444Abd al-Madjīd.. 20 June 1861". (E.Z. Karal, art. "^CAbd al-^CAzīz", EI2, vol. I, p. 56). Al-Barzanjī noted that there was another wall to the west of the inner wall, surround-ing the houses outside the inner wall. It had five gates, two of them at the cemetery, one called Bāb al-^CAwālī. Another gate, to the south, is called Bāb al-Sadd, or Bāb Qubā'. The gate to the west was called Bāb al-^CAnbariyya, while the fifth gate,

to the north, was called Bāb al-Kūma. Al-Barzanjī suggested that site of the wall built by Muhammad Ishāa al-Ja^Cdī. (Al-Nuzha, p. 80f). Ibn Mūsā, who wrote his description of Medina in 1303/1885, mentioned that there was no outer wall by the beginning of the previous century, but that it was built after Muhammad ^CAlī Pāshā sent his troops to Medina after 1220/1805. (W. al-Madīna, p. 55). Rif^Cat (Mir'āt, vol. I, p. 413) mentioned that al-CAnbariyya gate was also called al-Bāb al-Hamīdī because it was restored in 1305/1887 by CAbd al-Hamīd II (Ghāzī), the 36th Ottoman Sultān, on whom see J. Deny, art.. "^CAbd al-Hamīd II, "EI², vol. I, p. 63 - 5. Sir Richard Burton gave a different view of the Medinan wall: "In the days of the Prophet the town was not walled. Even in Al-Idrisi's time (twelfth century), and as late as Vartema's (eighteenth century), the fortifications were mounds of earth, made by order of Kasim al-Daulat al-Ghori, who re-populated the town and provided for its inhabitants. Now, the enceinte is in excellent condition. The walls are well built of granite and lava blocks, in regular layers, cemented with lime; they are provided with 'Mazghal' (of 'Matras') long loopholes, and 'Shararif' or trefoil-shaped orenelles: in order to secure a flanking fire, semicircular towers, also loopholed and crenellated, are disposed in the curtain at short and irregular intervals". (Op. cit., vol. I, p. 391f). Rutter also described the two walls of the city during his visit to Medina: "El Medina, or Medinat en-Nabi, is of an oval form protected by a high strong wall, in which there are many bastions and nine gates. The names of the latter are: Bāb el-Jum^Ca or Bāb el-Bakīa, facing east, El Bāb el-Mejīdi, El Bāb el-Basri, and El Bāb esh-

Shâmi facing north, El Bâb es-Saghîr el - ^٢Aynîya, and El Bâb el-Masri, facing west, Bâb esh-Shūna, and Bâb el-Hamâm, facing south. A second wall, of considerable strength but less massive, the inner wall extends irregularly from a point in the southern wall of the Bakîa cemetery to the fort at the western end of the city. The two walls enclose some two square miles of grounds, considerably less than half of which lies within the inner wall. The gates in the outer wall bear the following names: Bâb el-^٢Awâli, and Bâb Kuba facing south, Bâb al-^٢Anbarîya and Bâb es-Sayl, facing west, Bâb el-Kfa, facing north. With the exceptions of Bâb el-^٢Anbarîya and Bâb Kuba, the gates in the outer wall appear to be of no great defensive value". (Op. cit., p. 614f). The gradual development of the city has led to the disappearance of the two walls, as Makkî explains: "The introduction of aeroplanes, tanks and automatic guns to the area made the walls useless as a defence. New buildings appeared outside the walls and gradually the walls vanished from Madina, and only ruins remain here and there to indicate their former existence", (Medina, p. 39).

101 14 Al-Kushk: of. Turkish "Kyushk.. A small building intended for pleasure or recreation; an arbor, bower, pavilion, cupola; a small palace; the Sultan's apartments in any public establishment". (Redhouse, p. 1595).

102 7f. There is a quotation from Sūrat al-Anbiyā' (s. 21), v. 96:

﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦).

("And they swiftly swarm from every hill").

102 9 Sabîl al-Hākim (the governor's Fountain): Sir Richard Burton described this fountain as follows: "Outside it lies the Suk

al-Khuzayriyah, or green-grocers' market, and the Suk al-Habbabah, or the grain bazar, with a fair sprinkling of coffee-houses. These markets are long masses of palm-leaf huts, blackened in the sun and wind, of a mean and squalid appearance, detracting greatly from the appearance of the gates. Amongst them there is a little domed and white-washed building, which I was told is a sabil or public fountain". (Op. cit., vol. I, p. 391). What Burton described in this passeege has since been demolished and turned into a square for the Prophet's Mosque.

103 7 There is a quotation from Sūrat al-Isrā' (S.17), v. 60:

﴿وَحَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٦٠).

("We inspired terror in them, but it only increases their inordinate transgression").

103 8 There is a quotation from Sūrat al-A^orāf (S.7), v. 68:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: ٦٨).

("I fulfil for you the duties of my Lord's commission. I am to you a sincere and trustworthy adviser").

103 21 There is a quotation from Sūrat Sād (S. 38), v. 3:

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَكَلَّتِ حِينِ مَنَاصِحٍ﴾ (ص: ٣).

("How many generations before them did we destroy? Ultimately, they cried out for mercy, when the time for being saved had passed!").

105 6 There are quotations from Sūrat al-Muddaththir (S.74), v. 18:

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ (المدثر: ١٨).

("For he thought and he plotted") and v. 24:

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتَرٌ﴾ (المدثر: ٢٤).

("Then he said, 'This is nothing but ancient magic").

105 7 There are quotations from Sūrat al-Muddaththir (S. 74), v. 26:

﴿سَأُصَلِّهِ سَقْرًا﴾ (المدثر: ٢٦).

("Soon will I cast him into Helf-fire") and v. 29:

﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٢٩).

("Darkening and changing the colour of man").

105 16 Al-^Curayd: Yāqūt gives ^CUrayd as a diminutive of ^Card or ^Curd, a valley in Medina. (Op, cit., vol. IV, p. 114). Al-Bakrī mentioned that al-^Curayd, a site in Medina, contains date-palms, and that there is a harra (lava-field) bearing the name al-^Curayd. (Op. Cit., vol. III, p. 938). Hassān ibn Thābit (the Prophet's poet) mentioned in one of his poems what he called yawm al-^CUrayd ("the day of al-^CUrayd). (D. Hassān, vol. I. p. 326; vol. II, p. 236). Ibn Bulayhid noted that the ^CUrayd in Medina was mentioned by the poet Abū Qatīfa. (Sahīh, vol. III, p. 129f). Al-Marādī quoted the Prophet as referring to:

أَصْحُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْحُصَى مَا بَيْنَ حَرَّةِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالْعُرَيْضِ

("the healthier part of Medina which lies between Harrat Banī Qurayza and al-^CUrayd"). (Tahqīq, p. 202). Al-Samhūdī located al-^CUrayd to the north of Medina, near Qanā. (Wafā', vol. IV, p. 1265). Al-^CAyyāshī stated that al-^CUrayd was the name of an agricultural district and that it is a distinguished name for the district located to the north-east of Prophet's Mosque, while the Qanā valley separated it from Uhud district; further that there is a mosque in al-^CUrayd

district called [°]Alī al-[°]Urayd Mosque. (Op.cit., p. 366f). Burton briefly referred to the tomb of [°]Alī al-[°]Urayd during his visit to Medina: "The skirts of Ohod still limited the prospect to the left. On the right was the Bir Rashid (Well of Rashid), and the little whitewashed dome of Ali al-Urays, a descendant from Zayn al-Abidin: - the tomb is still a place of Visitation". (Op.Cit., vol. II, p. 59). Rutter described the tomb of al-CUrayd and the mosque built over it, which still exist: "The tomb-mosque of Shaykh Alī el [°]Arīdh lies on the eastern harra, at a distance of some five miles from the Bâb el Bakîa. A rough track leads to it.. The mosque is built as strongly as a small fortress, with massive stone walls and an iron door. In normal times the Imâm lives in an upper storey with his family, and the place has been built to withstand the assaults of thieving Bedouins". (Op. Cit., p. 565). The present condition of the mosque and the tomb of [°]Alī al-[°]Urayd, which was described by Rutter, is not good, since the maqâm is tuated in an unpopulated area and is less visited by the people, but it is still surrounded by some palm-trees, [°]Alī ibn Ja[°]far al-Sâdiq ibn Muhammad al-Bâqir ibn [°]Alī Zayn al-[°]âbidîn ibn al-Husayn ibn [°]Alī ibn abī Tâlib was born in Medina where he received his education through his father. He related Hadīths from his father Ja[°]far al-Sâdiq and al-Imâm Sufyân al-Thawrī and was considered to be one of the most reliable sources of Islamic learning in his time. He lived in al-CUrayd until his death and his descendants became known as al-[°]Uraydiyyīn. See Muhammad Diyâ' Shihâb, al-Imâm al-Muhâjir (Beirut, 1400/1980) p. 125f.

noted that the eastern harra is called Harrat Dasham (W. al-Madīna, p. 11), while al-^cAyyāshī mentioned that Harrat Dasham was another name for Harrat Wāqim (see p. 2, 1.6), and Dasham was the first of the manāzil (stopping places) of ^cAbd al-Ashhal. (Op. cit., p. 334).

106 8f. There is a quotation from Sūrat al-^cAnkabūt (S. 29). v. 31:

﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾

(العنكبوت: ٣١).

("We are indeed going to destroy the people of this township, for truly they are addicted to crime").

106 10 There is a quotation from Sūrat al-Anfāl (s.8), v. 30:

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠).

("They plot and God plots too; but the best of plotters is God").

106 11 This line is attributed to the poet Jarīr ibn Catiyya in one of his satiric poems against the tribe of al-Taym. See Dīwān Jarīr bi-Sharh Muhammad b. Habīb, ed. Nu^cmān Amīn Tāhā, vol. I (Cairo, 1969) p. 128.

106 11 Lazza: لَزَّ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ .. The thing clave to the thing.. inf. n. . . لَزَّ. He fastened it, or made it fast; or he bound it.. And لَزَّا They (two camels) were tied together: and they (the two shanks of a camel) were straitly connected in the shackles". (Lane, bk. 1, pt. vii, p. 2658, s.v. lazza).

106 11 Al-qaran is the rope which would be used to fasten two camels together. See al-Lisān, vol. V, p. 3611, s.v. qarana.

106 11 Al-buzl, pl. of bāzil, "applied to a camel, the male and the female.. That has cut its lùà [or tush].. by its entering the ninth year". (Lane, bk. 1, pt. i, p.200, s.v. bāzil).

106 11 Al-qana^Cīs: pl. of al-qin^Cā, i.e. the great one among the camels. See al-Qāmūs, vol. II, p. 252, s.v. al-qansu.

106 11 Ta'abbata Sharran: "a nickname of the old Arab poet and Beduin hero, famed in legend, Thâbit b. Djâbir b. Sufyân of the tribe of Fahm. Various explanations of it are given by the sources: 'he carried mischief under his arm' namely a sword, a knife (hamāsa), a ram which proved to be a ghūl, or a skin full of poisonous snakes (Aghānī)". (H.H. Bréu, art. "Ta'abbata Sharran", EI, vol. IV, p. 575). His biography may be found in GAL, I, 25f. ; Abū Tammām Habīb b. Aws al-Tā'ī, Kitāb Ash^Cār al-Hamāsa ma^Ca Sharh al-Shaykh al-Imām Abī Zakariyā Yahyā ibn ^CAlī ibn Muhammad ibn Bis-tām al-Shaybānī al-Tibrīzī, ed. G.G. Freytag (Bonn, 1828) p. 33; ^CAbd al-Qādir ibn ^CUmar al-Baghdādī, Khizānat al-Adab, ed. ^CAbd al-Salām Muhammad Hārūn, vol. I (Cairo, 1387/1967) p. 137; ^CAbd Allāh ibn Muslim ibn Qutayba, Ta-baqāt al-Shi^Cr wa'sh-Shu^Carā (Beirut) p. 62f.; al-A^Clām, vol. II, p. 80; H.A.R. Gibb, Arabic Literature (Oxford, 1963) p. 27.

106 18 This fifth line consists of irregular extracts from a poem by al-Mutanabbī written in praise of Sayf al-Dawla, when the latter defeated some Bedouin tribes. See D. al-Mutanabbī, vol. I, p. 104f., 107f.

107 6 This line incorporates words by al-Mutanabbī, from a poem written in praise of Sayf al-Dawla in 344/955. See D. al-Mu-tanabbī, vol. III, p. 394.

107 10 There is a quotation from Sūrat al-A^Crāf (S.7), v. 198:

﴿وَتَرَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٨).

("You will see them looking at you, but they do not see"),

and also from Sūrat al-Qalam (S. 68), v. 43:

﴿خَشَعَةً أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾

(القلم: ٤٣).

("Their eyes will be cast down. Igominy will cover them, seeing that they had been summoned in the past to bow in adoration, while they were whole").

107 20 Al-Hadīma: oppression, rage (pl. hadā'im). See M. al-Wasīt, vol. II, p. 998.

108 6 ^CUmar ibn ^CAbd al-Salām al-Dāghistānī: al-Ansārī recorded that al-Dāghistānī family came from Bilād al-Dāghistān (see below). The first member of the family to emigrate to Medina was ^CAbd al-Rahmān ibn Muhammad al-Dāghistānī, who arrived in Medina in 1155/1742 and was appointed Imām (prayer leader) in 1188/1774. In 1160/1174, three brothers of this family came to Medina: ^CAbd Allāh Efendī, ^CAbd al-Rahīm Efendī, and ^CAbd al-Salām Efendī. ^CAbd al-Salām was engaged in religious studies and became a teacher in the Prophet's Mosque. He visited Anatolia and Egypt. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 229 - 231. Al-Daftardār disputed al-Ansārī's date for the emigration of the three brothers from Dāghistān to Medina, preferring the date 1140/1727, and he named their father as al-Dhaykh Muhammad Amīn ibn Shams al-Dīn al-Dāghistānī. He also said that ^CAbd al-rahīm went back to Dāghistān, where he was captured by the Russians and died. ^CAbd al-Salām, to whom the present family is related, was a student of al-Shaykh Muhammad Hayāt al-Sindī. He wrote many books, one of them entitled Hāshiyā Calā Sahīh al-Bukhārī, in four vilumes, each of 220 pages. His other works include Hāshiyā ^Calā Sharh al-

Shamā'il al-Nabawiyya li't-Tirmidhī, Hāshiyya ^Ḷalā Sharh al-Qadūrī fī'l-Fiqh al-Hanafī, Hāshiyya ^Ḷalā Shari^Ḷat al-Islām, Hāshiyya ^Ḷalā Nukhbat al-Fikr fī Mustalah al-Hadīth li-Ibn Hajar al-Makkī, al-Wathīqa fī Rijāl al-Tarīqa, al-Juz' al-Tīf min Ansāb al-^ḶArab, and Khulāsāt al-Jawāhir fī Tabaqāt al-A'immat al-Hanafiyyat al-Akābir. Al-Daftardār commented that all these books, which he saw in 1379/1959 in āl al-Dāghistānī Library in Medina, are unpublished. ^ḶAbd al-Salām died in Medina in 1202/1787. His son ^ḶUmar, who was born in Medina, was a historian and poet. See Muhammad Sa^Ḷid Daftardār, "āl al-Dāghistānī", al-Manhal (April-May, 1969) p. 252-6. The biography of ^ḶUmar ^ḶAbd al-Salām al-Dāghistānī may also be found in al-Hilya, vol. II, p. 1115 - 1129, where al-Baytār acknowledges his ignorance of the date of his death, although his editor noted that he died after 1201/1786. See M. al-Mu'allifīn, vol. VI, p. 290, where Kahhāla recorded that he died in Egypt. His literary works have been described in our introduction, q.v.

"Dāghistān 'land of the mountains'; this name is an unusual linguistic phenomenon, since it consists of the Turkish word dāgh, mountain, and of the sux which, in the Persian language, distinguishes the names of countries; this name seems to have appeared for the first time in the 10th/16th century". (W. Barthold, rev. A. Bennigsen, art. "Dāghistān", EI², vol. II, p. 85 - 9).

109 22 Al-^Ḷibdān: one of the pl. forms of ^Ḷabd (servant). See Lane, bk. 1, pt. v, s.v. ^Ḷabd. "^Ḷabd is the ordinary word for 'slave' in Arabic of all periods (the usual plural in this sense is ^Ḷabīd, although the Kur'ān has ^Ḷibād: xxiv. 32), more particularly for 'male slave', 'female slave' being ama

(pl. imā'). Both words are of old Semitic stock; Biblical Hebrew uses them in the same meaning". (R. Brunschvig, art. "C^{Abd}", EI², vol. I, p. 24).

110 24 Al-khawwal: "A man's slaves, or servants, and other dependents.. or slaves, and cattle, or camels.. You say هؤلاء خول فلان , meaning These are persons who have been subjected, and taken as slaves, by such a one". (lane, bk. 1, pt. ii, p. 825, s.v. Khawal).

112 5f. Muhammad āghā Dār al-Sa^Cāda: al-Ansārī recorded that his first appointment as Shaykh al-Haram came in 1136/1723. Among the maintenance works for which he was responsible were the restoration of the dome of al-Thaniyya Mosque and the dome of al-Khidr Mosque. See Tuhfat al-Muhibbīn, p. 64.

113 14 Al-nawba: "an art-form in the music of the Islāmic East similar to the European cantata or suite. There are two varieties: 1. the nawba of chamber music, and 2. the nawba of military music". "Tabl Khāna (Nakkār Khāna, Nakkāra, Khāna, Nawba Khāna), literally the 'Drum House', 'Kettledrum House', 'Military Band House', is the name given in Islāmic lands to the military band and its quarters in camp or town". (H.G. Farmer, art". "Nawba", EI, vol. III, p. 885 & "Tabl Khāna", EI, Suppl., p. 217, 220f).

الفهارس

الرموز والمصطلحات

س:	النسخة الأصلية من المخطوطة «الأخبار الغربية في ذكر ما وقع بطيبة الحببية» والتي عُثِرَ عليها في المكتبة الخاصة بآل الأنصاري بالمدينة المنورة
د:	النسخة الثانية من المخطوطة نفسها والتي عُثِرَ عليها في مكتبة الشيخ الدهلوي بمكة المكرمة، رقم ٢٧٥٥
خ:	مخطوطة
د:	ديوان
هـ:	هامش
" "	تشير إلى وجود شرح على الكلمة في النص الإنجليزي للاسم أو للنص المنقول
()	للجملة المعترضة
(.....)	عدم وجود العبارة أو الكلمة في النص الأصلي
[]	إضافة من غير النص الأصلي

اسماء المصادر التي رمز إليها في حواشي الكتاب

اسم المؤلف	الاسم الكامل	الاسم المختصر
عصر عبد السلام الداغستاني	تحفة الدهر ونفحة الزهر في شعراء المدينة من أهل العصر خ: طوبقبو سراي، ٥١٩ الصافي بالمدينة، ١٥٣	- تحفة الدهر
عبد الرحمن الأنصاري	تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب (تحقيق محمد العروسي المطوي، تونس، ١٣٩٠ - ١٩٧٠)	- التحفة أو تحفة المحبين
عبد الرزاق البيطار	حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (تحقيق محمد بهجة البيطار، دمشق، ١٣٨٢ - ١٩٦٢)	- الحلية
السيد أحمد بن علي الداودي الحسني	عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب (تحقيق: الدكتور نزار رضا بيروت)	- ع - الطالب
يحيى هاشم المدني	الفلك المشحون خ: عارف حكمت بالمدينة، ٣٣٠٤	- الفلك
	شعراء المدينة والشعر الملحمي بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، ج، ٧٢٣ - ٧٤٠ (جده - ١٣٩٤ - ١٩٧٤)	- الشعر الملحمي
	المعجم الوسيط (القاهرة ١٣٨٠/١٣٨١ - ١٩٦٠ - ١٩٦١)	- م - الوسيط

فهرس الموضوعات

الصفحة	
١٧٩	المقدمة
١٨١	ذكر الفتنة الواقعة بين أهل «المدينة» «وبني علي» سنة ١١١١هـ
١٨٤	ذكر قصة العهد في سنة ١١٣٤هـ
١٩٩	فتنة «بك بشير آغا» سنة ١١٤٨هـ
٢٠٤	فتنة «عبد الرحمن آغا الكبير» سنة ١١٥٥هـ
٢٠٦	«يوسف الأنصاري»... مناظراته مع «السيد جعفر البيتي»، نماذج من شعره قتله
٢٣٥	الفتن التي وقعت بين ١١٨٧ - ١١٩٤ هـ وما قيل فيها من الشعر
٢٣٥	(١) الفتنة الأولى ١١٨٧هـ
٢٣٩	(٢) الفتنة الثانية
٢٤٢	(٣) الفتنة الثالثة
٢٥٢	(٤) الفتنة الرابعة ١١٨٩هـ
٢٧٢	الفتنة الخامسة ١١٩٤هـ وما ذكر فيها من شعر
٢٨٥	الفتنة السادسة وما قيل فيها من شعر
٢٩١	الفتنة السابعة ١١٩٤هـ
٣٠٠	الفتنة التي حدثت بين سنة ١١٩٩هـ - ١٢٠٣هـ

فهرس الآيات القرآنية

الآية	اسم السورة رقم الآية	الصفحة
﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾	يس: ٨٢	٢٦٦ - ٤٥١
﴿ابغلكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾	الأعراف: ٦٨	٤٨٠
﴿إنه فكر وقدر﴾	المدثر: ١٨	٤٨٠
﴿إن هؤلاء لشذمة قليلون وإنهم لنا لغاظون﴾	الشعراء: ٥٤ - ٥٥	٤٦٤
﴿بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾	الإسراء: ٥	٣٩٣
﴿تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم﴾	الأحقاف: ٢٥	٤٥٢
﴿تصلي ناراً حامية، تسقى من عين آنية﴾	الغاشية: ٤ - ٥	٤٥١
﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾	القلم: ٤٣	٤٨٥
﴿خذ العفو وأمر بالمعروف واعررض عن الجاهلين﴾	الأعراف: ١٩٩	٣٤٩
﴿سأصليه سقر﴾	المدثر: ٢٦	٤٨١
﴿فاليوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية﴾	يونس: ٩٢	٤٥٠

٤٦١	القصص: ٢١	﴿فخرج منها خائف يترقب﴾
٤٨١	المدثر: ٢٤	﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾
٤٦٤	الأحقاف: ٢٤	﴿فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارض﴾
٤٥١	الحاقة: ٢١ - ٢٣	﴿فهو في عيشة راضية، في جنة عالية قطوفها دانية﴾
٤٨٠	ص: ٣	﴿كم أهلكنا قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص﴾
٣٩٧	النساء: ٥١	﴿هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾
٤٨١	المدثر: ٢٩	﴿لواحة للبشر﴾
٣٧٤	النور: ١١	﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾
٤٨٤	الأعراف: ١٩٨	﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾
٣٩٩	المائدة: ٥٤	﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾
٣٩٩	الأنعام: ٩٢	﴿ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾
٤٨٠	الإسراء: ٦٠	﴿ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾
٤٧٩	الأنبياء: ٩٦	﴿وهم من كل حذب ينسلون﴾
٤٨٣	الأنفال: ٣٠	﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾
٣٨٤	الحشر: ٢	﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾
٤٨٣	العنكبوت: ٣١	﴿إننا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	
٤٤٨	«إن الذين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»
٣٩٣	«من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله»
٣٩٣	«من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي»
٣٩٧	«ويح أمها قرية يدعها أهلها كخير ما تكون»

فهرس الأمثال

الصفحة	
٤٤٩	«أشأم من غراب البين»
٣٨٦	«اعط القوس باريها»
٤٠٤	«أندم من اللسعي»
٣٧١ - ٢١٠	«ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيدي»
٤٠٤	«شنشنة أعرفها من أخزم»
٤٠٣	«لأمر ما جدع قصير أنفه»
٣٧١	«لا ينتطح فيها عنزان»
٤٠٤	«المجرب لا يجرب»
٣٧٧	«هدنة على دخن»
٣٨٦	«نام نومة عبود أو أنوم من عبود»

فهرس الأعلام

- إبراهيم آغا ٢٤٢
إبراهيم باشا ١٩٣
ابن أيوب ٢٨٣
ابن «أوبي» ٢٣٠
ابن دانيال ٢١٦
ابن الرشيد ٢١٧
ابن عنبة ٢٨٣
ابن مضيان ٢٧٧
أبو طالب ١٩٧
أبو بكر (باكير) باشا ١٩١، ١٩٥، ١٩٦
أبو بكر جلبي ٢٧٣
أبو سعيد المقبري ٢٧٦
أبو صالح محمد بن صالح الفلبلي ٢٣٥
أحمد باشا ٢٣٦
أحمد بن سعيد (الشريف) ٢٣٧، ٢٣٨
أحمد تركي ٢٣٧
أحمد الجامي ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٦
أحمد خليل ٢٣٧
أحمد الددا ٢٢٧
أحمد رجب ٣٠٠ - ٣٠١

- أحمد زيني دحلان ١٩١
جمال الدين أحمد بن علي الحسين (ابن عنبه) (راجع ابن عنبة)
أحمد كتخدا ٢٣٨ ، ٢٤٥
أحمد كوافي ٢٠٤
أحمد مكّي ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،
٢٦٥
إسماعيل أفندي الفلبلي الرومي ٢٣٥
إسماعيل أفندي (كاتب زاده) ٣٠٠
أيوب آغا ١٨٤
البادراوي ٢٨٥
بدوي (شيخ حرب) ٢٤٢
بختنصّر ٢١٦
بشير آغا (بيك) ١٩٩
البقسماطي ٢٤٠ ، ٢٤١
تأبط شراً ٢٩٣
تاج الدين الياس ٢٥١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧١
تهماز ٢١٦
تيمور ٢١٥
جبريل ٢٢٤
جعفر البيتي (السيد) ١٨٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٥
جعفر بيك ٢٣٥
جعفر بن السيد حسين بن يحيى هاشم الحسيني الحسيني المدني (الخطيب): هـ
١٧٩ ، ١٨٤ ، ٣٠١
جنكيز ٢١٥
حافظ محمد آغا ١٨٢
حمزه ظافر ٢٠٥ ، ٢٤٢

- حسن بن عبد الكريم البرزنجي ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٧
حسن كابوس ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢٤٥
حسن كوافي ٢٤٢ ، ٢٤٣
حسين الأنصاري ١٧٩ ، ١٨١
حسين العلوي ٢٦٢
حسين هاشم المدني ٢٨٣
خديجة (رضي) ١٩٧
درويش عبد العال ٢٧٩
رضوان ٢١٢
زيد (الشريف) ١٩٣
زين العابدين البركاتي (الشريف) ٢٣٨
سرور (الشريف) ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،
٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨
سعد بن زيد ٢١٦
سعيد شقلها ٢٣٦
سلطان عبد مديني سندي ٢٣٦ ، ٢٣٧
سليمان (السلطان) ٢٧٨
شاهين أحمد آغا ١٨١
شاهين أحمد باشا ٢٢٨ ، ٢٢٩
شرف قباني ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
الصالحى ٢٠٥
عبد الحميد (السلطان) ٢٤٩ ، ٢٦٧ ، ٢٩٩
عبد الرحمن آغا الصغير ٢٠٦
عبد الرحمن آغا الكبير ٢٠٤ ، ٢٠٦
عبد الرحمن بن حسين علي الأنصاري المدني ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٠٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،

عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري ١٩٠ ، ٢٩١

عبد اللطيف آغا ١٨٨

عبد الكريم الأنصاري ١٩٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥

عبد القادر ظافر ٢٠٤

عبد الكريم بن محمد بن عبد الرسول البرزنجي ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦

عبد الله مديني ٣٠٠ - ٣٠١

عبد النبي آغا ١٨٣

عبيد كدك ١٨٢ ، ٢٤٥

عثمان آغا ٢٣٦

عثمان بيك ٢٠٤ ، ٢٠٩

عثمان سردن ٢٨٢

عذيب قبيطي ٢٥٣

العزیز بن أيوب (الملك) (راجع ابن أيوب)

علي آغا ٢٣٦ ، ٢٣٧

علي إبراهيم آغا ١٨٣

علي بن عبد الله السمهودي الشافعي

علي قللي ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥٤

علي قنا ١٩٢ ، ١٩٣

عمر زكي ٢٠٤

عمر عبد السلام الداغستاني ٢٩٥

عمر عبد العال ٢٨٢ ، ٢٩٠

عمر بن علي السمهودي الشافعي المدني ١٨٣ ، ٢٨٥

عمر الغسال ٢٣٦

عبيد (شيخ حرب) ٢٠٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٨

عيسى الجزار ٢٣٩ ، ٢٤٣

الفاضل الجامي ٢٤٦

- فاطمة الزهراء ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥
القندقجي ٢٤٠ ، ٢٤١
كي قباد ٢١٧
لؤي بن غالب ٢٢٦
مبارك بن أحمد زيد (الشريف) ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤
المتنبئ ٢٦٩
محمد أبو الفرج يوسف الأنصاري ٢٢٨
محمد أبو البركات عبد الكريم الأنصاري ٢٣٠
محمد أسعد ١٩٣
محمد أمين ميكائيل ٢٣٦
محمد باشا بن العظم ٢٤٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣
محمد بالي ٢٥٣
محمد بن رسول البرزنجي ١٩٤
محمد جلبي بن مصطفى بن محمد آغا القُمَّمُجِي ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
محمد جوهر آغا (دار السعادة) ٣٠٠
محمد خان (السلطان) ٢٣٥
محمد سعيد انقشاري ٢٠٤
محمد سعيد سفر ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٩
محمد سعيد عبد الكريم الأنصاري ٢٣٠
محمد سعيد بن مصطفى ٢٣٧
محمد العدواني المضايقي ٢٨٢
محمد بن علي بن العزم العادلي ١٩٠
محمد فلبلي ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
محمد مراد ٢٠٤
محمد النحال ١٩١

محمود (السلطان) ٢٢٠

مسرف المري ٢١٢

مسعود آغا ١٨٨ ، ٢٠٢

مسعود بن سعيد (الشريف) ١٩٩، ٢٠٠٢، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٠٠٢

مصطفى بن الكتخدا محمد القمقمجي ٢٣٥، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٢

معد ٢٢٦

مسلمه ٢١٥

منصور ٢١٤

ناصر بن مستور (الشريف) ٢٩٢

الناصر (الملك) ٢٨٣

النبي ﷺ (محمد، طه، أحمد) ١٧٩، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١،

٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٤،

٢٩٥، ٢٩٦

نصر الله بن عنين الدمشقي (أبو المحاسن) ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥

نمي (الشريف) ٢٢٠

نور أحمد آغا ١٨٢

هزاع (شيخ حرب) ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦،

٢٢٧

يزيد ١٩٧

يعرب ٢٢٦

يعقوب آغا جبلي ١٨٣

يوسف الأنصاري ٢٢٨، ٢٣٠

فهرس المواضع

- أثيَلة ٢٥٦
الآستانة ١٩٦
إِضم ٢٦٨
باب الجمعة ٢٤٢ - ٢٤٣
باب درب الجنائز ٢٤٣
باب الرحمة ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٣٠٠
باب السلام ١٩٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
باب الصغير ٢٣٦ ، ٢٨١
باب القلعة ٢٤٣ ، ٢٧٩
باب المصري ٢١٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٨٨
بارق ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٧٥
بصرى ٢١٧
البيقع ٢٤٣
بدر ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٩٥
بغداد ٢١٥
بلدة المختار (المدينة المنورة) ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٩٦
بندر جدة ١٩١
بيت الحنبلي ١٨٧
بيت المالكي ١٨٧

- بيوت الزنج ٢٢٥
بئر نقر ٢٤٣
الجامع الأزهر ١٩٥
جدة ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٦
الجرف ٢٤٤، ٢٦٣
حارة الأغوات ٢٣٧
الحجاز ٢١٦، ٢٢٤، ٢٧٠
الحجرة - المطهرة - الزهراء - الشريفة ١٨١، ١٨٣، ٢١٨، ٢٧٤
حجرة ١٩٢، ٢٦٨
الحجون ٢٣٣
الحرّة (حرّة بني قريظة) ١٨١، ٢٠٠
حرّة بني قريظة ١٨١، ٢٠٠
حرّة دشم ٢٩٣
حرّة النقا ٢٤٢، ٢٤٣
حلب ٢١٥
الحماطة ٢٤٤، ٢٨٨
الحمام ١٨٧
دار المصطفى (المدينة المنورة) ٢٢٤
دكة الأربعين ٢٣٨، ٢٤١
دكة شيخ الحرم ٢٤٠
دكة الأغوات (دكة الأربعين) ٢٥٣
دشم (حرّة دشم) ٢٩٣
ذروان ١٨٧
ذي سلم ٢٠٨
رايغ ٢٠٦

- رباط السلطان ٢٥٤
الرمـل (وادي) ٢١٧
الروضة ٢١٣ ، ٢٤٥
الساحة ٢٤٤
سبيل الحاكم ٢٨٨
سد (سد بطحان) ٢٤٣ ، ٢٦١
سد بطحان ٢٤٣
السُّور ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
شاه جهان ٢١٦
الشَّعب ٢٥٦
الصَّنفا ٢٣٣ ، ٢٤٣
الصَّيارين ٢٤٩
الصين ٢١٦ ، ٢٤٧
طابه ٢٦١
طبيه ٢٠٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،
٢٦٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨
عدن ٢١٧
العُدَيْب ٢٥٦
العراق ٢١٧
العُرَيْض ٢٩٢
عمورية ٢١٧
العُنْبَرِيَّة ١٨٣ ، ٢٨٧
العَوالي ٢٤٣ ، ٢٧٣
العَيْن ٢٠٥
الغَضَا (وادي) ٢١٧

فُباء ٢٤٣، ٣٠٠

القدس ٢١٦

قلعة السلطان ١٩٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٣، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٨

القنفذة ٢٨٢

كاظمة ٢٦٧

كربلاء ٢٠٨

مالطه ٢٩٧

مدرسة باب الرحمة ٣٠٠

المدينة المنورة - بلده - بلدة المختار - دار المصطفى ١٧٩، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٩،

١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٥،

٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥١،

٢٥٢، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٩٢،

٢٩٥

المحكمة السلطانية ٢٥٤، ٣٠٠

المراكشية ٢٤٣

المسجد (المسجد النبوي) ٢٢١، ٢٤٤

مسجد السقيا ٢٧٦

المسجد النبوي - الحرم - الحرم الشريف ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٩،

المسجد - المسجد السامي - المسجد الشريف ١٩٩، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦ - ٢٦٣،

٣٠٠

مسجدك - مسجد المصطفى - مسجد الهادي مصر ٢١٤، ٢٢٠، ٢٥٨

مصر، مصر المحروسة ١٩١، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٤، ٢١٦

مكة - أم القرى - بلد الله الآمن - البيت الحرام - البيت الشريف ١٩٣، ١٩٤،

١٩٥، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٢،

٢٩٥

المناخة - المناخة السلطانية ٢٠٦ ، ٢٤٠ ، ٢٧٣

الهند ٢٨٢

الواجهة البرّانية ٢٧٣

يشرب ٢١٩

فهرس الجماعات (قبائل وطوائف وأسر وغيرها)

- آل أحمد ٢٢٠
آل البيت ٢٨٤
آل زيد ٢٠٠، ٢٢٦
آل طيبة - أهل طيبة ١٩٠، ٢٨٨
آل عثمان ٢١٦
آل قارون ٢٤٩
أرباب الوجاق
أسرة الهدى
الأشراف ٢٨٣
أصحاب بدر - أهل بدر ٢١٥
الأعراب - العربان ٢٨١، ١٨٥، ٢٠٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٧
الأغوات - أغوات المسجد ١٨٣، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٩، ٢٤٢، ٢٥٣
أهل بدر (أصحاب بدر) ٢٣٤
أهل جده ١٩٦
أهل الحارة ٢٠٦، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٤
أهل الطيالس ٢١١
أهل طيبة (آل طيبة) ٢٨٨، ٢٩٨
أهل العهد ١٩٠
أهل القلعة ٢٠٦، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٧٥، ٣٠٠
أهل كاظمة ٢٦٧

- أهل المدينة ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٧٥ ،
٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥
الأنصار ٢١٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٦٢
البدو ٢١٥ ، ٢٦٧
البوادي ١٨٦ ، ٢١٢
بنو داود ٢٨٣
بنوسعيد ٢٢٠
بنو علي (قبيلة) ١٨١ ، ١٨٥
بنو فاطمة ٢٨٣ ، ٢٨٤
بنو مسعود ٢٢٠
الجلوية ٢٠٥
جماعة القمقمجي ٢٣٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣
جماعة المكي ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣
حرب (قبيلة) ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٨٣
حكام المدينة ١٨٣
الدولة العلية ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٤٤ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ،
٢٧٣
رافضي ٢٥١
الروم ٢١٦ ، ٢٣٥
طائفة القمقمجي ١٨٢ ، ٢٥٣
طائفة النوبتجية ٢٤٠
العبدان ٢٧٤ ، ٢٩٧
العربان (الإعراب) ١٨٥
قدري ٢٥١
مشائخ حرب ٢٧٥
مشائخ الحرم ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤

مضر ٢٤٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢

مفاتي مكة ١٩٣

نُخُولِي (نسبة إلى قبيلة)

والي دمشق ٢٧٠

اليمن - أهل - جماعة - طائفة ٢٣٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١

اليهود ٢٣٠ ، ٢٥٠

فهرس المصطلحات الحضارية

- الآغا ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤٤
- الإسباهية ٢٥٣
- الأنفدي ١٨٢، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٣
- الإنقشارية ٢٤٢، ٢٥٣
- أوده باشا ٢٣٧
- الباشا ٢٥٢، ٢٦٣، ٢٦٥
- الباي ٢٦٥
- بيرقدار ٢٣٧
- بيوردي ٢٣٨
- جاوش - جاوويش ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٥٤
- جاوش القلعة ٢٣٦
- جبخانة ٢١٣، ٢٥٦، ٢٩٠
- جرده - الجرده ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٩
- جوقدار باش ٢٤٢،
- الحاج الشامي ٢٠٦، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٦٢، ٢٦٣
- حاكم بلده - حاكم المدينة - حكام المدينة ١٨٣، ٢١٤
- خزندار ٢٠٦
- الدواوين ٢٤٨
- سقر ٢١٩، ٢٥٠، ٢٨٠، ٢٩١
- شيخ حرب ٢٤٢، ٢٧٥

شيخ الحرم ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٣٠١

شيخ العبيد ٢٧٩

صدر الصدور

طبينة ٢٥٣

فرمان - الفرمان السلطاني - فرامين ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ،
٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠

فرمانات ٢٧٠

قائمقام

كاتب شيخ الحرم

كتخدا - الكتخدا - كتخده ٢٠٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
٢٤٥ ، ٢٦٥ ، ٣٠٠

كتخدا الإساهية ٢٠٤

كتخدا الانقشارية ٢٣٦

كتخدا القلعة ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٧٣

كتخدا نوبتجيان ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٢٧٥

كواخي ٢٤٥

كوانين ٢٤٨

مشيخة الحرم ١٨١ ، ١٨٢ ، ٣٠٠

مفتي المدينة ١٨٣

النائب - نائب الحرم ١٨٨

النوبتجية ٢٠٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٣٠٠

النوبة ٣٠١

وجاق - الوجاق - الوجاقات ١٨٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢

وجاق القلعجية ٢٣٩

وجاق الانقشارية ٢٣٥

وجاق النوبجتيية ٢٠٤ ، ٢٣٩

وزير سلطان الوري

فهرس الكتب الواردة أسماؤها في نص الكتاب

الصفحة	
١٩٤	- أسنى المطالب في نجاه أبي طالب
١٩٠	- تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب
٢٨٥	- جواهر العقدين في فضل الشرفين
١٩١	- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام
٢٨٥	- الدر النظيم
١٩٦	- الرّوض الأعطر
٢٨٣	- عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب
١٨٣	- كسر الشمامة للشيخين كرامة
١٩٥	- نفثة المصدور

فهرس القوافي

الصفحة	الشاعر	عدد الأبيات	الوزن	القافية
٢٥٤	أحمد الجامي	٧٤	طويل	الصَّرْبُ
٢١٩	محمد سعيد سَفَر	١٦٠	طويل	يرغْبُ
٢٢٩	جعفر البَيْتِي	٩	كامل	تشهدُ
١٩٦	جعفر البَيْتِي	١١	خفيف	فقيدا
٢٥٩	حسين الأنصاري	٥٠	طويل	اليدا
٢٣٠	يوسف الأنصاري	٧٠	طويل	يسيرُ
٢٦٦	أحمد الجامي	٩٩	بسيط	الظَّفَر
١٩٧	جعفر البَيْتِي	٢١	خفيف	فضلا
٢٧٨ - ٢٩٥	عمر عبد السلام الداغستاني	٦٨	بسيط	الكحل
١٨٤	جعفر البَيْتِي	٩٤	كامل	القُفْل
١٩٩	جعفر البَيْتِي	٦٤	طويل	الأَكْم
٢٤٧	حسين الأنصاري	٤١	بسيط	بالدُون
٢٠٧	جعفر البَيْتِي	١٦٣	بسيط	أَعادِهَا
٢٥٠	أحمد الجامي	٢٠	بسيط	فيها
٢٩٤		١	كامل	الأرماح

الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي -

٢٤٦	عمرو بن معد يكرب الزبيدي	١	وافر	تنادي
٢٩٣	المتنبئ	٥	وافر	عثار
٢٧٧	القاسم بن محمد بن جعفر	٤	كامل	أقماراً
٢٩٣	جرير بن عطيه	١	بسيط	القناعيس
٢٤٦		٥	بسيط	صفعا
٢٦٥	عبد الرحمن حسين الأنصاري	٢	كامل	الأمثال
٢٩٤	المتنبئ	١	طويل	كرام
٢٨٧		١	طويل	تمامها
٢٨٧	علي بن أبي طالب	١	متقارب	نَم
٢٤٧	محمد بن إدريس الشَّافعي	٤	طويل	صَيِّنُ
٢٨٣	نصر الله بن عُنين	٦	بسيط	الحَسَنَا
٢٨٥	نصر الله بن عُنين	٤	سريع	جَنَى
٢٨٣	نُسِبَتْ إِلَى فاطمة الزَّهراء	٦	سريع	خَنَا
٢٩١	عبد الرحمن عبد الكريم الأنصاري	٢	متدارك	قَلْعَة
٢٦٥	عبد الرحمن حسين الأنصاري	٢	مجزوء الكامل	دانية
٢٣				

حلقات العلم في الحرمين الشريفين

ودورها في صياغة المعطيات الثقافية والفكرية

«حقبة القرون ١٢ - ١٣ - ١٤ الهجرية»

The Circles of Learning in Mecca and Medina Mosques and Its Role in Building Of the Cultural and Intellectual Life

The Periods of Twelfth, Thirteenth, and Fourteenth Centuries

Abstract:

Islamic and Arabic civilization are well - known of combining the materialistic and the spiritual, the mind and the heart which has meant that these civilizations never suffered from disharmony or alienation between and learning and consequently between the study of Sharia and Literature, Ideas and creativity in all its aspects so long as it was for the advancement of humanity, its refinement and reform During this research we sought to bring to light evidence of that solid link between the various fields of knowledge through the most important intellectual establishments in the history of this civilization by which we mean symposiums at the two Holy Mosques. The intellectuals who have met in its courtyards have come from various fields of study - from the study of Sharia and literature finding no fault in the innovations of poetry or novels. This integration is important in light of the modern and intellectual reality in which our Ummah is living - an Ummah with a rich culture that doesn't fear the "other" because its humanitarian heritage is spread across many Ages.

The research progressed to attesting to the role of the beating heart is Makkah and Medina in that civilization

spreading into the Arab and Islamic civilizations rays of knowledge. It was at this very heart that ideas and visions combined from all centers of knowledge that were established in light of this civilization. This atmosphere of study and true learning contradicts with the notion of closure and isolation or even the idea of excluding the "other", which is alien to our religion, civilization and ideas. Just as men had an important presence in this religiously, scientifically and artistically integrated structure so too were women an effective force in building and developing society and spreading knowledge and learning especially in the ages that witnessed a decline in modern and intellectual advancement - its was therefore only fair to point to this role and consider its important features and effects.

مستخلص :

عرفت الحضارة الإسلامية والعربية بجمعها بين متطلبات المادة والروح، والعقل والوجدان، ولهذا لم تعرف هذه الحضارة في منطلقاتها وأصولها تنافراً أو جفوة بين الدين والعلم، وبالتالي بين علوم الشريعة وفنون الفكر والأدب والإبداع بمناحيه كافة، ما دام هذا الإبداع ساعياً للارتقاء بالنفس الإنسانية وتهذيبها وتقويمها، ولقد عملنا في هذا البحث للتدليل على تلك الصلة الوثيقة بين دوائر العلم المختلفة وفنونه المتباينة من خلال أهم المؤسسات العلمية في تاريخ هذه الحضارة ونقصد بها حلقات العلم في الحرمين الشريفين، فنجد الشخصيات العلمية وقد التقت في رحابها العلوم المتصلة بالشريعة وعلوم الأدب دون أن تشعر هذه الشخصيات بشيء من الغضاضة عند إبداعها للشعر أو روايتها له، وأن هذا

التكامل مطلب هام في ظل المعطيات الحضارية والفكرية التي تعيش أجواءها المعاصرة أمتنا الغنية بتراثها والتي لا تخشى في الوقت نفسه من الآخر لامتداد ما تملكه من تراث إنساني عبر عصور التاريخ المتلاحقة .

وقد تدرج هذا البحث في محاوره التي تثبت أيضاً دور القلب النابض في هذه الحضارة بإمداد جميع حواضر العالم الإسلامي والعربي بإشعاعات العلم والمعرفة وأن هذا القلب أو المركز ونعني به مكة المكرمة والمدينة المنورة قد امتزجت فيه الأفكار والرؤى من جميع مراكز العلم الأخرى التي تأسست في ظل هذه الحضارة فيما ينفي عن أجواء العلم والمعرفة الحقيقية روح الانغلاق أو مبدأ إقصاء الآخر الذي يعتبر طارئاً على جوهر ديننا وحضارتنا وفكرنا، وكما كان للرجل حضوره في بناء هذا الكيان المتكامل دينياً وعلمياً وأدبياً فإن المرأة والتي تمثل قوة فاعلة في بناء المجتمع وتطويره كان لها أيضاً نصيب وافر في نشر العلم والمعرفة وخصوصاً في العصور التي شهدت تراجعاً في المد الحضاري والفكري، وكان من الإنصاف أن ندلل على هذا الدور ونتبين ملامحه وآثاره وشواهده .

تمهيد

لا شك أن مفاهيم التقارب الفكري ومحاولة توضيح الآثار السلبية للتطرف والغلو ونشر ثقافة التسامح، هي من أساسيات شرعنا الإسلامي الحنيف، إلا أنه يفترض فينا مصارحة أنفسنا، فقبل أن ندعو ونجتهد ونتطلع للحوار مع (الأخر) المختلف حضارياً وفكرياً وثقافياً، والذي أمرتنا آيات الذكر الحكيم بأن نقدم له أي للأمم الأخرى في الأرض، هذا الدين وتعاليمه بالرفق والموعظة الحسنة، يجب أن نفتح باب الحوار مع (الذات) مع بعضنا البعض، وعلى خلفية من الاحترام والتقدير المتبادل.

وأعتقد أن قيم الحضارة الإسلامية والعربية نشأت في ظلال الدين الإسلامي الحنيف هذه القيم العظيمة تحث على هذا الحوار والفهم الضروريين، ولولا هذه السعة الموجودة في الأفق الحضاري في عصور الإسلام الذهبية لما كان الفكر الإسلامي على وجه التحقيق قادراً على أن ينتشر بهذه الصورة السريعة والشاملة عالمياً.

فنحن مدعوون أن نحسن الظن بإخواننا المسلمين، والأساس الذي بنيت عليه العلاقات الاجتماعية والإنسانية في الشرع الإسلامي الحنيف هو (حسن ظن المسلم بأخيه). وبالعودة إلى كتب الأحاديث النبوية الشريفة نجد عشرات الأحاديث التي تدعو إلى هذه المنقبة الهامة وهي إحسان الظن بالأخ المسلم وتقديمه على ما سواه. وبما أن الحرمين الشريفين

يمثلان - بتاريخهما العلمي العريق - منطلقاً للثقافة الإسلامية والعربية الفاعلة والمعتدلة. كما أن الحلقات العلمية فيهما تشكل من خلال هذه الثقافة تراثاً حضارياً وعلمياً وفكرياً يفترض إبرازه فقد حاولنا من خلال هذه الدراسة التعرض بشيء من التفصيل لهذه القضايا، حتى لا تظل في عمومياتها المطلقة - ولهذا اخترنا حقبة القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الهجرية رغم تأخرها الزمني للحديث عند الدور الذي أدته حلقات الحرمين الشريفين إصلاحياً وثقافياً وفكرياً، فعلى الرغم من أن هذه العصور، شهدت انحساراً في المد الحضاري الإسلامي - إلا أن مراكز الثقافة الإسلامية، وخصوصاً في مكة المكرمة والمدينة ظلت تؤدي هذا الدور بكل فاعلية. ولقد كان لمنزلة هاتين المدينتين المقدستين في نفوس المسلمين أثر كبير في هذه الفعالية. فالنزوح إليهما من جميع أقطار العالم الإسلامي والعربي على مر العصور لطلب العلم ابتغاء مرضات الله، نتج منه تمازج وتقارب شديدين بين النازحين إليها، كما أن هناك سمات أساسية في البيئة العلمية لهذه الديار المقدسة ظلت حاضرة عبر التاريخ. وهذه السمات ترجع جذورها إلى العهد النبوي الراشد والعهد الإسلامية اللاحقة، ولقد ورد في القرآن الكريم من الآيات ما يدل على هذه السمات المرتبطة بالإيمان بالله تعالى والقيام بما يترتب على هذا الإيمان من هجرة وحسن إيواء وأخوة في سبيل الله. ومن هذه الآيات ما ورد في سورة الأنفال في قوله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٤). وورد في موضع آخر من كتابه الكريم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)، وامتدح عز وجل في الآية اللاحقة من سورة الحشر القوم

المؤمنين الذين ساروا على نهجهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

وقام العلماء في هذه الديار المقدسة - بعيداً عن أعراقهم وأشكالهم .
وأحوالهم الدنيوية حيث وحدهم الإسلام تحت رايته التي يتساوى في ظلها
العربي والعجمي والأسود والأبيض والفقير والغني - قاموا بدور رائد في
تلقي العلم والحفاظ عليه والتأدب بأخلاقياته ونشره بين أمم الأرض
جميعاً.

ومما يحسن التنبيه إليه أن عدداً من المجاورين، في العصور التي
حاولنا في هذا البحث أن نأتي على شيء من نماذجها العلمية، قاموا بدور
علمي رائد في إنشاء المؤسسات العلمية في مكة والمدينة وما جاورهما.

ولا تزال مدارس الصولتية والفلاح والعلوم الشرعية ودار العلوم
وغيرها شاهدة على هذا الدور الإنساني النبيل النابع من عقيدة الإسلام
الصافية.

ولقد عملت الدولة السعودية السنية على احتضان هذه المؤسسات
وآزرتها بكل السبل والوسائل لتستمر في أداء رسالتها، كما عملت على
تحديث مناهجها العلمية والتربوية.

لقد أعطت حلقات العلم في الحرمين الشريفين لهؤلاء المجاورين
الشيء الكثير فحاولوا أن يبرهنوا على حبهم للعلم وأهله، فكان هذا
التبادل والتأثير في العطاء العلمي والمعرفي.

كما حاولنا في هذا البحث الإمام بشيء من دور المرأة في الحياة
العلمية والثقافية. فلقد كانت المرأة - التي كرمها الإسلام وصانها من
التبذل، وحفظ لها حقوقها في حياة كريمة وآمنة - حاضرة بقوة، وتمثل

هذا الحضور بنشرها العلم عن طريق الرواية وإنشاء ما عرف بالزوايا والكتاتيب العلمية التي تكتسب أهميتها من كونها جاءت في زمن تعرضت فيه الأمة لشيء من التخلف العلمي والحضاري، فعملت المرأة العاملة على مساندة الرجل في النهوض بالأمة علمياً وحضارياً وفكرياً، ثم تم التوسع في تعليم المرأة لتحتل مكانة علمية رفيعة في جميع التخصصات والميادين.

هذه توطئة لدراسة حاولت أن تلقي بعض الضوء على بعض المعطيات الثقافية الفكرية - والتي كانت عاملاً هاماً في نهضة الأمة علمياً وحضارياً - وصلة هذه المعطيات بالبيئات الأصلية للثقافة الإسلامية في الحرمين الشريفين، التي انطلقت منها أيضاً إشعاعات المعرفة لحواضر العالم الإسلامي والعربي، مما يؤكد على عمق الصلة بين مراكز الثقافة الإسلامية وتأتي هذه الدراسة في ثلاثة محاور:

الأول: يتحدث عن نماذج من حلقات العلم في الحرمين الشريفين ودورها الإصلاحية في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر هجرية.

الثاني: يتحدث عن المعطيات الثقافية والفكرية المرتبطة بهذه الحلقات العلمية.

الثالث: يتحدث عن دور المرأة في نشر العلم الشرعي بالمدينتين المقدستين.

وخاتمة تحاول إيجاز ما قامت عليه الدراسة من أسس وتعرضت له من محاور.

(١) حقبة القرن الثاني عشر الهجري

جال في خاطري الكتابة في موضوع هام وهو موضوع تعرضت له الندوة السنوية التي نظمتها وزارة الحج العام ١٤٢٣هـ تحت مسمى (مكة عاصمة للثقافة في العالم العربي والإسلامي) وهذا الموضوع يتمحور أساساً حول كتب الإسناد والمسلسلات العلمية التي اهتم بتدوينها العلماء.

وتتضمن هذه الوثائق العلمية الهامة ما يشير إلى تلك الصلات الوشيحة بين علماء العالم العربي والإسلامي، فهذه الكتب تؤكد أنه لم تكن يوماً قطيعة في الفكر، ولا جفاء في التعامل ولا انفراداً أحادياً في الرأي العلمي، فمن خلال تتبعي لمدة زمنية - تدخل ضمن اهتماماتي الفكرية والأدبية - لاحظت ظهور عالم كبير في المدينة المنورة في القرن الحادي عشر هجري - هو الشيخ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني (١٠٢٥ ت ١١٠٣هـ): (لاحظوا... كلمة كوراني... هذا إنسان مسلم، وعلى وجه التحقيق لم يكن عربياً)، ولقد تتلمذ الكوراني على أحد العلماء المجاورين - والذين كان لهم دور في نشر الثقافة الإسلامية - وهو الشيخ أحمد بن محمد بن صفى الدين الدجاني القشاشي المتوفى سنة (١٠٧١هـ - ١٦٦١م).

ويذكر الزركلي^(١) أنه كان يفتي في المذهبين المالكي والشافعي. وإلى زمن قريب كانت هناك منطقة تقوم في المدينة المنورة بين زقاق الطيار والسيح، والطريق إليها عن شارع المناخة المعروف، تحمل اسماً مأخوذاً من لقب هذا العالم وهو «القشاشي... وهذا فعل حضاري».

وقد درّس (الكوراني) بالمسجد النبوي وتلقى العلم عنه عدد كبير من

(١) الزركلي خير الدين: الأعلام، المجلد الأول، ط٧، بيروت، دار العلم للملايين، ص ٢٣٩.

أبناء الأمة الإسلامية - لأنه من أصحاب السند العالي والموثق في علم الحديث الشريف، ثم خلفه في الدرس العلمي ابنه الشيخ محمد أبو الطاهر الكوراني (١١٣٤ - ١١٩٦هـ) وقد أخذ العلم عن هذا الأخير العالم الإصلاحى المعروف - في شبه القارة الهندية - أحمد بن عبد الرحيم - المعروف بشاه ولي الله الدهلوي (١١١٤ - ١١٧٦هـ)، والذي خلف كتاباً هاماً في مفهوم الاختلاف بين العلماء ودوره في إثراء الفكر الإسلامى، وهو (الأنصاف في مسائل الخلاف)^(١) وفي الثبت الخاص لشاه ولي الله الدهلوي (الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد)، يروي عن أبي الطاهر الكوراني المدني، وعن محدث مكة المشهور سالم بن عبد الله البصري المتوفى ١١٣٤هـ ونجد، أي الدهلوي، قضى ما يقارب من سنتين في الحجاز (١١٤٣ - ١١٤٥هـ)^(٢).

ونتابع رحلة العلم فيبرز عالم آخر في القرن الثاني عشر الهجرى، وهو خريج مدرسة الحديث السابقة والتي من أعلامها أبو الطاهر الكوراني أبو الحسن بن عبد الهادي السندي... هذا العالم الحجة هو الشيخ محمد حياة السندي توفي في ٢٦ صفر ١١٦٣هـ، ولعله من المفيد أن أنقل شيئاً عن دور الشيخ السندي في تكوين الاتجاه الإصلاحى عند فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب وذلك عن أستاذ التاريخ المعروف الدكتور عبد الله العثيمين، يقول مؤرخنا: «أما محمد حياة السندي فكان حجة في الحديث وعلومه، وصاحب مؤلفات مشهورة في هذا الحقل، وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح بعضهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة في

(١) ولي الله الدهلوي، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ط ٣، دار النفائس.

(٢) الأعلام: ج ١، ص ١٤٩.

مناطق إسلامية متعددة»، ويؤكد الدكتور العثيمين أثر الشيخين محمد حياة السندي، وعبد الله بن يوسف الشمري وهذا الأخير من أهل المجمعنة وسكن المدينة ودرس بها، على الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) لا بالنسبة، لتحصيله العلمي فقط، وإنما بالنسبة لاتجاهه الإصلاحية^(١).

ويذكر الكتاني^(٢) أن الشيخ ابن عبد الوهاب أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصري، وتلاميذ تلاميذه كعلي الداغستاني وعبد اللطيف الأحسائي ومحمد العفالقني، وفي (الحطة) أنه أخذ عن عبد الله بن إبراهيم النجدي تلميذ الشيخ أبي المواهب الحنبلي مما يؤكد تعمق الشيخ محمد عبد الوهاب (رحمه الله) في علم الحديث والذي أخذه من رواه الثقات والمعتمدين في الحقبة التي عاش فيها.

ولقد كان للأثر العلمي والفكري لبيئة المسجد النبوي الشريف العلمية على هذه الشخصية، انعكاسات هامة نلاحظها في الرسالة التي دونها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) ودعاها بـ (الرسالة المدنية في بهاء الألوهية)، يؤكد فيها على الغاية التي خلق الله لها جميع عباده وهي عبادته وحده.

ولم يضق صدر الشيخ الداعية بآراء المخالفين له في بعض المسائل العلمية، فنجدته يتسلم رداً من الشيخ محمد أبي السعود الشرواني المدني، المتوفى: سنة (١٢٣٠ هـ - ١٨١٤ م). والغريب أن هذه الرسالة موجودة على صورة مخطوطات في مكتبة (جون ريلاندز بمدينة مانشستر

(١) د. عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره، دار العلوم - الرياض، ص ٣١ - ٣٢.

(٢) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات، معجم المعاجم والمشيوخ والمسلسلات، عناية: د. إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي بيروت، ص ٥١٤.

البريطانية)^(١) من يقرأ - بتمعن وفهم وعمق - رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) سواء تلك التي كتبها لأهل المدينة المنورة بعد، إقامته فيها متعلماً ودارساً، أو رسائله الإصلاحية الأخرى، ومنها رسالته البالغة الأهمية لأهل القصيم والتي يتبرأ فيها مما نسب إليه من أقوال لا تنفق في مضمونها مع الإجماع الشرعي وتوضيحه لمنهجه الوسطي والمعتدل في كثير من الأمور التي يقع فيها الاختلاف - وخصوصاً في تلك الحقبة الماضية - يقول في إحدى رسائله العلمية تلك: ثم لا يخفى عليكم أن رسالة سليمان بن سحمان قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افتري عليّ أموراً لم أفلها ولم يأت أكثرها على بالي فمنها: قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة وإني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وإني أدعي الاجتهاد وإني خارج عن التقليد، وإني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة، وإني أكفر من توسل بالصالحين وإني أكفر (البوصري) لقوله: يا أكرم الخلق، وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب. وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وإني أكفر من حلف بغير الله، وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي، وإني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين، وأسميه روض الشياطين، وجوابي عن هذه المسائل، أن أقول «سبحانك هذا بهتان عظيم» وقبله من بهت محمداً ﷺ، أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

Catalogue of the Arabic, Manuscripts In the, John Rylands Library, Manchester (١)

By A. Mingana, 1 D.D. 1934, PP. 115, 16.

يَا أَيُّهَا اللَّهُ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١﴾ (النحل: ١٠٥).

وتسري الروح الوسطية والمعتدلة والمنضبطة بشرع الله كذلك في رسائل ابنه العلامة الشيخ عبد الله بن محمد عبد الوهاب ومنها رسالته التي كتبها بعد دخول الإمام سعود (رحمه الله) مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ. جواباً لمن سأله عما يعتقدونه ويدينون الله به^(٢).

هذه الرسائل وغيرها توضح المنهج الحقيقي للدعوة الإصلاحية السلفية من انضباط شرعي وتسامح وسعة أفق، والبعد عن التسرع في الحكم على عقائد الآخرين أو سلوكياتهم، واحترام لاجتهاد العلماء السابقين من أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم، وتأدب مع مقام النبي ﷺ وصحابته وآل بيته - رضوان الله عليهم أجمعين - وهذه الروح التي تحدثنا عنها بالأدلة والبراهين العلمية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، أن الدعوة الإصلاحية في أصولها الحقيقية هي دعوة لاجتماع كلمة المسلمين وتقاربهم وتآلفهم وليس تلك الصورة المشوهة التي يحاول أعداء هذه الدعوة إلصاقها به، كما أن بعضاً من أصحاب الفهم القاصر والرؤية الأحادية والحرفية يسعى لإلصاق نفسه بهذه الدعوة الإصلاحية إلصاقاً بينما لا يمثل في حقيقة الأمر شيئاً من سلوكياتها وأدبياتها العلمية، ولهذا فالمسافة شاسعة بينهم وبين أصول ومبادئ أهل السلف.

(١) الرسالة الأولى من الرسائل الشخصية ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنشورة باهتمام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، القسم الخاص: ص ٢٣٧.

(٢) أحمد بن حجر بن حجر بن محمد آل طامي آل بن علي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، تقديم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ط ٢، ١٣٩٣هـ (ص ٧٠ - ٧٤).

(٢) حقبة القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري

إذا ما بلغت بنا الرحلة العلمية القرن الثالث عشر الهجري نجد أن العلم في الحرمين الشريفين ترتبط فيه العلوم الدينية بالعلوم الفكرية والأدبية والأمثلة على ذلك كثيرة.

ومن أبرز الشخصيات العلمية في هذا المنحى العلمي والفكري الهام الشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة المدني المتوفى سنة (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م) حيث يتحدث عنه الأديب والناقد السيد عبيد عبد الله مدني (رحمه الله) فيقول: «كان عبد الجليل برادة من أبرز أعلام المدينة المنورة علماً وأدباً ووجاهة، وازدوجت في شخصيته سمات من الفضائل متعددة الجوانب والشكول، ولم ينحجز صدى سمعته بين ساكني المدينة وحدها بل ولا في الحجاز - وحده - فقد تجاوزتهما إلى آفاق أبعد مدى فدوت في الأوساط الإسلامية وتردد ذكره في مجتمعات العلم وأندية الأدب، والشخصيات المبرزة لا تعرف معنى للإقليمية المحددة»^(١).

وبالرجوع إلى كتب الإثبات وأسفار الإسناد العلمي الموثق نجد أن قول السيد عبيد مدني بأن البرادة كان شخصية معروفة في جميع الأوساط الإسلامية هو قول غير مبالغ فيه، فهذا الشيخ عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني يذكره في مشائخه الذين تلقى عليهم حديث المسلسل بالأولية فيروي عنه قائلاً^(٢): «حدثني به أديب الحجاز الشاعر المفلق والمعمّر الشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة المدني سماعاً منه بمكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ».

(١) السيد عبيد عبد الله مدني، مقالة بعنوان الشيخ عبد الجليل برادة المدني، مجلة المنهل، عدد (مايو ويوليو عام ١٩٦٩م) ص ٣٥٧ - ٣٦٤.

(٢) عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والإثبات، معجم المعاجم والمشيوخ والمسلسلات، عناية: د. إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ج ١، ص ٨٨.

ولقد كان لبيئة المدينة المنورة العلمية وما تتميز به من خصائص حضارية أثره في احتضان المواهب العلمية المتميزة ودمجها في المجتمع - نفسه - بحيث تصبح جزءاً منه من ناحية، وكذلك قدرتها على تهيئة الأجواء الملائمة لبروز أسماء لامعة تجمع بين العلم الشرعي ومناحي الفكر والثقافة المتعددة.

ونستطيع أن نبرهن على ذلك من خلال شخصية الشاعر المجدد، رائد الشعر السياسي في جزيرة العرب، إبراهيم بن حسن بن حسين الأسكوبي المدني (١٢٦٤ - ١٣٣١هـ).

وقد دفع الشيخ الأسكوبي والذي كان فقيهاً حنيفياً، ضريبة انفتاحه على الأدب المعاصر في حقبة عرفت بشيء من التقليد والمحافظة، وعدم القدرة على الخروج من أسرهما، يقول الأستاذ المرحوم عبد القدوس الأنصاري عنه: «وليس الشيخ» من أولئك العلماء النظاميين الملتزمين إنه يعجبه البيان ممن كان وفي أي مكان فيُضْفِي عليه بُرودَ التَّقْدِيرِ والثناء، وقد ساعدته على هذا الخلق السَّمْح طبيعته الاجتماعية المتوثبة من فن إلى فن.

وعلى هذه الوتيرة امتدح الشيخ سليمان البستاني اللبناني العربي المسيحي صاحب «الإلياذة» و«دائرة المعارف» بمقطوعتين من أجود ما نظم، لأنهما عبرتا عن خلجات نفسه الحساسة والطروب لنغمات الأدب من أي قيثاره أرسلت^(١).

وكان عمل البستاني الذي اجتذب أنظار عالم المدينة المنورة وشاعرها «الأسكوبي» عملاً فكرياً وأديباً هاماً، بعد أن أشاح مُتَرَجِّمُ العصر العباسي عن ترجمة الإلياذة لـ «هوميروس»، لأسباب متعددة، فلقد قدم (البستاني)

(١) عبد القدوس الأنصاري: الشيخ العالم إبراهيم الأسكوبي، مجلة المنهل، رمضان وشوال،

في ترجمته بمقدمة نقدية أتت في مائتي صفحة، تناول فيها أهم مشاكل الأدب العربي بالنظر إلى الأدب العالمي والأدب اليوناني خاصة، وقد جاءت في ستة أقسام: (هوميروس) حياته وشعره، الإلياذة وموضوعها وصحة نسبها، (التعريب وأصله)، الإلياذة والشعر العربي، الملاحم، ملاحم الجاهليين العرب، ملاحم الإفرنج، فعل الحضارة وخاتمة تعبر عن نظرة إجمالية في مستقبل اللغة العربية وواجبات الشاعر إزاءها^(١).

وأجد أمثلة متعددة (أيضاً) في بيئة مكة المكرمة العلمية حيث يمتزج الإبداع العلمي بالفكري والأدبي، بعيداً عما شاهدناه في العصور المتأخرة من تجزئة ثقافية وهذه التجزئة هي غريبة وطارئة على الثقافة الإسلامية والعربية، فنحن نجد في ترجمة الشيخ خليفة النبھاني (١٣٠١ - ١٣٧٠هـ)^(٢)، بأنه إضافة إلى تخصصه في علوم الحديث والتاريخ، فهو باحث في علوم الجغرافيا (وهو ما يسمى بتخطيط المدن)، وكذلك علم الفلك الذي كان يدرس بالمسجد الحرام.

كما أننا نلاحظ أن تدريس المذاهب الإسلامية المتعمدة سمة حضارية أصلية في بيئة مكة المكرمة والمدينة المنورة العلميتين، فالمذهب الحنبلي كانت مرجعيته في آل حميد منذ القدم ولقد وجدت في بعض كتب الأسانيد المعتمدة، اسم الشيخ عبد الله بن حميد الشركي (مفتي الحنابلة بمكة)، ويبدو أن التشابه أو التماثل في أسماء الشخصيات العلمية أمر وارد، فلقد عرف الحرم المكي الشريف حلقة فضيلة الشيخ المجتهد عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حميد (١٣٢٩ - ١٤٠٢هـ)^(٣)، والد فضيلة

(١) سليمان البستاني: إلياذة هوميروس، ط٢، ١٩٦٦م بيروت، سلسلة الروائع، ص ٤٦.

(٢) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ط٢، ١٣٨٥هـ، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٣) من مؤلفات الشيخ ابن حميد: هداية الناسك إلى أهم المناسك... مطبوعات وزارة العدل، (ط٧، ١٣٩٨هـ).

الدكتور صالح بن حميد رئيس مجلس الشورى، إمام وخطيب المسجد الحرام، إلا أن المؤرخ عمر عبد الجبار يُوردُ ترجمةً لشخصية أخرى تحمِلُ نفسَ الاسم وهو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي بن عثمان بن حميد مُفتي الحنابلة بمكة (١٢٩٠ - ١٣٤٦هـ) ويذكر أنه وُلِدَ في القصيم، وقدم والده إلى مكة وأخذ العلم عن مشايخ مكة وعنيزة، وأنه تولى في عام ١٣٢٦هـ، الإفتاء وإمامة المقام الحنبلي فظل (رحمه الله) في منصب الإفتاء بجانب التدريس والإمامة إلى أول عهد الحكومة السعودية^(١).

ولقد كان المذهب الشافعي هو الأكثر انتشاراً في مكة المكرمة ومن أعلامه المشهورين الشيخ محمد سعيد اليماني (١٢٧٠ - ١٣٥٤هـ) وابنه الشيخ حسن والد السيد أحمد زكي يماني، وكذلك من أئمة الشيخ حسين ابن محمد حسين الحبشي العلوي.

ولا بد من الإشارة إلى أن السيد الفاضل أحمد بن حسين حبشي هو الذي أهداني مصورة للمخطوطة القيمة (الدليل المشير)^(٢)، وقد طبع هذا المخطوط، وقد اعتمدت في نقل هذه المعلومات من مصورة المخطوطة المذكورة.

ومن العلماء الذين اشتهروا بسعة علمهم الفقيه الشافعي الشيخ أحمد ناضرين (١٢٩٩ - ١٣٧٠هـ)، والسيد علي بن عثمان شطا (١٢٨٨ - ١٢٤٩هـ)^(٣).

(١) عمر عبد الجبار، سير وتراجم، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢) مخطوطة: الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبیب البشير، تأليف أحمد بن حسين بن محمد حسين الحبشي العلوي. وكذلك: فتح القوي في ذكر أسانيد حسين الحبشي العلوي، تخريج الشيخ عبد الله بن محمد غازي الهندي المكّي، ط ١، ١٤١٨هـ بعناية حفيده العميد متقاعد محمد بن أبي بكر بن أحمد بن حسن الحبشي.

(٣) الدليل المشير، ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

وقد أخذ السيد أحمد بن حسين الحبشي (رحمه الله) كثيراً من مروياته عن أحد أئمة الشافعية بالمدينة المنورة وهو السيد محمد زكي بن السيد أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين بن محمد الهادي بن حسن بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الرسول الحسيني الشافعي المدني (١٢٩٤ - ١٣٦٥هـ)^(١).

وكان هذا التعاطي والتبادل في العلم أمر شائع في دائرة الفكر الإسلامي الأصيل، وخاصة وأن السيد زكي برزنجي الذي تبوأ منصب إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة، جاور بمكة المكرمة وعينه الملك - آنذاك - الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) رئيساً للمحكمة الشرعية بمكة المكرمة، وظل بهذا المنصب القاضي حتى وفاته.

لكن شيوع المذهب الشافعي في بيئة مكة المكرمة العلمية لم يحل دون انتشار المذاهب الأخرى، وقد كان لوجود مدارس علمية متخصصة مثل (الصولتية) التي تأسست سنة ١٢٩٢هـ، و(الفلاح) التي أسسها المصلح محمد علي زينل في سنة ١٣٣٣هـ، أثر في نشر المذهب الحنفي والمالكي، فنجد في المذهب الحنفي مشائخ من أمثال الإمام عيسى بن محمد بن عيسى رؤّاس المكي الحنفي (١٢٩٢ - ١٣٦٥هـ) والشيخ محمد يحيى بن أمان عبد الله الكتبي الحنفي المولود بمكة المكرمة ١٣١٢هـ، والشيخ سالم بن عبد الحميد شفي المولود بمكة عام ١٣٠٦هـ وتوفي بها كذلك ١٣٧٣هـ، وممن أدركت في مطلع العمر من العلماء الأحناف بمكة فضيلة السيد محمد أمين كتبي، والشيخ محمد مِرْدَاد وغيرهما وبرزت أسماء عدة في مدرسة الفقه المالكي مثل: المشايخ: محمد علي المالكي (١٢٨٧ - ١٣٦٧هـ)، وجمال مالكي (١٢٨٥هـ - ١٣٤٩هـ)، ومُحدِّث

(١) مصورة مخطوطة الدليل البشير، ص ١٢٨ - ١٣٠.

الحرمين عمر حمدان المحرسي (١٢٩١ - ١٣٦٨هـ).

ومع أن الكتب والدراسات التي تعرضت لحياته العلمية في مكة والمدينة ومنها الدراسة المستفيضة التي نشرها عنه الزميل الفاضل الدكتور رضا محمد صفى الدين السنوسي^(١) تدعوه بـ (المحرسي) نسبة إلى مدينة محرس في تونس، إلا أن الباحث أحمد العيساوي من الجزائر يذكر أن نسبه هي المحرشي وليس المحرسي.

ومن المدرسة المالكية أيضاً الشيخ محمد العربي التباني (١٣١٥ - ١٣٩٠هـ) وهو من العلماء الذين أكرمهم الله بالإقامة في الحرمين المكي والمدني، فهو يذكر في الترجمة التي كتبها بخط يده (وزودني بمصورتها فضيلة الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، أنه وصل قادماً من تونس إلى المدينة سنة ١٣٣٢هـ)، ومن مشائخه فيها محمد بن خيرات الشنقيطي، والعلامة المعروف عبد العزيز الوزير التونسي.

وممن أدركت من أعلام المدرسة المالكية: فضيلة الشيخ حسن بن محمد المشاط (١٣١٧ - ١٣٩٩هـ) وفضيلة السيد علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي المتوفى سنة ١٣٩١هـ، وابنه المحدث فضيلة السيد محمد علوي المالكي وكذلك فضيلة شيخنا محمد نور سيف بن هلال والذي قرأت عليه في الحرم المدني سنة ١٣٩١هـ كتاب رياض الصالحين، ثم في مكة وفي حلقة المعروفة باب العمرة.

ولقد حفل الحرم المكي بشخصيات علمية مهمة من أمثال المشائخ: محمد بن مانع، ومحمد ياسين الفاداني وعبد الرزاق حمزة وعبد المهيمن وعبد الظاهر أبو السمح وزكريا بيلا، وعبد الله الخليلي وعبد الله اللحجي

(١) مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثالث، شوال وذو الحجة ١٤٢٣هـ، ص

وإسماعيل الزين عبد الفتاح راوه وعبد الله البسام وصالح بللو وعبد الله خياط ومحمد الشعلان.

دور المرأة في نشر العلم الشرعي بالمدينتين المقدستين

كان دور المرأة في نشر العلم الشرعي، وضمن إطار الالتزام بأحكام الشريعة، بارزاً في الحياة العلمية بالمدينتين المقدستين. ولقد ورد في مختصر كتاب (نشر النور والزهر) أسماء ما يقرب من عشرين امرأة متخصصة في علوم شتى. وفي (فهرست الشيوخ والأسانيد) للسيد علوي بن عباس مالكي، نجد أن الشيخة أمة الله الدهلوية (١٢٥١ - ١٣٥٧هـ)، (وكانت تسمى مُسِنَّدَة المدينة المنورة) هي ممن يروى عنها هذا العالم المعروف. ويذكر فضيلة السيد محمد علوي المالكي الحسني أن والده (أي السيد علوي) أخبره بأنه ذهب إليها بصحبة شيخه عمر حمدان المحرسي في المدينة المنورة مع وفد من العلماء فأجازتهم وحدثتهم، وتلقوا عنها بعض الأحاديث المسلسلة بشروطها.

وممن روى عنها: شيخنا حسن المشاط، والمشائخ إبراهيم الختني المدني، والسيد أحمد بن صديق الغماري، والشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ محمد خليل طيبة المكي، والشيخ محمد الحافظ التيجاني المصري والسيد محسن المساوي العلوي المكي.

وقد عرفت هذه الصفوة من العلماء بتمسكها الشديد بالشريعة وأحكامها، إلا أن هذا لم يمنعهم (وضمن إطار الضوابط الدينية والأخلاقية) من أخذ العلم من هذه الشيخة الدهلوية المدينة والتي فرضت نفسها على البيئة العلمية.

سعت النساء من أهل العلم في الحقبة الماضية، لمشاركة الرجال في

إقامة دور العلم والمعرفة فهذه المحسنة والعالمة (صولة النساء) تشتري أرضاً بالخندريسة بحارة الباب بمكة المكرمة وتُوقفها لبناء المدرسة التي عُرفت باسم المدرسة (الصُولتية).

وفي أثناء حصار المدينة المنورة في حقبة الحاكم العسكري فخري باشا (الذي هَجَّر أهل المدينة وتسبَّب في إيدائهم) عملت حفيدة شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بن إبراهيم عصمت الحسيني المولود (١٢٠٠ هـ - ١٧٨٦م) والمتوفى سنة (١٢٧٢هـ أو سنة ١٢٧٥هـ)^(١) على الحفاظ على المكتبة التي تحتوي على أكثر من خمسة آلاف مخطوطة مهمة ونادرة.

وعندما طلب منها القائد فخري بأن تمنحه إذناً بنقل المكتبة إلى تركيا (حيث عمل على نقل كثير من النفائس الموجودة بالحرم النبوي الشريف في أثناء رحيله عنها بالقوة) إلا أن الحفيدة وفاءً لعمل جدها الذي أوقف المكتبة على العلم وأهله في المدينة، وحرصاً منها على عدم ضياع هذه الثروة العلمية رفضت طلب فخري والذي كان معروفاً بغلظته وشدته^(٢).

ويفيض الشيخ عبد الحي الكتاني في الحديث عن عارف حكمت، فيقول: هذا الرجل هو أعلم علماء الأستانة في القرن المنصرم، وكان له

(١) شهاب الدين الثناء محمود بن عبد الله الألوسي، عارف حكمت، حياته ومآثره، تحقيق د. محمد العيد الخطراوي، ط ١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) سلسلة دراسات حول المدينة.

(٢) لمزيد من المعلومات عن هذه المكتبة التي تعتبر من المكتبات الكبرى ذات القيمة التراثية في العالم لكونها تضم بين جنباتها عدداً من المخطوطات النادرة في شتى العلوم والفنون، وتزخر بالحجم من تراث العربية والإسلام في الفارسية والتركية والعربية والتي تزيد مخطوطاتها عن خمسة آلاف مخطوط، يمكن الرجوع إلى:

د. عبد الرحمن بن سليمان المزيني، مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر، ط ١، (١٤٠٢هـ - ١٩٩٩م)، ص ٧٢ - ٨١ وانظر كذلك الأعلام، ج ٢١، ص ١٤١.

بعلماء العرب ارتباط كبير واتصال عظيم، وكان له بالرواية اعتناء باهظ، واستجاز من دونه في المراتب الدولية ولو بالمكاتبة^(١).

وفي العصر الحديث وعندما تعرضت الأمة - بسبب حقبة التتريك - وما تلاها من الحقبة الاستعمارية - وكاد يتلاشى دور المرأة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين، نجد أن المرأة تقوم بدور رائد من هذه الكتابات. وأشير هنا إلى أنموذج واحد من هذه الكتابات التي انتشرت في الجزيرة العربية بعامة - وأرض الحرمين الشريفين خاصة، إنه كتاب المُعلِّمة زينب حسن مغربل ت: ١٤٢٠هـ.

وقد قامت ولم تتجاوز العقد الثاني من عمرها، بافتتاح كتاب يحمل اسم (مدرسة الفوز والنجاح) وذلك في سنة ١٣٦٢هـ. وكان موقع المدرسة - أو كتاب (مغربية)، كما يعرفه أهل المدينة المنورة - في حي العنبرية قرب دكة الترجمان مقابل مبنى إدارة المالية سابقاً.

وقد أدركت هذا الكتاب مع نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات الهجرية. وفي هذا الكتاب كان يتم تدريس القرآن الكريم والتوحيد والفقه والمطالعة والحساب، وبعض الأشغال اليدوية. وبلغ عدد تلميذاتها في إحدى السنوات مائة تلميذة، إلا أنه تجب الإشارة إلى أن المعلمة مغربية هي خريجة كتاب الخوجة (فخرية هانم وفاطمة هانم) وكان موقعه في حي (الشونة) المؤدي إلى الحرم النبوي الشريف.

وعندما رغبت المعلمة (فخرية) في الانتقال إلى مكة المكرمة وافتتاح كتاب لتعليم المرأة في البلد الحرام سنة ١٣٦٠هـ، قررت الطالبة المتفوقة آنذاك حمل الرسالة وافتتاح الكتاب الخاص بها، والذي ظل مستمراً في أداء رسالته العلمية حتى عام ١٣٨٢هـ.

(١) فهرس الفهارس، ج ٢، ص ٧٢٢ - ٧٢٣.

ومعلوم أن التعليم الرسمي بدأ في بلادنا سنة ١٣٨٠هـ وبعد صدور مرسوم ملكي في عام ١٣٧٩هـ، كما يشير إلى ذلك الدكتور علي بن مرشد المرشد الرئيس العام لتعليم البنات (سابقاً) والذي اعترف في كتاب له صدر في سلسلة كتيبات المجلة العربية بدور الكتاتيب في تعليم المرأة حيث قال: (ومن خلال ذلك البحث الذي قامت به الرئاسة وجد أن هناك عدداً لا بأس به من الكتاتيب النسائية افتتحت قبل التعليم الرسمي للبنات)^(١)، ودعا الدكتور المرشد إلى توضيح دور هذه الكتاتيب في تعليم المرأة وتثقيفها قائلاً: «ولعلّه يحسن بالباحثين في كل مناطق المملكة للاطلاع على هذه المعلومات ورصدها، استكمالاً للصورة الحقيقية لتعليم المرأة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى بداية التعليم الرسمي للبنات حيث إن كل من كتب عن تعليم البنات سواءً أكانت أبحاثاً أكاديمية، أم مؤلفات خاصة لم يتطرق لتلك الصورة المشرفة لجهد المرأة المتعلمة في تلك الحقبة من تاريخ بلادنا»^(٢).

ولقد زودتني ابنتها المدرّسة سميرة طه مغربل بترجمة مختصرة عن حياة والدتها، وذكرت أنها استمرت في العمل التربوي حتى عام ١٤٠٥هـ، مما يعني أن مسيرتها الرائدة في نشر العلم بالمدينة تجاوزت نصف قرن من الزمن. ويبدو أن الترجمة من إعداد والدتها في حياتها وهي مُدَيِّلة باسمها «زينب حسن مغربل».

(١) المجلة العربية، العدد السادس والعشرون، صفر ١٤٢٠هـ، يونيو ١٩٩٩م.

(٢) عن كتاب المعلمة مغربلية: انظر عاصم حمدان، صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة، الشركة السعودية للتوزيع، ١٤٢٠هـ، ص ٢٦٩ - ٢٧٦.

الخصائص والمعطيات الثقافية والفكرية والأدبية

ويمكن استخلاص الخصائص والمعطيات الثقافية والفكرية مما ذكرناه عن العلماء في الحرمين الشريفين والدراسة الموجزة عن حياتهم العلمية وفقاً لما يلي:

أولاً: الأفق العلمي الواسع الذي كان يتمتع به العلماء. فتجد العالم أو طالب الدرس يأخذ من جميع المدارس الفقهية، ولا يلتزم حرفياً بالمذهب الذي ينتمي إليه. وهذا محدث الحرمين الشيخ عمر حمدان يُخَالِفُ مُعَاَصِرِيهِ من علماء المذهب المالكي وخصوصاً في مسألة الإسبال في الصلاة، وقد أخبرني بهذا شخصياً مقرؤه السيد عقيل حمدي (رحمه الله).

ثانياً: الانتماء إلى الإسلام كهوية حقيقية للعالم أو طالب العلم، فهذا الشيخ عبد الله مرداد، يورد في كتابه أسماء شخصيات علمية لا تجد بأساً ولا حرجاً من ذكر المواطن التي قدمت منها رغم إقامتها الطويلة بمكة، مثل: يوسف البلقيني ويوسف البنقالي ويوسف الجبرتي ويونس الصعيدي، ثم يضاف بعد هذه النسبة عبارة المكي أو المدني وذلك تشرفاً بالإقامة في أرض الحرمين الشريفين.

ثالثاً: تقدير العلماء بعضهم بعضاً بصورة تنم عن الأدب الرفيع والسلوك الإسلامي الرائع الذي يأتي تجسيده حقيقة من خلال الإيمان بأن اختلاف العلماء في كثير من فروع الشريعة الإسلامية هو أمر طبيعي ولا يستدعي بالضرورة أي شكل من أشكال التعصب المقيت، والانحياز للرأي الشخصي دون سواه. فلقد كان مشائخنا من أمثال: السيد حسن المشاط والسيد علوي المالكي، والذين ينتمون للمدرسة المالكية في الفقه إذا ما قاموا بزيارة لدور العلماء والمنتمين للمدرسة الشافعية كالسادة آل

البار مثلاً، حيث تنعقد حلقات علمية خاصة في علم الحديث الشريف أو يقومون كذلك في دورهم تلك بإعطاء دروس في الفقه الشافعي، فإنهم يسعون لتقدير الفهم الشرعي لمضيفيهم. ونضرب مثلاً على ذلك بدعاء القنوت الذي يؤديه أتباع المدرسة الشافعية في صلاة الصبح، فإذا ما دُعِيَ عَالَمٌ من علماء المدرسة المالكية للإمامة بالناس هناك فإنه يسلك مسلك المدرسة الشافعية في هذا الباب تقديراً واحتراماً لنظرائهم وورصفائهم من أهل العلم.

ومما أرويه في هذا الباب أن شيخنا العلامة الفقيه المالكي السيد حسن ابن محمد المشاط (١٣١٧ - ١٣٩٩هـ) كان إذا كتب إلى فضيلة الشيخ والفقيه الحنبلي عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء «سابقاً» (١٣٢٩ - ١٤٠٢) مزكياً أَحَدَ طلبة العلم فإن الشيخ ابن حميد (رحمه الله) يعتبر تلك التزكية شهادةً موثقةً ومُعْتَمَدةً. ولقد كتب إليه كما أعلم بشأن أحد طلابه وهو المرحوم إدريس بن عبد الله كنو وكان ملازماً له في آخر حياته، والذي كان يتطلع لأداء المهنة الشريفة في الحرم المكي وهو الأذان. ومعلوم أن لهذه المهنة ضوابطها الخاصة بها، فحقق الشيخ ابن حميد رغبة المرحوم «إدريس»، وظل يرفع الأذان من الحرم المكي الشريف حتى أخريات حياته.

وحدثني فضيلة الشيخ محمد بن سبيل «إمام وخطيب الحرم المكي» بأن فضيلة شيخ القراء بالمدينة المنورة حسن بن إبراهيم الشاعر (١٢٩١ - ١٤٠٠هـ) قدم إلى مكة المكرمة في أواخر الثمانينيات الهجرية للعمرة وكان برفقته معالي الشيخ صالح قزاز الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي (الأسبق)، وصلى صلاة العشاء - وصلى الشيخ الشاعر - خلف الشيخ ابن سبيل - حتى إذا ما انتهت الصلاة سعى إلى الشيخ ابن سبيل وقال له: لقد

أجدت في قراءتك، فعلق الشيخ القزاز قائلاً: هذه شهادة لك يا شيخ محمد. والمثال الرائع في هذه القصة التي رواها الشيخ ابن سبيل على مسمعي في داره، هو سرور فضيلة الشيخ الشاعر بترتيل القرآن من إمام الحرم المكي وثناؤه عليه، وافتخار الشيخ السبيل بهذه الشهادة العلمية.

ومعلوم أن عدداً من أئمة الحرم النبوي الشريف وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله (١٣٢٨ - ١٤١٥هـ) والشيخ إبراهيم الأخضر، وغيرهم قد حفظوا كتاب الله على يد هذا العالم الذي كانت تشد الرحال من جميع أنحاء العالم الإسلامي لأخذ علوم القرآن وأحكام التجويد عليه. وقد طبع كتاب الشيخ الشاعر (أحكام تجويد القرآن) عام (١٣٢٩هـ - ١٩١١م) في المطبعة العلمية بالمدينة المنورة^(١).

رابعاً: جذبت الأجواء العلمية للحرمين الشريفين، المعروفة بقوتها وزخمها وانفتاحها على جميع مدارس الفكر الإسلامي، عدداً من العلماء الذين قدموا للاستزادة من العلم الذي كانت تتمتع به شخصيات علمائها. فنحن نجد أن الشيخ محمد رَحْمَهُ اللهُ (١٢٩١ - ١٣٠٨هـ)، والذي اشتهر بمناظرته لرئيس البعثة التبشيرية بالهند واسمه فدرين وانتصر عليه في تلك المناظرة. وعند وقوع الهند تحت الاستعمار الإنجليزي، ثار الشيخ رَحْمَهُ اللهُ على هذه القوة البريطانية الغاشمة فصادر الاستعمار ممتلكاته فهاجر إلى مكة عام ١٨٥٧م، وحصل عند وصوله إليها على إجازة للتدريس في المسجد الحرام. ويذكر أن من تلاميذه الشريف حسين بن علي (أمير مكة) سابقاً، وعبد الله سراج قاضي القضاء وعبد الرحمن دهان شيخ العلماء وغيرهم وعندما أبدت السيدة العظيمة المجاورة (صولت النساء)

(١) أ. د. عباس صالح طاشكندي، الطباعة في المملكة العربية السعودية، الرياض ١٤١٩هـ،

رغبتها في فعل أمر خيري بمكة المكرمة، أخبرها الشيخ بأنه لا ينقص مكة سوى مدرسة تعنى بتعليم أبناء المسلمين، فعهدت إليه إنشاء المدرسة فاشترى رحمه الله قطعة أرض بحارة الباب وبُنيت عليها المدرسة التي حملت اسم تلك المرأة الجلييلة، وهي (الصَّولتية) والتي كانت بدايتها العلمية سنة ١٢٩٢م، وما زالت مستمرة في أداء رسالتها العلمية بالبلد الحرام^(١).

ويصف المستشرق الهولندي (سنوك) (١٨٥٧ - ١٩٣٦م) الشيخ رحمه الله على خلفية كتابه (إظهار الحق) Izhar Alhag^(٢) بأن المؤلف مُعَادٍ للنصرانية مما يُعزِّز الشكوك حول شخصية (سنوك) وتوجّهاته العقائدية والسياسية. ويضيف سنوك بأن مؤلف هذه المناظر التي انتصر من خلالها علمياً مُحاوره (فدرين) يعيشُ في المَنفى، ويصعب تصور انطباق هذا الوصف على الشيخ رحمه الله، فهو يعيش بعد خروجه من الهند في عاصمة الإسلام، ولا يختلف أحد من وجهة الرؤية الإسلامية الحقيقية بأن مكة المكرمة هي بلد الله وحرمة الذي يحتضن المسلمين من جميع بلاد الدنيا بقطع النظر عن أجناسهم وألوانهم، ولكن سنوك في الوقت نفسه يقرّ بأن الشيخ رحمه الله واحدٌ من رجال العلم الذين كَرَّسُوا حياتهم لخدمة

(١) تعليقات المترجم على كتاب المستشرق: ك. سنوك هورقرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ترجمة محمود السرياني، ومعرّاج مرزا، ومراجعة: محمد إبراهيم علي، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ج٢، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) ومما يدل على ميل الشيخ رحمه الله للأسلوب العلمي في مناقشة القضايا الدينية: كتابه (التنبيهات) في إثبات الاجتياح إلى البعث والحشر، وقد قام بالتحقيق والتعليق على هذا الكتاب المهم الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار - عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر سابقاً، وطبع في مطابع السعادة بمصر، كما عني الشيخ محمد أبو زهرة عناية كبيرة بمؤلفات الشيخ رحمه الله في المناظرة في كتابه المعروف «محاضرات في النصرانية».

الهدف أو الغاية العلمية لذاتها المجردة وبالتالي فهو لا يتقاضى أجراً على الدروس العلمية التي يتلقاها طلاب العلم في داره الخاصة مشيراً إلى وجود نظراء له يتلقون مساعدات أو عائدات مالية من مؤسسات مدنية .

ولقد كتبت النسخة الأصلية من هذا الكتاب (مكة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي) باللغة الألمانية في مجلدين كبيرين وقد طبع في مدينة لاهاي (١٨٨٨ - ١٨٨٩م) والنسخة التي بين يدي باللغة الإنجليزية وقام بترجمتها القنصل السابق في جدة J. H. Monahan وهي تمثل كما يذكر المترجم الجزء الثاني من الكتاب ويعزو هذا التوجه نحو ترجمة هذا الجزء لاحتوائه معلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية والعادات الخاصة بالمجتمع المكي، من حيث الموضوعات المتصلة بالعائلة والزواج، والوفاة كما يشير المترجم إلى أن المؤلف (سنوك) راجع الترجمة الإنجليزية الصادرة كما أشرنا عام ١٩٣١م ويذكر عمر عبد الجبار^(١):

«إن السلطان العثماني عبد الحميد استدعى الشيخ رحمه الله إلى استانبول سنة ١٣٠٤هـ، وأكرمه لجهاده ضد الاستعمار الإنجليزي في شبه القارة الهندية وطلب منه ترجمة مناظرته (إظهار الحق)، فتمت طباعتها وترجمت إلى عدة لغات وتراجم^(٢) .

كما يشير د. عبد الرحمن صالح عبد الله: نقلاً عن عمر عبد الجبار أيضاً «ولما تخرّج الفوج الأول من علماء الصولتية زادت حلقات الدروس

(١) C. snouck Hurgroner, Mekka in, The Latter Part of the 19 Century Translated (١) By j. h. Monahan Leyden, London, 1931, P173.

(٢) سير وتراجم، ص ١٢١ - ١٢٧ ويذكر Monahan مترجم كتاب المستشرق (سنوك) بأن هناك عدة نسخ مطبوعة من الكتاب المعروف باسم «إظهار الحق»، كما أن هناك ترجمة فرنسية للكتاب نفسه قام بها Mansu Carletti.

بالمسجد الحرام، إذ عقد المتخرجون حلقاتهم في كل حصوة ورواق^(١). وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من الدور العلمي الكبير الذي أدته المؤسسات العلمية التي أنشأها خيرة المجاورين في الحرمين الشريفين، ومن أشهر هذه المؤسسات: الصولتية والفلاح والعلوم الشرعية بالمدينة المنورة والتي أسسها المرحوم السيد أحمد الفيض آبادي سنة ١٣٤٠هـ.

ومن الشخصيات العلمية البارزة التي استقرت لفترة في بلاد الحرمين الشريفين، شخصية العالم اللغوي والأديب محمد بن محمود بن أحمد بن محمد التركي الشنقيطي والمتوفى في مصر سنة (١٣٢٢هـ - ١٩٠٤هـ) فبعد أن قدم إلى مكة المكرمة مجاوراً، انتقل إلى المدينة المنورة ولهذا فهو ينعت نفسه بالشنقيطي المدني المكي، وفي ذلك تأكيد لما ذهبنا إليه خلال هذا البحث من تمكن الهوية الإسلامية والعربية عند أهل العلم وانتفاء الشعور السلبي عند ذكر البلد الذي ينتسب إليه الإنسان أصلاً، ثم ذكر الأمكنة التي استقر فيها طالباً للعلم أو مخالطاً لأهلها ومجاوراً لسكنها.

وعند إقامته بالمدينة المنورة اختلف مع بعض علمائها مثل السيد أحمد البرزنجي المتوفى (١٣٣٧ - ١٩١٩م)، وكان الخلاف حول ما تضمنته رسالة السيد البرزنجي الموسومة: (إصابة الداوي، شاكلة إعراب إن لم يجد إلا هي) وعبارة (إن لم يجد إلا هي) وردت في كتاب الموطأ للإمام مالك - إمام دار الهجرة - وفي باب النذور بالتحديد، حيث قال إمام دار الهجرة: «فمن نذر المشي فليمش ما قدر عليه ثم ليركب وعليه هدى بدنه أو بقرة أو شاة إن لم يجد إلا هي»، فعلق الفقيه المالكي أحمد بن محمد العربي زروق على هذه العبارة الأخيرة من ناحية لغوية صرفية بقوله:

(١) د. عبد الرحمن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ط ١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م)

«حيث إن مقتضى القوانين العربية أن يقال: إلا إياها، إذ الضمير مفعول إليه الفعل المتعدي وهو (يجد)، وهذا الخدش واضح التعليق بعبارة الإمام وهو رضي الله عنه، وإن لم يكن من أرباب السليقة العربية الذين يلتزمون في كلامهم عدم الحيادة عن قوانينها بل إن مالك بن أنس من الأئمة الذين يحتج بأقوالهم دون استعمالهم، لكن حمل كلام مثله على موافقة قواعد اللسان واجب ما أمكن».

ويبدو أن السيد البرزنجي، دفعاً لتهمة التقليل من شأن الإمام مالك، دفع بالسؤال إلى أحد علماء المذهب في عصره الذين قدموا للمدينة المنورة، وهو الشيخ زروق، وهذا الأخير بدوره أرسل إلى شيخه سالم بوحاجب التونسي ليسأله عن هذا الإشكال اللغوي والذي كشف السيد البرزنجي أن أول من أثار الكلام حوله هو أحد العلماء المجاورين بالمدينة المنورة «الشيخ السيد حبيب الرحمن ابن السيد علي اللكنوي، الموسوي نسباً، المدني مهاجراً».

ولهذا نجد أن حكمة السيد البرزنجي تدفعه لأن يورد في رسالة موجزة من تأليفه تناقش هذه القضية رأي علماء المالكية أولاً من أمثال الشيخ زروق وشيخه بوحاجب التونسي، ثم يورد رأيه في الموضوع نفسه في الرسالة التي تضمنت مختلف الآراء والتي أسماها (إصابة الداهي شاكلة إعراب إن لم يجد إلا هي) ولقد طُبِعَت الرُّسالة والتي أحتفظُ بنسخة منها بالمطبعة الرسمية التونسية سنة ١٣٠٩هـ. ونجد في الترجمة التي كتبها الزركلي للسيد برزنجي يورد اسم الرسالة مختلفاً كالتالي: (إصابة الدواهي في إعراب إلهي)^(١).

وإذا كان الشيخ التركي مثل بقية علماء شنقيط مالكي المذهب وكانت

له صلاته بالسلطان العثماني (عبد الحميد)، وأن السيد البرزنجي كان شافعي المذهب، بل إنه كما ورد في ترجمته عند الزركلي قد تولى منصب إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة، كما أنه انتخب نائباً عن البلدة الطاهرة في مجلس النواب العثماني بإسطنبول.

إذا أخذنا جميع هذه الحثيات، سهل علينا تفهم دواعي تلك الحملة التي قادها التركي ضد البرزنجي ورصيفه الشيخ عبد الجليل برادة وحمّلَ حملاً عنيفاً كذلك على منتداهم الأدبي في بستان الأبارية البرادية والذي كان يقوم قرب باب بقيع الغرقد بالمدينة المنورة، مدعياً في حماسته أنهم تجرأوا على تلحين الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) وذهب إلى حد بعيد في التعرض بغير وجه حق لنسب آل البرزنجي^(١).

نتج هذا التعاطي مع هذه القضايا، التي تدخل في باب الشكليات ولا تمس جوهر العلم أو تتعرض للمقدس من أمور الشريعة^(٢)، دفع علماء المدينة للرد على الشيخ التركي، فكتب السيد البرزنجي رسالة سماها (فتكة البراض بالتركي المعترض على عياض) لأن التركي في الوقت الذي دافع فيه عن الإمام مالك، خطأ أحد أعلام المذهب المالكي صاحب كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) وهو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي^(٣)، ولد بسبته سنة ٤٩٦هـ،

(١) محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي: الحماسة السنوية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركية، مطبعة الموسوعات بالقاهرة، ١٣١٩هـ، القسم الثاني، ص ٣.

(٢) بينما يرى المؤرخ المعروف السيد أمين بن عبد الله مدني في مثل هذه المناظرات حرص مدرسة المدينة على قواعد اللغة العربية في أحرص ظروفها. انظر: أمين مدني، الثقافة الإسلامية وحواضرها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م، ص ١٣٩.

(٣) لمزيد عن هذه الشخصية العلمية انظر: القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

وتوفي بمراكش ٥٤٤هـ وجاء رد المركزي في شكل قصيدة حادة سماها:
(فتكة المركزي الناظم بالبرزنجي المدعي نسبةً مُزوّرة إلى مُوسَى الكاظم)
والقصيدة التي تجاوزت المائة من الأبيات الشعرية مُثبتة في كتاب
التركزي الذي أشرنا إليه (الحماسة السنية الكاملة المزينة) القسم الثاني،
١٣ - ٢١.

ومن المآخذ على الشيخ التركي تعرضه لأنساب الأسر المدنية وكان
بإمكانه وهو صاحب فقه ودراية بمقتضيات الشريعة، ألا يقحم النسب في
قضايا علمية أُشبعَتْ بَحْثًا، ولكن يبدو أن خلاف العلماء يتجاوز أحياناً
الحد المطلوب من الانضباط الخلقي ويدخل في متاهات تجر على
أطرافها الكثير من العنت والمشقة. ولهذا الخلاف الحاد الذي وقع بين
التركزي من جهة وعلماء المدينة (البرزنجي والبرادة) من جهة أخرى
طلبت الحكومة التركية من التركي مغادرة المدينة. فرحل إلى مصر
واتصل بالعالم المعروف (آنذاك) الإمام الشيخ محمد عبده. ولقد وجد
التركزي في أحد علماء المدينة المنورة (آنذاك) وهو أمين بن حسن
الحلواني المدني المتوفى (١٣١٦ هـ - ١٨٦٨ م) معاضداً مؤازراً
وخصوصاً أن (الحلواني) اختلف هو الآخر مع بعض علماء المدينة
المنورة في تلك الحقبة وذلك بعد تأليفه في سنة (١٢٩٢ هـ -
١٨٧٥ م)، رسالة ينكر فيها صحة المخلفات النبوية. كما أصدر سنة
١٤١٢ هـ رسالة تحت عنوان (السيول المغرقة على الصواعق المحرقة)^(١)،
ويذكر محب الدين الخطيب أن الكتاب رد على السيد أحمد أسعد

(١) عاصم حمدان، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، القسم
الأول، ص ٦٧.

المدني وهو من المنتمين إلى طريقة الشيخ أبي الهدي الصيادي، ولكن الرسالة المذكورة لم تحمل اسم الحلواني بل اسماً مستعاراً وهو عبد الباسط المنوفي^(١).

ويشير المستشرق «سنوك» Snouck^(٢) إلى توجه الحلواني المخالف للتوجهات الدينية السائدة آنذاك، ولكنه (أي سنوك) يورد وجهة النظر المختلفة الأخرى والتي جاءت على لسان أصدقاء الشيخ مظهر المدني، بأن كتابته ضد المخلفات النبوية هو نتيجة لعامل الحسد الذي يلاقه الشيخ مظهر من أمين الحلواني:

ولقد كان لنزوح التركي والحلواني أثره على حياتهما العلمية، فلقد أقاما علاقة مع المستشرق السويدي الكونت (كارلو لاندبرج) Carlolandberg (١٨٤٨ - ١٩٢٤م)، والذي تخصص في دراسة لهجات جنوب الجزيرة العربية^(٣).

وكان لاندبرج يشغل أيضاً منصباً رسمياً، وهو سفير السويد والنرويج لدى مصر فقدمت دعوة من ملك السويد والنرويج (أسكار الثاني) عن طريق السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، للشيخ محمود التركي لحضور مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في مدينة استكهولم، وكلف (لاندبرج) بالإشراف على متطلبات الرحلة. ولكن التركي اشترط شروطاً عدة يجب تنفيذها من قبل الدولة العثمانية حتى يوافق على السفر، ولكن عدم قدرة

(١) عثمان بن سند البصري الوائلي، مطالع السعود بأخبار الوالي داود، اختصار أمين بن حسن المدني، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة، ١٣٧١هـ المقدمة.

(٢) Mekka, In the, Latter, Part of the 19, Century, Note, p, 289.

(٣) د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط١، ١٩٨٤، بيروت، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

الدولة العثمانية على تحقيق بعض الشروط حال (كما يبدو) دون حضور المركزي ذلك المؤتمر، ولكن حماسته نتجت منها قصيدة يمدح فيها ملك السويد (أسكار الثاني)، ويشيد بحبه للعلم بحسب طلب السفير (لاندرج) وقد بلغت أبيات القصيدة حوالي مائتي بيت على نسق الشعر العربي القديم^(١).

ويبدو أن (لاندرج) شجع الحلواني للسفر إلى ليدن سنة (١٣٠١هـ - ١٨٨٣م)، وكان بصحبة الحلواني مجموعة مهمة من المخطوطات يبلغ عددها (٦٦٤) مخطوطة، فابتاعها منه مكتبة ليدن الغنية بنفائس مخطوطاتها العربية^(٢). ويذكر الباحث المتخصص في شؤون الاستشراق قاسم السامرائي أن جامعة برنستون بأمريكا اشترت قسماً من هذه المخطوطات^(٣).

وأثمرت العلاقة العلمية بين الحلواني ولاندرج، بأن قام الآخر بوضع فهرس للمخطوطات التي جلبها الحلواني من المدينة المنورة عن طريق مصر إلى ليدن، وكتب مقدمة له. وتحتوي مكتبة جون رايلاندز بجامعة مانشستر John, Rylands, Library of Manchester على نسخة من هذا الفهرست. والذي استطعت بمساعدة بعض الزملاء في جامعة مانشستر في أثناء دراستي بها (١٩٨٢ - ١٩٨٦م). بالحصول على نسخة من هذا الفهرس الذي صنف باللغة الفرنسية ويحمل اسم Catalogue De Manuscrits Arabes. Provenant Dune Bibliotheque Privee Ael Medina Redige, Par, Carlo Landberg Leide E. J. brill1883.

(١) الحماسة السنية الكاملة المزية، القسم الأول، ص ٦ - ١٧.

(٢) المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ط ١، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، ص ٥٥.

(٣) د. قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، منشورات دار الرفاعي (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص ١١١.

«فهرس مخطوطات عربية مأخوذة عن مكتبة خاصة بالمدينة». ثم عملت ترجمته بها من لغته الأصلية الفرنسية - التي كتب بها الفهرست - إلى اللغة الإنجليزية.

استطاع الحلواني أن يقيم في رحلته تلك لمؤتمر المستشرقين علاقة أيضاً مع المستشرق الهولندي «سنوك هورقرونيه» والذي قام هو الآخر برحلة معاكسة إلى مكة المكرمة في شهر فبراير عام ١٨٨٥م، ودوّن خلال رحلته الشهيرة تلك كتابه (مكة المكرمة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي).

من الملحوظات الجديرة بالدراسة هي اهتمام المستشرق الهولندي (سنوك) بالعلاقة العلمية بين علماء الحرم المكي الشريف والمؤسسات التعليمية في جنوب شرق آسيا وخصوصاً (إندونيسيا)، وكانت الكتب المعتمدة في الثقافة الدينية في إندونيسيا هي تلك التي يعتمدها علماء مكة المكرمة في جميع التخصصات الدينية.

ويذكر الدكتور مارتن فان برونسن^(١) أن أكثر هؤلاء العلماء تأثيراً هم أولئك الذين ازدهروا علمياً في مكة المكرمة، في نهاية القرن التاسع عشر، ومن هؤلاء أحمد زيني دحلان، مفتي مكة المكرمة الشافعي خلال مكوث سنوك هورقرونيه هناك، ثم معاصره السيد بكري بن محمد شطا.

وقد قام الباحث بمكاتبة القيم على القسم الشرقي بمكتبة بريل «لندن»، الباحث J. J. Witkam مستفسراً عن العلاقة بين الحلواني و(سنوك) التي ربما استثمرها الأخير في معرفته بالطريق المؤدي إلى

(١) مارتن فان برونسن، الكاتب العربي في إندونيسيا ترجمة د. قاسم السامرائي، مطبوعات مكتبة

الجزيرة العربية وإلى مكة بخاصة - فأجاب (وتكام)، أن مكتبة ليدن تحتفظ بصورة للشيخ الحلواني وعليها إهداؤه الخاص للمستشرق سنوك، ولقد قام هذا الأخير بترجمة انطباعات صديقه الحلواني عن مؤتمر المستشرقين من اللغة العربية إلى اللغة الهولندية .

ولعل في الرسالة الموجهة إلى الباحث بتاريخ ٦ يناير، ١٩٨٦م من Witkam^(١) ما يجيب عن تساؤلات الدكتور قاسم السامرائي عما إذا كانت هناك علاقة بين الحلواني وسنوك، ودور هذه العلاقة، كما يذكر السامرائي، في رحلة سنوك إلى جدة ومن ثم إظهاره الإسلام، ودخوله مكة المكرمة .

لعل من المفيد أن نشير إلى أن خروج التركي والحلواني من المدينة بسبب خلافاتهما الفكرية مع بعض علماء عصرهم، قد فتح أمامهم أبواب مستقبل علمي جديد، كان من ثمراته هذا الالتقاء العلمي والفكري بين الشرق والغرب، على الرغم من كل الشكوك التي يثيرها البعض حول الدواعي الحقيقية لمثل هذه اللقاءات العلمية، وعائدها الإيجابي على مستقبل الأمة الحضارية والفكرية . كما أمّ الحرمين الشريفين في العقد الماضي الرابع عشر الهجري - عدد من مفكري النهضة العربية والإسلامية ومن هؤلاء الأمير شكيب إرسلان (١٢٨٦ - ١٣٦٦هـ) الذي اجتمع بعدد من علماء المدينة المنورة في تلك المدة منهم حمدان بن الوئيس وعبد الحميد بن باديس (١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ)^(٢) الذي اجتمع بالعالم حسين أحمد

(١) المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ص ٧٢.

(٢) يذكر الباحث إسماعيل زروخي أن ابن باديس التقى في المدينة شيخه حمدان بن الوئيس وهذا انتقل إلى المدينة سنة ١٩٠٨م، انظر: إسماعيل زروخي، علماء الجزائر يستمد من جذور الإصرار من المدينة المنورة.

الفيض آبادي المدني شقيق مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة السيد أحمد الفيض آبادي^(١) وقد سأل الشيخ حسين بن باديس: لماذا جئت هنا؟ ارجع إلى بلدك الجزائر، لتعمل على تحريرها مع أبناء بلدك وكانت - آنذاك تحت الاستعمار كما اتصل به أيضاً المصلح الجزائري البشير الإبراهيمي^(٢) (١٠٣٦ - ١٣٨٥هـ) كما اتصل العالم المفسر جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ) بعالم المدينة آنذاك السيد أحمد البرزنجي^(٣)، ويبدو أن اجتماعه بالسيد البرزنجي ترك أثراً واضحاً في حياته العلمية حيث يذكر الزركلي، بأنه بعد عودته من المدينة المنورة اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين فقبضت عليه الحكومة سنة ١٣١٣هـ وسألته في التهمة فأخلي سبيله^(٤).

ومن البلاد الأفريقية المسلمة نجد اسم العالم محمد بن أحمد الشهير بألفا هاشم الفتوي^(٥) والذي كان يعد زعيماً لبني قومه بأفريقيا الغربية وقد استعين به في أثناء حصار المدينة المنورة من قبل الوالي التركي فخري باشا، في تجنيد عدد كبير من أتباعه في الدفاع عن المدينة المنورة في تلك الحقبة.

-
- (١) عبد القدوس الأنصاري، السيد أحمد الفيض آبادي، ط ٢، ١٩٨٩م، ص ١٩.
(٢) يذكر الزركلي أن الشيخ الإبراهيمي تأدب وتفقه في رحلة إلى المشرق سنة ١٩١١م، وأقام في المدينة المنورة إلى سنة ١٩١٧م، وقد تولى رئاسة جمعية العلماء في الجزائر بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن محمد باديس في عام ١٩٤٠م، انظر: الأعلام، ج ٦، ص ٥٤.
(٣) محمد حسين زيدان ذكريات العهود الثلاثة، مطابع الشرق الأوسط للأوفست - الرياض، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، ص ٨ - ٣٩.
(٤) الأعلام ٢ - ٣٥.
(٥) محمد بن أحمد الشهير بألفا هاشم الفتوي، تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفُلان، المطبعة الماجدية بمكة ١٩٥٤م.

وكانت له حلقة علم بالمسجد النبوي الشريف، وقد اختاره المغفور له الملك عبد العزيز عضواً بمجلس الشورى تقديراً لعلمه ومنزلته الاجتماعية^(١).

ويشير فضيلة الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، إلى التأثير الإيجابي لحلقات العلم في البلد الحرام في عديد من البلاد الإسلامية. ومما يدخل ضمن هذا الجانب الهام تأثير حلقة فضيلة الشيخ حسن بن محمد المشاط رحمه الله حيث أسس بعض طلابه أقدم مدرسة دينية بجزيرة أنفنان، والتي أطلق عليها اسم (مدرسة نهضة الوطن الدينية الإسلامية) وذلك سنة (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م) وتفرع عن هذه المؤسسة العلمية مدرسة أخرى للبنات أنشئت في عام (١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣م)، وسميت باسم (مدرسة نهضة البنات الدينية الإسلامية)، ومن المدرستين تفرعت مدارس (جمعية نهضة الوطن)، والآن فروعها أربعمائة مدرسة ما بين دينية وابتدائية وثانوية وعالية ومعلمين ومعلمات وكليات ومعاهد دار القرآن والحديث. كما يشير الدكتور عبد الوهاب إلى دور بعض علماء البلد الحرام الذين كانوا يسافرون إلى أندونيسيا والملايو وغيرها، ويخص بالذكر فضيلة المشايخ: عبد الله الزواوي وسعيد يماني وأبنائه الفقهاء المشايخ صالح وحسن ومحمد علي يماني، وكذلك الفقيه القاضي أحمد بن عبد الله القاري وأخوه القاضي حامد بن عبد الله القاري، وكذلك آل الرفيع والمالكي.

وقد وضع الدكتور أبو سليمان دور علماء مكة المكرمة وفقهائها في يقظة بعض دول العالم الإسلامي، وإيقاد جذوة حركة التحرر فيها فالقرن

(١) أحمد أمين مرشد، طيبة وذكريات الأحبة، تقديم الشيخ عبيد الله كردي، ج ١، ص ٥٥.

الرابع عشر الهجري يتزامن مع عهد التخلف الفكري للمسلمين وتسلط القوى الاستعمارية عليهم، وأنه بعد أن تحقق الاستقلال لهذه البلاد الإسلامية تولى عدد من الطلاب الذين تلقوا العلم في المسجد الحرام المناصب الهامة في حكومات بلادهم، مما يدل دلالة واضحة على ما كان لدراساتهم ومقامهم بمكة من حميد الأثر^(١).

(١) بتصرف عن كتابة فضيلة د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، الحرم الشريف الجامع والجامعة، نادي مكة الثقافي ١٤١٧هـ، ص ١٥ - ١٨.

خاتمة البحث

أدت حلقات العلم في الحرمين الشريفين وفي حواضر العالم العربي والإسلامي الأخرى دوراً ريادياً وهاماً على مر العصور في نشر الثقافة الدينية في كل قطاعات المجتمع. وإذا كانت هذه الحلقات تركز بدرجة أولى على علوم الشريعة الإسلامية، إلا أن علوم الأدب واللغة بميادينها كافة، إضافة إلى كثير من العلوم التطبيقية مثل الحساب والجبر والهندسة والفلك، كانت حاضرة بصورة لافتة في منظومة العلوم والمعارف التي يتلقاها طالب العلم بين سوازي المسجدين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة أو في الرواقات التي اشتهرت بها جامعات الأزهر الشريف وجامع القرويين وجامع الزيتونة، والجامع الأموي - وغيرها من مراكز التحصيل العلمي والدرس المعرفي - ولقد انحسر دور بعض هذه المؤسسات العلمية في بعض العصور الماضية، ولكن سرعان ما عادت الحياة إلى هذه المؤسسات ويعتمد ذلك بصورة أساسية على السياق الحضاري والفكري والاجتماعي، إضافة إلى توافر المناخ العلمي الملائم الذي يؤمن باختلاف الرأي والتعامل مع الآخر في داخل الثقافة الإسلامية، نفسها كعامل إيجابي في ثراء الحركة العلمية والفكرية، وليس كعامل سلبي يحجر على الآخر إبداء رأيه أو يحول دون نشر مقولته، ما دام ذلك يتم في إطار ضوابط الشريعة الإسلامية ومنطلقاتها الأساسية.

ولقد استطاعت هذه الثقافة أن تتفاعل مع الثقافات الأخرى دون أن تفقد خصوصيتها لأنها تحمل عوامل القوة الداخلية والقادرة على الحيلولة دون الذوبان في ثقافات أخرى دخيلة.

وبما أن الأمة الإسلامية والعربية تمر بظروف غير عادية وتحديداً في مجال الثقافة والفكر، فكان لا بد من العودة إلى المنطلقات الحقيقية لهذه الثقافة، وما أدته من دور فاعل في صياغة المعطيات الثقافية والفكرية والأدبية على مر العصور. وما ذكرناه في هذا البحث من شواهد وأدلة يوضح كيف تصرف رواد هذه الثقافة إزاء مسؤوليتهم سواء كانوا علماء يجمعون بين الثقافتين الدينية والفكرية، أو أدباء ومفكرين انطلقوا أيضاً من أرضية هذه الثقافة الدينية وكيف عملوا جميعاً من خلال هذا الفهم العميق والأصيل والحضاري أن يذيبوا الحواجز المفتعلة بين ما هو ديني وما هو ثقافي. وذلك يعود لسبب جوهري هو أن الحضارة الإسلامية والعربية نشأت في ظلال الدين، ولم تكن هناك جفوة بين الدين والعلم كما هو الشأن في بعض الحضارات الأخرى التي تعمقت أطرها عوامل مادية بحتة أدت إلى انشطار عميق في حياة الفرد وتسببت في إقصائه عن مفاهيم العدالة والرحمة والشفقة بسبب رؤيته الأحادية للكون والمرتكزة على المنظور من عالم المادة.

ونلاحظ أيضاً من خلال صفحات هذا البحث كيف أن الدعوات الإصلاحية، التي حررت الإنسان من الأوهام والأساطير والتي أشعرته في الوقت نفسه بقيمته الحقيقية ودوره الفاعل في عمارة هذه الأرض قد انطلقت جذورها من حلقات العلم في الحرمين الشريفين.

فحركة شاه ولي الله الدهلوي في شبه القارة الهندية، وكذلك الدعوة الإصلاحية التي رفع رايتها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من وسط الجزيرة

العربية، وحركات الإصلاح الأخرى في دول المغرب العربي التي قادها علماء من أمثال المشائخ. عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي وشكيب أرسلان، حاولت هذه الحركات الإصلاحية وغيرها أن تستمد تلك الجذوة المتقدمة لتحرير الأرض والإنسان من شخصيات علمية شهيرة، في الأراضي المقدسة، مما يوضح الصلة القوية بين مهد الرسالة والحواضر العلمية الأخرى في جميع بقاع الأرض وأن استمرار هذه الصلة يعد ضرورياً لبقاء اللحمة بين المؤسسات العلمية والثقافية والفكرية التي يزداد العبء عليها - خصوصاً - في هذه المرحلة التي يفتقر فيها الفرد العربي والإسلامي إلى شيء من وضوح الرؤية في عصر تحاول الأمم الأخرى فرض ثقافتها بصور وأشكال متعددة.

ولا يعني - الالتفات أو التوجه إلى منابع الحقيقة للثقافة الإسلامية والعربية الأصيلة المتميزة بالاعتدال والوسطية - لا يعني، ذلك بأي حال من الأحوال، الانغلاق على الذات الذي يلحق ضرراً بالغاً بثقافة وفكر الإنسان العربي والمسلم، وهو نفس الضرر الذي يقوده إليه الانسلاخ من هويته الحضارية والفكرية.

وهذه المعادلة الصعبة، والتي لا تزال الأمة واقعة في شركها منذ نصف قرن من الزمن، يفترض معالجتها بالحوار الحضاري بين جميع التيارات والتوجهات الفكرية - داخل إطار البيئة العلمية للثقافة الإسلامية - فلا يمكن لأي أمة من الأمم أن تقود حواراً مع الآخر ما لم تحقق الحد الأدنى من المعطيات الثقافية والفكرية داخل بنيتها الذاتية.

ولقد ضرب القرآن الكريم - وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي - أروع الأمثلة في الاستماع لآراء الفكر الآخر - وحتى المختلف دينياً - ومحاورتها والرد عليها، كما أن في سلوكيات المصطفى - ﷺ - من

اعتماد مبدأ الشورى وتبادل الرأي مع أصحابه - رضي الله عنهم - في كثير من الحوادث التي توضحها سيرته المباركة في أوقات الحرب والسلام على حد سواء، إضافة إلى تلك الأخلاقيات التي كانت تتبدى حقيقة من خلال سلوكياته في جميع المناسبات من حلم وصبر ولين جانب، حتى إن أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - عندما سئلت عن خلقه - ﷺ - أجابت: «لقد كان خلقه القرآن». وهذا يوضح التوافق التام بين الأقوال والأفعال في حياته ﷺ التي يجب أن تُقدّم للأجيال المسلمة المعاصرة بصورة ملائمة حتى يستمدوا منها المثال والقدرة، في زمن تحاول فيه الثقافات الأخرى تقديم بعض سلوكيات مفكرتها، أو عظمائها محاولة منها لجذب الانتباه إليهم. ولقد اعتبر المستشرق المعروف (كارليل) الرسول ﷺ بأنه أعظم شخصيات العصر الذي نعيشه، ومعلوم أن هذه المنزلة لم تأت اعتباراً بل كانت نتيجة لدراسة متأنية لسيرته وسلوكياته التي تفردت في عطائها الإنساني مع أتباع الدين الإسلامي والديانات الأخرى المختلفة.

وإن مبادئ هذا الدين الخالد الذي تركنا رسول الله ﷺ على محجتها البيضاء، لا تزال أنوارها تشع ومثلها العظيمة تنتشر، وأن الرسالة الملقاة علينا في أرض الحرمين الشريفين بخاصة وجزيرة العرب بعمامة تحتاج بشدة إلى توضيح دور الثقافة الدينية التي انطلقت من هذه الديار المباركة وتفاعلت معها جميع حواضر العالم الإسلامي والعربي، وما هذا البحث إلا محاولة متواضعة لتوضيح شيء من هذا الدور المهم.

الشعر السياسي والوطني عند شعراء
المدينة المنورة خلال قرنين من الزمن
(١١٣٤ - ١١٤٣هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

تميزت الحركة الأدبية في المدينة المنورة في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الهجري ببروز تيار شعري يغلب عليه الحديث عن الشأن السياسي الذي كانت تعاني منه بيئة المدينة المنورة وهذه الفترة الممتدة من بداية القرن الثاني عشر، حيث عاش فيها أحد رواد هذا الشعر وهو السيد جعفر البيتي (١١١٠ - ١١٨٢هـ)، والمتواصلة في القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، حيث عاش شعراء تعرّض إنتاجهم الشعري لهذا الهم السياسي وهم: عبد الجليل برادة (ت ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م)، وإبراهيم الأسكوبي (١٢٦٢ - ١٣٣٢هـ)، ومحمد العمري (ت ١٣٦٥هـ)، وعبيد مدني (ت ١٣٩٦هـ) وهذا الأخير نظم قصيدته الوطنية التي تصف الوضع المأساوي في المدينة المنورة سنة ١٣٤٤هـ، أي قبل دخول المدينة المنورة تحت الحكم السعودي بمدة يسيرة. وتعتبر هذه الفترة منضوية تحت عهد الحكم العثماني للبلاد العربية والإسلامية، وكانت المدينة المنورة ضمن منطقة الحجاز عندما استجاب شريف مكة (بركات) لدعوة السلطان سليم الأول وأرسل ابنه الشريف، أبا نميٍّ إلى القاهرة لتقديم التهاني والولاء. وقد وصل (نمي) القاهرة في الخامس عشر من جمادى الآخرة ٩٢٣هـ (يوليو ١٥١٧م)، وبدخول الحجاز تحت السيادة العثمانية تحقق للسلطان سليم الانتصار على الدول الأخرى التي كانت

تتنازع زعامة العالم الإسلامي^(١)، وهي الدولة الصفوية في بلاد فارس، ودولة المماليك في مصر^(٢).

وقد قمنا في محاور هذا البحث بدراسة الشخصيات الشعرية في محاولة لإلقاء الضوء على بعض جوانب حياتها الاجتماعية والفكرية مما يمكن أن يكون له تأثير في إبداعاتهم الشعرية، ثم انتقلنا إلى إثبات النصوص التي تمثل هذا الفن المتميز من الشعر السياسي والوطني، وفي خطوة هامة حاولنا تقصي المصادر الأصلية المخطوط منها والمطبوع والتي تتضمن هذه النصوص الشعرية ثم انتقلنا إلى السياق السياسي الذي نتجت منه هذه النصوص، وذلك لأن دراسة هذا السياق تساعد في الكشف عن ملامح هذه النصوص والتي تكشف بدورها من خلال صور متعددة عن مظاهر اجتماعية وسياسية كان يرى من خلالها هؤلاء الرواد صورة قاتمة للأوضاع داخلياً وخارجياً، ثم انتقل البحث إلى دراسة بعض المظاهر الفنية المتمثلة في هذه القصائد ومدى استجابتها للتطورات الفنية التي أثرت في الشعر العربي وانتقاله - وخصوصاً مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري - من حالة الضعف التي أصابته وكنتيجة طبيعية لضعف الكيان الثقافي والفكري - إلى ما عرف بحقبة التجديد في القصيدة العربية والتي كان من

(١) يذكر محمد فريد بك: أن السلطان (سليم) أنه في سنة (٩٢٢ - ١٥١٦م) انتصر على السلطان المملوكي قانصوه الغوري في موقعة مرج دابق، وبعد هذه الموقعة احتل السلطان سليم بأقل سهولة مدائن حماه وحمص ودمشق، وصلى الجمعة في الجامع الأموي، فقام الخطيب عندئذ - داعياً له - ونعته بخادم الحرمين الشريفين، وذلك يشير إلى أنه هياً نفسه ليكون خليفة على الحجاز قبل عام من قدوم الشريف أبي نمي عليه سنة ١٩٢٣م). تاريخ الدولة العلمية العثمانية (بيروت: دار الجيل ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) د. بكر فائق الصواف: العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز، مطابع سجل العرب (١٣٩٨ - ١٣٧٨م)، ص ٣٩ - ٤٠.

روادها محمود سامي الباروي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وكان لهؤلاء الشعراء وغيرهم نظراًؤهم في الجزيرة العربية، فلقد عمل هؤلاء على إحياء الديباجة العربية القوية وتخلصوا من مظاهر الصنعة التي كَبَلت هذه القصيدة لحقبة طويلة من الزمن.

الشخصيات الشعرية

- جعفر البيتي (١١١٠هـ - ١١٨٢هـ):

جعفر بن محمد البيتي باعلوي السقاف المدني، من أسرة تعود في نسبها إلى بيت مَسْلَمَة من أعمال تريم بحضر موت. جمع بين نظم الشعر والاشتغال بعلم الطب المعروف في زمانه. وكان حنفي المذهب، وتولى منصب كتابة الشريف ووزارته بالمدينة، وهيأت له صلواته المتعددة السفر إلى بلاد الروم واليمن، وصفه معاصره المؤرخ عبد الرحمن الأنصاري^(١) لما كان يتمتع من موهبة أدبية بأنه متنبئ زمانه وامرؤ قيس أوانه. كما وصفه معاصره الأديب الداغستاني^(٢) بأنه رافع لواء النظم بل أميره.

وكما عرف بمواهبه الشعرية المتعددة والتي يدل عليها ديوانه المخطوط، فإنه اشتغل أيضاً بصناعة النشر الأدبي. وقد تجاوز في كتابه المخطوط - أيضاً (مواسم الأدب وآثار العجم والعرب)^(٣) التاريخ إلى جانب الأدب، وعلم الآثار إلى الترجمة، إضافة إلى مختارات شعرية لكبار

(١) عبد الرحمن الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي (المكتبة العتيقة) تونس، ط١، ١٣٩٠ - ١٩٧٠م، ص ١٢١ - ١٢٤.

(٢) عمر عبد السلام الداغستاني: تحفة الدهر ونفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر (مخطوط) نسخة مكتبة (طوبقبو سراي) استنبول، رقم ٥١٩.

(٣) جعفر بن السيد محمد البيتي العلوي: موسام الأدب وآثار العجم والعرب (مطبعة السعادة - مصر) ط١، ١٣٢٦هـ.

الشعراء - على مر عصور العربية^(١)، وتدلل هذه المختارات على ذوقه الشعري الرفيع.

ومن المؤلفات التي نسبها الداغستاني إليه كتاب (الفلك المشحون) وقال في وصفه: «فيا له من كتاب محتو من اللطائف على فنون من نكات أدبية، وأمثال عربية»^(٢)، وعند الرجوع إلى كتاب (الفلك)^(٣) والمنسوب أيضاً إلى مؤلف آخر هو السيد يحيى بن هاشم المدني، نجده يشتمل على كثير من إنتاج السيد جعفر البيتي والمتضمن ديوانه المخطوط^(٤)، إضافة إلى بعض الآثار الأدبية المنسوبة إلى السيد يحيى هاشم. وقد تعرض الدكتور عبد الرحمن الشامخ بشيء من التحليل الأدبي لنثر البيتي وخصوصاً رسائله الأدبية التي كان يوجهها إلى معاصريه، فالشامخ يصف الأسلوب الذي كتب به البيتي رسالته إلى الخطيب محمد أبي الخير المدني قائلاً:

(١) يقع الجزء الأول من الكتاب في ٣١٩ صفحة، إضافة إلى المقدمة التي خصصها لمفهوم كلمة (أدب)، ويقع الجزء الثاني كذلك في ٣١٨ صفحة، وردت في نهاية الجزء الثاني هذه العبارة (تم الجزء الثاني من كتاب موسم الأدب)، ويليه الجزء الثالث وأوله ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرهم. ولم أتمكن من الحصول على هذا الجزء الأخير ولربما كان مخطوطاً.

(٢) تحفة الدهر ونفحة الزهر (مخطوط) ترجمة جعفر البيتي.

(٣) نسخة مصورة عن نسخة مكتبة عارف حكمت الخطية رقم ٦١١، وفي خاتمتها وجدت هذه العبارة «وكان الفراغ من كتابة هذا الديوان المبارك يوم الأربعاء المبارك، خمسة عشر يوماً - خلت من شهر ربيع الأول، سنة ١٢٣٩هـ». ولقد زودني بنسخ من هذه المخطوطة كل من السيد هاني بن إبراهيم هاشم، المسؤول عن مكتبة آل هاشم بالمدينة، وكذلك الباحث الشريف محمد بن راضي الحسيني - جزاهما الله خيراً.

(٤) توجد نسخ من ديوان جعفر البيتي في كل من مكتبة عارف حكمت، والمكتبة العامة بالمدينة - مجموعة السيد الصافي. ومكتبة طويقبو سراي بتركيا، والمتحف العراقي ببغداد، إضافة إلى نسخة خاصة في مكتبة المرحوم السيد عبید مدني ترجع ملكيتها إلى السيد محمد حمزة مدني الحسيني شيخ الخطباء والأئمة في المدينة المنورة وملكه بطريق الاستكتاب سنة ١١٨٥ هـ، وتقع المخطوطة في حوالي ١٣٩ ورقة.

«لقد تميز أسلوب البيتي بجزالة التعبير وسلامة التركيب، كما اتسم بالشراء اللغوي والقدرة على استنباط المعاني والصور، وكان من الممكن أن تكون الإشارات النحوية والعلمية الأخرى عاملاً من العوامل التي تحيل الرسالة إلى نوع من اللعب الكتابي، ولكن ما لدى الكاتب من نفس شجية، وروح باكية ساخرة قد غلب على الرسالة وجعلها أثراً فنياً يفيض بالأحاسيس والانفعالات، ولا شك في أن الموهبة الشعرية قد هدت الكاتب إلى ألا يجعل رسالته مجرد قوالب تعبيرية وتقليدية بل أن يضيفي عليها من ذاته ما يجعلها تنبض بالحياة وتحفل بالمتعة الفنية^(١). وقد تناول السيد البيتي في مطولات شعرية الأحداث السياسية التي مرت بها المدينة المنورة في القرن الثاني عشر، حيث حاول من خلال قصائده تلك أن ينبه السلطات المسؤولة في استانبول أو الحجاز بضرورة القضاء على الخلافات الموجودة بين فصائل معينة في المجتمع المدني وإعادة روح السلام والطمأنينة في المجتمع^(٢).

(١) د. محمد عبد الرحمن الشامخ: النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية (١٩٠٠ - ١٩٤٥م)، مطابع نجد - الرياض - ط ١ - (١٣٩٥، ١٩٧٥) ص ١٤ - ١٨.

(٢) د. عاصم حمدان، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ (مطابع العلم) جدة - ضمن سلسلة مطبوعات نادي المدينة الأدبي، ط ١ (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، ص ٣٤.

انظر: أيضاً عن مطولات البيتي، بحث السيد عبيد مدني الموسوم شعراء المدينة والشعر الملحني (بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين)، المجلد الثاني، ص ٧٤، وكذلك.

الشريف محمد راضي الحسيني الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري (مطابع دار العلم - جده) ط ١ - ضمن مطبوعات نادي المدينة الأدبي، ط ١ (١٤٢٣ - ٢٠٠٢م)، ص ١٧٦

- عبد الجليل برادة (١٢٤٠ - ١٣٢٧هـ).

عبد الجليل عبد السلام بن عبد الله بن عبد السلام برادة^(١). هاجرت أسرته من مدينة فاس المغربية إلى المدينة المنورة سنة ١١٤٥هـ^(٢). نظم الشعر، كما يذكر عبد السلام حافظ^(٣)، وهو في الخامسة عشرة من عمره، ودرس في المسجد النبوي في العشرين من عمره. وذكر مُعاصِرُهُ عبد الرزاق البيطار أنه اجتمع به حين زيارته (أي برادة) للشام بعد سنة ١٣٠٠هـ بقليل، ووصفه قائلاً: «فرأيت شهماً جيد الكلام، رفيع المقام، جميل المقابلة وكان قد أسمعني من نظمه ونثره ما يدل على جودة ذهنه واتساع فكره»^(٤)، وأضاف معاصره البيطار أنه اجتمع به أيضاً في الأستانة سنة ١٣١٥هـ، وروى على مسمع البيطار أبياتاً باللغة الفارسية^(٥) التي كان ينظم بها الشعر إضافةً إلى العربية، وهو ما يؤكد عبد الرحيم أبو بكر عندما أشار إلى أنه يُعَدُّ من كبار اللغويين، وأنه أضاف إلى ثقافته العربية

(١) يذكر الأنصاري أن الأسرة كانت تدعى بيت أبي جيدة، وأن جد الأسرة (أبو جيدة) قدم المدينة سنة ١١٤٠ - الأنصاري، ص ١٥٥.

(٢) خير الدين الزركلي، الأعلام، (دار العلم بيروت) ج ١ - ٢٧٥.

(٣) عبد السلام هاشم حافظ، المدينة المنورة في التاريخ، ١١ دمشق، ط ٣، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، (١١ مطبوعات نادي المدينة الأدبي) ص ١٦٧.

(٤) عبد الرزاق البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (تحقيق محمد بهجة البيطار) الترقى - دمشق (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م)، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٢، ص ٧٧٩ - ٧٨٥.

(٥) يذكر السيد عبيد مدني نقلاً عن ثبت السيد عباس رضوان المدني المتوفى سنة ١٣٤٦هـ، والموسوم العقد الفريد المنظوم مما تناثر من فرائد جواهر الأسانيد بأن البرادة ترجم عن الفارسية أرجوزة الشاعر المعروف سعدي الشيرازي - اسمها العقابية - بضم العين، وقد بلغت أبيات الترجمة مائة واثنين.

انظر عبيد مدني الشيخ عبد الجليل برادة المدني، المنهل، صفر، ١٣٨٦هـ.

روافد من اللغتين التركية والفارسية فحذقهما من أديهما^(١).

ويبدو أن الأديب برادة قد تعمق في العلوم الدينية حتى عد من علماء الحديث النبوي المعتمدين. حيث روى عنه صاحب أشهر ثبت علمي في رواية الحديث وهو الشيخ عبد الحي عبد الكبير الكتاني، إلا أن سمة الأدب قد غلبت عليه؛ لهذا وصفه الكتاني، عند ذكر شيوخه الذين تلقى عليهم الحديث المسلسل بالأولية وهو (الراحمون يرحمهم الله)، فقال عنه (أي عن برادة): وحدثني به أديب الحجاز المفلق المعمر الشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة المدني سماعاً منه بمكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ^(٢). ويبدو أن برادة الذي كان معاصراً أيضاً لأديبين مدنيين مشهورين في جزيرة العرب وهما إبراهيم الأسكوبي ومحمد العمري، قد اتخذ، كما يذكر مؤرخ المدينة وأديبها السيد عبيد مدني، هو وبعض علماء المدينة وأدبائها ندوة أسبوعية يعقدونها كل يوم ثلاثاء في بستان الأبارية - الذي كان يقع قرب المسجد النبوي الشريف من الجهة الشرقية الشمالية^(٣)، ويستطرد السيد المدني عن آثار هذه الندوة قائلاً:

(١) عبد الرحيم أبو بكر: الشعر الحديث في الحجاز، (١٩١٦ - ١٩٤٨م)، مطبوعات نادي المدينة الأدبي، ط ١، (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، ص ٨٧ - ٩١.

(٢) عبد الحي عبد الكريم الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات - دار الغرب الإسلامية، بيروت، ط ٢، (١١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ج ١، ص ٨٨.

(٣) يذكر السيد عثمان حافظ: بأن الأبارية في موضع فندق التيسير - الآن، يقول كاتب البحث تعقياً على ذلك لقد نشرت مقالة السيد عثمان في صحيفة المدينة ١٣٩٩/٣/٢٤هـ، أي قبل هدم الجهة الشمالية الشرقية المحاذية للمسجد النبوي الشريف، وكان الطريق إلى الفندق عن شارع الرومية أو شارع السنبلية، وقد أدركت شخصياً بقايا بستان (السنبلية) في نهاية السبعينات الهجرية - الخمسينات الميلادية، وقد أخبرني الشيخ جعفر إبراهيم فقيه في داره بصيادة - بحي باب المجيد - أن (الأبارية) تقع في المنطقة التي تشتمل على فندق التيسير والذي كان مملوكاً للشيخين عطا الياس ومحمد سرور الصبان رحمهما الله.

«واستطاعت هذه الندوة التي كان الشيخ عبد الجليل من مناراتها الشامخة أن تعيد ذكريات المدارس العلمية التي أغرق تاريخ القرن الرابع الهجري في الإعجاب بها كمدرسة سيف الدولة الحمداني والصاحب بن عباد^(١)... ويشير الأستاذ عبد القدوس الأنصاري إلى حادثة تدل على الشاعرية الفذة التي كان يتمتع بها الأديب برادة، بأنه بعد الحرب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد اليونان كان هناك «شعراء من عدة أقطار عربية ومنها الحجاز مُمثلاً في شخص عبد الجليل برادة... راعهم انتصار بني عثمان على اليونان فنظم كل منهم قصيدة غراء في وصف هذا النصر وملابساته، ثم نشرت كلها في سفر واحد من قبل أديب عربي يظهر من لقبه أن أصله من المغرب العربي. والشيء اللافت للنظر في الأمر هو أن هذا الأديب كان يسجل الشيخ عبد الجليل برادة ويرفعه عن بقية زملائه من شعراء العرب المعاصرين بمن فيهم شوقي والزهاوي^(٢)، ولهذا اعتبره الشيخ ضياء الدين رجب أبا الشعر الحديث في الحجاز^(٣) ويبدو أن الشيخ برادة ورث أبناءه قول الشعر^(٤)، فاشتهر

(١) عبيد مدني، الشيخ عبد الجليل برادة المدني، (المنهل) عدد مايو ويوليو، عام ١٩٦٩م، ص ٣٥٧ - ٣٦٤.

(٢) هو: أبو النصر السلاوي، وقد صدر الكتاب الذي ضم القصائد في الأمثلة تحت اسم عكاظ الأديبي، مقالة عبيد مدني السابقة عن البرادة.

(٣) عبد القدوس الأنصاري: القول الفضل الجلي فيما دار بين رجب والأمدي حول الشيخ عبد الجليل برادة المدني، عدد ربيع الأول ١٣٨٢هـ، أغسطس ١٩٦٢م، الجزء الثالث، مجلد ٢٣، ص ١٤٧ - ١٥٢.

(٤) يذكر الدكتور عبد الله الحامد، أن (برادة) من المعروفين في الشعر فقد أورت ذلك لأولاده الخمسة الذين ذكر أنهم كانوا يقولون الشعر.

انظر: الشعر في الجزيرة العربية في القرنين (١١٥٠هـ - ١٣٥٠هـ)، (الإشعاع التجارية)، ط ١، (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م)، ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

ابنه سعد الدين^(١) بقول الشعر الذي كان يتشوق فيه إلى المدينة^(٢).

وقد دخل (برادة) في مناظرة علمية مع الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي، المتوفى في مصر سنة (١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م)، وكان التركي قدم المدينة في شهر محرم ١٢٨٤م، بعد أدائه فريضة الحج سنة ١٢٨٣م^(٣).

وتعمقت أواصر المودة بينهما حتى إن برادة قرظ الحاشية التي ألفها لأمير مكة المكرمة الشريف عبد الله بن محمد بن عون، والتي أظهر فيها التركي غلط عاكش اليميني في شرحه (لامية العرب)، إلا أن المسائل اللغوية التي كان التركي يعتبر نفسه فيها، مرجعاً هاماً ويجب أن لا يخلفه فيها أحد، فكانت سبباً لفساد العلاقة بين السيد أحمد البرزنجي المتوفى سنة (١٣٣٧هـ - ١٩١٩م) وعبد الجليل برادة من علماء المدينة من جهة والتركي من جهة أخرى. ويرى بعض الباحثين، ومنهم السيد أمين مدني أن تلك المعركة الأدبية التي دارت على بعض المسائل الخلافية اللغوية حول اسم (عمر) وهل يمنع من الصرف أم لا، وما استتبع ذلك من مسائل خلافية تتصل بشخصية إمام مدرسة المدينة الفقهية الإمام مالك بن

(١) أفادني الشيخ جعفر إبراهيم فقيه بأن والده كان متزوجاً من شقيقة زوجة الشاعر سعد الدين، وقد أدركت بعض المعمّرين في المدينة ومنهم الشيخ عثمان أبو عوف والمتوفى سنة ١٣٩٢هـ، أنه اجتمع مع سعد الدين في الشام أثناء خروج الناس من المدينة في محنة «سفر بلك» سنة ١٣٣٥هـ.

(٢) روى أحمد سمان عن أبيه المؤذن والمنشد إبراهيم سمان عدداً من هذه القصائد، انظر: أحمد إبراهيم سمان: نماذج وألوان من تراث بعض أدباء وشعراء في المدينة المنورة، تصحيح محمد فائز حواسلي، دار المعارف للطباعة، ط ١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م)، ص ١٨ - ٢٢.

(٣) محمد محمود التلاميذ التركي الشنقيطي، الحماسة السنوية الكاملة المزينة في الرحلة العلمية الشنقيطية التركية، القسم الثاني، القاهرة، مطبعة الموسوعات، ١٣١٩هـ، ص ١٠٤ - ١١١.

أنس، وشخصية أحد أئمة المذهب نفسه وهو القاضي عياض بن موسى اليَحْصِي، يرى هؤلاء الباحثون أن تلك المعارك تدل على حرص مدرسة المدينة على قواعد اللغة العربية في أخرج ظروفها^(١)، ولعل المؤرخ أمين مدني أراد الإشارة إلى قضية التتريك التي عانى منها العالم العربي والإسلامي - خصوصاً في الحقبة الأخيرة من عهد الدولة العثمانية؛ فلقد أبعَدَ التركي إلى مصر^(٢) والبرادة إلى الأستانة^(٣)، وذكر الزركلي إلى خلفية الإبعاد عن المدينة المنورة بأن البرادة صُنِّفَ كواحدٍ من شعراء بداية اليقظة العربية^(٤)، كما أنه كان على خلاف مع والي المدينة التركي عثمان باشا مما اضطرَّه للجوء إلى مكة، ولقد أدركته الوفاة في الطريق بين مكة والمدينة، فنقل إلى المدينة ودفن بها سنة ١٣٢٧هـ.

- إبراهيم بن حسن الأسكوبي (١٢٤٦ - ١٣٣١هـ).

يعتبر امتداداً لمدرسة شيخه عبد الجليل برادة، ولد ونشأ وتعلم في المدينة المنورة، حيث درس الفقه والحديث والتفسير والمنطق وعلم الأدب والهيئة على جملة من علماء المدينة المبرزين في تلك الحقبة^(٥) التي لم

(١) أمين مدني، الثقافة الإسلامية وحواضرها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م، ص ١٣٩.

(٢) الأعلام، ج ٧، ص ٨٩ - ٩٠.

(٣) الأعلام، ج ٣، ص ٢٧٥.

(٤) ذكر عبد السلام حافظ أن برادة كان مبعداً في الأستانة على عهد حكومة الأتراك التي أبعدهت عن وطنه لتحريض الشباب عليهم، ولكنه عاد وتوفي بالمدينة سنة ١٣٢٧هـ، المدينة المنورة في التاريخ، ص ١٦٦.

(٥) من العلماء الذين عاصروهم الأسكوبي في المدينة في تلك الحقبة - أواخر القرن الثالث عشر - أوائل الرابع عشر الهجري، إبراهيم عبد القادر بري، ملاً سفر، حسين أحمد الفيض آبادي، محمد العمري، جعفر البرزخي، عبد القادر شلبي، عبد السلام داغستاني، عبد الرحمن

الياس، أنور عشقي:

يفقد الحرم النبوي الشريف - رغم كل الظروف التي مرت بها الأمة - مكانته العلمية ودوره الفكري الذي اضطلع به منذ العصور الإسلامية الأولى ولقد كان والده حسن الأسكوبي (ت ١٣٠٣هـ)،^(١) من العلماء الذين أدركوا حاجة الأمة العربية والإسلامية للأخذ بالعلوم الحديثة، فأولى علم الفلك اهتماماً خاصاً وأقام فوق سطح منزله مرصداً فلكياً جلبه من أوروبا يرقب من خلاله حركة الأفلاك وما يترتب عليها من تغيرات جوية مختلفة إلا أن بعض علماء عصره، كما يذكر الدكتور محمد العيد الخطراوي^(٢) هاجموا وقاطعوه، وأنزلوا ما على سطح بيته من مناظير واصطرلابات وزوايا، مما تسبب في عزله وانقطاعه عن الناس حتى وفاته، في ظل هذه البيئة العلمية المتميزة المتمثلة في شخصية والده المنفتحة، وبيئة المدينة العلمية المعروفة بثرائها الفكري والثقافي والأدبي نشأ شاعرنا. ويبدو أن شخصية الأديب عبد الجليل برادة أثرت في تكوينه الفكري والأدبي^(٣)، لذا

= انظر: عبد السلام طاهر الساسي: الموسوعة الأدبية، (دار قريش)، مكة المكرمة، ١٣٨٨هـ، ص ١ - ١٠.

(١) أطلق الأستاذ السياسي علي الأسكوبي (شاعر يثرب) وقد اعترض المرحوم الأستاذ عبد العزيز الربيع على هذه التسمية التي نهى النبي - ﷺ - عنها:

انظر: عبد العزيز الربيع: شوقيات وشوكيات، (إعداد وتقديم محمد صالح البليهشي)، مطبوعات نادي المدينة الأدبي، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص ٣٦٣.

(٢) ديوان إبراهيم بن حسن الأسكوبي، تحقيق وتقديم الدكتور محمد العيد الخطراوي، دار التراث - المدينة المنورة، ط ١، (١٤٠٩ - ١٩٨٩م)، المقدمة، ص ٨.

(٣) من الشخصيات العلمية التي تأثرت بتوجهات عبد الجليل برادة العلمية والفكرية، تبرز إضافة إلى الأسكوبي، أسماء أخرى مثل: محمد العمري المتوفى سنة ١٣٦٥هـ، إبراهيم بري المتوفى سنة ١٣٥٤هـ، عبد الله غازي - المؤرخ المعروف - المتوفى سنة ١٣٦٥هـ، عمر حمدان المحرسي المتوفى سنة ١٣٦٨هـ، زكي برزنجي، المتوفى: سنة ١٣٦٥هـ، حسين عبد الله باسلامه المتوفى سنة ١٣٥٩هـ، محمد العائش المتوفى ١٣٦٤هـ، عباس رضوان المتوفى سنة ١٣٤٦هـ، علي بن فالح الظاهري المدني المتوفى سنة ١٣٦٤هـ، محسن المساوي المتوفى سنة ١٣٥٤هـ.

نجده يسعى لإتقان اللغات الأخرى مثل الفارسية والتركية والأردنية متشبهاً في ذلك بشيخه برادة. كما يبدو أن شاعرية الأسكوبي المتميزة دفعت بالشخصيات السياسية في تلك الحقبة لتقريبه منهم، ولهذا نجد في مقدمات بعض قصائده ما يشير إلى أنه كان في سنة ١٣١٩هـ برفقة أمير مكة الشريف عون الرفيق^(١)، وأنه كان أيضاً صحبة أميرها الشريف علي باشا سنة ١٣٢٣هـ^(٢).

إلا أن شهرة الأسكوبي كشاعر لم تأت من ارتباطه بالمؤسسة السياسية في الحجاز - آنذاك - بل أتت من شعره التجديدي، الذي وجه فيه نقداً حاداً للدولة العثمانية، وكذلك من شعره الذي ضمنه وصف المخترعات الحديثة، حيث ألف مزدوجة^(٣) ضمنها مفاخرة بين وابلور البر وابلور

= انظر: أنس يعقوب كتبي، أعلام من أرض النبوة، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(١) يحتوي الديوان على مرثية الشريف عون الرفيق، وقد ذكر الأسكوبي في مقدمة القصيدة أن هذا الحاكم قد توفي: في أربعة عشر من شهر جمادى الأولى من عام ألف وثلاثمائة وعشرين، ويضيف واصفاً العلاقة التي كانت تربط بهذه الشخصية (وكنت من أخص محاسبه، أحسن إلي كثير الإحسان).

انظر: ديوان الأسكوبي، ص ٧٣ - ٧٦.

(٢) تولى الشريف عون الرفيق باشا إمارة مكة في سنة ١٢٩٩هـ، واستمر في الحكم إلى أن توفي في جمادى الأولى عام ١٣٢٣هـ، بالطائف.

أما الشريف علي باشا ابن عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون، فلقد تولى الحكم في عام ١٣٢٣هـ، وعين بدلاً منه الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين في عام ١٣٢٦هـ.

انظر: الشريف مساعد بن منصور آل عبد الله بن سرور، جداول أمراء مكة وحكامها منذ فتحها إلى الوقت الحاضر (مطبعة النهضة الحديثة) مكة المكرمة، ط ١، (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، ص ٤٥.

(٣) افتتحت هذه المزدوجة بقصيدة تقريظية من الشاعر محمد عبد الجليل برادة، وهذا يدل على عمق الصلة بين أسرة البرادة وشخصياتها الشعرية وبين الأسكوبي، وبقصيدة أخرى من الشاعر المكي عثمان الراضي، (١٢٦٠ - ١٣٣١هـ)، عن شخصية الراضي.

البحر، وبسبب هذه الانعطافة الجديدة في مسيرة الشعر التقليدية - آنذاك - وجدنا أن الناقد الكبير عبد الله عبد الجبار يرى أن شعر الأسكوبي يمثل «الإرهاصات التي سبقت مولد الأدب الحجازي الحديث خاصة، وأدب الجزيرة عامة»^(١).

- محمد أحمد العمري الواسطي (١٢٨٠ - ١٣٦٥).

ولد بمدينة بسكرة الجزائر، وقدم إلى المدينة المنورة في حدود سنة ١٣٠٠هـ^(٢)، أي إنه كان في مقتبل عمره، ويبدو أنه نشأ في أسرة دينية بحيث «حفظ كتاب الله على قراءة وُزِّش كما حفظ بعض متون الفقه المالكي وألفية ابن مالك وفي العشرين من عمره أزمع الرحلة للدراسة واستكمال المعلومات في معهد الزيتونة، ولما وصل تونس حَسَّنَ لَهُ زملاؤه مواصلة الرحلة إلى مكة المكرمة، فواصل هو ورفاقه السير إلى مكة عام ١٣٠٠هـ، وبعد أداء الفريضة قصدوا المدينة المنورة»^(٣).

= أنظر: يحيى محمود جنيد، الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي، كتاب الرياض، ص ٤٢.

أنظر: إبراهيم الأسكوبي، مفاخرة ما بين واور البحر واور البر (المطبعة الحسينية بمصر) ويشير الشاعر في نهاية القصيدة إلى أنه أنشأها سنة ١٣٢٤هـ.

(١) عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية، «معهد الدراسات العربية» القاهرة، ١٩٥٩م.

(٢) ينقل عبد القدوس الأنصاري عن عبيد مدني، بأن العمري قدم المدينة في حدود سنة ١٣٠٣هـ، أما وفاته التي ذكر البعض أنها وقعت سنة ١٣٥٠هـ، فيحددها السيد عبيد بين عامين (١٣٦٥ - ١٣٦٦هـ)، ورواية السيد عبيد هي الأقرب للصحة للعلاقة الوثيقة التي كانت تقوم بين العمري وأسرته آل المدني.

انظر: عبد القدوس الأنصاري، الشيخ محمد العمري، الحلقة الثانية، المنهل: المجلد الثاني عشر، الجزء الرابع، ربيع الآخر ١٣٧٧هـ نوفمبر ١٩٥٧م، ص ٢٤٢ - ٢٥٠.

(٣) محمد سعيد دفتر دار، الشيخ محمد بن أحمد العمري الواسطي، المنهل، الجزء السادس، المجلد ٢٠، جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ، ديسمبر ١٩٥٩م.

التقى بالشيخ عبد الجليل برادة في الحرم النبوي الشريف، حيث كان الأخير يعقد دروسه في اللغة والنحو، ولما رأى منه همة عالية وطموحاً كبيراً لطلب العلم أفتعه بالبقاء في المدينة، واستقر مدةً من الزمن في دار أستاذه برادة، وقد ظل ملازماً له لمدة يقدرها الأستاذ الدفتردار، رحمه الله، بخمسة عشر عاماً، انتهت بأن البرادة أجازه بكل العلوم التي درسها عليه بخطه وتوقيعه، وشهد له بالعلم والفضل. وهذه الإجازة التي اطلع عليها الأستاذ الدفتردار مؤرخة في سنة ١٣١٦هـ. وقد أشار عليه برادة بدراسة الفقه المالكي على شيخ مجاور في المدينة وهو زروق التونسي^(١) ويبدو أن معرفة الشيخ زروق الدقيقة بمذهب إمام دار الهجرة، كانت سبباً في أن يصبح مفتياً لأتباع هذه المدرسة الفقهية في عصره بالمدينة المنورة.

ولم تقتصر دراسة العمري على مذهب فقهي واحد حيث نجد في ترجمته أنه درس على العلامة الحنبلي السلفي المحدث الشيخ عبد الله القدومي النابلسي، كما درس على الشيخ حسن الأسكوبي علم الهيئة والميقات وبعض العلوم الرياضية، ويبدو أنه زامل الشيخ إبراهيم

(١) يشير إليه المؤرخ أمين مدني باسم محمد العربي زروق، والمعروف عند المدنيين (زروق) ويضيف لعل هناك خطأ مطبعياً جعل فرقاً بين زروق التونسي وزروق الفاسي، وينقل المدني عن مؤلف (الدولة العربية الكبرى) بأن محمداً العربي كان يقاوم النفوذ الفرنسي في البلاط التونسي، وعندما انتصر المؤيدون لفرنسا اختفى محمد العربي فراراً من انتقام خصومه. انظر: الثقافة الإسلامية وحواضرها، ص ١٣٧.

ويرد اسم أحمد محمد العربي زروق وشيخه سالم بو حاجب في المناقشة العلمية التي دارت بين محمد بن محمود التلاميذ الشنقيطي وأحمد البرزنجي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري حول بعض القضايا اللغوية المختلف عليها، وكان كل من زروق وشيخه بو حاجب من أنصار البرزنجي ضد التركي.

الأسكوبي^(١) في دراسة الأدب والبلاغة على يد الشيخ براءة، وكلاهما أي الأسكوبي والعمري تأثر ببراءة في مجال تعاطي الشعر السياسي.

كما أجازته الشيخ عبد الكبير الكناني بمرويياته. فقد كان العمري سريع التجاوب مع الأحداث الكبيرة حوله، فهو يسجل شعراً ونثراً وقائع احتفال الشروع في مد سكة حديد الحجاز في شهر محرم من سنة ١٣٢٥هـ^(٢)، إلا أن هذا المشروع قوبل من بعض القبائل التي كانت تتولى نقل الحجاج والزوار من وإلى المدينة المنورة بمقاومة عنيفة. ويضيف بعض الباحثين إلى العوامل الاقتصادية التي كانت وراء مقاومة القبائل لهذا المشروع عاملاً سياسياً آخر وهو التصدي للتوغل العثماني، في أراضي شبه الجزيرة العربية^(٣). وبسبب هذا العامل السياسي^(٤) تأثرت قبيلة حرب بثورة دولة

(١) عاش محمد العمري بعد الشعارين المذكورين أي براءة والأسكوبي لمدة تقارب ثلاثة عقود من الزمن، حيث توفي براءة سنة ١٣٢٧هـ، والأسكوبي سنة ١٣٣١هـ وخلال هذه المدة عاصر الشاعر تصفية الدولة العثمانية وتقسيم تركتها السياسية بين الدول الغربية، والتي لم يشعر - يوماً - بالاطمئنان إليها وحذر في قصائده من مغبة وعودها التي لم تثبت - يوماً - أنها صادقة في الوفاء بها.

(٢) عبد القدوس الأنصاري، الشيخ محمد العمري، المنهل، المجلد الثامن عشر، السنة الثانية والعشرون، ربيع الآخر ١٣٧٧هـ نوفمبر ١٩٥٧م، ص ٢٤٢ - ٢٥٠.

(٣) د. خالد حمود السعدوني، مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز... أسبابها وتطوراتها، خلال عامي (١٣٢٦ - ١٣٢٧هـ / ١٩٠٨ - ١٩٠٩م)، مجلة الدارة، السنة الرابعة عشرة، العدد الثاني، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، ص ٤٧ - ٦٠.

(٤) يشير الباحث Wiliam Ochsenwald، إلى أن الحماية العثمانية الموجودة في بعض مدن الحجاز مثل مكة والمدينة وجدة والطائف، لم تكن كافية لحفظ النظام فيها، وكذلك عدم القدرة على توفير الحماية لقوافل الحجيج، ويضاف إلى هذا العامل السياسي والعامل الاقتصادي المتمثل في أن المبالغ التي تصرفها الدولة العثمانية على منطقة الحجاز - آنذاك - كانت طائلة وخصوصاً أن الدولة ليس لها عائد ضريبي يمكن أن يعوض عنها شيئاً مما تنفقه على حكام هذه المدن وأمراء الحج.

الخلافة العثمانية فلهذا نجده يوجه نقداً حاداً لقبيلة حرب بسبب موقفها الموالي للثورة العربية، فيقول:

رويذاً بني حرب تغاديكم الحرب ويجتاح ما خولتم الطعن والضرب
فأنتم قدحتم للشقاء زنادها فطارت شراراً لا تبوخ ولا تخبو
فصبراً على ذل أمر مضاضةً من الصاب لا يسطيعه الحلق والقلب
ألم تعلموا أن الجهالة غبها وخيم وأن البغي مركبه صعب
ولما أتاح الله تغيير أرضكم بإجلائكم عنها غوت بكم الدرب

وبما أن المملكة المتحدة كان لها دور في مؤازرة الشريف الحسين في ثورته ضد الخلافة العثمانية، فهي لم تسلم أيضاً من نقد أكثر حدة وإيلاماً، فهو يصفها بأنها دولة الاستعمار والانتداب، فيقول في القصيدة نفسها:

فقل لي متى وفت بعهد لحاكم فهل هو إلا العهد بعده الغضب؟^(١)

وهذا البيت الأخير يدل على رؤية استشرافية عند الشاعر العمري سوف تنبئ الأحداث عنها بعد انجلاء الحرب العالمية الأولى، وما ترتب عليها من تقسيم العالم العربي إلى دويلات تخضع لحكم الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين.

(١) يذكر السيد عبيد مدني - كما ورد في الشعر الحديث في الحجاز - ص ١١٢ أن هذه القصيدة التي لم ترد كاملة في كتابات الذين ترجموا للشاعر (العمري) نشرت في صحيفة الحجاز سنة ١٣٣٥هـ ويظهر لي أن هذه الصحيفة هي أول صحيفة رسمية في المدينة المنورة وكان يرأس تحريرها السيد حمزة غوث، ويشارك فيها بدر الدين النعساني، ويكتب لها كل من عبد القادر شلبي الطرابلسي ومحمد العمري، أما مؤسسها فهو فخري باشا - حاكم المدينة العسكري.

انظر: محمد حسين زيدان، ذكريات العهود الثلاثة، (مطابع الشرق الأوسط) الرياض، ط ٢، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

واعتبر العُمري، من وجهة نظره، أن الثورة العربية خروج على حد الخلافة وإثارة الفتن، وإباحة لحمى الإسلام، لذا نجده يقول في هذا الشأن:

حَدُّ الخلافة من يجتازه ظُلماً ومن أباحَ حمَاهَا بِئْسَ ما اقتحما
ومن يُثِرُ فتنةَ عمياء ساكنةً فهو الذي هَتَكَ الإسلامَ والحُرماً^(١)

ويرى الأستاذ الأنصاري أن شخصية الشاعر محمد العمري تنطوي على شيء من شذوذ العباقرة، فقد كان عبقرياً فريداً في شاعريته، وهو يشعر بعبقريته هذه الفذة المهملة فكان هذا الشعور المكبوت يضيء عليه طوفاناً من الألم وعصبية المزاج.

ويبدو من سيرته أنه كان يعيش شظف من العيش - مع علو منزلته في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، ونجد ذلك واضحاً في رسالة بعث بها إلى قائد حامية المدينة عبد المجيد، في أثناء حصار المدينة سنة ١٣٤٤هـ، يشكره فيها على ما بعث به إليه من حنطة وسمن وتمر برني مدني، وتكشف عباراته الموجزة للقائد عن شعور عميق بالأسى والحزن حيث يقول: «تسلمت ما أمددني به من الطعام الذي أنا وأهل بيتي في حاجة ماسة إليه ولا سيما في هذا الحصار الخانق، فله ثم لك الشكر وحسن الأجر والمثوبة»^(٢) وفي أخريات حياته اعتزل الحياة العامة حتى وفاته^(٣).

(١) الشعر الحديث في الحجاز، ص ١١٠ - ١١١.

(٢) المنهل المجلد الثامن عشر، الجزء الثالث، ربيع الأول ١٣٧٧هـ، أكتوبر ١٩٥٧م. فضيلة الشيخ محمد بن أحمد العمري الواسطي، الحلقة الثالثة.

مجلة المنهل المجلد ٢٣، الجزء الأول، المحرم، (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م)، ص ٤٤٧.

(٣) يدون الأستاذ محمد سعيد دفتر دار تاريخ وفاته بعام ١٣٥٠هـ بينما يميل كل من عبيد مدني =

- عبيد عبد الله مدني (١٣٢٤ - ١٣٩٦هـ)

يدلنا كل من تاريخ ولادة ووفاة هذا الشاعر الأديب المؤرخ، ووفاته أنه أدرك ثلاثة عهود: العثماني والهاشمي والسعودي^(١)، مثله في ذلك مثل أنداده من أدباء وشعراء المدينة المنورة، مثل محمد سعيد دفتر دار (١٣٢٢ - ١٣٩٢هـ) وعبد الحق نقشبندي (١٣٢٢ - ١٤٠٢هـ) وعبد الحميد عنبر (١٣٢٢ - ١٣٩٠هـ) وعبد القدوس الأنصاري (١٣٢٤ - ١٤٠٣هـ) وضياء الدين رجب (١٣٣٥ - ١٣٩٦هـ)^(٢).

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول بأن ولادته كانت قريبة - جداً - من ولادة صديقيه الأثيرين إلى نفسه، عبد القدوس الأنصاري وعلي حافظ. حيث كان الأنصاري نديداً ثم زميلاً له في حلقة الشيخ الطيب^(٣)

= وعبد القدوس الأنصاري، وعبد الرحيم أبو بكر، إلى أن وفاته كانت في سنة ١٣٦٥هـ. وقد أخبرني الأستاذ محمد حسين زيدان شخصياً أنه أدركه حيث كان يؤم حانوت والده في سوق الحباية ويبدو من كتابات الأستاذ زيدان أنه كان حليفاً لبني زيدان عمر في المدينة وجماعة مقبول السراي.

انظر: العهود الثلاثة، ص ١٠٨.

(١) أحمد العلوانه: ذيل الأعلام، دار المنارة - جدة، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٢) حدد عبد السلام الساسي، تاريخ ولادة ضياء الدين رجب، بأنها كانت في سنة ١٣٣٠هـ وربما كان هذا الأقرب إلى الواقع، وخصوصاً أن الساسي كان معاصراً لهذا الشاعر، فالساسي من مواليد المدينة المنورة، سنة ١٣٣٦هـ وبها نشأ وتلقى العلم مثل بعض أنداده في كتاب الشيخ محمد سالم.

انظر: عبد السلام طاهر الساسي: الموسوعة الأدبية، ج ٢، ص ٢٦٩ - ٢٧٧، وكتاب الساسي الآخر، وهو مصدر أساسي في الشعر السعودي، شعراء الحجاز في العصر الحديث، (دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧٠هـ، ص ٣٣٧ - ٣٤٢).

(٣) محمد الطيب بن إسحاق بن الزبير بن محمد الأنصاري الخزرجي المدني، مدرّس، مالكي المذهب، سلفي العقيدة، يقال له (التنبكتي) ولد في (المراقد) بالمغرب سنة ١٤٩٦م، وانتقل =

الأنصاري، وإن لم يكتف بهذه الحلقة في طلب العلم بل نجد أنه أخذ من شيوخ مَعْرُوفين في المسجد النبوي، مثل: عبد الحق رفاقت علي وإبراهيم عبد القادر بري^(١) ومحمد العمري الواسطي، والأخير كان الأقرب إلى نفس شاعرنا وكان الشيخ العمري يخصه بكثير من الرعاية للصلة الوثيقة التي كانت تربط بين العمري والسيد عبد الله حمزة مدني ويؤكد الأستاذ الأنصاري، أن الشيخ العمري شكّل انعطافاً مهمة في مسيرة المدني، فلقد كان «يغذيه بالشعر القوي الحي تحفيظاً وتدريباً وتفهماً وتمريناً وتوجيهاً وتنبهاً ومحاكاةً»^(٢).

كما أن الشيخ أبو الطيب الأنصاري تنبه إلى مواهب بعض طلابه الشعرية، ومنهم ضياء الدين رجب فأصبح «يبصّره بمواقع الخطأ كما يبصّره بمواقع الإجابة»^(٣) ويشير الأنصاري إلى أن الحصول على الكتب في تلك الحقبة كان أمراً صعباً، مثل كتاب (دائرة المعارف) لفريد وجدي، وكتاب (مصر للمصريين)، وأن أول مرة تقع فيها عين الأنصاري على مثل هذه الكتب كانت في حوزة صديقه عبيد مدني. ويقارن الأنصاري بين دور أبي

= إلى المدينة سنة ١٣٢٥هـ، فدرس في المسجد النبوي إلى آخر حياته، ودفن بالمدينة سنة ١٣٦٣هـ.

انظر: الأعلام، ج ٦، ص ١٧٩، قال كاتب البحث (هو والد الأستاذ العلامة المعروف في علم الآثار الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري).

(١) إبراهيم عبد الرحمن المطوع: الشاعر المؤرخ عبيد مدني: حياته وشعره، (دار العلم جدة) ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ص ٤٤.

(٢) عبد القدوس الأنصاري، السيد عبيد مدني، مجلة المنهل، س ٢٣، ج ١٩، ربيع الأول ١٣٧٨هـ، ص ١٧٣ - ١٨٣.

(٣) انظر ترجمة السيد عبيد مدني، في أعلام الحجاز، للأستاذ محمد علي مغربي، ج ٢، ص ٢٥٧ - ٢٧٣.

الطيب الأنصاري علمياً وفكرياً وأدبياً في المدينة المنورة بدور جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في مصر^(١).

وإذا كان الدكتور عبد الله الحامد يعتبر عبيد مدني ضمن ما أسماه (مدرسة أحمد إبراهيم الغزاوي)^(٢)، وأن من خصائص هذه المدرسة أنه «يمتزج في شعرها القديم بالجديد»^(٣)، فإن الدكتور بكري شيخ أمين لم يذهب بعيداً عن تصنيف الحامد له^(٤).

وإن كان هذا التصنيف، كما أرى، نسبياً ويساعد فقط على رؤية الملامح العامة للأدب في الحقبة التي تتم دراستها وتحليل فكرها وأدبها وشعرها، إلا أن الأستاذ الأنصاري يحدد، في دراسة خاصة له عن شعر عبيد مدني، الدور الحقيقي الذي قام به في بيئة عرفت بأنها من أكثر بيئات الجزيرة العربية احتفاءً بالشعر منذ العصر الجاهلي^(٥)، فيعتبره بحق وحقيق

(١) مجلة المنهل، س ٢٣، ج ١٩، ربيع الأول، ١٣٧٨هـ، ص ١٧٥.

(٢) أحمد إبراهيم الغزاوي ولد بمكة المكرمة سنة ١٣١٨هـ، وتوفي بها سنة ١٤٠١هـ، شاعر سعودي من جيل محمد سرور الصبان، وعبد الوهاب آشي، وعمر عرب، ومحمد سعيد العامودي، أخرج أخيراً الأستاذ عبد المقصود خوجه أعماله الشعرية والنثرية وقدم لهذه الأعمال الشاعر حسين عرب. انظر: الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر والأديب الكبير أحمد إبراهيم الغزاوي، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ج ١، ص ٣٤ - ٣٧.

(٣) د. عبد الله الحامد: في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، (دار الكتاب السعودي - الرياض)، ط ٢، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص ١٠.

(٤) يقول الدكتور بكري شيخ أمين، أن نذكر أن هذا العدد الضخم الذي يميل إلى طريقة النظم الرزين المحافظ، قد تفاعل والفكر الجديد، واطلع على المدارس الشعرية المستحدثة، وأخذ عنها ما أعجبه، وظهر أثر هذا الأخذ في شعره. الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٨٤م، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

(٥) عقد ابن سلام في كتابه (الطبقات) باباً خاصاً لشعراء القرى العربية، فذكر أنها خمس (المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين) وأشعرهن قرية المدينة، شعراؤها الفحول خمسة: ثلاثة من الخزرج واثان من الأوس، وأشعرهم حسان بن ثابت، محمد سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، السفر الأول، ص ٢١٥.

أول ناشئ في المدينة المنورة، جنح نحو الأدب الحديث وأسلوب الأدب الحديث، ومنهج الأدب الحديث في المدينة المنورة. وإذا كانت عبارات الأنصاري، في تقديم ديوان صديقه المدني، تشير إلى أنه كان (أي الأنصاري نفسه) متخوفاً من هذه الرؤية المحافظة والتقليدية إزاء هذا الأسلوب الشعري الجديد، إلا أن هذا التوجه ما لبث أن تمكن من نفس الأنصاري، فأضحى يسير في الاتجاه الذي بدأ يتبلور^(١) عند رائد الأدب الحديث في المدينة عبيد مدني.

الباحث إبراهيم المطوع يرى أن بيئة المدينة المنورة كانت آنذاك سبابة لحركة البحث في نواح وجوانب عديدة ومنها الجانب الأدبي، حيث يقول في دراسته عن شعر السيد المدني: «حظيت المدينة بانبثاق حركة البحث منها وتبناها مجموعة من شعراء المدينة المخلصين، ووصلت إلى مكة برغم انقطاع السبيل بينهما»^(٢)، إلا أن الأمر عاد لسيرته الأولى بعد توحيد الجزيرة على يد المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله. وينتقل شاعرنا إلى مكة المكرمة حيث اختير عضواً في مجلس الشورى ١٣٥٦هـ، واستمر في عمله هذا حتى عام ١٣٧٣هـ^(٣)، وفي مكة التي كانت تحفل بحياة فكرية وأدبية صاحبة التقى بشخصية كانت تمثل محوراً للأدباء والشعراء وهو الشيخ محمد سرور الصبان^(٤) رحمه الله، وأضحى المدني يتعاطى

(١) المنهل، ربيع الأول، ١٣٧٨هـ، ص ١٧٦.

(٢) الشاعر المؤرخ عبيد مدني، ص ٣٢.

(٣) د. عبد الرحمن بن علي الزهراني: من رجال الشورى في المملكة العربية السعودية منذ عام (١٣٤٦هـ حتى ١٤٠١هـ) الرياض، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ص ٩٨ - ٩٩.

(٤) عبيد مدني، حياته وشعره، ص ٥٢، وعن محمد سرور الصبان ودوره الفكري يقول خير الدين الزركلي، رائد الأدب الحديث في الحجاز، من كبار رجال المال والأعمال، ولد في القنفذة سنة ١٣٦١هـ، تقلد منصب وزارة المالية، ثم أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي، وأنفق كثيراً من المال في نشر كتب التراث وطبعها وجمع المخطوطات النادرة.

انظر: الأعلام، ج ٦، ص ١٣٦.

ذلك الفن الشعري الذي كان سائداً في تلك الحقبة وهو فن المساجلات الشعرية. وكان الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي واحداً من هؤلاء الشعراء الذين تعاطى معهم شاعرنا ذلك السجال الشعري.

ولربما أعادته هذه المجالس الأدبية في مكة التي أصبح يغشاها ويأنس بفطرته الأدبية لروادها، وربما ذكّرته بالطريقة التي كان شيخه العمري يشجعه بها على إبداع الشعر حيث يطلب منه تذييل أبيات معينة فإذا هو ينطلق من ذلك (التّذييل)^(١) إلى نص شعري فيه من الجدة والابتكار في المعاني ما فيه إضافة إلى الدباجة الشعرية العربية الأصيلة وينساب بين أبياته نغم تكاد تحس الأذن وَقَعَه القوي وذلك لأن الشاعر أراد لقصيدته أن تكون قصيدة حماسية، ولقد أتى النص الذي أطلق على صاحبه (شاعر الشرق)^(٢) بهذه السمات الفنية المتكاملة بسبب تلك العاطفة الصادقة التي يحملها شاعرنا في نفسه لشيخه مقتنعاً بأنه رائد بين قومه ويمكنه أن ينهض بدور اجتماعي يتناسب والحالة التي تمر فيها الأمة آنذاك حيث تشير مقدمة القصيدة بأنه نظمها في عام ١٣٤٣هـ، وهي حالة فيها من الضعف في وجوه كثيرة من وجوه الحياة الشيء الكثير والذي يتطلب موقفاً فكرياً قوياً من علماء الأمة ورجالها ومصلحيها.

(١) البيتان اللذان أنشدهما (العمري) ثم طلب من تلميذه عبيد مدني أن ينطلق منهما على نفس القافية والوزن هما:

وحوراء روِدِ يَتُّ أَلْثَمُ ثديها وتلعب كَفِّي في المخصر والردف
وأرشف من غر الثنايا مُعْتَقاً يكاد يذوب الشجر من شدة الرشف

انظر: عبيد مدني، شاعر الشرق، مجلة المنهل، صفر، ١٣٧٧هـ، ص ٣٨ - ٤٠.

(٢) القصيدة مثبتة - كاملة - غير منقوصة في الجزء الثاني من ديوان السيد عبيد، والموسوم (المدنيات) ط ١، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦)، ص ١١٤ - ١١٧، وقد بلغ عدد أبيات القصيدة حوالي ٤٢ بيتاً.

القصائد المخصصة للدراسة

(مصادرها الأصلية ، مناسبات وظروف إنشائها)

١ - قصيدة جعفر البيتي .

أ - النص الشعري .

وظبا القواضب والجياد القفل
الصفانات الزافرات الجفل
يوم التصادم في القتام المسبل
والفوز في أقصى فيافي الهوجل
رفل المحازم كالجياد العزل
لقوا العلاقم في تراقي الحوصل
طوعاً، وعن شأو المفاجر يأتلي
غبراء بين مهابة وتذل
والذل بالأحرار ليس بمجمل
مثل الهمام الأمجد بن الأفضل
ذي العزم، سبط المصطفى والمرسل
أهل الكساء، الطاهرين، الكمل
دون العباد بسيفه والمقول

المجد تحت ظلال سمر الذبل
الموريات العاديات ضوايحاً
والخوض في غمرات بطنان النوى
وتواتر العزمات في طلب العلا
والفخر ما ترك الأعادي خشعاً
بين القنا وورود أحواض الردى
لا عاش من ترضى المذلة نفسه
تعست حياة لا تشاب بعزة
العز أجمل ما اقتناه أولو النهي
من شاء إدراك المعالي فليكن
السيد، الزين، الشريف «محمد»
وابن الكرام الطيبين أرومة
والحازم المقدام، دحاض الردى

فيه، وشنشنة، لأخزم من علي من مرجف، أو مفسد أو مخذل من كل ناحية، وبغي بني علي من جورهم فيها، وظلم الأرملة هماته الأقدار بالله العلي من كل شهم في الخطوب مدلل مقرونة بالنصر مثل الأجدل في الدين، لا يخشون لوم العذل بالبيض، والسمر اللدان الذبل وتعطلوا بالجد أي تعطل هول يذيب مرارة المتهول متختلين لأخذهم في الجندل فيهم، فيصبح في الحديد مكبل لم يتركوا من زيهن سوى الحلبي أن ينقضوا ما أبرموه بمبطل أفق السماء عجاجها، بل يعتلي أغوات مع أتباعهم والجهل «لعلى قنا» الغمر، الزنيم الحسكلي أن يشتري فيهم ولما يدخل إذ خان قدماً في الزمان الأول ودعاهم القاضي ليوم مقبل من غير مكترث، وغير معول ورد السهام إلى وتين الكلكل

لا غرو فهي سجية مودوعة ما زال يذكر في المدينة منكرأً وتغلب العربان في أطرافها وتغافل الحكام عما أبصروا حتى أتى الفرج القريب وساعدت فاستنهض الأبطال من أنصاره يهوي إلى نهب النفوس بهمة فتعاهدوا في الله أن يتناصروا وحموا حماهم والديار عن العدا فتذلت لهم البوادي عنوة ولطالما قاسوا ليالي العسر من يمسون في حفظ المناق كمنأً يا ويل من قد أوقعته نفسه فهم الرجال وما سواهم نسوة فتشاور الفساق فيما بينهم فجرت هنا لك صيحة، يرقى على وطغت عليهم بعد ذلك عصابة ال والأصل في ذا أنهم قد ركزوا منعوه أرباب الوجاق جميعهم زعموا بأن له فساداً سابقاً فترافعوا للشرع، وانكشف الغطا نزلوا وألقوا في المداعير الظبا فتفازعت لهم الرجال أخف من

طعناً وضرباً كاللهيب المشعل
أبواب، واصطعدوا المنايرَ والعُلَى
جاءَ النبي ولا الكتاب المنزل
متحصنين بحلية المستقبل
وأتوا بفعل منكر لم يُفَعَلِ
هدراً لحد المرهفات الفُصَّل
والنص في طغيانهم نص جلي
من كل فحل بالثبات مسربل
ولنا عليهم صف بيت الحنبلي
فتحصنوا الحمام منه وما يلي
وتسمرت للموت نار القسطل
وأمر طعماً من مذاق الحنظل
وقعات جساس بقوم مهلهل
واستخرجوهم منزلاً من منزل
أحشاؤهم مثل انفجار الدمل
وجرت دماؤهم كجري الجدول
لأمر طوعاً خضعاً بتذلل
جنحوا لسلمكم بغير تفعل
إذ حيث كان أولاك عنه بمعزل
قد كان رأساً للفساد الأول
جعل المفسد سنة لم تجعل
حبكت عليهم غمة لا تنجلي
وهووا إلى درك الجحيم الأسفل

فهنالك ولوا مدبرين وأتبعوا
وأتوا إلى الحرم الشريف وأغلقوا ال
ورموا على الناس الرصاص ومارعوا
وأقام ذاك إلى الغروب، وأصبحوا
فدفعوا إلى أن يرجعوا، فتعصبوا
فقضى عليهم أن تباح دماؤهم
وتوافق الجمهور قولاً واحداً
فتبادرت لهم الرجال عوابساً
فهم بيت المالكي وصفه
ومشت إلى ذروان منهم فرقة
فهنالك صبت للمنون صواعق
يوماً أشد من الحديد قساوةً
تركوا النواصي شيباً فكأنها
نقبوا عليهم كل دار عنوةً
وتداركوهم بالردى فتفجرت
فتصاغرت أرواحهم مما رأوا
وتحققوا الموت الزؤام، وسلموا
فأشار قاضي الشرع كفوا، إنهم
فأطاع من منا جميعاً قوله
وتداركوا الخطب الجليل بحبس من
النائب الجاني، «ومسعود» الذي
«وبلال عنبر» رأس كل مصيبة
وتلاهم عبد اللطيف، فأسجنوا

نحو الشريف لحل ذلك المشكل هم والخصوم، مع الشهود العدل رغماً على أنف العدو المبطل غراء، لم تدحض ولم تنزلزل أيضاً ويحملها بأحسن محمل ومشوا جميعاً نحوه بتذلل عنه، وصح القول غير تقول فينا بغير تهاون وتمهل بالغوث منك وغارة المتعجل وهم إليك بنسبة كالعيل عن كل فعل مجمل ومفصل نأوي له من كل أمر معضل لا يرتضى، والجور فيها قد ملي فافعل إذا ما شئت أو لا تفعل شرفاً، وغيرك من مناقبه خلي رجفوه بالفعل الفظيع المشكل متوجع من فعلهم بتململ مأوى البغات وكل وغد مضلل تبدو لغير المبصر المتأمل إلا لمثل القانت المتبتل غضباً، وطرف جامد لا يَهْمِل في الله بالحق المبين المنجلي فلأنت تعرف علة المُتَحِيل

ومشت عروض الناس فيهم جملة فاهتال منهم، وابتغى إحضارهم ليبين بالإجماع كل مغمم وتكون حجتهم هناك قوية تأتي إلى السلطان قولاً مثبتاً فتوافقوا للطوع إذ هو واجب فإذا أتوه وحققوا ما أخبروا فلسوف تأخذه هناك حمية يا أيها المولى تدارك كربنا فلك البلاد مع العباد وأمرهم تأتي ويسألك المهيمن عنهم فالغوث ثم الغوث إنك كهفنا إن المدينة حل فيها منكر فلأنت أولى الناس حقاً غيراً ولأنت من بيت تقدر سره لو تسأل القبر الشريف غداتما لأجاب أن محمداً في طيه حاشا لمختلف الملائك أن يرى الله أكبر إنها لمصيبة تالله ما جعل المساجد معكفاً أف لقلب مؤمن لا يمتلي فاصدع، فما تأخذك لومة لائم لا ترثين إذا أتوا بتحليل

لولا النبي أقام فيهم غارةً
ما أوقعتهم في الوبال غير نفوسهم
قطعت زنانيرُ النِّفاق بكتبهم
لا زلتم يا أهل طيبة نصرَةً
في ظل أعتاب النبي وجاهه
إن النبي له عليكم غيرة
فامضوا على صدق العزائم وارضضوا
إنا إذا أخنى علينا حادث
فلنا اعتصام بالنبي وآله
صلى عليه الله ما نشر الربى
وعلى بنيه والصحابة كلهم
ما رجع الحادي يقول معرضاً

شعواء لم تبرح ولم تتحوّل
ولكان ذاك الأمر لم يتحصّل
ولسوف تقطع في الزمان المُقبِل
للحق، سماً للعدو المبطل
متسربلين بنعمة لا تبدل
حقاً، و إن الله ليس بمهمّل
قول المعنف والجبان المفشل
أو شدة، أو بعض أمر معضل
خير الورى، المدثر، المزمّل
نشر العبير، مع النسيم الشَّمألِ
الطاهرين، الراشدين، الكمل
المجد تحت ظلال سمر الذبل

ب - المصادر الأصلية للنص :

- (ديوان الشاعر جعفر البيتي)^(١) (مخطوط).

- كتاب (الأخبار الغربية في ذكر ما موقع بطيبة الحبيبة)^(٢)، لمؤلفه

(١) توجد من هذا الديوان الشعري المخطوط عدة نسخ منها:

(نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة، قسم الأدب، رقم ١٦٩) و(نسخة مكتبة المدينة المنورة، مجموعة الصافي، الرقم ١٠٤) و(نسخة مكتبة طويقبو سراي، استانبول، مجموعة المدينة رقم ٥٤١) و(نسخة مكتبة السيد عبيد مدني، مكتبة خاصة، ونسخت سنة ١١٨٥هـ).

(٢) قام كاتب هذا البحث (عاصم حمدان) بتحقيق هذا الكتاب بجزء من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة مانشستر بالمملكة المتحدة اعتماداً على نسختين إحداهما نسخة خاصة تعود ملكيتها لمكتبة آل الأنصاري بالمدينة، والنسخة الثانية تعود ملكيتها للشيخ عبد الستار دهلوي وأصبحت جزءاً من مكتبة الحرم المكي الشريف.

السيد جعفر بن حسين بن يحيى هاشم الحسيني المدني^(١).

- (الفلك المشحون) المنسوب للمؤلف السيد يحيى هاشم المدني^(٢)، وهو كتاب مخطوط، ويقع في حوالي ٤٠٠ صفحة^(٣)، والكتاب يتضمن أشعاراً مأخوذة عن ديوان السيد جعفر البيتي، وقصائد أخرى للسيد يحيى هاشم المدني^(٤)

- وردت القصيدة كذلك ضمن بحث قدمه المؤرخ الأديب السيد عبيد عبد الله مدني، ضمن بحوث (المؤتمر الأول للأدباء السعوديين) المنعقد في مكة المكرمة، شهر ربيع الأول ١٣٩٤هـ، وكان البحث يحمل اسم (شعراء المدينة والشعر الملحني في القرن الثاني عشر الهجري)^(٥).

= انظر: محمد صالح جمعة، فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)، ص ١٠.

(١) جعفر بن حسين بن يحيى هاشم الحسيني المدني، مولده ووفاته بالمدينة المنورة، سنة (١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م)، من مؤلفاته رسالة الزيارة، وكتاب الأخبار الغربية بما وقع طيبة الحبيبة، بخطه في مكتبة أسرته وكتاب في تاريخ المدينة: الأعلام، ج ٢، ص ١٢٤.

(٢) السيد يحيى هاشم، ذكر الأنصاري أنه ولد سنة ١١٤٦هـ، وصار كاتب المحكمة وله شعر لطيف ونثر ظريف.

انظر: تحفة المحبين، ص ٤٨٩.

(٣) تحصلت على نسختين مصورتين من هذا المخطوط إحداهما عن طريق السيد هاني إبراهيم هاشم، المسؤول عن مكتبة آل هاشم وناظر وقفهم بالمدينة المنورة، والأخرى عن طريق الباحث الأستاذ الشريف محمد راضي الحسيني، ويبدو أنها كذلك مصورة مثل مخطوطة مكتبة آل هاشم عن نسخة خطية أصلية بمكتبة عارف حكمت بالمدينة.

(٤) اللوحة الأخيرة من المخطوط توجد هذه العبارة (وكان الفراغ من كتابة هذا الديوان المبارك يوم الأربعاء المبارك، خمسة عشر يوماً خلت من شهر ربيع أول: ١٢٣٩هـ).

(٥) بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، المدينة للطباعة والنشر، جدة، المجلد الثاني، ص ٧٢٢ - ٧٤٠.

ج - مناسبة إنشاء القصيدة :

وقعت فتنة في المدينة المنورة، كما ينص على ذلك المؤرخ جعفر بن حسين هاشم^(١)، بين أغوات الحرم النبوي الشريف، والذي كانت تناط بهم مشيخة الحرم النبوي الشريف^(٢) وكانت هذه الوظيفة تعتبر في تلك الحقبة ضمن الوظائف الكبيرة في المدينة. كانت الفتنة بين الأغوات من جهة، وبين الحامية العسكرية وأهل المدينة من جهة أخرى حيث أراد الأغوات فرض اسم معين ليكون مسؤولاً عسكرياً، ورفضت الحامية العسكرية هذا الأمر على أساس أن الشخص المعني بالأمر سبق أن حدثت منه خيانة. وأصر كل فريق على رأيه، وقد انضم إلى الأغوات بعض من قبائل حرب الشهيرة، وللخصوصية الدينية التي كان يتمتع بها الأغوات، فإنهم استغلوا ذلك، وصعدوا فوق منائر الحرم، واتخذوا من بعض البيوت المحاذية للحرم النبوي الشريف ملاذاً لهم، وأصروا على محاربة الحامية العسكرية ومن معهم من سكان المدينة. فلما أحس العسكر، بخطر هذا الأمر، وحفاظاً على قدسية المكان رفعوا الأمر إلى القاضي الشرعي، فقام

(١) انظر: تفاصيل هذه الحادثة في النص المحقق لكتاب (الأخبار الغربية في ذكر موقع بطيبة الحبيبة) ضمن رسالة الدكتوراه المقدمة لقسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر بالمملكة المتحدة، تحت عنوان:

The Literature of Medina in the Twelfth Century A. H (Eighteenth Century A.D) Examined from Contemporary Sources, With a Critical Edition of One of These Sources: AL Akhbar AL - Ghariba Fi Dhikr Ma Waqaa Bi - Tayba Al-Habiba By Jafar Hashim Al - Husayni A thesis presented for the degree of PH. D by Asim H. A. Hamdan - Manchester, 1986.

(٢) شيخ الحرم النبوي الشريف، وظيفته القيام بإدارة جميع شؤون الحرم الشريف والموظفين على اختلاف طبقاتهم وتنوع اختصاصاتهم والإشراف على ما يتعلق به، وكان بعضهم يحمل لقب وزير.

القاضي الشرعي باستدعائهم ولكنهم رفضوا حضور مجلسه. فاعتبر القاضي ذلك عصياناً وبعياً منهم، وبالتالي يجب قتالهم والتضييق عليهم، وأدت هذه الفتنة أو الحادثة إلى قتال عظيم بين الطرفين مما نتج عنه تعطيل صلاة الجماعة في المسجد النبوي الشريف، ورفع الأمر إلى شريف مكة آنذاك مبارك بن أحمد بن زيد^(١).

فعقد مجلس بعد حضور كل الأطراف إلى مكة، وبوجود قاضي مكة، ومفتي المدينة، ووالي جدة إبراهيم باشا^(٢). وجمع من أعيان مكة وعلمائها. وبعد رفع الأمر إلى السلطان العثماني في استانبول جاء الرد من عاصمة الخلافة بتثبيت الحكم الذي سبق لقاضي المدينة أن أصدره قبل نشوب القتال، فتم عزل بعض الأغوات ونفي البعض الآخر.

ولقد تأثر الشاعر جعفر البيتي بهذه الحادثة، وخصوصاً لما تعرض له الحرم النبوي الشريف من انتهاك محرم حيث استخدمه الأغوات كموقع عسكري يُقتلون من فوق منائره كُلاً من اختلف معهم حول هذه القضية.

ويقال إن هذه القصيدة كانت أول قصيدة ينظمها البيتي وكان عمره آنذاك حوالي ٢٤ سنة.

(١) مبارك بن أحمد بن زيد تولى إمارة مكة للمرة الأولى، سنة ١١٣٢هـ، واستمر إلى سنة ١١٣٤هـ، ثم تولاها للمرة الثانية سنة ١١٣٦هـ واستمر أربعة أشهر (فقط) ثم استبدل بأmir آخر هو عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد.

انظر: جد أول أمراء مكة وحكامها، ص ٣٨.

(٢) كان إبراهيم باشا والياً على جدة ما بين سنة (١١٢٢هـ إلى ١١٢٥هـ)، عبد القدوس الأنصاري، موسوعة تاريخ مدينة جدة، مطابع الروضة، جدة (١٤٠١هـ - ١٩٨٠م)، المجلد الأول، ص ٣٢٦.

٢ - قصيدة عبد الجليل برادة .

أ - النص الشعري .

كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر
كذا فليكن ما يدرك الثأر والوتر
يرافقه نسك ويتبعه أجر
تخاض المنيا والحديد لها جسر
ويطرب محزوناً ويلهو به غر
وبالعكس في تعبيرها طلع الفجر
فعاد عليهم ضلة ذلك الفكر
وعم على جيرانهم منهم الغدر
وعن مثلهم لا يحسن العفو والصبر
ببأس شديد لا يقوم له الصخر
كذا الليث يخشى من بواده الهصر
عظيم بني عثمان يا حبذا الفخر
هو الفرض من غزو تباهى به العصر
عليه دهور لا يشاد له ذكر
مثوبته العظمى وحق له الشكر
وسالمه رغم العداة بها اليسر
وأفضل فتكات الملوك هي البكر
فتوح به سر المحصب والحجر
وحق لهذا النصر أن يفرح القبر
تعاملهم بالمكر إن لزم المكر

كذا فليكن ما يحرز المجد والفخر
كذا فليكن ما يبلغ السؤل والمني
كذا فليكن سعي الملوك مقدساً
كذا فليكن قهر الأعادي وهكذا
حديث عن اليونان يضحك باكياً
أمانى نفوس في الدجى حلموا بها
همو دبروا أمراً لأمر وفكروا
فعاثوا وجاسوا في البلاد بجهلهم
صبرنا وكم عنهم عفونا فلم يقد
فقام أمير المؤمنين لردعهم
فبادرهم منه هصور غضنفر
يشيد أركان الخلافة فخرها
لقد قام في ذا العصر بالواجب الذي
فأحيا مواتا للجهاد تقادمت
وقام به في الله الله يبتغي
غزاة لعمر الله قد نال خيرها
بفتكته البكر التي شاع ذكرها
ليهنك يا كهف الأنام وظلمهم
وقبر لخير الخلق سر بطيبة
فأنت ملاذ للعفاة مؤمل

لك الرأي بالحزم السديد مؤيد
فداو مريض الجهل بالحلم إن يفد
ورأيك سيف ما أمت شباته
ومن أين للسيف الحسام مضاؤه
سمعنا بأن الجبن فيهم سجية
لقد تركوا الأوطان والأهل عنوة
وما وقفوا في موقف الحرب لحظة
وأدهم بالدهم الجياد دهاهمو
وترحالة عنها ترحل جمعهم
وغصت غلوص بعد ذاك بريقها
ولاريس في لاريس بعد انهزامهم
وفضلك جم لا قليل ولا نزر
وإلا فداء الشر يحسمه الشر
بأمر عصى إلا أطاع له الأمر
إذا خامر الألباب من حادث ذعر
ولما التقيناه صدق الخبر الخبر
وأجلاهمو القتل المبرح والأسر
ولا ثبتوا كلا ولكنهم فروا
فحاصوا كحمر الوحش صادفها نمر
ودكدك من أنحائها السهل والوعر
فما ساغ لولا أن تداركها البحر
رئيس فهم فوضى كأنهم الحمر

ب - مصادر النص

- وردت القصيدة في كتاب (حلية البشر) من تأليف عبد الرزاق البيطار الذي عاصر البرادة، والتفاه، كما يذكر في الأستانة سنة ١٣١٥هـ، ويتحدث عن ذلك اللقاء بعبارات فيها الكثير من الإجلال والتقدير لمواهب برادة الأدبية والشعرية حيث يقول: «وكنت أجمع به كثيراً وأجلو الغم بمذاكرته وبديع محاضرتة، وكان متقن اللغات الثلاث مفتخراً فيها»^(١)، وأول بيت افتتح به الشاعر قصيدته، كما وردت، في (الحلية) هو:
كذا فليكن ما يحرز المجد والفخر كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر

(١) حلية البشر، ج٢، ص ١١.

وآخر بيت في النص هو:

ودو ميكه تدعو أثينة جهدها لتنجدها هيهات أشغلها عُذْر^(١)

كما أورد المؤرخ عبيد عبد الله مدني أجزاء متفرقة من هذا النص الشعري في دراسته التحليلية النقدية، التي ذكر فيها أن ابن الشاعر سعد الدين^(٢) أطلعه على مجموع خطي فيه جملة طيبة من أشعار والده الشيخ عبد الجليل وشعره هو ومختارات أخرى وأضاف عبيد أنه قد نقل منه ما أراد.

والعبارة الأخيرة من كلام السيد عبيد تدل على أن مصدره في النماذج التي أوردتها في دراسته التحليلية تلك والمنشورة بمجلة (المنهل)، هو ما يمكن اعتباره ديوان آل برّادة الشّعري^(٣). فقد نقل نصوصاً من القصيدة (إياها) بَعْضٌ من أدباء المدينة ومؤرّخيها من الجيل الأول، من تلاميذ

(١) الحلية، ص ٧٨٢ - ٧٨٣.

(٢) حدد السيد عبيد مدني، تاريخ وفاة ابن الشاعر، سعد الدين بأنها كانت في المدينة في غرة شوال، ١٣٥٦هـ، وذكر المدني أيضاً أسماء أبنائه وهم سعد الدين ومحمد وسامي، وحسين وعلاء الدين وإحسان، والثلاثة الأولون شعراء مجدين، انظر: المنهل، عدد مايو ويوليو، ١٩٦٩م، وأضاف إلى ما ذكره السيد عبيد أنني أدركت في مطلع العمر في المدينة اثنين من أبناء إحسان برادة، وهما عبد الجليل وعبد الملك (رحمهما الله) أي إنهما أحفاد الشاعر الجد عبد الجليل برادة.

(٣) في مقدمة النص الشعري لقصيدة الشاعر إبراهيم الأسكوي الموسومة مفاخرة بين وابور البحر ووابور البر يصادفنا تقريباً لتلك القصيدة الأسكوييه من قبل الشاعر محمد أفندي عبد الجليل برادة، ويوحى النص بأن محمد برادة تنبه لضعف الأدب والشعر في تلك الحقبة وأن الأسكوييه نهض بدور كبير في إعادة الأصالة إلى الشعر بما قدمه من قصائد مغايرة لإنتاج الشعراء الآخرين المعاصرين له. يقول محمد برادة:

يقولون مات من بعدهم أسئ	فليس له مصنع ولاثم شاعر
نعم قد عفا ربع له كان أهيلا	فلم يبق إلا الرسم والرسم دائر
تصدى له قوم يظنون أنه	قريب متى راموه والباع قاصر
ولم يبق ذو فهم يقدر قدره	ولم يبق بين الناس إلا التشاعر

الشيخ أبي الطيب الأنصاري، ومنهم ضياء الدين رجب، وعبد القدوس الأنصاري، حيث تعرض الشاعر رجب لما دعاه بالمسابقة الشعرية التي جرت بين أشهر شعراء تلك الحقبة ومنهم أحمد شوقي، وتوفيق البكري، وولي الدين يكن، وجميل الزهاوي، وأحمد محرم، وعبد الباقي العمري، وأبو النصر السلاوي^(١).

ثم قام الأستاذ عبد القدوس الأنصاري^(٢) بتفنيد ما أورده ضياء الدين رجب معتمداً على مجلة مطبوعة في الأستانة تسمى (عكاظ الأدب). وقد أشارت المجلة إلى البرادة بقولها: «وذلك بعد عرض الكثير من هذه الآثار على فريق من أهل اللسان وشهادتهم لها باستحقاق مزية التقدم والرجحان وقراءة جمهرة منها على شيخنا الأستاذ المحقق واللغوي الشهير المدقق عبد الجليل أفندي برادة أمتعه الله في الدارين بالحسنى^(٣) وزيادة.

وأورد القصيدة كذلك المرحوم الناقد عبد الرحيم أبو بكر. إلا أن عدد أبيات القصيدة في دراسته كان ٣٢ بيتاً فقط، أما عند البيطار فكانت ٣٤ بيتاً^(٤)، مع أنه يشير إلى أن مصدره كان (حلية البشر) للبيطار، ثم أوردتها ناقصة أيضاً في بحثه الذي قدمه للمؤتمر الأول للأدباء السعوديين، حيث بلغ عدد أبياتها ٢٦ بيتاً فقط.

(١) مقالة ضياء الدين رجب عن هذه القضية الأدبية وردت في المنهل، عدد ١٨ ذي القعدة ١٣٨١هـ

(٢) عبد القدوس الأنصاري، القول الفصل الجلي فيما دار بين رجب والأمدي حول الشيخ عبد الجليل برادة المدني. المنهل، ربيع الأول ١٣٨٢هـ، أغسطس، آب ١٩٦٢م.

(٣) الشعر الحديث في الحجاز، ٨٨ - ٨٩.

وانظر كذلك: بحثه الموسوم (من شعرائنا في القصر المملوكي والعثماني) بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، ج ٢، ص ٤٨٥ - ٤٨٦.

(٤) موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، الرياض، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، المجلد الثاني، ص ١٠٨ - ١٠٩.

ووردت أخيراً القصيدة في (موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث)، حَيْثُ صُنِّفَ مع إبراهيم الأسكوبي وعدد من الشعراء الآخرين على أنهم من شعراء البدايات. واعتمدت الموسوعة على دراسة عبد الرحيم أبي بكر عن (الشعر الحديث في الحجاز) (١٩١٦م - ١٩٤٨م)، وبناء عليه، فلقد كان عدد أبيات قصيدة برادة السياسية في الموسوعة ٣٢ بيتاً.

ج - مناسبة إنشاء القصيدة

قدم (البيطار) لقصيدة برادة السياسية بقوله: «ومن كلامه حينما انتصرت الدولة العثمانية على اليونان وذلك في أحد عشر تموز سنة ألف وثلاثمائة وثلاث عشرة وكان المترجم نزيل الدار العلية فقال مهنتاً ومادحاً حضرة السلطان الأعظم عبد الحميد خان»^(١)، والبيطار يكتفي بالقول: إنه كان نزيل الدار العربية، مع أن الزركلي يذكر في ترجمته له أنه: «أبعد في أيام السلطان عبد الحميد الثاني إلى الأستانة»^(٢)، ولا نعرف سبباً لتوجهه إلى الشام وهو عليل الصحة، كبير السن مع بداية القرن الرابع عشر الهجري حيث يذكر ذلك مُعاصره البيطار، وهو معجب بشخصيته إلى حدٍ كبيرٍ حيث يقول: «قد اجتمعت به حينما شَرَفَ إلى دمشق الشام بعد الألف وثلاثمائة بقليل، وهو من المرضى سقيماً وعليلٌ، وبديهة النظر تدل على أنه

(١) السلطان عبد الحميد خان الثاني، ولد في سبتمبر ١٨٤٢م، وتولى الخلافة بعد عزل السلطان مراد عام ١٨٧٦م، وتم خلعُه من قبل الاتحاديين سنة ١٩٠٩م، وتوفي في فبراير ١٩١٨م، وكانت الحرب التي انتصرت فيها الدولة العثمانية في عهد عبد الحميد على اليونان قد وقعت سنة ١٨٩٧، انظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، ص ٣٢٦. وانظر كذلك إبراهيم المويلحي، ما هنالك من أسرار بلاط السلطان عبد الحميد، المركز العربي للإعلام والنشر، ص ٣٣٠.

(٢) (٢) الأعلام، ج ٣، ص ٢٧٥.

استكمل من الستين ما بين الستين إلى السبعين» وبعد ثنائه على صفات برادة الخُلُقِيَّة من شهامة وحسن مقابلة وكريم المعاملة، إضافةً إلى شخصيته الأدبية المتميزة وصفه بأنه طلق اللسان وشريف المجالسة^(١).

وإذا كانت ولادة برادة عام ١٢٤٠ هـ، كما ينقل المؤرخ عبيد مدني عن ثبِتِ أحدِ تلامذته وهو السيد عبد الجليل عباس رضوان^(٢)، وأن وفاته، كما يشير معاصره البيطار^(٣) سنة ١٣٢٧ هـ، فإنه قد عاش ما يقرب ٨٧ عاماً، وأنه عندما أنشأ القصيدة كان عمره ٧٣ عاماً، أي في سن متأخرة، حيث يصعب على الإنسان التنقل من بلد إلى بلد، ولربما قلَّ عطاؤه الفكري والأدبي وأن صحة الشاعر قد لحق بها من الضعف ما لحق منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري حيث تشير إلى ذلك صراحة عبارة البيطار السابقة والمتضمنة لقاءه به في الشام^(٤).

ومع أن السلطان عبد الحميد قد قرَّب بعض وجهاء المدينة مثل السيد أحمد أسعد^(٥) والشيخ محمد ظافر المدني^(٦)، وكانت إقامتهما في عاصمة

(١) حلية البشر، ج٢، ص ٧٨٠ - ٧٨١.

(٢) ثبت السيد رضوان كما أورد اسمه عبيد مدني في مقال له بالمنهل، هو «الفريد المنظوم مما تنائر من فرائد جواهر الأسانيد».

(٣) الحلية، ج٢، ص ٧٨٥.

(٤) الحلية، ج٢، ص ٧٨٠.

(٥) أحمد أسعد بن السيد محمد أسعد المدني الحسيني، ولد في المدينة المنورة، سنة ١٢٤٥ هـ، تولى إفتاء المذهب الحنفي في المدينة، انتقل إلى استانبول بأمر السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٩٩ م، وقلده السلطان رتباً عديدة كان آخرها وأعلىها (باية قاضي عسكر روميلي)، وتوفي في استانبول في ٧ رمضان ١٣١٤ هـ.

انظر: حلية النشر، ج١، ص ٢١٠ - ٢١٨.

(٦) محمد ظافر بن محمد حسن بن حمزة ظافر الطرابلسي المدني، ولد في مسراته (طرابلس الغرب) سنة ١٢٤٤ هـ، وسكن المدينة، وكان وثيق الصلة بالسلطان عبد الحميد الثاني، وتوفي

سنة ١٣٢١ هـ.

الخلافة (الأستانة)، إلا أن وجودَ برّادة لمدة في العاصمة مع كبر سنه وسوء حالته الصحية دون منحه أي خصوصية، مع أنه أكثر علماً وأفصح لساناً من الشخصيات الأخرى الموجودة في دائرة السلطان عبد الحميد الخاصة، كما أن فراره إلى مكة المكرمة بعد قدومه من استانبول مستجيراً بأميرها^(١) وشريفها خوفاً من بطش محافظ المدينة التركي عثمان باشا^(٢)، كل هذه المعطيات ربما تصب لجهة صحة الرواية القائلة بأن برادة يُعتبر من شعراء بدء اليقظة العربية^(٣)، ولكن إذا كانت العلاقة بين برادة ودولة الخلافة العثمانية سيئة، فلماذا أنشأ قصيدة بمناسبة انتصار الدولة العثمانية

= الأعلام: ج٧، ص ٧٦.

(١) إذا كان برادة قد توفي سنة ١٣٢٧هـ، كما يذكر الزركلي، فيكون قد أدرك حاكم مكة علي باشا الذي تولى الإمارة سنة ١٢٩٩م، وتركها سنة ١٣٢٦هـ، كما يكون أدرك أيضاً حكم الشريف الحسين بن علي والذي عينه السلطان رشاد الخامس أميراً على مكة في ذي القعدة ١٣٢٦هـ، أنظر: جداول أمراء مكة وحكامها، ص ٤٥.

(٢) عثمان بن فريد نوري باشا، أمير المدينة المنورة ومحافظها وشيخ الحرم في مطلع القرن الرابع عشر هجري، وكان أميراً لا يقرأ ولا يكتب، وكان يلي مشيخة الحرم أيضاً وتلك وظيفة كان أمرها بيد الأتراك في القسطنطينية وقد جرى خلاف بين المذكور وأهل المدينة انظر: عارف أحمد عبد الغني، أمراء المدينة المنورة، دار كنان للنشر، دمشق، ص ٤١٢ - ٤١٣ ويذكر المؤرخ الشريف مساعد منصور، أنه بعد وفاة الشريف حسين باشا الشهيد بن محمد بن عبد الغني بن عون سنة ١٢٧٩هـ، أقام الوالي عثمان باشا أخاه عبد الإله باشا للإمارة، وعرض للدولة لذلك فما أجازته وولت عون الرفيق أميراً، ومن هنا يمكن الاستنتاج بأن خروج عبد الجليل برادة هارباً من المدينة من بطش عثمان باشا، واحتماءه بأشراف مكة، يدلنا على الصراع القائم آنذاك بين المحافظ العثماني الذي كانت تختاره الأستانة لولاية المدينة المنورة وشريف مكة، والذي يبدو أن سلطته لا تصل إلى المدينة. انظر: جداول أمراء مكة، ص ٤٥.

(٣) الأعلام: ج٣، ص ٢٧٥، ويذكر زين نور الدين زين، بأنه عند مستهل القرن العشرين الميلادي وعلى وجه التحديد، بين سنة (١٩٠٨م - ١٩١٨م)، في عهد تركيا الفتاة، توترت العلاقات التركية العربية وطرأت عليها تغيرات جذرية ذلك لأن العرب استمروا في مطالبتهم بالإصلاح غير أن هدفهم الأساسي أصبح (الآن) الاستقلال الذاتي للولايات العربية.

انظر: نشوء القومية العربية، دار النهار للنشر، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م، ص ٨١.

على اليونان وقدمها للسلطان عبد الحميد؟ وهنا يمكن القول بأن الشاعر أراد أن يعمل خلال هذه القصيدة على تحسين علاقته بالخليفة وإثبات ولائه للدولة، ولربما ساعد ذلك على السماح له بالعودة إلى الحجاز، مع أنه بقي مدة بعد إنشاد هذه القصيدة^(١)، ولربما أحس الخليفة بشيء من الشفقة عليه لكبر سنه وضعف جسمه، فسمح له بالعودة، مع أن مأساته لم تنته بعودته إلى الحجاز، حيث حاول الاحتماء بشريف مكة، ولم يرجع إلى المدينة إلا عند إعلان الدستور العثماني^(٢)، إلا أن أمنيته في العودة إلى المدينة لم تتحقق، حيث توفي في الطريق بين مكة والمدينة، ووصل جثمانه إلى المدينة ليدفن بها^(٣). ومع ذلك فإنه لا يمكن استبعاد فكرة تعاطف الشاعر دينياً مع الدولة العثمانية، حيث سعى السلطان عبد الحميد، بعد تحرش أوروبا بالدولة والتحيز ضدها لصالح الشعوب المسيحية في البلقان، إلى توحيد عناصر الدولة من خلال فكرة الجامعة الإسلامية. وفي هذا السياق عمل على بناء المساجد وزيادة مخصصات العلماء، والتشجيع على الاحتفال بالمناسبات الدينية، وإضافة دروس عن الإسلام واللغة العربية إلى مناهج المدارس العلمانية^(٤)، وغير ذلك من مشاريع السلطان

(١) يشير البيطار إلى أنه التقى الشاعر برادة في الأستانة سنة ١٣١٥م، وكان إنشاء القصيدة المذكورة سنة ١٣١١هـ، وهو (عندئذٍ) مقيم باستانبول. انظر: الحلية، ج٢، ص ٧٨١.

(٢) قام (الأحرار) كما يذكر المؤرخ محمد فريد بك، في تاريخ الدولة العلية، ص ٤٠٩، الدستور سنة ١٩٠٨م، ومعلوم أن خلع السلطان عبد الحميد كان في ٢٧ إبريل سنة ١٩٠٩م، فبناء على هذه الحقائق التاريخ فإن الشاعر برادة الذي توفي سنة (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م) لم يتمكن من العودة إلى بلدة (المدينة المنورة) إلا مع نهاية حكم السلطان عبد الحميد، وتولية السلطان مع نهاية محمد رشاد.

(٣) الأعلام، ج٣، ص ٢٧٥.

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط١، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ص ٢٤٧ - ٢٥٤.

الإسلامية، مع الأخذ في الاعتبار، أن برادة نشأ في بيئة دينية وهي المدينة المنورة العاصمة الأولى للإسلام، فلا يمكنه إلا أن ينتصر للدولة حتى وإن اختلف معها، حول قضايا معينة، واكتفت هي في المقابل بإبعاده عن موطنه حتى لا تؤثر توجهاته الوطنية العربية على عامة الناس. وعالم أديب شاعر بمنزلة برادة يمثل مصدر خوف وقلق، عند اتخاذ منحى آخر، لدى المؤسسة السياسية في استانبول والتي يؤازرها في توجهاتها عدد من رجالات المدينة مثل، أحمد أسعد ومحمد ظافر، حتى وإن كان هناك انقسام بين هاتين الشخصيتين المواليين للسلطان عبد الحميد. وقد تأثرت بيئة المدينة بهذه الانقسامات. فالشيخ سعود ديشيشة^(١)، أحد رجالات المدينة، كان من الموالين لآل ظافر ضد آل أسعد^(٢)، ويبدو أن عبد الجليل برادة والذي كان على دراية كبيرة بعلوم الشريعة وتمكناً من علوم اللغة والبلاغة والأدب، مما يجعل معه الشخصيات الأخرى عند مقارنتها به في منزلة ثانوية من حيث الفكر المستقل والاعتزاز بالهوية الوطنية، يبدو أن هذا الرمز العلمي والفكري والأدبي الكبير اتخذ منحى خاصاً به يتناسب وحجم شخصيته.

(١) أبو السعود أحمد محمد ديشيشه، ولد بالمدينة المنورة عام ١٢٨٩م، كان يعرف بمواقفه الوطنية ضد محاولات التتريك التي كانت تقوم بها الحكومة العثمانية مما أدى إلى اعتقاله ونفيه، وعندما دخلت المدينة المنورة في الحكم السعودي كان ضمن الوفد الذي قام بتسليم المدينة المنورة إلى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز عام ١٣٤٤هـ، وقد عينه الملك عبد العزيز عضواً بمجلس الشورى واستمر في العضوية (من عام ١٣٤٨هـ إلى عام ١٣٥٠م)، حيث طلب الاستقالة من العضوية والعودة إلى المدينة وتوفي بها سنة ١٣٥٢هـ.

انظر: من رجال الشورى في المملكة العربية السعودية، ص ٥٧.

(٢) يذكر محمد حسين زيدان، بأن سعود ديشيشة كان من أنصار محمد ظافر وكان هذا الأخير على خصومة مع أحمد أسعد، العهود الثلاثة، ص ٧٦.

٣ - قصيدة إبراهيم الأسكوبي

أ - النص الشعري

يا آل عثمان فالمغرور من غرا
أتأمنون لموتورين ديدنهم
تمالؤوا، فخذوا حذرا فإنهم
فهذه دولة الطليان حين رأت
وشقت البحر بالأسطول معجبةً
وأنزلت بطرابلس عساكرها
فما على من رأى لحماً على وضم
أتركون لمن دبَّ الضراء لكم
دون الدنيئة إيثار المنية في
لا تحسبوا أنهم ناسون ما فعلت
أو يجهلون التواريخ التي سطرت
أو ما دروا ما الذي التنزيل أوجبه
هي التي أنتم فيها منازلهم
من يجحد الشمس يجحد أنها لهم
أيقظتموهم بضرب السهم فانتبهوا
فليتكم ما خطوتم نحوهم قدماً
نبهتموهم قشدوا نحوكم حنقا
فجددوا عُدداً للحرب فاتكةً
والله أرسل طه رحمة وهدى
فعمت الخلق نفعاً بالعلوم فمن

بأهل أوروبة، أو عهدهم طراً
أن لا يروا منكم فوق الثرى حراً
يرون إبقاءكم بين الورى ضرا
أسطولكم ليس يغني، فاجأت غدرا
تختال تيهأ به، مغرورةً سكرى
فهل أوربة كفت عنكم الشراً
يجتره غيره، لَوْمٌ إذا اجترا
ومدَّ عنقا يُغادي سَرَحكم عقراً؟
قوم من البغض ودوا محوكم مkra
أسلافكم بهم في سالف مرا
ومنكم هم بما في كتبكم أقرأ
من الجهاد وهذي صفحة تقرا
غصبتموها عليها فاعلموا قهرا
كانت وأصبحوا ملاكها جَبراً
من نومهم ورقدم أنتم الدهرا
وما أغرتم على أملاكهم شبرا
كأنكم قد أقلتم منهم العَثرا
براً وبحراً، فجازوا البرَ والبحراً
للكلِّ فانفعت أنوارُهُ نشرا
كَسَاب دُنيا، أو الدنيا مع الأخرى

دُنيا وديناً وشدوا عزمكم أزرأ
شرائع الدين حتى وطَّدُوا الأُمرا
في ظلمة الجهل تستاقونهم أسرى
فأصبحوا لكم من رجسهم طُهِراً
يسوؤه بدعاً كادت ترى كفرا
مسلِّحين يدكون الدنى زأراً
فزاد طغيانهم من بعدها كبرا
أروه كيف يرى نجم السهى ظهراً
مثل النعاج على أعقابهم قسرا
يرمي سواكم وطيّر يقبل الزجرا
ضعفاً ووهناً وألقاكم لهم جزراً
في الداء هذا الذي أعيا بأن يَبْرأ
من الشفاء ولم تستدركوا العُمرا
تسيمكم كي تموتوا موتةً كبرى
هل قبل كانت لأجداد لكم تُطْرَى؟
هل تعبرُ البحر إن رمتم بها عَبْرًا؟
عم البلاد وأعمى داركم فقرا
أعمى البصيرة حتى أغلق الفكرا
ملك العظيم، وأفشت فيكم الذعرا
عنهم وهم حمدوا كفراً به المسرى
أهدت إلى حكم عظمى جرت نهرا
سبقاً، ولا أحد يوماً بكم أزرى
بها تأخرتم عنهم أبت حصراً

فقامت العرب قبل الناس أجمعهم
فجد أجدادهم جهدا بما شرعت
وأهل أوربة والغرب أجمعه
فتحتم بكتاب الله أرضهم
ثم اجترأتم على الدين القويم بما
فحينما انتبهت أعداؤكم لكم
رجعتم القهقري عنهم مداهنةً
فمن كمصر وأرض الهند نام لهم
ومن تنبّه كالجابون ردهم
فما بقي غرض للقوة عن كذب
وأنتم تحسبون الدهر مال بكم
عجزتم فاستوت آراؤكم عجباً
حتى قربتم على أن تياسوا أملاً
فأقبلت حكماء السوء عامدةً
سلوا الحشايا التي ملتكم ترفاً
أو الأسرّة تعلو فوقها كِللُ
بئست بها راحةً أفضت إلى تعب
هل من خبير بداء في قلوبكم
عقائد فسدت فيكم فأفسدت الـ
ظننتم أن الله دين الله أخركم
لا تظلموا رحمةً للعالمين أتت
فلو عملتم بها ما فاتكم أحد
تذكروا كم خطيئات لكم سلفت

مالوا عليكم فلم يبقوا لكم ذكرا
قبلتموه، وإلا فاسكنوا القبرا
قليلة غلبت أمثالها كثيرا
إلا ثباتكم كي تركبوا الوعرا
من كل أغلب من ليث الشرى أجرا
من السلاح، وأن توفوا له صبرا
ما عندهم منه ما يكفيهم قدرا
بل اكشفوا لهم عن صنعه السترا
حياتهم ويفوا مولاهم برا
ولا تركتم لهم في أرضهم حذرا
حتى غدوا نعماً تستنظر النحرا
ولا تسببتم أن يأخذوا حذرا
جهلاً رضيتم بها في دينكم تُجراً
يرمي، وليتكم استعظمتم الوزرا
وحالكم هذه لم تبلغوا العشرا
حتى يطيروا فطاروا فوقكم خبرا
سما بها فضله، أو طالب أثرا؟
جهل البسيط بكم من غيره أخرى
بيض الصوارم تنفي العار والعسرا
ولا تُبقوا لهم يوم الوغى عُدراً
يغنيهمو، واطلبوا المولى بذي الأمر
إذا شكوه حملتم أنتم العُسرا
فلم يُبقوا لكم نهياً ولا أمرا

تالله تالله إن لم تتبعوا الذكر
نعم الشفاء بقرآن الإله إذا
إن تنصروا الله ينصركم فكم فئة
يا للرجال ثقوا أن ليس ينفعكم
وأن تخوضوا غمار الموت مترعةً
مسلحين بما أوفى العدو به
فهذه العرب والأتراك قاطبةً
فرخصوا لجميع المسلمين به
فيصنعوه بأيديهم فيغتنموا
فليس عندهم علما بصنعتة
قطعتم فاتقوا المولى عزائمهم
فلا لكم قوة في دفع أوربة
فالله يسألكم عنهم وعن بدع
عليكم وزرهم أن أصبحوا هدفاً
لو ألف عام طلبتم علم أوربة
لم يكف ما طار من صيت لهم خيراً
مكاتب كخيال الظل هل أحد
إن كان مبلغكم في العلم ذلك فال
فاليوم أنفع علم في البنادق وال
فنبهوا من بقي من أهل ملتكم
ودربوهم على تعليم صنعة ما
وألقيمو حجراً من قال: إنهم
وفارقوا أربعاً كانت تذللهم

ليخسأ الخاسر الملعون غشكم
والله يأمرنا أن نستعد لمن
فإن فرضنا بأن شق العصا رجل
وإن به فئة قامت مسلحة
كان السلاح سلاح المثل قبل بلا
يكفي من الغش ما ضاع الزمان به
وتتبعوا الشرع في نيل العلاء وفي
وأن تكونوا من الدين الحنيف على
نصيحة حقها النصر المبين لكم
والله أرسل طه رحمةً وهدى
والله أرجو بطله العفو في زمن
وبالصلاة أخص المصطفى شرفاً

فهل بنا هو من رب السما أدرى . . ؟
عاداه، كي لا تولوا في الوغى دُبراً
لا بد آخر يسقيه الردى المُرّاً
بغياً عليكم به قامت لها أُخرى
ريب، وكانت ملوك تُرعبُ القُطراً
فما بقي ما سوى أن تلعقوا الصِّبراً
نصر الإله إذا ما رتمت النصارا
أقوى اتساق، وأن لا تظلموا العصارا
عسى عسى بعدها أن تنفع الذكرى
بالعدل والأمن، لا تعصوا له أمرا
وأن يبدلنا من عسرنا يسرا
والآل مع صحبه والعترة الغرا

ب - مصادر النص

وردت القصيدة ضمن القصائد التي احتواها ديوان الشاعر، والذي
عني بتحقيقه وإخراجه الدكتور محمد العيد الخطراوي. وقد ذكر
محقق الديوان أن القصيدة التي لم ترد في النسخ التي اعتمدها في
عملية التحقيق^(١)، وذكر أن القصيدة أضافها الشيخ محمد سعيد دفتر دار^(٢)

(١) ديوان الأسكوبي، ص ١٨.

(٢) محمد سعيد دفتر دار ولد بالمدينة سنة ١٣٢٢هـ، وتوفي بها سنة ١٣٩٢هـ، وعمل معتمداً
للتعليم بالمدينة المنورة لمدة طويلة، ويعتبر الشاعر الأسكوبي جده من جهة والدته، لهذا فهو
مصدر موثوق عن الأسكوبي، وخصوصاً وشعراء المدينة الذين عاش كثيراً منهم، وكتب عن
حياتهم بالتفصيل في كتاب لم يطبع.

عن حياته: انظر: الأعلام، ج ٦، ص ١٤٥.

إلى نسخة السيد علي حافظ^(١).

ويذكر الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أن القصيدة نشرت في بعض الصحف السورية^(٢)، كما يشير الدكتور عبد الله الحامد إلى الأثر الذي تركته القصيدة في البلاد العربية الأخرى، حيث كان يُردّها مِنَاهُصُو الحُكْم التُّركي في الشام لأنها صادفت ما كان ما يعتلج في نفوس الناس من الحالة السيئة التي وصلت إليها الدولة - آنذاك^(٣).

نشر الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أجزاءً من القصيدة في مجلة (المنهل) في سلسلة مقالاته التي حملت عنوان (عودة بأدبنا إلى ما قبل خمسين عاماً)^(٤)، كما تضمنت مقالة الأستاذ محمد سعيد العامودي في مجلة المنهل^(٥) استشهادات من هذه القصيدة، ثم عاد لشيء من دراسة القصيدة دراسة تحليلية في أحد كتبه المعروفة^(٦).

(١) لقد قام المرحوم السيد علي حافظ (رحمه الله) في ١٤٠٠هـ بتزويدي بصورة من ديوان الأسكوبي من مكتبته التي كانت تقوم بالشركة السعودية للأبحاث والتسويق بجدة.
(٢) ذكر الأستاذ عبد الله عبد الجبار، أن القصيدة نشرت في جريدة البلاغ البيروتية، التيارات الأدبية، ص ١٤٠.
(٣) الشعر في الجزيرة العربية، ص (٣٧٦ - ٣٧٧).
(٤) تضمنت الأعداد التالية من مجلة المنهل مقالات الأستاذ الأنصاري عن الشاعر الأسكوبي، وهذه الأعداد هي:

- المنهل، السنة التاسعة، الجزء الثاني، صفر، ١٣٦٨هـ، ديسمبر ١٩٤٨م، ص ٧٠ - ٧٤.
- المنهل، السنة التاسعة، الجزء السابع، رجب، ١٣٦٨هـ، مايو ١٩٤٩م، ص ٣١٤ - ٣٢٠.
- المنهل، رمضان، شوال، ١٣٦٨هـ.
- المنهل، السنة الثالثة عشر، الجزء الرابع، ربيع الآخر، ١٣٧٢هـ، يناير ١٩٥٢م، ص ١٧١ - ١٧٤.

(٥) من شعرائنا في العصر العثماني إبراهيم الأسكوبي. المنهل: رجب ١٣٧٥هـ.
(٦) محمد سعيد العامودي، من تاريخنا، الدار السعودية للنشر (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م)، ص ٢٢٥، ٢٣٤.

كما تعرض الأستاذ عبد الله عبد الجبار لهذه القصيدة في القسم الثاني من كتابه (التيارات) واستشهد بأبيات معدودة منها^(١). وأما الأستاذ عبد السلام الساسي فقد أورد في (موسوعته) ما يقرب من ٢٢ بيتاً من هذه القصيدة^(٢)، إضافة إلى أشعار أخرى أبدعها الأسكوبي.

قام الباحث المعروف الدكتور عبد الله أبو داهش بمقارنة بين قصيدة الأسكوبي وقصيدة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك، واعتمد في تضمينه لقصيدة الأسكوبي كاملة بحثه المذكور على رواية الأستاذ محمد سعيد دفتر دار، وهو يرى أن قصيدة الأسكوبي التي بلغ عدد أبياتها، في رواية دفتر دار، ٧٧ بيتاً، قد تعرضت للتصحيح في النسخة التي اعتمد عليها الدكتور الخطراوي في تحقيق ديوان الشاعر.

وذكر الأستاذ عثمان حافظ أن قصيدة الأسكوبي تقع في حوالي ثمانين بيتاً، وأورد أبياتاً منها عند حديثه عن نشأة الأدب في المدينة المنورة^(٣). واشتملت بعض الدراسات النقدية الحديثة عن أدب الجزيرة العربية على أجزاء متفرقة منها. مثل: (الشعر الحديث في الحجاز) لعبد الرحيم أبو بكر، و(الأدب الحجازي الحديث) لإبراهيم الفوزان، و(الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين) لعبد الله الحامد، و(الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي) للدكتور عمر الطيب الساسي، و(الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) للدكتور بكري شيخ أمين، و(صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة) للباحث، و(أعلام من أرض النبوة) لأنس كتبي،

(١) التيارات الأدبية، ص ١٤٠، وأشار في الهامش ص ١٤٠، بأنه كتب بحثاً عن الأسكوبي بعنوان (الأسكوبي شاعر المدينة)، وذكر أن البحث لا يزال مخطوطاً.

(٢) الموسوعة الأدبية، ج ١، ص ٦٠٩.

(٣) صور وذكريات عن المدينة المنورة، ص ١٠٤ - ١٠٥.

و(نماذج من تراث بعض أدبائنا وشعرائنا في المدينة المنورة) لأحمد إبراهيم السمان^(١).

ج - مناسبة إنشاء القصيدة

كان الهدف الأساسي من إنشائها تنبيه الدولة العثمانية إلى الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي والعربي، وعدم الاعتماد على الوعود الأوروبية التي بدأت فيما بينها العمل على تقسيم تركة الأمبراطورية^(٢).

استعرض الأسكوبي في قصيدته السياسية ألوان التخاذل السارية في عروق الدولة العثمانية في مختلف نواحيها السياسية الداخلية والخارجية والحربية والعمرانية والتعليمية والاقتصادية. ولم يكتف الأسكوبي، كما يذكر عبد القدوس الأنصاري، بتحليل الداء، وإعادته إلى أصوله ومنابعه، بل وضع أمام القراء العلاج الذي يكون به الإنقاذ المنشود. ويرى الأنصاري أن الأسكوبي الذي يتمتع بهذه الرؤية الاستشراقية والرؤية السياسية الواقعية قد «شاطر بقصيدته هذه موكب شعراء العروبة المجددين في زمن لم يصل فيه أي قبس من التجديد إلى هذه البلاد»^(٣) إلا أن الشاعر دفع ثمناً غالياً، كما يذكر عدد من الباحثين، بسبب نشره لهذه

(١) أورد السمان كذلك رواية عن والده المنشد إبراهيم السمان، أبياتاً من الشعر النبطي للشاعر الأسكوبي.

انظر: نماذج وألوان، ص ٢١١.

(٢) يذكر أحمد عبد الرحيم مصطفى أن مؤتمر برلين والذي نتجت منه معاهدة سان ستيفانو، مارس ١٨٧٨م، كان من المعامل البارزة لتدهور الإمبراطورية العثمانية والتي أرغمت على التنازل عن مساحات واسعة من أملاكها.

انظر: أصول التاريخ العثماني، ص ٢٤٤، ٢٤٧.

(٣) عبد القدوس الأنصاري، الشاعر والعالم والشيخ إبراهيم الأسكوبي، المنهل، السنة التاسعة، الجزء الثاني، صفر ١٣٦٨هـ، ديسمبر ١٩٤٨م، ص ٧٠، ٧١.

القصيدة، حيث استدعي إلى الأستانة ووجهت إليه - آنذاك - أسئلة عما يقصده في بعض أبيات قصيدته من المغازي السياسية^(١). ويرى الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ أن الأسكوبي سُجِنَ بسببها في بلاد العُربَة وتوفي سنة ١٣٣١هـ^(٢)، مما يوحي بأنه توفي في استانبول، إلا أن معظم المصادر تشير إلى وفاته بالمدينة بعد عودته من تركيا، أمّا حفيده محمد سعيد دفتر دار فينقل عنه عبد الرحيم أبو بكر أن ظروفًا غامضة أحاطت بوفاة الشاعر بعد عودته من الأستانة إثرَ المُحاكمة السياسية التي تعرض لها^(٣).

٤ - قصيدة محمد العمري الواسطي .

أ - النص الشعري

ذوقي فرنسا وبال الخزي والعار
وأبكي على روسيا حزناً لما لقيت
واستصرخي إنكلترا إن كان تسـ
يا ويل بلجيكة مما دستت لها
فطأطئي رأس عز حشوه صلف
وجربي أخذ الملك والثأر
فقد أصيبت على رغم بمقدار
معه، فقد أحاط بها سيل من النار
أهكذا تفعل الجارات^(٤) بالجار؟
لتوسع الصفح فيه كف جبار^(٥)

(١) المنهل، السنة التاسعة، الجزء الثاني، صفر ١٣٦٨هـ، ديسمبر ١٩٤٨م، ص ٧٢.

(٢) المدينة المنورة في التاريخ، ص ١٦٩.

(٣) الشعر الحديث في الحجاز، ص ١٠٥.

(٤) في رواية عبد الرحيم أبو بكر للقصيدة. ورد الشطر الثاني من البيت كالتالي: أهكذا يفعل الجيران بالجار.

(٥) بعد هذا البيت ورد البيت التالي في رواية أبو بكر للقصيدة: ولم يرد في رواية الأنصاري:

يا من رأى عظماء الأرض تطحنهم
رحى الحوادث في ورد وإصدار

يا من رأى دولاً تطغى بما حشدت
ظنت بما أنفقت أن لا يعادلها
وأنها تملك الدنيا بسطوتها
فجاءها من قضاء الله ما عجزت
آساد «برلين» عاثت في ممالككم
وكنتم في الوغى شاةً رأّت سبعاً
لم تغن عنكم أساطيل ولاقنن
ولا سلاح يفوق الحصر تحمله
أضحت مدافع «باريس» محطمة
أضحت خزائن «باريس» مشهورة
أضحت خزائن «باريس» مجمعة
يا أيها الملك المرهوب سطوته
«ويلهلم» صاحب ذي الحرب التي اضـ
لم يبق قيد ذراع غير محترق
«غليوم»، تغلى على غيظ مراجله
حكم سيوفك لا شُلّت أناملها
شفيت غل صدور المسلمين بما
فالله أيد دين المسلمين بكم

من جحفل يملأ الآفاق جرار
خلق، وأن لها صرف القضا الجاري
ولن تؤثر فيها سوء آثار
عن دفعه بكروب، أو بطيار
فمزقتها بأنياب وأظفار
فأجفلت حيث لا تلوي على دار
من محكمات صحن ذات أخطار
شر الجنود لكم في حربها الجاري^(١)
يهينها كل جرار وجزار^(٢)
يسومها كل حمال وحمار^(٣)
في بطن «برلين» تحت الختم بالقار^(٤)
في الحرب والسلام مبدي سطورة الباري
طربت منها البسيطة من هول وإنذار
منها ولا طود عزٍّ غير منهار
«وبل لهم» منه في قهر، وإضرار
فيهم، فإنهم عار على العار
فعلت، لا تبقي منهم أي ديار^(٥)
فشكرنا لكم في جهر وإسرار^(٦)

(١) سقط هذا البيت من رواية (أبو بكر) للقصيد ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠ لم يتضمن النص الذي ورد في كتاب الشعر الحديث في الحجاز لـ (عبد الرحيم أبو بكر) أيّاً من هذه الأبيات، بينما تضمنها النص الذي أورده الأنصاري.

ب - مصادر النص

الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، من أوائل من أشار إلى هذا النص الذي يمكن تصنيفه ضمن الشعر السياسي. وقد أطلق الأنصاري على هذه القصيدة بأنها أم قصائد العمري. وأضاف «أنها قصيدة عالمية أثبت بها أن الحجاز لم يزل حتى في عهود الجمود، القلب الحساس النابض بأحداث العالم الإسلامي المباشرة وغير المباشرة»^(١). وعن الأنصاري الذي استشهد بالقصيدة في مواضع مختلفة من دراسته القيمة، استقى الأستاذ عبد الرحيم أبو بكر^(٢) هذا النص ولكنه قصر في عدد أبياته عن النص الذي أثبتته الأنصاري، فلم يورد (أبو بكر) سوى ١٥ بيتاً من أصل ٢٢ بيتاً.

أما محمد سعيد دفتر دار، والذي يعتبر مرجعاً في تراجم شعراء المدينة المنورة ورجالاتها، فلم يشر لهذا النص في دراسته التي نشرها في (المنهل) بعد دراسة الأنصاري بفترة زمنية^(٣). ونقلت (موسوعة الأدب العربي السعودي)، النص الذي أبدعه الشاعر عند تفاعله مع أحداث الحرب العالمية الأولى، حيث أدى موقفه المبدئي آنذاك من فرنسا، التي استعمرت بلده الذي ولد على أرضه (الجزائر) لقرن كامل من الزمن، إلى تسجيل حادثة هزيمة فرنسا أمام الجيوش الألمانية. ومعروف أن تركيا

(١) أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب، الشيخ محمد العمري. المنهل، المجلد الثامن عشر، السنة الثانية والعشرون، الجزء الرابع، ربيع الآخر ١٣٧٧هـ، نوفمبر ١٩٥٧م، ص ٢٤٢، ٢٥٠.

(٢) الشعر الحديث في الحجاز، ص ١١١، ١١٢.

(٣) نشرت المقالات تحت عنوان رئيس، وهو (فضيلة الشيخ محمد العمري الواسطي)، وتوزعت على ثلاث حلقات، نشرت الأولى منها، في عدد المحرم ١٣٨٢هـ، يونيو ١٩٦٢م. والثانية في عدد رجب ١٣٧٩هـ، يناير ١٩٦٠م. والثالثة في عدد المحرم ١٣٨٢هـ، يونيو ١٩٦٢م.

كانت حليفة لألمانيا^(١) آنذاك، والشاعر العمري كانت مشاعره إيجابية دوماً في كل ما يتصل بالدولة العثمانية.

٥ - قصيدة عبید عبد الله مدني

أ - النص الشعري

فيا (شاعر الشرق) المجيد من سمت
تدارك، رعاك الله، شعباً مغفلاً
تدارك، رعاك الله، شعبك أنه
يجوب فيافي الجهل في حالك الدجي
يخبط فيها خبط عشواء هائماً
ويسبح في بحر الغواية تائهاً
فثر فيه واترك لليراع سبيله

به «الضاد» مجدداً واستوت منه في كهف
تعمق فيه الجهل وانحط في الخسف
يهيم به التضليل في المهمة القف
ورائده الأهواء في المظلم العسف
فمن سبب سهل إلى أكمة زلف
يقلبه التيار بالزفzf العصف
فقد بات حيناً لا يبين ولا يخفي

(١) دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا في ٥ نوفمبر ١٩١٤م، وقد عقدت بين دول الحلفاء خلال الحرب سلسلة من الاتفاقيات السرية التي استهدفت تقسيم الإمبراطورية العثمانية، وأهمها اتفاقية الأستانة ١٩١٥م، الموقعة بين روسيا وفرنسا وبريطانيا، واتفاق سايكس بيكو ١٩١٦م، المعقود بين بريطانيا وفرنسا، وهذا الاتفاق هو أهم الاتفاقيات السرية التي جرى التوصل إليها بين الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى، أما اتفاقية سان جان دي مودبين ١٩١٧م، المعقودة بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، فقد استهدفت تصفية الخلافات الفرنسية الإيطالية، ووعدت بريطانيا الشريف حسين بدولة عربية في المشرق إذا ما أعلن الثورة ضد الأتراك، كما وعدت الصهيونية بوطن قومي لليهود في فلسطين.

ولقد أدى دخول الولايات المتحدة الحرب إلى ترجيح كفة الحلفاء، وكان هذا بداية انتصار الحلفاء وهزيمة الدولة العثمانية التي تحالفت مع ألمانيا، فكانت هدنة مدروز في ٣١ أكتوبر ١٩١٨م، ونصت على الاستسلام دون قيد أو شرط، وهكذا أصبحت الدولة العثمانية تحت رحمة الحلفاء المنتصرين.

وفك أسره، أطلق عنان بيانه وأمطر به في القوم ناراً، وإن همو وبين لهم معنى الحياة فإنها فهذاك «هيجو» قد أهاب بنهضة لتنهض، فقد طال السكوت وهذه لتنهض ولا يثبط نهوضك جهله وفي أمة «اليابان» و«الترك» أسوة وهذي نواميس المقادير أوضحت وسوف يخط الشعب ذكراك في الحشا

وحلّ قيوداً أثقلته من الرسف أثابوا إلى الحسنى فوبلاً من العطف نأت عنهمو، لكن تطل من السجف أقام بها الشعب الفرنسي من الضعف أعاصيره تسفي على الشعب ما تسفي فقد يسلم المفوود من حافة الحنتف فقد نهضاً بعد الحضيض إلى الصف لنا سبل التوفيق عابقة العرف ويكتبه التاريخ في نير الصحف

ب - مصادر النص

مع أن القصيدة وردت في ديوان الشاعر الموسوم (المدنيات) والذي طبع بعد عقد كامل من وفاة الشاعر^(١) إلا أن القصيدة الموسومة (شاعر الشرق) ويعني بها شيخه محمد العمري، نشرت قبل حوالي عقدين من الزمن، وقدم لها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، مشيداً بدور صديقه المدني واصفاً إياه بأنه «أول من طرق باب الأسلوب الحديث في الألفاظ والمعاني والأهداف من شباب المدينة المنورة إذ ذاك»^(٢).

(١) كانت وفاة الشاعر سنة (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)، بينما طبع الديوان بعناية أبنائه سنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ويبدو أن الشاعر (رحمه الله) قد انتهى من إعداده كما هو مثبت في مقدمة الديوان سنة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)، إلا أن الأنصاري يذكر في المقدمة التي كتبها (للمدنيات) بأنه اطلع في عام ١٣٤٥هـ على ما يطلق عليه اسم (المدنيات الصغرى)، وأنه كتبه - أي الشاعر - بخط يده، وأهداه إلى صديق كان عليهما أعتقد من المعجبين بشاعريته وتحرره وانطلاقه.

انظر: المدنيات، ج ١، المقدمة ١٩.

(٢) عبد القدوس الأنصاري، السيد عبيد مدني، المنهل، س ٢٣، ج ١٩، ربيع الأول ١٣٧٨هـ، ص ١٧٦.

وردت القصيدة - أو على وجه أدق - الجزء المخصص للدراسة من النص الشعري الذي يحمل عنوان (شاعر الشرق) في الدراسة التي تضمنت كتاب (المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ)^(١)، كما اختار الباحث إبراهيم المطوع أجزاءً من القصيدة في مواضع عدة من دراسته القيمة عن الشاعر عبيد مدني وتراثه^(٢).

ج - مناسبة إنشاء القصيدة

تاريخ إنشاء القصيدة هو عام ١٣٤٣هـ^(٣)، وهذا التاريخ له دلالاته وأهميته كخلفية سياسية واجتماعية، يمكن من خلالها تفسير المعاني التي تضمنتها القصيدة التي وجهها إلى شيخه العمري ومع أن القصيدة أدرجت في باب الإخوانيات، إلا أنني اعتبرتها، بعد صدور الديوان، ضمن الشعر الوطني الذي عرف به أيضاً شعراء آخرون من المدينة من أمثال البيتي وبرادة و الأسكوبي وأنور عشقي، ومحمد العمري، فلا غرابة إذن أن نجد عند محاولتنا لقراءة وطنيات السيد عبيد ملامح من ذلك الموروث الشعري القديم ابتداءً من البيتي وانتهاءً بالعمري^(٤).

نعود إلى الخلفية الخاصة بهذه القصيدة، والتي أنشأها الشاعر وهو لم يبلغ العشرين من عمره^(٥)، فلقد كانت تلك السنة بداية حصار المدينة

(١) حملت الدراسة عنوان (رائد الكلمة ومبدع القصيد السيد عبيد مدني). انظر: عاصم حمدان، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، (مطبوعات نادي المدينة الأدبي)، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

(٢) الشاعر المؤرخ: عبيد مدني، ص ١١٠ - ١١١.

(٣) المدنيات، ج ٢، ص ١١٤ - ١١٧.

(٤) المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ص ٧٧.

(٥) ولد الشاعر سنة ١٣٢٤هـ، وتاريخ إنشاء القصيدة كما ورد في الديوان هو ١٣٤٣هـ.

المعروف^(١) والذي بنهايته اندرجت المدينة تحت الحكم السعودي الزاهر .

وإذا كانت المدينة المنورة قد شهدت سنة ١٣٣٥هـ حصاراً مربعاً بسبب العقلية المنغلقة للقائد التركي فخري باشا، والذي تسبب في تهجير أهل المدينة إلى تركيا والشام ومكة المكرمة، ولم يستسلم إلا بعد إعلان الدولة العثمانية قبول الاستسلام للحلفاء وذلك في سنة ١٣٣٧هـ^(٢)، فإنه لا بد للشاعر الذي كان آنذاك في بداية العقد الثاني من عمره، وأحسّ وهو طفلاً بمعاناة هي من الشدة والقسوة بحيث تركت ندوباً في نفوس أهل المدينة ولن تمحى من ذاكرة الأجيال الذين سمعوا أحداثها من والديهم^(٣) أو من بعض أقاربهم ومعارفهم، فكيف بالذين عايشوها والشاعر واحد منهم؟ قد كان الشاعر السيد عبید محظوظاً حيث لم يضطر للخروج

(١) تحرك الجيش السعودي فضرب الحصار على جدة في جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ، وتوجه شطر منه إلى المدينة ليضرب الحصار عليها أيضاً. انظر: د. عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ص ١٣٩.

(٢) أصول التاريخ العثماني، ص ٢٩٠ - ٢٩٢.

(٣) أخبرني والدي - رحمه الله - وهو من مواليد المدينة ١٣٣٠هـ، وتوفي بها في ٣٠ رمضان ١٤١٥هـ، بأن قرص العيش الصغير كان يباع في التكية المصرية بباب العنبرية، وهي الحي الذي تقطنه الأسرة منذ قدوم الجد حمدان بن حسن قباء الغامدي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري وبداية القرن الثالث عشر منه إلى المدينة، وكان ثمن هذا القرص مجيداً واحداً، التقدير بالعملة التي كانت سائدة (آنذاك) وأنهم عاشوا مدة من الزمن على حبات من التمر يقدمها لهم والدهم مع كل وجبة، وأنهم كانوا من آخر الأسر التي تسبب الحصار في خروجها من المدينة، وبعد قبول شفاعة والدة المرحوم أحمد نور رحمه الله وكانت تتحدث التركية وخوولتهم في آل سليمان من حوش عميرة، عند مدخل قباء، وهي خوولة الوالد رحمه الله، سمح لهم فخري باشا بالسفر إلى مكة المكرمة، وأنهم انتقلوا من رابع إلى جدة عن طريق البحر، ثم إلى مكة حيث بقوا فيها مدة إلى رفع الحصار عن المدينة.

عن ترجمة حمدان علي حمدان. انظر: الأعلام للزركلي، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) ص ١٥٣.

من المدينة إذ كان مع أخيه أمين في كنف والدتهما التي لم تغادر المدينة - وبقيت الأسرة في رعاية السيد عبد الجليل وعبد العزيز مدني، حتى تسليم المدينة وانضمامها لحكم الأشراف في جمادى الأولى سنة ١٣٣٧هـ^(١). وكان لا بد لهذا الشاعر الذي أدرك العهدين السابقين للعهد السعودي الزاهر، أن يحس بكثير من الخوف والوجس إزاء الحصار الذي شهدته المدينة في عام ١٣٤٣هـ. وانتهى بسلام في يوم السبت التاسع من جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ، حيث يذكر الأستاذ الزيدان، وهو من جيل السيد عبيد^(٢)، أنه من ضحى يوم السبت التاسع من جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ، أصبحت المدينة تعيش الأمن والاستقرار وأصبح آلاف الحجاج

(١) الشاعر المؤرخ: عبيد مدني، ص ٢٣، وقد حدثني عن ذلك أيضاً ابنه الصديق معالي الدكتور غازي عبيد مدني في داره بجدة يوم الثلاثاء في ١٠/٥/١٤٢٤هـ، حزيران ٢٠٠٣م، والسيد عبد العزيز عبد الله مدني هو والد زوجة عبيد مدني، وقد تولى منصب مدير الحرم النبوي الشريف في العهد السعودي، وكانت وفاته سنة ١٣٦٣هـ، كما أخبرني الدكتور غازي أيضاً أن السيد عبد العزيز راسل عدداً من الأمراء من آل سعود وآل الرشيد في الحقبة الماضية.

(٢) لم تكن هذه القصيدة الوطنية التي أنشأها عبيد مدني وهو لا يزال في بداية العشرينيات من سني عمره الحافل بمآثر الفكر والأدب والتاريخ، بل إنه أنشأ قصيدة أخرى في ربيع الأول ١٣٤٤هـ، أي قبل حوالي شهر من انضمام المدينة للكيان السعودي بسلام، وداعها بنفثة مصدور: ومنها:

هذي المدينة أصبحت ألعوبة	صماء بين زعانف وغواة
يستاقها النفر الرعاع ذليلة	لموارد الويلات والنكبات
الحكم فوضى والمطامع جمّة	والشعب بينها فريسة عاتي
حال تذوب لها الضمائر لوعة	والموت فيها أهوان الحالات

انظر: والمدنيات، ج ١، ص ١٢٩، واعتبرها عبد الله عبد الجبار قصيدة وطنية، وسلكه ضمن الشعراء المتميزين في هذا الفن الشعري مثل: عبد الوهاب آشي، ومحمد صبخي، ومحمد سرور الصبان، ومحمد حسن عواد، وبدأ قبلهم بالشاعر إبراهيم الأسكوبي. انظر: التيارات،

يصلون للمسجد (النبي الشريف)، بلا إتاوة ولا خفارة ولا يقتل في ساحة المدينة قتيل^(١). وكان مصطفى عبد العال من أعيان المدينة المنورة، وهو الذي حمل خطاب الشريف شحات، قائم مقام المدينة (آنذاك) إلى الملك عبد العزيز بشأن التسليم^(٢).

رؤية تحليلية نقدية للنصوص الشعرية

عرفت بيئة المدينة الشعر السياسي والوطني كبقية بيئات الجزيرة العربية، وممن اشتهر بهذا النوع من الشعر الشيخ أحمد بن مشرف^(٣)، وسليمان بن سحمان^(٤)، ومحمد بن عبد الله بن عثيمين^(٥)، وعبد العزيز

(١) العهود الثلاثة، ص ٦٢.

(٢) يذكر المرحوم الملك عبد العزيز - رحمه الله - في رده على خطاب الشريف شحات - رحمه الله - ثم إنكم تفهمون، إننا والحمد لله مالنا قصد إلا ما يبه راحة المسلمين في أمر دينهم ودنياهم، فعليه أنتم ومن تبعكم في وجهي وأمام الله على دمائكم وجميع أحوالكم وعلى هذا فيه عهد الله وميثاقه. صورة وثيقة من محفوظات ورثة الشريف شحات، زودني بها الباحث الشريف عصام الهاجري.

(٣) أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التيمي، كان سلفي العقيدة، مالكي المذهب، عاش في الأحساء، وتوفي بها سنة ١٢٨٥هـ.

انظر: د. عبد الفتاح محمد الحلو، شعراء هجرين القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر «دار العلوم - الرياض» ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٩٩، وانظر ترجمته في الأعلام: ج ١، ص: ١٨٢.

(٤) سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان النجدي، ولد في عسير سنة ١٢٦٨هـ وتوفي في الرياض، سنة ١٣٤٩هـ، وله ديوان شعر سماه «عقود الجواهر المنضدة الحسان» انظر: الأعلام: ج ٣، ص ١٢٦.

(٥) محمد بن عبد الله بن عثيمين، عرف باسم شاعر نجد، ولد في الخرج، سنة ١٢٧٠هـ، وتقل بين البحرين وقطر وعمان، وبعد استيلاء الملك عبد العزيز على الأحساء، قصده الشاعر ولقي منه تكريماً، وتوفي في الحوطة سنة ١٣٦٣هـ، الأعلام، ج ٦، ص: ٢٤٥.

ابن عبد اللطيف آل مبارك^(١). ويرى الدكتور الحامد أن الشعر السياسي هو الذي يحرض على الحروب ويدعو الحكام إلى العزم، وأخذ الحيطة من الأعداء في الداخل والخارج، كما تعرض نوع من هذا الشعر الذي يعرض قضايا الأمة أمام الحكام ويطلب بإصلاحها^(٢) للقضايا السياسية والوطنية المتعلقة بهموم الأمة وتطلعاتها.

قصيدة البيتي :

نشأ البيتي في بيئة دينية وفكرية وأدبية وهي بيئة المدينة المنورة، وقد هيأت له ظروفه الأسرية ونشأته العلمية وحياته الوظيفية (١١١٠ - ١١٨٢هـ)، الاختلاط ببعض الحكام في تلك الفترة، حيث تولى وزارة المدينة، وتعني هذه الوظيفة تمثيل أمير مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتولى مناصب سياسية في المدينة وينبع^(٣)، ومع ذلك فإن الشاعر لم يقف موقف المتفرج من هذه الأحداث السياسية آنذاك في المدينة^(٤)، وساهم مع غيره في تسجيل كبريات الأحداث التي كانت تقع في قصائد مطولة، وتتسم - تلك القصائد - بالإيضاح والشمول حتى إنك تستطيع بكل سهولة ويسر أن تلم بكل حادثة منها بعد قراءة القصيدة الموضوعة فيها كأنك تقرأ قصتها نثراً^(٥). وهذا ما دعا السيد عبيد مدني ليطلق على هذا النوع من

(١) عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك، ولد في الأحساء سنة ١٣١٠هـ، تنقل بين البحرين وعمان والهند، وتوفي سنة ١٣٤٣هـ ولم يتجاوز عمره بعد الثالث والثلاثين، انظر: من بواكير الشعر السياسي، ص: ٩ - ١٠.

(٢) انظر: الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص: ١٤٠ - ١٤٩.

(٣) شعراء المدينة والشعر الملحمي، «بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين»، ج ٢، ص: ٧٣٨.

(٤) الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، ص: ١٧٦.

(٥) د. عاصم حمدان: الأدب في المدينة المنورة في القرنين الثاني عشر الهجري - الثامن عشر =

الشعر مسمى (الملحمة)، وهو يرى أن الشعر الملحمي كان معروفاً ولكنه انطوى بين صفحات الكتب. وهؤلاء الشعراء المدنيون الذين هبوا لإبرازه للجماهير في القرن الثاني عشر الهجري، كانوا بما استوعبه اطلاعهم الواسع على الأدب والتاريخ كما لمسناه في أشعارهم ورسائلهم، لم تخف عليهم الملحمة اسماً ومعنى، ومنهم من ذكرها بلفظها كالسيد البيتي^(١) في قصيدته التي سجل فيها ما أطلق عليه - آنذاك - فتنة العهد^(٢)، والتي بلغ عدد أبياتها ما يزيد على تسعين بيتاً^(٣)، ونستطيع أن نحدد أهم الملامح الفنية التي تميزت بها قصيدة البيتي.

تخلص في قصيدته هذه من المقدمة الطللية التي ترتمي في أحضان ذكريات الأدب القديم أو ترديد أسمائها وأعلامها، لذا فهو يفتح قصيدته بهذا المطلع الشعري الذي يذكرنا بمطالع القصائد في العصور الذهبية

= الميلادي، أعلامه، موضوعاته الرئيسية، ظواهره الفنية»، مجلة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، العدد الثاني والعشرون، شعبان، ١٤١٨هـ، ديسمبر ١٩٩٧م ص: ٢٥٥ - ٢٧٧.

(١) يستشهد المدني بهذا البيت الذي أورده البيتي ضمن إحدى مطولاته وهو:

حوادث ما رآها (دانيال) ولا قصت «ملاحمه» شيئاً يساويها
انظر شعراء المدينة والشعر الملحمي، ص: ٧٣٠، وانظر كذلك: المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ص: ١٣ - ١٦.

(٢) وقعت هذه الفتنة سنة ١١٣٤هـ، وكانت الأطراف المتقاتلة فيها هم الأغوات وحلفاؤهم من جهة وأهل المدينة وحلفاؤهم من جهة أخرى، عن هذه الحادثة أو الفتنة، انظر: الأخبار الغربية فيما وقع بطيبة الحبيبة، «النسخة المحققة من قبل عاصم حمدان» جامعة مانشستر، رسالة دكتوراه، ١٩٨٦م، ص: ١١ - ١٩.

(٣) يبدو أن الدكتور أحمد كمال زكي لم تتح له الفرصة لقراءة جميع إنتاج البيتي، ولهذا جاءت أحكامه على الشاعر فيها الكثير من التجني على الشاعر ومنزلته الأدبية في تلك الحقبة.

انظر: شعراء السعودية المعاصرون - التاريخ والواقع - دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣، ص: ٥٢.

للشعر العربي مثل أبي تمام والمنتبي^(١) بمقدمة حماسية «يتحدث فيها عن المجد والطرق الموصلة إليه ويؤكد أن حياة الذل حياة لا خير فيها، كما يظهر من مقدمة القصيدة مدى انتشاء الشاعر بانتصار الفئة التي ينتمي إليها - من فئات المجتمع المدني - وتعكس هذه الأبيات اعتداد الشاعر بهذا الفوز الذي أنطقه بهذه الأبيات التي تظهر فيها روح الأصالة البعيدة عن التكلف والتقليد»^(٢).

ونلاحظ كذلك تخلص الشاعر - إلى حد بعيد - من الأشكال البديعية المتكلفة والتي حولت الشعر العربي في العصور المتأخرة إلى أشكال هندسية على حساب المضمون الشعري. مع أنه يجب أن تكون هناك رؤية نقدية منصفة من هذا الضرب المشهور من ضروب البلاغة، «ففرق يعظمه ويسلك فنونه في قصائد دعيت بالبديعيات، وفريق آخر ينظر إليه باشمئزاز ويصف العصر الذي ساد فيه وشاع بعصر الانحطاط أو الانهيار»^(٣).

ويخلص الشاعر الناقد عبد الله بن المعتز إلى أن البديع وجد في القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين وكان هدف ابن المعتز التذليل على أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن سلك مسلكهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه. إلا أن ابن المعتز المتوفى سنة ١٢٩٦هـ أدرك خطورة الإفراط في استخدام هذا الفن،

(١) انظر: الأدب في المدينة المنورة في القرنين الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي، مجلة كلية دار العلوم، ص: ٢٥٩.

(٢) انظر الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، ص: ١٧٨.

(٣) د. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع، دار العلم للملايين - بيروت، ج ٣، ص ٦.

وهي رؤية نقدية عميقة. وبناء عليه فلم يسلم الشاعر الكبير أبو تمام من نقده حيث قال ابن المعتز حول هذه القضية النقدية: "ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمره الإسراف"^(١).

نلاحظ أيضاً من ناحية نقدية تأثر البيتي في بعض أبيات مطولته بالقرآن الكريم، وتدليلاً على ذلك فإننا نورد المطلع الشعري لقصيدته والتي يقول فيها:

المجد تحت ظلال سمر الذبل وظبا القواضب والجياد القفل
الموريات العاديات ضوابحا الصافنات الزافرات الجفل

فالشاعر في هذا المطلع يصف الخيل، ويستعير من آيات القرآن الكريم أوصافاً لها وهي (الموريات - العاديات - ضوابحا - الصافنات) وبشرح بسيط للأبيات نرى أن العاديات - جمع عادية، وهي الخيل الجارية بسرعة، والضبح صوت أنفاس الخيل إذا ركضت سريعاً في سباق، أو ركضت نحو الأعداء، والموريات أيضاً الخيل التي تسرع في جريها^(٢)، وبما أن الشاعر نشأ في بيئة دينية كبيئة المدينة، فاستعارته لهذه الألفاظ المتصلة بالخيل - والخيل كانت مركبة ذلك العصر - تدل على تلك الثقافة

(١) كتاب البديع، تصنيف عبد الله بن المعتز، اعتنى بنشره والتعليق عليه إغناطيوس كراتشكوفسكي، دار المسيرة - بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص: ١.
وانظر أيضاً: كراتشكوفسكي - علم البديع، والبلاغة عند العرب، إعداد محمد الحجيري «دار الكلمة للنشر»، ١٩٨١م.

(٢) محمد علي الصابوني، التفسير الواضح الميسر، الأفق للطباعة والنشر - بيروت - ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ١٥٩٣.

التي تحاول الاستفادة من بلاغة القرآن الكريم وفصاحته . ولعلّ سياق إنشاء القصيدة والمتصل بالمعركة التي جرت بين أهل المدينة من جهة والأغوات - حكام المدينة آنذاك - ومؤيديهم من جهة أخرى، هو الذي دفع الشاعر لاستيحاء الصور البديعة والمنبعثة من نصوص القرآن الكريم ليكون وقعها وتأثيرها في النفوس كبيراً.

تسري في أبيات القصيدة روح شعرية صادقة وهذا يدل على أن الشاعر قد تفاعل مع الحدث الذي حاول تجسيده أمام أعيننا . وبما أن الشاعر في ختام قصيدته سعى لمخاطبة شريف مكة هرباً من جور العثمانيين، لذا نجده يصور المدينة - ومعلوم منزلتها وقداستها عند خلفاء المسلمين بعامة وحالتها السيئة من جراء هذا الظلم الذي وقع على أهلها أملاً منه في أن يستجيب الوالي العربي الموجود في مكة لنصرة بلد رسول الله ﷺ، حيث نجده يرفع صوته قائلاً:

إن المدينة حل فيها منكر لا يرتضى والجور فيها قد ملي
فلأنت أولى الناس حقاً غيرة فافعل إذا ما شئت أو لا تفعل
ولأنت من بيت تقدس سرّه شرفاً، وغيرك من مناقبه خلي
لو تسأل القبر الشريف غداتما رجفوه بالفعل الفظيع المشكل
لأجاب أن محمداً في طيه متوجّع من فعلهم بتململ^(١)

وبخطاب البيتي الشعري القوي في عباراته - والموجه إلى الأشراف آنذاك - نجده يستشرف آفاقاً بعيدة من حيث الصراع الذي كما يدور بين فئات مختلفة في المجتمع، فهو في الخفاء صراع بين السلطة العثمانية

(١) انظر: الأبيات في «الأخبار الغربية في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة»، ص: ٤ - ٩.

المتمركزة في المدينة، وسلطة الأشراف والتي تكاد تكون محصورة في مكة^(١)، ولا تستطيع أن تتعداها إلى ما سواها، ولم يفصل في هذا النزاع إلا قيام الثورة العربية على الحكم العثماني.

قصيدة البرّادة:

إذا كان البيتي قد وصف لنا أحداث المعركة التي دارت رحاها بالقرب من المسجد النبوي الشريف، بمعنى أنها كانت حدثاً داخلياً، فإن عبد الجليل برادة، كما يقول عبد القدوس الأنصاري، قد رمى، من خلال القصيدة التي نظمها بمناسبة انتصار الدولة العثمانية على اليونان سنة ١٣١٣هـ، بنفسه في أتون المعركة^(٢)، ويرى الأنصاري أن الشاعر حاول اقتداء نموذج الشعراء القدامى «وذلك صنيع فحول الشعراء الأكرمين يتحدثون عن معارك أمرائهم وكأنهم يخوضونها - معهم - فيصفون المواقع والأحداث والكر والفر من كذب وصف مشارك ممارس، وينسبون إلى أنفسهم الانتصار، وهم إنما يتحدثون في كل ذلك بلسان ممدوحهم وبقلب ممدوحهم»^(٣).

ولعل الأستاذ الأنصاري يتحدث عن هذه الأبيات التي أبدعها الشاعر

(١) كان متصرف لواء المدينة يسمّى «محاظ المدينة المنورة» وأما متصرف لواء جدة فيسمّى «قائم مقام الوالي»، وكان في الحجاز منصب سام يسمّى «إمارة مكة المكرمة» وكان أميرها يتولى الإشراف على شؤون الحجّاج، انظر: د. الصفصافي أحمد المرسي، الدولة العثمانية والولايات العربية، مجلة الدارة - العدد الرابع، السنة الثامنة، رجب ١٤٠٣هـ - إبريل ١٩٨٣م، ص: ٨٥١.

(٢) مقالة الأنصاري «القول الفصل الجلي»، المنهل، الجزء الثالث، المجلد ٢٣، ربيع الأول، ١٣٨٢هـ - أغسطس ١٩٦٢م، ص: ١٤٩.

(٣) المنهل، ربيع الأول ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، ص: ١٤٩.

حينما انتصرت الدولة العثمانية على اليونان وذلك في سنة ألف وثلاثمائة وثلاث عشرة، وكان الشاعر نزيل الدار العلية^(١).

وقد استهل الشاعر قصيدته قائلاً:

كذا فليكن ما يحرز المجد والفخر كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر

ويكرر عبارة «كذا فليكن» في عدد آخر من الأبيات التي تلت هذا المطلع مولداً عدداً من المعاني المتناسقة مع مناسبة القصيدة.

ويعلق عبد الرحيم أبو بكر على هذا التكرار من برادة لمثل هذه العبارات الشعرية، بأن برادة حاول في اختيار شكل قصيدته أن يحذو حذو شاعر كبير هو أبو تمام فجاء بقصيدته هذه وكأنه يعارض رائية الطائي في رثاء محمد بن حميد الطوسي التي يقول فيها:^(٢)

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ويتألق برادة شعرياً عند مدحه للسلطان عبد الحميد واستخدامه في المعركة ضد أعدائه أساليب الشد والإرخاء فيقول:

لك الرأي بالحزم السديد مؤيد تعاملهم بالمكر إن لزم المكر
فداو مريض الجهل بالحلم إن يقد وإلا فداء الشر يحسمه الشر
ورأيك سيف ما أَلمت شباته بأمر عصي إلا استطاع له الأمر
ومن أين للسيف الحسام مضائوه إذا خامر الألباب من حادث الذعر
سمعنا بأن الجبن فيهم سجية ولما التقينا صدق الخبر الخبر

(١) الشعر الحديث في الحجاز، ص: ٨٨.

(٢) الشعر الحديث في الحجاز، ص: ٩٠.

وهو يجعل من رأي السلطان أو إرادته سيفاً ماضياً في حدته، ويعطي هذا الرأي سمات السيف من حسم للأمر وتقويم للمائل من الأشياء، ويبدو أن أسلوب المماهة بين عقل أو إرادة السلطان والسلاح المتمثل في السيف، والسيف كما هو معلوم تعبير أو تجسيد للقوة المطلوبة مع الأعداء، يومىء بأن المعركة بين الدولة ومناوئيتها دخلت مرحلة الحسم، فإما أن تنتصر الدولة العثمانية إذا ما أخذت بأساليب القوة المطلوبة، أو تندحر في معاركها مع أعدائها من الدول الأوروبية الصاعدة - آنذاك - وهذه الأخيرة قد أخذت بالسلاح الحديث الذي مكنها في النهاية من دحر الدولة الإسلامية والتي ظلت لعدة قرون تمثل هاجس خوف وذعر عند هذه الدول. وفي البيت الأخير من الأبيات التي أوردناها يحاول الشاعر أن يرضي ممدوحه، فهو يسم أعداء الخليفة بالجبن ويصور اندحار أعدائه متمثلاً بأساليب الشعراء المتقدمين أمثال أبي الطيب المتنبي.

حيث يستدعي قصيدة المتنبي والتي يمدح فيها علي بن أحمد الأنطاكي وهي القصيدة ذات المطلع المعروف:

أطاعنُ خيلاً من فوارسها الدهر وحيداً، وما قولي كذا ومعني الصبر

والبيت الذي تمتلقه ذاكرة البرادة الشعرية واستعار معناه ليدل على قوة ممدوحه وضعف وجبن أعدائه، هو:

سمعنا بأن الجبن فيهم سجية ولما التقينا صدق الخبر الخبر^(١)

(١) الخبر، الخبرة والاختبار، يقول المتنبي، كنت أستعظم من أخباره وذكره الشائع قبل أن ألقاه فلما لقيته وخبرته صغر الاختبار الخبر، أي وجدته خيراً مما كنت أسمع، انظر: شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن الدقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ١، ص: ٢٦٠.

وبينما نجد المتنبي يستخدم كلمة صدَّق الخَبْر الخُبْر، نجد البرادة اختار لفظاً مناسباً للمعنى الذي أراد التأكيد عليه وهو جبن العدو أو ذعره، فوجدناه يقول في الشطر الثاني من البيت المقصود:

«ولما التقينا صدَّق الخَبْر الخُبْر».

ومع أن الشاعر عاش في الحقبة التي ساد فيها استخدام البديع استخداماً متكلفاً نجده يحتذي في شعره حذو الشعراء الكبار من أمثال أبي تمام والمتنبي، ويستخدم البديع بعفوية وهو ما يكسب القصيدة تأثيراً جمالياً ترتاح إليه الأذن والنفس معاً، مثل قوله:

حديث عن اليونان يضحك باكياً ويطرب محزوناً ويلهبه غرُّ
وقوله كذلك:

فعانوا وجاسوا في البلاد بحملهم وعم على جيرانهم منهم الغدر

كما نلمح في أبيات القصيدة أسلوب الجناس في قوله: صدَّق الخَبْر الخُبْر، وكذلك في قوله: «وترحالة عنها ترحَّل جمعهم» وبين كلمتي الجمل والحلم، والطباق في قوله: الوقوف والفرار، والسَّهْل والوعر. كما أن الشاعر يستدعي بعض أسماء الأماكن ذات المدلول الديني، مثل المحصَّب والحجر في مكة، والإشارة إلى مثنى الرسول ﷺ مقترناً باسم بلدته «طيبة»، وإذا أخذنا في الاعتبار أن الشاعر كان يعيش نائياً عن بلدته المدينة المنورة لظروف سياسية فإننا نستطيع تفسير هذه الإشارات أو الدلالات المكانية إضافة إلى تغلغل الروح الإسلامية عند شعراء ذلك العصر، وبروزها في شعرهم بصورة طبيعية وخصوصاً عندما يكون الصراع بين الدولة الإسلامية العثمانية - آنذاك - وأعدائها من الأوروبيين الذين يتربصون بها الشرور.

قصيدة الأسكوبي :

يرى الدكتور إبراهيم الفوزان أن الاتجاه الأدبي التجديدي بدأ عند الشاعر عبد الجليل برادة، إلا أن هذا الاتجاه قد تبلور عند الأسكوبي في شكل مدرسة أدبية تبعه فيها زملاؤه وتلاميذه في سائر المدن الحجازية، بل يذهب الدكتور الفوزان^(١) إلى أبعد من هذا عندما يرى أن شعراء في مكة المكرمة والمدينة المنورة قد تأثروا بهذه المدرسة ويذكر في مقدمتهم شاعر الغزل المعروف عبد الواحد الأشرم المكي^(٢).

ولعل انفتاح الأسكوبي على شعر «هومير» الذي قام سليمان البستاني^(٣) بترجمته إلى العربية، دفعه إلى إنشاء مقطوعة يشيد فيها بصنيع البستاني، ويتعجب الأستاذ عبد القدوس الأنصاري بأن يَسَلَمَ الأسكوبي - في تلك الحقبة الماضية - من لدعات النقد والتجريح في دينه وعقيدته وهو العالم المدرس^(٤).

ولعل الأستاذ الأنصاري يقصد بأن الأسكوبي كان من ضمن علماء الحرم النبوي الشريف، إلا أن انتظامه في سلك التدريس التقليدي لم يمنعه

-
- (١) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، ج ١، ص: ١٠٠.
- (٢) ولد سنة ١٢٧٨هـ، وتوفي سنة ١٣١١هـ، ويذكر الأستاذ محمد سعيد العامودي أنه كان شاعر غزل وأنه تفوق في هذا الجانب على كثير من معاصريه، انظر: من تاريخنا، ص: ٢١٠، ويذكر المؤرخ عبد الله مرداد أن البرادة كان من مشائخ الأشرم وهذا يدعم رأي الشيخ الفوزان القائل بأن الأشرم كان ممن تأثروا بالاتجاه التجديدي عند البرادة والأسكوبي، انظر: عبد الله مرداد أبو الخير: المختصر من كتاب نشر النور والزهر، في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، «نادي الطائف الأدبي» ط ١٣٩٨، ج ٢، ص: ٢٦٨.
- (٣) إلياذة الشاعر هوميروس اشتملت على ما يقرب من ستة عشر ألف بيت في الشعر اليوناني، وقد قام الأديب سليمان البستاني «١٨٥٦ - ١٩٢٥م» بترجمتها إلى العربية مع مقدمة في هوميروس وشعره، وآداب اليونان والغرب، وطبعت في مصر سنة ١٩٠٤م في ١٢٦٠ صفحة، انظر: «سليمان البستاني، إلياذة هوميروس، ط ٢، ١٩٦٦م، بيروت، «المطبعة الكاثوليكية».
- (٤) المنهل، ربيع الآخر، ١٣٧٢هـ، يناير ١٩٥٢م، ص: ١٧١ - ١٧٤.

من الانفتاح ثقافياً وأديباً على معاصريه في العالم العربي - آنذاك .

وعلى الرغم من تعدد الفنون الشعرية التي برع فيها الأسكوبي، إلا أن مزدوجته بين (وابور البر ووابور البحر)^(١)، وقصيدته السياسية (يا آل عثمان) قد نالتا من إعجاب الباحثين الشيء الكثير. ويرجح الأستاذ عبد الرحيم أبو بكر أن هذا الإعجاب كان ناتجاً من تطلع إلى تطوير في الحياة بجميع مجالاتها ووجد طريق التعبير عنه في الحديث عن الشاعر الرائد^(٢).

استطاع الأسكوبي في قصيدته السياسية أن يتخلص من الطريقة التقليدية، ودخل إلى موضوعه مباشرة دون مقدمات، حيث بدأ قصيدته منشداً:

يا آل عثمان فالمغرور من غُرّاً بأهل أوروبا أو عهدهم طُرّاً

وقد عمد الأسكوبي إلى إثارة الروح الدينية الصحيحة لدى الخلفاء العثمانيين حتى ينتبهوا إلى المخاطر المحدقة بالعالم الإسلامي من قبل أعدائهم الأوروبيين، بل إن الشاعر ذهب إلى أبعد من ذلك عندما اتهم الدولة العثمانية بخلودها إلى الترف وانغماسها في الشهوات بعد أن كانت حياتها في الماضي تتسم بالجدة والاستقامة، لذا نراه يقول:

سلوا الحشايا التي ملّتكم ترفاً هل قبل كانت لأجدادٍ لكم تُطرى
أو الأسرة تعلقو فوقها كِلَلٌ هل تعبر البحر إن رمتم بها عبراً
بئست بها راحةً أفضت إلى تعب عمّ البلاد وأعمى داركم فقراً

(١) نجد الشاعر محمد بن عبد الجليل برادة يحتفي بهذه المزدوجة والتي أتم الشاعر نظمها في عام ١٣٢٤هـ، كما هو مثبت في الطبعة الوحيدة لهذه المقطوعة حيث قام محمد عبد اللطيف الخطيب بطباعتها في المطبعة الحسينية المصرية.

(٢) الأدب الحديث في الحجاز، ص: ٩٧.

وتتجسد الرؤية الإسلامية لدى الشاعر في معظم أبيات القصيدة وكأنه يستشرف الأفق بأن البعد عن الدين سوف يرمي بهذه الدولة الإسلامية - فيما بعد - في أحضان النظام الغربي البعيد كل البعد عن النهج الديني .
يقول الأسكوبي :

تالله تالله إن لم تتبعوا الذكرا مالوا عليكم فلم يبقوا لكم ذكرا
نعم الشفاء بقرآن الإله إذا قبلتموه، وإلا فاسكنوا القبرا

إلا أن الأسكوبي، في الوقت نفسه، يرى ضرورة الأخذ بكل الأساليب الحديثة، والتي تجعل الأمة قوية بسلاحها، كما هي قوية بعقيدتها ومنطلقاتها وثوابتها .

يقول شاعرنا في هذا المعنى :

يا للرجال ثَقُوا أن ليس ينفعكم إلا ثباتكم كي تركبوا الوَعْرَا
وأن تخوضوا غمار الموت مترعة من كل أغْلَبَ، من ليث الشرا أجرا
مسلّحين بما أوفى العدو به من السّلاح، وإن توفّوا له صبرا

إلا أن القصيدة تعتمد على العبارات المُجلجلة والتي تناسب غرض القصيدة وهو تنبيه المؤسسة السياسية في الدولة العثمانية من مخاطر عدة، منها السياسي ومنها الاجتماعي والاقتصادي، والتي يحاول العدو النفاذ منها إلى تفكيك هذا الكيان الذي حفظ وحدة المسلمين لأمد طويل .

ومن ملامح هذا الأسلوب الخطابي الذي سار عليه الأسكوبي في قصيدته أسلوب السؤال الإنكاري، كقوله :

أُتَمَنون لموتورين ديدنهم أن لا يروا منكم فوق الثرى حُرًا

والإنكار - هنا - كما يبدو للتوبيخ، وهو من الأساليب المعروفة في

علم المعاني في البلاغة^(١)، ويستمر الشاعر في تساؤلاته.
كقوله:

أتركون لمن دبَّ الضَّراء لكم ومَدَّ عُنُقاً يُغادي سرحكم^(٢) عَقراً؟^(٣)

والشطر الثاني من البيت فيه - أيضاً - أسلوب بياني، استخدم من خلاله الشاعر المجاز لتجسيد حقيقة المخاطر المحيطة بوطنه وأمته. حيث جعل للغرب عنقاً طويلةً وهو ما عبرت عنه جملة (ومد عنقاً)، وجعل رعايا الدولة مثل «القطيع» والذي ترصده هذه العُنُق لتتمكن من عَقْره، وربما وجد الشاعر أن هذا الأسلوب المجازي أقدر على إيصال المعنى إلى ذهن القارئ.

كما استخدم الشاعر أساليب بديعية أخرى كالطباق، في البيت التالي:
بئست بها راحةً أفضت إلى تعبٍ عمَّ البلاد وأعمى داركم فقرا
حيث يتضح هذا اللون البديعي بين كلمتي راحة وتعب، وكذلك بين كلمتي أيقظتموهم ورقدتم في البيت التالي:

أيقظتموهم بضرب السَّهم فانتبهوا من نومهم ورقدتم أنتم الدَّهرا

وكذلك استخدامه للجناس في مواضع عدة، كقوله:
يا آل عثمان فالمغرور من عُراً بأهل أوروبا أو عهدهم طُراً

(١) لمعرفة المزيد عن معاني الاستفهام: انظر «د. بكرى شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد»، دار العلم للملايين، ط ١، ١٣٩٩هـ، ص: ٩٧ - ٩٨.

(٢) السَّرح - الماشية ولا يسمى سرحاً إلا ما يُقْدَى به ويُراح، انظر: المعجم الوسيط «مجمع اللغة العربية» - المكتبة العلمية - طهران، ج ١، ص: ٤٢٧.

(٣) «عَقْر البعير أي قطع أحد قوائمه ليستقط ويتمكن من ذبحه» - المعجم الوسيط، ج ٢، ص: ٦٢١.

وكذلك في البيت التالي :

لم يكفِ ما طارَ مِنْ صَيِّتٍ لَهُمْ خَبْرًا حتى يطيروا فطاروا فوقكم خُبْرًا

فجناس الاشتقاق واضح بين الكلمات، طار - يطيروا.

إلا أن استخدام الأسكوبي للبديع في قصيدته يعد نادراً بالقياس إلى ما كان عليه شعراء عصره حيث أفرطوا في استعماله حتى أتى على حساب المعنى والمضمون. ويرى عبد الرحيم أبو بكر أن بعضاً من أبيات هذه القصيدة أقرب إلى التعبير النثري منه إلى الشعر، ويعود ذلك إلى أن الأسكوبي كان حريصاً على توضيح أفكاره ودعوته بأبسط عبارة فكان هذا الهدف مطلوباً على حساب الإبداع الفني^(١).

قصيدة العُمري :

العُمري واحد من الشعراء الذين تأثروا بالشعر العربي القديم قراءة واحتذاء في محاولة جادة للخروج بالقصيدة الشعرية من القيود البديعية التي كانت تكبلها مثل حُفني ناصف المتوفى سنة ١٩١٩هـ، وإسماعيل صبري المتوفى سنة ١٩٢٣م، وعائشة التيمورية المتوفاة سنة ١٩٠٢م، ومحمود سامي البارودي المتوفى سنة ١٩٠٤م.

ويربط الأستاذ عباس العقاد بين النهضة الشعرية الجديدة في بيئة مصر وما ظهر في هذه البيئة من طلائع الثورة التي عُرفت فيما بعد باسم الثورة (العُرابية)^(٢).

(١) الشعر الحديث في الحجاز، ص: ١٠٨.

(٢) عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، «مكتبة النهضة المصرية»،

ط٣، ١٩٦٥م، ص: ٨.

وقد تأثر العمري في بداية حياته، بالمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي حيث ولد في ذلك القطر العربي أي الجزائر حوالي سنة ١٢٨٢م، وتفتحت عبقريته في رحاب المسجد النبوي وعاصر الأحداث الجسام التي تعرضت لها الدولة العثمانية وانعكست بالتالي على الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة، فنراه يتحسر على الوضع الذي آلت إليه المدينة خلال الحرب العالمية الأولى وذلك عندما عمل القائد التركي فخري باشا على تهجير أهالي البلدة الطاهرة إلى تركيا والشام وظهر هذا الأسى والتحسر في قصيدته التي أنشأها بهذه المناسبة والتي يقول فيها:

دار الهدى خَفَّ منك الأهل والسَّكَنُ واستفرَّغتْ جُهدُها في رَبْعِكَ المِخْنُ

ومنها الأبيات التي وإن عبرت عن عاطفته الدينية الصادقة إلا أنها في الوقت نفسه تكشف عن ذلك الحس الشعري القوي لديه والمتمثل في نصاعة العبارة الشعرية وقوتها وجزالتها، يقول العمري:

منازلٌ شَبَّ فيها الدين واكتملت آياته فاستعارت نورها المدنُ
لأي أرض يشدُّ الرَّحْلُ راكبُهُ يبغي المثوبة أو يشتاقه عَطْنُ
أبعد روضتها الغنَّا وقبتها الخضراء يحلوا بعينيَّ مسلم وَطْنُ
ما غوطة الشام، ما نَهْرُ الأبلَّة ما حمراء غرناطة ما مصر ما اليمنُ
كل المنى في رحاب المصطفى جُمعت ديناً ودنيا فما في مثلها ثمنُ
ما كنت أعرف ما للشوق من أثر حتى تَرَحَّلَ بي عن ربِّعها البدنُ
يا راكباً حملت شوقاً مطيَّته نضو تغوله الأحزان والشَّجِنُ
يا أهل طيبة والآلام عاصفةً والناعيات يبكين الأولى دفنوا
عودوا إلى الله علَّ الله يُسعفكم من فتنة دونها الأهوال والفتنُ^(١)

(١) انظر: الشعر الحديث في الحجاز، ص ١١٣، إلا أن الأستاذ محمد سعيد دفتر دار والذي =

وإذا كان الأستاذ الأنصاري يرى أن الشيخ العمري يشبه في شعره سامياً البارودي في جزالة الألفاظ وتدفق المعاني، وعروبة البيان وبث الشكوى والأحزان والمساهمة في حوادث الأكوان، فإن الدكتور عبد الله الحامد^(١) يذهب مذهب الأستاذ الأنصاري في اعتبار العمري إضافة إلى محمد عثيمين^(٢) من الشعراء الموجودين الذين ارتقوا بالديباجة الشعرية ونفضوا عنها غبار الصُّنعة، إلا أنه يستدرك قائلاً: «وإذا كنا لا نقطع بتأثر شاعر كالعمري بشاعر كالبارودي فإن من الواضح أن الوجه واحد^(٣)».

وإذا دلفنا قليلاً إلى قصيدته السياسية المشهورة:

ذوقي فرنسا وبأل الخِزي والعارِ وجربي بُؤسَ أخذ المَلِكِ والثَّارِ

فإننا نجد في أبياتها تلك الثورة العارمة والتي تجيش بها نفس شاعرنا إزاء فرنسا والتي رأى فظائع جرائمها في مطلع حياته بالجزائر، وهو يسلك الدول الغربية جميعها - في نسقٍ واحد من حيث عدائها للدولة العثمانية والتي استطاعت أن تجذبه إليها عن طريق قائد الحامية العثمانية بالمدينة «عبد المجيد»، حيث إن الأخير كانت تربطه صداقة عميقة بالشاعر، وبعيداً عن موقف الشاعر السياسي إلا أنه كان من بُعد النظر وقوة البصيرة مما مكنه من استشراف الأفق. وتتجسد هذه الرؤية الاستشرافية في تحذيره

= عاصر الشاعر قد أورد النص كاملاً في المقالات التي كتبها عن العمري في مجلة المنهل، في أعداد جمادى الآخرة ورجب وشعبان، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠م.

(١) الشعر في الجزيرة العربية، ص: ٤٨٦.

(٢) محمد بن عبد الله بن عثيمين ١٢٦٠ - ١٣٦٣هـ، أطلق عليه لقب شاعر العربية في زمانه اتصل بعدد من حكام الجزيرة العربية في عصره وكان آخرهم الملك عبد العزيز رحمه الله. عبد الله بن إدريس، شعراء نجد المعاصرون، ط ١، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ص ٥٧ - ٥٩.

(٣) الشعر في الجزيرة العربية، ص: ٤٨٧.

للعرب من الانسياق وراء الوعود الغربية، معتبراً إياها وعوداً كاذبة - وخصوصاً تلك الوعود التي تزامنت مع اندلاع الثورة العربية ضد الأتراك، حيث نجده يخاطب الذين دفعهم عداؤهم للدولة العثمانية للتحالف مع الحكومة البريطانية، فهو يتوجه إليهم مستنكراً:

فقل لي متى وفّت بعهدٍ لحاكمٍ فهل هو إلا العهدُ من بعده الغضب
فتلك ملوك الهند تُنعى عروشها وهذي شيوخ العرب أدمعها سُكُبُ^(١)

وإذا كان الأستاذ الأنصاري يرى أن تفاعل العمري مع الأحداث العالمية يثبت «أن الحجاز لم يزل حتى في عهود الجمود القلب الحساس النَّابض بأحداث العالم الإسلامي المباشرة وغير المباشرة»^(٢) إلا أن العمري كانت تسيطر عليه فكرة واحدة وهي (الخلافة الإسلامية) واعتبار العثمانيين حماة للدين، على الرغم من المفاصد التي لحقت بالدولة في عصورها الأخيرة، والتي - انتقدها - الأسكوبي في قصيدته السابقة، وهما شاعران معاصران، ونجد العمري يعبر عن إيمانه بفكرة الخلافة في الأبيات التي وجهها للشريف الحسين عند قيام الثورة العربية، حيث حدد موقفه من هذه الحركة بقوله:

حدُّ الخلافةِ مَنْ يجتازهُ ظلماً وَمَنْ أباحَ حماها بئسَ ما اقتحما
وَمَنْ يُثر فتنةً عمياء ساكنةً فهو الذي هتك الإسلام والحُرما

(١) يعتبر كل من الأساتذة عبید مدني، وعبد القدوس الأنصاري ومحمد سعيد دفتردار، المصادر الرئيسية لشعر محمد العمري حيث عايشوا جزءاً من حياته المديدة في المدينة المنورة، ويعتبر عبید مدني الأكثر حظوةً عند العمري.

(٢) المنهل، ربيع الآخر ١٣٧٧هـ، نوفمبر ١٩٥٧م.

ويسري هذا النفس الشعري القوي في بقية أبيات قصيدته، التي اتخذنا منها نموذجاً للشعر السياسي في المدينة في أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان لامتلاك الشاعر ناصية البيان القوي أثره في تمكين هذا النَّفس أو العاطفة من التحليق في أجواء تلك الحرب التي غيّرت - آنذاك - خارطة العالم، واصفاً أحداثها المروعة.

ونقف عند هذا البيت الذي صَوَّر فيه غرور فرنسا تصويراً عميقاً، وكيف أن هذا الغرور قادها إلى الانحناء، وهو يستعير لهذا الغرض كلمة الرَّأس الذي يرتفع صَلفاً فإذا هو في لحظة خاطفة من الزمن يتعرض للصفع القوي:

فطأطيء رأس عِزِّ حشوه صَلفٌ لتوسع الصَّفْع فيه كفُّ جَبَّار

ويسعى الشاعر من خلال ترديده لبعض الكلمات في أبيات قصيدته في أثناء وصفه لأحداث الحرب، لجذب انتباه الآخرين وجعلهم يعيشون من خلال وصفه لتلك الأحداث أجواء تلك الحرب، كما هي الحال في استخدامه للفعل (أضحى) في جملة من الأبيات تصف وضع فرنسا بعد هزيمتها من قبل الألمان:

أضحت مدافع باريس مُحَطَّمة يهينها كل جرَّار وجرَّار
أضحت خزائن باريس مشهورة يسومها كل حمَّال وحمَّار
أضحت خزائن باريس مجمعة في بطن برلين تحت الحَتم بالعار

وإذا كان الشاعر قد استخدم هذا الفعل ليصور من خلاله اللحظة التي وقع فيها الحدث، فذلك لأن صيغة «أضحى» قادرة كما نلاحظ من خلال الأبيات على جعل القارئ قريباً من تلك الأحداث ومندمجاً فيها، إضافة

إلى العبارات القوية المجملجة مثل: جرّار، وجرّار، وحمّال، وحمّار، و هي عبارات تستمد تأثيرها من بنائها اللغوي المحكم بالتشديد، ومعلوم أن التشديد في البناء اللغوي يقابله بالتالي تشديد في المعنى وتأكيد عليه إضافة إلى أنها من صيغ المبالغة على وزن (فَعَّال) مما يزيد من قوة دلالتها. وبما أن الشاعر ينتمي إلى المدرسة التي تسعى لصياغة عباراتها الشعرية صياغة قوية وبعيدة عن أساليب التكلف والصنعة وغيرها مما كان سائداً عند بعض ذوي الميول الشعرية الأخرى، لذا نجده يستدعي بعض العبارات القوية والتي تذكرك بعبارات الشعراء الآخرين كقوله مخاطباً القائد الألماني غليوم:

حَكِّم سيوفك لا شُلَّتْ أناملها فيهم فإنهم عار على العار

ويذهب بسبب عداوته للاستعمار مذهباً صعباً وذلك عند استخدامه للعبارات التي دأب الشعراء الأوائل على مخاطبة القواد المسلمين بها كقوله:

شفيت غلّ صدور المسلمين بما فعلت، لا تبق منهم أيّ ديار

فنحن نجد صعوبة في تقبل هذه العبارات التي يصف بها قائداً ألمانيا لم يخطر بذهنه - أبداً - إرضاء مشاعر المسلمين أو الدفاع عن حقوقهم في حربه ضد الحلفاء.

ولعل مرد هذا إلى أن الشاعر كان صاحب مزاج حاد، وعاطفة جياشة وهذا ما أكده أحد معاصريه وهو الأستاذ محمد سعيد دفتر دار^(١).

إلا أننا نلاحظ، ورغم هذا المركب الصعب الذي ركبه الشاعر والذي

(١) المنهل، الجزء ٧، المجلد ٢٠، رجب ١٣٧٩هـ - يناير ١٩٦٠م.

قادته إليه عاطفته المتأججة، حقدًا على الاستعمار وخصوصاً الفرنسي الذي ترك ندوباً غائرة في نفس الشاعر منذ طفولته الأولى في الجزائر، ونلاحظ من خلال الشطر الثاني من البيت تأثره ببلاغة القرآن الكريم ففي عبارة الشاعر «لا تبق منهم أي ديار»، تأثر واضح بقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(١).

وبعد هذا التحليل لبعض قصائد الشاعر نجد تشبيه الأنصاري للعمري بالشاعر المجدد سامي البارودي في جزالة ألفاظه وتدفق معانيه وعضوبة بيانه. وقد ارتقى العمري كما ارتقى البارودي «مرتقى رفيعاً في عهد كان حسب الشاعر فيه أن يحكم الصنّاعة وينقل الخواطر العامة ليحسب من المتفوقين البارزين»^(٢).

وهذا مرده كما يرى الأستاذ العقاد إلى قدرة الشاعر الذي «يجمع بين أحكام الصنّاعة وشرف العبارة، وصدق الإبانة عن كل سريرة من سرائره وكل لون من ألوان طبعه في غير سُخْف ولا استرخاء ولا تكلف»^(٣).

قصيدة المدني:

إذا كان جعفر البيتي أنشأ قصيدته في ظل الحالة الأمنية المتردية التي عاشتها المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، وكانت الدولة العثمانية مسؤولة عن ضياع الأمن في الديار المقدسة في تلك الحقبة، وإذا كان عبد الجليل برادة أنشأ هو الآخر قصيدته عندما كانت الدولة العثمانية تخوض حروبها ضد بعض الدول الأوروبية، وإذا كان الأسكوبي أنشأ قصيدته

(١) سورة نوح، الآية: ٢٦.

(٢) عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، «مكتبة النهضة المصرية»،

ط٣، ١٩٦٥م، ص: ١٤٠.

(٣) المرجع السابق: ص ١٤٠.

والدولة العثمانية تتعرض لحالة من الانهيار الداخلي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وإذا كان محمد العمري أدرك هو الآخر محاولة الدولة العثمانية استعادة شيء من هيبتها في أثناء الحرب العالمية الأولى، فإن مما يمكن استنتاجه من ذلك أن شعراء المدينة كانوا مواكبين الأحداث التي تمر بها الأمة العربية والإسلامية، وذلك بحكم موقع المدينة الديني، حيث تعتبر عاصمة الإسلام الأولى. كما يمكن لنا معرفة الخلفية التي انطلق منها عبيد مدني في إنشاء قصيدته التي وجهها إلى أستاذه العمري. والقصيدة كما هو مثبت في ديوان الشاعر، قد أنشأها سنة ١٣٤٣هـ^(١)، وهي الفترة التي سبقت انضواء المدينة تحت الحكم السعودي، وتحديدًا تحت تأثير أجواء الحصار الذي كانت تعيشه المدينة، وكانت سابقة على القصيدة التي أنشأها سنة ١٣٤٣هـ، والتي يقول فيها:

هذي المدينة أصبحت ألعوبة صماء بين زعانف وغواة
يستاقها التفرُّ الرُّعاع ذليلة لموارد الويلات والنكبات
الحكم فوضى والمطامع جمَّة والشَّعب بينهما فريسة عاتي
حال تذوب لها الضمائر لوعة والموت فيها أهون الحالات^(٢)

وتدل أبيات هذه القصيدة على تردّي الحالة الأمنية في حقبة الأشراف، وتطلع جميع القوى السياسية الموجودة على الساحة لبلوغ أهدافها الخاصة، وهي السيطرة السياسية على المدينة، وهذا الصراع السياسي كانت له نتائجه السلبية على المواطن العادي الذي عبر الشاعر المدني على لسانه بأنه يتمنى الموت على حالة تراوح بين فقدان الأمن والحصار الاقتصادي الخانق.

(١) المدنيات، الجزء الثاني، ص: ١١٤ - ١١٧.

(٢) المدنيات، الجزء الأول، ص: ١٢٩ - ١٣٠.

ويرى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أن وطنية الشاعر وشجاعته دفعته لإبداع مثل هذه القصائد المدوية كدويّ المدافع في أجواء المدينة قبل انضمامها إلى بقية أجزاء الجزيرة العربية، والتي توحدت فيما بعد تحت راية الملك عبد العزيز - رحمه الله^(١)، ويرى الأستاذ عبد الله عبد الجبار أن هذه القصائد كانت لها آثارها الإيجابية «حيث لقيت آذاناً صاغية وقلوباً واعية إذ - ذاك -»^(٢).

وقد وجّه الشاعر في قصيدته - التي هي موضع دراستنا - الحديث إلى أستاذه العمري وسماه بـ (شاعر الشرق) وأهاب به أن يستنهض بقوافيه الرنانة شعبه الخامل كما فعل هيجو وغيره من الشعراء العالميين^(٣).

إلا أن الأستاذ الأنصاري الذي قدم للقصيدة عند نشره لها يرى أن جناح الشاعر العمري الذي توجه إليها شاعرنا المدني بالخطاب «كان مهيباً فلم تكن إذ ذاك بالمدينة المنورة ولا بالحجاز صحف تنشر على الجمهور شعره كما كان الشأن مع شوقي في مصر والزهراوي في العراق، وغيرهما من فحولة شعراء العرب، رواد النهضة الحديثة، حينذاك وقبل ذلك»^(٤).

ويرى الأستاذ الأنصاري والذي كان طموحاً إلى استيعاب مناهج الأدب القديم من شعر ونثر، بأن صديقه المدني عمل على جذبه لبناء اتجاه أدبي حديث في المدينة المنورة يتسم بروح جديدة وثابة^(٥)، وتناسب روح

(١) انظر الدراسة التي كتبها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري عن شعر عبيد مدني في مقدمة الجزء الأول من ديوان المدنيات، ص: ١٣ - ٣١.

(٢) التيارات الأدبية، ص: ١٤٦.

(٣) شاعر الشرق، المنهل، صفر، ١٣٧٧هـ.

(٤) المنهل، صفر، ١٣٧٧هـ.

(٥) المدنيات، ج ١، ١٨.

العصر الذي تعيشه الأمة. وهو بهذا يعتبره أباً روحياً للاتجاه الأدبي الحديث في المدينة منهجاً وأسلوباً، وأن الشعراء السابقين عليه في المدينة لم يقوموا بهذه المحاولة التي تعد جريئة في تلك الحقبة التي كان الشعراء يتمسكون فيها بالنمط القديم أو ما يطلق عليه (المحافظ). وكان معاصره ضياء الدين رجب (١٣٣٥ - ١٣٩٦هـ)، شاعراً محافظاً مع الإجابة في قول الشعر والبلاغة العربية الأصيلة في فن النشر^(١)، ولقد ذهب الدكتور عبد الله باقازي إلى رأي نقدي يرى فيه أن رجب كان يحرص على الديباجة الجميلة في شعره» والتي جسدتها حالات منها «الجناس» والطباق أو التراسل الحسي للألفاظ، والتصريع وغير ذلك من الأساليب المرتبطة بإنتاج الشعراء المحافظين^(٢)، أو ممن نسبهم الدكتور عبد الله الحامد إلى مدرسة الغزاوي، وهي مدرسة موازية لمدرسة محمد سرور الصبان، وكلتا المدرستين تنتمي إلى شعراء الجيل الأول في الجزيرة العربية^(٣)، ومع ميل مدرسة الغزاوي إلى المحافظة والتقليد، إلا أن الدكتور الحامد يرى لمحات ضئيلة تخص تجديد شكل الشعر ومضمونه عند عبيد مدني ومعاصره عبد القدوس الأنصاري^(٤).

إلا أن المدني مع جنوحه نحو التجديد الشعري، فإننا نجد مفردات قصيدته الوطنية هي مفردات فصيحة، وهو ما نلاحظه في الكلمات التي

(١) عبد الرحمن بن أحمد السَّبْت، عمر بن إبراهيم برِّي، حياته وشعره، رسالة ماجستير مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ، ص: ٢٥١.

(٢) د. عبد الله أحمد باقازي، شعر ضياء الدين رجب بين الموقف والصياغة «إصدارات نادي المدينة الأدبي، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م، ص: ١٢٠.

(٣) في الشعر المعاصر، ص: ١٠.

(٤) المرجع السابق، ص: ١٣.

احتوت على حرف «الفاء» وهو الرّوي الذي بنى عليه قصيدته، فنحن نرى كلمات مثل الكهف، الخسف، القّف، العسّف، العصف، الحتف، الصّف، وهي كلمات تناسب مضمون القصيدة والذي يمكن القول عنه إنه مضمون يشي بالثورة العارمة ضد حالة التردّي التي تعيشها أمتة أو مجتمعه. ويرى الباحث إبراهيم المطوّع أن الشاعر المدني في بداية مسيرته الشعرية عام ١٣٤٣هـ - أي التاريخ الذي أنشأ فيه شاعرنا قصيدته - «كان متأثراً بمعاجم عصور متقدمة أو شعراء سابقين»^(١).

ويرجع المطوع هذه الناحية المتصلة باللغة الشعرية عند الشاعر المدني إلى تعلقه «بالثقافة العربية الأصيلة من دينية ولغوية وأدبية وتاريخية»^(٢).

إلا أننا نلاحظ أن استخدام الشاعر لهذه المفردات كان استخداماً طبيعياً يناسب روح العصر التي تشربها المدني من خلال مواكبته للشعر الحديث في ذلك العصر، حيث توافر له الاطلاع من بين أقرانه على بعض كتب الأدب الحديث والتاريخ العربي^(٣). وتحتوي القصيدة التي يخاطب فيها الشاعر شيخه العمري على أبيات نكاد نستشف منها تلك الثورة العارمة التي تجيش في صدر الشاعر والتي استطاع أن يبرزها في صياغة شعرية قوية، وهي تدل على تفاعله مع تلك الحقبة سياسياً وفكرياً وأدبياً، فجاء تعبيره عنها قوياً وموازياً لما كانت تجيش في نفسه من مشاعر وطنية صادقة.

(١) الشاعر المؤرخ عبيد مدني، ص: ٢٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص: ٢٦٣.

(٣) يذكر عبد القدوس الأنصاري أنه رأى في تلك الحقبة المتقدمة من حياة الشاعر في المدينة دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي، ومصر للمصريين.

انظر: عبد القدوس الأنصاري، السيد عبيد مدني، المنهل س، ٢٣، ج ١٩، ربيع الأول، ١٣٧٨هـ، ص ١٧٣ - ١٨٣.

يقول المدني طالباً من أستاذه العمري القيام بدور تنويري في المجتمع:

فُثِرَ فيه وَاتركَ لليراع سبيله فقد بات حيناً لا يبينُ ولا يخفي
وامطر به في القوم ناراً وإن هم أثابوا إلى الحُسنَى فويلاً من القُطفِ
وبيّن لهم معنى الحياة فإنها نأت عنهم لكي تطل من السّجف

فالبيت الأول يتضمن إشارة إلى تعثر الأقلام في وصف الدواء الناجع للأمة في محنتها أو أزمتها التي تعيشها، ولهذا يطلب من مخاطبه - العمري - أن يثور من خلال القلم تاركاً ليراعه حرية التعبير، وهو يستخدم لفظ (ثورة)، ويمكن أن يكون هذا اللفظ دلالة على رغبة الشاعر في انتزاع المجتمع مما أسماه في البيت الذي سبقه ببحور الغواية، كما يتضمن البيت الذي يليه كلمة (امطرُ) ناحتاً فعل الأمر من هذه الكلمة المرتبطة بنزول الغيث على الأرض المتعطشة للحياة، ولكن شاعرنا استخدم الكلمة مقترنة بكلمة أخرى وهي (النار)، واستخدامها هنا مجازي للدلالة على تطلع الشاعر للتعبير في أحوال المجتمع الذي وصف من قبل وكأنه «يسبح في بحر من الغواية - أي البعد عن الطريق السوي والذي تنكّيته الأمة بفعل عوامل التخلف والانحطاط، حتى إن الشاعر بفعل عامل الثورة الوطنية الصادقة التي تعتمل داخل نفسه - طلب من مخاطبه أن يبين لهم معنى الحياة ويرى أن المعنى الحقيقي لحياة الشعوب المتطلعة لحياة أفضل قد نأت عنهم حتى إنها لا تبدو لهم إلا نادراً من بين السُّجف أي (الأستار)، أو من بين ثنايا الظلمة التي حجبت الرؤية الصحيحة لما يدور حولهم من شؤون الحياة. ويبدو تطلع الشاعر - آنذاك - سبّاقاً في رؤيته للإصلاح، فهو يستشهد بالكاتب الفرنسي (هيجو)، الذي يرى أنه كان من عوامل نهضة فرنسا من حالة الضعف التي أصابتها إبان احتلال الألمان لها، كما

يرى في نهوض الأمتين الألمانية والتركية بعد الحرب العالمية ما يمكن أن تستند إليه الأمة اعتماداً على تراثها وتاريخها لنهضة شاملة، مشيراً إلى أن لا بد من الأخذ بأسباب الرقي حتى تصل أمته إلى ما وصلت إليه الأمم الأخرى، وكأنه من خلال استعماله لعبارة مثل (ناموس الحياة) في البيت التالي:

وهذه نواميس الطبيعة أوضحت لنا سُبُل التوفيق عابقة العرْفِ

كأنني بشاعرنا المدني يشير إلى طبيعة التّواكل التي دأبت عليه الأمة وأن عليها أن تتخلص منه لتسلك السُّبُل الصحيحة والواضحة، وأنه بغير هذه السُّبُل لا يمكن لها أن تجد موقعاً يليق بها بين الأمم الأخرى، ترى هل كان عبيد مدني عندما خاطب مجتمعه قبل حوالي ثمانين عاماً مُستشرفاً للمستقبل من الأيام؟ وهو أن الأمة سوف تدخل في نفق جديد من الأحداث والمشاكل، وأن عليها أن تعيش عصرها بكل عوامل التطوير والتحديث، بعد أن تكالب عليها أو تداعوا عليها كما تداعى الأكلة على قَصْعتها.

الخاتمة

لاحظنا من خلال هذه الدراسات أن تيار الشعر السياسي والوطني في بيئة المدينة المنورة تمتد جذوره إلى القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي، وأنه استمر في التدفق والتطور معاً إلى ما قبل منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وبالتحديد إلى عام ١٣٤٤هـ، وإذا عرفنا تاريخياً أن في هذا العام - وبالتحديد في شهر جمادى الأولى - انضمت المدينة المنورة إلى الوحدة التي شهدتها الجزيرة العربية على يد المغفور له الملك عبد العزيز وتأسس من خلالها الكيان السعودي، استطعنا أن نفسر سبب استمرار هذا التيار متدفقاً إلى مدى زمني يصل إلى قرنين من الزمن، وسبب ارتباط الأمر بالاضطرابات السياسية التي كان يشهدها العالم العربي والإسلامي، وخصوصاً أن الدولة العثمانية كانت قد بدأت في التفكك، وكان الغرب يتربص بهذه الدولة الإسلامية حتى يستطيع أن يضع له موطئ قدم في هذه المنطقة الحيوية، ولئن كان بعض شعراء المدينة مثل عبد الجليل برّادة ومحمد العُمري قد وقفوا مع الدولة العثمانية في حروبها ضد بعض الدول الغربية مثل اليونان وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا، فإن مرد ذلك هو الخوف من المجهول وهذا ما حدث - فعلاً - حيث إنه بسقوط الخلافة العثمانية تقاسم الغرب من خلال معاهدة سايكس - بيكو المشهورة، أجزاء العالم العربي والإسلامي، ولم يتركوه إلا بعد أن مكنوا الحركة الصهيونية

من احتلال البلد العربي المسلم (فلسطين)، ولا يزال الغرب - إلى اليوم - وبدرجات مختلفة يمد هذا الكيان المحتل بعوامل القوة والبقاء. ويظهر إنتاج شعراء المدينة تلك العاطفة الإسلامية الصادقة النابعة من بيئة المدينة الدينية والفكرية والثقافية، حيث كانت تمثل مركز الثقل السياسي والحضاري في بداية الدولة الإسلامية، ولم تفقد دورها الثقافي والفكري بعد انحسار دورها السياسي وخصوصاً من جهة وجود المسجد النبوي الشريف والذي كان يحفل على مر العصور بحركة علمية دائبة، كما نلاحظ أن عدداً من هؤلاء الشعراء الذين أتينا على ذكرهم في هذه الدراسة جمعوا بين الثقافتين الدينية والأدبية، فلقد كان كل من البرادة والأسكوبي، والعُمري، من أشهر أعلام الفكر الإسلامي في عصرهم وهذا ما انعكس في بعض ما أنتجوه من شعر ودونوه من إبداع، كما أن بعضهم كان منفتحاً على حركات التجديد الأدبي مثل الأسكوبي الذي رأيناه يحتفي بإلياذة هوميروس وترجمة سليمان البستاني لها، كما أن بعضهم كان ينظم الشعر باللغتين العربية والفارسية مثل عبد الجليل برادة، والذي يعتبر رائد مدرسة الشعر في المدينة، وامتدت آثار هذه المدرسة لتشمل بعض نواحي المدن الأخرى حيث نجد شاعراً متميزاً مثل عبد الواحد الأشرم المكي ينضوي تحت راية هذه المدرسة الحديثة بمقاييس الحقبة الماضية.

نشاهد أثر البرادة في تلميذه الأسكوبي والعُمري، ثم نشاهد أثر العمري على تلميذه ومريده عبيد مدني والذي أطلق عليه لقب (شاعر الشُّرق).

تباين الجودة الفنية لقصائد الشعراء الذين عرضنا لهم بالدراسة، فنحن نجد تأثيراً كبيراً عند البيتي بشاعر العربية الكبير أبي الطيب المتنبي، كما نجد تأثير الأسكوبي وبرادة بأبي تمام والمتنبي، إلا أن العمري كان من

أكثر الشعراء تأثراً بالعبارة الشعرية الجزلة الفصيحة حتى ذهب بعض الدارسين مثل عبد القدوس الأنصاري، بتشبيه دور العمري في الارتقاء بصياغة القصيدة بذلك الدور الذي قام به محمود سامي البارودي في مصر.

مع الشهرة الواسعة التي اكتسبها بعض شعراء هذه الحقبة مثل الأسكوبي واعتباره من وجهة نظر بعض الدارسين بأنه رائد الشعر السياسي في الجزيرة العربية، وذلك لقصيدته التي أطلق عليها (الأسكوبية المدوية)، والتي انتقد فيها الدولة العثمانية وتعثُر مسيرتها السياسية وارتماؤها في أحضان الغرب، ظناً منها بأنه سوف يرمي لها بطوق النجاة فإذا هو يلتف عليها ويقضي على ما تبقى من كيائها، مع هذه الشهرة الواسعة، إلا أن هؤلاء الشعراء لم يرفعوا أصواتهم بهذه الجرأة والتي دفع بعضهم ثمناً باهظاً لها، حيث أبعد البرّادة لأستانبول، وحُوكم الأسكوبي وتوفي في ظروف غامضة كما يروي ذلك حفيده الأديب والشاعر محمد سعيد دفتر دار ١٣٢٢ - ١٣٩٢هـ.

لم ترتفع منهم تلك الأصوات القوية إلا لإيمانهم بالقضايا الكبرى التي يعيشها العالم العربي والإسلامي من حولهم، فحاولوا أن يعكسوا ذلك كله في هذا الإنتاج الشعري، والذي يفيض بعاطفة وطنية صادقة، ويرسم مساراً متميزاً للحركة الأدبية والشعرية في المدينة المنورة على مدى قرنين من الزمن.

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

- ١ - جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزخي، الزهر الممطور بالنُّفح الفرّجي في الفتح الجَنّجي، مكتبة آل هاشم بالمدينة المنورة.
- ٢ - جعفر بن محمد البيّتي، ديوان شعر: نسخة مكتبة السيد عبّيد مدني، ونسخة مكتبة المتحف العراقي، بغداد، رقم ٦٣٢.
- ٣ - عمر بن عبد السلام الداغستاني، تحفة الدهر ونفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر، نسخة مكتبة طوبقابي سراي، استنبول تحت رقم ٥٠٧.
- ٤ - يحيى هاشم، الفلك المشحون، نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، كتب الدواوين، رقم ٦٦١.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

- ١ - إبراهيم بن حسن الأسكوبي، ديوان إبراهيم الأسكوبي - تحقيق وتقديم: محمد العيد الخطراوي، ط ١ (المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م).
- ٢ - إبراهيم الأسكوبي، مفاخرة ما بين وابلور البحر ووابلور البر، (القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، دت).
- ٣ - إبراهيم بن عبد الرحمن المطوع، الشاعر المؤرخ عبّيد مدني، حياته وشعره، ط ١ (جدة: دار العلم، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م).

- ٤ - إبراهيم بن فوزان الفوزان، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، ط ١ (دم، مكتبة الخانجي للطباعة، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م).
- ٥ - أحمد إبراهيم السمان، نماذج وألوان من تراث بعض أدبائنا وشعرائنا، نَقَّحه وضبط شعره وصحَّحه: محمد فائز حَوَاصيلي، ط ١ (دار المعارف للطباعة، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م).
- ٦ - أحمد أمين مرشد، طيبة وذكريات الأحبة، ج ١ (د.م: دن، ١٤١٣هـ).
- ٧ - أحمد سعيد بن سيلم، موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، ط ٢ (المدينة المنورة: النادي الأدبي، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م).
- ٨ - أحمد بن علي بن حسين بن مشرف، ديوان أحمد بن علي بن مشرف، الأحساء: مكتبة الفلاح بالهفوف، (د.ت).
- ٩ - أحمد كمال زكي، شعراء السعودية المعاصرون، التاريخ والواقع، (الرياض: دار العلوم، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).
- ١٠ - أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، (القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت).
- ١١ - أمين مدني، الثقافة الإسلامية وحواضرها، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م).
- ١٢ - أنس يعقوب كتبي، أعلام من أرض النبوة، ط ١، ج ١ (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).
- ١٣ - جعفر بن محمد البيتي، مواسم الأدب وآثار العجم والعرب، ط ١ (القاهرة: الخانجي الكتبي، ١٣٢٦هـ).
- ١٤ - حسن بن فهد الهويمل، في الفكر والأدب دراسات وذكريات، ط ١ (المدينة المنورة: النادي الأدبي، ١٤٠٨هـ).
- ١٥ - خليل مردم بيك، أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع، تقديم وتعليق: عدنان مردم بيك، ط ٢ (بيروت: مؤسسة

الرسالة، ١٩٧٧م).

١٦ - عائض الراددي، الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري، ط ١
(جدة: مكتبة المدني، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).

١٧ - عارف أحمد عبد الغني، تاريخ أمراء المدينة المنورة، (دمشق: دار كنان
للطباعة والنشر، د.ت).

١٨ - عاصم حمدان، صفحات من تاريخ الإبداع بالمدينة المنورة، ط ١ (جدة:
الشركة السعودية للتوزيع، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م).

١٩ - عاصم حمدان، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ط ١ (المدينة
المنورة: النادي الأدبي، ١٤١٣هـ = ١٩٩١م).

٢٠ - عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، ط ٣
(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٥م).

٢١ - عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ط ١ (دم: دن،
١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

٢٢ - عبد الحي دياب، التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد (القاهرة: دار
الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م).

٢٣ - عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم
المعاجم والمشیخات والمسلسلات، اعتناء: إحسان عباس (بيروت: دار
الغرب الإسلامي، د.ت).

٢٤ - عبد الرحمن الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين
من أنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، ط ١ (تونس، المكتبة
العتيقة، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م).

٢٥ - عبد الرحيم أبو بكر، الشعر الحديث في الحجاز (المدينة المنورة: النادي
الأدبي، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م).

- ٢٦ - عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق وتعليق: محمد بهجة البيطار، (دمشق: المجمع العلمي، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م).
- ٢٧ - عبد السلام طاهر السَّاسي، الموسوعة الأدبية (مكة المكرمة: دار قريش للطباعة، ١٣٨٨م).
- ٢٨ - عبد السلام هاشم حافظ، المدينة المنورة في التاريخ، ط ٣، (المدينة المنورة: النادي الأدبي، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م).
- ٢٩ - عبد العزيز الرَّبَّيع، شوقيات وشوكيات، إعداد وتقديم: محمد صالح البلهيشي (المدينة المنورة: النادي الأدبي، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م).
- ٣٠ - عبد الله أحمد باقازي، شعر ضياء الدين رجب بين الموقف والصياغة، ط ١ (المدينة المنورة: النادي الأدبي، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م).
- ٣١ - عبد الله بن إدريس، شعراء نجد المعاصرون، ط ١ (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م).
- ٣٢ - عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ١١٥٠ - ١٣٥٠، ط ١، (الرياض: مطابع الإشعاع التجارية، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م).
- ٣٣ - عبد الله الحامد، في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، ط ٢ (الرياض: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).
- ٣٤ - عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٥٩م).
- ٣٥ - عبد الله عبد الجبار، قصة الأدب في الحجاز.
- ٣٦ - عبد الله بن محمد أبو داهش، من بواكير الشعر السياسي الحديث في جزيرة العرب، ط ١ (جدة: دار العلم، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م).
- ٣٧ - عبد الله مرداد أبو الخير، المختصر من كتاب نشر النور والزهر، اختصار

- وترتيب: محمد سعيد العامودي وأحمد علي (الطائف: النادي الأدبي، دت).
- ٣٨ - عبید مدني، ديوان عبید مدني المدنيات، ط ١ (دم: دن، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).
- ٣٩ - عثمان حافظ، صور وذكريات عن المدينة المنورة، ط ١ (المدينة المنورة: النادي الأدبي، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).
- ٤٠ - عمر بن إبراهيم البري، ديوان عمر البري، تحقيق وتقديم: محمد العيد الخطراوي، ط ١ (المدينة المنورة: دار التراث، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).
- ٤١ - عمر الطيب الساسي، الموجز في تاريخ الأدب السعودي، ط ١ (جدة: تهامة، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).
- ٤٢ - فائز بن موسى البدراني، مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حَرْب، ط ١ (دم: دار البدراني للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م).
- ٤٣ - فائق بكر الصواف، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين ١٢٩٣ - ١٣٣٤هـ = ١٨٧٦ - ١٩١٦م (القاهرة: مطابع سجل العرب، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م).
- ٤٤ - محمد أديب غالب، من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي، ط ١ (دم: دار اليمامة للبحث والترجمة و النشر، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م).
- ٤٥ - محمد حسين زيدان، ذكريات العهود الثلاثة، ط ٢ (الرياض: مطابع الشرق للأوفست، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م).
- ٤٦ - محمد خليل المرادي، سِلك الدُرر في أعيان القرن الثاني عشر (بغداد: مكتبة المثني، دت).
- ٤٧ - محمد بن راضي الحسيني الشريف، الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، ط ١ (المدينة المنورة: النادي الأدبي، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م).

- ٤٨ - محمد رشدي حسن علي، مع الأدب المعاصر في المملكة العربية السعودية ط ١ (دم: دن، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م).
- ٤٩ - محمد سعد بن حسين، الشعر الحديث بين المحافظة والتجديد، ط ١ (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).
- ٥٠ - محمد سعيد العامودي، من تاريخنا (جدة: الدار السعودية للنشر، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م).
- ٥١ - محمد علي مغربي، أعلام الحجاز، ج ٢ (دم: دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).
- ٥٢ - محمد العيد الخطراوي، شعر الحَرْب في الجاهلية عند الأوس والخزرج، ط ١ (دمشق - بيروت: دار القلم، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م).
- ٥٣ - محمد محمود بن التَّلاميد التَّركزي الشَّنقيطي، الحماسة السَّنية الكاملة المزيَّة في الرِّحلة العلمية الشَّنقراطية التَّركزية (القاهرة: مطبعة الموسوعات، ١٣١٩هـ).
- ٥٤ - مساعد بن منصور آل عبد الله بن سرور، الشريف، جداول أمراء مكة وحكامها منذ فتحها إلى الوقت الحاضر، ط ١ (مكة المكرمة: النهضة الحديثة، ١٣٨٨هـ = ١٩٨٦م).
- ٥٥ - يوسف بن علي رابع الثقفي، موقف أوروبا من الدولة العثمانية، ط ١ (الطائف: الحارثي للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ).

ثالثاً: المصادر الإنجليزية:

- 1 Asim Hamdan, The Literature of Medina in the Twelfth Century A.H. "Eighteenth Century A.D" Examined, from contemporary sources. A Thesis, Presented for the degree of PH.D. Manchester University 1986.
- 2 William Ochsenwald, The Hijaz, Railroad, by the rector and visitors of the University of Virginia, 1980.

رابعاً: الدوريات:

- ١ - بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين المنعقد في مكة المكرمة في الفترة ما بين ١ - ٥ ربيع الأول سنة ١٣٩٤هـ، المجلد الثاني، ص: ٧٢٢.
- ٢ - مجلة الدّارة: السنة الرابعة عشرة، العدد الثاني ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٣ - مجلة كلية دار العلوم، القاهرة، العدد الثاني والعشرون، شعبان ١٤١٨هـ - ديسمبر ١٩٩٧م.
- ٤ - مجلة المنهل، السنة التاسعة، الجزء الثاني، صفر ١٣٦٨هـ - ديسمبر ١٩٤٨م.
- ٥ - المنهل: السنة التاسعة، الجزء السابع، رجب ١٣٦٨هـ - مايو ١٩٤٩م.
- ٦ - المنهل: شهر رمضان وشهر شوال، ١٣٦٨هـ.
- ٧ - المنهل: السنة الثالثة عشرة، الجزء الرابع، ربيع الآخر ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.
- ٨ - المنهل، صفر ١٣٧٧هـ.
- ٩ - المنهل، المجلد الثامن عشر، السنة الثانية والعشرون، الجزء الثالث، ربيع الأول ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
- ١٠ - المنهل، س: ٢٣، ج ١٩، ربيع الأول ١٣٧٨هـ.
- ١١ - المنهل، السنة الرابعة والعشرون، جمادى الآخرة، ١٣٧٩هـ - ديسمبر ١٩٥٩م.
- ١٢ - المنهل، الجزء الأول، المجلد ٢٣، المحرم ١٣٨٢هـ - يونيو ١٩٦٢م.
- ١٣ - المنهل، المجلد ٢٣، الجزء الثالث، ربيع الأول ١٣٨٢هـ - أغسطس ١٩٦٢م.
- ١٤ - المنهل، عدد مايو ويوليو عام ١٩٦٩م.

صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي
بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بعد أن فرغت من قراءة مسودات كتاب الصديق العزيز والكتاب الأديب الدكتور عاصم حمدان وضعته جانباً ورحت أسبح في بحر لجى من الخواطر والأفكار والتأملات التي استحوذت على فكري وسيطرت على مشاعري وتسلمت إلى أعماق وجداني. وكان هذا ولا يزال هو شأني وحالتي كلما تيسر لي أن أقرأ شيئاً عن طيبة الطيبة، أو أحضر مناسبة تتعلق بها، أو أنصت إلى حديث يدور حولها. ولم يكن ذلك بغريب أو مستغرب، إنني من الملايين المأخوذين بمظاهر الجمال منذ أن خرج إلى هذه الحياة في إحدى دورها القريبة من مسجد ساكنها (عليه أفضل الصلاة والسلام)، ومنذ أن عانقت عيناه مآذن مسجدها النبوي وقبته الخضراء الزاهية، ومنذ أن تفيأ ظلال نخيلها وسدرها وكرمها، وتنسم عبير وردها وفلها وريحانها، وتذوق حلاوة رطبها وعنبها وتينها، وارتبطت طفولته وصباه بأزقتها الضيقة ومناختها الفسيحة وساحاتها التي يطمئن إلى مراعها حمام السلام وتهبط بها قوافل الحجيج والزائرين والقادمين إليها من كل حذب وصبوب.

وفي خضم تلك الخواطر رحت أتأمل كيف أحب المسلمون هذه المدينة كما لم تُحِب مدينة غيرها في أي مكان في العالم، وكيف احتاروا في مخاطبتها وتسميتها.. فهي الحبيبة، وهي المباركة، وهي المحروسة، وهي المرزوقة، وهي البارة، وهي سيدة البلدان، وهي العذراء، وهي طابة، وهي طيبة الطيبة. ومهما تعددت الأسماء وتنوّعت الصفات فلقد سكنت في سويداء قلوبهم، وقبعت في أعماق أفئدتهم.

كيف لا.. وكل اسم من أسمائها الكثيرة دلالة على شرف المسمى وعلى درجة التمييز، وكل صفة من صفاتها الجمّة رمز لعلو المكانة ورفعة القدر.

كيف لا.. وكل نسمة من هوائها نفحة عطر وطيب.. عطر يعمر النفوس فيحيل كدرها صفواً وعناءها راحة وسكينة، وطيب يملأ القلوب فيعمرها بالإيمان ويغمرها بالأمان.

كيف لا.. وهي مدينة صنع تاريخها خير خلق الله وصحابته الكرام؟ وكان لكل درب من دروبها، ولكل أطم من آطامها، ولكل واد من وديانها، ولكل منعطف من منعطفاتها، ولكل جبل من جبالها، ولكل أكمة من أكماتها، روايات وأحاديث وذكريات وعبر وفصول عظيمة تمرغت بترابها، وتلوّنت بأزاهيرها، وارتوت بسلسبيلها، وتعطّرت بورودها ورياحينها فجعلت من أرضها المباركة أثراً واحداً وتاريخاً واحداً هو المدينة فحسب.

ومن خلال تلك التأمّلات والسبّحات أخذت أتفكر وأتدبر كيف ازدهرت هذه المدينة الطيبة على مر العصور وتوالي السنين وعظم قدرها، وازدادت محبتها، وبرز من أبنائها وساكنيها الكثيرون ممن نقشوا أسماءهم

على صفحات تاريخها. منهم من انصرف إلى طلب العلم وتبحر في علوم التفسير والفقه والسيرة النبوية الشريفة، ومنهم من تعمق في دراسة تاريخها وتتبع آثارها بما وثَّقه من دراسات ومصنفات ومؤلفات، ومنهم من أثرى حياتها الأدبية بما صاغه من روائع الشعر وسطره من سحر البيان، ومنهم من أبدع في بناء معالمها ومساجدها ودورها من فنون العمارة والتخطيط. لقد أضنى أولئك القوم أنفسهم، وكدوا أعمارهم، وأدوا الواجب والرسالة كأحسن ما يكون الأداء، وقاموا بما عليهم على أتم ما يكون القيام، وقدموا لمدينتهم ولبلادهم وللغتهم ولأديبهم ولتاريخهم آثاراً خالدة وإبداعات راقية وإسهامات شتى في جميع الميادين والحقول.

في هذا السياق يأتي كتاب دكتور عاصم حمدان في بعض فصوله ليلسط الضوء على حياة نخبة من رجالات المدينة الذين خدموا بلادهم في شتى الميادين والحقول وتركوا بصماتهم واضحة في مجالات الأدب والتاريخ والشعر والفكر والثقافة والإعلام، وليقلب في فصول أخرى بعض الصفحات في التاريخ الأدبي لمدينة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

وعلى الرغم من أن فصول الكتاب ومباحثه هي عبارة عن تجميع لأشتات بحوث ودراسات ومقالات سبق أن نشرها الدكتور عاصم في ثنايا بعض الدوريات العلمية المحكمة وبعض المجلات والصحف المحلية، إلا أن الكتاب في مجمله يسد فراغاً ملحوظاً بتوثيقه لقضايا وموضوعات لم يعد الباحثون والدارسون المعاصرون في هذه المجالات - إلا نفر قليل منهم - يولونها جل عنايتهم أو يضعونها في قمة اهتماماتهم، والكتاب يعد بذلك إضافة مفيدة وتكملة لازمة وضرورية لما سبق أن صدر للمؤلف من كتب مماثلة.

ومع أنني أتابع دوماً وبكل اهتمام ما يسطره يراع أخينا الدكتور عاصم عن طيبة الطيبة، إلا أنني كنت دائماً ولم أزل أناشده - كما سبق أن أشرت إلى ذلك في تقديمي لكتابه الموسوم «حارة المناخة» . صورة أدبية للمدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري» - أن يُسَخَّرَ ما حباه الله به من قدرات علمية وأكاديمية، وما عرف عنه من جلد على البحث والتقصي وحرص على التنقيب والتوثيق، وما قيض الله له من اطلاع واسع ومتابعة دقيقة لجوانب كثيرة من تاريخ المدينة المنورة وما كتبه القدماء والمحدثون عنها وكل ما يتعلق بفضائلها ومواقعها وآثارها وتراجم علمائها ومؤرخيها وأدبائها. . أن يكرّس كل هذه الحصيلة في إخراج عمل متكامل عن جانب يختاره ويأنس إليه ويمتلك ناصيته ويستطيع أن يبدع ويخلق في أجوائه من تلك الجوانب المتعددة من تاريخ هذه المدينة العظيمة، خاصة وقد أوشكت الساحة أن تخلو في الوقت الحاضر من مثل هذه الأعمال في ظل انصراف ملحوظ وغياب مؤسف من قبل الكثيرين من الباحثين والدارسين المعاصرين، وبخاصة المتخصصون منهم عن الإقدام على مثل هذه الأعمال والانصراف إليها وسبر أغوارها وتقديمها في قوالب علمية حديثة وعبر أحدث التقنيات في وسائل النشر والتوزيع وذلك ليتسنى - كما يقول أخونا الشاعر عبد المحسن حليت مسلم «ربط أغصان اليوم بجذور الأمس لكي لا ينخر سوس النسيان جذوع الذاكرة». ويدفعني إلى هذه المناشدة بل المطالبة ثقفتي في أن أخينا الدكتور عاصم هو خير من يتصدى لمثل هذه المهمة بكل صعوباتها ومشاقها، فهو ابن المدينة مولداً ونشأة وابن بجدتها في الدراسات الأدبية والتاريخية بالإضافة إلى خلفياته الجامعية التي تتيح له إيفاء الجوانب العلمية والأكاديمية والتوثيقية ما تستحقه من عناية واهتمام، وفوق هذا وذاك حبه للمدينة الذي يتغلغل في أعماق وجدانه

ويلهج به لسانه ويفصح عنه قلمه وبيانه .

سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يهيئ له من أمره رشداً، وأن يمن عليه
بعونه وتوفيقه في كتبه وأبحاثه ومؤلفاته المرجوة .

إن الله سميع مجيب . .

نزار بن عبید مدني

ربيع الأول ١٤٢٢هـ - يونيو ٢٠٠١م

الفصل الأول

أضواءً على التاريخ والمؤرخين

للمدينة المنورة في العصر الحديث

لم تحظ مدينة من مدن العالم الإسلامي والعربيّ بمثل ما حظيت به المدينة المنورة من اهتمام المؤرّخين بفضائلها ومواقعها وآثارها وتراجم علمائها وأدبائها؛ وإن كان نور الدّين بن عليّ السّمهودي (٨٤٤هـ - ٩١١هـ) قد نال كتابه المعروف (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) شهرة واسعة؛ من حيث كونه موسوعة علميّة عن كلّ ما يتّصل بالمدينة.

تلك النزعة الموسوعيّة؛ التي تمتع بها كتاب السيد السّمهودي أدّت إلى اختصار الكتاب في مؤلف يقع في جزء واحد أطلق عليه اسم (خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى) وبين يديّ نسخة طبعها المرحوم الشيخ محمد سلطان التّمكانيّ في دمشق سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، إلا أن السّمهودي نوزع في الكتابة العلمية عن تأريخ المدينة؛ من أمثال عمر بن شبّة التّميري (١٧٣هـ - ٢٦٢هـ) في كتابه (أخبار المدينة النبوية) والحافظ محمد بن محمود المعروف بابن النّجار البغدادي (٥٧٨هـ - ٦٤١هـ) في كتاب (الدرة الثّمينة في أخبار المدينة) وجمال الدين محمد بن أحمد المطري (٦٧٦هـ - ٧٤١) في كتابه (التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة) وزين الدّين أبي بكر بن الحسين بن عمر المراغي (٧٢٧هـ - ٨١٦هـ) في كتابه (تحقيق النّصرة بتلخيص معالم دار الهجرة).

حظي حقل التّرجمة في تأريخ المدينة باهتمامات كبيرة؛ كما نجده عند المؤرّخ عبد الله بن محمد بن فرحون (٦٩١هـ - ٦٦٩هـ) في كتابه

المعروف باسم (نصيحة المشاور وتعزية المجاور) وكنت اطلعت - في مكتبة عارف حكمت - على نسخة من هذا الكتاب الذي يؤرخ لفترة كان الفاطميون يحكمون فيها البلاد الإسلامية؛ مما انعكست آثاره على التدريس في المسجد النبوي الشريف؛ حيث انحسر تدريس المذاهب الأربعة في نطاق ضيق. وقد أطلعني الزميل الكريم الأستاذ حسين عليّ شكري على نسخة قام - وفقه الله - بتحقيقها تحقيقاً علمياً جيداً؛ وبالتالي سدّ خروج هذا الكتاب ثغرة في التأريخ للبلدة الطاهرة.

أما كتاب (التحفة اللطيفة في تأريخ المدينة الشريفة) للمؤرخ المعروف محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١ هـ - ٩٠٢ هـ) فقد نشره السيّد أسعد طرابزونى - رحمه الله - بأجزائه الثلاثة؛ وبين يديّ طبعة صدرت من هذا الكتاب القيم، في سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

أما العناية بتأريخها الأدبي فنجد له نموذجاً عند الشيخ عمر بن عبد السلام الداغستاني المتوفى بعد سنة (١٢٠١هـ - ١٧٧٦م) الذي ألف كتابه (تحفة الدهر ونفحة الزهر في شعراء المدينة من أهل العصر) وهو كتاب هام يبرز مدى اهتمام مثقفي المدينة في فترة القرن الثاني عشر بفنون الشعر والنثر المختلفة، ولكنه لم ينشر؛ توجد منه نسخ في مكتبات طوبقوبو سراي في استنبول، ومكتبة المدينة المنورة العامة، ومكتبة كمبردج البريطانية. أما أفضل نسخة وأوفاهها فهي نسخة مكتبة السادة آل الصافي؛ التي كانت ملحقة بمكتبة المدينة المنورة، والتي كان وقعها في الناحية الجنوبية من المسجد النبوي الشريف.

كما أنّ التأريخ لجوانب الحياة الاجتماعية فيها لم يخل هو الآخر من اهتمام خاص، كما يبرزه لنا السيد جعفر بن هاشم الحسيني؛ من أدباء

المدينة في القرن الثالث عشر الهجري، في كتابه المخطوط (الأخبار الغربية فيما وقع بطيبة الحبيبة). وقد قمت بتحقيق هذا الكتاب اعتماداً على نسخة مكتبة آل الأنصاري؛ التي زودني بها الشيخ نذير محروس - أمد الله في عمره - ونسخة مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي - رحمه الله - الملحقة بمكتبة مكة المكرمة - حرسها الله. وكان تحقيق الكتاب المذكور جزءاً من متطلبات عملي لدرجة (الدكتوراه) في جامعة (مانشستر) بالمملكة المتحدة، والتي كان موضوعها (أدب المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري؛ الثامن عشر الميلادي؛ اعتماداً على المصادر المعاصرة) وهي موجودة بمكتبة «جون ريلاندز» John Rylands تحت عنوان: The Literature of Medina in the Twelfth century A . H (Eighteenth Century A . D) Examined. From Contemporary Sources (Manchester, 1986).

ولكنني أحجمت عن نشر كتاب (الأخبار الغربية) لأن ما يحتويه من معلومات وأشعار (ملاحم شعرية) تمثل حقبة ماضية كان التنافر فيها واضحاً بين سكان المدينة وما حولها. ولقد أصبحنا - والله الحمد - في عهد تسوده المحبة، وتنتشر فيه الألفة، وتوحدت فيه الأمة؛ فما الذي نفيده من شعر يوجب المشاعر السلبية ولايُخدمُ كيان الأمة الواحدة، وإن عتبي كبير على بعض الذين نقلوا - ولعلّ ذلك كان بحسن نية - نقولاً لا تسمن ولا تغني من جوع من هذا الكتاب؛ ولعلّ لهذا البعض أن ينتبه لمغبة مثل هذا العمل، فلا يعود لمثل ذلك، حفاظاً على مشاعر الناس، وبعداً عن مواطن زلل القول، أعاذنا الله من ذلك كله.

وفي العصر الحديث قام الشيخان هاشم دفتردار وجعفر فقيه بإصدار كتاب عن (توسعة المسجد النبوي الشريف) في بيروت سنة ١٣٧٣هـ كما

أصدر الأستاذ عبد القدوس الأنصاري كتابه (آثار المدينة المنورة) وأصدر الشريف إبراهيم العياشي كتابه القيم الجامع (المدينة المنورة بين الماضي والحاضر) سنة ١٣٩٢هـ، والسيد علي حافظ (فصول من تأريخ المدينة المنورة) سنة ١٣٨٨هـ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية. وأصدر السيد أحمد ياسين خيارى كتابه (تأريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً) سنة ١٤١٠هـ، والأستاذ عبد السلام هاشم حافظ كتابه (المدينة المنورة في التأريخ)، ومحمد السيد الوكيل (المسجد النبوي الشريف عبر التأريخ).

وتتابع المؤرخون في كتابة جوانب مختلفة من تأريخ المدينة المنورة السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي، كعبد الباسط بدر والدكتور عبد الله عسيان، والدكتور عبد العزيز قاري، والأستاذ حمد الجاسر، والدكتور محمد العيد الخطراوي، والأستاذ محمد صالح البليهشي، والأستاذ محمد حميدة، والسيد جعفر سببه، والأستاذ عبد الله فرج الزامل، والشريف أحمد البرادعي، والدكتور صالح الرفاعي، والأستاذ أحمد مرشد، والأستاذ أنس كتيبي، والأستاذ خَلْفَ عاشور، والدكتور عمر الفاروق السيد رجب، والدكتور المحدّث خليل ملاّ خاطر، كما قام الابن الدكتور عبد الرزّاق فرّاج الحربي برصد (بيبلوجرافي) عمّا كتب عن المدينة؛ وذلك على صفحات (ملحق التراث) في جريدة المدينة.

وبقي كتابان مهمّان لم يطبعا حتى الآن: أحدهما تأريخ موثّق عن مؤرّخي المدينة للسيد عبيد مدني، والآخر عن أعلام المدينة للمرحوم محمّد سعيد دفتردار - رحمهما الله.

كما أدركت الشيخ خضر فارسي - رحمه الله - وكان واحداً من

المعمّرين في البلد الطاهر، وسمعته في حيّ المناخة يشير إلى أنه كتب بخط يده كل ما يتصل بتاريخ المدينة في العصر الحديث. ويعرف أستاذنا الفاضل محمد حميدة عن هذا الكتاب، وكنا نتساءل: أين ذهب هذا الكتاب الهام؟

وأخبرتني - أخيراً - أديبة فاضلة من آل العطّاس، أن المرحوم السيد حمزة خليفتي؛ الذي توفي عن عمر يناهز التسعين عاماً سجّل في مُدوّنَة خاصة به كثيراً عن مواقع المدينة؛ التي أصبحت أثراً بعد عين - في الوقت الحاضر - وعن بعض الوقائع الاجتماعية الهامة. وقد أخبرني السيد إياد مدني أن لوالده السيد أمين مدني كتاباً مخطوطاً عن النواحي الاجتماعية في المدينة.

ولن يَمّر الباحث في تأريخ المدينة دون أن يشير إلى كتاب الأستاذ المؤرخ محمد حسين زيدان - رحمه الله - الذي أسماه (ذكريات العهود الثلاثة) ط ٢ - ١٤١١هـ، وللكتاب قيمة كبرى في تدوين الأحداث. التي شهدتها المدينة في هذه العهود. وكنت قد اختلفت مع الزيدان في حياته حول بعض ما أورده في كتابه، ولكن انتقال ذلك الرجل الذي ظل يحتفظ بذاكرته القوية إلى أخريات حياته - إلى رحمة الله يحول بيني وبين ذكر ما اختلفت معه حول ما كتبه.

ولكن ثمة مسألة مهمة حدّثته عنها، فطلب مني أن أكتب عنها في صحيفة المدينة، ولم يعترض على رأيي فيها، هذه المسألة تتعلق بالفترة التي عاش فيها الشيخ المحدث إبراهيم بن حسين بن شهاب الدين الكردي الكوراني - رحمه الله - الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري (١٠٢٥ - ١١٠٣هـ) فلقد ذكر المرحوم الزيدان أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -

رحمه الله - تلقى العلم عنه، أي عن الكوراني. ولكن مما ينقض هذا القول أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عاش في القرن الثاني عشر الهجري؛ ومعروف أن شيوخه في البلدة الطاهرة هم: محمد حياة السندي، وعبد الله بن سيف، وسليمان الكردي، (انظر: محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره، د. عبد الله الصالح العثيمين، دار العلوم، الرياض ص ٣٠ - ٣٣)، وانظر كذلك المقالة الهامة التي كتبها (جون فول) في مجلة معهد الدراسات الشرقية الإفريقية في لندن، والتي صدرت تحت عنوان: Muhammad, Haya, al-Sindi and Muhammad Ibn, Abdal Wahhab, an Analysis, of an Intellectual Group, in Eighteenth Century Madina Bulletin of the School, of Oriental and African Studies 1975. pp. 32 39.

ومن أهم من كتب عن المدينة من المستشرقين السير ريتشارد بورتون (١٨١٢ - ١٨٩٠) Sir, Richard, f. Burton ومع أن (بورتون) متخصص في علم الآثار، والتعدين، والطب، والهندسة، والعقائد، والحيوانات، ووصف رحلاته بكثافة، ووضع عن إفريقيا ١٣ كتاباً، إلا أن الشرق العربي بقي - بحسب كلامه - موضع حبه (الحياة، أوروبيون في الشرق، ٣ ذو القعدة، ١٤١٢هـ). ولقد قام (بورتون) في أخريات حياته، بالتعاون مع الدكتور ستين هوسر Hauser-Stein على ترجمة (ألف ليلة وليلة) شعراً إلى اللغة الإنجليزية، وقد اطلعت على نسخة منها في مكتبة جامعة أدنبرة بالمملكة المتحدة (انظر: Arabian, Nights, in English Literature, ed Gy, Peter, Icar ACCI OLO Hong, 1988. 1 وكتابه الذي وضعه عن مكة والمدينة؛ والذي لا يخلو من بعض الأخطاء؛ كبقية كتب المستشرقين والرحالة الغربيين هو: Pilgrimage, to Makkah, and el, Medinah, 3 Vols, 1855.

وقد قام بترجمته الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ و صدر في ثلاثة أجزاء عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م .

وتبقى ترجمة ما تضمنه معجم مخطوط «أمين بن حسين الحلواني» الذي وضعه المستشرق السويدي الدكتور كارل لاندبرج Carl Landberg باللغة الفرنسية؛ يبقى هذا المعجم؛ الذي يتضمن وصفاً دقيقاً لحوالي ٦٠٠ مخطوطة اشترتها مؤسسة «بريل» في هولندا من الحلواني نفسه - يبقى عملاً هاماً؛ فهو يضم مخطوطات عن تأريخ الجزيرة العربية بعامة، والمدينة بخاصة؛ وقد حصلت على مخطوطتين من دار «بريل» إحداهما تصفُ الثَّار، التي ظهرت في المدينة المنورة في القرن السابع الهجري، والأخرى تتضمن مطوية شعرية نادرة للشيخ عبد الجليل برّادة (١٣٢٧هـ). ولم يبق من هذا المعجم، الذي ارتبط باسم الشيخ الحلواني سوى نسخ محدودة؛ منها نسخة مكتبة جون ريلاندز بالمملكة المتحدة والتي أحتفظ بمصوِّرة منها، وهي بعنوان: Catalogue, of Manuscripts, Arabes a El-Medina, Par, Carlo, Landberg, leiden - E.J. Brill. 1883.

ولقد يسر الله للعبد الفقير؛ الذي يرجو من مولاه أن يكتب له في بلد الحبيب - ﷺ - داراً وقراراً؛ يسرّ له أن يترجم - وهو في مطلع شبابه - هذا المعجم إلى اللغة الإنجليزية، وبقي العمل حبيس مكتبتي تصرفني الصّوارف عن ترجمته للعربية .

أما التّاريخ للمسجد النبوي الشريف وعمارته فقد وضع الشيخ جعفر ابن إسماعيل البرزنجي ١٢٥٠ - ١٣١٧هـ كتاباً في عمارة السلطان عبد المجيد خان العثماني وسّمّاه (نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين) وبين يديّ طبعتان منه إحداهما الطبعة الأولى - كما هو مثبت

تحت اسم الكتاب - وتمت في سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م بمطبعة الجمالية بمصر، وقد أهداني المرحوم الشيخ جعفر بن إبراهيم فقيه هذه النسخة، وأعتزّ بها كثيراً؛ لما كان يربطني بالشيخ الفقيه من علاقة روحية متينة.

كما أودّ أن أشير هنا إلى الشيخ جعفر؛ الذي كان واحداً من بقية الناس في البلد الطاهر - قد زوّدي بمصورة من مخطوطة المؤرّخ المدني الخليفتي (١١٣١ - ١١٨٢هـ) التي تحمل عنوان (نتيجة الفكر في خبر مدينة سيد البشر). وقد تحدثت عن هذه المخطوطة في كتابي المتواضع الذي قام نادي المدينة الأدبي مشكوراً بطباعته سنة ١٤١٢هـ، وهو (المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ).

أعود لكتاب السيد البرزنجي عن العمارة المجيدية؛ الذي تحدثت عن الطبعة الأولى منه - كما أعلم - والله وحده العليم. فلقد ظهرت لهذا الكتاب طبعة محققة للكاتب الأديب الأستاذ أحمد سعيد بن سلم (دار الكتب والوثائق المصرية سنة ١٩٩٥م) ويأتي تحقيقه لهذا الكتاب الهام بعد إصداره لموسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين. (من إصدارات نادي المدينة الأدبي، ط١، ١٣١٢هـ).

ونأتي الآن إلى الأستاذ ناجي محمد حسن عبد القادر الأنصاري؛ وكتابه (عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ) فأقول بحق: الأستاذ ناجي - أولاً - أنه لم تأخذني دهشة عندما أصدر قصته الأدبية الرائعة (الأخطبوط) التي استقى مادتها من الواقع؛ وصاغها بأسلوب أدبي رائع؛ وحاول - بأسلوب غير مباشر - أن ينبه من خلالها لمخاطر داء العصر (المخدرات) وما يترتب عليها، أي المخدرات، من نتائج سلبية على شباب الأمة ومستقبله وطموحاته الواعدة؛ ومساهمته الفعالة في بناء

الوطن، والارتقاء به إلى مدارج الكمال حضارياً وثقافياً وفكرياً. نعم لم أدهش لذلك؛ ففي داخل شخصية الأستاذ ناجي؛ التي تكوّنت ثقافتها بين المدينة المنورة ومكة المكرمة (حيث دَرَس في كلية التربية، في أوائل الثمانينات الهجرية) في داخل هذه الشخصية وهج أدبي، وروح مُبدعة، ونفسٌ صادقة مع نفسها ومجتمعها.

وقد عرفت جيلاً من أبناء المدينة المتنوّرين؛ من أمثال الأساتذة الكرام: عبيد كردي - رحمه الله - حسين الخطيب، محمود خيمي، عبد الله خطيري، عيد بن سالم الرّدّادي، محمد الرويثي، حمزة سيسي، محمد المطهّر، خليل مسعودي، أمين عثمان فلاّته، محمد رابح، محمود بكر، صالح حبيب، وغيرهم - وكان بعضهم ممّن أدين له بالأستاذية؛ وكان هذا البعض رفيقاً بي، والآخر كان شديداً، ولكنها شدة تنبع من حبّ الأساتذة لأبنائهم، ورعايتهم لهم هؤلاء عرفتهم وجالستهم وأفدت منهم.

ولكن معرفتي بأبي محمد حسن كانت أكثر ولاحظت تقارباً بين أرواحنا، وتألّفاً تشدّ أزره صداقة وحب في الله ورسوله ﷺ؛ أجلس إليه فأسأله عمّا لا أعرف عن تأريخ البلدة الطاهرة؛ فأرى الابتسامة ترتسم على محيّاها، وألمس فيضاً من الحنان يتدفّق من نفس ألوفة، وقلب طاهر، وأتحسّس روح الدّعابة في بعض ما يقول؛ فأحدّث نفسي قائلاً: هذا الأديب والأستاذ لم تفارقه روح ابن حارة «العنبريّة» المتمثلة في النخوة والشهامة والمروءة.

وجلست إليه ذات يوم وبرفقتي الزميل الدكتور يوسف بن أحمد حوالة؛ وكان حاضراً معنا الأخ الكريم حسن حسّوبة قلت له: هل تعلم؛ لقد مات اليوم العمّ «بكر خيمي» وأردفت أقول: مات اليوم آخر رجل من

رجال «الجلّة» وتعجّب لأنه لم يعلم الخبر؛ فصدّاقته بآل الخيمي صداقة متينة .

وقلت له: إنّ البعض يظن أنني أروي في هذا الباب عن والدي - رحمه الله - فما حفظته عن والدي من تأريخ المدينة طلب مني ألا أذيعه بين الناس، وما زلت على العهد قائماً؛ وإن ضمّت البقعة الطاهرة والربوة الشريفة جسده، وغيّيت عن عيني مرآه الصّبح .

ولكنني في المناخة عرفت الرّجال عن قرب، وأنا صغير، أنقل خطواتي في حارات المدينة ودروبها، وأستنشق عبير تربتها التي مشى يوماً فوقها سيّد ولد عدنان - عليه صلاة الله وسلامه - وصحابته وآل بيته - رضوان الله عليهم - وعرفت الرّجال في السّاحة والحارة، وباب المجيدي، وحوش عميرة، وحوش منصور، وزقاق سيّد أحمد، وحوش أبو جنب .

يا صديقي، حدّثني عن ليل الأشجان، وإنشاد الأحباب في التّأجوري، وزقاق الطّوال، والمصرع، وحدّثني عن قوم يسكن الإيمان قلوبهم، وتروي ألسنتهم الحديث، وترتوي الأرض من دمّوعهم . عندما يتحدّثون لا يعرفون الكذب، ولا تطيق نفوسهم الخداع والمداهنة، وتلّون الوجوه .

أخرج بعد ذلك الأستاذ ناجي حسن سفره الهامّ عن الحركة التعليمية في المدينة؛ وكان عملاً يقتضي توافر مراجع عدّة من وثائق ومخطوطات وكتب ودوريات؛ فهو قد درس الحركة التعليمية في المدينة من العام الهجري الأول إلى ١٤١٢هـ . ومعلوم أن المدينة شهدت انطلاق الدعوة الإسلامية بعد هجرة المصطفى - ﷺ - وانبثقت منها - من مسجدها الطاهر، وأرضها المباركة - معالم الحضارة الإسلامية؛ التي أخرجت لنا الفقهاء: أبا حنيفة، ومالكاً، والشافعيّ، وأحمد بن حنبل، وسعيد بن

المسيب، والحسن البصري، وجابر بن حيان، والرازي، والفارابي والكندي، وابن رشد، وابن تيمية وأبا حامد الغزالي، والسيوطي، وشاه ولي الله الدهلوي، وحمدان بن الويس، وفالح الظاهري، وحسين أحمد، وألفا هاشم، ومحمد العُمري، وعبد القادر شلبي، ومحمد الأمين الجكني المفسر، ومحمد المختار الجكني المحدث، وحسن الشاعر، وصالح الزغبيني، وعبد العزيز بن صالح، ومحمد علي التُّركي، وعبد الله سلامة الجهني، وغيرهم؛ وقد قدّم لهذه الدراسة الضّافية والموضوعية؛ والتي جاءت في حوالى ٨٠٠ صفحة، أستاذنا الفاضل الدكتور محمد أحمد الرويثي؛ الأستاذ المشارك بجامعة الملك عبد العزيز؛ وفيها يصف الأستاذ الرويثي هذه الدراسة بأنها «دراسة تحليلية تربوية، تأريخية» لم تقتصر فقط على تحليل النصوص والبيانات الإحصائية المتوافرة عن التعليم في المدينة؛ من أجل التتبّع والتعرف على نمو وتطور التعليم فيها خلال العصور المختلفة».

وإذا كان الأستاذ الرويثي، وهو من جيل المؤلف علماً وفهماً ومشاركة في تربية الأجيال بالبلد الطاهر، قد قدّم للدراسة التي تناولت موضوع التعليم في المدينة؛ فلقد قام فضيلة الشيخ الفقيه المالكي عطية محمد سالم - رحمه الله - بكتابة مقدمة كتاب الأستاذ ناجي الأخير الموسوم بـ (عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ) وفيها يقول الشيخ عطية معترفاً بتميز هذا العمل التاريخي، والذي بدأه مؤلفه بالحديث عن خصائص موقع وموضع المدينة المنورة، وتتبع مراحل بناء المسجد النبوي الشريف من عهد النبوة، حتى عصرنا الحاضر، الذي شهد فيه المسجد أكبر توسعة على مرّ التاريخ.

يقول الشيخ الكريم في صدق، وموضوعية: «وقد جعلني هذا العمل المتميز أتوقف عن كتابتي في موسوعي عن متابعة العمارة الحديثة؛ يقيناً مني أنني لن أصل إلى ما وصل إليه؛ ولو بذلت فيه الوسع؛ وعليه فأقول: إن ما جمعه المؤلف - في كتابه هذا - لهو فعلاً أدق وأوثق ما عُملَ حتى الآن؛ وإنه لكفيلٌ بإشباع رغبة كل دارس وباحث في موضوع عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ».

هنيئاً لمن سطر سطرأً في تأريخ المدينة، وهنيئاً لمن أحبّها، وأحب ساكنها سيّد الكونين - ﷺ - وهنيئاً لمن تأدب فيها ومع جيرانها، وهنيئاً للصدّيق ناجي حسن بهذه الجهود العلميّة المتتابعة.

الفصل الثاني

الأدب في المدينة المنورة في
القرن الثاني عشر الهجري
(الثامن عشر الميلادي)

المبحث الأول

الأدب في المدينة : أعلامه ، موضوعاته الرئيسة ، ظواهره الفنية

توطئة

لا يمكننا تقويم الحركة الفكرية والأدبية في الحجاز في القرن الثاني عشر الهجري بعيداً عن البيئة الثقافية السائدة في معظم أنحاء العالم العربي والإسلامي أو الجزيرة العربية على نطاق اقرب وذلك لعاملين أساسيين:

أحدهما: أن الحجاز كان يعتبرُ بالنسبة للخلافة العثمانية مركزَ الثقل الذي استمدت منه سلطتها الروحية على تلك البقاع المترامية والتي يوحد الدينُ بين منازعها واتجاهاتها حتى في تلك الظروف غير المناسبة التي انسأقت إليها الخلافة بسبب تصرفات بعض سلاطين آل عثمان أو حكام الولايات الذين كانوا يحكمون البلاد بعقول ضيقة وشهوات واسعة: ترف في المظهر وسخف في المخبر، لا يقيدهم قانون ولا يردعهم عدل ولا يرون للشعوب حقاً إلا أن تؤمر فتطيع وتنتهب فتصبر، بل لا يكفيهم الصبر على المصيبة، وإنما يتطلبون المدح والثناء عليهم في ظلمهم

وطريقة حكمهم، فمن امتعض من ذلك فهو نائر ومن شكا فهو كافر^(١).

وثاني هذين العاملين هو أن الرحلة لطلب العلم لم تنقطع عن المدينة المنورة ومكة المكرمة فيما يتصل بعلوم الدين واللغة العربية فنشأ من ذلك التقاء فكري لا تخلو أي جهة من الأخذ والعطاء بين علماء الحجاز وأدبائه وبين علماء وأدباء الأقطار العربية والإسلامية الأخرى.

لقد نظر مؤرخو الأدب لتلك الفترة نظرة فيها كثير من التعميم الذي يحتاج إلى بيان وتوضيح وتفصيل وخصوصاً فيما يتصل بالبيئة الثقافية للحجاز في تلك الفترة التي ظلت حتى الآن مجهولة المصادر لدى كثير من الباحثين الذين انصبّت اهتماماتهم على ما توفر لديهم من مصادر مطبوعة لا تكفي لتكون مقياساً عاماً يمكن من خلاله دراسة جوانب الفكر والأدب المختلفة التي تتباين مكوناتها ومؤثراتها من بيئة إلى أخرى.

وممن اتسمت دراساتهم عن هذه الفترة بالأحكام الصارمة التي لم تأخذ بعين الاعتبار أنه في أي عصر يمكن أن يوجد الإنسان ذو الموهبة على التجديد والتخلص من التقاليد الشعرية البالية. من هؤلاء الباحثين الذين اتسمت أحكامهم النقدية بالتعميم الدكتور شوقي ضيف، ففي فصل خاص عقده عن العصر العثماني والعقم والجمود، في كتابه عن الفن ومذاهبه يقول:

«وكأنما جفّت في هذا العصر كل ينباع الممكنة التي كانت تمد الشعر بأسباب الحياة فشاعت فيه الألفاظ العامية والتركية ويحس الإنسان كأنما أصيبت الأداة الفنية التي رأيناها في العصور السابقة بعطل شديد.

(١) أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، «دار الكتاب العربي - بيروت» ص ٢٧.

فقد عمّ الظلام وعمّت الكآبة ولم يعد هناك إلا جو خانق يشمل كل شيء»^(١).

وتبع شوقي ضيف كثير من الباحثين الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث الذاتي فجاءت أقوالهم صدى لتلك الأحكام المطلقة التي يرفضها ميزان النقد العلمي الذي بدأ يأخذ دوره تدريجياً فيما يصدر من دراساتٍ عن هذه الفترة.

فمن الذين جاءت دراساتهم صورة ممسوخة لآراء شوقي ضيف النقدية الدّراسة التي حاول الأستاذ عمر كحالة أن يرصد فيها الحركة الشعرية في العصر العثماني في سطور قليلة لا تفي لبحث فترة تمتد بين ٩٢٣هـ - ١٢٢٠هـ. وعندما أقول (سطور) فإنني أعني سبعة سطور فقط خلت من الشواهد والإثباتات التي يسند إليها الباحث ما يذهب إليه من رأي أو يدّعيه من قضية، يقول في السطور الأولى من هذه الدراسة: «أما الشعر في العصر العثماني فقد وقف عند أغراض التسلية كالألغاز أو تحقيق مثال لنوع بديعي ووصف الأمور الهينة الحقيمة كالمروحة والسُّبحة والسجادة وغير ذلك»^(٢).

إلا أن هناك دراسات أخرى شدّت عن التعميم الذي أجحف من خلال أحكامه المطلقة بالبيئة الثقافية للجزيرة العربية في العصر العثماني وفي مقدمة الدارسين المنصفين لفكر وأدب هذه البيئة الدكتور طه حسين الذي

(١) شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر أم في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م، ط٧، ص ١٠.

(٢) عمر كحالة: الأدب العربي في الجاهلية والإسلام، دمشق، ١٩٣٢هـ - ١٩٧٢م، ط١، ص ١٢٧.

اطلع على بعض نماذج من قصائد شعراء منطقة نجد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري تلك الفترة التي اتسمت بالنقاشات العلمية والفكرية نتيجةً لُبُروز حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية.

يقول الدكتور طه حسين معبراً عن رأيه في ذلك الإنتاج الشعري: «وفي أثناء هذه الحركة العنيفة ظهر حول الأمراء المُجاهدين من أهل نجد جماعة من الشعراء أخذوا يفتخرون بانتصارهم في المواقع وَيَعْتَدِرُونَ عما يصيبهم من الهزائم، وليس من الممكن أن يُقال إنهم جددوا في الشعر وأحدثوا فيه ما لم يكن ولكنهم على كل حل عادوا به إلى الأسلوب القديم وأسمعونا في القرن الثاني عشر والثالث عشر في لغة عربية فصيحة هذه النغمة العربية الحلوة التي لم تكن تُسمع من قبل.. هذه النغمة التي لا يقلد صاحبها فيها أهل الحضرة، ولا يتكلف فيها البديع، وإنما يبعثها حرة ويحملها كل ما تجيش به نفسه من عِزَّةٍ وطُمُوحٍ إلى المثل الأعلى ورغبة قوية في إحياء المجد القديم»^(١).

ويستدرك الأستاذ عبد الله بن إدريس على رأي الدكتور طه حسين بما يضيف جديداً للموضوع الذي نحن بصدده فيقول: «ولعلّ الدكتور طه حسين قد فاته أن يذكر أهم العوامل التي واكبت بعث الشعر من جديد آنذاك في ربوع نجد، تلكم هي التفاعلات الشعبية والنوازع النفسانية التي اضطرم أوارها بَعْدَ ظُهور دعوة الشيخ المجدد فيما بين فئات شايعت الدعوة الإصلاحية هذه وناصرتها بالسيف واليد واللسان، وبين فئات عارضتها وناصرتها العداً ولكن باللسان واليراع فقط»^(٢).

(١) طه حسين: ألوان: دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٤٦.

(٢) عبد الله بن إدريس: شعراء نجد المعاصرون، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة: ١، ١٩٦٠م، ص ٢٣.

وإذا وجَّهنا اهتمامنا لبَعْضِ مَنَاطِقِ الجزيرة العربية كالسَّاحل الشرقي منها فإننا نجد بعض الباحثين يجزم بوجود ذلك الإبداع القوي الذي لا تنطبق عليه قاعدة المألوف من الشعر في تلك الفترة، فهو شعر تتوافر فيه العاطفة المتوهجة والعبارة التي تتعد في صياغتها عن التكلف في قصائد بعض شعراء تلك المنطقة.. يقول الدكتور عبد الله الحامد في بحث عن الشعر في وسط الجزيرة في القرن الحادي عشر الهجري: «ولم يكن الحكم على هذا العصر وشعره بالرداءة حكماً صارماً ففي أي عصر يمكن أن يوجد الإنسان والموهبة والقدرة على التجديد والتخلص من الرسوم البالية، وقد يوجد في هذا العصر بعض الشعراء الذين نظموا بعض شعرهم قوياً متوهجاً يفيض بالأصالة والجودة، ولعلَّ شعراء هَجْرٍ لِحَطِّ السَّاحل الشَّرْقِيِّ أقوى شِعْراً وأقوى عبارةً وأقل احتفالاً بالصِّياغة»^(١).

(١) د. عبد الله الحامد: الشعر في وسط الجزيرة العربية، مجلة العرب، ج - ٥ - ٦، السنة (١٤) ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩هـ - أكتوبر - نوفمبر - ١٩٧٩م، ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

الحالة الفكرية في المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري

كما أسهمت المدينة المنورة بنصيب وافر في ازدهار الشعر في عصوره الذهبية فهي لم تسلم كذلك من هذا التراجع الذي حاق بالبلاد العربية، ولكننا نرى خلال القرن الثاني عشر الهجري ومن بين ركامات تلك الظلمة القاتمة شعاعاً يومض بين شعرائها أو نخبة منهم ليرشدنا إلى بروز ظاهرة تجتذب الأنظار وتستحق الدراسة. فقد جنح هؤلاء الشعراء إلى تسجيل كبريات الأحداث التي كانت تقع في المدينة المنورة في قصائد مطوّلة يلتزمون فيها بحراً واحداً وقافية واحدة، وتتسم بالإيضاح والشمول حتى إنك تستطيع بكل سهولة ويسر أن تلم بكل حادثة منها بعد قراءة القصيدة الموضوعية فيها كأنك تقرأ قصتها نثراً فتعلم دوافعها ومثيريها وتطوراتها وعواقبها وتاريخ وقوعها بالسنة والشهر ومدة مكثها. فهي إذاً ملاحم بذاتها ولكل حادثة قصيدة مستقلة أو قصائد إذ تعدد الشعراء في وصفها. ويتخلل سرد الوقائع أبيات تتناول موضوعات شتى ذات صلة وشيجة بنطاق الغرض المعني بالالتفات إلى صفحات الماضي القريب أو البعيد مما فيه عظة ونصيحة المسؤولين والتحذير من مغبة إطراد الفتن للإمعان في إضفاء الروعة عليها ولينفذ تأثيرها إلى النفوس^(١).

(١) عبید مدني: شعراء المدينة والشعر الملحمي، بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، أوفست المدينة للطباعة، جدة، ج ٢، ص ٧٢٣ - ٧٢٤.

أعلام المطولات الشعرية في القرن الثاني عشر :

١ - السيد جعفر بن محمد البيتي^(١) :

لقد تخلص شعراء هذه المطولات من المقدمات الغزلية التقلّيدية التي ترّتمي في أحضان ذكريات الأدب القديم أو ترديد أسمائها وأعلامها. فهذا السيد جعفر البيتي أحد أعلام هذا الفن في تلك الفترة يفتتح إحدى ملاحمه قائلاً :

المجد تحت ظلال سمر الذبل وظبا القواضب والجياد القفل
الموريات العاديات ضوابحا الصافنات الزافرات الجفل
والخوض في غمرات يوم التصادم في القتام المسبل
وتواتر العزمات في طلب العلا والفوز في أقصى فيافي الهوجل
والفخر ما ترك الأعداي خشعاً رفل المحازم كالجياد العزل
بين القنا وورود أحواض الردى لقوا العلاقم في تراقي الحوصل
لا عاش من ترضى المذلة نفسه طوعاً وعن شأو المفاجر يأتلي
تعست حياة لا تثاب بعزة غبراء بين مهابة وتذل
العز أجمل ما اقتناه أولو النهى والذل بالأحرار ليس بمجمل^(٢)

(١) السيد جعفر البيتي العلوي السّفاف، ١١٠٠هـ - ١١٨٢م، من أشهر شعراء الجزيرة العربية في فترة القرن الثاني عشر الهجري، ولا يزال ديوانه الشعري مخطوطاً، وتوجد منه نسخ في مكتبة عارف حكمت بالمدينة، ومكتبة المدينة العامة، وطوبقبو سراي باستنبول، وبمكتبة المرحوم السيد عبّيد عبد الله مدني، وبمكتبة المتحف العراقي ببغداد. «انظر ترجمته في (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيّين من أنساب) لعبد الرحمن الأنصاري، تحقيق محمد العروسي المطوي، تونس، ١٩٣٠هـ - ١٩٧٠م، ص ٧١. وفي (هدية العارفي) لإسماعيل البغدادي، استانبول، ١٩٥١م، ج ١، ص ٢٥٦، وفي (الشعر الحديث في الحجاز لعبد الرحيم أبو بكر، القاهرة ١٣٩٧هـ، ص ٧٤.

(٢) ديوان السيد جعفر البيتي، مخطوطة المكتبة العامة بالمدينة، ورقة ١٣١ - ١٣٢.

إن من يقرأ هذا الاستهلال الشعري دون أن يعلم مسبقاً عن الفترة الزمنية التي ينتمي إليها هذا الشعر ليكاد يجزم بأنه شعر يتوافر له من عناصر القوة المتمثلة في صدق الشعور وجزالة العبرة والبعد عن الزخارف اللفظية ما يسلكه ضمن المراحل القوية للشعر العربي. إنه ذلك الشعر الذي لا تكاد تصافح عينك مقاطعه حتى ترسم في مخيلتك ما يريد صاحبه من التعبير عنه. فهذه الروح الشعرية التي تسري في كلماته يعطيه سمة (الحركة) التي تُعتبر العامل الأساسي في خلود الكلمة في عالم الشعر. للتدليل على ما ذكرناه من توافر هذا العنصر الهام في شعر السيد البيتي مع البيئة المحلية وما يتم على ساحتها من أحداث نورد جملة أبيات أخرى من الملحمة نفسها:

فهنالك صَبَّتْ للمنون صواعق
يَوْمًا أَشَدُّ من الحديد قساوةً
تركوا النواصي شُسْبًا فكأنها
نَقَبُوا عليهم كُلَّ دارِ عَنوَةٍ
وتداركُوهم بالردى فَتَفَجَّرَتْ
فَتَصَاعَرَتْ زواحهم ممَّا جَرَى
وتحققوا الموت الزوَامِ وسلّموا
ولأميرِ طَوْعًا خَضَعًا بتدليل^(١)

وتسَعَّرَتْ للموت نارُ القَسْطِ
وأمرٌ طَعْمًا من مذاقِ الحَنْظَلِ
وقعاتُ جَسَاسٍ بقومٍ مُهلَهْلِ
واستخرجُوهم مَنزلاً من منزلِ
أحشاؤهم مثل انفجارِ الدُمَلِ
وَجَرَتْ دماؤهم كَجَرِي الجَدُولِ
ولأميرِ طَوْعًا خَضَعًا بتدليل^(١)

ومنها:

لو تسأل القبر الشريف عداًتما
لأجاب أن محمداً في طيئه
رجفوه بالفعلِ الفظيعِ المُشكِـلِ
مُتَوَجِّعٍ مِنْ فِعْلِهِمْ بِتَمَلُّـلِ

حاشا لمختلف الملائك أن يرى
اللّه أكبر إنّها لمصيبةٌ
تألّه ما جعل المساجد معكفاً
أفّ لقلب مؤمن لا يمتلي
مأوى البُغاة وكلّ وغدٍ مُضللٍ
تبدو لغير المبصر المتأملٍ
إلا لمثل القانت المتبتّل
غَضَبًا وطرفٍ جامدٍ لا يَهمل^(١)

وهذه ليست القصيدة الوحيدة للسيد البيتي التي يخرج فيها على تقاليد الشعر التي سنّها الأوائل تمشياً مع ظروفهم الاجتماعية والثقافية، وترسمها الآخرون صناعةً لفظيةً ينعدم معها الإبداع وتوآد بين الأعبها الموهبة؛ وإنما هناك زاخرة بروح الشّعْر وجَوْهره خَلَّفها لنا السيد البيتي مع عدد آخر من شعر تلك الفترة في الحجاز^(٢).

فهذه مطولة أخرى أنشأها في فتنة عبد الرحمن آغا الكبير سنة ١١٥٥هـ يدخل إلى غرضها الأساسي دون مقدمة غزلية مزوقة:

بكى على الدار لما غابَ حاميتها
بكى لطيبة إذ ضاعت رعيّتها
بكى لمن هاجروا بالكُرّه وارتحلوا
واهاً لكُرْبَتها واهاً لِعُرْبَتها
واهاً لحالي لما قُمتُ أنشدّها
يا دمننةً سلبت منها بشاشتّها
وقفتُ فيها أعزّيها لكُرْبَتها
وجرّ حُكّامها فيها أعاديها
وراعها بكلاب البرِّ راعيها
عنها وكانوا قديماً هاجروا فيها
واهاً لجائعها واهاً لعاريها
الدار أطبقَ إخراسٌ على فيها
وألبيست من ثياب المحل باقيها
إعجب على جَلدي أني أعزّيها

(١) المصدر السابق: ص ١٣٣.

(٢) عبد الرحمن آغا الكبير، تولى مشيخة الحرم في سنة ١١٥١هـ وعُزّل في سنة ١١٥٦هـ، وتوفي بمصر سنة ١١٦٢هـ، وتُسمّى الفتنة التي وَقَعَتْ في زمن مشيخته للحرم بفتنة كابوس.

فمن مُعِينِي بِأَحْزَانٍ يُضَاعِفُهَا عَلَيَّ، مِنْ لُعْيُونِي مِنْ يُوَاسِيهَا^(١)

يمضي الشاعر في وصف مأساة المدينة باستطراد لا يشعر معه القارئ بمملل مشيراً إلى عَجْزِهِ عَنِ التَّأْثِيرِ فِي سَيْرِ الْأَحْدَاثِ وَلَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِيهِ أَمَامَ ضَمِيرِهِ مَنْ أَقَلَّ الْوَاجِبَ وَهُوَ الْمَشَارَكَةُ الْوُجْدَانِيَّةُ الْمَتَجَسِّدَةُ فِي هَذَا الثَّرَاثِ الشُّعْرِيِّ الَّذِي لَمْ تَقْوِ عَوَامِلُ الْفَنَاءِ عَلَى النَّيْلِ مِنْهُ لِخُلُودِ الْكَلِمَةِ الشَّاعِرَةِ فِيهِ الَّتِي تَنْبُرُ أَمَامَ الْبَاحِثِينَ السَّبِيلَ لِمَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ الَّتِي دَابَّ حُكَّامُ تِلْكَ الْفَتْرَةِ عَلَى إِغْمَاضِ أَعْيُنِهِمْ عَنْهَا انشغالاً بما انغمست فيه أنفسهم من ملذات، وتجاهلاً بتبعات المسؤولية التي فقدت وجودها الحقيقي في قاموس ذلك العصر.

يقول السيد البيتي:

وَأَصْبَحْتَ الدَّارَ قَفْرًا لَا أُنَيْسُ بِهَا الْجَنُّ تَنْدُبُهَا وَالْإِنْسُ تَرْتِيهَا
أَبَاحَهَا الْبَدُو^(٢) نَهَبًا ثُمَّ حَرَّقَهَا وَرَاحَ يَشْقَى بِهَا حَقًّا وَيُشْقِيهَا
أَبَاحَهَا وَهُوَ يَرْجُو مِنْ حِمَاقَتِهِ ثَوَابَ أَصْحَابِ بَدْرٍ فِي مَغَازِيهَا^(٣)

إن عظم المأساة لتدفع الشاعر للكشف عن صفحات التاريخ الماضي يستلهم منه القوة ويدعو بعرض أحداثه للعظة والاعتبار:

يَا لِلْكَبَارِ مَنْ أَدْعُو فَيَسْمَعُنِي حَتَّى أَصْرَحَ عَنْهَا أَوْ أَكْنِيهَا

(١) ديوان السيد البيتي: ورقة ٥٣.

(٢) تتحدث هذه القصائد عن حقبة زمنية كان يسودها الفرقة والشتات، وقد منَّ الله على هذه البلاد بالوحدة بين جميع نواحيها وأطرافها المتفرقة كما أصبح أبناؤها - بتوفيق من الله - في ألفةٍ ووثامٍ ومحبةٍ. ونحن نعني - هنا - بالجانب الأدبي فقط، ولا تتفق مع بعض الألفاظ النابية التي ترد بين الحين والآخر ضمن نصوص هذه القصائد.

(٣) ديوان السيد البيتي، ورقة ٥٥.

من للمدينة إن غصت بريقتها
عادت لنا سيرة تيمور في حلب
ويومه وهو في بغداد يهتِكها
وبُخْتنصر من قبل الذي ذكروا
شأن عظيم مضى في الجور أعظمه
حوادث ما رآها دانيال
ومن يُجيب نداها من يلبّيها
أيام صبيائها شابت نواصيها
ويوم «جنكيز» بالتّار يرميها
في مصر والقدس تقريباً وتشبيها
شأن المدينة من أيدي شوانيها
ولا قصت ملاحظته شيئاً يساويها^(١)

إن بعض الباحثين الذين تعرضوا في بحوثهم لجهود السيد البيتي في الحفاظ على وجود الفن الشعري في بيئة المدينة ترفده في ذلك بعض الوسائل أو الوسائط الثقافية المحدودة التي أتاحت له، لم تمتد أيديهم إلى هذه المطولات الشعرية؛ فأصدروا أحكاماً تعميمية لا تشمل كل إنتاج السيد البيتي. فالأستاذ الناقد عبد الرحيم أبو بكر - رحمه الله - يعلّق على قصيدة لشاعرنا يمدح فيها الشريف مسعود^(٢) قائلاً: «ثم نجد الشعر قد افتتح قصيدته بالغزل واستطرد فيه وهذه طريقة في إنشاء الشعر لم يشذ فيها عن سيرة مُعاصِرِهِ»^(٣).

لقد شدّ شاعرنا عن هذه الطريقة في عددٍ من القصائد وفي أغراض مختلفة. فمن قصيدة يجسّد من خلالها معاناته من ظروف بيئية جديدة في مدينة (ينبع) التي انتقل إليها لفترة محدودة للعمل كنائب عن حاكم المدينة فيستهلها:

(١) المصدر السابق، ورقة ٥٥.

(٢) القصيدة في ديوان السيد البيتي «مخطوطة المكتبة العامة بالمدينة» ورقة: ٢٢.

(٣) عبد الرحيم أبو بكر: الشُّعر الحديث في الحجاز، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، منشورات نادي المدينة الأدبي، ص ٧٣.

رأى البَقَّ في كلِّ الجهات فِراعه
ولا تسألوني كيف بَتُّ فإِنني
نزلنا بمَرسى ينبُع البحرِ مرَّةً
نُقارعُ من جُنْدِ البعوضِ كتائباً
فلو عايَنَت عيناك ميدانَ رِكضِهِ
رأيتَ جَريءَ القلبِ فيه شُجاعُهُ^(١)
فلا تُنكروا إِعراضه وامتناعَهُ
لقيتُ عذاباً لا أطيعُ دِفَاعَهُ
على عَيرِ رأيٍ ما علمنا طِبَاعَهُ
وفُرسانِ ناموسٍ عدمنا قِرَاعَهُ

فهذه إحدى تجاربه الشعرية من غير مطولاته في أحداث المدينة، فيها القاعدة المتداولة في افتتاح القصيدة بالغزل المتكلف الذي تبارى في حلبة ميدانه معظم شعراء تلك الفترة. على أن شاعرنا نفسه يقود حملة موجهة ضد شعراء تلك الفترة لما انصرفوا له من أغراض معينة لا يتجاوزونها. ويشير إلى تجرد تجاربهم الشعرية من العاطفة الصادقة التي تنشأ من الالتحام مع التجربة نفسها. إن شاعرنا يتحسس عن طريق ثقافته الخاصة وموهبته المتفردة ذلك الداء الذي استشرى في معظم الإنتاج الشعري لتلك الفترة.. إن كلماته لتعكس مدى إدراكه لظروف العصر الثقافية، ليس في بيئته المدنية وحدها، ولكن على نطاق عام يشمل البلاد العربية جميعها التي تلتقي مع بيئته في مكونات ومؤثرات فكرية واحدة.

يقول شاعرنا معزياً حقيقة أدباء تلك الفترة بوعي وإدراك عميقين:

أدباءُ هذا الوقتُ بُلُّه
يتعاضمونُ نَفوسَه
لو صُورَت أشعارُهُم
فَعقولُهُم فَضْلُ الخَريفِ
في جُلُودِ الأذكياءِ
وَهُم أَدَقُّ مِنَ الهَبَاءِ
ما جئِنَ إلا كالنِّساءِ
وشِعْرُهُم فَضْلُ الشِّتَاءِ

جَمَعَ الرَّكَائَةَ والبرودةَ في نسيبٍ كالعواءِ
مرضُ المسامعِ والفؤادِ كأنَّه زمنُ الوَبَاءِ
تخشى على الممدوحِ يَفْضِي منه مِنْ بَرْدِ الشُّتَاءِ
يا غُرْبَةَ الآدابِ ضَاعَتْ بيْنَ أَظْهُرِ هَوْلَاءِ^(١)

٢ - الشيخ محمد سعيد سفر^(٢) :

شارك هذا الشاعر بمطوِّلة شعرية في تلك الفتنة بلغ عدد أبياتها ١٥٤ بيتاً وكان تناوله لموضوعاتها يتجاوز ما تعارف عليه شعراء عصره من أطر جامدة أو عاطفة مصطنعة كزميله السيد البيتي، فهما يُمثَّلان بحق نقلة هامة في تاريخ الأدب والشعر في الحجاز في تلك الفترة، ومهدا فيما بعد لظهور شعراء أفذاذ في الحجاز كالسيد الأسكوبي شاعر المدينة السياسي في القرن الثالث عشر الهجري.

يستهل الشيخ سفر مطوِّلته قائلاً:

على بلدة المختار يبكي وَيَنْدُبُ وَيُشْكِي إلى الله العظيم وَيُرْغَبُ
ويُرْتَى لها ممّا عراها عدوُّها ويأنف من تلك الخطوب ويغضبُ

ثم يتعرض للفتنة قائلاً:

ففي مائة من بعد ألفٍ وستة وخمسين أبدى الدهرُ ما منه يعجبُ

(١) المصدر السابق، ورقة ٩٨.

(٢) من علماء المدينة المنورة وكبار المحدثين فيها. وُلِدَ سنة ١١١٤هـ وتوفي سنة ١١٩٢هـ. «انظر ترجمته في: تحفة الدهر ونفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر، لعمر عبد السلام الداغستاني» «مخطوط»، ص ١٣٠ - ١٣١، وتحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب، لعبد الرحمن الأنصاري، تحقيق محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ٢٨٤ - ٢٨٥، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، ج ١، ص ٣٧.

بَدَتْ فِتْنَةٌ عَمِيَاءَ فَأَدَهَشَتْ أُولِي
تَمَوْجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي ظُلْمَةِ الدَّجَى
وَتَخْدَعُ ذَا اللَّبِّ السَّلِيمِ بِمَكْرِهَا
وَمَا جَاءَ فِي الْإِسْلَامِ قَطْعًا نَظِيرَهَا
وَإِنْ كَانَ قَتْلُ الشَّيْخِ أَكْبَرُ فِتْنَةٍ
لَكِنْ هَذِي فِتْنَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ
العقل واحترار الطبيب المُجَرَّبُ
تظنُّ شراباً وهي نارٌ تَلَهَّبُ
وتعبثُ بالحَبْرِ العَلِيمِ وتَلْعَبُ
ولا في قديم الدَّهْرِ مُذْ كَانَ يَثْرِبُ
وهتُكُ يَزِيدُ لِلْمَحَارِمِ أَغْرَبُ
فليس لها بين المطالعِ مَغْرَبُ

ويصور آثار هذه الفتنة العمياء وما ارتكب فيها من جرائم فظيعة بقوله:

وَجَاسُوا خِلالَ الدَّوْرِ يَنْتَهَبُونَهَا
فَصَارَتْ خِلاَةً وَخِشَةً بَعْدَ أَنْسِهَا
وَعُطِّلَ مِنْهَا مَسْجِدُ الْمُصْطَفَى فَلَا
وَمَنْ عَجَبٍ مَنَعَ الْمُصَلَّى دُخُولَهُ
فَشَرَّقَ عَنْهَا سَاكِنُوهَا وَعَرَّبُوا
وَأَرْجَفَ فِيهَا الْمَفْسِدُونَ وَأَرْغَبُوا
يُذَاعُ بِهِ عِلْمٌ وَلَا الْقِسْطُ يُنْصَبُ
وَأَعْدَاءُ دِينِ اللَّهِ مِنْهُ تَقَرَّبُ^(١)

إن الشعر والحرب لا يفترقان في المدينة في هذه الحقبة التاريخية، وبعبارة أدق لقد غيرت الحرب تيار الشعر لفترة معينة. وكان هذا التغيير يتناول اللفظ والمعنى على حدٍّ سواء، فالى جانب حلبة الحرب تقف حلبة الشعر يتنافس فيها الرواد على إبراز الجياد من مطولاتهم، يعكسون من خلاله آراءهم الذاتية ويدافعون عن قضايا مجتمعتهم الذي أصبح فريسة الأطماع المتعددة الناتجة من فساد الأمور الإدارية وعدم كفاءة من يقبضون على زمامها.

(١) الأخبار الغربية، لجعفر الحسيني، مخطوط، ص ٣٠ - ٣١.

٣ - أحمد الجامي :

يقول الشاعر أحمد الجامي في فتنه ١١٨٩هـ^(١) :

إِلَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَشْتَدُّ الْخَطْبُ وَحَتَامَ هَذَا الْحَالِ وَالطَّعْنُ وَالضَّرْبُ
وَمَا بِالْأَهْلِ الْعِلْمِ وَالشَّرْفِ الْأُولَى لَهُمْ دَرَجَاتٌ فَوْقَ غَيْرِهِمْ تَرَبُّو
بِهَا لَمْ يُقَمِّ لَهُمْ وَزْنَ وَخِيَامِهِمْ أَشَايِرُهَا مَرْفُوعَةٌ مَا لَهَا نَصَبُ
وَكَيْفَ بَمَرَأَى مِنْكَ يَا سَيِّدَ الْوَرَى وَمُسْتَمَعٌ فِي مَسْجِدٍ يُشْهِرُ الْعَضْبُ
وَيَصْدُرُ فِيهِ مَا يُمَجِّحُ سَمَاعَهُ وَلَا يَرْضَى ذِكْرَاهُ شَهْمٌ وَلَا نَدْبُ
كِنَائِسُ مَنْ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ وَحَدَهُ لَهَا حُرْمَةٌ فِيهِمْ وَعَنْهَا لَهُمْ ذَبُّ
فَلَمَّا لِأَنْوَاسٍ مُسْلِمِينَ تَجَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ فِي نَادِيكَ وَاسْتَسْهَلَ الصَّعْبُ
وَأَيْنَ احْتِرَامُ السَّرِّ أَيْنَ افْتِخَارُهُمْ بِنَسَبَتِهِ أَيْنَ الْمَهَابَةُ وَالْقُرْبُ^(٢)

ويرسم الشاعر لوحات زاخرة بالإثارة عن آثار تلك الفتنة في رحاب

المدينة الطاهرة مخاطباً الرسول ﷺ :

فَبَلَدُتْكَ الْغَرَاءُ زَاهٍ خِرَابُهَا لِلدَّغِ النَّاسِ حَيَّاتُهَا الْجُرْبُ
وَقُطِّعَتِ الْأَسْبَابُ فِيهَا وَعُطِّلَتْ وَحَقٌّ عَلَيْهَا الْحُزْنُ وَالنُّوحُ وَالنَّدْبُ
وَصَارَ يَحِلُّ الْأَمْرُ خَوْفًا وَحَالِهَا غَدَا حَالِكًا وَالخَلْقُ عَمَّهُمُ الْكَرْبُ
وَجُرْدَ سَيْفُ الْبَغْيِ وَالْمَنْكَرِ الَّذِي بِهِ اللَّهُ لَا يَرْضَى وَلَا أَنْتَ يَا حِبُّ
إِذَا كَانَ فِي حَالِ السَّجُودِ لِمَجْمَعَةٍ وَبَيْنَ يَدَيَّ مِنْ لَا سِوَاهُ لَنَا رَبُّ
تَدُورُ رَحَى الْهَيْجَا لَا دَرَّهَا وَقَامَتْ وَتَطْحَنُ ذَا ذَنْبٍ وَمَنْ لَا لَهُ ذَنْبُ

(١) هي الفتنة الرابعة: وتُسمَّى بفتنة الدَّوسِ، وسُمِّيتَ بذلك كما يذكر جعفر بن هاشم الحسيني لكثرة ما وَقَعَ فيها من الدَّوسِ والمهالك.

«انظر تفاصيل القصة في الأخبار الغريبة، لجعفر الحسيني، ص ٦٨ - ٧٠».

(٢) الأخبار الغريبة للحسيني، ص ٧٠.

اعتبر بعض الباحثين أن من مآثر هذا الشاعر عنايته بترجمة مُعاصريه من أعيان المدينة المنورة في كتابه المعروف (تحفة الدهر ونفحة الزهر من أعيان المدينة من أهل العصر)^(١)، والذي يُعدُّ مَصْدَرًا جيِّدًا لمعرفة حلقة من التاريخ الأدبي القريب للمدينة^(٢). إلا أن ثمة مآثرة أخرى هي أكثر أهمية مما ذكره له بعض الباحثين من مآثر. لقد قاد هذا الشاعر معارضة صريحة من خلال أشعاره ضد بعض حكام تلك الفترة التي تجيء بين أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر الهجري، والتي تفاقمت فيها مشكلات الحجاز السياسية.

٤ - عمر بن عبد السلام الداغستاني^(٣) :

وإذا كان السيد البيهقي من قَبْلِ يُجَاهِرُ بانتقاداته لسلاطين آل عثمان فإنه أعطى راية المعارضة من بعده^(٤) لشاعرنا الذي نجد له مطولة يبلغ عدد أبياتها ٦٩ بيتاً يتناول فيها بعض الفتن التي تخللت حكم الشريف سرور بن مساعد في الحجاز وهي الفترة الواقعة بين ١١٨٦هـ - ١٢٠٢هـ^(٥).

(١) مخطوط ولديّ مصورتان له عن نُسختي المكتبة العامة بالمدينة تحت رقم ١٢٨٨، ونسخة مكتبة طويقبو سراي، تحت رقم ٥١٩، ولمزيد من التفاصيل عن هذا الكتاب المخطوط، انظر: المدينة بين الأدب والتاريخ. عاصم حمدان علي حمدان، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ١١١ - ١١٥.

(٢) الشعر الحديث في الحجاز، لعبد الرحيم أبو بكر، ص ٧٤ - ٧٥.

(٣) عمر بن عبد السلام الداغستاني المتوفى بعد سنة ١٢٠١هـ - ١٧٨٦م. «انظر ترجمة آل داغستاني في تحفة المحبين والأصحاب»، للأصحاب، ص ٢٢٩ - ٢٣١، وفي حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار، دمشق، ١٨٣٠هـ - ١٩٦١م، ج ٢، ص ١١٥، وفي الشعر الحديث في الحجاز، لعبد الرحيم أبو بكر، ص ٧٤ - ٧٥.

(٤) توفي السيد جعفر البيهقي سنة ١١٨٢هـ - ١٧٦٨م، واستمرت الفتن والأحداث في المدينة بعد وفاته حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري.

(٥) انظر: أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ ص ٢٠٧ - ٢٢٥.

يبتدئ الشاعر قصيدته بنهج يختلف فيه عن شعراء عصره حيث ينتقد انصرافهم عن المشاركة في تلك الأحداث الجسام وكلفهم بأنماط الغزل المتكلف الذي يعنى برصف الكلمات ويتعمد إيراد أكبر قدر من أنواع

يا من تولع بالتَّشْبِيبِ وَالغَزَلَ
وقد صبا في مליح العُجِّ والكحلِ
بأهى الجمالُ الذي قد جاز مَبْسُمُهُ
عِقْدًا من الدُّرِّ أو حَمْرًا من العَسَلِ
كم ذا التَّصَابِي إلى نحو الحسان وكم
تكون صبًّا وأنت عنهم لم تحلِ
نحيل للغيد لا تنفك عن كلفِ
بأهيف الغدِّ ذاك الرَّاجح الكِفْلِ
تهوى الرشاق الأولى باللحظ قد فتنوا
تفدي بروحك أهل الأعين النَّجْلِ
دَعِ التَّغَزُّلَ فيهم كم تُغازِلُهُم
وعن مغاني الهوى واللهم فارتحلِ
واذكُرْ لمن قَتَلُوا في طيبةٍ بَطْرًا
وَنُحْ عليهم بدمعٍ منك مُنْهَمِلٍ^(١)

يقول صاحبنا في نقد جريء يواجه به الشريف (سرور) الذي كان يقف خلف مجريات فتنه سنة ١١٩٤هـ وما قبلها:

أما سمعتَ بما قد صار في بلدة
المختار طه المرجي سيّد الرُّسُلِ
من مُحدثاتِ أمورٍ أحدثتِ فِتْنًا
والناسُ في شُغْلٍ منها وفي شُغْلِ
جاء الشريف سرور ذو الشُّرور بها
في جَحْفَلٍ سايلٍ قد سدَّ للسُّبُلِ
فارتاعت الناس ممّا رأوا فزَعًا
وأسلموا الأمرَ للرحمنِ فهو ولي
قالوا عسى تحصل الأفراح منه لنا
ويحصل الأمر فينا غير مُفْتَعَلِ
فأمّنَ النَّاسَ تسكيناً لخاطرِهِم
من المخاوفِ من مَكْرٍ ومن حِيلِ
وأظهر العدل والإحسان مُفْتَصِدًا
كأنه قاصدٌ للخير في العملِ
فلم يُرْعنا سوى مسكِ الرّوسِ
غداً لقلعتنا بالغدر في أملِ

ويكشف عن الفظائع التي ارتكبتها مناصرو الشريف سرور:

شَنُّوا على القلعة الغرَاءَ غَارَتَهَا بنهب أسبابها الباقي من الأولِ
وأخرجوا أهلَهَا منها بظلمهمُ بسوء حالٍ وهتك مغه مُتصلِ
كما قَتَلُوا من صناديد مُكْرَمَةٍ كم قَتَلُوا من شجاعِ باسلِ بَطَلِ
كم هتكوا عِزُّ رِبَاتِ الخُدُورِ وقد خَرَجْنَ من فعلة الأوغادِ والسَّفَلِ
هَلَكى حفايا عرايا في مكابدةِ من بعد ما كُنَّ في الأثوابِ والحَلَلِ
أصبن في المال والأهلينَ مع ولدِ وفي النفوس وهذا حكمة الأزلِ
رجالهنَّ غَدُوا أسرى كأنَّهُم عبيد ملك السُّودِ كالجُعلِ
مقدارُ خمسين في الأغلالِ قد أخذوا وأهلهم في عويلٍ غير مُنْقَصِلِ
فيا لذلك من يوم قد انفطرت به القلوب لهذا الأمرِ والخللِ
تري الأنامَ حيارى من فعايلهم عقولهم مثل عقل الشاربِ الثمِلِ^(١)

ونتجاوز عن الجزء الذي يتعرض فيه الشاعر لنهاية المعركة لصالح المتطوعين من أهل المدينة لنتم إطار الصورة التي رغب شاعرنا بدون تكلف أن يرسمها للشريف سرور ورجاله الذين تورطوا في عملية نهب الخيرات من حوزة هذا المجتمع الذي أنهكت جسده الحروب وروّعت أمته الفتن على مدى قرن كامل.

يقول الشاعر مصوراً ذلك المسلك الإنساني الذي أبرزه المتطوعون عندما تم لهم النصر على أعدائهم في تلك الحرب، ثم موقف الشريف من هزيمة هذه الشردمة ومحاولته البائسة الأخيرة وكيف قضى عليها:

بعض الظواهر الفنية المتمثلة في شعر شعراء المدينة:

فأخرجوهم بلا ضُرِّ ولا نكدٍ
فحين أسمع ذي الأخبار سيدهم
فأرسل الجرذة التّعساء لا ظفرت
فقابلوهم رجال الحرب في دشمٍ
كم أنزلوا فارساً بالعزم من فرسٍ
كرؤوا عليهم ففرؤوا حينما علموا
وذاك في عام ألفٍ بعده مائة
بذاك من طيبة قد زال ملكهم

مع الأمان وأجلوهم بلا جدلٍ
انغاط حتى امتلاً بالهم والعليل
لأهل طيبة في جمع من الهمل
في معرك من صياح الحرب في زجلٍ
كم قتلوا منهم يا صاح من رجلٍ
من أن قُربهم يُدني إلى الأجل
من قبل أربع من تسعين إن تسلٍ
فهل سمعت بملك غير منتقل^(١)

في القرن الثاني عشر الهجري

إن الحالة الفكرية والأدبية في المدينة هي جزء من الحالة نفسها التي كانت تعيشها البلاد العربية بعامة والجزيرة العربية بخاصة. ولكن موقع المدينة الديني - حيث يرتادها طلاب العلم من كل أنحاء العالم الإسلامي والعربي - كان له أثره في بعث النشاط العلمي والفكري والأدبي في المدينة. ومما يُستدل به في هذا الشأن قدوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى المدينة وتلقيه العلم على بعض علمائها مثل الشيخ محمد حياة السندي، وسليمان الكردي، وعبد الله بن سيف^(١) قبل انطلاق دعوته الإصلاحية في الجزيرة العربية.

شهدت بيئة المدينة الأدبية في حُقبة القرن الثاني عشر الهجري حركةً شعريةً حاولت أن ترتفع إلى أفق الأحداث التي عاشها المجتمع في تلك الفترة. ولا شك في أن ما تنطق به نصوص هذا الشعر الذي أوردنا أمثلة له خلال دراستنا هذه من استبطانٍ لبعض نوازع النفس الإنسانية ونقدٍ لواقع أليم يعيشه الفرد في ذلك المجتمع، وإبرازٍ لأخطاء قاتلة يقع فيها مَنْ وُضعت فيهم ثقتها وحملتهم أمانتها، ولا شك أن كل ذلك يدخل ضمن

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب وفكره. للدكتور عبد الله صالح العثيمين، دار العلوم، الرياض،

دائرة البواعث التي حملتنا على دراسة هذه المطوّلات الشعرية وتخصيصه بالاهتمام دون غيره من إنتاج شعراء تلك الفترة. على أن ذلك لا يعني أن كل ما تعرّضنا له بالدراسة هو على مستوى واحد من حيث المضمون، أو أنه يتجانس من حيث الصياغة الفنيّة التي تؤدي دوراً هاماً في إيصال ذلك المضمون وتبليغه، بل هي نماذج متفاوتة في أهمية ما تكشف عنه وتحاول مقاربتة، كما أن الأداة الشعرية والوسيلة الفنية لهذا الشعر تختلف عند شعراء الحقبة الواحدة، فلا يمكن أن يحلّق الشعراء جميعاً في فضاء الشعر بمستويات واحدة، بل إن بينهم قدراً معلوماً من التفاوت يُردُّ إلى ما يتفرّد به كلّ واحد منهم من استعداد فطري لقول الشعر وتجويده، كما أن للخلفية الثقافية والنزع الفكري دورهما في هذا التفاوت الذي هو سنّة من سنن هذا الكون، وطبيعة متأصلة من طبائع هذه الحياة.

وإذا كنا قد وقفنا في الأمثلة السابقة على فُدرّة شاعرٍ كجعفر البيتي على التفاعل مع قضايا مجتمعه، وأنّ هذا التفاعل قد أذى إلى بروز سمة الصّدق الفنّي في إبداعاته الشعرية وما يتصل بذلك من قدرة على سيطرة الشاعر على اللغة الشعرية التي بدت بعيدةً كل البعد عن الوقوع في المباشرة أو الوضوح الفج واتّخاذها الصُّورة وسيلةً لتجسيد لمحات من الواقع الذي عايشه الشاعر في عصره، فإننا في قصائد أخرى نلاحظ تحقق سمة فنيّة أخرى، وهي مما يمكن أن يُضاف إلى ميزات هذا النوع من الشّعر الذي برز في المدينة إبان القرن الثاني عشر الهجري، وهذه السّمة هي ميل الشاعر إلى الأسلوب السّردي، ونجد هذه السّمة متمثلة في قصيدته التي نظمها بسبب فتنة سنة ١١٤٨هـ والتي يقول فيها:

سلوا فلسان الحال من كل مُسلم أصيب ببلوى عنده خبر جَم

سلوا عن حديث الابتلا من بلي به
سلوا كل دار بالمدينة ما الذي لقينا
سلوها عن الفتك الذي أصابها
سلوها عن الأعداء كيف تستمت
وكيف ارتقوا فوق المنابر وانتهوا
وكيف أعيدت وقعة الحرة التي
وأولى بنعت السقم من مسه السقم
فعند الدار من من أهلها علم
قريباً فمن لقياه في وجهها وشم
ذراها وكيف النهب والهتك والغنم
إلى غاية ينحط من دونها النجم
إلى هذه الأخرى تضاف وتنضم^(١)

وإذا كانت الملحمة كجنس أدبي عند الأمم الأخرى قد عرفت السرد.
وسيلةً فنية قبل أن يصبح سمة من سمات الرواية والتي يعتبرها بعض
التقاد «الحفيد الوليد للملحمة» فإن القصائد الحماسية في الأدب العربي
كقصائد الكُميت وأبي الطيب المُتنبّي عرفت أيضاً هذا الأسلوب الفني،
وشعراء المدينة في القرن الثاني عشر الهجري كالبيتي، وسفر، والجامي،
نزَعُوا إلى هذا الأسلوب الفني - السرد - في أشعارهم التي ضمّنها وضمناً
حيّاً لبعض الوقائع والأحداث الاجتماعية. فهذه قصيدة الشاعر محمد سعيد
سفر يقوم بناؤها الفني على أسلوب السرد، حيث يقول الشاعر:

كم قتلوا من صناديد مُكْرَمَةٍ
كم هتكوا عِرضَ ربّات الخُدورِ وقد
هَلَكى حفايا عرايا في مكابدةٍ
أصبَن في المال والأهلين مع ولدٍ
رجالهنَّ عَدُوا أسرى كأنهم
كم قتلوا من شجاعٍ باسلٍ بطلٍ
خَرَجَنَ من فعلة الأوغادِ والسّفَلِ
من بعد ما كُنَّ في الأثوابِ والحُللِ
وفي النُفوسِ وهذا حِكْمَةُ الأزلِ
عبيد ملك السُّودِ كالجعل^(٢)

(١) الأخبار الغربية، للحسيني، ص ٢١.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٠.

اتخذ بعض شعراء هذه الحقبة التصوير أداة لتجسيد الوضع السيء الذي أضحت عليه مدينة الرسول ﷺ في تلك الحقبة، فهذا الشاعر أحمد الجامي يجسد الخراب والدمار والقتل الذي حلَّ بالمدينة من خلال هذه الصور الشعرية التي تجعل القارئ يتلمس عن قُرب الوَضْعِ المأساوي للنَّاس وهم في منازلهم، أو في صلاتهم لخالقهم. وفي سبيل تكثيف هذه الصُّور الشعرية وشحنها بالدلالات القويّة والمؤثّرة، يستخدمُ الشَّاعر من الأساليب اللغوية ما هو ملائم لذلك وهذا يتبدّى في كثرة ورود الفعل مبنياً للمجهول، ومعلوم أنّ تنبُّه الشاعر لما يمكن أن تُحدثه هذه الصّيغة من تأثير في نفس القارئ، يدلُّ على وَعْيِ الشَّاعر بدور الصُّورة في البناء الشعري. يقول الجامي مُصَوِّراً وضع المدينة في نهاية القرن الثاني عشر الهجري وبالتحديد أثناء فتنة سنة ١١٨٩هـ:

فَبَلَدْتُكَ الْعَرَاءَ زَادَ خَرَابُهَا وَقَامَتْ لِلدَّغِ النَّاسَ حَيَاتُهَا الْجُرْبُ
وَقُطِّعَتْ الْأَسْبَابُ فِيهَا وَعُطِّلَتْ وَحَقَّ عَلَيْهَا الْحُزْنُ وَالنُّوحُ وَالنَّدْبُ
وَصَارَ يَحِلُّ الْأَمْرُ خَوْفًا وَحَالَهَا غَدًا حَالِكًا وَالخَلْقُ عَمَّهُمُ الْكَرْبُ
وَجُرْدَ سَيْفُ الْبَغْيِ وَالْمَنْكَرِ الَّذِي بِهِ اللَّهُ لَا يَرْضَى وَلَا أَنْتَ يَا حِبُّ
إِذَا كَانَ فِي حَالِ السَّجُودِ لُجْمَعَةٌ وَبَيْنَ يَدَيَّ مِنْ لَا سِوَاهُ لَنَا رَبُّ
تَدُورُ رَحَى الْهَيْجَا لَا دَرُّهَا وَتَطْحَنُ ذَا ذَنْبٍ وَمَنْ لَا لَهُ ذَنْبٌ^(١)

لقد وجدنا شعراء تلك الفترة يحسنون الاستفادة من بعض الآيات القرآنية، فالشاعر جعفر البيتي يستفيد من أَلْفَاظِ السُّورَةِ الْقُرْآنِيَةِ الْكَرِيمَةِ «العاديات» فيقول:

الموريات العاديات ضوابعاً الصَّافِنَاتِ الزَّافِرَاتِ الْجُفَلِ

وجاء هذا التضمين متلائماً مع حادثة أيوب آغا سنة ١١٣٤هـ التي وقعت بين أهل المدينة والأغوات ونشأ عنها قتل السيد عبد الكريم البرزنجي وابنه السيد حسن البرزنجي، وهو يدل أيضاً على إمام شعراء تلك الفترة بالثقافة الدينية التي كانت تُشكّل أساساً في مُنطلقاتهم الفكرية والأدبية، وهذا الترابط بين الشاعر وثقافته الدينية يعود إلى بيئة المدينة التي عُرفت بمسجدها الشريف وحلقات العلوم الدينية فيها، وكان كثير من علماء القرون الماضية يجمعون بين الثقافتين الدينية والأدبية. كما نجد الشاعر جعفر البيتي يستشهد بالحوادث التاريخية المعروفة، كسيرة تيمورلنك، وجنكيز خان، وبختنصر، ليدلّل على فظاعة الأعمال التي ارتكبت في حق المدينة وأهلها:

عادت لنا سيرة تيمور في حلب أيام صبيانها شابت نواصيها
ويومه وهو في بغداد يهتكها ويوم «جنكيز» بالتتار يرميها
وبختنصر من قبل الذي ذكروا في مصر والقدس تقريباً وتشبيهاً^(١)

وهذه الاستفادة من الآثار القرآنية والحوادث التاريخية تندمج في إطار العمل الشعري، وتلتحمُ بكيانه الفني التحاماً كاملاً، وغالباً ما يكون هدفها الإلماح وتحفيز ذهن القارئ وتحريك خياله.

وفي عمود القصيدة التي أبدعها شعراء المدينة في تلك الحقبة محاولات بعض الشعراء التخلص من المقدمة الغزلية والطللية، كما في قصيدة البيتي التي يفتتحها قائلاً:

المجد تحت ظلال سمر الذبل وظبا القواضب والجياد القفل
الموريات العاديات ضوابعاً الصافنات الزافرات الجفل

وهذا التّخلص يُعدُّ ظاهرةً فنيّةً جيّدة، ولعلّ تأثر الشاعر البيّتي ببعض شعراء العصور الذهبية في الأدب العربي وخصوصاً (المتنبي)^(١) جعل الشاعر البيّتي ينتهج في قصائده نهجاً مختلفاً عن شعراء الحقبة العثمانية، بل إنّ انصراف الشاعر البيّتي إلى الشعر انصرافاً كاملاً جعله يبتعد عمّا يُسمّى (الشعر التعليمي) حيث تظهر مصطلحات العلم الشرعي «من تحليل وتحريم، وواجب ومكروه، ومباح، وناسخ ومنسوخ، وغريب مُرسل»^(٢).

يحاول شعراء تلك الفترة استعادة تاريخ المدينة الماضي في محاولة ذكيّة لمقارنته بالوضع المأساوي الذي تعيشه المدينة في الحقبة العثمانية. فهذا الشاعر جعفر البيّتي يحاول في أسلوب تهكّمي وساخر أن يصوّر جهل حاكم المدينة وضَعْف الوازع الديني لديه في تلك الحقبة، الذي اعتقد جهلاً وباطلاً أنه بفعلته الشنيعة ضد المدينة وسكانها، يرجو ثواب أهل (بدر) الذين كان جهادهم ضد الكفرة والمشركين وليس ضد المؤمنين من سكان المدينة المنورة كما فعل هذا الحاكم في تلك الحقبة السيئة.

للقاموس الشعري لشعراء المدينة المنورة الذين عرضنا لبعض قصائدهم، ألفاظه وعباراته التي تدل على الروح الإسلامية التي كانت تسري في نفوس هؤلاء المبدعين، فعبارات مثل: نداء، سيرة، ثواب، يندب، يشكو إلى الله العظيم، يرغب، الحَبْر، العليم، أهل العلم، الشرف، علم، قسْط، حُرمة، السُّجود، ربُّ، أمّن، العدل، الإحسان. هذه الألفاظ والعبارات استخدمت استخداماً فنياً نأى بها عن التقريرية

(١) الشعر الحديث في الحجاز، ص ٧٣.

(٢) د. عبد الله الحامد: الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ١١٥٠ - ١٣٥٠هـ. ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١، الرياض، ص ٤٢٧.

والثَّرية التي تتحوَّل معها القصيدةُ إلى ما يُشبه المنظومة العلمية التي هي أبعد ما تكون عن روح الشعر القائم على التَّصوير والتجسيد الذي يعتمد على الخيال وما يقومُ عليه من صور بلاغية يكون للاستعارة والمجاز دورهما في تقريبها إلى ذهن القارئ، كما يكون لهذه الصور دورها في الإلماح إلى الحالة التي يسعى الشاعر لجذب الانتباه إليها، والتأثرُ بها وبالتالي الالتحام معها، والتعاطف مع المضمون الشُّعري الذي تركز عليه القصيدة في بنيتها وتركيبتها ودلالاتها المعنوية.

لم تنحصر موضوعات شعراء المدينة في تلك الحقبة في التفاعل مع الأحداث المأساوية التي شهدتها مدينتهم في القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي - بل نجد بعضهم يطرق موضوعات اجتماعية مختلفة. فهناك قصيدة السَّيد جعفر البيتي التي يصفُ فيها بيئة مدينة (ينبع) في تلك الحقبة. كتب الشاعر قصيدته سنة ١١٤٣هـ - ١٧٣٠م، وكانت حشرة (البق) المعروفة محوَّراً لموضوع القصيدة. وحاول البيتي بأسلوب ساخر أن يُصوِّر هذه الحشرة وما تسببه للإنسان من أذى وخصوصاً وهو في حالة النوم - بأنها كتيبة جُنْد. وكأن موضوع الحرب وقاموس مفرداته مثل: كتائب، جنداً، فرسان، ميدان، ركض، ينازع، شجاعة، لم يفارق خيال الشاعر الذي خصص جزءاً كبيراً من شِعْره لوصف الأحداث الدَّامية آنذاك في المدينة. والشاعر نفسه، لا تخفى عليه الحالة التي وصل إليها الأدب في تلك الحقبة، لذا فإنَّ مقطوعته الشعرية عن أدباء تلك الفترة وتشبيه عقولهم بفضل الخريف في إشارة ذكية لتساقط أوراق الشجر لعدم فائدتها وإسقاط هذه الحالة على عقول الأدباء وما تُبْذعه من أشعار خالية من الإحساس والذوق المَطْلُوبين في عملية الإبداع الشعري. كما أن الشاعر يصف هذا الإبداع الضعيف بفصل الشتاء، فبرودة الجو في هذا

الفصل يقابلها خلو هذا الإنتاج من كل ما يمكن أن يتفاعل معه روحاً ووجداناً وإحساساً إنساناً ذلك العصر. ويمعن البيتي بأسلوبه الساخر المؤثر فيصف ما ينتجه أدباء عصره بأنه داءٌ تتأذى منه جوارح الإنسان، كما أنه وبلمحة ذكية يشير إلى انتشار شعر المديح غير الصادق وذلك عندما يقول في مقطوعته المذكورة:

تخشى على الممدوح يقضي منه من بَرْدِ الشِّتَاءِ

وتعج القطعة كذلك وتحفل بالتشبيهات العديدة التي تضمنتها صوراً من الفهم الاجتماعي السلبي لدور المرأة، وذلك عندما يقول الشاعر:

لو صُوِّرت أشعارهم ما جئن إلا كالنِّسَاءِ

فبينما كانت المرأة في العصور الذهبية للأدب العربي تحتل مكانة ساميةً في عقل الشاعر مما ينعكس على أدبه وشعره بصورة إيجابية، نجد أن رؤية العصور المتأخرة للمرأة فيها من القصور والسلبية ما يمكن إرجاعه إلى التقاليد السيئة البعيدة عن تعاليم الدين الصحيح، تلك التقاليد التي كانت تُشكّل مع غيرها عقبةً في طريق رقيّ الأمة وتطورها وعودتها إلى الوعي الحضاري والثقافي الذي انبثقت منه في ظلال الشريعة الإسلامية السّمحة نهضة الأمة وتقدّمها وسمو مكانتها بين الأمم الأخرى. وعلى الرغم من هذه الرؤية السلبية التي تعكس رؤية الرجل لنصفه الآخر، إلا أن السيد البيتي شخصّ الداء الذي يعاني منه أدب تلك الفترة بقوله:

يا غُرْبَةَ الآدابِ ضَاعَتْ بَيْنَ أَظْهُرِ هَوْلَاءِ

ولعلّ ثقافة البيتي يعكسها كتابه النثري (مواسم الأدب وآثار العجم

والعرب^(١) حيث نجد فيه تراجم لبعض الشعراء وشيئاً من شعرهم وما قيل فيه، كما نجد فيه أحاديث عن التاريخ والجغرافيا، وذكر الممالك والأمم، والكتاب، كما يذكر الناقد عبد الرحيم ابو بكر - رحمه الله - «يدل على ثقافة واسعة واطلاع شامل تزوّد بها السيّد جعفر ثم عكس آثارهما في هذا الكتاب»^(٢). وهذه الثقافة الواسعة بمعارف العصر وعلومه هي التي كوّنت شخصية البيّتي العلمية وجعلته في مقدمة أدياء عصره، ليس في الشعر وحده بل وفي الثّر أيضاً أشار إليه الدكتور عبد الرحمن الشامخ عند دراسته للرسالة التي بعث بها السيّد البيّتي إلى صديقه الخطيب محمد أبي الخير المدني سنة ١١٤٠هـ من مدينة ينبع، والأخرى إلى صديقه أحمد البقاعي سنة ١١٧٠هـ، ووصفَ الدكتور الشامخ الأسلوب الذي كتّب به البيّتي رسائله «بجزالة التّعبير، وسلامة التركيب، كما اتسم بالثراء اللّغوي والقدرة على استنباط المعاني والصّور»^(٣)، ويرجع الشامخ قيمة الأثر الفني في الأسلوب النثري لجعفر البيّتي إلى «الموهبة الشعرية التي هدّت الكاتب بالألّ يجعل رسالته مجرد قوالب تعبيرية تقليدية، بل أن يضيف عليها من ذاته ما يجعلها تنبض بالحياة وتحفل بالمتعة الفنيّة»^(٤).

(١) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٣٢٦هـ على نفقة أحمد الجمّالي، ومحمد أمين الخانجي الكُتبي وأخيه، بمطبعة السعادة بمصر.

(٢) الشعر الحديث في الحجاز. ص ٧٠.

(٣) د. محمد عبد الرحمن الشامخ: الثّر الأدبي في المملكة العربية السعودية: ١٩٠٠ - ١٩٤٥، ص، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ ان ص ١٨.

(٤) المصدر السابق، ص ١٨.

المبحث الثاني قصة مخطوطة . . (تُحفة الدَّهرِ ونَفحةِ الزَّهرِ في أعيانِ المَدِينَةِ من أهلِ العَصْرِ)

يعتبر كتاب (تُحفةِ الدَّهرِ ونَفحةِ الزَّهرِ في أعيانِ المَدِينَةِ من أهلِ العَصْرِ)^(١) أحد المصادر، التي اهتمت بأدباء المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري إلا أن نسبة هذا الكتاب لمؤلفه المعروف عمر عبد السلام الدَّاغستاني^(٢) قضية اختلف حولها بعض الدَّين تعرضت دراساتهم لهذا المؤلف؛ ومن بينهم الدكتور صلاح الدين المنجد^(٣)، والذي نسب الكتاب - بعد اطلاعه على نسخة منه في جامعة كمبردج^(٤) لمؤلف آخر

(١) يقوم كاتب هذه الدراسة بالاشتراك مع الدكتور بكرى شيخ أمين بتحقيق هذا الكتاب؛ اعتماداً على مصادره الخطية الموجودة في مكتبات العالم.

(٢) عمر بن عبد السلام الدَّاغستاني الأنصاري (المتوفى بعد عام ١٢٠١هـ - ١٧٨٦م) انظر ترجمته في: (تحفة المحبِّين والأصحاب فيما للمدنيِّين من أنساب)؛ لعبد الرحمن الأنصاري ص ٢٢٩ - ٣٢١، (مجلة المنهل) عدد أبريل ١٩٩٦م، ص ٢٥٢ - ٢٥٦: مقالة الشيخ محمد سعيد دفتردار - رحمه الله - عن آل الدَّاغستاني. و (حلية البشر في تأريخ القرن الثالث عشر)؛ لعبد الرزاق البيطار، ط: مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦١م، ج ٢، ص ١١٥ - ١١٢٩.

(٣) المؤرخون الدَّمشقيون في العهد العثمانيّ: لصلاح الدَّين المنجد، ١٩٦٤م، ص ٧٤.

(٤) E.G. Browne A Handlist of Muhamadan Manuscripts Preserved In The University of Cambridge - 1900 /p. 38.

هو: محمّد بن خليل المرادي^(١) (١١٧٣هـ - ١٢٠٦م) وتبعه - في ذلك - كل من عمر كحّالة^(٢)، وأسامة العانوتي^(٣).

لقد رجعت إلى نسخة (كمبردج) التي كانت سبباً في هذا الاختلاف المتصل بنسبة الكتاب إلى أكثر من مؤلّف واحد؛ وفي هذه النسخة الخطية من الكتاب نجد اسم (الدّاغستاني) ورد فيها كناسخ له؛ بينما نسب تأليف الكتاب إلى (المراديّ)، إلاّ أنّ النسخ الخطية الأخرى من الكتاب اتفقت على نسبة الكتاب للدّاغستاني.

الكتاب بين الدّاغستاني والمرادي :

تفسير ذلك أنّ المرادي كان في فترة القرن الثاني عشر - يعمل على تأليف كتابه المعروف (سلك الدرر) والمتخصص في تراجم أدياء وشعراء البلاد العربية وكان، كما يذكر الدكتور إسحاق الحسيني^(٤)، يقوم أيضاً بمراسلة رجال الفكر والأدب؛ وحثّهم على تزويده بما يحتاج من معلومات ومن بينهم العالم اليمنيّ السيّد محمّد مرتضى الزبيدي^(٥) الذي كان على

(١) محمد دخيل بن عليّ بن محمّد مراد الحسينيّ ١١٧٣هـ - ١٢٠٦م ولد ونشأ في دمشق، وتوفي في حلب؛ من أشهر كتبه (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) انظر الأعلام للزركلي، ط١ دار العلم، ج ٦، ص ١١٨.

(٢) (معجم المؤلفين) لعمر رضا كحّالة (دمشق) ١٩٥٧ - ١٩٦١م، ج ٦، ص ٢٩٠.

(٣) (الحركة الأدبية في بلاد الشام)؛ لأسامة العانوتيّ، بيروت ١٩٩٧م، ص ٢١١.

(٤) مجلّة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الجزء الحادي والأربعون، جمادى الأولى، ١٣٩٨ - ص ٤٣ - ٤٧ : بحث الدكتور إسحاق موسى الحسينيّ عن (موسوعة أعيان القرن الثاني عشر).

(٥) محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ) علامة اللغة والحديث والرّجال والنساب؛ أصله من وسط (مدينة بالعراق) ومولده بالهند في (بلجرام) ومنشؤه في (زبيد) باليمن، رحل إلى الحجاز وأقام بمصر وتوفّي بها، انظر (الأعلام) للزركلي، ط دار العلم، ج ٧، ص ٧٠.

صلة وثيقة بأدباء المدينة المنورة؛ في تلك الحقبة. فيفترض أن (الزبيدي) قام بتقديم نسخة من كتاب (التحفة) للمراذبي؛ فتوهم من أطلع على الكتاب أنه من تأليف (المراذبي) فقام بنسخه، ونسبه إليه. وهذا الافتراض يدفعنا إليه تلك الدلائل الأكيدة التي تقوم على صحة نسبة الكتاب للداعستاني.

ومن بين هذه الدلائل :

إن شهرة نسبة هذا الكتاب للداعستاني دفعت بعض معاصريه من الأدباء أن يقرنوا بينهما في بعض القصائد الشعرية التي نظمت إشادة بجهود هذه الشخصية الأدبية في التأريخ لأدباء المدينة في تلك الفترة. ومن هؤلاء الأدباء السيد زين العابدين بن محمد بن عليّ البرزنجي، الذي يقول في قصيدة له :

إمام بدا للناس والدهر تحفة همام نَمَى من طَيْبَةِ نَفْحَةِ الزَّهْرِ

أما الشاعر يحيى بن هاشم المدني الذي أهدى قصيدة للمؤلف؛ ليضمنها كتاب (تحفة الدهر) فيما يذكره باسمه قائلاً:

ولأنت حَسَّانُ الزَّمانِ فكن به بَسْماً طَباقَ الشَّعرِ بَدراً نيراً
واسلم لنا عمراً، لَمَلَّةَ قَصْدنا تَحْمِي بِسيفِ لانتقادك أخضراً

وهناك دلائل أخرى من الكتاب نفسه؛ من بينها اشتماله على ترجمة لأبي بكر أبي المدرس عبد السلام الداعستاني؛ ولقد أشير في مقدمة هذه الترجمة أنه أخ للمؤلف نفسه.

كما نجد أديباً كعبد الرزاق البيطار، في القرن الثالث عشر الهجري، يؤكد عند تدوينه لترجمة (عمر الداعستاني) نسبة هذا المؤلف إليه.

الكتاب:

قسم المؤلف كتابه إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: في السادة الأشراف.

الفصل الثاني: في العلماء الطيّب الأوصاف.

الفصل الثالث: في العلماء الكرام.

الفصل الرابع: في الأدباء الفخام.

ويبدو أن القاعدة التي اتبعها المؤلف في تجزئته لكتابه تستند إلى النظام الاجتماعي السائد في تلك الفترة أكثر من استنادها إلى مقاييس أدبية محددة. كما أننا نلاحظ عدم قدرته على توضيح الأسس العلمية؛ التي انطلق منها في التمييز بين أدباء الفصلين الثاني والثالث؛ وكان بالإمكان أن يخصهم بفصل واحد ما داموا جميعاً - بحسب عبارته - من طائفة العلماء. ولربما كان المؤلف في تقسيمه لفصول الكتاب بحسب هذا النظام، مدفوعاً بالرغبة في اتباع من سبقه من المؤلفين، كابن معصوم^(١) في كتابه (السلافة)^(٢)، مع أن الأسس الأدبية التي انطلق منها (ابن معصوم) في ترتيبه لأجزاء كتابه تختلف عنها عند (الداغستاني) في كتاب (التحفة).

(١) عليّ بن أحمد بن محمّد معصوم الحسنيّ الحينيّ المعروف بعليّ خان؛ الشهير بابن معصوم (١٠٥٢ - ١١١٩ هـ) من كتبه (سلافة العصر في محاسن أعيان العصر) الأعلام للزركلي، ج ٤، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) The Literature of Medina in the Twelfth Century A.H. Examined From Contemporary Sources, A Thesis Presented For The Degree of Ph. D, By: Asim H.A. Hamdan, Manchester University, 1986 Part One PP. 67 - 71.

أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى قضية تدهور الأدب في عصره، ولربما كان من الأولى أن نثبت، في هذه المقدمة، ما يكون دليلاً على تنبهه (الداغستاني) لهذه القضية التي لم يشغل المؤلفون - حينئذٍ - بمناقشتها.

يقول المؤلف:

مضى الزمن الذي قد كان فيه لأهل الشعر عزٌّ وارتفاع
فإن الشعر في ذا العصر علم قليل الحظ ملفوظ مضاع

ولئن هجر الأدب ملياً، وأصبح نسياً، فإن لزنده ورياً يلتمع سقطه،
ولمزنه ودقاً يستدر نقطه، والمرندي يفاخر مطارفه بين الأخدان، والأقران
يشار إلى مجده بالسلام والبنان؛ خصوصاً إن نظم من سلك التحايف
زبرجده، وسلك في قالب الظرائف عسجده^(١).

ويرى الدكتور عبد الرحمن الشامخ أنه - على الرغم مما في إشارة
(الداغستاني) هذه صحة وسلامة - إلا أن شكاته لم تكن إلا استجابة لروح
الحنين إلى الماضي؛ لما يتضمنه كتابه من نصوص مفتقرة إلى الروح
الأدبية والموهبة الفنية^(٢).

ولئن أظهر المؤلف قدرة أدبية في تدوين الإنتاج الفني لأدباء المدينة؛
في فترة القرن الثاني عشر، فإنه استطاع - أيضاً - أن يدلل على ثقافته بما
عقده من مقارنات بين هذا الإنتاج وما يماثله من ناحية المعنى عند بعض
شعراء العصر العباسي؛ كأبي نواس، والبحثري، وبعض شعراء العصر

(١) مخطوطة تحفة الدهر للداغستاني، ص ٢.

(٢) النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية (١٩٠٠ - ١٩٤٥) للدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ، الرياض، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ص ٣٦ - ٣٧.

المملوكي، مثل: مجير الدين بن تميم، وصفي الدين الحلبي، وجمال الدين بن نباتة.

وهذه الدراسة المقارنة التي توصل إليها (الدأغستاني) هي مما يزيد في أهمية الكتاب؛ من حيث اعتباره مصدراً رئيساً للبحث في النواحي الفنية للشعر في تلك الفترة الزمنية؛ والتي يجب أن تحظى باهتمام النقاد، ودراساتهم العلمية^(١).

(١) يدفعنا التوثيق العلمي المطلوب في كل ما يتصل بأمور البحث وقضاياها إلى الإشارة إلى أن الأستاذين محمد سعيد دفتردار، وعبد الرحيم أبو بكر؛ قد شرعا في حياتهما - رحمهما الله - في تحقيق مخطوطة كتاب (تحفة الدهر) ولكننا لا نعلم إلى أي مدى وصلت جهودهما في هذا الشأن؛ وقد زودني بهذه المعلومة أستاذنا الفاضل محمد حميدة - أمد الله في عمره - بحكم انتسابه؛ في السابق لأسرة الوادي المبارك؛ ثم نادي المدينة الأدبي، كما أكد هذا الأمر الشيخ محمد الحافظ؛ وهو معني بتأريخ المدينة وما كتب حوله قديماً وحديثاً.

المبحث الثالث

الشعر وجوانب من الحياة الاجتماعية في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري

تتألف العلاقات الاجتماعية في كل مجتمع من المجتمعات من جوانب مشرقة وأخرى سيئة، أو حسنة وقبيحة، وهذا التمييز مردّه لعادات ذلك المجتمع وتقاليده التابعة من الدين أو ثقافة البيئة نفسها؛ والتي تلزم أفراد المجتمع بمعايير يتم من خلالها تقويم أنواع السلوك. فنجد الشعر في تلك الفترة - مثلاً - يندد بالشح وأصحابه خصوصاً إذا اتسم به ذوو اليسر من أفراد المجتمع.

يقول السيد جعفر «البيتي» معرّضاً ببعض شخصيات عصره في أثناء مدحه أحد وجهاء المدينة المعروفين بالفضل:

فَإِذَاكَ لَا كَالَّذِي يُمَسِّي وَهَمَّتْهُ دَنِيَّةٌ وَلَهُ الدَّيْنَارُ مَعْبُودُ
عُلَّتْ يَدَاهُ فَلَا شَخْصٌ يُؤَمِّلُهُ لِلْخَيْرِ وَهُوَ بِحَبْلِ الشُّحِّ مَشْدُودُ
يَدْنُو كَزَرْقَا إِلَى الْأَمْوَالِ يَنْهَبُهَا طَرَفُهُ عَنِ فِعَالِ الْخَيْرِ مَرْدُودُ^(١)

(١) ديوان السيد جعفر محمد البيتي مخطوطة المكتبة العامة بالمدينة ص ١٣٤.

ادعاء العلم

لقد كان لانتشار الجهل في تلك الفترة من تأريخ الحجاز آثاره السيئة التي أدت إلى تصدي بعض الشخصيات غير المؤهلة علمياً للتدريس؛ فاتخذت رداء العلم وسيلة لغش الآخرين وخداعهم. ولقد شارك الشعر الشعبي (الحميني) في وصف تلك الشخصيات، والكشف عن الحيل، التي استخدمتها في أداء أدوارها.

والشعر الشعبي، ببساطة ألفاظه التي تتميز بالقدرة على تجسيد المواقف، وربطها بالحالة العامة للمجتمع، يعد مصدراً أساسياً في دراسة أخلاقيات المجتمع، وما يقيمه به أفراد من علاقات.

يقول السيد (البيتي) في وصف دور إحدى الشخصيات. التي تحاول أن تمثل العلم وأهله، دون أن يكون لها رصيد من قواعد العلم وأخلاقه إلا الادعاء والزيف:

يا ذَا الَّذِي قَد أَقَامَ دَرْسَا لِمِثْلِهِ لَيْسَ بِالْحَقِيقِ
وَيَلُ لَوَجْهٍ عَلِيكَ صَلْد أَشَدَّ مِنْ جَرَّةِ الطَّرِيقِ
يَا قُبَّةَ الْكِبْرِ مَا رَأَيْنَا أَوْقَحَ مِنْ وَجْهِكَ الصَّفِيقِ
فَعَدتْ تَرَوِي الْعُلُومَ جَهْلًا فِي زِيٍّ طَبْلٍ وَصُوتِ بوقِ
تَكْفُرُ فِيمَا تَقُولُ جَهْرًا بَيْنَ الْمُعَادِينِ وَالصَّدِيقِ
زَلَّ حِمَارُ الْعُلُومِ لَمَّا جَلَسَتْ يَا وَحَلَالُ فِي الطَّرِيقِ
فَاسْتُرَ عَلَى الْجَهْلِ لَا تُدْلِسُ وَتَخْلَطُ الْفَحْمَ بِالذَّقِيقِ

ويختم هذه القصيدة بيتين يرى فيهما الشاعر أنَّ السخرية من هذه الشخصيات هو واجب لا يمكن العدول عنه:

كَمْ سَاقِطٍ قَدْ عَلَا قَدِيمًا وَأَنْتَ مِنْ ذَلِكَ الْفَرِيقِ

حَقُّكَ فِي الْفَضْلِ غَيْرَ خَافٍ وَالشُّتْمُ مِنْ جُمْلَةِ الْحُقُوقِ^(١)

ومن قصيدة شعبية أخرى للشاعر نفسه يصوّر فيه بعض المواقف لشخصية مماثلة تدعي العلم والمعرفة، وابتدئها بأسلوب ساخر يدخل به إلى وصف هذه الشخصية:

إِنْ كُنْتَ أَبْصَرْتَ مِنِّي سَخَفًا وَأَبْصَرْتَ هَزَلًا
فَلَا تَلْمَنِي - فَإِنِّي أَحْسَنْتُ قَوْلًا وَفَعَلًا
فَإِنْ أَبْنَاءَ دَهْرِي أَشَدَّ مِنْ عَيْرِ نَقْلًا

وفي الكشف عن حقيقة تلك الشخصية يقول:

مِنْ كُلِّ شَخْصٍ تَرَاهُ يَسُدُّ بَابَ الْمَصْلَى
يَقُولُ كُلُّ الْمَعَانِي عُلُومَهَا لِي تَجْلَى
قَرَأْتُ شَيْئًا كَثِيرًا نَقْلًا صَحِيحًا وَعَقْلًا
وَمَا قَرَأْتُ قَطُّ إِلَّا كَبْرًا وَجُبْنًا وَبُخْلًا^(٢)

ادعاء النسب والوجاهة:

تفتت في المجتمع المدني في تلك الفترة ظاهرة الانتساب لبعض الأسر المعينة؛ طمعاً في الوجاهة، أو رغبة في الظهور فهذا السيد (البيتي) يشير إلى بعض الشخصيات التي سلكت ذلك المسلك السلبي:

لَا لَا يَخْدَعُنْكَ مَعْشَرٌ طَلَبُوا الْعِلْمَ وَتَنْصَرُوا
وَتَقَدَّمُوا وَتَفَخَرُوا وَتَعَزَّزُوا وَتَكَبَّرُوا

(١) نفسه ورقة ٧١.

(٢) نفسه ورقة ٥٥.

أبناء قيلة يدعو ن وهم أقل وأحقر
ليسوا بأنصار النبي لكنهم ينتصروا^(١)

انتشار الغيبة :

مما شارك الشعر (الشعبي) في نقده والسخرية منه بوصفه جزءاً من دور الشاعر في الكشف عما يراه دخيلاً على عادات المجتمع وتقاليده، عدد من الصفات السيئة (كالغيبة) التي يحاول الشاعر أن يصور مساوئها برسم صورة قبيحة للمتصف بها:

قالوا فلان ناقد بدت سنه حتى غدت في الطول كالبرنخ
فقلت بعفو الله عنه فذا من طول ما ينهش لحم الأخ
فضلاً من الله وإلا فقد حق بأن ترضخ بالمرضخ^(٢)

ادعاء الشجاعة

يسخر شاعرنا من مدعي الشجاعة، فيصور مواقفه مع الناس على شكل قصصي بسيط:

وأحمت أقبل شاكي السلاح وقد حدق الناس في سخفه
فقلت أبو حية قرن ذا وفي الجبن فاق على وصفه
فنادوه يمسخه كلباً لنا فذاك أحسن من حتفه^(٣)

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

تنابز الناس بالألقاب :

وجّه شاعرنا السيد (البيتي) قصيدة طويلة إلى بعض فئات مجتمع الحجاز في تلك الحقبة يحذرهم فيها من الخروج على الأخلاق الإسلامية التي ترفض تعاليمها كل ما يمكن أن يدخل ضمن دائرة التنابز بالألقاب؛ والوقوع في الأعراض. والقصيدة توضح جرأة الشاعر في نقد ما يرى فيه مساساً بقواعد الدين، أو التقاليد العامة، التي يكون في الحفاظ عليها وحدة المجتمع، وفي التجرؤ على اجتيازها تسرب البغضاء والعداوة بين أفرادها، وبالتالي إضعاف قوته.

يقول شاعرنا موضحاً ذلك :

كم في الورى من خلة مذمومة
فتنابز الأنذال بالألقاب في الأعراض
بئس الفسوق الآثم عن إيمانهم
يا شر قوم بدلوا حسناتهم
يا أيها السادرون في ظلم العمى
رفقاً فكم حصد اللسان كبيرة
وإذا زعمتم بعض من هو مبتلٍ
فإذا يرخص لأنام بغيبة
قسها على هذا بقول مجمل
أوقع في الحضيض الأسفل
قد بدلوا فالويل للمستبدل
بالسيئات فراح محسنهم خلي
هبوا هنا نور الهدى المتهلل
تركته في قعر السعير المشعل
بسماعه ليسر ذاك المبتلي
إن كان ميناها كمبنى الأول^(١)

الظلم الاجتماعي :

إن وجود فئات مختلفة من الناس في بيئة صغيرة كالمدينة وتخضع، في الوقت، نفسه لنظام إداري تتوزع فيه المسؤوليات بحسب معايير دينية

أو سياسية أو اجتماعية معينة، يترتب عليه نشوء علاقات غير متكافئة بين الحاكم أو المسؤول وبقية أفراد المجتمع، الذين يرون في تصرفات بعض هؤلاء المسؤولين شططاً وظلماً.

وبين أيدينا قصيدة للسيد (البيتي) يعري فيها شخصية أحد القضاة بعد عزله من منصبه. ويتجاوز الشاعر أحياناً النقد إلى التجريح في بعض المسائل الشخصية الخاصة.

يقول في مقطع من هذه القصيدة:

نال مما جنته أيديه ضيراً
لم يزل مولعاً بجلد (..) .
وثوي في الجحيم والنيران
لم يزل بالقبيح عمداً يجازي
فاجر طال عمره في المخازي
فاق في الكيد والملاعن جنا
فعجيب إذا صارَ ينسب مئاً
ولكنه من الحيوان
وعن المحكمات من أقصاه
باع في الدين واشترى بهواه
فعدا في الأنام يشبه عيرا
ويله لا جزى من اللّه خيرا
عاش لا زال في حميم المرازي
فهو كالنعل في يد خراز
والمعاصي لطاعة الشيطان
فبعيش الحرام لم يتهنا
حاش لله ليس هذا من الناس
قل لمن جاء يبتغي معناه
اتركوه الخبيث شلت يده
وتعدى ظلماً علي هامان^(١)

الفصل الثالث

السِّمَةُ الاجتماعية في شعر
جعفر بن محمد البَيْتِي

المبحث الأول الموضوعات والظواهر الفنية في شعر جعفر البَيْتِي

تميّز مسارُ الشُّعر في العصر العثماني كُنْظيره المملوكي بتلك الفنون التقليدية من غزل ومديح وإخوانيات إلا أن هذه الفنون فقدت نتيجة لعوامل خاصة بالعصر نفسه جذتها وأصالتها، كما أن هيكل القصيدة في هذا العصر أصبح ينزع إلى تلك الشكلية الجامدة التي تهتم بفنون البديع المختلفة مما أفقد القصيدة انسيابيتها، وَحَد من قُدْرتها على التعبير عن المواقف التي يجب أن يلتقط الشاعر صورها من الحياة بكل صدق وعفوية .

إلا أن هناك استثناءات تشذ عن هذا المنحى العام الذي سار فيه الشعر في هذا العصر. ووجود هذه الاستثناءات يرجع إلى عوامل تتصل بالمبدع من حيث تمكّنه من الأداة الشعرية وقدرته على الانفعال بحوادث عصره بعيداً عن التقليد الزائف الذي كان يقع فيه الآخرون .

وهذه الدراسة تعرض لبعض هذه الاستثناءات الجديرة بالاهتمام لتفردّها، فنناقش الموضوعات الخاصة بتيار شعر النقد الاجتماعي في

المدينة في القرن الثاني عشر الهجري عند شاعر من أبرز شعراء ذلك العصر وهو (جعفر بن محمد البيتي)، كما تحاول تلمس الظواهر الفنية في إبداعاته الشعرية التي أوردنا شيئاً من نماذجها، ولعلّ هذا يهيئ الظروف أمام الدراسات النقدية المتخصصة لدراسة أدب هذه الحقبة بمقاييس أكثر دقة وموضوعية.

مقدمة:

تكتنف دراسة الإنتاج الأدبي، شعراً كان أو نثراً في الحقب المتأخرة بدءاً من القرن الحادي عشر وانتهاءً بالقرن الثالث عشر الهجريين، كثير من المصاعب المتمثلة في توزّعه بين المكتبات العامة والخاصة في صورة كمخطوطات. وقد تكون هذه المخطوطات التي تحمل لنا هذا الإنتاج تندرج تحت فنون أخرى مثل التاريخ أو سير الرجال، ولا شك في أن هذه المصاعب لها انعكاساتها في سير منحي الدراسات الخاصة بهذا الأدب، فنحن نلاحظ بطلاً في سير هذه الدرايات عند مقارنتها بالدراسات المتخصصة في حقب أخرى كالعصرين الأموي والعباسي مثلاً، أو الدراسات الموجهة للحقبة الأندلسية المتميزة بكثير من التنوع والثراء.

ولا تشذ الجزيرة العربية عن هذا المنحى الذي ينطبق على كثير من البلاد العربية فيما يتصل بندرة الدراسات الكاشفة عن فنون أدب العصرين المملوكي والعثماني، وإن كانت هذه الندرة لها استثناءات تجلّت في الوقفات على أدب العصور المتأخرة وتمكّنت من تحديد النقاط المضيئة فيه عن طريق ما طبّقت من مناهج علمية ومقاييس نقدية⁽¹⁾، إلا أن ذلك لا

(1) من هذه الدراسات المنهجية، على سبيل المثال لا الحصر دراسة الدكتور عائض الرادي: «الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري»، ودراسة الدكتور عبد الله الحامد: =

يمنع من بروز محاولات جديدة لاستكمال ما بدأه البعض وذلك عند توافر المادة العلمية التي يمكن من خلالها معرفة المسارات الشعرية السائدة في تلك العصور، ومدى تعبير تلك المسارات فكرياً واجتماعياً عن بيئتها الأصلية، كما أن تفاعل الأديب مع أحداث عصره يمكن أن يشكل باعثاً قوياً لدى أصحاب تلك المحاولات لمعرفة مدى صحة ما يطلقه بعض النقاد عن أدب العصور حيث تُوجَّه التهمة إليه بأنه لم يكن إلا صدى باهتاً للأدب العربي القديم^(١). يضاف إلى ذلك ما تركته صنعة البديع من آثار سيئة على فنون هذا الأدب. فلقد تحول البديع عند البعض إلى أشكال عقيمة تذهب بتلك الروعة التي تُدرکہا النفس عبر قول طبيعي وغير متكلف، ويقضي على تلك الدهشة التي تكون سبباً رئيساً في التعامل مع العمل الأدبي والتعاطف معه إن لم يكن التأثير به إيجابياً. فإشراقه الروح لا يمكن بلوغها عن طريق تمحل المعنى أو تعقيد اللفظ أو تكلف الرمز، وإنما تكون بانسيابية القول الشعري، وتعتبر هذه الانسيابية نتيجة من نتاج مصداقية الشاعر نفسه والمتمثلة في قدرته على التعبير عما يعتمل في نفسه

= «الشعر في الجزيرة العربية» خلال قرنين (١١٥٠ - ١٣٥٠هـ)، ودراسة الدكتور إبراهيم الفوزان «الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد»، ودراسة الدكتور عبد الله محمد أبو داهش «الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية، (١٢٠٠ - ١٣٥١هـ). ومما يذُخل في هذا المنحى أيضاً الجزء الذي خصصه المرحوم عبد الرحيم أبو بكر عن الشعر في العهد العثماني والتركي في دراسته المعروفة «الشعر الحديث في الحجاز».

(١) إن ما كتبه الدكتور شوقي ضيف في «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» ص ٥٠٩ - ٥١٠، وعمر كحالة في «الأدب العربي في الجاهلية والإسلام» ص ١٢٧، والدكتور جودت الركابي: في «الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار» ص ١٤٢ - ١٥٢، يمكن أن يكون نموذجاً للتعميم الذي وقعت فيه بعض الدراسات التي تناولت أدب هذه الحقبة، حيث إنها اكتفت بذكر الشواهد المتداولة عن هذا الأدب، ولم تحاول الاقتراب من النماذج الحية الأخرى التي يمكن أن تعطي نتائج معاكسة في هذا الصدد.

من أحاسيس ومشاعر، وكشفه عن الأسرار الدفينة التي تملك اللغة وحدها إبرازها وتجسيدها في صورة من صور الإبداع.

بيئة المدينة المنورة الشعرية :

كانت بيئة المدينة المنورة الثقافية معروفة منذ العصر الجاهلي بنزوعها نحو قول الشعر. فالحروب بين الأوس والخزرج خلّفت وراءها كما هائلاً من الشُّعر الذي يتحدّث عن أيام هاتين القبيلتين من قبائل العرب، كما أن عناية أهلها بالإنشاد أوجدت لديهم إحساساً عاماً بموسيقى الكلمة شعراً كان ذلك أو نثراً. فالإنشاد في حياتهم رديف للكلمة الشاعرة وهو أيضاً وسيلة من الوسائل التي أتقنها لمعرفة وقع هذه الكلمة في الأذن والنفس معاً. ولعلّ في قصة النابغة الذبياني عند قدومه إلى المدينة ومحاولة أهلها تنبيهه للإقواء في شِعْرِهِ ما يدل على الأثر الفعّال لهذه الوسيلة، وقد اختصر النابغة نفسه هذا الأثر بقوله: «قدمت الحجاز وفي شعري صنعة، ورحلتُ عنها وأنا أشعر الناس عنه»^(١) ثم جاء الإسلام وانتشرت الدعوة؛ فكان لشعراء المدينة مع إخوانهم من المهاجرين دور في تسخير الكلمة للدِّفاع عن الدين الجديد والدِّب عن نبيه - ﷺ - ومن هنا جاء تثنين الرسول - ﷺ - للإبداع الشعري والمتمثل في قوله لحسان بن ثابت - رضي الله عنه - «اهجم وروح القدس معك»^(٢).

كان الشعر في بيئة المدينة على مرّ العصور التي تَلَتْ العصرين

(١) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة: مطبعة المدني) ج ١، ٦٨.

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت، دار الجبل، ج ١، ص ٣٠).

الجاهلي و صدر الإسلام لا يخرج في أغراضه وأشكاله عن ذلك الشعر الذي تقوله العرب وتنشده في مُتتدياتها، وإن كان هو في هذه البيئة أقرب إلى الرقة منه إلى أي شيء آخر لمؤثرات تتصل ببيئة المدينة فهي بلد الهجرة، إليها يأتي الناس من جميع أصقاع الدنيا زائرين وربما استقر بعضهم بها فكان لهذا التمازج أثره في كل شيء ولا يمكن للشعر وهو جزء من التكوين الثقافي العام أن يشد عن هذا الأثر الحضاري أو يتأبى عن الانفعال بما يدور حوله من مكونات فكرية توجه المجتمع نحو غاياته وتحدد له أطره الخاصة به .

الشعر في المدينة في الحقبة العثمانية

عندما انحدر الوضع الثقافي في العالم العربي لعوامل ليس هنا مجال الحديث عنها، وضعفت مع هذا الانحدار الكلمة الشعرية، وبهتت صورتها، كان لبيئة المدينة نصيبها من هذا الانحدار، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور بعض الشعراء الذين سلم جزء من إنتاجهم الشعري ممّا اعتور الشعر عموماً من ضعف وهزال في معناه، وصنعة متكلفة في شكله . وحول هذا الجزء الذي لم يسر فيه ذلك الوهن ولم تصبه تلك العاهة تتمحور هذه الدراسة، وسوف نتحقق ما إذا كان هذا الشعر حقيقة ممثلاً لعصره، وناطقاً بأحداثه وارتفاعاً مع قضاياها، كما سوف نعرض للظواهر الفنية التي اتسمت بها القصيدة عند شعراء المدينة في حقبة القرن الثاني عشر الهجري . إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أننا اخترنا من شعر تلك الفترة ما يمكن أن تدخل سماته في دائرة محددة وهي دائرة الشعر الذي عني بنقد الظواهر السلبية في المجتمع في تلك الفترة ولا شك في أن ما تنطق به نصوص هذا الشعر من استبطان لبعض نوازع النفس الإنسانية،

ونقد لواقع أليم يعيشه الفرد في ذلك المجتمع، وإيراز لأخطاء قاتلة يقع فيها من وضعت الأمة فيهم ثقتها وحملتهم أمانتها، لا شك أن كل ذلك يدخل ضمن دائرة البواعث التي حملتنا على دراسة هذا اللون من الشعر وتخصيصه بالاهتمام دون غيره من إنتاج شعراء تلك الفترة، على أن ذلك لا يعني أن كل النماذج التي سوف نعرض لها بالدراسة هي على مستوى واحد من الأهمية من حيث المضمون، أو أنها تتجانس من حيث الصياغة الفنية التي تؤدي دوراً هاماً في إيصال ذلك المضمون وتبليغه، بل هي نماذج متفاوتة في أهمية ما تكشف عنه وتحاول مقاربتة، كما أن الأداة الشعرية والوسيلة الفنية لهذا الشعر تختلف عند الشاعر الواحد باختلاف المناسبة، كما أنها تختلف عند شعراء الحقبة الواحدة فلا يمكن أن يُحلّق الشعراء جميعاً في فضاء الشعر بمستويات واحدة بل إن بينهم قدراً معلوماً من التفاوت يُرَدُّ إلى ما يتفرّد به كل واحد منهم من استعداد فطري لقول الشعر وتجويده، كما أن للخلفية الثقافية والمنزع الفكري دورهما في هذا التفاوت الذي هو سنة من سنن هذا الكون وطبيعة متأصلة من طبائع هذه الحياة.

موضوعات شعر النقد الاجتماعي :

ندلف بداية إلى الشعر الذي يكشف عن طبيعة الوضع الأمني الذي كانت تعيشه المدينة خلال الحُقبَة العثمانية، وهو وضع لا يختلف عن الأوضاع في بقية أجزاء الجزيرة العربية، إلا أنه بحكم موقع الديار المقدسة في العالم الإسلامي وما يترتب على هذا الموقع من توافد المسلمين عليها، فإن القضية الأمنية تأخذ أبعاداً أخرى تجلّت في ذلك الاهتمام الذي أبداه الخلفاء والحكّام على مرّ العُصور الإسلامية من تعبيد لطرق الحج

وتأمين لسلامة الحاج، وتهيئة لأسباب الإقامة الكريمة في الديار المقدسة مما يعكس آثاراً إيجابية على نفس الزائر الذي يرغب في التمتع بالأجواء الروحانية لهذه البلاد المقدسة.

وقد يكون الشاعر المدني جعفر بن محمد البيتي (١١١٠ - ١١٨٢)^(١) أحسُّ بتلك الأبعاد، بل إنه يمكننا القول بأنه تَمَثَّلَ المشاعر الخاصة لزائري تلك الديار، وهي مشاعر تتأرجح بين الرغبة في رؤية أرض القداصات والاستمتاع بأجوائها الروحانية، وبين الخوف أو الحذر مما يمكن حدوثه من بعض الخارجين على النظام والرافضين للانتظام في دائرة السلوك الواعي والعمل الهادف.

لقد نظم البيتي قصائد عديدة مُنبهاً الدولة العثمانية إلى مخاطر الخروج على النظام ومساوئ انتفاء الأمن والطمأنينة من المجتمع، إلا أن القصيدة الأولى التي سوف نعرض لها من إنتاجه الشعري المخطوط، جاءت بعد تجربة أمنية مؤقتة كان رائدها أمير الحج الشامي (عبد الله باشا الجتجي)^(٢)

(١) جعفر بن محمد البيتي العلوي السقاف ولد في المدينة سنة ١١١٠هـ - وتوفي بها سنة ١١٨٢هـ، من أشهر شعراء الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري، ما زال ديوانه الشعري مخطوطاً، وتوجد منه نسخ في مكتبة عارف حكمت بالمدينة، ومكتبة المدينة العامة، وطوبقبو سراي باستانبول، ومكتبة المرحوم السيد عبيد عبد الله مدني، وبمكتبة المتحف العراقي ببغداد.

انظر ترجمته في «تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب «العبد الرحمن الأنصاري» تحقيق محمد العروسي المطوي، (تونس، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) ص ١٧، وفي هدية العارفين لاسماعيل البغدادي (استانبول ١٩٥١م، ج ١، ص ٢٥٦) وفي الشعر الحديث في الحجاز لعبد الرحيم أبو بكر (القاهرة ١٣٩٧هـ، ص ٦٩ - ٧٣).

(٢) عبد الله باشا بن إبراهيم الشهير بالجتجي الحسيني الجرمكي نسبة إلى جرمك من أعمال ديار بكر، ولد في بلدته المذكورة سنة ١١١٥هـ، وتولى منصب طرابلس سنة ١١٧٠هـ، ثم حلب سنة ١١٧٢هـ، ثم ديار بكر التي توفي بها سنة ١١٧٤هـ وفي أول سنة من إمرته استطاع =

الذي استطاع القضاء على قاطعي طرق الحج، وتأمين سير القوافل وذلك في سنة ١١٧١هـ.

- يقول البيتي في مطلع قصيدته^(١):

حرام عليها أمنها وانتظامها إذا نام راعيها، وغاب إمامها
حرام عليها برؤها وشفأؤها إذا كان من سبعين عاماً سقامها
يَعِزُّ علينا أن نروح ونقتدي نرى طيبة ما طاب منها مقامها
سنين تقضت دولة بعد دولة أنبها ما هب قط نيامها
أقول لهم هبوا لقد ضاع ملككم أرى نومة عبود ما ينامها
وكم ضاع في البيدا عقالٌ وأهملت رعايا الحمى دهرًا وجبَّ سنأمها
وما الدار دار للمناخ ولا الثوى إذا رعيت بأناتها^(٢) وثمامها^(٣)
أسفتُ وما يُجدي على تأسفي ولا بيدي بنيانها وانهدامها
خليفتها المسؤول عنها، وأنه إذا شاء نَصراً دِرْعُها وحسامها
وإن هدم البنيان أيدي بناته فلا راجع إلا عليها ملامها

واضح من الأبيات السابقة أن الشاعر ينتقد تخاذل دولة الخلافة العثمانية عن السيطرة على وضع البلاد ووضع حد لانتهاكات الفئة

= القضاء على قاطعي طرق الحج، وأفرد تلك الواقعة بالتأليف السيد جعفر البرزنجي، وسماه النفع الفرجي في الفتح الجتجي».

(١) ديوان السيد جعفر البيتي، مخطوطة المتحف العراقي، بغداد، رقم: ٦٣٢، ص ٢٢٠ - ٢٢٢.

(٢) «البان» ضرب من الشجر، سبط، القوام، لِين، ورقة كورق الصفصاف: انظر: «المعجم الوسيط» بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ١، ص ٧٧.

(٣) (الثمام) عشب من الفصيلة النجيلية يسمو إلى مائة وخمسين سنتيمتراً، فروعه مزدحمة متجمعة، والنورة سنبله مدلاة، المرجع السابق: ج ١، ص ١٠١.

الخارجة. وإذا كان الشاعر قد نظم قصيدته في الثلث الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، فهو يشير صراحة إلى أن هذه الحالة السيئة ليست أمراً طارئاً على المجتمع المدني، ولا أعتقد أن عبارة «سبعين عاماً» التي استخدمها الشاعر في البيت الثاني من مطلع قصيدته أراد بها تحديد فترة زمنية كانت بداية للوضع السييء، ولكنه تعبير يوحي باستفحال الأمر وينبئ عن شعور اليأس الذي كان يُسيطر على نفوس أفراد المجتمع. ومع أن الشاعر استبشر خيراً بمجيء القائد الذي يقضي على السلوكيات السلبية، إلا أن الأبيات التالية تشير إلى أن الشاعر لا يريد أن يذهب بعيداً في تفاؤله. فرمّن أداء فريضة الحج سوف ينقضي والقائد سوف يعود إلى بلاده. ويتزامن هذا الشك الذي يساور نفس الشاعر برغبة ملحة لديه في رؤية البلدة الطاهرة وقد استردت مكانتها، وسرت الحياة الآمنة في طرقها ونواحيها، فنجدته ينشد قائلاً:

ألا ربما آن الأوان لعزها وكان بعبد الله باشا اعتصامها
يزيل شكايها يداوي صداها يلم صدوعها عز منها التأمها
يعود لها العهد القديم، ويحتمي ويأمن منها حلها وحرامها
ألا من لعيني أن تنام قريرة ويهنأ لنفس شربها وطعامها
ألا من لدار المصطفى من يجيرها يغار لها من عبدها، من غلامها
متى تنزل الجرف^(١) الجيوش لنصرها يقاد «بعبد الله باشا» اعتصامها

(١) الجُرْفُ: بالضّم ثم السُّكون: موضع على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام، كانت به أموال لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولأهل المدينة.

محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المغانم المطابة في معالم طابة، (قسم المواضع، تحقيق حمد الجاسر ط١، الرياض، منشورات دار اليمامة، ١٣٨٩ - ١٩٦٩، ص ٨٨).

سهرت أنادييه الوحي^(١) لبليّة عظامها جلّت ورقّت عظامها

والشاعر بعد ذلك يعود إلى التاريخ العام ليستنطقه العبر من الحوادث التي مرت بها الأمم الأخرى، فيضرب مثلاً بقبيلة (جديس) المنقرضة، كما أن الذاكرة تحمله إلى التاريخ الخاص للمدينة، فموقعة (الحرّة) التي قتل فيها كثير من أهل المدينة في بداية الحكم الأموي^(٢) تمثّل رمزاً للظلم عند الشاعر الذي يسعى للربط بين التّاريخين الماضيين العام والخاص، وبين ما تتعرض له المدينة في تلك الحقبة التي عاشها الشاعر فيقول:

لأخت جديس في البلاد تمزقت جلابيبها عنها، وقُدَّ حِزامُها^(٣)
وشبت بها نيران حرب كثيرة بأيدي الأعادي فاستطار ضرامها
أصيبت بداء البطن والظهر كله وبات عليلاً خلفها وإمامها
أقامت كعير الحي والوتد الذي يقيم مضاماً ما يغاث مضامها
لها كل يوم مر حسرة واقم^(٤) وضرسها أعداؤها ولئامها

(١) (الوحي) يقال في الاستعجال: الوحي الوحي: البدار البدار (المعجم الوسيط) مرجع سابق، ج٢، ص ١٠٣٠.

(٢) جرت أحداث موقعة الحرّة سنة ٦٣هـ، وسببها هو خلع أهل المدينة ليزيد بن معاوية ومبايعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل، ويذكر المؤرخ الطبري أن مسلم بن عقبة المري الذي أمره يزيد على جيشه ليحارب به أهل المدينة قد «أباح المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال، فأفرغ ذلك من كان بها من الصحابة».

محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ط٢ القاهرة، دار المعارف، ج٢، ص ٤٨٢ - ٥٩٥.

(٣) ديوان السيد البيتي: ص ٢٢١.

(٤) سياق البيت يدل على أن كلمة «المزيريب» تدل على موقع معين نزل به هذا القائد، ولكنني أعتد في الكتب المعنية بتحديد المواضع على إشارة لهذا المكان أو تعريف به.

بل إن الشاعر يذهب بعيداً في نقده وشكاته، فهو يتساءل إذا ما كانت بلاد أخرى من غير ديار الإسلام تعاني ما تعانيه مدينته التي انطلق منها نور الإسلام. وهذا التساؤل يضع المسؤولين في الدولة العثمانية في تلك الحقبة في موضع لا يُحسدون عليه، لأنهم جعلوا من أنفسهم أئمةً للدين ورعاة للخلافة، ولعل ذلك التساؤل يقود الشاعر إلى قضية أكثر أهمية وهي أن ما تعرضت له المدينة من مخاطر، وهي ماخطر يعاني منها المقيم والزائر، تحقق للعدو من غير المسلمين رغبته في رؤية الإسلام وقد تمزقت دولته وتقاتل بنوه، وذلك بتخلي حكامه عن مسؤولياتهم، وهي إشارة ذكية من الشاعر (البيتي)، فالدولة العثمانية كان قد بدأ الضعف يتسرّب إلى كيائها القوي وتفقد هيبتها بين الأمم الأخرى حتى انتهى بها الحال إلى أن أطلق عليها اسم الرجل المريض:

ترى هل بدار الشرك والكفر مثلها ترى كابن سام في الممالك حامها
أظلت بنا يا للرجال شماتة من الملل الأخرى وحقّ ابتسامها
لقيناهم فيها بما يضمرونه وأصبح منها خسفها وانهضامها

ويرسم الشاعر صورة محزنة لتردّي الأوضاع في مدينته؛ ففقدان الأمن أدى إلى فساد البيئة وانتشار الفقر، مع أن المدينة معروفة بثراء مواردها الطبيعية وخاصة الزراعة منها. ويزيد الأمر سوءاً اختفاء القيادة الحكيمة في المجتمع، والتي لو وجدت فإنه - بلا شك - سيكون لها دورها في التقليل من بروز مثل هذه المفاسد، ومحاولة محاصرتها عند اكتشافها:

لقد أسغبت كل المراعي وأظمأت وصوّح منها شيخها وبشامها
سلام على الدنيا تنكر عرّفها مساكينها زادت، وقلّ كرامها
وما كان فيها صامت راح ناطقاً وأضحى خواص الناس فيها عوامها

ثم يتوجه الشاعر إلى أمير الحج الشامي، متشبثاً بإصلاح يأتي منه وهذا التشبث يدل على فُقدان الثقة بولاتها الذين كان لتغاضيبهم عمّا يَجْرِي واهتمامهم بأمر أنفسهم ما جعل الخراب يَحِلُّ بالديار التي كانت عامرة من قبل. كما لا ينسى الشاعر أن يُذكّر هذا القائد بما تُعاني منه طرق الحج من مخاطر، وفي أبيات الشاعر ما يشير إلى أن المشاعر المقدسة في مكة المكرمة شهدت هي الأخرى حوادث أليمة تسببت في إزهاق الأرواح وترويع الآمنين من سكان الحرم وزواره على حد سواء، ويتطلّع الشاعِرُ إلى عدم تكرار مثل هذه الحوادث المروعة ولا يكون ذلك من وجهة نظر الشاعر إلا بالأخذ على يد المُعتدي، وَعَدَم التّهاون مع الظالم أو مهادنته أو محاولة استرضائه كما كانت تفعل الدولة العثمانية - أحياناً - مع الخارجين على النظام فيقول:

عسى يأتي النّصرُ انتصاراً لطيبة على فئة ضلّت وزاد اتّسامها^(١)
إذا الجتجي حلّ «المزيريب»^(٢) مُقبلاً ترعرع بالأحقاف شام ويأمها
ألم تنظروا الأعداء طاشت عقولها وقد أجفلت أنعامها ونعامها
بهمتكم العلياء نرجو بأن نرى يحوق عليها بغيها واجترامها
بكيّ لدار المصطفى انحط قدرها وأهملها الراعي، وزال احترامها
تأمل دياراً بالمدينة نضفها خراب. يسوء المسلمين رمامها
فإن يك عمراناً فإنك أهلُهُ كما قد وعدناه وذا العامّ عامها
من الروم حتى تورد الخيل مكة ويلقاك من ربع الحجون سلامها
وتوغل في حثّ الجيوش مشرقاً وتضرب في جيحون منها خيامها

(١) ديوان السيد البيتي.

(٢) ديوان السيد البيتي.

وتفطم من ثدي الضلالة أمة عسير وقد شابت عليه انقطاعها
ويكفي من الإفرنج هدنة ساعة إلى أن يقضي للنفوس مرأها
طريق حجوج المسلمين حريةً بتمهيدها غيطانها وآكامها
وفي عامك الماضي بمكة عبْرَةٌ توَدَّرَ^(١) منها عهدُها وذمأمها
تكائر إزهاق النفوس بأرضها ودار على حول الحطيم حطامها
أصاب المنيا هؤلاء وهؤلاء وحجَّاجها ريعت، وفُلق هامها

وإن استطاع (البيتي) أن يُعبّر من خلال قصيدته السابقة عن أهم قضية تهمة كمواطن، وهي قضية الأمن، وأن يربط بين تردّي ذلك الوضع في بلد الرسول - ﷺ - وبين السياسة الخاطئة التي كانت تنتهجها الدولة العثمانية وهي سياسة تعتمد على إطلاق يد هذا الوالي الذي يأتي من خارج المدينة، ولا يتحدث العربية، وتحول عوامل عديدة بينه وبين التعامل مع هذا المجتمع بفاعلية واقتدار، وفي مقدمة تلك العوامل عدم إحاطته ببواعث الصراع بين الفئات المختلفة في المجتمع وافتقاره إلى أهم وسيلة تصله به، ونقص اللغة، فهو بحكم أصله التركي لا يتحدث العربية وإن تحدث بها فهو لا يجيدها، يضاف إلى ذلك أن بعضاً من هؤلاء الولاة كان ضعيف الشخصية، ولا شك في أن ذلك يؤدي إلى كثير من التسيّب، ويقود إلى ما عبر عنه الشاعر (البيتي) في قصيدة أخرى بالظلم^(٢):

(١) ودره: أوقعه في مهلكة، وتودّر مطاوع «ودره».

المعجم الوسيط «مرجع سابق» ج ٢، ص ١٠٣٢.

(٢) كانت السلطة العليا في المدينة خلال الحكم العثماني هي سلطة شيخ الحرم النبوي الشريف والتي ترتبط بها جميع السلطات الأخرى، ويشترط في شيخ الحرم أن يكون من العلماء الذين =

قفوا بالرسوم الدارسات فربما
قفوا نشتكي ما قد أصاب فإنه
على كل دعوى في الظلامة حجة
سلوا فلسان الحال من كل مسلم
سلوا عن حديث الابتلا من بلي به
سلوا كل دار بالمدينة ما الذي
سلوا عن الهتك الذي قد أصابها
سلوها عن الأعداء كيف تسنمت
وكيف ارتقوا المنائر وانتهوا

تحققتم منها وما نطق الرسم^(١)
عظيم، وإن الأمر حادثه ضخم
يصدقها التحريق والهدم والردم
أصيب ببلوى، عنده خبر جم
وأولى بنعت السقم من مسه السقم
لقينا، فعند الدار من أهلها علم
قريباً، فمن لقياه في وجهها وشم
ذراها، وكيف النهب والهتك والغنم
إلى غاية ينحط من دونه النجم

الظلم الذي تسبب في تلك الصورة المروعة التي رسمها الشاعر
لمدينته من اعتداء ونهب وسلب، هو الظلم الذي تسبب في العصور
الماضية في خراب البلدة الطاهرة. ولهذا فإن ذهن الشاعر يتخطى العصور
ويعود إلى الورا ليتذكر بعض الحوادث الشهيرة ومنها حادثه (الحرّة).
وهذا الرَبْطُ لَهُ أهميتهُ في تَقْرِيْبِ الحَدِثِ مِنْ نُفُوسِ الآخَرِيْنَ ومشاركتهم
الشاعر أحاسيسه وآلامه النابعة مِنْ حُبِّه لبلدته وحِرْصه على سلامة أهلها:
وكيف أعيدت وقعة الحرة التي إلى هذه الأخرى تضاف وتنضم
يزيدية ردت وحقك إنها لفاقرة أسبابها الجور والعشم

= اشتغلوا في القضاء وعمل في مشيخة الإسلام في استانبول وأن يكون تركياً.

علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط ٢، (جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر،
١٤٠٥) ص ٣٥.

(١) ديوان السيد البيتي، ص ٤٧.

الجور الذي لحق بالمجتمع في تلك الحقبة له أسبابه ودواعيه كما أن له مظاهره التي لا تخفى على المتبصر، فهناك عبث بأموال الأمة واستغلال لها في تفجير الصّراعات بين فئات المجتمع، ولعلّ وجود الوالي الغريب الشُّكل واللِّسان عن المجتمع، كما ذكرنا، وانضمامه إلى فئة من فئات المجتمع دون الفئات الأخرى هو الذي أضّرّ بوحدة هذا المجتمع وأدى إلى انهيار أواصره، وتعطيل أسباب الحياة فيه:

هم جمعوا الحرام، وأنفقوا على البغي ذاك المال، فاجتمع الإثم
وللّه كل الحمد إذا كان حسرة عليهم من الإنفاق أعقبها الغرم
ولم ير قدماً من يعين بماله على عرضه إلا الدنى أو القدم
أعانوا على السلطان أعداء ملكه وشقوا عصا الإسلام جهراً وما لموا

والشاعر يربط بين الوضع السيئ في المدينة وبين ذلك الوضع الذي آلت إليه الدولة العثمانية التي يفترض فيها أن تكون حامية للدين وراعية للحرمين الشريفين، وأن هذا التّخلي عن المَهْمَة الأساسية وهو رعاية الإسلام وأهله هو الذي حدا بالشاعر أن يطلق شكواه ويبثّ همومه التي هي جزءٌ من شكوى وهموم المجتمع الذي يعيش فيه، ولم يجد الشاعر مَنْ يبثّه هذه الشكوى من الناس، وفي هذا دلالة على تخاذل المسؤولين في الدولة العثمانية عن معالجة ذلك الوضع الأليم، لذلك لم يجد سوى الله الذي يلجأ إليه المضطر عند اشتداد الأزمات وحُلُول الكوارث.

إلى اللّهِ نشكو ما أصاب، وإنها أمور لها في الدين منذ صدرت ثلم^(١)

عسى في خبايا الدهر نصر معجل يرم به شعث الأنام ويلتم
عسى حق مقتول أصيب، ويتمت أرامله، حتى أضر بها اليتم
على رغم من يهوى الفساد ويبتغي العناد ولم يبرح إلى بدعة يسمو
عسى دعوة المظلوم حين دعا بها أجيبته، عسى جدت، عسى نفذ السهم
لعلّ العذارى المحصنات يراهم غيور على العورات، ذو نخوة شهم
على رافع هتك المحارم، دافع الظلّام عدل بالرعية يهتم
عسى نافذ الأحكام والأمر فيصل له نظر أعلا، وآراؤه حزم

والشاعر البيتي الذي وُفقَ في شِعْرِهِ أن ينقل لنا صورة عن المساويء
والمظالم التي انتشرت في المجتمع المدني والتي كان مصدر بعضها
الحكّام أو الوُلاة العثمانيين كما أن بعضاً من فئات المجتمع، وهي
الفئات الموالية للحاكم العثماني، تتحمل مسؤولية وجود جزء من تلك
المساويء، هو نفسه الصوت الذي يدعو إلى مقاومة ما حلّ بالمجتمع من
تفكك وما أصاب بنيته من خلل، وما اعترى أخلاق أهله من ضعف.
فنجده يحث على دَفْع الظلم ومواجهة الطغيان، والتخلُّص من كل ما
يعتري النفس من ضعف وتخاذل. والأبيات التي نظمها الشاعر في
حوادث وقعت بالمدينة سنة ١١٣٤هـ تدلنا على أنه لم يكتف بنقد الوضع
الذي تسببت في وجوده ظروف طارئة على المجتمع ولكنه عني أيضاً
ببعث روح المقاومة والتصدي لكل ما هو دخيل وطارئ على السلوكيات
والأخلاق، وذلك موقف إيجابي يحمد للشعر في تلك الحقبة ويدل على
مدى استشراف شعراء المدينة لأدوار تتخطى ما كان معروفاً ومتداولاً عند
بعض شعراء الحقبة نفسها.

يقول البيتي في قصيدته التي أبدعها وسنُّه لم تتجاوز الأربعة والعشرين ربيعاً^(١):

لا عاش من ترضى المذلة نفسه طوعاً، وعن شأو المفاخر يأتلي^(٢)
تعست حياة لا تشاب بعزة غبراء بين مهابة وتذلل
العز أجمل ما اقتناه أولو النهى والذل بالأحرار ليس بمجمل

ثم يُصوِّر طرفاً من القتال الذي دار بين سكان المدينة من جهة،
والوالي العثماني وأنصاره من جهة أخرى، وكيف أن روح التضامن التي
سرت في نفوس المقاتلين من هؤلاء السكان - وذلك لإيمانهم بالقضية التي
يحاربون في سبيلها - هذه الروح كانت عاملاً هاماً في الانتصار على
الطرف الآخر الذي لم يقدح حرمة لقسدية المدينة التي يبدو أنها تعرّضت
في القرن الثاني عشر الهجري لنكسة اجتماعية سيئة اختلط فيها الفساد
الإداري بالصراع الشخصي المتمثل في الرغبة في الاستئثار بالسلطة وحرمان
الفئات من نيل حقوقها المشروعة:

فتعاهدوا في الله أن يتناصروا في الدين، لا يخشون لوم العذل^(٣)
وحموا حماهم والديار من العدا بالبيض، والسمر اللدان الذبل
ولطالما قاسوا ليالي العسر من هول يذيب مرارة المتهول
يمسون في حفظ المناق كمنناً متختلين لأخذهم في الجندل

(١) جعفر بن حسين بن هاشم المدني، الأخبار الغريبة في ذكر ما وقَع بطيبة الحبيبية، «تحقيق: عاصم حمدان علي، الجزء الأول من رسالة الدكتوراه المقدمة لقسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر بالمملكة المتحدة، ١٤٠٦ - ١٩٨٦» ص ٤.

(٢) ديوان السيد البيتي، ص ٢٠٥.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٠٥.

يا ويل من قد أوقعته نفسه فيهم، فيصبح في الحديد مكبل
فهم الرجال وما سواهم نسوة لم يتركوا من زيهن سوى الحلى

بعد أن وصف الشاعر ما تحلّى به سكان البلدة الطاهرة من عزيمة
وثبات في تلك الواقعة، نجده يعرض في مقطع آخر من القصيدة نفسها
لوصف حال الفئة الأخرى التي تضم والي المدينة العثماني وأنصاره.
والشاعر لا يتورع أن يصف هذه الفئة بصفات تدل على ما كان يعتمل في
النفوس من رغبة في الثأر والانتقام. كما تدل على فقدان المجتمع المدني
في تلك الحقبة لروح التآلف والانسجام وسمات الإيثار ونكران الذات التي
عرف بها على مرّ العُصور:

فتشاور الفساق فيما بينهم أن ينقضوا ما أبرموه بمبطل^(١)
فجرت هنالك صيحة يرقى إلى أفق السماء عجعجها، بل يعتلي
وطغت عليهم بعد ذلك عصابة الـ أغوات مع أتباعهم والجهل
وأثوا إلى الحرم الشريف وأغلقوا الـ أبواب، واصطعدوا المنابر والعلی
ورموا على الناس الرصاص وما رعوا جاه النبي ولا الكتاب المنزل
فتبادرت لهم الرجال عوابساً من كل فحل بالثبات مسربل
فهناك فهناك صبت للمنون صواعق وتسعرت للموت نار القسطل
يوماً أشد من الحديد قساوة وأمر طعماً من مذاق الحنظل
تركوا النواصي شيباً فكأنها وقعات جساس بقوم مهلهل
نقبوا عليها كل دار عنوة واستخرجوهم منزلاً من منزل
وتداركوهم بالردى فتفجرت أحشاؤهم مثل انفجار الدممل

فتصاغرت أرواحهم مما رأوا وجرت دماؤهم كجري الجدول
وتحققوا الموت الزؤام وسلموا للأمر طوعاً خضعاً بتذلل

لكن الشاعر يعلم حتى وإن كان النصر قد تحقق في هذه الواقعة للغالبية من سكان المدينة والذين يرون أن الوالي وفئته قد ارتكبوا جرائم يستحقون، بسبب عدم تورّعهم عن ارتكابها، ما لقوه من عذاب وتككيل، إلا أنه يعلم أن جذور الفتنة لم تنقطع، وأن الصّراع قد يأخذ أشكالاً أخرى في المستقبل، لهذا نجده يلتفت إلى القائد الذي تحقّق على يديه النّصر لسكّان المدينة فيحدثه عما عانته المدينة وأنها يجب أن تكون في منأى عن الصّراع، ولكن أنّى بالطّمأنينة تحلّ في أرجائها، والوثام ينتظم سكانها، والدولة العثمانية في شغل عن ذلك كله بهمومها ومشكلاتها العديدة التي تواجهها في جميع أنحاء إمبراطوريتها الممتدة الأطراف:

إن المدينة حلّ فيها منكر يرتضى والجور فيها قد ملي^(١)
فلأنت أولى الناس حقاً غيرة فافعل إذا ما شئت أو لا تفعل
لو تسأل القبر الشريف غداتما رجفوه بالفعل الفظيع المُشكّل
لأجاب أنّ مُحَمّداً في طيّه متوجّع من فعلهم بتململ
حاشاً لمختلف الملائك أن يرى مأوى البغاة وكل وغدٍ مضلّل
اللّه أكبر إنها لمصيبةٌ تبدو لغير المبصر المتأمل
تالّه ما جعلَ المساجد معكفاً إلا لمثل القانت المتبتبل
أف لقلب مؤمن لا يمتلي غضباً، وطرف جامد لا يهمل
فاصدع فما تأخذك لومة لائم في اللّه بالحق المبين المنجلي
ترثين إذا أتوا بتحليللا يرتضي، لا فلأنت تعرف علة المتحيلل

الظواهر الفنية في شعر النقد الاجتماعي :

أول ما يلفت انتباهنا عند دراسة بعض الجوانب الفنية لتيار شعر النقد الاجتماعي في حقبة القرن الثاني عشر الهجري في المدينة، هو الصدق الفني في التجارب الشعرية التي أوردناها كنموذج لهذا التيار، فالشاعر يعيش التجربة بكل أبعادها، ويتفاعل مع جميع عناصرها ولهذا يجيء تعبيره عنها تعبيراً شعرياً مكثفاً، فالشاعر مثلاً في القصيدة الأولى نجده ينأى عن المباشرة في تناول الموضوعات ويستخدم عوضاً عن ذلك الإيحاء أو اللامباشرة. فنجده يرمز إلى المكان وهو (المدينة) بضمير المؤنث، ومعلوم ما يمكن أن يثيره هذا الضمير في نفس القارئ من تعاطف مع البلدة التي يصورها في شعره ضحية بين الراعي والمعتدين فنجده يقول:

حرام عليها أمنها وانتظامها إذا نام راعيها وغاب إمامها
حرام عليها برؤها وشفؤها إذا كان من سبعين عاماً سقامها

فالشاعر اكتفى بالتلميح إلى السقم المزمن الذي حل بهذا الجسد، ونرى أن كلمة (سبعين) التي وردت في النص دون غيرها من الكلمات للدلالة على المدة الزمنية، هذه الكلمة تُعزِّد الصورة الشعرية المتمثلة في إضفاء الصفات الحسية على المكان وجعله جسداً يئنُّ تحت وطأة المرض، ويعاني المزمين من الأسقام، وإننا لنجد هذه الوسيلة الفنية تمتد إلى مقاطع القصيدة الأخرى. فهو مثلاً عند الحديث عن الخطوات التي اتخذها أمير الحج (الشامي) في سبيل إعادة الأمن إلى طريق الحاج، نلاحظ أن الشاعر يوجز، في عبارة شعرية مكثفة، الوضع الذي آل إليه هذا المكان الطاهر بقوله:

يزيل شكاياها، يداوي صداها يلم صدوعاً عز منها التأمها

فكلمات من نوع (شكايًا) (صداع) (صدوع) تُشكّل صورة المعاناة القائمة، بينما كلمات مثل (يزيل، يداوي، يلم، التأم) تشكل صورة الوضع الذي يتطلّع إليه المكان ويحلم بتحقيقه الشاعر. والكلمة - بالتالي - عنده لا تخرُج عن المفهوم النقدي الذي يرى أنها «تسعى إلى إثارة صورة مجسمة تشبه ضوءاً صغيراً واهناً يثير أحياناً جوانب في ظلام اللاشعور فيمهد لنا السبيل إلى الأحلام، إن لم يكشف لنا عن حقائق راهنة»^(١).

بل إن الشاعر أمعن إمعاناً في تصوير ذلك الوضع السييء، حيث لجأ إلى تشبيه الوضع الذي آلت إليه البلدة بالعر (أي الحمار)، والوتد (الخشبنة التي تكون في مقدمة الهودج). وذلك في قوله:

أقامت كعير الحي والوتد الذي يقيم مضاماً، ما يغاث مضامها

ومعلوم أن الصورة المرتبطة دائماً بهذا الحيوان هو ذُّله وانصياعه لما يُراد منه، كما أن (الوتد) هو موضع الاتكاء للإنسان في الدابة^(٢)، وأخال الشاعر أراد أن يجمع في صورته بين الحمار والوتد فكلاهما يؤدي وظيفته دون اعتراض، وكلاهما يرتبط في الذهن البشري بمعاني الذل ومفاهيم التبعية وعدم القدرة على دفع الظلم أو المطالبة بالتخفيف من العناء الذي يحل بهما، كما أن في البيت نفسه تضميناً لبيت شعري معروف وهو:

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير القوم والوتد^(٣)

(١) عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، ط١، (الرياض، دار العلوم، ١٤٠٥ - ١٩٨٤) ص ٨٩.

(٢) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (بيروت، دار الجيل) مادة عير، ج٢، ص ١٠١.

(٣) ورد البيت من غير نسبة عند أبي هلال العسكري، في كتابه: جمهرة الأمثال: ط١، (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٤ - ١٩٦٤) ج١، ٤٦٨.

وهذا التّضمين الذي يدل على معرفة الشاعر العميقة بالتراث الشعري العربي واحد من الأساليب الفنية المتعددة التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته بناءً قوياً ومُحكماً في الوقت نفسه. وتدلل بعض الصور الشعرية عند الشاعر على قدرته على استخدام عناصر المكان والزمان استخداماً ملائماً يُعبّر عن خلاله عن التجربة الشعرية، التي تموج بها نفسه، وهي تجربة إذا اشتدت برز في ثنايا كلماتها الغضب الدفين، وكثيراً ما يكون هذا الغضب مصحوباً بشيء من التشاؤم مصدره معرفة الشاعر بماضي المدينة الزاهر في العصور الإسلامية، وحاضرها السيئ الذي آلت إليه في الحقبة العثمانية، وهو ما عبر عنه في الصورة الشعرية التالية بقوله:

لقد أسبغت كل المراعي وأظمأت
وصوح منها شيحها وبشامها

وفي ظني أن الشاعر أراد أن يُعبّر عن الآثار التي تركتها الفتن التي تعرّض لها المجتمع المدني ومن بينها (المجاعات) لأن الحَرْبَ من طبيعتها إيقاف حركة الحياة وهذا يؤدي إلى ما يُعرف بالكوارث الاقتصادية والاجتماعية. ولكن الشاعر نأى عن التعبير المباشر عن تلك الكوارث وكان التّعبير البديل عن فجاجة المباشرة، هو تصوير المجاعة والظّمأ في المراعي وما يترتّب على ذلك من يبس وجفاف للنباتات التي خص الشاعر بالذكر منها الشّيح والبشام (هما كثيراً ما يُنبّتان في جزيرة العرب) وما دام أن المراعي أقفرت والنباتات قد يبست فإن ذلك يعني انحباس القطر من السماء، والمَطْرُ في ذهن إنسان الجزيرة العربية يرتبط دوماً بالخصب والنماء، كما أن في نزوله دلالة على رحمة الله بالناس وتطهيراً لهم من ذنوبهم، وليس أدل على المعنى الأخير للمطر والنابع من مفهوم إيماني عميق، من دعاء الناس ربهم وطلبهم الاستغاثة منه، عندما ينحبس القطر عنهم.

وفي وقتنا عند هذه الصورة ذات الدلالة العميقة فيما آل إليه المجتمع المدني من كَرْبٍ وضيق، نجد أن اختيارَ الشاعر للألفاظ وصيغها يتناسب مع أبعاد الصورة المرسومة، فالأفعال: اسغبت، وأظمأت، وصوَّح، بتعديها أو تضعيف حُرُوفها تزيد من حِدَّة إحساسنا بمنظر المراعي التي جَفَّت يَنابِعُها، وتلاشت خضرتها. كما أن الارتباط الوثيق بين مفردات البيت يوجه انتباهنا إلى جوهر المشكلة التي تحتل مكاناً بارزاً في ذهن الشاعر سعياً للتعبير عنها، ولا بد من الإشارة إلى أن الإحساس العميق بمشكلة معينة له دوره في توجيه الشاعر إلى اختيار الوسائل الشعرية الملائمة لتجسيدها وتقريبها من الآخرين، وإن صدق الشاعر له أهميته في تحديد الشُّكْلِ الذي تكونُ عليه التَّجربة الشعريَّة، فالعلاقة وثيقة بين انفعال الشاعر بتجربته - وهو ما نعنيه بالصدِّق - وبين المستويات اللغوية التي يصوغ بها هذه التجربة وذلك من حيث الجِدَّة أو الابتذال، والقُوَّة أو الضعف. والقارئ مَيَّال بفطرتِه إلى التَّلْميح فيما يُقبَلُ على قراءته من تجارب شعرية وينفر من التَّعبير الواضح المبتذل منها^(١).

والشاعر البيتي يختار الوسيلة المجازية للتعبير عن القضايا التي يبدو أنه مؤمن بها ومنفعل بأحداثها، لذا نراه عند الحديث عن أعداء استتباب النظام في مدينته ودعوته أمير الحج أن يأخذ على أيديهم، نراه يرسم صورة تُجسِّدُ مدى تعوُّد هذه الفئة من المجتمع على الأخلاقيات السيئة، وأن اصطلاح هؤلاء القوم ليس بالأمر اليسير والقضية السهلة، وذلك لطول

(١) انظر في هذه القضية: رينيه ويليك، اوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب/ ط٣ بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (١٩٨٥) ص ٢١٧.

الزمن الذي قضوه في اتباع تلك الأساليب مع السلطة أو مع فئات المجتمع الأخرى - وهذه الفئات هي التي يتحدث الشاعر باسمها - وهذا الوضع يُجمله البيّتي في البيت التالي:

وتفطم من ثدي الضلالة أمة عسير وقد شابت عليها انقطاعها

لقد تشرّبت نفوسهم الضلال كما يتشرّب الوليد لبن مرضعته، ويبدو الشطر الثاني من البيت وكأنه نقيض للشطر الأول، وهنا تبرز مقدرة الشاعر على التعبير عن أبعاد المشكلة المزمّنة، فلقد تمكن من توضيح تاريخ هذه الفئة وممارساتها غير المسؤولة في عبارات موحية ومؤثّرة، إنه تحليقٌ شاعري من خلال اللّغة التي يملك الشّاعر ناصيتها وقادر على الإيحاء بدلالات عباراتها بعيداً عن المباشرة التي لا تملك القدرة على التأثير القوي النابع من لحظات التكثيف الشعري عند المبدع، وهي لحظات أقرب ما تكون إلى الإلهام الذي يمتح من المنابع الأولى للتّجربة الإنسانية والتي تكمن في أعماق الذات، وتنتظر لحظة انبثاقها وبروزها إلى عالم الوجود الشعري.

وإذا كنا قد وقفنا، في الأمثلة السابقة، على قدرة شاعر كالبيّتي على التفاعل مع قضايا مجتمعه، وأن هذا التفاعل قد أدى إلى بروز سمة الصّدق الفنيّ في إبداعاته الشعرية وما يتّصل بذلك من قدرة على سيطرة الشاعر على اللّغة الشعرية التي بدت بعيدة كل البعد عن الوقوع في المباشرة أو الوضوح الفج واتخاذها الصّورة وسيلةً لتجسيد لمحات من الواقع الذي عايشه الشّاعر في عصره، فإننا في قصائد أخرى نلاحظ تحقّق سمة فنية أخرى، وهي ممّا يُمكن أن يُضاف إلى مميّزات هذا التّوع من الشّعري الذي برز في المدينة خلال القرن الثاني عشر الهجري. وهذه السّمة

هي مَيْل الشاعر إلى الأسلوب السَّرْدِي، ونجد هذه السمة متمثلة في قصيدته التي نظمها بسبب فتنة سنة ١١٤٨هـ، والتي يقول فيها^(١):

سلوا فلسان الحال من كل مسلم أصيب ببلوى، عنده خبر جم
سلوا عن حديث الابتلا من بلي به وأولى بنعت السقم من مسه السقم
سلوا كل دار بالمدينة ما الذي لقينا، فعند الدار من أهلها علم
سلوها عن الهتك الذي قد أصابها قريباً فمن لقياه في وجهها وشم
سلوها عن الأعداء كيف تسنمت ذراها، وكيف النهب والهتك والغنم
وكيف ارتقوا فوق المنائر وانتهوا إلى غاية ينحط من دونها النجم
وكيف أعيدت وقعة الحرة التي إلى هذه الأخرى تضاف وتنضم

وإذا كانت الملحمة، كجنس أدبي، عند الأمم الأخرى قد عرفت السَّرْدَ وَسَيْلَةً فَنِيَّةً قبل أن يصبح سمةً من سماتِ الرِّوَايةِ والتي يعتبرها بعض النُّقاد «الحفيد الوليد للملحمة»^(٢) فإن القصائد الحماسية في الأدب العربي كقصائد الكُميت وأبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِي عرفت أيضاً هذا الأسلوب الفَنِّي^(٣)، وشاعرنا البيتي على معرفة ووعي كاملين بالتُّراثِ الشعري وخصوصاً بإبداعات المتنبّي الشعرية كما يبدو ذلك في كتابه (مواسم الأدب)^(٤) بل إن بَعْضاً من النُّقاد قد توقفوا عند أبيات له يظهر من خلالها تأثيره بهذا الشاعر

(١) ديوان السيد المتنبّي: ص ٤٧.

(٢) نظرية الأدب: ص ١٢٢.

(٣) زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة، (القاهرة - دار المعارف، ١٩٦١) ص ٨٣.

(٤) جعفر محمد البيتي، مواسم الأدب وآثار العجم والعرب، ط ١، (القاهرة مطبعة السعادة، ١٣٢٦) ج ١، ص ٢٢٢.

العربي المشهور. وأكثر ما يظهر هذا التأثير في قصائد المديح التي نظمها البيّتي في الإشادة ببعض الشخصيات المعروفة في عصره^(١)، على أنه لا بد أن يكون لشاعرنا البيّتي تميزه وخصوصيته عن الشعراء الذين نزعوا إلى هذا الأسلوب الفني - ونعني به السرد - في أشعارهم التي ضمّنوها وصفاً حياً لبعض الوقائع والأحداث الاجتماعية، فنحن - مثلاً - نجدّه يميل إلى تكرار كلمات يُقصدُ من ورائها التأثير على القارئ بالفعل (سلوا) يتكرر بصورة لافتة للنظر، ولا بد أن ما حلّ بالمدينة من «مأس» كان وراء تلك الرغبة الجامحة عند الشاعر في أن يبلغ صوته كلّ فردٍ مسلم، وهذا ما عناه بقوله: «فلسان الحال من كل مسلم» في البيت الأول من الأبيات السابقة، والشاعر أيضاً لا يريد منا أن نتوجه بالسؤال إلى من نتوقع منهم إجابة جاهزة، ولكنه يحثنا على أن نتوجّه به إلى المدينة نفسها: دورها، مساجدها، منائرهما. ولعلّ الحوادث التي تركت آثارها على المواضيع التي يشعر المسلم إزاءها بشعور خاص بمعنى الإيمان والحب، وبالتالي هي أكثر قدرةً في وضعها السييء على البوح لنا بما خلفته الأحداث وصنعتُه الفتن، فالشاعر الذي يعلم بتلك العلاقة الحميمة بين هذه المواضيع وبين كل ذات مسلمة قصد إلى استخدام تلك العلاقة في إيجاد شعور التعاطف إزاء قضايا مُجتمع المدينة وشكاة أهله. وهو من خلال حثه القارئ على طرح تساؤلاته على المكان واستنطاقه للمواضع إنما يصبغ على ذلك المكان وتلك المواضع شيئاً من سمات الإنسان نفسه، فالجماد تحول عند الشاعر إلى ذات تتصف بالقدرة على الوعي والإدراك وإلا فكيف نوجه

(١) عبد الرحيم أبو بكر، الشّعْر الحديث في الحجاز، (القاهرة - المطبعة السلفية، ١٣٩٧ -

أسئلتنا إلى من لا يملك القدرة على إقناعنا بما حَدَثَ، وتنويرنا بجوهر المشكلة القائمة؟!!

والأبيات نفسها التي استخدم الشاعر فيها هذه السّمة الفنية (السّرْدُ الوصفي) تُثبِت مَقْدرة الشاعر على إيصال خطابه عَبْر العُصورَ بعيداً عن الوسائل الفنية الأخرى التي كان شعراء الحقبة نفسها يحرصون على تَأطير قصائدهم بها، وهي وسائل يمكن وصفها بالشكّلية الجامدة التي تسلب من الشعر رواءه، وبساطته، وعندما أراد الشاعر أن يصور انتهاك الفئّة الخارجة على النظام لقدسّية المكان الذي يضمُّ جَسَدَ رسول الله - ﷺ - فإن الشاعر ارتقى بأداته الفنية إلى ذلك المدى الذي تجاوز فيه المعتدون كل عرف، فجعل نجوم السماء في موضع من يريد الثأر لذلك الفعل المشين، ومعلوم أن النجوم أوكلَ بها في بداية ظهور الرّسالة المحمدية رَجَم الشياطين الذين يتطلّعون إلى استراق السمع كما أورد ذلك القرآن الكريم حكاية منهم. وهذا يُعتبر في حد ذاته تَوْظيفاً حياً لمفهوم قرآني. وهذا التّوظيف هو واحدٌ من تلك الإجراءات الفنية التي تَحفَلُ بها قصائد (البيّتي)، فهو بحكم ثقافته الدينية يميل إلى تَضْمين قصائده بين الفينة والأخرى آيات من القرآن الكريم فهو، مثلاً، في مَعْرَض حديثه عن الفئّة المُعتدية القادمة من خارج المدينة، أراد أن يصور ذلك التآمر الذي تم بين المعتدين من خارج المدينة وبعض ضعاف النفوس من الفئات الموجودة داخل البلدة وما خلفه ذلك التآمر من آثار سلبية على المجتمع المدني، وهو ما أشار إليه في البيت الشعري التالي:

ولولا رجال يخربون بيوتهم بأيديهم، وما أخربوها ولا هموا
والمُتأثر بالآية الكريمة من سورة الحشر ﴿يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي

الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿١﴾ (الحشر: ٢)، والتي تحكى مع آياتٍ أخرى قصة إجلاء يهود بني النضير من المدينة وخروجهم إلى خيبر بعد أن نقضوا العهد الذي كان قائماً بينهم وبين الرسول ﷺ:

كما أن الشاعر كثيراً ما يلجأ إلى التاريخ ليقارن بين الحاضر والماضي خصوصاً إذا كان التاريخ الغابر قريباً في دلالته من الحاضر الذي يعيشه المجتمع ويشكل همّاً ذاتياً عند الشّاعر، ولهذا كثيراً ما ترد الإشارة إلى وقعة الحرّة التي حدثت في عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية (٣٦هـ) قُرب المدينة والتي قتل فيها عددٌ كبير من صحابة رسول الله - ﷺ - فنجدته مثلاً يلمح إلى هذه الواقعة التاريخية وذلك من خلال نعت الواقعة التي جرت في عصره باسم تلك الواقعة القديمة التي ارتبطت باسم الخليفة يزيد، فيقول:

يزيدية رُدَّتْ وحقُّك إنَّها لفاقرة أسبابها الجور والغشم

وهو إن ألمح في هذا البيت إلى الواقعة باسم المتسبب فيها، فإنه في بيت آخر يلمح إليها باسم المَوقع الذي جرت على أرضه المعركة (واقم) فيقول:

لها كل يوم مر حسرة واقم وضرسها أعداؤها ولئامها

وتجد أن الحس اللغوي تعبيراً عن الوضع قاده إلى استعمال كلمة (حسرة) بدلاً من (حرّة)، فهي أكثر تعبيراً عن الوضع الذي أراد الشاعر

(١) الحشر، الآية ٢.

عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار محمد علي الصابوني) ط ٨، (بيروت، دار القرآن الكريم ١٤٠٢ - ١٩٨١)، ج ٣، ٤٦٩ - ٤٧٠.

وَصَفَهُ وَنَقَدَهُ فِي آنَ، كَمَا أَنَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ تُحَدِّثَهُ كَلِمَةٌ مِثْلَ (حَسْرَةٌ) مِنْ شُعُورٍ بِالْأَسَى وَالْحُزْنَ لَدَى الْقَارِئِ هُوَ لَا يَخْرُجُ فِي حَقِيقَتِهِ عَنْ وَغْيِ الشَّاعِرِ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَشَكَّلَ عَنِ الْكَلِمَةِ فِي النَّصِّ الشَّعْرِيِّ مِنْ صُورٍ وَأَخِيلَةٍ وَهِيَ جَوْهَرُ الْعَمَلِ الْفَنِيِّ الْمُتَفَاعَلِ بِالْحَيَاةِ، وَهَذَا التَّفَاعُلُ يَعْدُ، مِنْ رُؤْيَاةِ النِّقْدِ الْحَدِيثِ، دَعَامَةَ التَّعْبِيرِ الْأَدْبِيِّ وَنَقَدَهُ عَلَيَّ حُدَّ سِوَاءِ^(١).

لَقَدْ وَجَدْنَا الشَّاعِرَ فِي آيَاتٍ سَابِقَةٍ يَحْسِنُ الْإِسْتِفَادَةَ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ، وَهِيَ اسْتِفَادَةٌ تَنْدَمِجُ فِي إِطَارِ الْعَمَلِ الشَّعْرِيِّ وَتَلْتَحِمُ بِكَيَانِهِ الْفَنِيِّ التَّحَامًا كَامِلًا، وَغَالِبًا مَا يَكُونُ هَدَفُهَا الْإِلْمَاحَ وَتَحْفِيزَ ذَهْنَ الْقَارِئِ وَتَحْرِيكَ خَيَالِهِ.

فَالْعَمَلُ الْأَدْبِيُّ، حَتَّى لَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّ مُبْدِعَهُ كَانَ يَعْمَلُ مِنْ خِلَالِهِ عَلَيَّ وَصْفٍ وَاقِعٍ مَعِينٍ أَوْ نَقَدِهِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَحْدِثَ الْمَتْعَةَ الْأَدْبِيَّةَ الْمُتَوَخَّاةَ فِي نَفْسِ الْقَارِئِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْمُتْعَةُ هِيَ أَقْرَبُ السَّبِيلِ إِلَى تَحْقِيقِ مَا يَصْبُو إِلَيْهِ صَاحِبُهُ مِنْ إِصْلَاحٍ. لَكِنِ التَّرْكِيزُ فِي الْعَمَلِ الْأَدْبِيِّ عَلَيَّ الْمَضْمُونِ وَحَدِّهِ وَإِغْفَالِ الْجَوَانِبِ الْفَنِيَّةِ الْهَامَةِ، يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ ذَلِكَ الْعَمَلُ فِي عِدَادِ الْأَعْمَالِ الْمَفْتَقِرَةِ إِلَى نَبْضِ الْحَيَاةِ وَمَتْعَةِ الْفَنِّ، فَيَمُوتُ مَعَ أَوَّلِ لِحْظَةٍ يَخْرُجُ فِيهَا إِلَى الْحَيَاةِ، وَتَبْقَى الْأَعْمَالُ الْأَدْبِيَّةُ الَّتِي تَعِيشُ فِي ذَاكِرَةِ الْأُمَّةِ هِيَ تِلْكَ الْأَعْمَالُ الَّتِي تَقُومُ عَلَيَّ الْمَعَانَاةِ فِي التَّجْرِبَةِ، وَتَرْتَكِزُ عَلَيَّ أَصُولِ رَاسِخَةٍ مِنَ الْفَنِيَّةِ الَّتِي لَا يَتَعَمَّدُهَا الْمُبْدِعُ وَإِنَّمَا هِيَ نِتَاجُ الذَّوْقِ وَالْحَسِّ الطَّبِيعِيِّينَ.

وَلَقَدْ كَانَ لِلْمَثَلِ الْعَرَبِيِّ حُضُورَهُ فِي قَصِيدَةِ الْبَيْتِيِّ، وَهَذَا الْحُضُورُ يُمَثَّلُ، مَعَ مَا سَبَقَ مِنْ تَضْمِينِ مَنَاسِبٍ لِلآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَاسْتِشْهَادِ لِمَاحٍ

(١) أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته، ط٢، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م، ص ١٣).

بالأحداث التاريخية، بعضاً من الظواهر الفنيّة التي أمكن رَصد بعضها في هذا التيّار الشعري الذي بدا أكثر بروزاً من غيره من شعراء المدينة في حقبة القرن الثاني عشر الهجري، وعلى وجه أخص عند الشاعر جعفر البيّتي الذي نجدهُ في إحدى قصائده يَصِفُ طرفاً من الوضع الاجتماعي السييء الذي كان نتيجة للحزب الدائرة بين بعض فئات المجتمع. ويطلب من الحاكم التّدخل في سبيل الحفاظ على وجود هذا المجتمع، وأن يكون هذا التّدخل حاسماً، فلم يجد الشاعر خيراً من الاستشهاد بالمثل العربي المعروف «بلغ السيلُ الزُّبي»^(١) كما نقرأ في البيت التالي:

خذ الأمر بالمعروف، واحكم بما ترى وشمر لحسم الداء ينفعنا الحسم

إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن كون الشاعر يتناول قضية تقوم على فتنة أو فتن تشارك فيها عناصر مختلفة، فهذا يقوده في بعض الأبيات إلى التورط في الثرية التي ترتبط بإقحام أسماء بعض الأشخاص والأماكن، لذا فالقصائد تأخذ صبغةً تاريخية تُفصّل الحوادث وأسباب وقوعها وسبل القضاء عليها واستنهاض همة الخليفة في التصدي لهذه الفتن، كما في البيت الذي يقول فيه:

إذا الجتجي حل (المزيريب) مقبلاً ترعرع بالأحقاف شام ويامها

وكذلك في البيت الآخر الذي وردت فيه كلمة إفرنج:

ويكفي مع الإفرنج هدنة ساعة إلى أن يقضي للنفوس مرامها

(١) يُضْرَبُ هذا المثل لما جَاوَزَ الحَدَّ.

انظر: أحمد بن محمد النيسابوري (الميداني)، مجمع المثل (بيروت - دار مكتبة الحياة،

كما أن هذا التناول لهذه الأحداث شعراً، جعل لغة بعض الأبيات تميل إلى التقريرية، وتتوازي مع النثرية، كما يبدو في البيت التالي:

متى تنزل الجرف الجيوش لنصرها يقاد «بعبد الله باشا» اعتصامها

ففي البيت السابق تبدو المحاولة واضحة في إقحام اسم «عبد الله باشا» في البيت بعد تحديد موقع نزول الجيش بالجرف، والجنوح إلى التقريرية أحياناً عند الشاعر البيتي يمكننا الوقوف عليه في قول الشاعر من قصيدته اللامية:

يا ويل من قد أوقعته نفسه فيهم فيصبح في الحديد مكبل

ففي البيت السابق تقريرية مدركة ونتيجة حتمية لمصير كل عدو حينما يقع في يد عدوه، والشعر ليس مجاله هذه التقريرية بل هو يكتفي بالتلميح والإشارة ويترك للقارئ مهمة إدراك أبعاد المعنى من خلال اللغة المكثفة بالصورة التي تعتبر من المقومات الأساسية للعمل الشعري ومن مميزات فنّ النثر القائم بذاته.

وليست التقريرية وحدها ما يمكن اعتباره من سلبيات القصيدة في القرن الثاني عشر الهجري وهو القرن الذي عاش فيه الشاعر البيتي وتأثر بمعطياته الثقافية والأدبية، بل هناك الحشو الذي يمكننا ملاحظته في بعض أبيات قصائد الشاعر ومنها لفظة (المسؤول) في قوله:

خليفتها المسؤول عنها، وأنه إذا شاء نصرأ درعها وحسامها

لفظة (المسؤول) كما ذكرنا حشو تغني عنه لفظة الخليفة لكنه أقحمها ليستجلب اهتمام الخليفة في التصدي للفتنة.

من خلال عرضنا لتلك الجوانب الأساسية في هذا الفن الشعري، الذي يمثل واحداً من فنون عديدة كان يحفل بها ميدان الشعر في المدينة المنورة، نجد أن هذا الفن قد حافظ على كثير من مُميّزات القصيدة العربية سواء كان ذلك في هيكلها الفني حيث نجدها تميل إلى البحور الشعرية الكاملة الأجزاء من مثل الطويل، والكامل، أو من حيث لغتها الفصيحة والجزلة التي لم تنزل إلى تلك اللغة المبتذلة والمتأثرة بالعامية والتي غلبت على بعض قصائد الحقبة العثمانية، وكذلك اعتمادها - أي القصيدة - وسائل فنية متمكّنة في الصياغة الشعرية مثل الصورة في مكوناتها القائمة على تجارب قريبة من فهم القارئ ولصيقة بنوازه وأحاسيسه والتي كانت عاملاً مهماً في الارتقاء بهذه الأعمال الشعرية عن مستويات المباشرة والإنابة الفجة وهو ما تقع فيه كثير من الأعمال التي تعرض لوصف الواقع الاجتماعي أو نقده، مما يتسبب في إخراجها من دائرة العمل الفني الخالص إلى دائرة النظم الجاف الذي لا تتفاعل معه القراءات الواعية. ولا شك أن لوعي شاعر مثل جعفر البيتي في تلك الحقبة بالتراث العربي وقربه من مصادره الأصيلة بحكم موقع المدينة الروحي والفكري، لا شك أن لهذا كله دوراً في انعكاس ظلال قوية من هذا التراث على الإبداعات الشعرية التي وصلت إلينا. فالآية القرآنية والحديث الشريف والحدث التاريخي والمثل العربي الأصيل تُشكّل عند الشاعر مخزوناً ثقافياً ثراً يتم استدعاؤه عند الحاجة. ولكننا نلاحظ أن هذا المخزون كان في خدمة الأهداف الفنية للقصيدة، ولو حَدَث العكس فإنه سوف يشكل عبئاً على تلك القصيدة ويديرها ضمن الأعمال الموسومة بالصنعة والتكلف والتي كثيراً ما تصادفنا عند قراءة أدب الحقبة العثمانية شعراً كان ذلك أو نثراً.

المبحث الثاني

جعفر البيتي والتجديد في القصيدة الشعرية (١)

يعتبر البيتي من أشهر شعراء عصره الذين عاشوا في القرن الثاني عشر الهجري. تولى مناصب حكومية انتهت بتوليته منصب (وزارة المدينة). ومعنى هذه الوظيفة تمثيل أمير مكة المكرمة في المدينة المنورة، وكان قبلها تولى كتابة أمير مكة في المدينة وكتابة ينبع. وقام برحلات إلى تركيا واليمن. احتفلت به كتب التراجم ونعته مؤلفوها نعوتاً ضافية، قال المرادي عنه [(سلك الدرر) ص. ص: ١٤١ - ١٤٢]. «برع في نظم الشعر حتى كاد أن يكون متنبي زمانه». وقال المؤرخ الجبرتي في كتابه (عجائب الآثار) ٣٣١، ١ - ٣٣٦: (أديب جزيرة العرب أديب الحجاز).

كما ترجم له بعض من معاصريه كالشيخ عمر بن عبد السلام الداغستاني في كتابه المخطوط تحفة الدهر ونفحة الزهو في أعيان المدينة من أهل العصر) وهناك نسخة من هذا المصدر النقدي الهام في جامعة كمبردج البريطانية انظر:

E.G. Browne, A Hand List, Of the Muhamadan, Manuscripts, preserved in, The University of cambridge, 1990, P38.

كما ترجم له عبد الرحمن الأنصاري في كتابه المطبوع (تحفة المحبين

والأصحاب بما للمدنيين من أنساب)، ط ١، تونس، تحقيق العروسي المطوي.

وفي القرن الثالث عشر الهجري ترجم له الشيخ البيطار صاحب كتاب (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) ج١، ص ٤٥٤، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦١م.

وللسيد جعفر كتاب مطبوع بعنوان (مواسم الأدب وآثار العجم والعرب) تجد فيه تراجم لبعض الشعراء وشيئاً من شعرهم وما قيل فيه كما يوجد فيه أحاديث عن التاريخ والجغرافيا، وذكر الممالك والأمم وقد نشر الكتاب لأول مرة في مصر في جزئين سنة ١٣٣٦هـ - ١٩٠٨م طبعة الخانجي.

بناء القصيدة عند الشاعر البيتي

من خلال قصائد الديوان

يفتح الشاعر قصيدته بالغزل، ويستطرد فيه. والمتعمق في إنتاج شعر تلك الحقبة (القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي)، يجد أن الغزل على هذه الطريقة يشغل حيزاً كبيراً من إنتاجهم. ويتطلع القليل منهم إلى أن يحذو حذو كبار الشعراء العباسيين. ويذكر الناقد عبد الرحيم أبو بكر - رحمه الله - أن البيتي كان معجباً بالشاعر الكبير المتنبي، ولهذا فهو يحاول تقليده في نهجه وفنه (انظر عبد الرحيم أبو بكر، الشعر الحديث في الحجاز، المدينة المنورة، ١٣٩٧ - ١٩٧٧م)، ويستشهد أبو بكر بالأبيات التالية للبيتي والتي تبرهن على هذا الإعجاب:

أشكو إليه لظى قلبي ويبسم لي واحرَّ قلباه مَمَّن قلبه شِبْمُ
لي فيك معرفة لقربي أمت بها إن المعارف في أهل النهى ذم

والشطر الثاني من البيت الأخير يستدعي في الذهن بيت المتنبي المشهور:

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة إن المعارف في أهل النهي ذمم

إلا أن الفن الشعري الذي برز فيه السيد البيتي هو ما أطلق عليه المرحوم الأديب المؤرخ السيد عبيد عبد الله مدني (الشعر الملحمي) (انظر بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، جدة ١٣٩٤هـ. ص ٧٢٣ - ٧٤٠)، ولقد ورد لفظ ملحمة في مطولة من مطولات الشاعر (البيتي) وجاءت اللفظة مقترنة باسم شاعر من أشهر شعراء العصر المملوكي وهو شمس الدين بن دانيال ٦٤٦ - ٧٦٠هـ والبيت الذي ورد عند الشاعر البيتي، كما يلي:

حوادث ما رآها دانيال لا قُضت ملامحه شيئاً يساويها

واحتواء البيت على اسم هذا الشاعر بعينه، فيه دلالة على مصادر الثقافة الشعرية لشعراء تلك الفترة ومدى تأثيرها في إنتاجهم الشعري.

إن البيتي كان واعياً بأنه يقوم بوصف حوادث ملحمية، وأن هذا الوصف كان نتيجة طبيعية لتفاعل الشاعر مع تلك الحوادث التي شهدها مجتمع المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري، أما ما أسمته المصادر الشعرية بالفتن، وهي تسمية لها دلالتها التاريخية إذا ما ربطنا بينها وبين الفتن التي شهدها المجتمع المدني في العصر الإسلامي الأول (انظر: المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ ط ١، ١٤١٢ - ١٩٩١، نادي المدينة الأدبي. ص ١٧)، وأشهر ملاحم الشاعر البيتي ثلاث: الأولى منها أبدعها الشاعر تحت تأثير أحداث فتنة ١١٣٤هـ - ١٧٢١م، وتتكوّن هذه الملحمة

من أربعة وستين بيتاً من بحر الكامل ويفتح الشاعر ملحمة هذه قائلاً:

المجد تحت ظلال سمر الذئيل وظبا القواضب والجياد القفل
الموريات العاديات ضوابعاً الصافنات الزافرات الجُفْل
والخوض في غمرات بطنان النوى يوم التصادم في القتام المسبل
وتواتر العزمات في طلب العلا والفوز في أقصى فيافي الهوجل
والفخر ما ترك الأعداي خشعاً رفل المحازم كالجياد العزل
بين القنا وورود أحواض الردى لقوا العلاقم من تراقي الحوصل
لا عاش من ترضى المذلة نفسه طوعاً وعن شأو المفاجر يأتل
تعست حياة لا تشاب بعزة غرباء بين مهابة وتذل
العز أجمل ما اقتناه أولو النهى والذل بالأحرار ليس بمجمل

الملحمة الثانية التي أبدعها البيتي تحت تأثير فنتة سنة ١١٤٨هـ -
١٧٣٥م، وتتكوّن من أربعة وستين بيتاً من بحر الطويل، وقد افتتحها
الشاعر قائلاً:

قفوا تنظروا آثار ما صنع الظلم وجوسوا خلال الديار تنبيكم الأكم
قفوا بالرسوم الدارسات فربما تحققتم منها وما نطق الرسم
قفوا نشتكى ما قد أصابه فإنه عظيم وأن الأمر حادثه ضخم
على كل دعوى في الظلامة حجة يصدقها التحريق والهدم والردم

ومنها أيضاً:

سلوا لسان الحال من كل مسلم أصيب ببلوى، عنده خبر جم
سلوا عن حديث الابتلا، ومن بلي به وأولى بنعت السقم من أصابه السقم
سلوا كل درب بالمدينة ما الذي لقينا فعند الدار من أهلها علم

سلوها عن الهتك الذي قد أصابها قريباً، فمن لقياه في وجهها وشم

الملحمة الثالثة التي أنشأها الشاعر تحت تأثير فتنة سنة ١١١٥هـ -

١٧٤٢م، تتكوّن من مائة وثلاثة وستين بيتاً من بحر البسيط ويقول

مطلعها:

بكي علي الدار لما غاب حاميتها وجر حكامها فيها أعاديها
بكي لمن هاجروا بالكره وارتحلوا عنها، وكانوا قديماً هاجروا فيها
واهاً لكربتها، وهاهاً لغربتها وهاهاً لجائعها، وهاهاً لعاريها
واهاً لحالي لما قمت أنشدها الدار أطبق إخراساً على فيها
وقفت فيها أعزيتها لكربتها أعجب على جلدي أني أعزيتها
فمن معين بأحزان يضاعفها علي؟ من لعيوني؟ من يواسيها

* * *

المبحث الثالث

جعفر البيتي والتجديد في القصيدة الشعرية (٢)

لقد تخلص شعراء المطوّلات في القرن الثاني عشر الهجري من المقدمات الغزلية التي ترتمي في أحضان ذكريات الأدب القديم، أو ترديد القديم، أو ترديد أسمائها وأعلامها، فهذا السيد جعفر البيتي أحد أعلام تلك الفترة يفتح إحدى ملاحظه قائلاً:

المجد تحت ظلال سمر الذُّبُلِ وظبا القواضب، والجياذ القفل
الموريات، العاديات، ضوابحاً الصافنات، الزافرات الجفل
والخوض في غمرات بطنان النوى يوم التصادم في القتام المسبل
وتواتر العزمات في طلب العلا والفوز في أقصى فيافي الهوجل
والفخر ما ترك الأعادي خشعاً رفل المحازم كالجياذ العزل
بين القنا وورود أحواض الردى لقوا العلاقم في تراقي الحوصل
لا عاش من ترضى المذلة نفسه طوعاً ومن شأو المفاجر يأتلي
تعست حياة لا تشاب بعزة غبراء بين مهابة وتذل
العز أجمل ما اقتناه أولو النهي والذل بالأحرار ليس بمجمل^(١)

(١) ديوان السيد جعفر البيتي، مخطوطة المكتبة العامة بالمدينة المنورة - القسم الخاص بمكتبة

إن من يقرأ هذا الاستهلال الشعري دون أن يعلم مسبقاً عن الفترة الزمنية التي ينتمي إليها هذا الشعر يكاد يجزم بأنه شعر يتوافر له من عناصر القوة المتمثلة في صدق الشعور، وجزالة العبارة، والبعد عن الزخارف اللفظية ما يسلكه ضمن المراحل القوية للشعر العربي، إنه ذلك الشعر الذي لا تكاد تصافح عينك مقاطعه حتى ترسم في مخيلتك ما يريد صاحبه التعبير عنه، فهذا الرُّوح الشعري الذي يسري في كلماته يعطيه سمة - الحركة - التي تعتبر العامل الأساسي في خلود الكلمة في عالم الشعر.

وللتدليل على ما ذكرناه من توافر هذا العنصر الهام في شعر السيد البيتي للتفاعل مع البيئة المحلية وما يتم على ساحتها من أحداث نورد جملة أبيات أخرى من هذه الملحمة نفسها:

فهنالك صبت للمنون صواعق
وتسعرت للموت نار القسطل
يوماً أشد من الحديد قساوة
وأمر طعماً من مذاق الحنظل
تركوا التواصي شيباً فكأنها
وقعات جَسَّاس يقوم مهلهل
نقبوا عليهم كل دار عنوة
واستخرجوهم منزلاً من منزل
وتداركوهم بالردى فتفجرت
أحشاؤهم مثل انفجار الدمل
فتصاغرت أرواحهم مما جرى
وجرت دماؤهم مجرى الجدول
وتحققوا الموت الزؤام وسلموا
لأمر طوعاً خضعاً بتذلل^(١)
لو تسأل القبر الشريف غداتما
رجفوه بالفعل العظيم المشكل
لأجاب أن محمداً في طيه
متوجع من فعلهم بتململ
حاشا لمختلف الملائك أن يرى
مأوى البغاة، وكل وغد مضلل
اللّه أكبر إنها لمصيبة
تبدو لغير المبصر المتأمل

تالله ما جعل المساجد معكفاً إلا لمثل القانت المتبتل
أف لقلب مؤمن لا يبتلي غصباً، وطرف جامد لا يهمل^(١)

إن بعض الباحثين الذين تعرضوا في بحوثهم لجهود السيد البيتي في الحفاظ على وجود الفن الشعري في بيئة المدينة ترفده في ذلك بعض الوسائل أو الوسائط فأصدروا أحكاماً شبه تعميمية له، لم تمتد أيديهم إلى هذه المطولات الشعرية فأصدروا أحكاماً شبه تعميمية لا تشمل كل إنتاج السيد البيتي، فالأستاذ الناقد عبد الرحيم أبو بكر - رحمه الله يعلق على قصيدة لشاعرنا يمدح فيها الشريف (مسعود) قائلاً ثم نجد الشاعر قد افتتح قصيدته بالغزل، واستطرد فيه وهذه طريقة في إنشاد الشعر لم يشذ فيها عن سيرة معاصريه^(٢).

لقد شذ شاعرنا عن هذه الطريقة في عدد من القصائد وفي أغراض مختلفة، فمن قصيدة يجسد - من خلالها - معاناته مع ظروف بيئة جديدة في مدينة (ينبع) التي انتقل إليها لفترة محدودة للعمل كنائب عن حاكم المدينة، فيستهلها قائلاً:

رأى البقّ من كُّلّ الجهات فراعاه فلا تنكروا إعراضه وامتناعه
ولا تسألوني كيف بت فإنني لقيت عذاباً لا أطيع دفاعه
نزلنا بمرسى ينبع البحر مرة على غير رأي ما علمنا طباعه

(١) انظر: الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة للسيد جعفر بن حسين بن يحيى هاشم الحسيني المدني، تحقيق: عاصم حمدان، علي، إشراف البروفيسور: كليفور ادموند بوزورث، ص ٨. : Manchester, 1986, Dept, Middle Eastern, Studies.

(٢) عبد الرحيم أبو بكر: الشعر الحديث في الحجاز، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، منشورات نادي المدينة الأدبي، ص ٧٣.

نقارع من جند البعوض كتائباً وفرسان ناموس عدمنا قراءه
فلو عاينت عيناك ميدان ركضه رأيت جريء القلب فيه شجاعه

فهذه إحدى تجاربه الشعرية من غير مطولاته في أحداث المدينة شذ
فيها عن القاعدة المتداولة في افتتاح القصيدة بالغزل المتكلف الذي تبارى
في حلبة ميدانه معظم شعراء تلك الفترة، على أن شاعرنا (البيتي) يقود
حملة موجهة ضد شعراء تلك الفترة لما انصرفوا إليه من أغراض معينة لا
يتجاوزونها ويشير إلى تجرد تجاربهم الشعرية من العاطفة الصادقة التي تنشأ
من الالتحام مع التجربة نفسها إن شاعرنا يتحسس عن طريق ثقافته الخاصة
وموهبته المتفردة ذلك الداء الذي استشرى في معظم الإنتاج الشعري لتلك
الفترة.

إن كلماته لتعكس مدى إدراكه لظروف العصر الثقافية، ليس في بيئة
المدينة وحدها، ولكن على نطاق عام يشمل البلاد العربية جميعها التي
تلتقي مع بيئته في مكونات ومؤثرات فكرية واحدة^(١).
يقول شاعرنا (البيتي) مُعرباً حقيقة أدباء تلك الفترة بوعي وإدراك
عميقين:

أدباء هذا الوقت بله في جلود الأذكىاء
يتعاضمون نفوسهم وهم أدق من الهباء
فعلقولهم فصل الخريف وشعرهم فصل الشتاء

(١) الأدب في المدينة المنورة في القرنين الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي أعلامه
موضوعاته الرئيسية، ظواهره الفنية، د. عاصم حمدان، مجلة كلية دار العلوم، العدد الثاني
والعشرون، شعبان ١٤١٨هـ - ديسمبر ١٩٩٧م.

جمع الركافة والبرودة في نسيب كالعواء
مرض المسامع والفؤاد كأنه زمن الوباء
تخشى على الممدوح يقضي منه، من برد الشتاء
يا غربة الآداب ضاعت بين أظهر هؤلاء^(١)

الفصل الرابع

شاعران من القرن الثالث عشر الهجري

المبحث الأول

السيد نور بن مصطفى عشقي

تابعت بكل إعجاب وتقدير ما خطه الدكتور الفاضل أنور بن ماجد عشقي على صفحات جريدة (المدينة) تحت مسمى يحمل دلالات عدة وهو (المدينة المنورة وأحداث القرن). وكانت له حلقة عن الشاعر محمد العمري - رحمه الله - المتوفى سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م، ولعل كاتبنا الكريم من تواضعه لم يتوقف عند جدّه الشاعر السيد أنور بن مصطفى بن عمر عشقي ١٢٤٦ - ١٣٣٦هـ أو صاحب النطاق الذهبي كما ذكر في ترجمته المرحوم الأستاذ محمد سعيد دفتردار^(١)، ولا تزال الذاكرة إلى اليوم تحتفظ بمقطوعته الشعرية التي سمعتها من الأستاذ الراوية، المؤذن، والحافظ لكتاب الله عبد الستار بخاري - رحمه الله - يُشدها بصوته الشجي الذي لم يتكرر بعد - وقد أخبرني صديقنا الكاتب المتألق السيد عبد الله بن عبد الرحمن جفري أن الأستاذ الكبير محمد حسين زيدان - رحمه الله - كان يطلب ممن اصطفاه من الساحة الأدبية - أعني أبا وجدي - مقطوعة العشقي الشعرية المشهورة التي تخفي من المعاني الروحية أكثر مما يتبادر

(١) من أعيان المدينة المنورة، السيد أنور بن مصطفى عشقي، صحيفة المدينة المنورة، ٢٠/٧/١٣٧٩هـ الحلقة (١).

إلى الذهن من ألفاظها وعباراتها الظاهرة، كما أن والد الجميع السيد ياسين طه - أدام الله بقاءه - يعرف الكثير عن والد الدكتور أنور، أستاذ المدينة المنورة ومربي الأجيال فيها السيد ماجد بن أنور عشقي، المولود بالمدينة سنة ١٣٠٠هـ. وقد شارك السيد ياسين في الحوار الذي دار قبل مدة على صفحات جريدة (البلاد) عن شاعرية السيد أنور، ولعلّه من الواجب أن ندون المقطوعة الشعرية للسيد أنور، والتي تقول أبياتها الرقيقة:

وفي الكأس من ماء الخُدود عصارةً هي الشَّمْسُ صائِوا في الكؤُوسِ لعبها
كأن الدَّراري رُصِّعتْ في مدارِها فنسَّقُ كالعقد الفريد حبابها
تناولها ذلك الرِّشاف أذارَها مُشعِشة شَبَّ المزاجُ شرابها
ومن عجبٍ ياقوته في زجاجة تنفِّس فيها عاشقٌ فأذابها
تخال كأنَّ البدرَ مازجَ شمسِها إذا حسرتُ عنْ وجنتيها نقابَها
وما كنتُ أدري قبلها أنَّ وجنة تراءت لظى والقلبُ يهوى اقترابها
ومُذْ كانَ فيها للهواةً منافع أباح الهوى للعاشقين شرابها

ومن شعر السيد (أنور عشقي) هذه القصيدة التي تُجسد الأخلاق الحميدة التي تنطوي عليها نفس الشاعر، من كرامة وعزة، وعدم قبول الضَّيم أو الرُّضا به:

أبث لي أن أقر الضَّيم نَفْسُ إذا ظَلِمْتُ تنفَّسُ عنْ جحيم
وإنَّ سالمَها أنست منها خلائق أكرمين على حليم
فإنَّ أبي، وقبل أبي جدودي كرام ينتمون إلى كريم
تغار كواكب الجوزاء منهم إذا وثبوا إلى أمر عظيم
يجازون العدى بالظلم ضعفاً ويحمون المجاور بالحميم
ويسقون العدى سماً زعافاً ونجادون في الزمن الذميم

وسباقون في طلب المعالي وقوامون في الليل البهيم
حذار، حذار من وثبات جأش يطوقكم وأقسم بالعظيم
فإني لا أرى والموت خير أقيم بمرتع الذل الوخيم

وذكر الأستاذ والمربي الفاضل المرحوم محمد سعيد دفتردار - رحمه الله - إنه «كان للسيد أنور نادٍ خاص أعده في ديوان بستانه المعروف قرب ثنية الوداع في سفح جبل سلع «بباب الشامي، ومن شدة عنايته به كان من أجمل متنزهات المدينة المنورة وأنضرها، ويجتمع إليه أصدقاؤه من الأدباء والأعيان، فساومه بعض الأثرياء على شرائه منه بمبلغ مغرٍ ولكن السيد أنور كان يعتز ببستانه فلم يقبل بيعه وقال هذين البيتين في هذا المعنى:

وروضة ما رضيتُ عنها بملك كسرى ولا قيصر
فكيف وهي المُنَى وعشقي بها، وزهرُ الرَّبيع أنور

ويعلّق الأستاذ (الدفتردار) على هذه الأبيات قائلاً، وفي البيتين تورية لطيفة في لقطتي «أنور وعشقي»^(١).

ويذكر المرحوم الدفتردار أنه سمع الأبيات المشهورة التي نظمها السيد أنور في حادثة محافظ المدينة الذي لم يرض بظلمه أهل المدينة وقاوموه. سمعها عن الشيخ زين بري، والد عثمان - رحمه الله - وأخيه بكر، فأمر السلطان عبد الحميد - آنذاك - بإبعاد أربعين رجلاً من المدينة إلى الطائف، وسُجنوا في قلعة (مدى) بها، ومكثوا في سجنهم ثمانية عشر شهراً، فأنشأ السيد (أنور) قصيدة شعرية يُعبر فيها عن الظلم الذي لحق بهم من الوالي

(١) من أعيان المدينة المنورة، صحيفة المدينة المنورة الحلقة (٢) التاريخ غير واضح وثقت معلومات عن أنور عشقي، وإبراهيم الأسكوبي عن طريق الشيخ جعفر فقيه رحمه الله.

العثماني، وشيخ الحرم من الأغوات .

نُساق للِسَّجْنِ لا جُرْمَ نُدَانِ بِهِ
كُنَّا نُطالِبُ بِالْعَدْلِ الَّذِي حُرِّمَتْ
أَيُّ الذُّنُوبِ اللَّوَاتِي تَسْتَحِقُّ بِهَا
ما ضَرَرْنَا غير قولِ الشَّامِتِينَ لَنَا
قَضَتْ عَلَيْنَا اللَّيَالِي وَهِيَ ظالِمَةٌ
قاضي تَهَوَّرَ فِي أَحْكامِهِ فَقَضَى
فكيف يقضي بما تُملي غباوتهُ
ما كَانَ بِالْحَكْمِ التُّرْضِي حُكومتَهُ
إلا تَلَفِيقَ زُورٍ مِنْ ذَوِي الْفِتَنِ
منهُ الْمَدِينَةُ، دَارُ الْعَدْلِ وَالْمِنَنِ
هذا الْعِقَابِ سِوَى الْأَعْرَاضِ وَالْإِحْنِ
ذُوقُوا جَزَاءَكُمْ فِي السَّجْنِ وَالْوَهْنِ
بُعْدًا عَنِ الْأَهْلِ وَالْإِخْوَانِ وَالْوَطَنِ
بما يُصَوِّرُهُ الْوَاشُونَ مِنْ دَرَنِ
ألا يُفَرِّقَ بَيْنَ الْخَمْرِ وَاللَّبَنِ
ولا على السَّرِّ وَالنَّجْوَى بِمُؤْتَمَنِ

وقد أطلق سراحهم السلطان عبد الحميد سنة ١٣٣٧هـ بعد تعرضه

لحادث، وهو خارج من قصره لصلاة الجمعة، والله أعلم .

المبحث الثاني الأسكوبي . . رائد الشعر السياسي في الجزيرة العربية

ولد إبراهيم بن حسن بن حسين بن رجب الأسكوبي (١١/١٢٦٤هـ - ١٣٣١هـ) في المدينة المنورة وعاش فيها، ثم انتقل إلى مكة المكرمة سنة ١٣١٩هـ، كما يذكر الأستاذ عبد السلام الساسي في (الموسوعة الأدبية ج١، حرف الألف)، وقد دعاه الساسي بشاعر يثرب وقد اعترض المرحوم الأستاذ عبد العزيز الربيع على هذه التسمية قائلاً: «ومن العجيب أن للمدينة ما يقرب المائة من الأسماء المذكورة في مظانها من الكتب ومع ذلك فإن مؤلف الموسوعة - غفر الله له - لم يجد إلا اسم يثرب ينسب إليه الأسكوبي. انظر (شوقيات وشوكيات، تأليف: عبد العزيز الربيع، البليهشي الربيع، إعداد وتقديم: محمد صالح البليهشي سلسلة كتب الربيع، ص ٣٦٣، نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤٢٠هـ).

الحياة العلمية :

درس الأسكوبي على عدد من علماء عصره مثل: الشيخ حبيب الرحمن الهندي، والشيخ عبد الجليل برّادة المتوفى سنة ١٣٢٧هـ -

١٩٠٩م. كما قام برحلات علمية إلى كل من نجد واليمن وتركيا ومصر، وعاصر أمير الشعراء أحمد شوقي، وخاطبه بقصيدة خاصة، كما امتدح سليمان البستاني لإلياذة^(١) الشاعر اليوناني هوميروس بقصيدة أخرى مما يدل على سعة اطلاع الشاعر وثقافته الأبية.

الإنتاج الشعري:

له ديوانٌ شعري قام بتحقيقه والتقديم له الدكتور محمد العيد الخطراوي، كما ألف مزدوجة وهي مُفَاخَرَةٌ بين (وابور البَحْر ووابور البر)، ويذكر الأستاذ عبد الرحيم أبو بكر في (الشعر الحديث في الحجاز، ط ١، ص ٩٧)، إنه أطلع على الديوان قَبْلَ تحقيقه ورأى برفقته ورقة كُتِبَ فيها: «ليس المكتوب في هذا الدَفتر كل ديوان الشيخ إبراهيم الأسكوبي، بل هو القِسْم الذي نظمه في مكة المكرمة بعدما هاجر إليها صُحْبَة الشريف عون الرَفِيق».

وقد اطلعت على النسخة الخطية التي اطلع عليها المرحوم الأستاذ عبد الرحيم أبو بكر في مكتبة السيد علي حافظ - رحمه الله - حوالي عام ١٤٠٠هـ، في مكتبته بجدة حيث انتقل للإقامة فيها.

ويرجعُ الأستاذ محمد سعيد العامودي بواعث إبداع الأسكوبي التي أنشأها في عام ١٣٣١هـ، والتي انتقد فيها الدولة العثمانية وتسببت في إبعاده عن المدينة إلى الأستانة للمحاكمة، «بأن العصر الذي عاش فيه الأسكوبي - وهذا ما لا ينكره أحد - عَصُر التراجع بالنسبة للدولة العثمانية»

(١) إلياذة هوميروس ملحمة يونانية تروي أخبار حرب طروادة، من روائع الشعر الملحمي العالمي.

وما أكثر ما كان الشعراء والكتّاب ينددون بسوء الأحوال آنذاك، لكن دون جدوى. وكان الأسكوبي، شاعر المدينة المنورة واحداً من أولئك الدعاة. والظاهر أن الأسكوبي كتب قصيدته أثناء الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب، وانهزام الجيش العثماني (انظر: من تاريخنا، محمد سعيد العامودي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ص ٢٢٥ - ٢٣٤).

يفتح الأسكوبي قصيدته التي تحدث عنها الزميل الدكتور عبد الله أبو داهش قائلاً: «تحتل هذه القصيدة مكانةً رفيعةً مهمّةً عند الأدباء والمؤرخين، والباحثين، وطلبة العلم، وذلك لأهميتها المعنوية والفنية، ولما أصاب صاحبه بسببها من المشقة».

يفتتحها من دون مقدمات ناصحاً ومحذراً من مغبة الاعتماد على الغرب ووعوده الكاذبة:

يا آل عثمان فالمغرور من غراً بأهل أوربة، أو عهدهم طراً
أتأمنون لموتورين، ديدنهم أن لا يروا منكم فوق الثرى حرا
تمالؤوا، فخذوا حذراً فإنهم يرون إبقاءكم بين الورى ضرا
فهذه دولة (الطليان) حين رأت أسطولكم ليس يغني فاجأت غدراً
وشقت البحر بالأسطول معجبة تختال تيهأ به مغرورة سكرى

ومن أبيات هذه القصيدة الهامة في تاريخ الشعر السياسي في جزيرة العرب.

دون الدنيئة إيثار المنية في قوم من البغض ودوا محوكم مkra
لا تحسبوا أنهم ناسون ما فعلت أسلافكم بهم في سالف مراً
أو يجهلون التواريخ التي سطرتم وهم جميعاً بما في كتبكم أقرأ
أو ما دروا ما الذي التنزيل أوجب من الجهاد، وهذه صفحة تُقرأ؟

أيقظتموهم بضرب الهام فانتبهوا مِنْ نَوْمِهِمْ وَرَقَدْتُمْ أَنْتُمْ الدَّهْرَا
فليتكم ما خطوتم نحوهم قَدَمًا وما أغرتم على أملاكهم شِبْرَا
نبهتموهم فشدوا عزمهم حنقًا كَأَنَّكُمْ قَدْ أَقْلْتُمْ مِنْهُمْ العَثْرَا
فجددوا عددًا للحرب فاتكةً بَرًّا وَبَحْرًا فَجَاسُوا البَّرَّ وَالبَحْرَا

هناك خلاف حول تاريخ وفاة الشاعر الأسكوبي فبعضهم مثل الأساتذة: عبد السلام الساسي، عبد الرحيم أبو بكر، عبد الله أبو داهش، يرى أن وفاته كانت في عام ١٣٣٢هـ بينما يميل الأستاذ محمد سعيد العامودي ومحقق ديوان الشاعر الدكتور محمد العيد الخطراوي إلى أن وفاته كانت في عام ١٣٣١هـ وهي السنة التي نظم فيها القصيدة مما جعل الأستاذ الأديب المرحوم محمد سعيد دفتر دار - وهو سبط الأسكوبي من جهة والدته - يرى أن ظروفًا غامضةً أحاطت بوفاة الشاعر الأسكوبي بعد عودته من الأستانة إثر المحاكمة. وقد ذكر الأستاذ عبد الرحيم أبو بكر أن الأستاذ الدفتر دار ذكر له هذه المعلومة في حديث شفوي خاص.

مصادر الدراسة:

- أعلام من أرض النُبوة: أنس يعقوب كتبي، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ج ٢، ص ١٩ - ٣٤.
- التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، عبد الله عبد الجبار «معهد الدراسات العربية العالية»، القاهرة، ١٩٥٩م.
- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكري شيخ أمين، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م.

- الشعر الحديث في الحجاز، عبد الرحيم أبو بكر، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، «منشورات نادي المدينة الأدبي».
- الشُّعْرُ في الجزيرة العربية خلال قرنين، ١١٥٠ - ١٣٥٠هـ، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
- صور وذكريات عن المدينة المنورة، السيد عثمان حافظ، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.
- المدينة المنورة في التاريخ: عبد السَّلام هاشم حافظ، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. «نادي المدينة المنورة الأدبي».
- من بواكير الشعر السياسي الحديث في جزيرة العرب، د. عبد الله محمد أبو داهش، دار العلم - جُدَّة، ط١، ١٣١٢هـ - ١٩٩١م.
- الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، د. عمر الطَّيب السَّاسي، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- الموسوعة الأدبية، عبد السلام طاهر السَّاسي، مكة المكرمة، ١٣٨٨هـ، ج١، حرف الألف.
- نماذج وألوان من تراث بعض أدبائنا وشعرائنا، أحمد إبراهيم السَّمان، تصحيح وتنقيح وضبط، محمد فائز حواصيلي، دار المعارف للطباعة، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

الدوريات:

- الشاعر العالم: «الشيخ إبراهيم الأسكوبي» عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، شهر رمضان وشهر شَوَّال، ١٣٦٨هـ.

الفصل الخامس

الدَّوْرُ الرَّائِدُ لِحَلَقَاتِ الْعِلْمِ
فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

حلقات العلم في الحرمين الشريفين قامت بدور كبير في إثراء الحركة الفكرية والأدبية في بلادنا. ولا يمكن لدارس أو ناقد يتصدى لتأريخ الأدب والشعر في الجزيرة العربية أن يفلح في دراسته دون أن يولي هذا الجانب أهمية قصوى؛ وهو ما يحتاج إلى دراسة متأنية توضح تلك الروابط التي قامت بين تلك الحلقات التي كانت قبل حوالي نصف قرن من الزمن تنتشر بين سواري المسجدين الشريفين؛ في مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ كما أدت حلقات الدرس الديني في بقية أرجاء بلادنا الدور نفسه.

كانت حلقة الشيخ محمد أبي الطيب الأنصاري، (والد الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري، (والد الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري)، أكبر الحلقات في المسجد النبوي الشريف، ولقد دفع الشيخ الأنصاري طلابه، آنذاك، لدراسة الأدب من خلال قراءة أهم مصادر الأدب العرب، كمؤلفات الجاحظ، وابن قتيبة، وابن عبد ربّه، والمبرّد والتّعالبي.

ولم يلبث الجيل الذي أخذ مقاعده في حلقة هذا العالم، أن بدأت مواهبه الأدبية والشعرية تتشكل في صور مشرقة من التأليف والإبداع. فتناقلت الأفواه أسماء: ضياء الدين رجب، وأحمد العربي، والسيد عبيد مدني والسيد أمين مدني، ومحمد علي الحركان، وأسعد طرابزونني الحسيني، وعبد القدوس الأنصاري الذي كان له صلة قرابة بالشيخ أبي

الطَّيِّب، وكانت استفادة عبد القدوس الأنصاري من شيخه ذات أوجه متعددة .

وهناك قصة رواها العالم الموسوعي الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، في المقدمة التي كتبها لمؤلف أبي بكر الزبيدي الإشبيلي التَّحوي، الموسوم بـ(الواضح)، والذي قام المرحوم الأنصاري بنشره مع عرض ونقد وتحليل عميق؛ وصدر عن نادي القصيم الأدبي ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، هذه المقدمة توضح الجوانب العلمية في حياة الأستاذ الأنصاري - رحمه الله .

يقول المرحوم العطار: «وذات مساء كان الأستاذ الأنصاري - وكانت هذه السطور، بندوة الأستاذ الكبير حسين عرب بداره بمكة المكرمة، حرسها الله، وبينما نحن نتحدث حضر العلامة الجليل السيد محمد المنتصر الكتاني؛ أحد أئمة المذهب المالكي في هذا العصر، وشغلنا الحديث عن تعريف الشيخ الأنصاري إلى السيد الكتاني، الذي شارك في الحديث، ثم ألقى مسألة فقهية، وأخذ يتحدث فيها من وجهة نظر المذهب المالكي . . . وعلّق الشيخ الأنصاري؛ فاقتحمته عينا السيد الكتاني، ولم يقدره قدره؛ إذ لم يكن يعرفه من قبل هذا الاجتماع» .

ويتابع العطار حديثه: فيقول: «وقلنا للشيخ الكتاني نُعرِّف إليه الشيخ الأنصاري؛ فنهض وحيّاه، وقال: ما كنت أعرف أن المتحدث العلامة الكبير الشيخ عبد القدوس الأنصاري في مبدأ الحديث؛ حتى إذا سار فيه شوطاً أدركت أنني بين يدي عالم بحر» .

وما دام الحديث سار بنا حتّى أتينا على ذكر الشيخ (الكتاني) فلا بد من الإشارة إلى أن الشيخ المذكور هو من مواليد المدينة المنورة؛ وكان بين الثمانينيات والتسعينيات الهجرية يلقي دروساً في الحديث النبوي في

رحاب الحرمين الشريفين . وكان لمدة يدرّس الثقافة الإسلامية في جامعة البترول بالظّهران سابقاً (جامعة الملك فهد للبترول والمعادن حالياً)، وأخرج الموسوعة الفقهية؛ التي صدرت عن مركز تحقيق التّراث بجامعة أمّ القرى بمكة المكرمة .

أما الحلقة العلمية الثانية فهي حلقة الشيخ صالح التّونسي؛ وهو والد المرحوم الفريق الطّيب التّونسي، وأخوته: المرّبّي المرحوم عبد الرحمن التّونسي، والفريق مكّي التّونسي. وفي ظلال هذه الحلقة نشأ السيدان علي وعثمان حافظ. وإذا كان للتأريخ أن يقول كلمته فإن تأسيس (صحيفة المدينة) سنة ١٣٥٦هـ، قد أثر في الحركة الفكرية والأدبية في المدينة بخاصة، والجزيرة العربية بعامة. فصفحاتها القديمة، التي يزيد عمرها على ستّين عاماً تحدّثنا عن فكر جيل الرّواد، ونتاجهم الأدبي والشعري، من أمثال محمد حسن عوّاد، أحمد عبد الغفور عطار، أحمد ياسين خياري، إبراهيم برّي، عمر برّي، أمين مدني، ضياء الدّين رجب، محمّد حسين زيدان، عبد القدّوس الأنصاري.

وعندما عزم المرحوم الأنصاري على إصدار مجلّته الأدبية (المنهل) تمّ طبع العدد الأول من هذه المجلة العريقة في مطبعة صحيفة (المدينة المنورة) التي كانت تسمى، آنذاك، مطبعة (طيبة الفيحاء)؛ ويكاد عمر هذه المجلة يقترب من عمر صحيفة المدينة التي قال عنها المرحوم السيّد عثمان حافظ، بعد تركه رئاسة تحريرها في التسعينيات الهجرية، «هذا، وفي الوقت الذي أودع فيه جريدة المدينة المنورة كموظّف رسمي فيها، فإنني لا أزال أعتبر نفسي جندياً من جنودها المخلصين».

إنه تواضع أهل العلم، وشمائل أهل المعرفة، فلقد قضى السيد عثمان

حافظ، رحمه الله، ما يزيد على أربعين عاماً في خدمة الحرف، والكلمة الطيبة، برفقة أخيه الأكبر السيد علي حافظ، الذي لم تشغله الصحافة عن اقتحام ميادين الفكر والأدب، فلقد نظم الشعر، وكتب المقالة، وترك خلفه كتاباً هاماً في تأريخ البلدة الطاهرة؛ هو (فصول من تأريخ المدينة المنورة).

وإذا كانت المدينة الصحيفة هي جزء من جهاد السادة (آل حافظ) في حقبة هامة من تاريخنا الثقافي والفكري والأدبي قبل أكثر من نصف قرن من الزمن، فإن مساهمتهم الكبرى في ميدان التعليم لا تقل عن الميادين الأخرى فمدرسة (الصّحراء) بالمسيجيد هي أثر باقٍ من آثار الأخوين الكريمين.

ومما يميّز جيل الرواد تلك الأخلاق الرفيعة التي فطروا عليها. فهذا السيد عثمان - رحمه الله - يشيد بجهود معالي الشيخ أحمد صلاح جمجوم في الارتقاء بالصحيفة بعد دخولها عهد المؤسّسات. فيقول، وفي قوله اعتراف لأهل الفضل بفضلهم، وإشادة بمآثر الرجال الكرام: «وقبل أن أترك القلم، أحبّ أن أشيد بجهود معالي مديرها العام - الشيخ أحمد صلاح جمجوم؛ الذي كان له الفضل في تأسيس هذه المطابع الحديثة للجريدة، وكان حزمه، وإقدامه، ونبيل أهدافه؛ الأساس الذي قام عليه مشروع مطابع المدينة».

ويضيف: «وأحمد جمجوم - فيما عرفته - نظيف القلب، والضّمير، واللّسان»، (انظر: صور وذكريات عن المدينة المنورة: تأليف السيد عثمان حافظ: نادي المدينة الأدبي، ط ١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص ٥٢، ٥٣).

نتقل إلى حلقة أخرى من حلقات العلم؛ التي كانت تقوم في المسجد

النبوي الشريف؛ وهي حلقة الشيخ عبد القادر شلبي؛ الذي كان يعمل معتمداً للتعليم بمنطقة المدينة المنورة لفترة من الزمن. وعن هذه الحلقة أخذ الأستاذ المرحوم محمد حسين زيدان علومه، وتلقى دروسه الشرعية والأدبية، ولقد عُرف الشيخ (الشلبي) باهتماماته التاريخية. فلقد أخبرني الأستاذ حسين علي شكري بأنه عثر في مكتبة المرحوم الشلبي، على مجموعة من الكتب عن المدينة المنورة؛ ومن بينها نسخة خطية من كتاب الشيخ أحمد بن عبد الحميد العباسي، المتوفى في القرن العاشر الهجري، وعليها تعليقات بخط الشيخ الشلبي نفسه. مما تحتفظ ذاكرتي له أن المرحوم السيد أسعد طرابزوني نشر هذا الكتاب بتعليقات كتبها الشيخ الشاعر عبد الجليل برّادة؛ المتوفى سنة ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م.

ولهذا فإن تأثير الشيخ الشلبي على تلميذه (الزيدان) يبدو واضحاً فيما كتبه الزيدان، سواء في (سيرة بطل) أو (ذكريات العهود الثلاثة) أو (خواطر مجنحة).

أما الأستاذ محمد عمر توفيق فقد تلقى علومه على يد الشيخ أمين الطرابلسي - رحمه الله - وليس كما ذكر الأستاذ عزيز ضياء أنه تلقى العلم عن الشيخ الأنصاري. وكان الشيخ الطرابلسي مبرزاً في علوم الرياضيات والفلك؛ وممن أخذ عن الشيخ الطرابلسي، أستاذنا الفاضل محمد حميدة، الذي كان أيضاً للشيخ عمر حمدان المحرسي، محدث الحرمين، أثره في مسيرته العلمية والفكرية.

ولا بد من العودة للشيخ الشلبي - رحمه الله - الذي احتضن في حياته الأستاذ أحمد عبيد المدني الذي أصدر في سنة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م، مجلة (الرياض) الشهرية والتي تحولت إلى مجلة شبه أسبوعية؛ وقد حفلت

بالصور فاعتبرت المجلة المصوّرة الأولى في البلاد، (انظر: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكرى شيخ أمين، ط ١٣، ١٩٨٤م، ص ١١٧). كما أصدر صحيفة باسم (صِيحَّة العرب).

كما احتضن الشيخ الشلبي - رحمه الله - من بين طلابه الشيخ صلاح الدين عبد الجوّاد، وغيرهم من أبناء المدينة الطاهرة، والذين ساهموا فيما بعد في النهضة الحضارية والفكرية بصورة واضحة ولمموسة.

أما الشيخ محمد علي التركي، الذي قدم إلى المدينة في العهد الهاشمي، ولكنه لم يدرّس إلا في العهد السعودي الزاهر؛ فإنه كان من العلماء؛ الذين وهبوا حياتهم للعلم، وابتعدوا عن كل ما يمكن اعتباره من مظاهر الدّنيا ومتاعها الفاني؛ ولقد أدركته في سني الطفولة وهو يدرّس في وسط الحرم النبوي الشريف؛ وكان قارئه هو الشيخ الحافظ محمد منصور عمر - أطال الله عمره.

أما الشيخ جعفر إبراهيم فقيه؛ الذي كان أخوه الأكبر مصطفى - رحمه الله - يشرف على كُتّاب من أشهر كتاتيب المدينة في الحقبة الماضية؛ فقد كان من جملة مشايخه: إبراهيم الطّرودي، عبد الفتاح أبو خضير، الشيخ حميدة الطيب، عبد الرؤوف عبد الباقي، عبد القادر شلبي، رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جنّاته.

ويقودنا الحديث إلى الأديب الشّاعر السيّد علي حسين عامر؛ أحد فحول الشعر في بلادنا في العصر الحديث. ولقد ارتبطت بعلاقة خاصّة مع هذا الرّجل في أخريات حياته؛ فهو من مواليد المدينة سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٠٩م، ودرس بالمدرسة التي كانت تقوم بحيّ (العنبريّة) وهي أشبه بالمدرسة الثانوية؛ وكانت هناك مدرسة أخرى، كما أخبرني رحمه الله تقوم

في حيّ باب المجيدي؛ وتحمل الاسم نفسه. وعندما سألت السيّد علي عن دراسته بالحرم النبوي الشريف، رد عليّ بالإيجاب، ولكنني نسيْتُ علي مَنْ تلقى العلم، وأخذ المعرفة.

إلاّ أنّ الأستاذ محمد حميدة، يميل إلى الشّيخ أبي الطيب الأنصاري حيث احتضنه كبقية أبناء جيله؛ وكان السيّد علي يجيد اللغة التركية؛ وعندما استفسرت منه؛ كيف أتقن الحديث بهذه اللغة أجاب بأنّ الحكومة العثمانية قامت بنفي عدد من رجالات المدينة حوالي عام ١٣٢٢هـ - إلى الشّام؛ حيث حقّق معهم الوالي رشاد باشا، وذكر لي أسماء هذه الشخصيات؛ التي أُجبرت على الخروج من المدينة - آنذاك - وهم: محمد حمودة، إبراهيم حمودة، يحيى دفتردار، محمود شويل، عمر كردي، السيد حيدر مشيخ، السيد عبد المحسن أسعد، السيد زين صافي، السيد علوي السقّاف، جدّ المرحوم عمر السقّاف، سعود دشيثة، حسونة البوسطي، والسيد حسين عامر؛ والد المذكور، وصدر الحكم بأن يذهب كل خمسة أشخاص في جهة من الجهات، فكانت (استانبول) المكان الذي فُرِضَ علي والده الذّهاب إليه، وهناك وهو في سنّ الطفولة، تعلّم اللغة التركيّة.

إلاّ أنّ ما أبدعه السيد علي من شعر عربي جزل، يبرهن على تمكّنه من اللغة العربية، وإجادته لفنون القول فيها إجادة تجعله من أبرز الشعراء الذين عرفتهم الجزيرة العربية في العصر الحديث. ولم يشغله ما تقلّده من مناصب إداريّة، مثل رئاسة ديوان الموظفين في عهد وزير المالية المرحوم الشيخ عبد الله السليمان، لم يشغله ذلك، كما ذكر لي، عن حفظ المعلّقات الشعرية، وعيون الشعر العربي في مختلف عصوره، ممّا جعل قاموسه الشعري يتّسع لكل المعاني التي أراد أن يضمّنها إبداعاته الشعرية الخالدة.

كان لحلقة الشيخ محمد الحافظ، الراوية والمؤرّخ المعروف - أمد الله في عمره - دور في جذب طلاب العلم، وشداة المعرفة، وكانت تربطه علاقة وثيقة بالمرحوم الأستاذ الكبير عبد العزيز الرفاعي، كما كان صهره الشيخ عبدالرحمن عثمان، الأستاذ بمدرسة دار العلوم الشرعية سابقاً وجهاً من وجوه الحركة الأدبية في المدينة؛ وكان يجيد اللغتين العربية والإنجليزية؛ ولقد ترك تراثاً شعرياً كبيراً لم يطبع منه سوى تخميسه لقصيدة البردة المشهورة، تخميس رائع لقصيدة الإمام أبي محمد عبد الله الشكري؛ ذات المطلع الذائع الصّيت:

دَارُ الْحَبِيبِ أَحَقُّ أَنْ تَهْوَاهَا وَتَحِنُّ مِنْ طَرَبٍ إِلَى ذِكْرَاهَا

(انظر: الفتوحات الطيبية في تخميس البردة، عبد الرحمن عثمان حسن، المكتب المصري الحديث، ١٩٧٦م).

وصلت إليّ قصيدة خطية كتبها ابن شاعرنا المذكور؛ وهو الدكتور أسامة عبد الرحمن عثمان، الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض، ومناسبة القصيدة هو أنّ الدكتور أسامة قدم إلى المدينة لزيارة والده؛ الذي كان يعاني من سقم في صحّته؛ فكتب قصيدة أرّخها بيوم ١٥/٨/١٣٩٨هـ، ويصف مطلعها مشاعر الابن الصادقة إزاء والده، كما تجسّد عمق العلاقة بين الأب وأبنائه، الذين علّمهم، فأحسن تعليمهم، وربّاهم فأحسن تربيتهم.

ولقد ورث الأبناء: أسامة، ونعيمان، وأنس، وزاهر وحسان حُبّ الأدب والشعر من والدهم، الذي كان في طليعة رواد الأدب والمعرفة في الديار المقدّسة.

يقول الدكتور أسامة في هذه القصيدة:

إلى أبي . . غداة أقعده المرض

بين جفنيك . . غبار النصب وعلى عينيك . . ظل الوصب
وعلى وجهك . . آيات البلى رسمتها فيه . . أيدي الحقب

* * *

كان في جفنيك . . برق وهجه يحسر الأبصار . . عند الغضبين
وبجنبيك . . فؤاد نبعه حين تحنو . . الغمام الصيّب
ويد . . في راحها . . قطر الندى وهي عند البطش . . مثل العيب

* * *

أنت . . ما أنت . . الذي نعرفه شامخاً . . في جده واللعب
كنت كالطود . . فأضحى هيكلأً واهي الخطو . . سريع التعب
ويمين . . حملتنا ما ونت لم تعد تحمل . . عود القصب
ولسان . . حبس الدهر به دفقات . . من عيون الأدب
أي دهر . . منك قد جردنا في حياة . . أسرفت في الكرب

* * *

ضرب النسيان . . سوراً بيننا وحجاباً . . فوق كل الحجب
جئت والأشواق . . تحدو مركبي في بحار . . طوحت بالمركب
وعلى الشاطئ . . لم ألمح يداً لامست في الأفق . . هام الشهب
تحضن البدر . . وتهدى نوره لجبيني . . مثل تاج الذهب
ولقاء يطرب . . الحب له في قلوب . . لم تهتم في الطرب

* * *

يالدهر.. لم أكن أعرفه
ليس للصالح.. فيه موضع
زرع الزيف.. فأمسى غرسه
ومضى.. يرفد من أوضاره
كنت بالأمس.. سراجاً نيراً
لم يكن قولك.. إلا طيباً
كنت في القرآن.. تحيا هديه
وإلى الرحمن.. تجتاز المدى
في وجوه الناس.. أو في الكتب
لا.. ولا فيه مكان.. لأبي
في قلوب الناس.. مثوى الريب
حمة الإفك.. ووحل الكذب
لم يذر في أفقه من غيهب
وكذاك الفعل.. فعل الطيب
وتبث الشوق.. شعراً للنبي
صادق الإيمان.. مذ أنت صبي

* * *

ذكرك النير.. في قلب الدجى
رفعت راياته.. أم القرى
فتمتع.. بالذي سطرته
وأطرح للدهر.. ما خلفه
ساطع في الأرض.. مثل الكوكب
وبه.. غنت.. روابي يثرب
سيرة.. تحتل أعلى الرتب
من قروح وجروح.. يا أبي

ولقد جمع الله لبعض العلماء بين الحسينين: التدريس في مكة
والمدينة، ومن هؤلاء الشيخ: عمر حمدان المحرسي (١٢٩٢هـ - ١٢٦٨هـ)
انظر: (إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان في أسانيد الشيخ عمر
حمدان) تأليف محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي، ص ٢،
١٤٠٦هـ)، ومنهم الشيخ الطيب بن الطاهر الساسي (١٣٦٠هـ - ١٣٧٨هـ)
الذي تلقى العلم في الفقه المالكي وأصوله، وعلوم اللغة العربية عن
والده، وعن الشيخ حمدان بن الوئيس، وظل بالمدينة حتى قيام الحرب
العالمية الأولى؛ فنزح مع أسرته إلى مكة، وهناك عُيّن مديراً للمدرسة

الراقية، ثم تسلّم إدارة وتحرير (صحيفة القبلة) بعد الشيخ محبّ الدين الخطيب؛ كما عيّن في العهد السعودي عضواً بمجلس الشورى، ومديراً لصحيفة (أمّ القرى)؛ وقد أكرمه الله بالذريّة الصالحة؛ التي كان منها أستاذنا الدكتور عمر بن الطيّب السّاسي، أستاذ الأدب المقارن، والأدب السعودي بجامعة الملك عبد العزيز (سابقاً) (انظر: سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة؛ تأليف عمر عبد الجبّار، ط ٢، ١٣٨٥، ص ٨١، ٨٥، وانظر كذلك: الموجز في تأريخ الأدب العربي السعودي، للدكتور عمر الطيّب السّاسي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

وقد أخبرني والدي - رحمه الله - أنّ أخاً للشيخ الطيّب يدعى الشيخ الميداني - من سكّان حارة الأغوات - كان رجلاً كريماً، وشجاعاً لا يقفل داره دون صاحب حاجة، أو طالب جاه، كما أخبرني - رحمه الله - أنّه نشأ مع الأستاذ عبد السلام السّاسي الأديب؛ الذي أوقف حياته على خدمة الأدب السعودي، وجمع التراث الشعري لكبار شعرائنا؛ من أمثال: حمزة شحاته، ومحمد حسن عوّاد، وأحمد قنديل؛ وكان من بدايات إنتاجه المتعدّد تأليفه كتاب (نفثات من أقلام الشّباب الحجازي)، بالاشتراك مع السيّد هاشم الزّواوي وعلي بن حسن فدعق. وصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٣٥٥هـ وأعيدت طباعته سنة ١٤٠٥هـ، شركة مكة للطباعة والنشر. ولقد أشرت عند حديثي عن الشيخ الطيّب السّاسي - رحمه الله - أنه تلقى العلم في حلقة الشيخ حمدان بن الوئيس. وكذلك جلس الأمير شكيب أرسلان في حلّفته وروى عنه الحديث النبوي المشهور في (حاضر العالم الإسلامي): «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم؛ كما تتداعى الأكلة على قصعتها؛ قالوا: أمن قلة يا رسول الله، فقال - ﷺ -:

لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، إنما يدرككم الوهن، أو كما قال - عليه السلام - .

كما اتصل العالم المفسر صاحب التفسير المشهور، جمال القاسمي بحلقات المسجد النبوي الشريف، وتوثقت العلاقة بينه وبين السيد أحمد البرزنجي (انظر: ذكريات العهود الثلاثة، محمد حسين زيدان ط ٢، ١٤١١ - ١٩٩٠ من ص ٣٧ - ٣٩).

ولقد قامت معركة علمية بين الشيخ البرزنجي والعالم النحوي المشهور الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي؛ ولعلها كانت الباعث على تأليف التركي كتابه، أو رحلته (الحماسة السنوية الكاملة في الرحلة العلمية الشنقيطية التركية) مصر، ١٣١٩هـ، وبسبب هذا الخلاف؛ الذي يبدو فيه التركي قد خرج فيه عن المألوف عن القول، غادر التركي المدينة إلى القاهرة؛ وكانت تربطه بأمين حسن الحلواني المدني الذي كان من علماء المسجد النبوي الشريف علاقة قوية؛ كما ارتبط الاثنان بعلاقة علمية مع المستشرق الهولندي (كارلو لاندبرج) انظر: (المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ط ٢، ١٤١٣هـ، ص ٤٧ - ٦٥).

من العلماء الذين أكرمهم الله بالتدريس في الحرمين الشريفين الشيخ محمد نور سيف بن هلال، والد كل من الدكتور أحمد محمد نور سيف وإبراهيم محمد نور سيف، فلقد أقام الشيخ محمد نور في المدينة في التسعينيات الهجرية، وقرأت عليه مع جملة من طلاب العلم عند خوذة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - كتاب (رياض الصالحين) للإمام النووي - رحمه الله - وكان الشيخ محمد نور، صاحب سمت علمي خاص؛ وكان حريصاً على التمسك بالسنّة النبويّة الشريفة؛ وكان يكرم طلابه ويعطف عليهم، وهو كزميله السيد محمد أمين كتبي من مدرسة الشيخ محمد

العربي التباني؛ وكان جميعهم يدرّس بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة، إضافة إلى تدريسهم بالحرم المكي الشريف.

ولا بد أن أشير إلى دور حلقات المشايخ: محمد الأمين الجكني المفسّر، ومحمد المختار الجكني المحدث، والشيخ عمار الجزائري - رحمهم الله - ودور حلقات المشايخ: عمر محمد جاد، وعطية مضاي الجهني - أطال الله بقاءهم - وكان من علماء المسجد الشيخ أحمد عبد الجواد، الذي كان محيطاً بعلم الحديث، وعلم المواريث، وعلم الرياضيات، وخلف مجموعة قيّمة من المؤلفات؛ يأتي في مقدّمتها: كتابه (الإسلام) بتقديم من شيخ الأزهر السابق: الشيخ عبد الحلیم محمود - رحمه الله - وقد تُرجم الكتاب إلى الإنجليزية والفرنسية.

ومن الحلقات: التي نسأل الله أن يجعل فيها الخير العميم والمنفعة الدائمة: حلقات المشايخ الأفاضل: معالي الدكتور صالح العبود، والدكتور عمر حسن عثمان، والشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي، والدكتور محمد المختار الشنقيطي، وغيرهم.

ولا بدّ من التّويه أيضاً بدور حلقة الشيخ المرحوم حسن الشاعر في تدريس القرآن الكريم، وقد قرأ عليه جملة من المشايخ، يأتي في مقدّمتهم، فضيلة إمام وخطيب الحرم النبوي الشريف الشيخ عبد العزيز بن صالح، والشيخ القارئ إبراهيم الأخضر القيّم. وقد أخبرني الشيخ عبد الملك بن محمد سعيد نعمان (الشاعر) أنه كانت هناك حلقة لتدريس الحديث في (الحصوة) بالمسجد النبوي الشريف، ولكنني لم أدرك هذه الحلقة؛ كما كان لحلقة الشيخ خليل الرحمن القارئ دور مهمّ ورائد في تدريس القرآن بالمسجد النبوي الشريف.

الفصل السادس

أعلام من المدينة المنورة

المبحث الأول

محمد حسين زيدان فارس الكلمة المُرْتَجلة . .

لن أنسى من أيام النشأة في البلد الطاهر، حيثُ المقام الذي تهفؤ إليه قلوبُ المحبين، وهناك مَرَقْدُ خَيْرٍ من وطأ الثرى وتحدثت بالكلام بليغاً وفصيحاً، القائل «أنا أفصح العرب بيدي من قريش» - عليه صلوات الله وسلامه - ، ولا أعلم أين يقرُّ ويهرب زميلنا الدكتور حمزة المزيني، من هذا الأثرِ الصَّحيح؟ وهو لا يفتأ يقلل من شأن اللغة التي نزل بها القرآن مدعيًا في جفوة غريبة أنها ليست الأفصح، ولكن اختلاف الرأي لا يفسدُ للود قضية كما قال صاحبُ اللغة المُمْتعة والرشيقة الدكتور طه حسين . نعم لن أنسى اليوم الذي همسَ فيه في أذني أستاذنا محمد حميدة - أطالَ اللهُ بقاءَهُ قائلاً: «هلاً قرأت (سيرة بطل) للأستاذ الزيدان (١٣٢٧هـ) - (١٤١٢هـ)» فإذا أنا أسلُكُ الدَرْبَ مِنْ باب (جبريل) إلى بَرِحَة باب السَّلام، حيث تقوم مكتبةُ الشَّيخ عبد المحسن - رحمه الله - وأخرج مما أدخرهُ من مصروفِ الدِّراسة، وأنطلق مُسرِعاً (للصُّفَة) في المسجد النبوي الشريف ولم يكن - يومها - يسألُك أحدٌ لماذا تقرأ كتاباً هنا؟

- قرأتُ (سيرة بطل). فإذا الأستاذ (الزيدان) يكتب عن مواقف مؤثرة لصحابة رسول الله - ﷺ - محبتهم لبعضهم البعض، أدبهم، تسامحهم،

إيثارهم الآخرين على أنفسهم. وكان الجرُّس في عبارات (الزَّيدان) رحمه الله قوياً، وهو جرُّسٌ شبيه بعبارات أديب العربية الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، أو (المهذار الأصم) كما كانوا ينعته. ولم تأخذني دهشة عندما أخبرني (الزيدان) في حياته أنه رثى صاحب (وحي القلم) و (تحت راية القرآن)، و (المساكين) و (الورد) بكلمة نشرها في صحيفة المدينة المنورة - التي تذكّر بدور الرائدین السیدین علي و عثمان حافظ - رحمهما الله فإذا (رسالة) أديب العربية الكبير أحمد حسن الزيات تنشرها نقلاً عن صحيفة البلدة الطيبة والتربة الزكية المباركة يقول (سيد الكلمة المرتجلة) كما نعته الأديب الدكتور (عبد الله مناع) عن (الرافعي)، ورجل الإيمان والفضيلة الرافعي، يكتب بإيمانه وعقيدته ليدافع عن إيمان الأمة، ويثبت إيمان الأمة وعقيدتها، فتسير بنور الإيمان ثابتة العقيدة طاهرة المبادئ، جريئة في الحق، صريحة في نبد الباطل، يفعل هذا لأن فيه طبيعة المسجد، وشيوخ المسجد، ولأن فيه أثراً من وراثته الأسرة المجيدة والبيت الرفيع انظر: (حماد السالمي، السعوديون في الرسالة، ص ٢٠٢ - ٢٠٥).

ويقول في موضع آخر من المقالة نفسها: «والآن هو ميت نُسمعه أنين الحزن، وبكاء المتألم، وطفق أحدنا يبكي ويقول: لكم العزاء في الرافعي، فقد حُرمننا، نحن، الناشئة أديباً كبيراً نتعلم منه البيان، والأدب العالي، والنبيل، والفضيلة».

لا بد أن الأستاذ الزيدان كتب هذه المقالة، وهو يستعيد ذكرياته بين حلقات العلم في جامعة مسجد رسول الله - ﷺ - هذه حلقة الرجل الذي تبناه وتبنى معه السيد أحمد عبید المدني، والشيخ صلاح الدين عبد الجواد - رحمهم الله جميعاً - إنه الشيخ عبد القادر الشلبي - رحمه الله -، أدركت

داره في حارة الأغوات، حيث كان يسكن ابنه سعيد - رحمه الله -، وحيث كان يقيم زين الشباب في منعطفات الحارة، وبالقرب من عينها الصافية، المرحوم أحمد شلبي، والصديق الأثير لبقية الناس في البلد الطيب الشيخ إسماعيل مصلوح.

حدثني - يا أبا أسعد - أين ذهبت حلقات (القشاع)؟ وكيف اختفت الأصوات الندية من منائر المسجد؟ أين حسين وعبد الستار بخاري، ومحمود نعمان، والسيد عبد الرزاق نجدي، والسيد هاشم غباشي. حدثني يا أبتاه - لماذا غابت البسمة عن الشفاه؟ والفرحة عن القلوب؟ والمشهد الجميل عن العيون؟ وأين القامات الرفيعة صاحبة الثياب (المنشأة)، والعمائم (الصفراء)، هناك يا أبتاه ضمتهم (الربوة) واحتضنتهم ذرات التراب الطاهر.

- لم يكن الشيخ (الشلبي) الوحيد الذي جلس إليه الأستاذ الزيدان، فلقد كان - رحمه الله - نهماً في العلم، يطلبه عند المشائخ: ألفا هاشم، ومحمد العائش، وأبي الطيب الأنصاري وغيرهم، ثم تحين اللحظة الحاسمة في حياة الأستاذ، هذا الشيخ حسن موسى - رحمه الله - صديق للشيخ محمد سرور الصبان، والشيخ عباس قطان، وكان أيضاً (العزوة) والمرجعية لأهل مكة الذين جاؤوا حباً في سيدي - رسول الله ﷺ - يلمح الذكاء ويدرك الفطنة في الشاب الطلعة، يأخذ بيده ليعمل عند رجل من كبار أهل سوق الليل، والشعب في مكة، الشيخ (حامد عبد المنان) - رحمه الله - وعرف الزيدان في مهبط الوحي ما عرفه في مؤئل الهجرة، فهذا هو النسابة في (الحجاز) حاضرة وبادية، ولقد كان ينشد الشعر الفصيح، فتعجب من ذاكرة رجل في الثمانين، وكأنه ابن العشرين ربيعاً،

ويحفظ بحكم نشأته في (حوش خميس) بالمدينة حيث مضارب البادية من قبيلة (حرب) العريقة وغيرها، فإذا هو يسأل الشيخ الراوية عبد الله بن خميس، عن أبيات رائعة تصور خلافاً دب بين مشائخ (الأحامدة) في الحقبة الماضية:

- تقول هذه الرواية النبطية الجميلة والمقروءة:

اللَّهُ من جرح لجي في الحشا ما احتمله لا هو اللي يبرا، ولا ودي يبين
من خوف يعمله دوا، من كل علة لا وين يا حلال عبور المستحين

- كان (الزيدان) يعلم أن القائل هو الشيخ (حذيفة) - رحمه الله - وأن من أجابه عن ألمه وحرقته - هو الشيخ ابن مطلق، والذي رفع صوته في (الفقرة) و (رحقان)، و (عرقوس) قائلاً ومجيباً على ابن أرومته:

إن كان جرحك في الحشا ما احتمله داوه بما داوى به جروح الأولين
«إطحله» المرمول ثم عله ضيم الرفاقة باح سد المستحين

- ولا أجد ما أختم به هذه الكلمة إلا عبارات أنقلها من كتاب تلميذه الوفي الذي بادر فنشر عنه سفرراً رائعاً وهو (الزيدان زوربا القرن العشرين) فكان الوفاء والنبيل والإخلاص من أبي وجدي عبد الله جفري لأستاذه ومعلمه أبي فيصل (الزيدان) - رحمه الله - .

يقول السيد الجفري: «حين توقف الزيدان عن إملاء كلماته فإنه لم يتوقف عن صياغة الكلمة، يقولها، ينثرها، يجيب بها عن أسئلة منهمرة عليه لا تتوقف عن استفتاء رأيه، ورجاحة حكمته، كان «جواهرجي» كلمة، لا يقدر أن يسكت، فإذا سكت كان كما عبر ييلور فكرة في رأسه حتى تضنيه، وينشغل بها حتى يسكبها مثل عقد من اللؤلؤ!»، ووجدته

يحن، وينسكب كقارورة (عطر)، وإذا به يصف (الليل) في (رمضان)، عندما كان فتى وشاباً، وينطق شجونه، بصوت أفراس الماضي ورائحة (الفاغية)، (زهرة الحنة)، والنمام، والفل، ومنظر الأطفال والفتيان، والرجال، وهم يسرون في الليل جماعات، كل فريق يذهب ليتحلق حول البيوت وينشدون الأغاني الجماعية» انظر: (عبد الله عبد الرحمن جفري، الزيدان زوربا القرن العشرين، الأعلام، سلسلة عكاظ، ص ٢٥).

- وإذا كنا لم نوف جيل الرواد حقه في حياته، فما أجدرنا - اليوم - شدة الأدب وناشئة الفكر أن نوفيهم حقهم. بالذكرى والتذكر هؤلاء الذين أناروا الدرب في زمن العتمة، ومهدوا الصعب من المسالك بنور العلم وضيء الفكر والأدب.

* * *

المبحث الثاني

علي وعثمان حافظ صحافة النقش على الحجر

كتب الإعلامي والصحافي العريق الأستاذ عبد الرحمن (الشبيلي) في صحيفة عكاظ الخميس، ١١ محرم ١٤١٩هـ، مقالاً بعنوان (المدينة المنورة الرائدة في الطباعة والصحافة)، تعرض فيه لتاريخ الطباعة والصحافة في البلد الطاهر منذ ما يقرب من تسعين عاماً، ثم خص صحيفة المدينة المنورة (١٣٥٥هـ) ومجلة المنهل ودورها في نشر الثقافة والفكر في بلادنا الكريمة بشيء من التفصيل، وختم مقالته داعياً مؤسسة المدينة الصحفية لملء ما أسماه بالفراغ الصحفي في المدينة المنورة بإصدار مطبوعة خاصة بالمدينة، أو طبعة خاصة بها من جريدة المدينة - نفسها - أو بما هو أكثر من ذلك مما يعيد إلى المدينة المنورة مجدها الصحفي، كما عاد إليها مجدها الحاضر.

ولا بدّ من إزجاء الشكر للدكتور الشبيلي على الكلمة الضافية التي تعبر عن حس وطني صادق، وشعور إنساني يعبر عن الرؤية الثقافية الواسعة التي يتمتع بها الدكتور الشبيلي الذي عمل في مجال الصحافة والإعلام لحقبة تقارب ربع قرن من الزمن. ولقد ضمنني مجلس كريم في منزل الشيخ عبد الرحيم عويضة - بالمدينة المنورة - مع صاحب السمو

الملكى الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز - أمير منطقة المدينة في ذلك الوقت والحفي بكل ما يسعى للارتقاء بشؤون أول عاصمة في تاريخ الإسلام والعروبة. وكان صدور طبعة خاصة عن المدينة البلد من المدينة الحليفة يشكل في ذهن سموه هدفاً سامياً، وأعلم أن إدارة مؤسسة المدينة وجهاز تحريرها الكريم حريصان كل الحرص على هذا المطلب الذي يصب في خدمة مناحي الثقافة والفكر والأدب في بلد المصطفى - ﷺ - حيث مثواه الطاهر، ومسجده الأغر، وآثار الإسلام العظيمة الخالدة.

يعود تاريخ الصحافة في المدينة، كما يذكر المرحوم السيد عثمان حافظ في كتابه (تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية)، إلى عام ١٣٢٨ - ١٩٠٩م حين أصدر الشيخ مأمون الأرنجاني جريدة المدينة المنورة.

ويذكر (محمد لبيب البتوني) الذي قام برحلة إلى الأراضي المقدسة بصحبة الخديوي عباس باشا التناني، في سنة ١٣٢٧هـ «أن في المدينة جريدة اسمها (المدينة المنورة) تصدر باللغة التركية والعربية على مطبعة «البالوزة» كلما كان هناك داع لصدورها، ومديرها حضرة الفاضل الشيخ محمد مأمون». وكان (البتوني) قد وصل إلى المدينة في يناير ١٩١٠هـ، وهو ما يوافق العام الهجري ١٣٢٨هـ انظر (الرحلة الحجازية، بقلم: محمد لبيب البتوني، ط ٢، ١٣٢٩هـ، ص ٢٥٥، الجمالية بمصر)

وينقل السيد (عثمان حافظ) عن كتاب (الصحافة العربية) لأديب مروة، أن إبراهيم خطاب من الأسرة التي ينتمي إليها عبد المجيد وكامل خطاب - رحمهم الله - والأستاذ الدكتور عزت خطاب، ومعه الشيخ أبو بكر داغستاني الذي كان أحد علماء المدينة وقضاتها قد أصدرها معاً صحيفة

(الرقيب) بالمدينة في يناير ١٩٠٩م، وهي جريدة خطية كانت تطبع على (الجلاليتين) وهي أول صحيفة ظهرت في المدينة المنورة. انظر: عن صحيفة الرقيب، كتاب السيد عثمان حافظ، (تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية)، شركة المدينة للطباعة والنشر - جدة، ص ٥٥.

- وفي نهاية العهد العثماني صدرت بالمدينة صحيفة (الحجاز)، وكان أول عدد صدر من هذه الصحيفة في ١٢/٩/١٣٣٤هـ، ٧/١٠/١٩١٦م، وكانت كما يشير السيد عثمان حافظ، تصدر ثلاث مرات في الأسبوع ثم خمس مرات في الأسبوع، ثم يومية بعد ذلك ما عدا يوم الجمعة.

- ويتعرض الأستاذ (محمد حسين زيدان) - رحمه الله - إلى هذه الصحيفة قائلاً: وأسس (فخري باشا) جريدة الحجاز، فقد وجد مطبعة الكلية الإسلامية التي جلبها صناع هذه الكلية - التي لم يتم بناؤها - شكيب أرسلان، وعبد العزيز جاويش، وعبد القادر مغربي، وكان يرأس تحريرها (السيد حمزة غوث) ويقوم على تحرير موادها «بدر الدين النعساني» وكان محمد العمري وعبد القادر شلبي ينشران فيها الهجوم والحملة على الشريف» انظر (ذكريات العهود الثلاثة)، محمد حسين زيدان، ط ٢، ١٤١١هـ - ص: ١٠٨ العدد ١٠٥.

- كما ذكر السيد عثمان حافظ في تأريخه للصحافة السعودية، أن آخر عدد صدر من (الحجاز) كان بتاريخ: ١ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ وكانت المدينة في هذا التاريخ قد أخليت من السكان ولم يبق بها إلا الجنود، لأن (فخري باشا) رحّل أهل المدينة إلى تركيا والشام ومن بقي منهم ذهب إلى مكة المكرمة فيما عرف في التاريخ باسم (سفر برلك)، وقد هدم فخري - كما أخبرني الوالد - رحمه الله - أسواق المدينة، وأوصل سكة

الحديد إلى قرب الحرم النبوي الشريف عن طريق (العينية)، وجعل من الحرم ثكنة عسكرية، ونقل ما في الحجرة الشريفة من مقتنيات ثمينة، وهي موجودة - اليوم - بمتحف (طوبقبو سراي) باستانبول. كما عمل على نقل مكتبة عارف حكمت إلى الشام وهو ما ذكره لي الشيخ جعفر بن إبراهيم فقيه - رحمه الله - في حياته. وأكد لي أخيراً السيد حبيب محمود أحمد - رعاه الله - الذي يرى أن العناية الإلهية أحاطت بمخطوطات هذه المكتبة من مياه نهر بردى كما أن الجنود لم يتعرضوا للمكتبة بأذى مدة حصار المدينة، وقد كانوا في حاجة إلى الحطب والورق للتدفئة حيث كان الحصار في فصل الشتاء، وهذا يعود للنية الطيبة التي انطلق منها الشيخ عارف حكمت في إنشاء هذه المكتبة.

- وفي الفصل الذي عقده الأستاذ (محمد سعيد العامودي)، في كتابه المعروف (من تاريخنا) يتعرض لنشأة مجلة (المنهل)، فيؤكد أنها صدرت في عام ١٣٥٥هـ وهي مجلة شهرية صدرت في هذه البلاد بعد المجلة الزراعية، انظر (من تاريخنا)، محمد سعيد العامودي، ط ٢، ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م، ص ١٩٥»، وصدر من هذه المجلة ثلاثة أعداد بالمدينة، أما العدد الرابع فقد صدر من مكة المكرمة حيث يذكر الأستاذ العامودي وهو صديق حميم للأستاذ (الأنصاري) أن (المنهل أصبحت تصدر في مكة المكرمة منذ عام ١٣٦٥هـ).

- ومن أهم الأعداد التي صدرت من هذه المجلة (الكتاب الفضي لمجلة المنهل) الذي صدر بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على صدورها، وكان صدور هذا العدد في عام ١٣٧٩هـ، والعدد الخاص بالأدباء، وتواصل المجلة مسيرتها المباركة برعاية الأستاذ الأديب نبيه عبد القدوس الأنصاري.

- أما صحيفة المدينة المنورة فقد أسسها في عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، السيدان الفاضلان علي حافظ (١٣٢٧ - ١٤٠٨هـ) وعثمان حافظ (١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) - رحمهما الله - ويذكر السيد عثمان أن يوم الأربعاء الموافق ٢٥ المحرم ١٣٥٦هـ الموافق ٨ إبريل ١٩٣٧م، كان اليوم الذي تم فيه صف مواد صحيفة (المدينة)، ورأس تحريرها بداية السيد الأديب والشاعر علي عبد القادر حافظ، أما منصب المدير العام فقد أسند إلى شقيقه السيد عثمان حافظ، وتشكلت هيئة التحرير من الأساتذة أمين عبد الله مدني، ضياء الدين رجب، محمد حسين زيدان، وفضل السيد علي حافظ علي أن يكون أحد أعضاء الهيئة رئيساً للتحرير فوق الاختيار على السيد أمين مدني، فكان أول رئيس لتحريرها «انظر: (تطور الصحافة في المملكة السعودية)، ج٢، قصة جريدة المدينة، شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٣٩٦ - ١٩٧٦م ص ١١٥». وتنازل السيد علي حافظ للسيد أمين يدل على ذلك الخلق الرفيع الذي كان يسود الساحة الثقافية والفكرية، كما يدل من جانب آخر على تواضع السيد علي حافظ وحسه الإنساني الرفيع.

- وإذا كانت الساحة الأدبية في بلادنا شهدت بعد ذلك بزوغ عدد من كتاب الكلمة الصادقة، والرأي الموضوعي - وفي مقدمتهم معالي الأستاذ محمد عمر توفيق - رحمه الله - فإن صحيفة المدينة كان لها دور كبير في ذلك، فيذكر السيد عثمان أن الأستاذ محمد حسن عواد كتب مقالة في العدد (١٠) من صحيفة المدينة، غرة ربيع الأول ١٣٥٦، وكان عنوان المقال (الأدب الكاسد) وانتقد العواد في هذا المقال استعمال بعض الأمثال العربية القديمة، فكتب الأستاذ «العواد»، ومع أن «السيد عثمان» اقترح على الفتى الناشئ - آنذاك - محمد عمر توفيق - أن يسحب المقال إلا أنه

رفض، فما كان من الصحيفة إلا أن تنشر المقال في العدد «١١» من الصحيفة عام ١٣٥٦هـ.

- وبالمقارنة بين تاريخ نشر مقال الأستاذ «العواد» - رحمه الله - وردّ الأستاذ محمد عمر توفيق عليه نجد أن الصحيفة بدأت أسبوعية.

- إلا أن الأستاذ «محمد حسين زيدان» يشير إلى أن محمد عمر توفيق بدأ كتاباته في صحيفة المدينة المنورة بتوقيع «راصد»، وأن الموضوع كان رداً على الأستاذ «العواد» حين كتب عن رسول الله، سيدنا محمد - ﷺ - فزعم أن قبره يحوي رفاتة، وقد أعجبني مقال محمد عمر ولم أكن رأيت الكاتب انظر: (محمد عمر توفيق، بلسانه ولسان الآخرين)، ط ١، ١٤١٧ - ١٩٩٧م ص ١٧٤.

- وهذه الرواية الثانية يؤكد لها ما رواه علي مسمعي الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار - رحمه الله - من أن السيد علي حافظ أخبره بأن الأستاذ العواد كتب مقالاً رأى فيه ثلاثة من علماء المدينة آنذاك وهم المشائخ، حسن الشاعر، أحمد ياسين خيارى، عمر بري، خروجاً على مقام الأدب مع حضرة النبي - ﷺ - فخرجوا من الحرم النبوي الشريف إلى مقر الجريدة الذي كان يقع بشارع العينية - وهو الموقع الذي تحول بعد ذلك إلى معرض للمرحوم ناصر العامر الرميح - ابن أخ الشيخ عبيد العامر - رحمه الله - أحد رجالات المدينة ووجهائها المعروفين، وجد الشاعر عبد المحسن حليت بن مسلم وإخوانه.

وقد قام الأستاذ محمد عمر توفيق - رحمه الله - وكان في مقتبل العمر - آنذاك - بكتابة رد علمي على الأستاذ العواد ومن هنا كانت بدايات الأستاذ محمد عمر في الكتابة الأدبية والنقدية.

- وقد أدركت في مطلع العمر صحيفة (المدينة) وهي تصدر - في بداية الثمانينيات - مرتين في الأسبوع - وكانت لا توجد إلا بمكتبة «ضياء» في شارع العينية، ويذكر السيد «عثمان» أن الصحيفة صدرت في «٦» صفحات بدلاً من «٤» صفحات، ومرتين في الأسبوع الاثني والخميس من العدد «٨١٣» المؤرخ غرة جمادى الآخرة، ١٣٧٩هـ، ثم انتقلت الصحيفة إلى جدة حيث تم إصدارها يومية بتاريخ ٢ جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ. ورأس تحريرها بداية الأستاذ السيد محمد علي حافظ، ثم خلفه شقيقه السيد هشام، وبعد صدور نظام المؤسسات الصحفية، استمرت صحيفة المدينة في أداء رسالتها الصحافية والفكرية والأدبية، حتى وقتنا الحاضر، ويزيد عمرها المديد على ستين عاماً. وإذا كان السيد علي وعثمان قد تركا بصمات واضحة على تاريخنا الثقافي والفكري، فإنهما أيضاً قد عنيا بالمسيرة التعليمية في بلادنا من خلال إنشاء مدرسة الصحراء «بالمسيجد» وآمل أن يطلق على المدرسة اسم السيدين الكريمين.

المبحث الثالث

أمين مدني

* علامة مضيئة من تاريخنا المعاصر .

* من المحلية إلى العالمية .

(١) علامة مضيئة في تاريخنا المعاصر

كانت المدينة المنورة ومسجدها الطاهر في أواسط الخمسينيات الهجرية أشبه ما تكون بخلية نحل للطلاب القادمين من أصقاع العالمين الإسلامي والعربي، وللطلاب الذين تملك نفوسهم حب المعرفة، وتعشقت أرواحهم علوم الدين والعربية وآدابها. وكان من أشهر حلقات العلم فيها حلقة الشيخ أبي الطيب الأنصاري، ومع أنه كان متخصصاً في الشريعة الإسلامية إلا أنه استطاع أن يخرس في نفوس طلابه ومريديه حب الأدب كعلم يقرأ، وشعر يبدع. وكان هؤلاء الطلاب ينعمون النظر في سوارى المسجد فيتذكرون سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه ينشد الشعر يمدح به النبي الخاتم عليه صلوات الله وسلامه ويستحضرون صورة كعب بن زهير بن أبي سلمى وهو يلقي بين يدي حضرة المصطفى ﷺ قصيدته التي تكون سبباً في عفو النبي ﷺ عنه وكأننا بالمهاجرين والأنصار يطربون

لآيياته المعروفة:

من سره كرم الحياة فلا يزال في مقنّب من صالح الأنصار
الباذلين نفوسهم لنبيّهم يوم الهياج وسطوة الجبّار
يتطهرون كأنه نسك لهم بدماء من علقوا من الكُفّار

نعم يلقي كعب هذا القول الشعري البديع على مسمع من رسول الله
ﷺ وصحابته، بعد أن قدم متنكراً وهو متلثم بعمامته.. ثم يخاطب سيد
الخلق قائلاً: بأبي أنت وأمي يا رسول الله.. هذا مكان العائذ بك.

- في حلقة الشيخ الأنصاري تكوّنت المواهب العلمية لجيل كامل من
مفكري هذا الوطن وأدبائه ومؤرخيه، فعرفت صحافة هذا القرن ومنتدياته
في جزيرة العرب أصوات: عبيد مين مدني، وعلي حافظ وعثمان حافظ،
وضياء الدين رجب، ومحمد الحركان، وأحمد العربي، ومحمد حسين
زيدان، وعبد القدوس الأنصاري، وعلي عامر، وأحمد عبيد المدني،
وعزيز ضياء، وعبد الحق نقشبندي، وجعفر فقيه، ومحمد الحافظ، وعبد
الرحمن رفّة، وغيرهم. وكان إلى جانب مدرسة الشيخ الأنصاري مدارس
أخرى أمها هذا الجيل وأفاد من مناهل العلم والمعرفة فيها. فحلقات
المشائخ: ألفا هاشم، وإبراهيم برّي، وأحمد الفيض أبادي، ومحمد
العمري، وعبد القادر الشلبي، وأمين الطرابلسي، وعبد الرؤوف عبد
الباقي، وحسن الشاعر، هذه الحلقات فتحت أمام هذا الجيل من المؤسسة
العلمية العريقة (دار العلوم الشرعية) أبواب المعرفة المؤسسة على بناء متين
وأصيل. وكانت أخلاق هذا الجيل نبراساً يستضيء به الناشئة الذين أدركوا
فيما بعد حلقات أخرى من العلم وجلسوا إلى روادها فتواصل في بلد

المصطفى ﷺ العلم الذي بدأ بمبعث الرسالة المحمدية وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أمين عبد الله مدني (١٣٢٨ - ١٤٠٤هـ)، الذي يجتمع المفكرون والمثقفون في بلد المصطفى ﷺ ليحتفلوا بجائزته كل عام، حفر بأنامله الصَّخْرَ، واعتزل في داره التي كانت تقوم على مدخل شارع سلطانه وعلى محاذاة من دار الرجل النبيل محسن بري، ثم خرج بعد عقود طويلة من الزمن بموسوعته التي أطلق عليها (العرب في أحقاب التاريخ) والتي فاقت صفحات أجزائها الثلاثة آلاف وخمسمائة صفحة. ولقد وصف المؤرخ المعروف الأستاذ حبيب جاماتي في مقدمته للجزء الأول من الموسوعة (التاريخ العربي وبدايته)، وصف الدور الذي قام به السيد أمين في هذا العمل التاريخي الموثق بمنهج علمي واضح، وصفه قائلاً: «إنها لمهمة صعبة حقاً تلك التي باشر صديقي أمين مدني الاضطلاع بها، وأنه لعمل شاق ذلك الذي عاهد نفسه على إنجازه وأنجز بالفعل بعضه على أحسن ما يكون»، ويضع الأستاذ جاماتي يده على المصاعب التي يواجهها من ندب نفسه لدراسة تاريخ الجزيرة العربية فيقول: «وإذا كان تاريخ جزيرة العرب واضح المعالم تماماً منذ ظهور الدعوة المحمدية وانتشار الإسلام، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى الأحقاب الأخرى. فمعالم التاريخ العربي يغشاها ظلال في الفترة الممتدة من بدء التاريخ الميلادي إلى بدء التاريخ الهجري، تلك الأحقاب الغامضة بين التاريخ والتي تمتد إلى ما قبل التاريخ هي التي يعالج أمين مدني تطور الكيان العربي على مدار أجيالها».

ويفسر الباحث والمؤرخ الكبير «أمين مدني» في توطئته للجزء الأول من الموسوعة مبعث ما أشار إليه الأستاذ (الجاماتي) بالظلال التي تعترض

سييل الباحث، ويفسر هذا الأمر بأسلوب أدبي رصين فيقول: «فمن النادر جداً أن تجد عصرًا من العصور مصورًا في مؤلفات المؤرخين بريشة واحدة، أو أن تجد حدثًا من الأحداث اتفقت كلمة المؤرخين في تفسير أسراره، وتوحدت آراؤهم في تعيين أسبابه، فكيف بالباحث الذي اقتحم أغوار الماضي ليعرف شيئًا عن حياة العرب؟ وحياة العرب واسعة الأطراف قديمة العهود، وكيف بالباحث الذي يريد أن يعرف حقيقة التاريخ العربي الجاهلي؟ والتاريخ العربي الجاهلي في جزيرة العرب مشوّش ولا سيما أخبار أولئك الذين هاجروا بالقومية العربية إلى سهول الهلال الخصيب وجبله وإلى صحراء سيناء، وضاف النيل، فرسموا الحدود السياسية لشبه الجزيرة العربية فملكّت الأرض العربية على إثرهم دول عربية».

- في الجزء الثاني من الموسوعة والموسوم بـ (التاريخ العربي ومصادره) يناقش المؤلف، فكرة التاريخ ومصادره والتاريخ في القرآن، والأمثال القرآنية والأسفار والتراث القديم والمؤلفين في التاريخ قبل الميلاد وبعده، والأساطير في العصر الجاهلي ومصادرها، والشعر الجاهلي وصلته بالتاريخ، والمدينة المنورة المدرسة الأولى في الإسلام، ونجده يوضح ما عناه بقوله (المدرسة الأولى في الإسلام) فيقول: «فمع ظهور الإسلام في المدينة أشرق شمس الثقافة الإسلامية العربية من وراء (أُحد)، فأضاءت أقطار البلاد العربية وعلى ضوء الثقافة الإسلامية العربية أخذت الدراسات التاريخية تسير في طريق التطور، وكانت المدينة المنورة هي: بداية الطريق، فالبحث في نشأة التاريخ يثبت أن مؤسّسي التاريخ العربي الإسلامي الأولين هم مدنيون، فرجال الطليعة في علم التاريخ وواضعو نواته مَدَنِيُّو المنشأ والثقافة، فأبّان بن عثمان، وعروة بن الزبير، وشرحبيل

بن سعد، ومحمد بن شهاب الزهري، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعاصم بن قتادة وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحق والواقدي وغيرهم هم مديّو المنشأ والدّراسة، ويفتخرون بمدنيتهم وبتلقي علومهم في مدرسة العواصم».

والسؤال الذي أجده مناسباً للطرح وجديراً بالمناقشة هو: هل هذه الخلفية التاريخية القديمة كان لها أثر على أمين مدني ومُعاصريه ممن تلقوا العلم في جامعة الإسلام الأولى - الحرم النبوي الشريف؟! لأننا نجد أن أمين مدني، يكتب عن التاريخ العربي بصورة شاملة، ونجد أخاه الأكبر السيد عبید مدني يترك وراءه مؤلفاً ضخماً عن تاريخ المدينة، ويتعرض فيه بالتفصيل لفقهاء المدينة، وخطبائها، وشعرائها، ويفرد صفحات طويلة لمن كتب في تاريخ المدينة من القدماء والمعاصرين. ونلاحظ أن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري يترك وراءه مؤلفاً عن آثار المدينة وآخر عن تاريخ مدينة جدة يعترف الدارسون بأنه المصدر الذي لا يستغني عنه أي دارس لتاريخ مدينة جدة، ويكتب عن بني سليم، وعن تاريخ الكعبة المشرفة وتتميز كتابات الأستاذ محمد حسين زيدان بتركيزها على سيرة صحابة رسول الله ﷺ، كما نجد آثار ذلك في مؤلفه الشيق (سيرة بطل) وهو يوضح أثر الثقافة الدينية على فكر الأستاذ الزيدان ثم يختم حياته بكتابه المعروف (العهود الثلاثة). ومع أن الأستاذ الكبير عزيز ضياء، كتب سيرته المتميزة (حياتي مع الجوع والحب والحرب) وبأسلوب أدبي يتناسب مع ميل الأب عزيز إلى فن القصة والرواية إلا أنه أرخ في هذه السيرة لفترة هامة في تاريخ المدينة - إبان الحقبة العثمانية - فيما عرف باسم (سفر برلك). كما نجد السيد أحمد ياسين الخياري يكتب عن معالم المدينة. ويترك الشريف

إبراهيم العياشي أثراً تاريخياً هاماً وهو (المدينة المنورة بين الماضي والحاضر)، ويكتب السيد علي حافظ عن الحياة الاجتماعية في المدينة في مؤلفه المعروف (فصول من تاريخ المدينة المنورة).

- إنها ظاهرة جديرة بالدراسة ومنحى كتابي يستحق أن تتوجه الجائزة نفسها لتقصي أسبابه ودواعيه وتضيف الكتابات التاريخية عن جزيرة العرب، ومهد الرسالة الخاتمة.

* * *

(٢) من المحلية إلى العالمية

- هناك قلة من أدبائنا ومفكرينا الذين تجاوز إبداعهم البيئة المحلية إلى بيئة أكثر اتساعاً وشمولاً، وهي البيئة العربية والإسلامية، وفي رأيي المتواضع أن الكاتب والمؤرخ والأديب السيد أمين عبد الله مدني هو واحد من هذه القلة التي أهلها لصعود هذه القمة العلمية ذلك النتاج العلمي الذي اتخذ البحث الموضوعي منهاجاً له فيما يكتب ويستنتج.

- في عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م صدر الجزء الأول من الموسوعة التاريخية الشاملة (العرب في أحقاب التاريخ) هذا الجزء يبحث في التاريخ العربي وبدايته. . ويوضح الأستاذ محمد المدني الأستاذ بجامعة الأزهر والعميد السابق لكلية الشريعة بها تلك الصعوبات التي تعترض الباحث في تاريخ العرب القديم بقوله - عند تقديم هذا الجزء من الموسوعة: «وما من شك في أن تاريخ العرب القديم منطوٍ على كثير من الغيابات والمجاهل التي تُرهق السَّالِّكين، وتحير المُدْلِجين، وأنه قد توارد على الكتابة في هذا التاريخ أصناف من الناس، منهم الذين لا يرون في العرب إلا أوزاعاً من

الخلق كانوا في قديم الزمن أصحاب أشعار وأوبار، وسكان بوادٍ وقفار، تدور حياتهم بين حل وارتحال، وليست لهم جامعة تجمعهم، ولا أهداف تدفعهم، وإنما همهم أن يجدوا ما يقيتهم ويعيشهم ولو كان فيما يصيدون من حيوان، أو يحوشون من ضب».

- ثم ينتقل إلى تصنيف بحث الأستاذ أمين مدني بين البحوث العديدة التي تنوعت مناهجها ورؤاها حول التاريخ العربي، يقول الأستاذ محمد المدني: «ولذلك جاء بحث الأستاذ أمين مدني هادفاً إلى الحقيقة في ذاتها، ولا يميل إلى التعصب لأحد أو على أحد، فنراه يقف وجهاً لوجه أمام الآراء المتصارعة، ويناقشها في أسلوب العالم المنصف الذي لا سلطان لشيء عليه إلا الحجة والمنطق، فإذا هو كالليل الماهر الذي يقود متبعيه إلى الطريق المستقيم، مانحاً إياهم الطمأنينة إليه بأسلوب فعلي مباشر دون طنطنة أو ادعاء».

- ويعرض مُقدِّمُ الكتاب إلى ناحية مهمة وهي الاستدلال بالآيات الكريمة في معرض الحديث عن القبائل العربية القديمة، ممتدحاً في ذلك المنحى الذي اتخذه السيد أمين عند استدلاله بآيات الكتاب المبين: أما مؤلفنا (الأمين) - أي الأستاذ أمين - فإنه إذا عرض للاستدلال بآية من آيات الكتاب الكريم، وقف عندها، ولم يخرج عن نطاقها وما تدل عليه بنفسها، فنراه يستوحيها الحقائق، ويستنبئها الأنباء في لباقة وحسن تناول، وتراه يصدع بها مؤمناً بما تهدي إليه، غير متشكك ولا متحير، وبحثه عن (إرم ذات العماد) يتيح للقارئ مثلاً واضحاً على منهجه في دراسة تاريخها على ضوء ما جاء في القرآن الكريم عن قوم عاد، وفي حذر شديد مما أحاطته به الروايات التي اتصلت بذلك.

- وقد قرأ المؤرخ الكبير الأستاذ حبيب جاماتي ما كتبه السيد أمين مدني عن النواحي التاريخية المتصلة بتاريخ جزيرة العرب التي اقتحم ميدانها مؤرخون عرب وغير عرب من أمثال: جومار، وغوستاف لبيون، وروكلو، وكوسان دي برسفال، ودفرجيه الفرنسيين ونيبور وريشر الألمانين وبورخارت السويسري، ومانزوني الإيطالي... فوجد الأستاذ (جاماتي) أن العلامة المؤرخ أمين مدني قد حاول أن يرفع الستار عن الغوامض، ويمزق الثَّقَابَ عَنَ الأسرار، ويبدد الشك الحائم حول كثير من جوانب التاريخ العربي منذ أقدم العصور بطريقة تحليلية رائعة مبتكرة معتمداً على كل ما يتفق مع المعقول والمقبول ومن المراجع العديدة التي ذكرناها ووصفناها.

- ويوضح مؤلف الموسوعة التاريخية الهامة موقفه من الدعامتين الأساسيتين في معرفة التاريخ القديم لجزيرة العرب، كما يشير إلى شيء من الصعوبات التي صادفته عند كتابته لهذا العمل التاريخي الموثق والذي يصل في أجزائه الثلاثة، التي أتمها في حياته الحافلة بالعطاء الأصيل والتميز، إلى حوالي (١٦٥٠) صفحة.

- يوضح الأستاذ أمين موقفه من ذلك كله قائلاً: «فلولا ما جاء في الكتب المنزلة، ولولا ما جاء من الآثار المكتشفة لدفن تاريخ الجزيرة القديم إلى أبد الدهر فالذين يؤمنون بالكتب المنزلة من السميع العليم، لا يستطيعون أن يكذبوا بما جاء فيها من آيات بينات تدل على وجود أمم في غابر هذه الجزيرة كانت تبني في كل ريع آية، وكانت تنحت من الجبال بيوتاً، وكانت إذا بطشت، بطشت جبارة فتاكة، وكانت السماء تمطرها مدراراً، وكانت الأنهار تجري في أرضها فتمنحها الخصب والخير العميم، فعاش أبناؤها حيناً من الدهر في جنات وارفة الظلال، ونخلها طلع

هضيم، والذين اقتنعوا بالآثار الدفينة لا يستطيعون أن ينكروا ذهب الجزيرة، ونحاس الجزيرة، وبخور الجزيرة، وأسواق التجارة وقوافلها وطرقها في الجزيرة، ولا يستطيعون أن ينكروا آثار ثمود، ومدين، ومدن السبئيين، والجرهميين، والعمانيين، وقصورهم المزخرفة بالذهب والفضة والأحجار الثمينة، ولا يستطيعون أن ينكروا قدم البيت وطهره، وقداسته منذ رَفَعَ قواعده إبراهيم وإسماعيل».

- ومع أن النص السابق يوضح الأسس التي اعتمد عليها المؤلف في كتابة هذا العمل التاريخي الجغرافي الموثق الذي حرص فيه السيد أمين أن يقابل ما جاء في مؤلفات المستشرقين بما في مصادرنا العربية، إلا أن النص هذا وسواه يكشف عن الأسلوب الأدبي الرصين المتأثر ببلاغة القرآن الكريم الذي عمل المؤلف على أن يكتب به حقائق التاريخ المجردة والتي يشوبها شيء من الجفاف قد تمل منه النفس التي جبلت على الاستمتاع بجمال العبارة، ورصانة الكلمة ورشاقة التعبير، وهذا الأسلوب الأدبي الذي يعطينا دلالة على عمق ثقافة المؤلف الأدبية والتي اكتسبها من دراسته في حلقات العلم بالمسجد النبوي الشريف، وعلى أيدي علماء جمعوا بين العلم الشرعي وفنون التاريخ والأدب، والشعر من أمثال: الشيخ محمد الطيب الأنصاري، والسيد أحمد الفيض آبادي، والشيخ إبراهيم بري - والد العالم والشاعر المعروف عمر بري - رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جناته.. . إلا أنه - أي الأسلوب الأدبي - لم يغير شيئاً من الحقائق التاريخية التي بذل المؤلف جهداً كبيراً في تدوينها بعد أن تصفح الكتب، وتفحص الوثائق، ودوّن وسجّل وقارن، ثم قدّر ووزن بميزان العلم والموضوعية واستنتج بعد ذلك، وهو - أي المؤلف - بعد هذا الجهد الكبير يعترف

متواضعاً «ولا أقول إن ما جمعته من مختلف المصادر، وقابلته وحققته يرسم صورة كاملة وواضحة لعصور الجزيرة القديمة وإنما هو في اعتقادي خطوط أولية، وقد تجد معلومات في الغد تتمم رسم الصورة وتظهر معالمها أكثر وضوحاً مثلما جَدْتُ معلومات لم يعرفها من مضى من الأمس».

- لقد أخذت بعض أقسام الدراسات العليا بجامعةنا بمبدأ توجيه طلابنا لدراسة الإنتاج الفكري والأدبي والتاريخي لأبنائنا ومفكرينا، وهو مبدأ إيجابي يكشف عن الجوانب الثرية لدى الرواد من العلماء والمفكرين. وإنني أتطلع لليوم الذي نرى فيه أمين مدني، وأحمد عبد الغفور عطر، وأحمد السباعي، وحمد الجاسر، ومحمد سعيد العامودي، ومحمد العقيلي، وعبد القدوس الأنصاري، وعبد الله بن خميس، ومحمد طاهر كردي... قد توجهت العقول المبدعة لدراسة آثارهم المتنوعة والتي تكشف عمق تكوينهم العلمي، وتعدّد مواهبهم، وثراء ما تركوه وراءهم من علم، وفكر يستحقُّ البَحْثَ والتَّنْقِيبَ والإشادة.

المبحث الرابع

عزيز ضياء بين ثقافة الغرب وبيان العربية

بين تراجم الاثنين والعشرين أديباً الذين ضمهم كتاب (وحي الصحراء) الصادر في سنة (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) برعاية الأستاذين الكبيرين محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير، كان اسم الأستاذ عزيز ضياء (١٣٣٢ - ١٤١٨هـ) يشكل مع زملائه الأديباء الآخرين، الأكثر شهرة من حيث الإبداع في مجال الكتابة الشعرية والنثرية. إلا أن الكتاب على أهميته قد خلا من اسم أشهر شاعرين في تلك الحقبة وهما حمزة شحاته، ومحمد حسن عواد رحمهما الله. ومع أن العواد ورد ذكره في المصادر الأدبية الأخرى إلا أن شحاته لا نجد لإنتاجه الشعري صدى بعد ذلك إلا في كتاب (الشعراء الثلاثة) الصادر في سنة ١٣٦٨هـ وهو من تأليف الأستاذ المرحوم عبد السلام الساسي. وربما كان لعزوف شحاته عن البروز واكتفائه بحياة هادئة وهي نوع من أنواع العزلة الذي عرف قديماً عند شاعر كأبي العلاء المعري، ومفكر كأبي حيان التوحيدي ربما كان لهذا ولغيره أثر في إحجام من كتب وألف عن التعرّض للحديث عن المبدع الفنان حمزة شحاته. فكيف لهؤلاء الحصول على شيء من إنتاجه والرجل قد أثر الصمت واطمأنت نفسه للعزلة، وغنى للحب والحياة والكرامة والشموخ

بعيداً عن صخب الحياة وضجيجها مع أنه في شعره ونثره على السواء كان يصور أدق خلجات النفس الإنسانية. فهل العزلة أعطته هذه القدرة، ومكّنته من امتلاك دواعي الإبداع وتجلياته؟

وينعقد المؤتمر الأول للأدباء السعوديين في شهر ربيع الأول من عام ١٣٩٤هـ ويقتحم الصنفون شخص نحيل الجسم هادئ في حديثه، مع شيء من الشموخ والاعتداد بالنفس، ويقدم أول دراسة علمية وبأسلوب أدبي رصين عن الشاعر الذي يبدع القصيدة ثم يلذ له أن يراها تحترق بعد أن احترق وجدانه وتلظى ويختار الرجل الذي كان من أقرب الناس إلى الشاعر عنواناً مثيراً لدراسته وهو (في أدبنا قمة عُرفت ولم تُكتشف) ويتحدث الأستاذ عزيز ضياء بعبارات بليغة عن علاقته بهذه القمة قائلاً: «ولقد كنت واحداً من هؤلاء الذين رأوها بل كنت واحداً ممن جمعهم بها إطار الزمالة ولا أقول الندادة، وممن توثقت بينهم وبينها وشائج الود والصدقة، والألفة والتصادم الفكري، ولكنني كنت واحداً ممن لم يزد حظهم من اكتشافها عن حظ الآخرين، تعيش وأعيشها معاً» والأستاذ عزيز وهو القارئ لأدب الأمم الأخرى والمطلع على روائعها الفكرية باقتدار وتمكّن لا يتردد في أن يجعل من أدب شحاته أدباً عالمياً وهي شجاعة من أديب تمكّنت له أسباب النقد الموضوعي والدراسة المنهجية. ويقول المرحوم عزيز في ذلك: «وعنصر الغرابة في هذه الهزة وفي هذه الدفقات من الإعجاب والزخات من الإشادة هو أن حمزة - يرحمه الله - ظل طيلة حياته أحرص أقرانه ورفقائه على الزهد في نشر روائع في الشعر وأسماط لآلئه في النثر وشوارده في الحكم التي تدخل، ساحة ما يسمى (أفوريزم) أو الأقوال المأثورة من أوسع الأبواب، ليس في الأدب العربي الحديث

فحسب، وإنما، ودون مبالغة أو انجراف عاطفي، في الأدب العالمي على أوسع نطاق».

لقد فتح الأستاذ عزيز الباب أمام الدارسين ليقولوا رأيهم في نتاج شحاته الشعري والنثري، ولكن يبقى لأبي ضياء دور الريادة في كشف الغطاء عن رجل عاش في صمت ومات في صمت والحياة من حوله تصطبغ، وطموحاتها تأخذ بأيدي البعض فترتقي بهم، وتشيح عن الآخرين، فإذا هم في الظل منها.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل كان أسلوب الأستاذ عزيز يختلف عن أساليب معاصريه من الأدباء؟ والجواب، في رأيي، نعم، فالقارئ لنتاج أدباء تلك الحقبة يجده وقد انطبع بالأسلوب المهجري، ولكن الأسلوب الذي نجد شواهد في دراسة أديبنا عن الشاعر شحاته، يجمع بين رصانة القديم وجزالته، ورشاقة الحديث وطواعيته، وإنك لو اجد في أسلوب ضياء روافد عدة من الجاحظ وأبي حيان التوحيدي، والعقاد وطه حسين. ولقد سمعت الأستاذ عزيز يرحمه الله، يعرف الثقافة في أحد البرامج التلفزيونية بأنها «الأخذ من كل علم بطرف» وهذه العبارة تقودنا إلى إيمان كاتبنا بتعدد مصادر الثقافة وتنوعها بين قديم وجديد، ومحلي وعالمي. والأسلوب يتشكّل عند الأديب وفق المصادر الثقافية والفكرية والأدبية التي يتاح له أن يقف عليها ويستقي من روافدها ثم يكون قادراً على تمثيل ذلك كله، في داخله إذا قرأت وجدته يقف متفرداً فيما يقول، وفيما يكتب. ولقد كان المرحوم قمة فيما يطرحه من رأي وقمة فيما يصوغ به تلك الآراء التي تنوعت أشكالها الأدبية من شعر عاطفي (كأنشودة عاشق) ترنم به في مطلع حياته، وشعر منشور يصطبغ بتلك الرومانسية،

التي لم تطوح به، بعيداً، كان قادراً في حياته العملية ونتاجه الفكري والأدبي أن يوائم بين متطلبات العقل والروح، ولم تكن قراءته للقرآن الكريم في الأيام الأخيرة من حياته إلا تجسيدا لنزعة روحية عميقة تتبطن نفس الرجل الذي عاش طفولته في مآزر الإيمان، وتفتحت مواهبه في أرض الرحمات، بحبي الشامية، وعلى مقربة من بيت الله الحرام، وكان حينه إلى مسقط رأسه هو الذي دفعه للتأريخ أدبياً للأحداث التي شهدتها (المدينة المنورة) في نهاية العصر العثماني وفيما عرف باسم (سفر برلك)، حيث نزع أهلها قسراً إلى تركيا والشام ومكة وينبع. وهو يعبر عن ذلك تعبيراً صادقاً في الكلمات التي وجهها لابنه (ضياء) وافتتح بها سيرته المتميزة (حياتي مع الجوع، والحب والحرب) يقول المرحوم: «ثم الحرب - مرة أخرى - والجوع مرة أخرى والليل الرهيب تهتز فيه أركان المنزل، كلما أطلقت قلعة - سلع - في المدينة مدافعها في اتجاه العوالي وقباء، وعواصف الذعر والهلع، كلما قيل وإنهم يهجمون وإنهم يتقدمون، وإنهم قد يدخلون.. ويصور في الرسالة نفسها مرحلة الاصطدام بواقع الحياة وما يخلفه ذلك من مرارة وأسى، فيقول بذات الأسلوب الرفيع: «فترة من الوعي، من الإدراك العميق لحقيقة الأرض التي أضع عليها قدمي، الأرض الرخوة التي تغوص فيها الأقدام، تغوص إلى الحد الذي يجعل المرء يشعر أنه غارق في بحر من الوحل».

وإذا كانت فترة الوعي تمثل مرحلة من المراحل التي يصعب التمييز بينها لأن مراحل الحياة تتدخل تداخلاً عجيباً يجعلك من الصعب التفريق بين مراحلها والتمييز بين سماتها، إلا أن التأمل الذي هو من طبائع المفكرين وخصائص حياتهم، دفع كاتبنا المميز إلى شيء من هذا التمييز

أو التحديد، لذا فهو يسمي المرحلة الأخرى من حياته باسم النضال، وهو نضالٌ له أهدافُهُ حيث يصفه قائلاً: «ثم النضال المحاولة اللاهثة للخروج من الأرض الرخوة.. للوقوف على أرض صلبة».

وتصبح كلمة الحرب مألوفة عند كاتبنا، لذا نراه يكررها قائلاً في افتتاحية سيرته: ثم حرب أخرى، حرب عالمية حرب، حرب.

لقد صنعت الحرب العالمية الأولى الوعي لدى الفقيه الذي انتقل صغيراً من المدينة إلى الشام، بسبب الحصار الذي فرضه فخري باشا، على سكان المدينة، ولا يزال إلى اليوم حديث الناس ويسميه بعض الدارسين بالخروج الأول. ولعلّ ما لاقاه الأستاذ عزيز من مصاعب في التنقل مع عائلته من بلد إلى بلد هو الذي دفعه إلى التساؤل بعد أن فرغ من كتابة القسم الأول من قصة حياته: «أساءل ربما للمرة الألف، ماذا في الحياة مما يستحق أن يكتب؟» نعم لقد كان تأثير الحرب واضحاً في حياة هذا الكاتب الكبير، فهي قد شحذت ذهنه، وأطلقت مواهبه في مجالات شتى من الإبداع الفكري والأدبي، وكما أوحى الحرب لأديب عالمي مثل (تولستوي) بأفكار استمد منها مواضيع رواياته، فهي أيضاً التي أوحى للأديب والروائي نجيب محفوظ أن يكتب روائعه من أمثال: زقاق المدق، وخان الخليلي، بل إن الأحداث المتتالية في المراحل الأولى من حياة عزيز ضياء، التي عاشها بين كنف أمه، وجدّه، وخالته التي أثر موتها في أعماق كل من يحاول استرجاع صورة حزينه كهذه: «تهيبت أن أرفع الغطاء عن وجهها، فهي على الأرجح مستغرقة في نوم عميق وعندي الكفاية من التحذير بأن أتوخى عدم إزعاجها إذا كانت نائمة، ولكن هذا البكاء وهذه الحركة على صدرها كيف لا توقظها؟ وفجأة أحسست كأن قلبي يغوص بل

كأني، أنا نفسي، أسقط في هاوية بعيدة القرار، ويبدو أن جدي قد أدرك ما أعانيه إذ وجدت نفسي بين ذراعيه، على صدره، يحملني ويخرج بي من الغرفة، وما كاد يغادر الغرفة حتى ارتفع صوتي بعويل، لعلّي لم أعهده من نفسي، قط، شرعت العجوز تحاول أن تضع رأسي في حضنها وهي جالسة إلى جانبي على الأرض، ومع بكائها وصوتها المرتعش أخذت تردد كلمات التدليل، نفس الكلمات التي كانت تدلل بها خالتي.

هذه الأحداث التراجيدية هي التي دفعته لأن يتوفد على الأدب الغربي فيدرسه، ويستقصي جوانبه، فترجم منه الروائع في القصة والرواية، من أمثال: (عهد الصبا في البادية)، و (النجم الفريد) وقصص من (سومرست موم) و (قصص من طاغور) ولم يكتف بذلك بل كان من أوائل الذين كتبوا فن القصة في بلادنا، و (ماما زبيدة) تجسد جوانب إنسانية من البيئة المحلية. وهذا يمثل جانباً مهماً من حياة الأستاذ عزيز الأدبية. فهو على الرغم من اطلاعه على آداب الأمم الأخرى، إلا أن هذا لم يفقده صلته ببيئته التي استمد منها شخوص قصصه، والأحداث المرتبطة بها، كما أنّ إجادته لبعض اللغات الأوروبية، لم تفقده الملكة الخطابية بلغته الأصلية، وإن ذلك الاطلاع الواسع والعميق على فكر الآخر لم يجن على الأسلوب العربي الرصين الذي كان يكتب به مقالاته الصحافية، ودراساته النقدية. ولقد حقق عزيز ضياء بهذا الصنيع تلك المعادلة الصعبة التي فشل البعض فيها، فهم لم يقرأوا أدب الغرب بالعمق المطلوب ولم يمتلكوا ناصية البيان كما امتلكها هذا الرائد الكبير.

المبحث الخامس

«عطية محمد سالم» الفقيه . . المؤرّخ . . الإنسان

تفتحت عينا الفتى في طيبة الطيبة وجامعتها العلمية - مسجد رسول الله - ﷺ - تُعجّ بحلقات العلم الشرعي، هذه السارية ينطلق منها صوت العالم الزاهد الشيخ محمد بن علي التركي - رحمه الله - يلبس الخفيف من الثياب، ويسكن في الدور المتواضعة، ويسلم على من يعرف ومن لا يعرف، وقد جاءت الدنيا مهرولة فعزف عنها، واشتد به المرض فعرض عليه ولاية الأمر - جزاهم الله خيراً - أن ينقلوه خارج المدينة، فشكرهم وهو يقول: «لا أريد غير مدينة المصطفى - ﷺ - مسكناً، ولن أفارقها حتى تفارق الروح هذا الجسد الفاني» وكان قد سكن (مكة) وجاور المسجد الحرام وأفاد منه رجال أتذكر منهم الأستاذ الشاعر حسين سرحان وقد ذكر ذلك السرحان في سيرته الذاتية التي كتب لمحات منها في ملحق صحيفة (الرياض) الثقافي في أخريات حياته .

وهذه حلقة فضيلة الشيخ حسن الشاعر - أسكنه الله فسيح جنّاته - يستمع فيها لعدد من طلاب العلم يقرأون عليه - وقد ناهز المائة من العمر المبارك - بالقراءات المشهورة في وقت واحد، فلا تند عن سمعه كلمة من آيات الوحي الكريم . كان هو والشيخ أحمد ياسين الخياري، والسيد أحمد

السنوسي والشيخ محمد علي النجار، والشيخ حليت بن مسلم المحمادي - الذي كثيراً ما ردد المحراب، في أول مسجد بني على التقوى - مسجد قباء، صوته الشجي.. وكان واحداً من ثلاثة رجال لا تستطيع أن تحقق النظر فيهم لبهاء وهيبة تبدت منهم في الوجوه والجباه. أما الرجلان الآخران فهما فضيلة السيد محمد أمين الكتبي (مادح العصر) وأعلم الناس باللغة في زمانه، والشيخ أحمد عبد الجواد، المحقق في علم المواريث والحديث، وصاحب أشهر الكتب ذيوماً في الداء والذكر وأسماء الله الحسنى - رحمهم الله جميعاً.

- كانت الحلقات متنوعة في مسجد الحبيب ﷺ، فهذا السيد محمد المختار الشنقيطي الجكني يرتفع صوته في أدب وخشوع بعد كل صلاة، ودروسه في الحديث والسيرة وحكامها. واليوم - بحمد الله - يفيد الناس من علم ابنه فضيلة الشيخ محمد المختار. أما ابنه الآخر فضيلة الدكتور عبد الله فقد جمع وأوعى ولنا كبير أمل في أن نراه محدثاً بين الروضة والمقام فهو جديرٌ بهذا وسواه، ويُفترض أن يكون حُسن الظن في عقائد المسلمين هو السائد في هذا الوقت الذي انتشرت فيه بدعة التشكيك ومظاهر التشديد وكأننا نسينا قول المصطفى - ﷺ - «إن هذا الدين متينٌ فأوغلوا فيه برفق، ما من أحد شأ هذا الدين إلا وغلبه».. أو كما قال نبي الرحمة والداعي إلى الهدى بالموعظة الحسنة.

- أما الشيخ (محمد المختار الجكني) صاحب الكتاب المعروف في تفسير القرآن (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن)، فقد ذكرت في وقت سابق أنه واحدٌ من ثلاثة علماء فتح الله عليهم في علوم القرآن - وكتاب الله لا تنتهي آياته ولا تنقطع دلائل الإعجاز فيه، ومن الذي لم تشده -

رضي أم أبي - تلك الدروس القرآنية المستفيضة لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - ومن الذي لا يدهش لتلك التخريجات المُحكّمة لصاحب الجلباب الأبيض والوجه المُضيء، واللسان الدَّرب، والنفس السامية والمطمئنة، ومن الذي لم يصل إلى سمعه نبأ العالم الرّباني والأزهري الذي رحل للعلم في فرنسا - فضيلة الدكتور (عبد الله دراز) فإذا هو يكتُب الكتاب ويدوّن المؤلف الشهير (النبأ العشيم) وليت شيوخاً وكهولاً وشباباً تنكبوا الطريق السّوي في زمن الفتن، فكانت غشاوة على القلوب والعقول وليس من مخرج منها سوى العودة لآيات الكتاب الكريم الذي وعدَ الله بحفظه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ليت الأبصار منهم صافحت سطور هذا الكتاب فزادوا يقيناً بدينهم وأحكامه .

- وجاء الناس يوماً يبحثون عن حلقة الشيخ الجكني فإذا التّاعي ينعاه لهم . لقد كتب الله له أن يُؤدي فريضة الحج، ثم إذا بالتربة الزكية في المعلاة والحجّون تضمّه كما ضمت من قبله الأعلام والأفذاذ من أهل العلم الذي صانوه فصانهم، وحفظوه فحفظهم، ورعوه فرعاهم .

- فإذا برجل ينطلق من بين الصّفوف فيجلس على كرسي العلم بجدارة، حيث كان يجلس شيخه (الجُكني) وكان الأخير قد بدأ في تأليف سفره الجليل (أضواء البيان) والذي طبعته رابطة العالم الإسلامي في عهد الرجلين الكريمين الشيخ محمد سرور الصبان، والشيخ صالح قرّاز - رحمهما الله - فإذا بالشيخ عطية سالم (١٣٤٦ - ١٤٢٠هـ) - رحمه الله - ينتدب نفسه للمهمّة فيقوم بها خير قيام، ويكّمّل ما بدأه علامة العصر في تفسير القرآن فإذا أصواتٌ نشازٌ ترتفع من هنا وهناك، فإذا برجل الحكمة والاتزان والعلم وإمام وخطيب المسجد النبوي الشريف فضيلة الشيخ عبد

العزیز بن صالح - رحمه الله - يُعاضده ويقف بجانبه، فلقد كان الفقيه المالكي، والمؤرخ، والأصولي يعتمد على النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولكن برُوح العالم المُدرك والواعي بمقاصد الشريعة، فمن الذي يريد أن تُكتب عليه الجفوة، يُصلِّي في المسجد النبوي ثم لا يقف على قبر المصطفى - ﷺ - وضجيعيه - مسلماً، أليس هو الذي أتانا بالرسالة من رب العباد؟ أليس هو الذي لا يرضى أن يكون أحدًا من أمته وقد نطق بالشهادتين في النار؟ أليس هو الشفيح للعباد في يوم يفرُّ فيه الناس من بعضهم؟ فإذا الحبيب المصطفى يسجدٌ تحت عرش الرحمن يُناجي ربه قائلاً: يا رب أمّتي . . أمّتي . . فإذا الوعد الإلهي يأتيه «والله لن أخزيك في أمّتك أبداً».

- إن الجفوة، والتشدد، والتشكيك فيما انطوت عليه قلوب المؤمنين من توحيد وإيمان وإقرار بالعبودية هي عللٌ استشرت بين بعض طلاب العلم فإذا هي كالنار في الهشيم، تفرق شمل الأمة، وتورث الضغينة، وتشعل أوار الفتنة في وقت أحوج ما تكون هذه الأمة إلى نسمات المحبة، وحسن الثقة، وتقارب وجهات النظر فيما اختلف فيه من الفروع. وكان العلماء يختلفون في عصور الإسلام الذهبية ولكنهم أسسوا قاموساً قوام كلماته هي احترام الرأي الآخر، والاعتراف بفضل ومناقب ومآثر من اختلف معه، هكذا كان أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، وابن تيمية وأبو حامد الغزالي، وابن القيم، والسبكي وغيرهم.

- إنني لأتذكر اليوم الذي وقف فيه أحدهم يسأل فقيد العلم في بلد المصطفى ﷺ عن مآل والدي النبي ﷺ فإذا الشيخ يستشاط غضباً ويرد قائلاً: «من هذا الذي يريد أن يفتح للفتنة باباً» . . وليت الآخرين سلكوا

مثل هذا الدرب الذي يعصم من الوقوع في الزلل وواضعين أمام أعينهم قول الله - عزّ وجلّ: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة»، وقول الحبيب - ﷺ - عندما شكى إليه عكرمة بن أبي جهل، سب الناس لأبيه الكافر فقال المعلم والنبى والهادى وكأنه يوجه الكلام لبعض أهل العلم اليوم جعلوا من هذا الموضوع ذكراً على ألسنتهم يرددونه صباحاً ومساءً، وكأنه من أركان الدين والإيمان، لقد قال النبى الخاتم موجهاً وواعظاً: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات».. أو كما قال عليه صلوات الله وسلامه.

- لقد فقدت الأمة الإسلامية في زمن قصير تلك النخبة المميزة من العلماء في علمها وخلقها وسلوكها وسعة أفقها، ورحابة صدرها، من أمثال أصحاب السماحة المشائخ: محمد متولى الشعراوى، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والعثيمين، محمد الغزالي، وعبد العزيز بن صالح، عبد الفتاح أبو غدة، صالح الغصون، عمر محمد جاد فلاته، إسحاق عزوز، مصطفى الزرقا، علي الطنطاوى، محمد ياسين الفادانى، وغيرهم رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جناته.

- وبموت الشيخ عطية محمد سالم - رحمه الله - يفقد العالم الإسلامى والعربى فقيهاً متمكناً، وواعظاً سمحاً، ومؤرخاً مدققاً، وشخصية إنسانية فذة، فلقد كان يستمع لمن يخالفونه الرأي ولا يحجب قولهم، ولا يغلظ لهم في القول، ويتفقد جيرانه ويقضى حوائجهم، وكما كان في القضاء يزن بميزان العدل، فلقد كان في العلم يزن بميزان العقل والموضوعية والفهم العميق لمقاصد الشريعة وأحكامها وضوابطها.

المبحث السادس عبد الله سلامة الجهني

* الفيلسوف الزاهد .

* «ظلموك إذ لم يكرموك» .

(١) الفيلسوف الزاهد

لا أعلم كم من السنين مضت على وفاة الأديب والمفكر الأستاذ عبد الله سلامة الجهني . كيف وتاريخ وفاته معروف؟ (١٣٤٧ - ١٤٠٩هـ) . لقد دخل الجهني هذه الحياة خفيفاً ظريفاً وغادرها كالطيف الحالم لم يحمل معه من متاع الدنيا الفاني شيئاً، ولكنه خلف علماً وورث فكراً، وأعظم من هذا كله أنه ترك أثراً عميقاً في نفوس الذين عرفوه وجلسوا إليه في الرّحاب الطاهرة بين المدينتين المقدستين .

قال لي مرة: «لقد نشأت بالمدينة وتعلّمتُ في مصر، وأنتجتُ في لبنان، واليوم أعود إلى المدينة أبحث فيها عن موطئ قدم» .

عاد الأديب الزاهد إلى المدينة، يجلس في الروضة الغراء وحيداً، ويجلس في مكتبة عارف حكمت وحيداً، ويقضي الليل في فرش الحجر، يقرأ كتاب الله وحيداً، حقيقته في يده، عباءته المتواضعة تكاد تكشف عن

جسمه النحيل، وأكاد أجزم أن الجهني لم يعرف الطعام الفاخر، والفراش الوثير، ولا المسكن المتسع، كان ينزل ضيفاً على أحبائه في الحرة الغربية التي كانت قبل ربع قرن من الزمن موضعاً نائياً في بلد المصطفى - ﷺ . وكان جدي لأمي (محمد بن سليمان الأحمدي) رحمه الله يسكن تلك الحرة التي يخترقها الخط القديم لسكة حديد الحجاز، وكنت ألمح الأستاذ الجهني بين الحين والآخر قادمًا من هذا الموضع الذي اتخذته القبائل المتجذرة بلد المصطفى - ﷺ - مسكنًا لهم إنهم كغيرهم من الناس يطمعون في جيرة المصطفى، ﷺ . ألم ينزح فالح الظاهري إلى هذه المدينة المباركة وتلقى العلوم على أيدي علماء الحرم النبوي الشريف حتى أصبح حُجَّة في علوم الشريعة. يقصده طلاب العلم من جميع أنحاء المعمورة، ليجلسوا في حلقة وهو في هذا يشابه إبراهيم الكوراني، وابنه أبا الطاهر الذي تلقى العلم على يديه: المجدد ولي الله الدهلوي، وحمدان الوئيس الذي جلس في حلقته أمير البيان شكيب أرسلان، وروي عنه حديث «ستداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها»، أو كما قال الحبيب المُنزّه قوله عن الخطأ سيدنا رسول الله ﷺ .

عبد الله الجهني رائد من أولئك الرواد الذين إذا جلست إليهم تشعر بأنك تجلس إلى عالم وأديب وفيلسوف، يَقْرُ بالرأي الآخر ويعترف به . وكُنْتُ ذات يوم - بحضور الأستاذ الفاضل محمد صلاح الدين والزميل الكريم الدكتور جميل مغربي - أناقشه في الذين يتشدقون بتعددية الفكر ثم تجدهم أول الجاحدين بهذا المبدأ فإنه به يرد عليك أن تلتزم بما أخذت به نفسك من الإيمان بقضية كهذه، ولا تلتفت إلى الآخرين وما يصدر عنهم، ولم أصغ إليه متحدثاً في فرش الحجر الطيب الذكر أو بجوار المنبر الأزهر

في حرم النبي الخاتم - عليه صلوات الله وسلامه - إلا وحدثني عن مكارم الأخلاق أبو عمر الأستاذ صلاح يذكر حديثه عن هذه المكارم في آخر لقاء ضمناً به في داري المتواضعة، وقبل وفاته بأسابيع معدودة كان حديثه عن المكارم ينطلق من أنه رجل يؤمن بالسلوك يقول فيفعل، ويقرأ فيطبق، يستنطق آيات كتاب الله الكريم. وكان آخر أعماله ما بدأه من تفسير لبعض سور القرآن لأن عينيه كانت لا تفارقان آيات التنزيل العظيم وكان قلبه معلقاً بالآخرة وجسمه يتحرك في هذه الأرض في طمأنينة وسكينة. لقد استقر النور في فؤاده وانعكس في ذلك الوجه الذي لم يعرف الخنوع إلا لله وحده كان بعض أندادي يتطلعون للجلوس مع هذا الفيلسوف الزاهد ولكن صاحبنا أثر العزلة وارتضى بالصفوة من الأصدقاء كان يقول لي: «سمعتُ صوتك توقفت، ويُنادي الآخرون فلا أعبأ بهم»، لم يكن الجهني يعرف الكبرياء ولا خالطت نفسه مفاهيم الترفع ولكنها قسوة الحياة وتفرق الأصدقاء من حوله في فترة من فترات حياته، جعلته يستأنس بالوحدة ويرضى بتلك العزلة التي لولاها لأفاد طلاب العلم من هذا الرائد الذي كتب في الأنساب، والتاريخ، والأدب والفكر، ولا نكاد نعرش على شيء من إنتاجه الذي اكتسب به ريادة بين زملائه، في مدرسة تحضير البعثات يعرفون عنه الكثير وفي مقدمتهم أستاذنا الفاضل محمد حميدة - أطال الله في عمره - ويوم كتب الزميل الدكتور مرزوق بن تنباك في ملحق الثقافة بصحيفة (الرياض)، مشيراً إلى ريادته في دنيا الفكر والأدب وأن أحداً لم يشر إلى ذلك، بعثت له بما كتبه عنه في حارة الأغوات، فكتب معتذراً وفرحاً في الوقت نفسه وليعلم الصديق ابن تنباك أن الجهني الذي كان قلبه معلقاً بالمقام البهي، والروضة العامرة وبأهل الذكر في الدنيا، لم تنزل روحه ترفرف حول ذلك المقام الطاهر الذي أحبه، وتأدب في جواره.

فلقد رأيت في منامي بعدما فارقت روحه إلى عالم الخلود، لقد رأيت الرجل يلف جسمه بذلك اللباس الأبيض يصلي خلف مقام المؤذنين كان ينظر إليّ وكأن حاله يقول: «لقد فارق هذا المقام جسدي وبقيت روحي في أجوائه الندية الطاهرة»، وذلك أقصى ما يتطلع إليه رجال نذروا نفوسهم لحب الله ورسول الله ﷺ قولاً وفعلاً. فهنيئاً للجُهني بالعلم الذي حفظ والفكر الذي سعى لنشره بين طلاب العلم ومريدي المعرفة، وهنيئاً له بذلك المقام الكريم الذي كرمه الله به في آخرته التي كان يعد لها عُدَّة المسافر ويهيئ نفسه لها كأجمل وأكرم ما يكون التهيؤ، فرحمه الله رحمة الله للأبرار من عباده البررة والصالحين.

* * *

(٢) «ظلموك إذ لم يُكْرَموك»

- لا أعرف متى رأيت المرحوم الأستاذ عبد الله سلامة الجُهني لأول مرة، ويبدو أنه خرج من المدينة المنورة - مسقط رأسه - في حقبة الستينيات الهجرية حيث يذكر أن من بين زملائه الأساتذة أصحاب المعالي والسعادة، من أمثال الشيخ إبراهيم العنقري والسيد أحمد زكي يمانى، والأستاذ حسن آل الشيخ، والأستاذ عبد الرحمن بن صالح - رحمهما الله - وأستاذنا الفاضل محمد حميدة - أمد الله في عمره - ولا بد أنه زامل هؤلاء وغيرهم في مكة المكرمة، وفي (مصر) في فترة لاحقة. ويبدو من الترجمة الموجزة للأستاذ الجُهني في (موسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين) للأستاذ أحمد بن سعيد بن سلّم، أنه كان ضمن الدفعة الثانية من المبتعثين السعوديين إلى مصر، وأنه لم يكتف بالحصول على درجة الليسانس في (اللغة العربية) من دار العلوم، بل قاده طموحه ليلتحق بالمعهد العالي

للمعلمين بالإسكندرية حيث حصل على دبلوم في علم النفس، ثم عاد مع نهاية السبعينيات الهجرية، ليشترك في الحياة العلمية والفكرية والأدبية في بلاده، مدرساً وباحثاً ثم ملحقاً ثقافياً في لبنان.

- لن أنسى يوماً ما من أيام غدوْنَا ورؤاحنا في مسجد رسول الله - ﷺ - فإذا بأستاذي الفاضل الشيخ حسين الخطيب - أمدَّ الله في عمره - يطلب مني أن أرافقه إلى موضع قرب ما نطلق عليه في المدينة الطاهرة مُسمًى المكبرية. من هناك انطلقت الأصوات الندية لمؤذنين رحلوا عن عالمنا هذا من أمثال المشائخ (حسين بخاري)، (عبد الستار بخاري)، (السيد هاشم غباشي)، (السيد (عبد الرزاق نجدي)، (محمود نعمان)، (السيد حمزة نجدي)، (السيد حسين نجدي)، وغيرهم وإذا لم تكن الأصوات الندية والقلوب المطمئنة هي التي ترفع نداء الحق، فمن لهذا الواجب يؤديه؟ ومن هذه الشعيرة يقوم بها؟ وأخذت بيد شيخي (الخطيب)، فإذا نحن أمام رجل نحيل الجسم، مُضيء الوجه، أمامه حقيبة، وفيها شيء من بضاعة أهل الفكر والأدب، كتب وأقلام، وورق كُتبتْ سطوره بخطَّ جميل وواضح. سلّمنا عليه، وكان يخفض صوته تأدباً مع صاحب المقام السني - عليه صلوات الله وسلامه - ، وسأل أستاذنا الخطيب إن كان باستطاعة الأستاذ الجهني تخصيص بعض الوقت للمطالعة والدرس معه.

- أنصتَ الأستاذ (الجهني) مقدراً لشيخنا الكريم بحثه عنه واختياره له صاحباً ورفيقاً وجليساً، ولكنه تابع حديثه يقول «لقد هربت من الدنيا وتركت وراء ظهري متاعها الفاني، فإذا هي تلاحقني داخل المسجد».

- كانت العبارات التي تفوّه بها الأستاذ (الجهني) كافية لشيخنا أن يغادر حلقة الأستاذ (الجهني) ويعود لموضعه قرب (الصفّة). وظلت عيناى

تلاحق هذا الرجل، يؤمُّ المكتبة العامة صباحاً، ومكتبة عارف حكمت عصرًا، ينقُب بين الكتب والمخطوطات، ثم إذا عم السكون سماء المدينة الطاهرة، تسلل إلى موضع يُعرف باسم (فرش الحجر) بالقرب من باب (جبريل)، وأمسك بالمصحف بين يديه مرتلاً، وكان رجل آخر من الأخوة الإفريقيين المهاجرين، يتلو القرآن هو الآخر ويتهجَّد بعيداً عن أعين الناس، وكان فضولنا كطلاب يحملون كتبهم بين أيديهم للاستعداد للامتحانات يقودنا لرؤية المفكر والأديب (الجهني) وأمثاله من رجال يمشون على الأرض وقلوبهم معلقة بالسماء.

- وأحببتُ رجلاً لا يعرف لسانه الفاحش من القول، ولا ينطوي قلبه على ضغينة وحسد، ولا تناقض أفعاله أقواله، ولا يقبل من أحد عطية ولا مالاً. يدعو إلى مكارم الأخلاق ويؤمن بالرأي الآخر ولا يحجر عليه، وكان يوماً قبل أن يتوفى بأسابيع عدة يزورني في داري في «جدة»، وكان من بين الحضور أستاذنا الفاضل (محمد صلاح الدين) فإذا أحدنا يقول: «إن البعض يدعو للتعددية الفكرية ولا يلتزم بها ويتعصب لرأيه الأحادي»، فإذا الأستاذ الجهني يلتفت قائلاً: «امنحه فرصة التعبير عن رأيه فهذا أجدى من نقده، وسوف يقوده سلوكك هذا لتغيير مسلكه في التفكير».

- كان الجهني - رحمه الله - يقول: «حاسبوا الناس على أفعالهم ولا تحاسبوهم على أقوالهم فاللسان يزل والإنسان معرّض للخطأ في القول، ولكنه ربما عاد ورجع فلنترك له الباب مفتوحاً».

- وكان - رحمه الله - يدعو لمكارم الأخلاق، وأعلم أن المرحوم الجهني كان يطوي ليله ونهاره على القليل من الزاد، ولكنه إذا رأى ضيفاً صنع المستحيل من أجل إكرامه، وكانت بيوت القوم مفتوحة أمام أستاذنا،

ولكنه لا يُخالط إلا القليل من الناس، وكان إذا استلم مكافأته من صحيفة المدينة وزَّعها على البعض قبل أن يغادر مبنى الصحيفة العريقة، واسألوا الأستاذين الكريمين أحمد محمود، وعلي حسون فسوف يؤكدان ما ذهبت إليه من قول، وما تحدثت به من سلوكيات رفيعة عن أستاذنا الجهني قد يخالها البعض في وقتنا هذا أسطورة أو مبالغة.

- وكتب (الجهني) في علم الأنساب، والأدب، وعلم التفسير، وكان يعرف عن الحركة الأدبية في بلادنا والعالم العربي الشيء الكثير، ولكن صروف الدهر حالت بينه وبين تدوين ما في جُعبته من علم، وما انطوت عليه نفسه الصادقة والشفافة من معارف شتى أزعم أنني سمعت الكثير منها عندما توثقت عُرى المودة بيننا في رضاء الله ورسوله ﷺ.

- وقبل أن ينتقل إلى الدار الآخرة، هاتفني وطلب مني أن أصحبه إلى شاطئ جدة، تُرى هل كان (عبد الله سلامه) سوف يُبوح للبحر بالسر الذي طوى عليه نفسه دهرًا؟ ولقد طَوَّح به الزمن كثيراً ولكنني لم أسمع منه يوماً عبارة تنم عن بأس، أو كلمة تدل على ضجر، أو إيماء تشير إلى قلق. لقد كان راضياً بقضاء الله وقدره، وتلك سمة عباد الله الذين أودع فيهم من السر ما أودع، واختارهم ليضيئوا بأقوالهم، وأفعالهم ما يعترى الحياة من عُتمة، وما يصيب النفوس من نزغ وانحراف، وصدق الشاعر الكبير السيد (محمد حسن فقي) - أمد الله في عمره - حين قال يرثي - صديقه الشاعر الراحل حمزة شحاته:

إن الذي خلق الحياة حفيلاً بالشراً أنقذنا ببعض خياره
- لقد نسيك القوم حين كرموا رواد الفكر والأدب في تاريخ المدينة الطاهرة، وأخال أن صوتاً نشازاً في المُنتدى ارتفع يُلوِّح بكلتا يديه،

معارضاً فهو لا يطيق سماع أسماء من ترفعوا عن الصغائر، وأنشدوا للحياة
(سيمفونية) المثل الرفيعة من فضائل وأخلاق، وأعلم أنك سوف
تسامحهم، وأنت في دار البقاء، كما سامحت وصفححت عن غيرهم من
أصدقاء الأمس الذين نسوك وأنت ما زلت حياً بينهم، إنما سوف يظل
ذكرك الحسن يعطر دروب المدينة ومغانيتها بأريج الحب وعَبق الفضيلة.

* * *

المبحث السابع

زينب مغربل ودور المرأة في المسيرة التعليمية بالمدينة المنورة

- يَعْتَبُ الصَّدِيقُ المُهَنْدِسُ إبراهيم عاتق أبو مَزِيدٍ بَأَنِّي نَسِيْتُ دَوْرَ المرأةِ الفاعلِ في تاريخِ المدينة المنورة (المُعاصر) وذكَّرني بـ (حَوْشُ عَمِيرَةَ) الذي كان يقوم في الحقبَةِ الماضيَةِ عند مَدخَلِ قُبَاءِ، وأمام المسجدِ المعروفِ باسمِ مَسْجِدِ سَيِّدِنَا عمر بن الخَطَّابِ - رضي اللهُ عنه - وكان آلُ مَزِيدٍ وبشِيرٍ، والبازِ وعبد الحميدِ عَبَّاسٍ والسَّيْسِيِّ والدَّعْجَانِ والحَلَوَانِيِّ، ورزقٍ، والسَّنْدِيِّ، وعُبيدٍ، (معالي الدكتور رضا عبيد وأخيه طالب) ومقنصٍ، وزيت حارٍ ومرزَا والفنيكاني، والشريف السنوسي، والجزَّارِ، والحجيلي، والكردي، والقِرَافِي، وغيرهم يسكنون في داخل هذا الحوش. أمَّا آلُ شَيْخِ، والزُهْدِيِّ والدَّرْدُومِ، وناجِي أفندي، فكانوا يسكنون بالقربِ مِنْ مَدخَلِهِ.

- جُمْلَةٌ مِنَ النِّسَاءِ كان لهنَّ دَوْرٌ في حِفْظِ نِظامِ (الحوش)، وتنظيم حفلات الرِّفَافِ، و (الصَّرَافَةِ) - حفلة حِفْظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، و (السَّرَارَةِ) وهو مصطلحٌ يَعْنِي مَنْ كان يقوم بأداء فريضة الحج لأول مرة، ثم يعود للمدينة سالمًا.

- وأدرکتُ كما أدركَ أخي إبراهيم - على رَغْمِ فارقِ السَّنِ بيننا -
الأمّهات: عائشة حسينية، وأمنة طلحة، وفاطمة رزقية، وآسية علي
سليمان، وأم محمد أمين، وشمّة بنت عمير، ودادة حسينة - رحمهن الله
- وهذه الأخيرة تجاوزَ دَوْرَها حارتي قُبَاءَ والعَنْبَرِيَّةَ ليشمَلَ المدينة جميعها.
كانت امرأةً فاضلةً قادتها ظروف صعبة لتسكُنَ المدينة وتحلَّ في دار آل
(عُبَيْد) وعندما تُوفي ربُّ الأسرة، احتضنتُ الطُّفْلَيْنِ رضا وطالب عُبَيْد،
وقامت على تربيتهما، وكانت تُشْرِفُ على دراستهما حتى تخرَّجا في
الدراسات الجامعية وما بعدها فكانا مِنْ الصَّفوةِ المُثَقَّفةِ في بلادنا الكريمة
ونشأتُ الأجيال في بلد المصطفى - ﷺ - تسمع بهذا المثل، يقول الأب
لأبنائه أو الأمُّ لأبنائها: «خَلِّيك مثل وَلَدِ عُبَيْد شاطر في الدراسة»، وإذا
كان جيلنا سَمِعَ هذه العبارة في مقتبل عُمره وترسَّخت في ذاكرته فإن
السياق يدفني لرواية هذه القصة: فلقد كنت أسيِّرُ بصُحبةِ سَليلِ النَّسبِ
الطَّاهر، وأسرةِ العِلْمِ والفضْلِ في بلدِ المصطفى - ﷺ - معالي الصِّديق
الدكتور غازي بن عُبَيْد عبد الله مدني، كُنَّا نسيرُ سويَّةً في رحبةِ داره
العامرة، فإذا هو يقول: لقد ذكرتُ من قبل أننا نشأنا في المدينة وكان
أمامنا مثلُ في العصامية والجِدِّ والاجتهاد وهو معالي الدكتور (رضا عُبَيْد)،
ولعلَّ البعض يَخْلُطُ عن غيرِ قَصْدٍ بين أسرة (عُبَيْد) التي ينتمي لها الدكتور
رضا وإخوانه صالح وطالب، وبين أسرة السيد عُبَيْد مدني وأخيه أمين -
أبناء السيد عبد الله مدني صاحب منتدى أم الشجرة، وأول فندق يُنشأ في
جزيرة العرب وكان مقرُّه باب المجيدي، وبين أسرة السيد أحمد عُبَيْد
المدني الكاتب المعروف - والد إبراهيم وطاهر - رحمهما الله - والسيدة
ثرية أحمد عُبَيْد - الأمين العام المساعد في هيئة الأمم الدولية - وهي أول
امرأة تتولَّى هذا المنصب مِنْ منطقة الخليج العربي.

لم يَنسُ رضا وطالب صنيع الخالة حسينة - رحمها الله - فعندما دبَّ الوهن في جسدها الذي أفنته في رضاء الله، وخدمته النَّاسَ كَرَمًا وفضلاً منها، احتضناها كبيرةً كما احتضنتهم صغاراً وِبرًا بها كما برّا بوالدتهما التي كانت تسكنُ حوش عميرة - نفسه - .

- كثير من شُجون الحياة يُمحي من ذاكرة الإنسان، ولكنني لن أنسى خُرُوجي قبل ظهر كل يوم من دارنا لأصطحب كريمتي الأكبر سنًا من الكُتَّاب الذي كان يقوم فيما يُعرف بدكَّة الترجمان - أمام مبنى الإمارة ومسجد سيدنا بلال - رضي الله عنه - لقد كانت تذهب صباحاً لتتعلَّم القراءة والكتابة في كُتَّاب الأستاذة (مُغربلية) - في وقت لم يبدأ فيه التعليم النَّظامي للمرأة في بلادنا - وهذا يجعلني أميلُ إلى أَنَّ كُتَّاب الأستاذة زينب مغربلي - التي فارقت هذه الحياة قبل مدة ليست بالطويلة من تاريخ كتابة هذه السطور - كانت بدايته قبل حوالي نصف قرن من الزمن، وإني أكتب وليس بين يدي من المصادر المتخصصة ما يعينني على ذكر تاريخ إنشاء هذا الكُتَّاب أو تلك المدرسة موثقاً، ولكنني عدت لأستاذ الجميع أمين مرشد - أطال الله بقاءه - الذي شهد بدايات النهضة التعليمية في بلادنا، وكان مساعداً لأستاذ الجيل السيد ماجد عشقي في المدرسة التحضيرية الأولى التي أطلق عليها فيما بعد اسم (المدرسة المنصورية) وأصبح الأستاذ (مرشد) مديراً لها، ثم مديراً للناصرية. ونبهني الأستاذ (أمين) إلى أن كُتَّاب (فاطمة هانم) في الساحة، و (فخرية هانم) في الشونة هما من أقدم مراكز التعليم الأهلي للبنات في بلادنا. ثم أنشأت السيدة (زينب مغربلي) - رحمها الله - كُتَّابها في العنبرية، ولقد كان الكُتَّاب يعنى بتعليم القراءة السليمة لكتاب الله الحكيم، وكان التركيز شديداً على مادة الإنشاء أو التعبير كما أن فترة الدراسة تمتد أحياناً إلى وقت العصر.

- أما الأستاذة شرف علمي فلقد أنشأت مدرسة نظامية وجلبت لها أستاذات متخصصات من بعض البلاد العربية، وكانت مدارسها - إن لم تخني الذاكرة - في المشرفية بحي قباء، ولقد قدمت الدولة كل التسهيلات للتعليم الأهلي في بلادنا، ونفخر اليوم بجهود الرئاسة العامة لتعليم البنات على مدى عدة عقود، أصبحت المرأة فيها على قدر كبير من الوعي والإدراك مما أهلها للمشاركة - بحسب ضوابط الشريعة الإسلامية - في النهضة الحضارية والفكرية والثقافية في مهبط الوحي ومهد العروبة والإسلام.

- وإذا كنا أتينا على دور المرأة في نشر العلم في عاصمة الإسلام الأولى، فلا بد من الإشادة بدور المرحوم بإذن الله السيد أحمد الفيض آبادي الذي أسس مدرسة العلوم الشرعية التي تخرج فيها عدد كبير من جيل الرواد من أمثال المشائخ والأساتذة: محمد الحافظ، محمد علي الحركان، عبد المجيد حسن جبرتي، محمد عمر توفيق، عبد العزيز الربيع، أمين عبد الله القرقوري، أسامة وأنس ونعيمان عبد الرحمن عثمان، عبد الفتاح أبو مدين وغيرهم، ودور السيدين علي وعثمان حافظ اللذين أنشأ مدرسة الصحراء بالمسيجيد التي تخرج فيها كذلك عدد كبير من أبناء قبيلة حرب العريقة. وذكر لي السيد زهير حافظ - أمد الله في عُمره - أن أخويه السيدين علي وعثمان استدانا من والدهم السيد عبد القادر حافظ - رحمه الله - ما يقرب من مائة جنيه ذهب عند تأسيس المدرسة، ولم يسددا البقية من هذا الدين إلا بعد وفاة والدهم الكريم. فهل هناك تضحية في سبيل العلم ونشره أكثر من هذه التضحية؟ ولقد كان رائدهما في ذلك طلب الأجر والمثوبة من رب العباد. ولا بدّ من التنويه كذلك بدور الأستاذ عمر عادل - رحمه الله - الذي أسس (مدرسة النجاح)، ولقد اتخذ

من منزله عند تأسيسها مقرأً لها، حتى استقام كيان هذه المدرسة الرائدة واحتضنتها الدولة برعايتها كغيرها من المؤسسات التعليمية الأهلية، وإنها مناسبة كريمة أن نشيد بدور نساء فاضلات، ورجال كرام في المسيرة التعليمية في هذا البلد المعطاء، وأترك بقية الحديث لكاتباتنا الفاضلات سهيلة حماد، نورة الخريجي، وفاء الطيب، وسميرة مغربل. ليكتبن عما يعرفنه من تاريخ التعليم النسوي في بلادنا.

* * *

ملاحق الكتاب

الملحق الأول مخطوطات من أرض الحرمين في الريف الإنجليزي

- تناقلت بعض الصحف العربية الدولية - أخيراً - أخبار عرض بعض المخطوطات الهامة في علوم عدة منها ما هو نظري ومنها ما هو تطبيقي، وقد تم هذا العرض في مؤسسات خاصة تتم فيها المزايدات على كتب وصور ومقتنيات قديمة ومن أشهر هذه المؤسسات، مؤسسة (كريستي)، وكان أهم ما تميز به هذا العرض الأخير أن هذه المجموعة من المخطوطات قد تم نسخها في مكة المكرمة، وأنها وجدت في صندوق خشبي، وكان هذا الصندوق محفوظاً في مقاطعة من مقاطعات المملكة المتحدة البريطانية.

- ولكن هل هذه الرواية خضعت لشيء من التمهيص؟ وخصوصاً أن الرحالة البريطانيين قد جابوا الجزيرة العربية مع غيرهم من الرحالة الذين ينتمون لبلاد غربية أخرى ومن أشهرهم «سير ريتشارد بيرتون» والذي يذكر الباحث الإنجليزي روبرت إروين Robert Irwin صلة هذا الباحث المتعدد المواهب بالمخابرات البريطانية وهذا ما حدا بزوجته (إيزابيل) لحرق عدد

من أعماله الأدبية الهامة، كما لا يغيب عن الأذهان دور الرحالة (فيلبي) وتغلغله في الحياة العربية بصورة تدعو إلى الكثير من الغرابة والدهشة.

- يضاف إلى ما ذكرناه والبحث فيه قد ربطتهم علاقات معينة ببعض الشخصيات الغربية الهامة ويأتي في مقدمة هؤلاء (أمين بن حسن الحلواني المدني) الذي ارتبط بعلاقة وثيقة مع المستشرق السويدي (كارلو، لاندبرج)، وكانت ثمرة هذه العلاقة هو توجه (الحلواني) إلى ليدن، وأمستردام في سنة ١٣٠١هـ - ١٨٨٣م، بمجموعة من المخطوطات العربية، وقد قامت مكتبة (بريل) بهولندا، بشراء أكثر من «٦٠٠» مخطوطة، قام (الحلواني) بنقلها من المدينة المنورة إلى مصر، ثم إلى هولندا وباعها هناك تحت ظروف مالية صعبة كان يمر بها الحلواني - آنذاك - ومع اختلاف تفسير نوازع الحلواني لبيع هذه المجموعة، فإن مكتبة بريل لا تزال تحتفظ بها، مع وجود فهرس منشور خاص بها تحت اسم (فهرس ليدن) بريل ١٨٨٣م، وقد كُتب الفهرس باللغة الفرنسية وقد ترجمه العبد الفقير إلى الله إلى اللغة الإنجليزية، وينتظر منذ سنوات عملية ترجمته إلى اللغة العربية، وأذكر أنني أثناء دراستي بجامعة فكتوريا بمدينة (منشستر) البريطانية ١٩٨٢ - ١٩٧٦م، لتحضير درجة الدكتوراه، احتجت لمصوّرتين من مخطوطتين إحداهما تتعلق بقصيدة هامة لشاعر المدينة المعروف عبد الجليل برادة، والأخرى عن حرّات المدينة والحوادث البركانية المتعلقة بها، فزوّدتني المؤسسة المذكورة بما احتجت إليه، وقد استفاد الزميل الدكتور محمد بن عبد الله آل زلفة من مخطوطة (البرّادة) لاشتمالها على ذكر بعض الحوادث التاريخية المرتبطة بمنطقة عسير.

- ولقد أثار الأستاذ محمد حسين زيدان - رحمه الله - في حفل تكريم

الأستاذ صلاح الدين المُنْجِد باثنية (الأستاذ الأديب عبد المقصود خوجه) قضية فهرست مكتبة عارف حكمت، وأن أحد المسؤولين عن المكتبة قد فرط في عدد كبير من مخطوطات المكتبة الهامة التي كانت تقوم في الناحية القبليّة من المسجد النبوي الشريف وبالقرب من دار أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - والتي حظيت بإقامة الحبيب - عليه السلام - في فنائها قبل إقامته للمسجد الشريف .

- وفي زيارة للبلد الطاهر توجهتُ لدار رجل الفضل السيد حبيب محمود أحمد، ووجهت إليه السؤال عما أثاره الأستاذ الزيدان حول هذه القضية وذلك بحكم إشرافه على أوقاف المدينة ومكتباتها لحقبة طويلة، فذكر أنه كلف كلاً من الأستاذ محمد حميدة الطيب - أطال الله بقاءه - والأستاذ محمد سعيد عبد القادر الشلبي - رحمه الله - ووالد هذا الأخير كان له الفضل في تزويد الأستاذ الزيدان بالثقافة الدينية والعربية والتاريخية، وشاركه هذه الخطوة وذلك الاهتمام كل من الأستاذين أحمد عبيد المدني - الكاتب والصحافي الشهير - والأستاذ صلاح الدين عبد الجواد - رحمهما الله - بعملية مراجعة الكشوف القديمة في المكتبة منذ عام ١٣٠٠هـ والتي كان الغرض منها جرد الكتب سنوياً، وتقديم كشف بعملية (الجرد) هذه، للمسؤولين، ثم قاموا بعملية جرد لمحتويات المكتبة، فكان الفرق بين ما أثبتته الكشوف القديمة الموثقة وعملية الجرد المتأخرة، هو حوالي «١٣٠» مخطوطة وأن ما يقرب من حوالي «٧٠» أو «٨٠» مخطوطة قد عاد إلى الآستانة بطلب رسمي من المسؤولين - آنذاك - وأن المفقود من المخطوطات وهو لا يتعدى أربعين أو خمسين مخطوطة هو من الرسائل الصغيرة. وعلق أبو أحمد إن هذا إبراء لذمة أمين المكتبة الشيخ إبراهيم

خربوطلي - رحمه الله - وذكر لي - أدامه الله - أن القائد العثماني فخري باشا، حاول قبل تسليم المدينة أن يقنع حفيده شيخ الإسلام ومؤسس المكتبة - عارف حكمت - أن تسمح له بنقل المكتبة إلى تركيا فرفضت بشدة، ومع هذا فقد أمر بنقل المكتبة وعندما وصلت إلى الشام قامت الحرب العالمية الأولى فظلت المكتبة هناك وبعد انتهاء الحرب - أمر الشريف عبد الله بن الحسين بإرجاعها إلى المدينة - وأنه على الرغم من وجود مخطوطات المكتبة بالقرب من نهر بردى فإنها لم تصب بأذى، وحتى أكون أكثر دقة فإن اسم الشخص الذي أمر بإرجاع المكتبة سمعته من الشيخ الفاضل جعفر بن إبراهيم فقيه - رحمه الله - بداره السابقة (بصيادة) بحي باب المجيدي، ورواية السيد حبيب والشيخ الفقيه الذي كان مسؤولاً عن مكتبة المدينة العامة، وبذل جهوداً كبيرة في ضم عدد من مكتبات المدارس الخاصة وبعض المجموعات الهامة التي كانت في دور العلم والمعرفة بالبلد الطاهر، مثل مجموعة السادة آل الصافي، ومجموعة محدث الحرمين الشريفين الشيخ عمر حمدان المحرّسي، أقول إن هاتين الروايتين اللتين سمعتهما بأذني متطابقتان إلى حد بعيد.

الملحق الثاني

الحلّيت يرثي الشيخ عبد الحميد عباس شعراً

- في عام ١٤٠٨هـ، فقدت المدينة المنورة واحداً من كبار رجالاتها ووجهائها ألا وهو الشيخ الفاضل عبد الحميد عباس - يرحمه الله - والشيخ الجليل رغم أنه كان من كبار المزارعين إلا أن الثقافة والعلم كان لهما نصيب كبير في تكوينه وهو ما انعكس في إقامته لمجلس شهير هو مجلس (العباسية) الذي كان يؤمه علماء ومثقفون ومزارعون من المدينة .

كما كان للراحل الجليل دوره الذي لا يُنكر في إصلاح ذات البين بين أهل المدينة وحل مشاكل الناس فاستحق حب وتقدير أبناء المدينة بصورة يستحقها رجل فاضل بحجم الشيخ عبد الحميد عباس - يرحمه الله - وليس أدل على ذلك من تلك القصيدة الرائعة التي كتبها الشاعر المرموق عبد المحسن الحلّيت مسلم أحد الشعراء والمبدعين الكبار من أبناء مدينة رسول الله - ﷺ - وكان عنوان القصيدة (يا عم) والتي كتبها الحلّيت في رثاء الشيخ الجليل عبد الحميد عباس والتي نعرضها في السطور القادمة .

حملوك (للمثوى الأخير) وغابوا لم يبقَ لي حُبٌّ ولا أحبابُ
حملوك للمثوى الأخير.. وأضلعي نارٌ، وأسبابي هي الأسبابُ
وشتاء أشجاني طويلاً قارسٌ لا تفهم الأشجانُ كيف أصابُ

وقصائدي لَمَّا رَحَلْتَ تَشَرَّدْتُ ما عاد يَعْرِفُ بَيْتَهَا الخُطَّابُ
وأنا وشِعْري منذُ أن غَادَرْتَنَا صرنا سؤالاَ ما عليه جَوَابُ
وأنا وحرزني لم نُفارق بَعْضَنَا فأنا وحرزني دائماً أعرابُ!

* * *

حملوك للمثوى الأخير وقبلهم ذابت عبارات العزاء.. فذابوا
وانهارت الكلمات في أفواههم وتحذثت عن نفسها الأهدابُ
يا عمُّ.. لو أبصرت من يبكي هنا لرأيت كيف ابتلت الأثوابُ
لرأيت كيف بكى الصغارُ.. و (جدُّهم) ما عاد يسأل عنهمو إن غابوا!
ما عاد يجلسُ بينهم.. وحيوبه (حَلوى).. وهم من حوله أسرابُ
ما عاد يسمعُ عن (شقاوتهم) فهمُ من بعده عن كلِّ شيءٍ تابوا
ما عاد يذكرُ لا «أناشيداً».. ولا ما قاله (سلطان) أو (أهدابُ)
ورأوا الذين بكوا.. لأنك راحلُ فبكوا. ولم تُشغلهم الأسبابُ
لم يعرفوا للموت تفسيراً.. وما للموت تفسيرٌ ولا إعرابُ!

* * *

حملوك (للمثوى الأخير) فأطرقت وبكت عليك مآذنٌ وقبابُ
وبكى عليك الفقرُ في فقرائه وبكت بيوتُ ما لها أبوابُ
واليثمُ مرسومٌ على جدرانهم ما أبلغَ الجدرانَ وهي خرابُ
وتنكست يومَ اختفيت رقابُ وتنكست يومَ اختفيت رقابُ
يا أيها المدفونُ في قلبي الذي في أرضه كم يُدفن الأحابُ
لم تلتفت.. و «أبي» تقول دموعه شعراً وتسهرُ عنده الأوصابُ
لم تلتفت.. وهو الذي أعصابه صارت بدونك ما لها أعصابُ

ينسى أمام الناس بعض همومه ويزوره في الليل منك خطابُ
ولقلبه المكسور ألف حكايةٍ لم تزوها كتب ولا كُتَّابُ!

* * *

يا عمُّ . . يا جبلاً على أحضانه كم نام غيثٌ واستراح سحابُ
يا عمُّ . . أنت الحبُّ . . أنت حقوله أنا فيه تلميذٌ . . وأنت كتابُ!
يا عمُّ . . أنت قصائدي وحروفها يا عمُّ . . أنت الماء والأكوابُ
لا أنت تسمع أدمعي ودعاءها بيني وبينك حفرةٌ وترابُ
بينني وبينك ألف سُورٍ واقف وأنا على (باب البقيع) ضبابُ
ناديتُ مرَّاتٍ . . وساعدني الصدى فأجابتِ الجدرانُ والأبوابُ
ورأيتُ (نعشك) يختفي فتساقطتُ أوراقٌ قلبي وهي بعدُ شبابُ
ورجعتُ أدراجي وحيداً . . وانتهتُ تلك القصيدةُ وانتهى الإعجابُ

* * *

يا عمُّ سامح أدمعي إن بالغتُ فلاذمعي عند الهُموم حسابُ
نصفُ الذين أحبهم رحلوا . . ولم يبقَ عدا الأسماء والألقاب!

* * *

الملحق الثالث

نَجْمُ «حرب» الذي سقط (*)

- تلفتُ أبحث عنك بين جموع الناس المتناثرة في ظل ذلك السوح الآمن، فإذا أنت المحمول على أكتافهم وأنصت للأصوات الهامسة في ساعة الحزن، فألفيت الردى وقد أخرس منك اللسان الذرب، وكم أخرس الموت من أفواه أو أسكت من ألسنة؟!

- ولئن أخرس الموت منك لساناً يا أبا سليمان فإن من جاؤوا ليهيلوا عليك التراب الطاهر، كانت العبرات تخنقهم وهم يرددون «لقد سقط اليوم نجم من نجوم قبيلة حرب»، ولم تكن القبيلة وحدها في (المسيحيد والفقرة)، و (عرقوس) التي ترى فيك رجل الملمات الذي تُسمع كلمته، وتطلب حكيمته، ولك كُنْتَ ابْنَ البادية الذي يحمل بين بُرديه ذلك الحسّ الحضاري، فتقاسمت (العيون) و (قُباء) و (الفريش)، و (الرؤيس) و(الكندرة) ذلك الحب الذي صنعته بلسان عف، وقلب رحيم، وابتسامة صادقة، ويد معطاء تبذل أكثر مما تأخذ.

- ولقد سمعت الطبيب يقول لك: «إن القلب منك قد وهن كثيراً،

(*) الكلمة في رثاء الخال حامد بن سليمان الأحمدى رحمه الله.

فعليك بالراحة»، فإذا أنت تبتسم وتقول «حمداً لله»، لقد أخذت من دنياي ما يكفي وما بقي من العمر فإنني راضٍ به، ما دمت في الصباح والعشية أردد الشهادتين!

وأعلم أن النَّصَلَ قد اخترق الفؤاد منك منذ أن فقدت (خالد) رحمه الله، لقد كنت تخشى عليه من مقود الطَّائرة، فإذا الموت يحتصنه وهو متكئ على مقود السيارة، ودخلتُ عليك يومها، وهو مسجى بجانبك فإذا كتاب الله بين يديك فترفع بصرَكَ إلي وتقول: «ادع له يا ابن الأخت بالرحمة».

وطويت نفسك أنت والسيدة الفاضلة على جرح غائر في الأعماق ومختبئ في حناياها، تحركه من مكمنه آلام الآخرين وجراحهم، ويبعثه ما يتبدى في هذه الحياة من أقدار رضيتم بها لإيمان قوي فطري ترسخ، فاللهم إيماناً كيإيمان العجائز.

- لقد كنت لي الأب في حياة من تربية في عزه وبعد مماته، أثبك ما يضيق به الصدر في أوقات الشدة، وأزورك ضحى فإذا أنت ترفض أن تشاطرنى الحديث وأنت متمدد على فراش المرض.

وإذا ما أتوا بدلة (القهوة) أو إناء الشاي تأبى إلا أن تسكبه أنت بيديك، مكرراً على مسمعي المقولة المعروفة «لا يُكرم الرجل في داره» وأطلب منك متوسلاً ألا تقوم من مقعدك عند انصرافي، فألتفت فأجذك تسير خلفي. وقبل يوم واحد من خروجك من هذه الدار الفانية، طلبت منك أن تقبل دعوتي في جمع من الأهل والأحباب، فإذا أنت تقول: «إذا ما أتى أحبابك من أهل مكة يزورونك فسوف آتيك، فإنه ليسرني حديثهم ووفاءهم».

ترى أين يا خال سوف أحتفظ برقم هاتفك؟ وكيف يتأتى لي أن أرى
حسناً وفائزاً ونوفاً وإخوتهم، والنجم قد غاب أو حط في أظھر بقعة
وأكرم جوار؟